

مُوسَى وَعِيسَى
مَوْصِلَ الْحُضْنَةِ

الْمَجْلَدُ الْخَامِسُ

٥



جَامِعَةُ الْمَوْصِلِ
وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مَوْسُوعَةُ الْمَوْصِلِ الْحَضَرِيَّةِ

الْمَجْلَدُ الْخَامِسُ
٥

دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل

حقوق الطبع محفوظة لدار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل

الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م

٥ / ٤٠٠٠ / ٩١٠٢٥



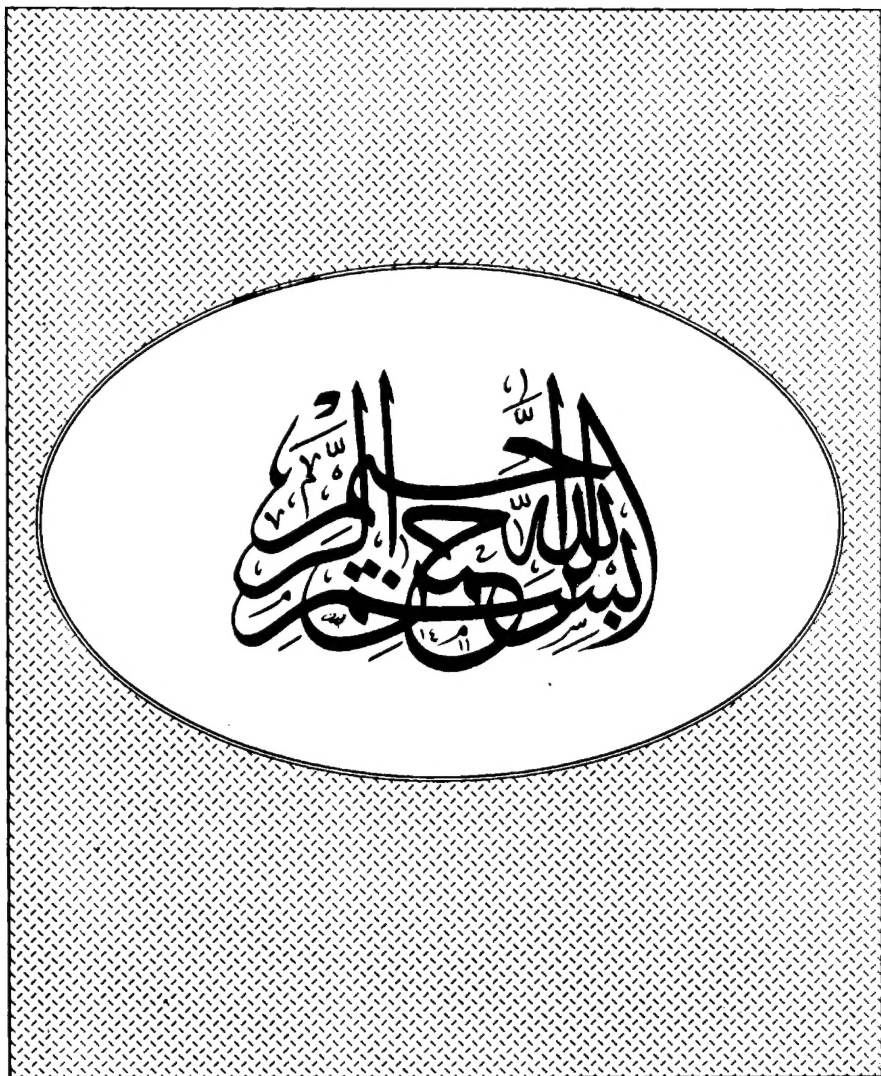
نشر وطبع وتوزيع :

دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل

شارع ابن الاثير - الموصل - جمهورية العراق

هاتف ٧٦٣٢٣١

تلكس ٨٠٩٢



هَيْئَةُ التَّحْرِيقِ، مَوْسُوعَةُ الْوُضُوءِ، الْخُصَّةُ الرَّابِعَةُ

الْأُسْتَاذُ الذِّكْوَرُ هَاشِمُ بْنُ الْمَلَّاحِ يُبَيِّنُ التَّحْرِيقَ

الْأُسْتَاذُ الذِّكْوَرُ عَاصِمُ بْنُ سُلَيْمَانَ مَعْنَاً

الْأُسْتَاذُ الذِّكْوَرُ أَحْمَدُ بْنُ سَمِيعِ الْجَمْعَةِ مَعْنَاً

الْذِّكْوَرُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَلِيلِ أَحْمَدَ مَعْنَاً

الذِّكْوَرُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَسُورِ مَعْنَاً وَمَعْنَاً

الْأُسْتَاذُ الذِّكْوَرُ الْفَتْحِيُّ : يُؤَسِّفُ ذُنُوبَ

توقفت

شهد العراق بعد ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨ القومية التقدمية، تحولات عظيمة في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفي حقل الثقافة والابداع كان التحول واضحاً، حتى ان جامعة الموصل التي تزامن تأسيسها مع الثورة المباركة، أصبحت واحدة من أبرز مراكز الأشعاع العلمي والحضاري في العراق الناهض. فضلاً عن دورها العلمي والتربوي، فقد اضطلعت الجامعة بمهمة النهوض الثقافي والحضاري لبيئة توطنها: مدينة الموصل ومنطقتها.

و «موسوعة الموصل الحضارية» التي تشرف الان بتقديم جزئها الخامس، جاءت لتؤكد الملامح البارزة للنهضة الثقافية في العراق. وهذا الجزء يتناول تاريخ الموصل وتطوراتها السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية منذ الاحتلال البريطاني لها سنة ١٩١٨ وحتى الخمسينات من القرن العشرين.

لقد كان من الممكن ان تستمر الموسوعة في متابعة الاحداث والتطورات حتى الوقت الحاضر، لكن هيئة التحرير وجدت نفسها أمام كم هائل من الحقائق والمنجزات التي تتطلب دراسات لاحقة؛ لهذا قررت ان تقف في هذا الجزء عند اواسط القرن العشرين. وقد إستندت الهيئة في ذلك الى قاعدة معروفة في الدراسات التاريخية، وهي انه لا بد من مضي وقت مناسب على الحدث، لكي تتضح معالمه وتظهر وثائقه وتبلور مفاهيمه. وكما هو معروف فان موسوعات مماثلة صدرت في القطر التزمت بهذه القاعدة نذكر منها على سبيل المثال الموسوعة «حضارة العراق» (١٩٨٥) وموسوعة «تاريخ القوات العراقية المسلحة» (١٩٨٥).

وثمة حقيقة أخرى، وهي أن رصد ومتابعة ماحدث في الفترة اللاحقة التي تنتهي في التسعينات، من ابداع ثقافي وانجاز حضاري، مهم وضروري، إلا انه يحتاج الى مزيد من الوقت والتحجيص والدراسة، خاصة ان التطور الابداعي بحاجة لأن يستكمل أبعاده ويأخذ مكانته وتتوضح مناهجه وهذا يتطلب مباحث مستقبلية، وبمنهج قد يكون مختلفاً عن المنهج الذي التزمت به هذه الموسوعة.

لقد اتخذت الموصل في اثناء الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من تسويات، أهمية دولية، وخاصة في السياسة الاستعمارية البريطانية. لذلك اقدمت القوات البريطانية على احتلالها في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨.

وسرعان ماظهر للقوى الوطنية في الموصل نوايا بريطانيا الاستعمارية وتنكرها لحقوق العراقيين خاصة والعرب عامة، في الاستقلال والوحدة. عندئذ عبّر الموصليون من خلال تنظيماتهم السياسية، السرية والعلمية، عن مواقفهم الرافضة للمحتلين وعلى الصعيدين السياسي والعسكري. وكانت انتفاضة تلعفر في ٤ حزيران ١٩٢٠ تمهيداً للثورة العراقية الكبرى وازاء هذه الثورة اضطرت بريطانيا ان تتغير من سياستها وان تدعن لمطالب الشعب العراقي بوضع هيكل حديث للدولة العراقية، ومن ذلك تشكيل حكومة وطنية والتمهيد لاقامة نظام ملكي. وكان هادي باشا العمري الموصلية واحداً من الذين رُشّحو لتولي عرش العراق، لكن الانظار توجهت الى فيصل بن الحسين، وهو الرجل الذي عرّفه الضباط العراقيون، ومنهم الموصليون، جيداً إبان عملهم تحت قيادته في الثورة العربية سنة ١٩١٦.

وفي ٢٣ آب ١٩٢١ توج فيصل ملكاً على العراق. وكانت مشاركة الموصلين في عملية تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وارساء ركائزها، واضحة للعيان. وحين ظهر ماسمي بـ «مشكلة الموصل» إثر احتجاج تركيا

على احتلال «الولاية» الذي حدث بعد عقد هدنة مودروس سنة ١٩١٨ ، دافع الموصليون عن مدينتهم أزاء تلك الادعاءات. ولم يهدأ لهم بال حتى صدر قرار عصبة الأمم التحكيمي في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ برفض الادعاءات التركية ، وتأكيد صبرورة الموصل جزءاً من أرض العراق.

لقد واكبت الموصل ، العاصمة بغداد ، والمدن العراقية الاخرى في كل الأحداث الوطنية بكل تفاصيلها. وغدا سجلها الوطني حافلاً بالأصالة والمواقف التي اكدت وحدة العراق ، ورسوخ مكانته ، وعلو شأنه ، وعمق حضارته ، فقصدت لكل المعاهدات غير المتكافئة التي عقدتها بريطانيا مع العراق. وانتفضت سنة ١٩٣٧ عسكرياً ضد التوجهات الشعبية والاقليمية التي ظهرت في أعقاب انقلاب ١٩٣٦. وفي ثورة نيسان-مايس ١٩٤١ أسهمت الموصل ، إسهاماً نشيطاً. ولم تقف مكتوفة الأيدي إبان وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ ووقفت مع مصر سنة ١٩٥٦ حينما حدث العدوان الثلاثي الأثيم عليها بعد تأميمها لقناة السويس ، وكانت القضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى مثار إهتمام الموصلين ودعمهم المستمر شأنهم في ذلك شأن إخوانهم في جميع أنحاء العراق.

وحين انفجرت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وسقط النظام الملكي ، إندفعت جماهير الموصل للترحيب بها وإسنادها. وفي اذار ١٩٥٩ قدر للموصل الباسلة ، مرة أخرى ، أن تتورض ضد القوى الشعبية والذكتاتورية التي تنكرت لأهداف الثورة. ومع ان ثورة الموصل فشلت عسكرياً ، لكنها كانت بداية لمسيرة التغيير التاريخي التي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي ، وذلك في ثورة رمضان (٨ شباط ١٩٦٣) ، ثم في ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨ ، وعندئذ بدأت حقبة جديدة متميزة في تاريخ العراق المعاصر ، كان للموصلين فيها دور بارز ، ومن ذلك نيلهم شرف الاسهام في الدفاع عن التربة العراقية والبوابة الشرقية للوطن العربي ضد العدوان الفارسي طيلة ثمان سنوات امتدت من سنة ١٩٨٠-١٩٨٨. وكذلك صدت الموصل ، مع شقيقاتها المدن العراقية الأخرى ، العدوان الثلاثيني الأثيم على العراق من خلال مشاركتها الفعلية في ملحمة ام المعارك الخالدة.

وكما جرى في الأجزاء الأخرى المكرسة لتاريخ وتراث الموصل الحضاري ، في العصور القديمة والوسيلة والحديثة ، فان الأهتمام في هذا الجزء لم ينصب على التطورات السياسية وحسب ، وإنما إتسع ليشمل مظاهر حضارية اساسية. ومن ذلك تخصيص حيز واسع لرصد خارطة الأبداع الثقافي والعلمي في الموصل ، فجزت متابعة لتطور حركة التأريخ ورواده والقصة والشعر واتجاهاته وحركة نقده. وثمة مباحث كرسست للصحافة والمسرح والامثال والشعر الشعبي والخط والحركة التشكيلية والتربية والتعليم. . وأفرد مبحث خاص لجامعة الموصل ، واسهاماتها في التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتقدم العلمي.

وأخيراً ، لا بد من القول ، ان وراء هذا العمل الموسوعي الحضاري جهوداً كبيرة ، بذلها أناس مخلصون ومثابرون. فالى جانب الباحثين ، كان هناك خبراء إنصرفوا لتقويم البحوث وتصويبها. وثمة من بذل جهداً في تحرير المباحث وتبويبها وإعدادها للنشر. وإذا كان من المناسب ان نذكر بعض الاسماء ، فان الدكتور غانم محمد الحفوة عضو لجنة التاريخ الحديث والمعاصر ، يأتي في المقدمة لما بذله من تعاون بناء مع رئيس اللجنة في إنجاز العمل في موعده المحدد. ولايفوتني كذلك ان اتوجه بالشكر للاستاذ الدكتور جليل رشيد فالح ، على ما بذله من جهده في قراءة مباحث الموسوعة وتوقيعها لغوياً وللأستاذ الدكتور يوئيل يوسف عزيز على ترجمة مقدمة الموسوعة ومضامين محتوياتها الى اللغة الانكليزية.

أما العاملون في مديرية دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل، فقد كان لدقتهم وصبرهم ودأبهم المخلص ، أثر كبير في اخراج الموسوعة بالشكل الذي ظهرت عليه. ومن الله التوفيق

رئيس لجنة التاريخ الحديث المعاصر

المحتويات

الموصل في التاريخ المعاصر

الموصل منذ الاحتلال البريطاني حتى النصف الثاني من القرن العشرين

التطورات السياسية

١٣. الاحتلال البريطاني والمقاومة الموصلية
د. ابراهيم خليل احمد
كلية التربية، جامعة الموصل
٣٦. تكوين الحكم الوطني وإسهام الموصلين
في تأسيس الدولة العراقية الحديثة
د. سياركوكب علي الجميل
كلية الاداب، جامعة الموصل
٥٠. المساومات الدولية حول ولاية الموصل
أ. د. فاضل حسين
كلية الاداب، جامعة بغداد
٦٣. الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١
حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية
د. غانم محمد الحفّو
كلية التربية، جامعة الموصل
٨٩. تطور الحركة الوطنية في الموصل
(١٩٤١ - ١٩٥٨ م / ١٣٦٠ - ١٣٧٧ هـ)
د. غانم محمد الحفّو
١٠٥. ثورة الموصل (١٩٥٩ م / ١٣٧٨ هـ)
د. عونى عبد الرحمن السباعوي
كلية التربية، جامعة الموصل

التطورات الادارية والاقتصادية

١٢٠. النظام الاداري
د. سياركوكب علي الجميل

١٣٦. حيازة الارض الزراعية أ. د. خليل علي مراد
كلية التربية ، جامعة الموصل

١٦١. الزراعة والثروة الحيوانية د. خليل اسماعيل محمد
كلية الاداب ، جامعة صلاح الدين

١٧٧. النشاط الصناعي أ. د. محمد أزهر السماك
كلية التربية ، جامعة الموصل

١٨٩. هيكل النشاط الصناعي الخاص د. عباس علي التميمي
كلية التربية ، جامعة الموصل

الحياة الاجتماعية والخدمات العامة

٢١٣. الحياة الاجتماعية في الموصل موفق وبسي محمود
كلية الاداب ، جامعة الموصل
- د. محمد حرني حسن
كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل
٢٢٦. الخدمات العامة د. سعدي علي غالب
كلية التربية ، جامعة الموصل

التخطيط الحضري والعمراني لمدينة الموصل

٢٤٣. خطط مدينة الموصل منذ مطلع القرن العشرين داؤد سليم عجاج
كلية التربية ، جامعة الموصل
٢٦٧. بنية مدينة الموصل وصورتها الحالية د. صلاح حميد الجنابي
كلية التربية ، جامعة الموصل
٢٧٧. العمارة المعاصرة أ. د. احمد قاسم الجمعة
كلية الاداب ، جامعة الموصل

التطورات الثقافية والتعليمية

٢٩٤. طبيعة الحياة الثقافية المعاصرة في الموصل د. سيار كوكب علي الجميل

٣١٤. صحافة الموصل منذ الاحتلال البريطاني حتى الخمسينات
د. ابراهيم خليل احمد
٣٣٣. التاريخ والمؤرخون الموصليون المعاصرون
د. ابراهيم خليل احمد
٣٦٢. الشعر
ذو النون الاطرقيجي
معهد المعلمين ، الموصل
٣٨٢. القصة
أ. د. عمر محمد الطالب
كلية الاداب ، جامعة الموصل
٤٠٤. المسرح
أ. د. عمر محمد الطالب
٤٢١. الامثال
سعد علي الجميل
٤٣١. الشعر الشعبي
عبد الحليم عبد المجيد اللاوند
٤٤٧. حركة نقد الشعر في الموصل
منطلقاتها واتجاهاتها
د. عبد الرضا علي
كلية التربية ، جامعة الموصل
٤٦٠. النهضة الفنية المعاصرة
للخط العربي في الموصل
إدهام محمد حنش
كلية الاداب ، جامعة الموصل
٤٧٠. الحركة التشكيلية
ستار الشيخ
٤٨٥. التربية والتعليم
د. جمال أسد مزعل
كلية التربية ، جامعة الموصل
٤٩٤. جامعة الموصل
د. محمد حربي حسن

المَوْصَلِي فِي السَّابِغِ الْمَعْرِ

الموصل منذ الاحتلال البريطاني حتى النصف الثاني من القرن العشرين

التطورات السياسية

الاحتلال البريطاني والمقاومة الموصلية

(١٣٣٩ - ١٣٣٩ هـ - ١٩١٨ - ١٩٢١ م)

د. ابراهيم خليل أحمد

مقدمة :

أبدت بريطانيا اهتماماً متزايداً بالعراق منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر، حماية للهند، وتأميناً لطرق مواصلاتها وما كان يهددها. وظهر ذلك بشكل بعثات كشفية اولاً ومشاريع اقتصادية ثانياً، واشترك في لجان تحكيمية تتعلق بالحدود ثالثاً. تمثلت الاولى في بعثة جسنبي Chesney ١٨٣٧-١٨٣٠ وتوضحت الثانية في شركة Lenych ١٨٦١ ومعارضتها لد الاملان، الجزء الجنوبي من سكة حديد بغداد - برلين الى سواحل الخليج العربي والاصرار على الاستئثار به. اما النقطة الثالثة فقد عبرت عنها لجان التحكيم الدولية التي كانت مهمتها تثبيت الحدود العثمانية - الفارسية وخاصة في الجهات العراقية.

هذا وقد اتخذت الموصل، اهمية دولية خاصة في السياسة الاستعمارية البريطانية في اثناء الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من تسويات. وتتلخص تلك الاهمية في كل من القضايا الاستراتيجية اولاً والاقتصادية ثانياً.

اولاً : القضايا الاستراتيجية :

ترتبط هذه القضايا ارتباطاً وثيقاً بالاستراتيجية البريطانية المتعلقة بحماية الهند، وتأمين جميع طرق المواصلات المؤدية لها. وتتناول في هذه القضايا ناحيتين مهمتين هما طبيعة الموقع الجغرافي واهميته السوقية العسكرية وسكة حديد برلين - بغداد، ومخاوف كل من الانكليز والروس منها.

أ- طبيعة الموقع الجغرافي واهميته السوقية :

لقد انصب اهتمام بريطانيا على ثلاث طرق تؤدي الى ممتلكاتها الشاسعة آنذاك في الشرق، وهي شبه جزيرة الملايو وشمال بورنيو وبورما والبحرين وعدن والهند قلب امبراطوريتها النابض. على ان الذي كانت تهتم به اكثر من هذا هو ان تضمن لنفسها السيطرة على الطريق البرية الى الهند^(١). وهذه الطريق هي التي تنقل منها المنتجات الشرقية بحراً الى الخليج العربي فالبحر فبغداد ومن هنا تتشعب الى فرعين : الاول يحاذي

دجلة صاعداً الى الموصل فحلب فالبحر المتوسط حيث تنقل البضائع الى الموانئ الاوربية . والفرع الثاني يسير بحاذيا لنهر الفرات حتى الموانئ السورية ، ويتصل بهذا الطريق من جهة الموصل طريق اخرى الى الجزيرة فالاناضول فاستانبول ، ومن هنا تسير حتى تنتهي في لندن .^(٧)

ولأهمية هذه الطريق فقد اصبحت السيطرة على العراق او الحصول على نفوذ فيه « ضرورة حيوية للامبراطورية البريطانية » . هذا فضلاً عن ان العراق يتمتع بموقع ستراتيحي يجعله مسيطراً على الطرق البرية المؤدية الى القفقاس عن طريق بحيرتي اورمية ووان . وبهذا الوجه فان في مقدور العراق ان يقوم بدور مهم في حالة نشوب حرب بين بريطانيا وروسيا .^(٨) وهناك ما يدل على ان السلطات العسكرية البريطانية في الهند كانت تنوي احتلال منطقة ما بين النهرين Mesopotamia قبل الحرب العالمية الاولى بثلاث سنوات ، وربما قبل ذلك بكثير^(٩) . كما اقترح المقيم البريطاني في بغداد خلال شهر شباط ١٩١٣ مشروعاً يقضي بجعل بلاد ما بين النهرين بأسرها منطقة نفوذ بريطاني . ومن بين مقترحاته ادخال (ولاية الموصل في هذه المنطقة) .^(١٠)

وجدت بريطانيا في نشوب الحرب العالمية الاولى وانضمام الدولة العثمانية الى جانب الدول المركزية بزعامة المانيا ، فرصة سانحة لاحتلال النقطة الاولى من الطريق البرية التي تخترق العراق من أدناه الى اقصاه . وقد تظاهرت بريطانيا انها تكتفي بيسط نفوذها على جنوبي العراق وحده ، غير انها سرعان ما تقدمت صعداً الى الشمال ، فاحتلت الموصل .^(١١)

لقد اثارت تلك القضية تساؤل المؤرخين فيما اذا كان في نية الانكليز عند ابتداء حملتهم العسكرية ان يتغلوا داخل العراق ، وبغض النظر عن المحاولات التي نشبت حول هذه النقطة فان ما

ذكرنا آنفاً ، وما حدث بعد ذلك يدحض كل الأقاويل التي ادعت ان رغبة بريطانيا اقتصرَت على احتلال البصرة .

تقدمت القوات البريطانية نحو بغداد فاحتلتها في ١١ آذار ١٩١٧ . ولم يقف الأمر عند احتلال بغداد ، لأن بغداد لم تكن حصينة نظراً للطرق المؤدية اليها . كما كان من الممكن خصارها في موسم الفيضان بكسر السدود المحيطة بها ، من الناحية العسكرية الصرف ، هذا فضلاً عن الاعتبارات السياسية كان على الجيش البريطاني ان يتقدم في الجهات الاخرى وعلى هذا اندفع الجيش البريطاني شمالاً في اتجاه الموصل علماً بان جزءاً من ولاية الموصل (كانت تضم الموصل واربل وكركوك والسليمانية) ، من نصيب فرنسا بموجب اتفاقية سايكس- بيكو^(١٢) . فما العوامل التي كانت وراء ذلك ؟ وما سر الاندفاع العسكري البريطاني نحو الموصل ؟

لقد كان لنشوب ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا سنة ١٩١٧ الاثر الكبير في اجراج موقف الانكليز في الشرق الامر الذي جعلهم يعيدون النظر في خططهم العامة لاحكام جبهة الدفاع ضد (النفوذ السوفيتي) خاصة بعد ان اذاعت الثورة الاشتراكية . نصوص الاتفاقات السرية واخذت تحرض السكان في اسيا على الثورة ضد المحتلين .^(١٣) وكان ذلك احد الاسباب الجوهرية في ازدياد اهمية الموصل العسكرية والستراتيجية . ويؤكد ذلك ما كتبه السير ارنولدولمن sir A.T. Wilson وكيل الحاكم المدني العام في العراق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ حيث ادعى قائلاً : « لم يذهب البريطانيون الى الموصل من اجل النفط ... وانما للحيلولة دون تغلغل النظام السوفيتي جنوباً » .^(١٤)

حاولت بريطانيا التلصص من اتفاقية سايكس- بيكو وطالبت بتعديلها ، في ٢٠ حزيران ١٩١٨ صرح بلفور Balfour وزير خارجية بريطانيا في

لنا بصورة خاصة بعد الوقوف على ما كتبه الصحف البريطانية والفرنسية في اثناء مطالبة تركيا بالموصل. حيث كتبت جريدة يوركشاير بوست

تقول :

وانه قد حدثت تغييرات كثيرة ومهمة بسبب الحرب العالمية الاولى في منطقة الشرق الاوسط والتي لها اهمية خاصة في نظري بريطانيا العظمى. فقبل الحرب كان الدفاع العسكري عن الهند مسألة بسيطة يتفق عليها اكثر الخبراء العسكريين لان الطبيعة أمدت الهند بأقوى حدود طبيعية في العالم يمكن ان تدافع عنها القوات العسكرية المجهزة بجميع الأسلحة الحديثة بسهولة تامة. ولكن الحرب العالمية الاولى غيرت وضعيتنا العسكرية في الشرق وسعت احتلالنا العسكري ومسؤوليتنا في الاراضي القديمة التي تنتهي في الموصل»

ثم واصلت الجريدة قولها :

«ان قطعة الارض الطويلة والضيقة المحصورة بين دجلة والفرات معرضة للهجوم من ثلاثة جوف وبخاصة من جهة الشمال الذي يحتمل الهجوم منها غالباً وهنا تقع الموصل التي هي تشابه من الوجهة الجغرافية والطبيعية جبال هملابا في الهند. والعراقيل الناتجة من شمالي الهند ليست عظيمة كما هي في ولاية الموصل وخاصة فيما اذا استعملت كمركز للهجوم على الاودية الكائنة بين الرافدين... وبالتالي فان ذلك يعرض امبراطوريتنا في الهند الى الاخطار...»^(١٦)

وقد أدرك هذه الضرورة عدد من الساسة

مجلس العموم بان الاتفاقات السرية، التي عقدت خلال الحرب بموجب اوضاع معينة تعتبر عقبة في طريق السلام ولا بد للحلفاء من ان يعالجوا ذلك.^(١٧) وكان التخلي عن الاتفاقية معناه مد السيطرة البريطانية نحو الشمال لتضم ولاية الموصل. وبعد خروج روسيا من الحرب اوضح مارك سايكس في اوائل تشرين الاول ١٩١٧ وجهة نظره بهذا الخصوص وهي وجوب دخول الموصل تحت السيطرة البريطانية. كما أن لويد جورج Lloyd George رئيس الوزراء البريطاني كان تواقاً ايضاً الى ضم الموصل بسبب ثروتها النفطية.^(١٨) وعليه تم للانكليز ما ارادوا ووضعوا فرنسا امام الامر الواقع كما سنرى.

ان نظرة يسيرة الى خارطة ولاية الموصل تظهر بوضوح اهميتها من الناحيتين العسكرية والجغرافية، وخاصة في حفظ وتأمين الطريق البرية نحو الهند.^(١٩) كما ان التقاء طرق المواصلات فيها من جهات ايران، ومن حلب والاسكندرونه غرباً ومن سيواس وارضروم وبديليس شمالاً جعلها من اهم المواقع خطورة للمحافظة على طريق الهند البري الذي يمتاز منطقة التقاء هذه الطرق. هذا فضلاً عن انها كانت تعد سداً منيعاً امام الخطر الروسي في الشرق الادنى الذي كان يهدد نفوذ بريطانيا في المنطقة.^(٢٠) هذا وقد أجمل كاتب في ملحق لمجلة «الاري فرانسيز» اهمية الموصل الاستراتيجية بقوله : «ان طريق الهند هو ايضاً طريق يتابع نفض آسيا».^(٢١) كما وضع تقرير رسمي بريطاني نشر سنة ١٩٤٨ النوايا البريطانية تلك بقوله : ان المبدأ الاول الذي ضحت بريطانيا من اجله بأرواح كثيرة خلال حرب ١٩١٤-١٩١٨ هو عدم فسخ المجال لأية قوة معادية تهدد مواصلاتها الامبراطورية. هذا فضلاً عن ان لها مصالح اقتصادية اهمها : حقول النفط في الموصل.^(٢٢)

ان اهمية الموصل العسكرية والجغرافية تتوضح

البريطانيين الذين عملوا في وزارة المستراسكويت منذ سنة ١٩١٥ اذ نبهوا الأذهان الى وجوب الزحف على الموصل^(١٧). اما مجلة «ذي انكلش ريفيو» فقد كتبت تقول ان البريطانيين لا يستطيعون الاحتفاظ بمصالحهم الخطيرة في رأس الخليج العربي بدون الموصل^(١٨). وكتب كنت وليامز مقالاً في إحدى المجلات البريطانية قال فيه: ان أهمية الموصل في جوهرها استعمارية، وأما الأمور الأخرى فتأنيوية. وأضاف ان الموصل مرحلة من مراحل تكوين دول الحدود على طريق الهند لانها مفتاح سياسة بريطانيا في الشرق الأوسط جميعها^(١٩). وقد اقتبست جريدة الموصل من مجلة «لازي فرانسيه» مقالة أوضحت أهمية الموصل بقولها:

«كانت ولاية الموصل خلال الحرب العالمية الأولى مطمح انظار القادة العسكريين من الانكليز والروس والأتراك على السواء وذلك لان الخطر العسكري الذي يمكن ان يهدد القسم الجنوبي من العراق لا بد أن يأتي من جبالها التي تمتد على شكل نصف دائرة من شمال وشرق سهول ولاية الموصل. كما ان انفصال الولاية عن الشعوب القفقاسية والطورانية بسلاسل جبلية واتصالها مع إيران وكردستان بممرين جبليين مهمين هما مضيق كولور في طريق وان - تبريز وممر زاكروس على طريق همدان - بغداد اعطى لها تلك القيمة الاستراتيجية لاسيما وان الطرق الباقية في هذه الجبال المرتفعة وعرة جداً ومن الصعوبة اجتيازها وان ذلك لا يمكن ان يحدث بدون استخدام ممر راوندوز - اوشنوي»^(٢٠).

ومها يكن من أمر فان الأهمية الاستراتيجية هي

من جملة العوامل المهمة التي جعلت الزحف البريطاني نحو الموصل أمراً ضرورياً. وإذا كان الرأي القائل: بأن احتلال الانكليز للموصل لم يكن من أجل النفط وانما كان لاهيتها الاستراتيجية^(٢١) عرضة للمناقشة فإن (هانز كون) كان أكثر اقتراباً من الحقيقة في تفسيره احتلال الانكليز لولاية الموصل اذ كتب يقول:

«انه كان لدى الانكليز اعتقاد إستمر قائماً بعض الوقت في ان احتلال القسم الجنوبي من العراق كاف لتحقيق أغراضهم الا انهم عندما تبينوا أهمية مصادر النفط في القسم الشمالي منه وكذلك الأهمية الاستراتيجية التي للجبال هناك في الدفاع عن القسم الجنوبي تولد في نفوسهم الاغراء باحتلاله ايضاً»^(٢٢).

وبوجه الاجمال فقد اهتمت بريطانيا بولاية الموصل، على حد تعبير احد الكتاب، لأمرين اثنين هما النفط.. والامبراطورية^(٢٣).

ب- سكة حديد بغداد - برلين :

هذا وقد يقود ازدياد اهتمام الانكليز بالاهمية الاستراتيجية لولاية الموصل خاصة والعراق عامة الى مشروع سكة حديد بغداد - برلين الذي منحه السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٩٩ للامان كجزء من خطة التعاون بين البلدين.

لقد أثار التعاون بين عبد الحميد الثاني وامبراطور المانيا ولهم الثاني حفيظة كل من روسيا وفرنسا وانكلترا معتبرة اياه حدثاً دولياً خطيراً.

حقاً لم يكن التعاون بين السلطان عبد الحميد والقيصر ولهم الثاني تعاوناً عاطفياً كما يصوره اعداؤهما. بل انه نتيجة لظروف وتطورات كل من البلدين. ولزيارة القيصر الالماني للاستانه مرتين الاولى في سنة ١٨٨٩ والثانية في سنة ١٨٩٨ أثر

كبير في تدعيم سياسة «الاندفاع نحو الشرق» او كما يعبر عنه «بالتغلغل السلمي في الدولة العثمانية». وقد اصبح وليم الثاني رمزاً للصدقة الالمانية- العثمانية. ولعبت عوامل عديدة في هذا التقارب الالماني- العثماني منها ان السلطان رأى في الامبراطورية الالمانية الوحيدة من بين الدول الكبرى التي ليست لها اطاع توسعية في بلاده ، هذا فضلاً عن خطته الرامية الى انهاض شعوب امبراطوريته اقتصادياً وعسكرياً للوقوف امام التحديات الاستعمارية لكل من روسيا وانكلترا وفرنسا والنمسا والمحافظة على ما تبقى من وحدة الامبراطورية العثمانية. وقد رأى عبد الحميد ان خير من يسنده في اهدافه الداخلية ودبلوماسيته الخارجية هو وليم الثاني المنافس الاكبر للدول التقليدية الاستعمارية على حساب الممتلكات البلقانية العثمانية. هذا مع العلم بان المانيا قد اصبحت منذ سنة ١٨٧١ امبراطورية عظيمة ترهب اوربا عسكرياً وتحبفها اقتصادياً لما لثورتها الصناعية من قوة وفاعلية، وأنها اخذت تتطلع الى مجالات عامة لاستثمار رؤوس اموالها وابعاد اسواق جديدة. فلا عجب ان التقت مصالح كل من عبد الحميد وليم الثاني في ضرورة التعاون خاصة في المضمارين الاقتصادي والعسكري. ذلك التعاون الذي نتمه اعداء الالمان بالاستعمار المبطن وصبوا من اجله جام غضبهم على عبد الحميد فراحوا يشوهون سمعته بمختلف الطرق ويدسون له الدسائس.

لقد كان من التعاون الالماني العثماني في المجالات الاقتصادية، بناء السكك الحديدية ولعل من أخطرها شأناً سكة حديد بغداد الذي جاء ثمرة من ثمرات زيارة وليم الثاني الثانية ١٨٩٨ للسلطان. اذ أعلنت الحكومة العثمانية في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ رسمياً منح امتياز مد سكة من قوية الى خليج البصرة، الى شركة سكة حديد الاناضول الالمانية وتم الاتفاق^(٢٤) على تفصيلات المشروع في ٥ آذار

سنة ١٩٠٣ والتي لانرى حاجة للتطرق اليها خشية الابتعاد عن جوهر البحث.

أثار امتياز سكة حديد بغداد اهتمام بريطانيا وروسيا بصورة خاصة ونظرت اليه كل منها على انه تهديد لمصالحها في الدولة العثمانية.

أما بالنسبة لروسيا فقد بدأت معارضتها مبكرة اي منذ سنة ١٨٩٩ اذ شجبت صحف موسكو وبتروغراد المشروع معلنة بانه يهدد المصالح الاقتصادية الحيوية لروسيا^(٢٥). وقد اتخذت المعارضة الروسية وجهين احدهما اقتصادي والآخر ستراتييجي. فبالنسبة للاول رأيت روسيا في السكة وخاصة القسم الذي يمر عبر بلاد ما بين النهرين خطراً على التجارة الروسية في اسواق فارس وافغانستان فيما بعد اذ ان ذلك سوف يفتح اسواق هذه المناطق للمنافسة الالمانية. كما ان مد السكة سوف يعمل على تغلغل الرأسمال الالماني في تطوير امكانيات بلاد ما بين النهرين الزراعية والنفطية ولا يخفى ما في ذلك من خطر على منتج روسيا من الحبوب والنفط. اما بالنسبة الى الناحية الثانية فقد وجدت روسيا في السكة تهديداً مباشراً لطموحاتها في الشرق الادنى ورأت ان اكمال الخط سوف يمكن الحكومة العثمانية من تحريك جيوشها بسرعة على طول جبهة ارمينيا. لهذا فقد اخبر زينوفيف الوزير المفوض الروسي في استانبول الباب العالي بان اقتراح مد السكة من انقرة الى الموصل وبغداد عن طريق ارمينيا يشكل خطراً ستراتييجياً على حدودها في القفقاس وفي مثل هذه الحالة سوف لا تسمح الحكومة الروسية بذلك. وازاء تهديد روسيا اضطرت الحكومة العثمانية الى اختيار طريق قوية. ومهما يكن من أمر فقد كانت الحكومة الروسية والصحافة الروسية مدركة تماماً لتهديد سكة حديد بغداد للمصالح الامبريالية الروسية في الشرق الادنى^(٢٦).

اما بالنسبة لبريطانيا فقد عدته تهديداً

استراتيجياً لمصالح الشرق. إذ عبر عن ذلك اللورد فتر موريس سنة ١٩٠٣ في مجلس العموم بقوله :

«ان الذي جعل المجلس يدي اهتماماً ملحوظاً بالقضية هو الشعور بان مستقبل السكة قد يكون مرتبطاً بمستقبل السيطرة السياسية على مناطق واسعة من آسيا الصغرى وعلى بلاد ما بين النهرين والخليج»^(٣٧).

لهذا اتخذت بريطانيا التدابير التي تساعدها على ضمان هذه المصالح فسارعت الى بسط سيطرتها على الكويت فعقدت اتفاقية مع مبارك الصباح في الكويت سنة ١٨٩٩ بقصد رفع يد العثمانيين عنها وإيقاف التغلغل الألماني في المنطقة^(٣٨). وقد قابل الألمان ذلك بتعزيز صداقتهم مع الدولة العثمانية والسير قدماً في مشروع انشاء السكة الحديد^(٣٩).

لقد شهدت الفترة ما بين سنتي ١٩٠٠ و ١٩١٤ صراعاً عنيفاً بين المصالح البريطانية والألمانية. وقد اصبح العراق مسرحاً لذلك الصراع فن جهة ظهر الألمان ليحلوا محل الروس كقوة تهديد للنفوذ البريطاني ومن جهة اخرى اخذ الأتراك ينظرون الى النوايا البريطانية في الامبراطورية العثمانية نظرة ملؤها الشك والريبة^(٤٠).

لقد عمل الألمان على تطوير مصالحهم في العراق. ففي ١٨٩٤ قاموا بتعيين قنصل لهم في بغداد. كما تأسست قنصلية المانية في الموصل سنة ١٩٠٥ وفي بغداد سنة ١٩٠٨. وزار العراق منذ ١٨٨٧ بعثات آثارية المانية^(٤١). وفي ١٩١٢ وصلت بعثة آثارية المانية منطقة الشرايط في الموصل^(٤٢). وقد توغل الألمان في شمالي العراق وتحول كثير منهم في المناطق الكردية واتصلوا بعدد من رؤساء العشائر الكردية. وكان الألمان يرمون من وراء ذلك ليس فقط اقامة الصلات السياسية بل

وايجاد اسواق اقتصادية ايضاً. وقد توسع اهتمام الألمان بولاية الموصل خلال الحرب العالمية الاولى وذلك لأن حدودها الشمالية كانت احدى جبهات القتال ضد روسيا. واتخذ الأتراك والألمان من هذه المنطقة كذلك مركزاً لنشر دعوة الجهاد في إيران لابعاد المسلمين فيها عن التعاطف مع روسيا. وقد أثمرت بعض مساعيهم بهذا الشأن اذا استطاعوا حشد عدد من العشائر الكردية لقطع الارتباط بين الجيشين الروسي والبريطاني في العراق^(٣٣).

بدأ الألمان تنفيذ مشروع سكة حديد بغداد. وفي ١٩٠٩ اعلن رئيس البنك الألماني ، فون كوينر عن انجاز (٩٤٦) كيلومتراً من اصل (٢٨٩٣) كيلومتراً وهي المسافة بين الاستانة والبصرة. وان (٨٤٠) كيلومتراً والتي تمر عبر جبال طوروس وامانوس على وشك الانجاز وانه لم يبق غير (١١٠٠) كيلومتراً. عندئذ شعرت بريطانيا ان مصالحها في بلاد ما بين النهرين باتت مهددة خاصة بعد ان شرع الألمان في انجاز القسم الممتد من بغداد الى سامراء^(٣٤).

اضطر الألمان لضخامة المشروع ولصعوبات مالية وفنية ولاعتبارات سياسية واقتصادية الى الدخول في مفاوضات مع الانكليز للتفاهم حول المشروع. ومع هذا فان المفاوضات اظهرت عزم بريطانيا (اولاً) على ان تحتفظ لنفسها بالارحية في بلاد ما بين النهرين و(ثانياً) على ايقاف امتداد السكة عند مدينة البصرة. وعلى هذا تم الاتفاق مبدئياً بين الطرفين في ١٥ حزيران ١٩١٤ فكان ذلك دليلاً على ما ظلت تتمتع به بريطانيا من نفوذ^(٣٥). فقد اعترف الألمان بمبدأ السيادة البريطانية على الخليج والقسم الجنوبي من العراق. ومن جهة اخرى اعترف الانكليز بالمصالح الألمانية الخاصة في هضبة الاناضول وفي الاقسام الشمالية من سوريا والعراق. ولم يكن هذا الاعتراف عن قناعة وزهد في هذه المناطق وانما يرجع ذلك الى ان

بريطانيا كانت تدرك- على حد قول احد الباحثين- بان لفرنسا اطماعاً في سوريا وفي الجزء الشمالي من العراق. كما ان لروسيا اطماع في الاناضول ولا بد ان يصطدم النفوذ الالمانى بهذه الاطماع عندئذ يتدخل الانكليز لتصفية المصالح الالمانية التي تضمنتها الاتفاقية المشار اليها (٣٦).

لم تنفذ الاتفاقية المذكورة بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى. حين سارعت بريطانيا- كما هو معروف- لارسال حملة عسكرية كانت تعدها منذ بضع سنوات لاحتلال الفاو. ولاغرو في ان يكون من اهداف تلك الحملة احباط مشروع سكة حديد برلين بغداد الذي كان الالمان يسرعون بانشاؤه تسهيلاً للتعبة العامة في هذه الجبهة (٣٧). ويبدو ان هذه الفكرة كانت في مخيلة الانكليز عند احتلالهم ولاية الموصل والى شئ من هذا القبيل اشارت- فيما بعد- جريدة يوركشاير بوست سنة ١٩٢٤ قائلة :

«وهناك مسألة اخرى وهي سكة الحديد، فان هذا المشروع العظيم كان في النية ان... يصل اوربا بالشرق الاقصى، وان النتائج الناجمة من هذا المشروع واضحة وترافقها نتائج سياسية وعسكرية... فان سكة الحديد من البوسفور الى نصيبين التي هي على بعد قليل من الموصل تمر من اراضي تركية وتكون واسطة كبرى لحشد القوات العسكرية» (٣٨).

ويؤكد ذلك ما جاء في تعليمات رئاسة هيئة الاركان البريطانية الى الجنرال مارشال في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٧ من ان «اهم ماسيقوم به (العدو) في سنة ١٩١٨ هو تمديد السكة الحديد الى الموصل. ومن المهم جداً ان تبدل جهدهم للحصول على جميع المعلومات التي تتعلق بهذا الموضوع» (٣٩).

وهكذا شاءت الاوضاع الناجمة عن الحرب ان

يقوم الانكليز باكمال مد سكة حديد بغداد. فقاموا بين سنتي ١٩١٦ و ١٩١٩ بوصل بغداد بتكريت ثم اتجهوا بالخط نحو الشمال الى بيجي ثم الى الشراط التي لاتبعد عن مدينة الموصل باكثر من (١٠٠) كيلومتر (٤٠).

ثانياً- القضايا الاقتصادية :

تحتل الموصل موقعاً جغرافياً مهماً أدى الى أن تكون من مراكز التجارة المهمة في الشرق الأدنى آنذاك. وذلك لان طريق الموصل يعتبر أوفر اقتصاداً وأقصر مسافة من طريق البحر الاحمر بالنسبة لسفن بريطانيا الذاهبة الى الهند أو القادمة منها. لهذا قد احتلت ولاية الموصل اهمية كبيرة في نظر بريطانيا (٤١). وقد أولت بريطانيا هذه الناحية اهتماماً كبيراً فسعت للدراسة الامكانات الاقتصادية والتجارية لهذه البلاد منذ أمد بعيد. وتعد بعثة الضابط الانكليزي فرنسيس رودن جسنى Chesney سنة ١٨٣٠ وماأنجزته من مسح عام في جهات الفرات ودجلة في السنوات التالية من اولي البعثات التي أوفدها الانكليز لهذا الغرض. وقد اوضح جسنى في كتابه المعنون «حملة مسح ودراسة نهري دجلة والفرات» اهمية ولاية الموصل للتجارة البريطانية في غرب اسيا. واقترح جسنى انشاء مؤسسات مالية بريطانية في الموصل وديار بكر. وذكر بان الموصل والمناطق المجاورة لها تعد من المراكز المستهلكة للبضائع البريطانية على الرغم من عدم وجود مؤسسات بريطانية مالية هناك. وقال في مذكرة مرفقة بكتابه المعنون «المشاريع التجارية في غرب اسيا» ان البضائع البريطانية تحمل الى الموصل من حلب ودمشق وبغداد بوساطة التجار المحليين وتباع لذلك باسعار عالية نتيجة لمرورها بايدي عدد كبير من الوسطاء. واكد ضرورة قيام مؤسسات تجارية بريطانية تتولى عملية التجارة مع الموصل مباشرة واعتقد ان ذلك سيؤدي الى خفض

ولم تقف تجارة التصدير عند هذا الحد اذ المالت في الزيادة. وعمت صادرات الموصل وجهها شطر الاسواق الاوربية الى درجة اصبحت معها هذه الاسواق قبل نشوب الحرب العالمية الاولى تشتري اكثر من ثلثي صادرات هذه الولاية. فقد أظهرت التقارير القنصلية البريطانية في ولاية الموصل للسنوات من ١٩٠٩-١٩١٢ أن هناك زيادة في صادرات ولاية الموصل الى بريطانيا. ففي الوقت الذي بلغت فيه قيمة الصادرات السنوية في المتوسط تقريباً (٤٣٧,٠٠٠) جنيه استرليني صدر منها ما قيمته (١٩٥,٠٠٠) جنيه استرليني الى بريطانيا وحدها^(٤٧). وقد بلغت النسبة المئوية لصادرات الموصل الى بريطانيا في سنة ١٩١٠ (٢٨٪) وفي سنة ١٩١١ (٤٧٪) وفي سنة ١٩١٢ (٣٨٪) من مجموع الصادرات^(٤٨).

حاولت الاسواق الالمانية ثم الاميركية، بعد أن رصدت اتجاه صادرات الموصل نحو الاسواق البريطانية السيطرة على صادرات ولاية الموصل من المصارين وعرق السوس. فأنشأ الامريكان على سبيل المثال شركة تتعاطى استخراج وكبس عرق السوس في الموصل وتصديره سنة ١٩١١. الا أن الاسواق الالمانية والاميركية لم تستوعب قبل الحرب الا نسبة قليلة من صادرات الموصل^(٤٩).

تدفقت رؤوس الأموال الأوربية على العراق عامة والموصل خاصة نتيجة لتحو الصادرات واستثمار رؤوس الاموال الاجنبية عن طريق البنوك. ومن هذه البنوك؛ البنك الامبراطوري العثماني^(٥٠). وهو مؤلف من رؤوس اموال انكليزية وفرنسية. وقد تأسس سنة ١٨٦٣ وفتح له فرعاً في مدينة الموصل^(٥١). والذي ظل مستمراً في عملياته المصرفية حتى اغلقه البريطانيون عند احتلالهم الموصل سنة ١٩١٨ لفترة قصيرة ثم اعادوا فتحه بعد ذلك^(٥٢). وهناك أيضاً (البنك الشرقي) المسمى (ايسترن بنك Eastern Bank) ورأسماله

اثمان البضائع البريطانية الى النصف وبالتالي يزداد الاقبال على البضائع البريطانية. ورأى جنسي ان موارد الموصل، ومن اهمها الصوف والجلود والعفص وعرق السوس وشعر الماعز، سلع مربحة للتصدير. واثار جنسي الى التجارة الروسية التي تأخذ بالازدياد في اسواق ما بين النهرين وكردستان مما يهدد التجارة البريطانية وأكد أن قدرة التجارة الروسية على معرفة اذواق السكان من عوامل نجاحها وهذا مما لايتوفر للتجارة البريطانية لعدم وجود مؤسسات تجارية بريطانية واقترح تنظيم سوق البضائع البريطانية من الاسكندرية الى ديار بكر ثم الى الموصل عبر دجلة او عن طريق القوافل البرية مباشرة الى الموصل وقال ان ذلك سيمكن التجارة البريطانية من ان تجد لها موقعا متميزاً في العراق^(٥٣).

ازداد اهتمام بريطانيا باقتصاديات ولاية الموصل على نحو ملحوظ منذ اواخر القرن التاسع عشر. ويعود ذلك الى اتساع التجارة الموصلية وخاصة في القطاع الزراعي. اذ ان الملاكين الجدد أخذوا يلحون على زيادة الانتاج على الرغم من عدم تبدل وسائله. وبذلك ازداد الاقبال على توسيع المساحات المزروعة مثلاً جنوبي جبل سنجار والاقسام الغربية من ولاية الموصل^(٥٤). وقد بدأت العوامل الجديدة بالظهور من اجل إيجاد روابط قوية بالسوق الخارجية وساعدت على ذلك عوامل عديدة داخلية وخارجية^(٥٥). فبعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ برزت ظاهرة نشوء واتساع تجارة التصدير الى اوربا. فقد ازدادت قيمة صادرات الموصل في الفترة من سنة ١٨٨٤ - ١٨٨٥ على (٢٥٠) الف دينار صدر ثلثاها او ما قيمته (١٧٥,٧٠٤) دينار الى بريطانيا واوربا^(٥٦). اما الباقي فصدر الى الهند وسوريا وايران. وتتضمن صادرات الموصل: الحبوب والصوف والعفص^(٥٦) والجلود والماشية وغير ذلك.

مؤلف من أسهم انكليزية فقط . اما ادارته المركزية فهي في لندن وله فرع في الموصل^(٥٣) .

هذا وكان لتجار الموصل فعاليات مهمة في مجالات الاستيراد . اذ تشير التقارير القنصلية البريطانية للسنوات من ١٩٠٩ - ١٩١٢ أن هناك تزايداً في استيراد البضائع الاوربية خاصة البريطانية منها . اذ بلغت قيمة مستوردات ولاية الموصل لهذه السنوات حوالي (١٥٠,٠٠٠) جنيه استرليني منها ما قيمته (١٢٠,٠٠٠) جنيه استرليني جاءت من بريطانيا والهند والدول الاوربية الاخرى والبقية اتت من بغداد وحلب وديار بكر^(٥٤) . وقد بلغت النسبة المشوية لاستيرادات ولاية الموصل من بريطانيا سنة ١٩١٠ (٢٦٪) وفي ١٩١١ (٢٠٪) وفي سنة ١٩١٢ (٢٨٪) من مجموع الواردات^(٥٥) . واهم البضائع المستوردة : الاقمشة القطنية والاجواخ والسكر والانيه النحاسية والزجاجية وتأني هذه من اوربا . أما الوارد اليها من الهند عن طريق بغداد فهو الشاي والاقمشة وانواع الحلويات ومن بلاد فارس البسط بانواعها والاقمشة الحريرية والطنافس^(٥٦) . وعليه فان الاهمية الاقتصادية لولاية الموصل كانت سبباً من اسباب اهتمام بريطانيا بها . وتعاظم هذا الاهتمام قبيل قيام الحرب العالمية الاولى وفي اثائها وخاصة بعد ان تبين ان الموصل زاخرة بالنفط . لهذا فلا غرابة ان تستهدف كل من روسيا وبريطانيا في عملياتها العسكرية منطقة العراق الشمالية .

تعرضت ولاية الموصل الى خطر الزحف الروسي على جبهتي راوندوز والسليمانية . ففي جبهة راوندوز تقدمت القوات الروسية ودحرت قطعات جحفل الموصل واحتلت بلدة راوندوز في ١٣ آيار سنة ١٩١٦ . اما في جبهة السليمانية فقد تقدمت القوات الروسية واستهدفت بنجوين التي اضطر العثمانيون في ٣٠ حزيران ١٩١٧ الى اخلائها فتم

للموس احتلالها .^(٥٧)

وازاء ذلك طلب الجنرال البريطاني السير روبرتسون رئيس اركان الجيش الامبراطوري من الجنرال البريطاني ستانلي مود Maude ان يتقدم نحو بغداد ، وحذره من ان يدع الروس يصلونها قبله .^(٥٨) ويعلق احد النقاد العسكريين الاتراك على هذا الامر بقوله : «انه لم يكن يود الانكليزان يروا الروس يتقدمون قبلهم ويحتلون ولايتي بغداد والموصل الغنيتين بالنفط» .^(٥٩) وفي ١١ آذار ١٩١٧ ، احتل مود بغداد كما أشرنا الى ذلك من قبل وذلك في اثناء ورود اخبار ثورة كيرنسكي في روسيا ، وقد اثرت الشكوك حول رغبة الروس في متابعة الحرب^(٦٠) . وعلى الرغم من ذلك كانت ثمة ارتال روسية تتقدم شطر نهر دجلة بين بغداد والموصل من الشرق ، ولكن التلوج المتساقطة بشدة حالت دون تقدم ذلك السير . كما كانت وسائط النقل والتخمين غير كافية ، هذا فضلاً عن ان اخبار الاحداث الداخلية في روسيا بدأت تصل الى القوات الروسية فشرعت ، بناء على أوامر القيادة الجديدة التي اسقطت النظام القيصري ، بالانسحاب منذ اوائل تشرين الثاني ١٩١٧ نحو سنة وسافر .^(٦١) واذاغ لينين زعيم الثورة الاشتراكية تصريح السلام في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ دعا فيه الى نبد الحرب واحلال السلام بين جميع شعوب العالم ، وشرعت الحكومة الجديدة في روسيا في مباحثات مع المانيا وحليفاتها بعقد الهدنة والتي انتهت بمعاهدة صلح سميت بـ «برست ليتوفسك Brest - Litovsk»^(٦٢) . وفي ٢٣ كانون الاول سنة ١٩١٧ بدأت في مدينة الموصل مباحثات بين وفد عسكري روسي ووفد عسكري عثماني وتم الاتفاق على خط الهدنة وبذلك توقفت العمليات العسكرية الروسية .^(٦٣)

قررت القيادة العامة التركية في آيار ١٩١٧ تشكيل جيش سابع يتعاون مع الجيش السادس

العثماني لاسترجاع بغداد واطلقت على العملية اسم يلدرم اي (الصاعقة). اما الجنرال مود Maude فقرر انزال ضربة قاضية بالقوات العثمانية بعد ان تأكد من حرج قواتهم في جبهة فلسطين، وقد نجحت القوات البريطانية في دفع الفيالق العثماني الاول الى جهات الفتحة جنوبي الشرقاط وحرر ذلك الانتصار القوات البريطانية للتفرغ الى جبهة كركوك. واثناء ذلك تسلم الجنرال وليم مارشال William Marshall القيادة العامة للقوات البريطانية في العراق بعد وفاة الجنرال مود. وكان لانتصارات الجنرال ادموند الليني Edmund Allenby في جبهة فلسطين ضد القوات العثمانية اثر كبير في الشروع بعملیات عسكرية واسعة على جبهة دجلة انتهت، بعد معارك قاسية، بوصول القوات البريطانية، عند اعلان هدنة مودروس Mudros في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨، الى مشارف مدينة الموصل.^(٦١)

إحتلال الموصل وملايساته :

كانت القوات البريطانية في الاول من تشرين الثاني ١٩١٨ في ناحية حمام العليل على بعد (١٢) ميلاً جنوبي مدينة الموصل. وفي ٢ تشرين الثاني، التقى الكولونيل ليجمن Leachman الضابط السياسي البريطاني مع علي احسان باشا وكيل والي الموصل واخبره بوجود سحب القوات العثمانية خارج الموصل الى مسافة (٥) أميال على الاقل تاركاً قوة كافية لحفظ الامن والقانون. وقد رفض علي احسان باشا ذلك. وبعد ظهر يوم ٢ تشرين الثاني استلم الجنرال البريطاني (كاسلس) برقية من الجنرال مارشال تنص على ان المادة (٧) من شروط هدنة مودروس تبيح لقوات الحلفاء والحق في احتلال اي نقاط استراتيجية، اما المادة (١٦) فنص على وجوب تسليم جميع الحاميات المرابطة في بلاد ما بين النهرين الى اقرب قائد حليف

ولذلك يجب احتلال الموصل.^(٦٥)

تقدم الجنرال كاسلس بقواته واحتل النقاط المهمة والطرق المؤدية الى مدينة الموصل. وفي صباح يوم ٣ تشرين الثاني ذهب لمقابلة القائد العثماني علي احسان باشا وطلب منه اخلاء الموصل بموجب المادتين (٧ و١٦) من شروط الهدنة. إلا ان علي احسان باشا رفض ذلك وادعى بان الموصل وما حولها ليست واقعة في بلاد ما بين النهرين، وعلى ذلك ليس هناك ما يدعوه لتسليم قواته التي هي جيش ميدان، وليس حامية ومعنى هذا ان المادة (١٦) لا تنطبق على قواته من الناحية العملية. اما بصدد المادة (٧) فهو في انتظار تسلم اوامر حاسمة من حكومته بخصوص كون الموصل مشمولة بذلك.^(٦٦)

دعي علي احسان باشا الى مؤتمر يعقد في الموصل في ٧ تشرين الثاني، يحضره الجنرال



القائد العثماني علي احسان باشا

مارشال والسرانولدولسن وكيل الحاكم المدني العام في بغداد. وفي المؤتمر اعلن مارشال انه ليس على استعداد لمناقشة تفسيرات علي احسان باشا لشروط الهدنة، وانه مصمم على الاستيلاء على السلطة في ولاية الموصل بأجمعها، واذا قاوم علي احسان باشا، فانه يتحمل مسؤولية اية دماء تسفك نتيجة ذلك^(٦٧). ووضع الجنرال مارشال بضعة شروط امام علي احسان باشا لتوقيعها ومن هذه الشروط :

- ١- اخلاء ولاية الموصل جميعها خلال عشرة ايام اعتباراً من ٨ تشرين الثاني .
- ٢- السماح للقوات العثمانية بالاحتفاظ بما لديها من أسلحة ومعدات وذخيرة .
- ٣- يجب تسليم جميع السجلات المدنية الى السلطات البريطانية سليمة وكاملة .
- ٤- اصدار التعليمات الى القاطنين ومدراء النواحي لتحمل المسؤولية وحماية الامن والقانون حتى يتمكن الموظفون الذين تعينهم السلطات البريطانية استلام الأمر منهم (١٨) .

اعترض علي احسان باشا على تلك الشروط ، وبعد مناقشة طويلة و «غضب وهياج شديدين» وافق على الشروط محتجاً^(١٩) . وفي ٩ تشرين الثاني ابرق الاميرال كالثروب قائد الاسطول البريطاني في البحر المتوسط ، ومثل الحكومة البريطانية في مفاوضات هدنة مودروس الى وزارة البحرية البريطانية قائلاً : ان الحكومة العثمانية اصدرت اوامرها الى قائدها في الموصل بالانسحاب من المدينة والتحرك بجيشه الى المكان الذي يحدده القائد البريطاني هناك . وقد جاءت موافقة الحكومة العثمانية « بشرط ان تحتلها بريطانيا احتلالاً عسكرياً وقتياً » ، وان يظل الموظفون يؤدون اعمالهم باسم الحكومة العثمانية^(٢٠) . وفي ١٠ تشرين الثاني شرعت القوات البريطانية بالدخول الى مدينة الموصل في حين انسحبت القوات العثمانية الى نصيبين (٢١) .

اما علي احسان باشا ، فقد عين في الموصل ، اليوزباشي الممتاز حسن بك الكركوكي نائباً عنه ، وبقي في الموصل وكيل الوالي نوري بك الذي ابرق في ١١ تشرين الثاني الى قائمقامي الأفضية يخبرهم بدخول الجيش البريطاني الى مدينة الموصل ، ويطلب من الموظفين الاستمرار في وظائفهم كالسابق باعتبار ان ذلك « من موجبات المنافع

العليا الوطنية»^(٢٢) . وقد طلب الكولونيل ليجمن من وكيل الوالي وجوب مغادرة الموصل وقد غادرها في ١٣ تشرين الثاني بعد ان اذاع بياناً على الأهالي اشار فيه الى ان الادارة المدنية العثمانية في الموصل ستبقى على حالها ، وكذلك تبقى الشرطة والدرك ويكونون هم والموظفون المدنيون العثمانيون مسؤولين عن تأمين النظام وتطبيق احكام القوانين ، امام الجنرال فانشو القائد العام للجيش البريطاني في الموصل ، والذي تسلم القيادة من الجنرال كاسلس يوم ٤ تشرين الثاني ١٩١٨ .^(٢٣)

عين الكولونيل ليجمن حاكماً سياسياً وعسكرياً في الموصل^(٢٤) . وقد اتخذ في الحال بعض الاجراءات الضرورية للسيطرة على الموقف ، فاعلن منع التجول في المدينة ، واستفاد من ذلك في تفتيش بيوت الموظفين العثمانيين ودوايرهم بجمع السجلات الرسمية واعتقال من يشتبه بهم . وأمر باطلاق النار على بعض الاهالي الذي عمدوا الى السلب والنهب ، واصدر التعليمات بحق الضباط الذين قاموا بحرق السجلات الرسمية ولم تأت نهاية تشرين الثاني ١٩١٨ حتى احكمت القوات البريطانية سيطرتها على مقدرات الموصل .^(٢٥)

لقد احتل البريطانيون ولاية الموصل مستندين في ذلك على تفسيرهم لشروط الهدنة التي لم تكن تحوي ما ينص على «التخلي عن الموصل» لذلك نشأ ما عرف بـ «مشكلة الموصل» وكان هذا الادعاء ، احدى الحجج العديدة التي قدمها الاتراك ، كما سنرى ، عند مطالبتهم بهذه الولاية .^(٢٦)

المقاومة الموصلية :

احدث الاحتلال البريطاني للموصل ردود فعل محلية مختلفة . وكان لردود الفعل هذه التركيب في تبلور التيار السياسي القومي العربي الذي امتزج بتيار اسلامي . ومع ان المحتلين حاولوا منذ البداية

احتضان بعض الاقليات وتطوير مواقفها للوقوف بوجه التيارات الاخرى، الا انهم فشلوا في ذلك على الرغم من ان عدم وضوح مستقبل الولاية السياسي والاحتجاج العثماني على الاحتلال البريطاني كان يدعوا الى ان مواقف بعض السكان تنسم بالتذبذب وعدم الاستقرار. وقد اتسمت مواقف غالبية سكان الموصل بمقاومة الاحتلال سياسياً وعسكرياً. فعلى الصعيد السياسي عبر الموصليون عن مواقفهم بصورة رئيسة عن طريق نشاطهم في التنظيمات السياسية التي شهدتها الموصل آنذاك وخاصة جمعية العلم والنادي العلمي وجمعية العهد العراقي فرع الموصل. كما تمثلت في مساهمة بعض الموصلين في المؤتمر العراقي بدمشق. وعلى الصعيد العسكري تمثلت المقاومة الموصلية بالمقاومة المسلحة التي حدثت في تلعفر في الرابع من حزيران ١٩٢٠ واستهدفت تحرير الموصل من السيطرة البريطانية (٧٧).

الهدنة ونوه بنشاط الجمعية ضد العثمانيين وطلب من القائد البريطاني ان يضع أمام الجمعية حقيقة الموقف على اعتبار ان بريطانيا هي حليفة العرب، وانها قطعت لهم الوعود اثناء مفاوضاتها مع الشريف حسين على نيل استقلالهم حتى تكون الشبيبة الموصلية على بينة من أمرها. وقد عرض مندوب الجمعية في اللقاء «المساعدة الادبية لايخراج الاتراك من الموصل». وقد استوضح الكولونيل ليجمن من المندوب بعض الامور عن نشاطات الجمعية، وطلب منه مرافقته عند دخول المدينة. وقد رافق المندوب الكولونيل ليجمن في دخوله الموصل ورفقه العلم البريطاني بعد تنزيل العلم العثماني من على الثكنة الحجرية وبعد ذلك ودع ليجمن مندوب الجمعية وأوصاه بتبليغ سلامه الى الشبيبة الموصلية. وأكد عليه ان يوعز الى مرخص الجمعية بمقابلته بعد ثلاثة ايام ليتفاوض معه حول بعض امور المستقبل (٧٨).

جمعية العلم السرية والانكليز:

اشرنا فيما سبق الى جمعية العلم المؤسسة منذ سنة ١٩١٤ ونوهنا بنشاطاتها المعادية للعثمانيين. واثناء وجود القوات البريطانية على مشارف الموصل قررت الجمعية ايفاد مندوب عنها لمقابلة القائد البريطاني في قرية البوسف، الواقعة جنوبي الموصل ببضعة كيلومترات وذلك للاحاطة علماً بالموقف الغامض الذي اوجدته الهدنة. وقد التقى هذا المندوب، وهو (يحيى) في الشيخ عبد الواحد) احد اعضاء الجمعية بالكولونيل ليجمن الضابط السياسي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وسلمه كتاب من مرخص الجمعية مكّي الشريبي ويتضمن شرحاً حول حراجة موقف الموظفين العرب الذين كانوا قد تحلفوا عن الالتحاق بالقوات العثمانية عند محاولتها الانسحاب من المدينة اثر اقتراب الجيش البريطاني من الموصل قبل عقد

عقدت الهيئة المركزية للجمعية بعد دخول الانكليز اجتماعاً قررت فيه التعرف على النوايا البريطانية، فاوفدت مرخصها مكّي الشريبي لمقابلة الكولونيل ليجمن، فقابلته وذكره بتحالف حسين باستقلال البلاد العربية، فكان جواب ليجمن انه لايعرف الشريف حسين إلا ثائراً على الاتراك، وان ثورته تلك لم تكن ذات اهمية في نظر الانكليز. اما البلاد المحتلة فستعمل بريطانيا على تقديمها من جميع النواحي حتى يستطيع العراقيون الوصول الى مستوى يتمكنون به من التفاهم مع بريطانيا، فيما يتوقف عليه كيانهم ومصالحهم الاقتصادية والاجتماعية. وان ماكانوا يرومونه من التحرر من النير التركي قد حصلوا عليه فلم تبقى اية فائدة بعد ذلك للجمعيات من اي نوع كانت وخاصة السرية منها، وان بابه مفتوح لمقابلة اي

واحد منهم ، والتحدث معه في مختلف القضايا التي تهم الولاية^(٧٩).

اضطر مرخص الجمعية بعد ان سمع بتلك التصريحات وانكشفت له حقيقة الموقف ، الى ان يصرح للكونغرس ليجمن قائلاً : « بان الجمعية قد انحلت من تلقاء نفسها نظراً الى وصولها الى غايتها من تحرير البلاد من النير التركي ». وهكذا استطاعت جمعية العلم اقتناع الانكليز باخلاصها وبعدم وجودها من جهة . اما من جهة اخرى فانها غيرت بعض تشكيلاتها السابقة ، وقررت استئناف العمل من جديد . ولكن ظروف المقاومة الابحائية لم تكن متوافرة انذاك فوجدت ان تطيع نشاطها في تلك الفترة بالطابع الادبي . عندئذ تبلورت فكرة إنشاء « النادي العلمي »^(٨٠).

تأسيس النادي العلمي ونشاطه :

قررت قيادة جمعية العلم انشاء النادي العلمي ليكون ملجأ لهم ولرواد العلم والادب وواسطة لاثارة الشعور الوطني ضد سلطان الاحتلال^(٨١) . وقد تم وضع منهاج للنادي في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ وذلك في اجتماع حضره حوالي (٩٠) شخصاً . وقد جرى التصويت على المنهاج المقترح المؤلف من (٣٢) مادة مقسمة الى ثمانية فصول وقدمت الرخصة الى الحاكم السياسي فاقررت بالمصادقة^(٨٢).

وقد عقد اعضاء النادي اجتماعاً يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨ وانتخبوا من بينهم هيتين احدهما للادارة والاخرى للمراقبة . وكانت الهيئة الادارية تتألف برئاسة الدكتور عارف معروف بك ، وهو طبيب سوري كان يعمل في الموصل انذاك وعضوية كل من شريف الصابونجي (تاجر) ومكي الشرطي (مرخص جمعية العلم) وحلمي جلميران (تاجر) وسليم حسون (مدرس) وفاروق الدملوجي (طبيب بيطري) . وقد انضم الى النادي

عدد كبير من علماء الموصل ومثقفها ووجوهها منهم السيد عبد الغني ، نقيب الاشراف ، وقاضي الموصل احمد الفخري والشيخ محمد الصوفي . وقد افتتح النادي رسمياً مساء يوم الاربعاء ١٨ كانون الاول ١٩١٨^(٨٣).

اصدر النادي مجلة باسم « مجلة النادي العلمي » جاء في ترويسها انها « مجلة علمية فنية ادبية اخلاقية تاريخية » وصدر العدد الاول منها في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩ ولم يصدر منها سوى (٨) أعداد اذ توقفت عن الصدور في ٣٠ نيسان ١٩١٩ . وقد اسهم في تحريرها نخبة من مثقفي الموصل منهم : علي الجميل وحنّا خياط وفتح الله سرسم ورشيد الخطيب وروفاثيل بطي وفاضل الصبيدي واحمد الفخري . وقد نشرت المجلة مقالات عديدة في موضوعات سياسية واجتماعية وثقافية شغلت الناس انذاك ومن ذلك قضايا تحرر المرأة واهمية الزواج في حفظ كيان الامة وبقائها^(٨٤) . كما نظم النادي سلسلة محاضرات ثقافية دورية وخصص لبلقي الاحد والاربعاء في كل اسبوع لذلك . وقد تابعت الهيئة الادارية للنادي نشر اخبار ومضامين تلك المحاضرات في صفحات المجلة ومن الذين اسهموا في إلقاء تلك المحاضرات : سليم حسون ، وباسين العربي ، وحنّا خياط^(٨٥) . عقد اجتماع في النادي في ايار ١٩١٩ وذلك للتداول في شؤون النادي . وقد حضر الاجتماع مصطفى آل عبيد اغا الجليلي (محام) وهو عضوفي



مصطفى آل عبيد اغا الجليلي

التالية :

- ١- هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بارشادها بريطانيا تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج العربي؟
- ٢- وفي هذه الحالة هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان تكون برئاسة رئيس عربي؟
- ٣- واذا كان ذلك كذلك، فمن هو الذي سيريدونه^(٨٨).

استدعى السراونولد ولسن الحكام السياسيين في الاولوية وزودهم بالاسئلة الثلاثة وطلب اليهم الحصول على مذكرات (مضابط) بالاجوبة : وقد حصلت السلطات البريطانية على عشر مضابط من لواء الموصل وجميعها لا تخرج عن التصريح بما اراده الكولونيل ليجمن الحاكم السياسي في الموصل ، وهو ان يكون مضمون المضابط معبراً بما اسماه بـ «بيان رغبة الشعب في بناء ادارة حكومة الاحتلال»^(٨٩).

لذلك اسرع رجال جمعية العلم السرية في الموصل الى تنظيم مضبطة ضد المضابط التي حصل عليها الانكليز ووقع عليها جماعة من المقربين من سلطات الاحتلال ومعظمهم من اثرياء الموصل والذين تربط مصالحهم الاقتصادية بمصالح الانكليز. وقد استحصل رجال الجمعية على توافيق كثيرة فيها جانب كبير من العلماء والتجار ورؤساء الحرف والاصناف وغيرهم ، يشرحون فيها الموقف ويعرضون فيها مطالبهم. وقد بعثوا بمضبطة مؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩ الى اخوانهم العراقيين في الشام لايصالها الى مؤتمر الصلح بباريس وحملها مرخص الجمعية مكسي الشربتي الذي غادر الموصل الى دمشق في اواخر كانون الثاني ١٩١٩ وبما جاء في المضبطة :

«نعرض باسم الموصل ، نحن الواضعين اسماءنا ادناه فنقول الموصل هي بلدة عربية محضة ... وان الحسيات

جمعية العلم) ومحمود الملاح وفاضل الصبيدي وقد أدركت سلطات الاحتلال ان النادي ، ماهو الا واجهة من واجهات جمعية العلم ، لذلك قام عدد من افراد الشرطة بمداخلة الاجتماع واخراج اعضاء الهيئة الادارية واغلاق النادي ووضع اليد على محتوياته من كتب ونشرات وغير ذلك^(٨٦).

جمعية العلم والاستفتاء الاول ١٩١٨ - ١٩١٩ :

شهدت الموصل خلال الفترة بين ١٩١٨ و ١٩٢١ العديد من الاجراءات السياسية البريطانية التي استهدفت وضع الخطط لمستقبل الحكم في العراق. ففي ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ ارسل ارنولد ولسن وكيل الحاكم المدني العام في بغداد برقية الى وزارة الهند البريطانية اقترح فيها تأسيس حكومة عربية تضم البصرة وبغداد والموصل يرأسها امير عربي. وقدم اربعة اسماء مقترحة وهم . (١)



هادي باشا العمري

هادي باشا العمري عميد الاسرة العمرية في الموصل (٢) احد اعضاء الاسرة الحاكمة في مصر (٣) احد ابناء الشريف حسين (٤) نقيب اشراف بغداد. واعتقد ولسن ان المرشح الاول أنسب المرشحين ، وان الناس سيرحبون به لاسيما في الموصل منشأ الاسرة العمرية^(٨٧).

صدرت التعليقات الى ولسن بخصوص التأكد من معرفة اراء العراقيين حول الاسئلة المحددة

الحقيقية التي يتحسس بها سكان الموصل انما هو استقلال الملة العربية والحقاق الموصل بالحكومة العربية. وان جميع المضايقات التي اخذتها الحكومة الانكليزية العسكرية المحلية من بعض الاشخاص من الاهليين انما هي مخالفة ومضادة لافكار اكثرية الاهالي. وقد اعطيت تلك المضايقات تحت تأثيرات مختلفة هذا وان جميع اهالي الموصل لايقدرّون ان يعلنوا عن افكارهم بحرية وصراحة تامة مازالوا محكومين من قبل حكومة عسكرية...^(٩٠).

وطلب واضعو المضبطة تشكيل لجنة مختلطة تشترك بها كل من حكومات فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا والحكومة العربية لافساح المجال للاهالي في الموصل بالتعبير عن ارائهم بحرية^(٩١).

اتسع نشاط جمعية العلم، وازداد عدد المتسبين اليها. لذلك قررت تقوية الاتصالات مع كل من حلب ودمشق وبغداد في محاولة لتوحيد المساعي بين الوطنيين في الموصل وبين اخوانهم في هذه المدن. ففي اواخر كانون الثاني ١٩١٩ اوفدت الجمعية مرخصها مكّي الشريتي الى دمشق للاتصال بالزعماء العراقيين هناك. كما اوفدت الى بغداد عبد المجيد شوقي البكري ويحيى ق الشيخ عبد الواحد للاتصال بيوסף السويدي والسيد محمد الصدر، وهما من القادة البارزين في جمعية حرس الاستقلال التي تأسست في بغداد اواخر شباط ١٩١٩ بقصد الدعوة الى استقلال العراق استقلالاً مطلقاً. وقد اتصل يحيى ق الشيخ عبد الواحد كذلك بالشيخ سعيد النقشبندى رئيس جمعية العهد العراقي فرع بغداد. وناقش معه بعض القضايا الوطنية. كما ارسلت الجمعية مندوباً عنها الى البصرة، وهو موفق البغدادي وكان ضابطاً

سابقاً في الجيش العثماني، وذلك للاطلاع على سير الحركة الوطنية هناك^(٩٢).

لقد قامت جمعية العلم، فضلاً عن الاعمال التي اشرفنا اليها سابقاً، باعمال اخرى اهمها: ^(٩٣)

١- تنظيم دعاية واسعة لمناهضة الاحتلال البريطاني والمطالبة بالاستقلال.

٢- الاتصال بجمعية العهد العراقي بدمشق.

٣- تنظيم مضايقات توكيلية، لكل من الامير فيصل وياسين الهاشمي ومولود مخلص، وثابت عبد النور، وعلي جودت الايوبي وناجي السويدي للدفاع عن حقوق العراقيين.

٤- تقديم احتجاجات على سياسة الحكومة المحتلة في العراق الى زعماء القضية العربية في سوريا. وقد حمل بعض هذه الاحتجاجات محمود الملاح من ادباء الموصل، ومظهر بك ارسلان قائمقام زاخو السابق في العهد العثماني.

٥- توزيع المناشير التي كانت ترد اليها من جمعية العهد العراقي داخل المدينة وخارجها.

٦- كتابة المناشير السرية وتوزيعها على السكان. لقد تألفت الهيئة الادارية لجمعية العلم بعد مغادرة مرخصها مكّي الشريتي الى دمشق من:

محمد رؤوف الغلامي، وعبدالله باشعالم العمري ومصطفى ذهني الجليلي وعبد المجيد باشعالم العمري وضياء يونس وياسين العربي وداود الجليلي وسعيد ثابت وابراهيم عطار باشي ومحمد امين العمري^(٩٤).

جمعية العهد العراقي فرع الموصل ودورها في مقاومة الاحتلال :

اما بالنسبة للجمعية الثانية، وهي جمعية العهد العراقي فرع الموصل، فقد اشرفنا في فصول سابقة الى أن جمعية العهد اسست في استانبول في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٣، وبعد دخول الجيش

العربي دمشق في الاول من تشرين الاول سنة ١٩١٨ بقيادة الامير فيصل بن الحسين، وتأسيس الحكومة العربية بدمشق، اعيد تشكيل جمعية العهد من جديد. وسرعان ما قرر اعضاؤها من السوريين والعراقيين شطرها الى قسمين: عهد عراقي وعهد سوري، على ان يبذل كل قسم منها جهده في سبيل تحرير القطر الذي يتسمي اليه، ويتحدوا عند سنوح الفرص. وسبب هذا الانقسام، كما اوضحته الجمعية في بيانها عدم موافقة الحلفاء على تأسيس دولة عربية مستقلة تمتد من سواحل البحر المتوسط الى الخليج العربي^(٩٥). على الرغم مما تركه هذا الانقسام من رنة حزن عميق في نفوس الغيارى من العرب، فانه كان اكثر ملائمة للتطورات الجديدة التي حدثت في اعقاب الحرب العالمية الاولى، وللوقوف ضد التدخل الفرنسي في سوريا ومقاومة الاحتلال البريطاني في العراق^(٩٦).

عين مكسي الشريفي، مرخص جمعية العلم بالموصل، سكرتيراً لجمعية العهد العراقي في دمشق وعضواً في لجنتها السرية وكان للجمعية جريدة باسم «العقاب» تصل الموصل وتوزع سراً. وقد نشرت الجمعية برنامجها الذي نص في مادته الاولى على ان غاية الجمعية الاساسية العمل على استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية^(٩٧).

وفي ١٧ نيسان ١٩١٩ اقترحت جمعية العهد العراقي (المركز العام) في دمشق على جمعية العلم بالموصل استبدال اسمها الى اسم جمعية العهد العراقي فرع الموصل من اجل توحيد برامج الكفاح. وفي ٢٤ ايار ١٩١٩ وافقت الهيئة الادارية لجمعية العلم على المقترح بشرط الغاء المادة (ب) من المادة الاولى من برنامج الجمعية والذي ينص على طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا. وقد وافق المركز العام على ذلك^(٩٨).

كان فرع جمعية العهد في الموصل اكثر نشاطاً من فرع بغداد. ويمكن ان يعزى ذلك الى عاملين اولها استمرار جمعية العلم العربية على العمل منذ العهد العثماني ومعرفتها بظروف النضال ضد المحتلين الاجانب وثانيها قرب الموصل من مركز الجمعية العام في الشام. وكانت جمعية العهد فرع الموصل منظمة تنظيمياً حسناً، ولم يكن بوسع السلطات المحتلة حتى في اواخر ايار ١٩٢٠ ان تتأكد من معرفة حتى عدد قليل من الاعضاء البارزين في الجمعية معرفة اكيدة، وهذا مما جعل الحاكم السياسي في الموصل الكولونيل (نولدر) يقول في تقريره الى وكيل الحاكم المدني العام ببغداد في ٢٥ حزيران ١٩٢٠ ما يأتي: «ان المسألة التي تعصر قلبي عصراً اننا لم نستطع لحد الان ان نسبر غور جمعية في الموصل تستعمل ختم «العهد» والتي توزع منشوراتها بحرية، كما علمت الان، في المناطق العربية والكردية على حد سواء»^(٩٩).

انجحت جمعية العهد في بادئ الامر، الى مقاومة سلطات الاحتلال بالوسائل السلمية، ومن ذلك تنظيم المضايقات الاحتجاجية والتوكيلية. كما اخذت الجمعية تظهر عداها العلني للادارة البريطانية عن طريق عقد الاجتماعات، ولصق المنشورات المعادية لسلطات الاحتلال على الجدران. واتخذ المعينون بالحركة الوطنية في الموصل من القيام بالمظاهرات وسيلة اخرى لمقاومة سلطات الاحتلال، اذ وضعوا برنامجاً واسعاً لتنظيم المظاهرات امام اللجنة الاميركية التي كان من المقرر وصولها الى الموصل للتحقيق في اوضاع العراق، وعرفت باسم لجنة كوك-كرين، نسبة الى عضويها المستر جارلس كرين والدكتور هنري كوك. ولم يتيسر للجنة زيارة العراق وذلك لمحاولة السلطات البريطانية وضع العراقيين في طريقها واكتفت اللجنة بمقابلة بعض قادة الحركة الوطنية في العراق، اثناء وجودهم في الشام وحصلت منهم على مضايقات

أكدت مطالبته بالاستقلال التام والدعوة الى ان يكون هناك في العراق حكومة مدنية ودستورية ومملكة ويكون ملكها أحد انجال الشريف حسين^(١٠٠).

كما قامت الجمعية بدور كبير منذ ٢٤ ايار ١٩١٩ بجهود واسعة لتعبئة الرأي العام الموصل في هذا المجال فوزعت المنشورات في مختلف انحاء الولاية وأكدت فيها المطالبة بالاستقلال ووقاية «قطرنا العراقي» بما فيه الجزيرة وولاية الموصل من دسائس الانكليز، وعدم الالتفات الى اقوال نفر قليل لا تمثل الامة من اجراء الانكليز». وقد قدمت لجنة كنك - كرين توصياتها الى الرئيس الاميركي وودرو ولسون في تقرير مفصل وذلك في ٢٨ آب ١٩١٩ وما جاء في التقرير ان اللجنة توصي بالمحافظة على وحدة العراق واعطاء الانتداب على العراق الى بريطانيا وهذا مما يدل على توافق المصالح الاستعمارية البريطانية والاميركية منذ ذلك الوقت^(١٠١).

ولم تتوقف جمعية العهد فرع الموصل عن المقاومة اذ انها قادت في ايار من السنة ذاتها حركة عرفت باسم «حركة العلم العربي» وقد سرت في الموصل من جراء ذلك ظاهرة رفع الاعلام العربية على الدور والمخلات ووضع شارات العلم العربي على الصدور اظهارة للشعور الوطني في طلب الاستقلال. وكان من نتائج هذه الحركة ان اقدم الكابيتن بيز ناظر المعارف على فصل (٢٠) طالباً من طلاب المدرسة الخضرية لوضعهم شارات العلم العربي على صدورهم^(١٠٢).

وجدت جمعية العهد فرع الموصل، ان الوسائل السلمية لم تؤثر في سلطات الاحتلال. فقامت في ٧ حزيران ١٩١٩ بارسال انذار الى الحاكم السياسي، جاء فيه ما يفيد ميل الجمعية الى استخدام العنف ضد المحتلين فقد تأكد ذلك حين هاجمت قوة مسلحة من عشيرة شمر قافلة

بريطانية بين الموصل وبغداد.^(١٠٣)

وفي تموز سنة ١٩١٩ تصدت الجمعية الى محاولات سلطات الاحتلال التدخل في انتخابات بلدية الموصل بشكل ادى الى الحيلولة بين السلطة المذكورة ومقاصدها السياسية في هذا الامر. وقد اضطر الحاكم السياسي الى الاعلان عن عدم القيام باجراء الانتخابات بدعوى ان اهل الموصل غير لائقين للاضطلاع بمثل هذه الامور، وقال انه سيتولى مهام رئيس البلدية، وعين المستر (داس) الهندي معاوناً له.^(١٠٤)

وبدات موجة من المضايقات ازاء العشائر والقوى الوطنية في الموصل. ومن ذلك اقدام سلطات الاحتلال على فرض الإقامة الجبرية على بعض شيوخ شمر في مدينة الموصل ومنهم الشيخ



الشيخ عجيل الباور وابنه احمد

عجيل الباور (توفي ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٠). كما أدركت جمعية العهد فرع الموصل ان سلطات الاحتلال غير جادة في ادعاءاتها بمنح الاستقلال للعراق، وانها لم تدع اسلوباً من اساليب القسوة الا استعملته مع الاهالي. كما بلغ الضغط على الحريات أقصى شدته ومنعت السلطات المحتلة اصدار الصحف الوطنية وثبت الجواسيس بين الناس وشددت المراقبة على المدارس، والاستمرار في اعتقال العناصر الوطنية. لذلك قررت الجمعية توضيح الاوضاع العامة للمركز العام، فارسلت رسالة وقعها معتمد

الجمعية (محمد رؤوف الغلامي) باسمه المستعار وهو (المنصور) في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩. ومما جاء في الرسالة : «ان الناس سثموا من الوسائل السلمية في طلب الاستقلال» و «ان الانكليز لا يتركوا العراق إلا اذا اضطروا بقوة السلاح». وذكر معتمد الجمعية المركز العام ان الثورة قادمة، وان الوسائل السلمية في مقاومة الاحتلال قد فشلت. (١٠٦)

في اوائل نيسان ١٩٢٠ كتبت جمعية العهد في الموصل رسالة الى مولود مخلص حاكم دير الزور ذكرت فيها استعدادها وعشائرها للعمل ضد سلطات الاحتلال. وكان عدد من الضباط والجنود العراقيين قد تجمعوا في دير الزور بتحريض من جمعية العهد وذلك لجعلها نقطة وثوب نحو الموصل والقيام بحركات مسلحة ضد سلطات الاحتلال البريطانية. ومما هو جدير بالذكر ان دير الزور كانت لواءً تابعاً للحكومة العربية في دمشق منذ منتصف كانون الاول ١٩١٨. وتعد دير الزور اصلح منطقة يسهل الاتصال منها بالعراق. (١٠٧)

اصبح قادة الحركة الوطنية في الموصل على استعداد للثورة، وعمدت جمعية العهد الى توزيع منشورات عديدة في نيسان وآيار ١٩٢٠ تدعو الى الثورة. كما حصلت بعض الغارات على خطوط المواصلات البريطانية في ايار ١٩٢٠ والتي اسفرت عن تحطيم قطار قرب عين الدبس في ٢٤ ايار. وقد التقى وفد مؤلف من بعض الموصليين النشطين في الحركة الوطنية ومنهم علي جودت الأيوبي وجميل المدفعي وثابت عبدالنور بالملك فيصل. وقد وافق الملك فيصل على اعطائهم الاموال ولكنه تردد في تزويدهم بالسلاح. (١٠٨)

تألفت هيئة من علي جودت الأيوبي رئيساً وتحسين علي وجميل المدفعي اعضاء باسم «الهيئة الوطنية لادارة الحركات المسلحة في العراق». (١٠٩) وقد حصلت الهيئة على كمية من الأسلحة في المخازن

التي في حراسة جنودهم دون علم الحكومة العربية بذلك. وحصل احد الضباط الذين اوفدتهم الهيئة الى دمشق على (١٥٠) بندقية و(٥٠) صندوقاً من العتاد من الحكومة العربية بحجة اكمال نقص قوة الدرك المرباط في لواء دير الزور. (١١٠)

وقد تحركت القوة الوطنية في دير الزور بقيادة جميل المدفعي وكانت مؤلفة من اربع سرايا يقودها نديم السنوي ومحمود اديب وسليم الجراح ومصطفى شوقي وقد قدرت استخبارات الموصل العسكرية هذه القوة بالف رجل مسلح. وفي ٢٦ آيار وصلت بلدة الفدغسي الواقعة على نهر الخابور وتقرر ان يكون الهجوم الاول على قضاء تلعفر، وذلك لوجود بعض رؤساء العشائر المواليين لجمعية العهد. وفي ٤ حزيران ١٩٢٠ هاجمت القوة تلعفر واصطدمت بالقوات البريطانية المرباطة فيها. وبعد ظهر اليوم المذكور نجحت القوة في السيطرة على القضاء ورفع العلم العربي على بناية الحكومة في القلعة. وقد قدرت خسائر الانكليز بين ٢٠-٣٠ قتيلاً، ابرزهم الميجر بارلو Barlow مساعد الحاكم السياسي والكابتن ستوارت Stiwart قائد الدرك. اما خسائر الوطنيين فلم تزد عن (٦) شهداء. (١١١)

كان سقوط تلعفر بمثابة الاشارة التي حركت عشائر المنطقة، وهم شمر والنجاشي واليومثيوت والكركركية والبوبدران والبو حمد الذين انضموا الى الحركة، فبدأت سلسلة من الغارات على مواقع القوات البريطانية، وتوجهت مجموعات مسلحة الى طريق الموصل-الشرقاط بقطع خط المواصلات، وباتت كل الطرق المؤدية الى الموصل في خطر. (١١٢)

اتخذ جميل المدفعي من بناية مدرسة تلعفر الاولى (القدمية) مقراً له وبقي مع قواته (٣) أيام، وفي اليوم الرابع تحركت القوة نحو الموصل، الا ان الطائرات البريطانية هاجمت القوة في الطريق. كما ارسلت قيادة الفرقة ١٨ في الموصل رتلًا في مساء

يوم ٥ حزيران لمواجهة الوطنيين والحيلولة دون وصولهم الموصل. وأسهمت الطائرات بقصف مواقع القوات العشائرية في تلوك ابوكدور، مما أدى الى حدوث ارتباك في صفوف العشائريين وتفرق الفرسان. وتقدمت قوة بريطانية كانت تتألف من فصيلين من الخيالة تحت حماية المدفعية باتجاه قوات الثورة، وتمكنت من إجبارها على الانسحاب الى قرية الشيخ ابراهيم وقضت ليلتها في مكان لا يبعد عن تلعفر كثيراً ومن هناك ارسل المدفعي مفرزة بقيادة عبدالحميد الدبوني لانزال العلم العربي وحرق مركز القيادة والسيارات المعطلة، وفي فجر ٩ حزيران تحركت قوات المدفعي متجهة نحو القذغمي، وبعد ذلك مباشرة زحفت القوات البريطانية نحو تلعفر فاعادت احتلالها. وقد تعرضت تلعفر لأعمال التدمير والتخريب والقتل.^(١١٣)

وخلال الفترة من تموز ١٩٢٠ وحتى تشرين الاول ١٩٢٠ حدثت حركات مسلحة ضد القوات البريطانية في الجراف والخميرة وطريق الموصل - الشرايط وكان هدفها ازعاج السلطات البريطانية وتهديد خطوط مواصلاتها بين الموصل وبغداد وقد اسهمت هذه الحركات، في اثارة الهياج والقلق داخل البلاد ضد الحكم الاجنبي، وبث روح الحماسة في نفوس السكان للمطالبة بالاستقلال وأدت الى اقبال صوت العراقيين في الموصل الى العالم بعدم موافقتهم على الانتداب. وربما كان لحركة تلعفر وما أعقبها من حركات مسلحة اثر في بعض التغيير الذي حدث في السياسة البريطانية، فقد نشر وكيل الحاكم المدني العام بياناً ١٧ حزيران ١٩٢٠ ادعى فيه ان الحكومة البريطانية راغبة في «اقامة حكومة مستقلة في العراق». ثم جاءت الثورة العراقية الكبرى التي اندلعت في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ وشملت بغداد والنجف والفرات الاوسط وشمال العراق، لتسهم في خلق واقع جديد اضطر الحكومة البريطانية، ازاء الثمن المروع الذي كلفتها

اياها الثورة، ان تغير خططها وتعلن بانها سوف ترسل مندوباً سامياً جديداً، وهو السريبرسي كوكس Percy Cox، للعمل على تحقيق بعض مطامح العراقيين السياسية. وعندما قدم كوكس للعراق اعلن الخطوط العامة للسياسة الجديدة، وبين ان العلاقات بين بريطانيا والعراق ستنظم في المستقبل بموجب معاهدة جديدة لايصك الانتداب القديم. وشفع كوكس اقواله بخطوة عملية حين عين اول وزارة عراقية برئاسة عبدالرحمن النقيب.^(١١٤) وفي القاهرة بدأت بريطانيا تمهد الاجواء بعقد مؤتمر للدبلوماسيين البريطانيين بقصد النظر في مستقبل العراق. وقد انعقد المؤتمر في ١٢ آذار ١٩٢٠ وتمخض عن ترشيح فيصل بن الحسين ملكاً على العراق. وكان المؤتمر العراقي في دمشق، والذي انعقد في ٨ آذار ١٩٢٠ قد اعلن استقلال العراق ومبايعة الامير عبدالله بن الحسين ملكاً والامير زيد بن الحسين نائباً له. وقد اسهم في المؤتمر بعض الموصليين من العاملين في الحركة الوطنية امثال جميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي وعبدالله الدلبي من العسكريين وابراهيم كمال توحلة وثابت عبدالنور ومكي الشربتي والحاج محمد خيرى من المدنيين. ولكن الحكومة البريطانية فضلت ان ترشح فيصلاً لعرش العراق بدلاً من أخيه، ويظهر ان نوعاً من التفاهم حصل بين الانكليز وكل من الاميرين فيصل وعبدالله، وقد نص ذلك على ان يتولى فيصل عرش العراق، في حين يتسلم الامير عبدالله الحكم في منطقة شرقي الأردن.^(١١٥)

الموصل والبيعة للملك فيصل الاول :

اما تجربة الاستفتاء الثانية فقد تمثلت بالتصويت العام سنة ١٩٢١ لتأييد قرار مؤتمر الدبلوماسيين البريطانيين في القاهرة والمنعقد في ١٢ آذار ١٩٢١ والخاص بترشيح فيصل بن الحسين ملكاً على العراق.^(١١٦) وقد وصل فيصل بغداد في

المؤيدة لترشيح فيصل في لواء الموصل (٦٨) مضبطة. ولم تعط في الموصل مضبطة ضده. وأسفرت نتيجة التصويت العام في العراق عن ٩٦٪ من المشتركين في الاستفتاء انتخبوا فيصلاً و٤٪ من المشتركين عارضوه. (١٢٠). وقد شارك وفد كبير من الموصل باحتفالات التتويج التي جرت يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١. وأسهمت العناصر العاملة في الحركة الوطنية بوفد مستقل اطلق عليه اسم « وفد الشبيبة » مؤلف من امين الجليلي رئيساً وعضوية كل من : مولود مخلص ، وسليمان فيضي ومصطفى العمري. (١٢١).



الملك فيصل الاول ١٩٢١-١٩٣٣



مصطفى العري

احتفلت الموصل كذلك بيوم التتويج ، حيث رفعت الاعلام العربية وعقدت الاجتماعات ونظمت التظاهرات التأييدية للملك فيصل وكان من أبرز الذين تحدثوا في تلك الاجتماعات : محمد رؤوف الغلامي ومحمد سعيد الجليلي وبحيى ق الشيخ عبدالواحد ، وهم من العاملين في الحركة الوطنية. (١٢٢).

لقد أسهمت الموصل في كل النشاطات السياسية التي شهدتها العراق خلال فترة الانتداب البريطاني. فبعد تتويج الملك فيصل اصبحنا نلاحظ اتجاهاً يضم كافة القوى الوطنية. وقد بدأ ذلك الاتجاه يتوضح في مناسبات مهمة اخرى كموقف بعض العناصر الوطنية من المصلين من قضايا مصرية عراقية مهمة كفضية مطالبة الاتراك

٢٩ حزيران ١٩٢١ واسرع المصلون بتشكيل وفد كبير للسفر الى بغداد والدعوة الى « ضرورة اعلان فيصل ملكاً على العراق في الحال ». وكان من أبرز اعضاء الوفد : عثمان الديوه جي ، وداود الجليلي ، ومحمد حبيب العبيدي ، وخير الدين العمري ، وعبدالله النعمة ، ومصطفى الصابونجي ، وعلي خيرى الامام ، وناظم المفتي ، وعزيز عبدالنور. (١١٧) وقد نشر احد اعضاء الوفد ، وهو داود الجليلي وكان من اعضاء جمعية العهد العراقي ، مقالاً في جريدة الموصل بعنوان « احساساتي في بغداد » قال فيه :

« ... ولذا يسرني اتحاد كلمة الامة في الموصل كما في سائر البلاد العراقية على ان تكون حكومة بلادنا ملكية برأسها فرع سلالة ذلك النبي العظيم ». (١١٨)

وفي ١١ تموز ١٩٢١ اجتمع مجلس الوزراء وقرر بناء على اقتراح الرئيس المناذرة بفيصل ملكاً على العراق على ان تكون حكومته : « دستورية ، نيابية ، ديمقراطية ، مقيدة بالقانون ». (١١٩)

وقد نظمت وزارة الداخلية صيغة المضبطة التي يجري التصويت بموجبها وقد بلغ عدد المضابط

بالموصل، وقضية المعاهدة البريطانية - العراقية، ورفضهم القبول بأي معاهدة لا يصادق عليها المجلس التأسيسي (البرلمان) ودعوتهم الى تأسيس الأحزاب السياسية ومعارضتهم لاستمرار الانتداب البريطاني على العراق وكان للاتجاه الوطني العربي العراقي الذي ساد في الموصل اثر كبير في تأكيد أمر صيرورة الموصل جزءاً لا يتجزأ من الدولة العراقية الحديثة. (١٢٣)

الهوامش

- (١) اما الطريقان الآخريان فهما الطريق الشمالي الذي يمر عبر انقفاص، والطريق الجنوبي الذي يمر عبر المحيط الهندي فالبحر الاحمر.
- (٢) للتفاصيل انظر: مجيد خلدوري، اسباب الاحتلال البريطاني للعراق، (الموصل، ١٩٣٣)، ص ١٦-١٧.
- (٣) محمد عزيز، النظام السياسي في العراق، (بغداد، ١٩٥٤)، ص ٤٣.
- (٤) مكي عقراوي، العراق الحديث، ترجمة عن الانكليزية المؤلف نفسه، ومجيد خلدوري، ج ١، (بغداد، ١٩٣٦)، ص ٢٨.
- (٥) La Documentation Française, Présidence Du Conseil, Secrétariat Général Du Gouvernement, A percus sur Le Volution politique De L' Irak. No. 1499, (Paris, 5 Juillet, 1951), p. 24.
- (٦) خلدوري، المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤.
- (٧) عبدالرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط ٣، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ٧٥.
- (٨) عبدالفتاح ابراهيم، على طريق الهند، (بغداد، ١٩٣٥)، ص ٣٢٧.
- (٩) The Geographical Journal, LXVIII, P. 115;
- (١٠) Ghasan R. Atiyah, Iraq, 1908 - 1921 A political study, (Beirut, 1973, p.166.
- (١١) Ibid, p.166.
- (١٢) للتفاصيل انظر: طه الهاشمي، حدود الموصل من الوجهة العسكرية و المجلة العسكرية، السنة (٢) العدد (١) ١ كانون الثاني ١٩٢٥، ص ١-٧.
- (١٣) خلدوري، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (١٤) مفتيس في جريدة العالم العربي، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٤
- (١٥) Great Britain' Paiforce, The official story of the Persia and Iraq Command 1941 - 1946, (London, 1948), P.11.

- (١٦) مقتبسة في جريدة الموصل، ٥ تموز ١٩٢٤.
- (١٧) جريدة العالم العربي، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٥
- (١٨) مقتبسة في جريدة العالم العربي، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٥.
- (١٩) مفتيس في فاضل حسين، المصدر السابق، ص ٢٦٧.
- (٢٠) مقتبسة في جريدة الموصل، ٢٣ تشرين الاول ١٩٢٣.
- (٢١) Arnold, J. Toynbee and kenneth P.(Kirkwood, Turkey, (New Yory, 1927), PP. 276 - 279.
- (٢٢) H. Kohn, Western Civilization in the Near East, (New York, 1936), P.172
- (٢٣) Henry A. Foster, The Making of Modern Iraq, (oklahoma, 1935), P.132.
- (٢٤) Morris Jastrow, The War and the Baghdad Railway, (London, 1917), P. 82.
- (٢٥) Edward Mead Earle, Turkey, The Great powers and The Baghdad Railway, (New York, 1966), P. 147.
- (٢٦) Ibid, PP. 148 - 152.
- (٢٧) Zaki Saleh, Mesopotamia 1600 - 1914: A study in British Foreign Affairs, (Baghdad, 1957) PP. 280 - 281.
- (٢٨) عبد العزيز سليمان نوار، مصر والعراق، (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٢٤١.
- (٢٩) Saleh, Op. Cit., P. 277.
- (٣٠) Atiyah, Op. Cit., P. 71.
- (٣١) Ibid.
- (٣٢) جريدة صدى بابل، ١٨ تشرين الاول ١٩١٢.
- (٣٣) كمال مطهر أحمد وكردستان خلال الحرب العالمية الأولى، مجلة المجمع العلمي الكردي، السنة الأولى، العدد ١، بغداد، ١٩٧٤، ص ٣٠٩.
- (٣٤) Saleh, Op. Cit., P. 281.
- (٣٥) زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، (بغداد، ١٩٥٣)، ص ٩.
- (٣٦) شريف، المصدر السابق، ص ٩٧.
- (٣٧) خلدوري، المصدر السابق، ص ٤٧.
- (٣٨) مقتبسة في جريدة الموصل، ٥ تموز ١٩٢٤.
- (٣٩) Official History of the Great War: The Campaign in Mesopotamia, 1914 - 1, 18, Vol. IV (Brig - Gen F. J. Moberley, editor, P. 87; Hereafter Cited as, Official History.
- (٤٠) منشورات جريدة العراق، تقديم العراق، دائرة معارف عامة لسنة ١٩٢٣، (بغداد، ١٩٢٢)، ص ٢٢٦.
- (٤١) جريدة الموصل، ٣ تموز ١٩٣٣، محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ١، (بغداد، ١٩٦٥)، ص ١٦١.
- (٤٢) F. R. Chesney, The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, Vol, 2, (London, 1917), P. 11.

- ومابعدهما وكذلك انظر: ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة قلمت الى كلية الآداب- جامعة بغداد ١٩٧٥، ص ٢٤٦-٢٦٠.
- (٥٨) Paul Guinn, British strategy and Politics 1914-1918, (Oxford, 1965), PP. 219-220.
- (٥٩) مقبل بك «حملة العراق» المجلة العسكرية، بغداد، السنة (١٣)، العدد (٤٩)، ١ نيسان ١٩٣٦، ص ٣٤٥.
- (٦٠) Reader Bullard, Britain and the Middle East, (London, 1951), P. 76.
- (٦١) محمد امين العمري، حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤-١٩١٨، ج٣، (بغداد، ١٩٣٥)، ص ٢٥.
- (٦٢) John W. Wheeler Bennett, Brest Litovsk, the forgotten peace, (London, 1963), pp. 375-379, 383.
- (٦٣) العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦، شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ط٤، (بغداد، ١٩٦٤)، ص ١٧٢.
- (٦٤) للتفاصيل انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ص ٢٦٩-٣١٤.
- (٦٥) انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ص ٣١٥-٣١٧.
- (٦٦) Official History, Vol. IV, P.327.
- (٦٧) A.J. Barker 'The Neglected War Mesopotamia 1914-1918, (London, 1967), P. 456.
- (٦٨) Wilson, A clash of loyalties, p.20.
- (٦٩) Barker, op. Cit., p.456.
- (٧٠) العمري، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٧.
- (٧١) Official History, Vol. IV, P. 328.
- (٧٢) عبدالعزيز القصاب، من ذكرياتي، (بيروت، ١٩٦١)، ص ص ١٩٢-١٩٣.
- (٧٣) احمد، ولاية الموصل، ص ٣٢٠.
- (٧٤) والكولونيل ليجمن قد زار الموصل لأول مرة في ابر سنة ١٩١٠ متكرراً، وكان يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية وذكر ميخائيل عواد ان ليجمن اشتغل اجبراً في محل الحداد الياس اللوس وظل يشتغل عنده نافعاً في كورة الحدادة مدة طويلة سهلت له الوقوف على واقع الموصل واسماء الشخصيات الموصلية. انظر: عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحبية، الشيخ ضاري قاتل الكولونيل ليجمن في خان القطة، (بغداد، ١٩٦٨)، ص ص ١٤-٢٦.
- (٧٥) Wilson, A clash of Loyalties, P.21.
- (٧٦) Guina op. cit., pp. 318-319.
- (٧٧) للتفاصيل انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ٣٢٢.
- (٧٨) للتفاصيل انظر: عبد المقيم الغلامي، السوانح، (الموصل، ١٩٣٢)، ص ص ١٠٨-١٠٢ وكذلك العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج٣، ص ص ٤٦-٤٧.
- (٧٩) الغلامي، السوانح، ص ١٢٠.

1850), Appendix, N, Commercial openings in Western Asia, PP. 702-703.

- (٤٣) ل. ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية، ترجمة عن الروسية عبد الواحد كرم، (بغداد، ١٩٧١)، ص ص ٧٦-٧٧.
- (٤٤) تتمثل العوامل الخارجية في دخول طرق المواصلات الحديثة الرخيصة وفي السياسة التجارية الثنائية وخاصة تخفيف التعرفة الممرية على الصادرات في سنة ١٨٦١. اما العوامل الداخلية فتتمثل في انخضاع شيخ العشائر والاغوات للسلطة المركزية. فتوحيد الولايات العراقية حول محور بغداد منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر وتطبيق قانون الولايات واصلاحات محدث باشا الادارية والاقتصادية. انظر دراسة جيدة لهذا الموضوع في: محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤-١٩٥٨، ج١ (صيدا- بيروت، ١٩٦٥)، ص ص ٨٧-٨٨.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ١٣١.
- (٤٦) كانت ولاية الموصل لوحدها تصدر من النفط مواد اخرى الى بريطانيا حوالي السنة ١٩٠٧ ماقبته (١٠٦٥٠٠) ليرة عثمانية، انظر: خلدوري، المصدر السابق، ص ٦٠.
- (٤٧) دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفات البلاط الملكي، ملفه تركيا وقضية الموصل والحدود رقم ٤/ ١، جواب الحكومة البريطانية على المذكرة التركية الى عصبة الامم في جنيف، في ٣ كانون الاول سنة ١٩٢٤، من الآن يشار الى دار الكتب والوثائق (د. ك. و).
- (٤٨) Great Britain, Admiralty, Intelligence Department, A Handbook of Mesopotamia, Vol, I, (London, 1918), P. 104; Hereafter Cited as, A Handbook of Mesopotamia.
- (٤٩) حسن، المصدر السابق، ص ١٣١.
- (٥٠) A Handbook of Mesopotamia, Vol, I, P. 207.
- (٥١) خلدوري، المصدر السابق، ص ٦٩.
- (٥٢) مجموعة البيانات والاعلانات وغيرها التي هي الان نافذة والمتعلقة باعالي العراق ادارتها الملكية والمصدرة من القائد العام او يتفويض منه من ١١ ايار ١٩١٧ الى ٣٠ أيلول ١٩٢٠، (بغداد، ١٩٢١)، ص ٢٠.
- (٥٣) خلدوري، المصدر السابق، ص ٦٩.
- (٥٤) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، ملفه تركيا وقضية الموصل والحدود رقم ٤/ ١، جواب الحكومة البريطانية على المذكرة التركية الى عصبة الامم في جنيف في ٣ كانون الاول سنة ١٩٢٤.
- (٥٥) A Handbook of Mesopotamia, Vol, I, P. 201.
- (٥٦) سنانة الموصل لسنة ١٩٠٧، ص ١٣١ وكذلك سليمان صائغ، تاريخ الموصل، ج١، (القاهرة، ١٩٢٣)، ص ٣٣٧.
- (٥٧) للتفاصيل انظر: شكري محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤-١٩١٧، ط ٢، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ١٤.

- (١٠١) المصدر نفسه، ص ٣٩٨.
- (١٠٢) للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ - ١٩٣٢، (البصرة، ١٩٨٢)، ص ١١٣.
- (١٠٣) جريدة صدى الاحرار ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٢.
- (١٠٤) عبد المنعم الغلامي «بلدية الموصل زمن الاحتلال البريطاني» مجلة المعرفة البغدادية، ج ٣٩، ١٥ آب ١٩٦٢، ص ص ٢٠ - ١٩.
- (١٠٥) جريدة صدى الاحرار ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٢.
- (١٠٦) جريدة صدى الاحرار، ٣ نيسان ١٩٥٣، احمد، ولاية الموصل، ص ص ٥٩٨ - ٦٠٠.
- (١٠٧) Eli kedourie, England and the Middle East, (London, 1956), PP.186-188.
- (١٠٨) علي جودت الأيوبي، ذكريات ١٩٠٠ - ١٩٥٨، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ص ٩٠ - ٩٣.
- (١٠٩) عبد الحميد الدبوني، «ثورة تلغرف، اهدافها وحوادثها ونتائجها» جريدة الزمان، ١٩ نيسان ١٩٥٤.
- (١١٠) العسكري، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ٦٩ - ٧٠.
- (١١١) للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد «حركة تلغرف ١٩٢٠ من خلال تقرير سري بريطاني» مجلة الجامعة، الموصل، السنة (٨)، العدد ١٤١، كانون الثاني ١٩٧٨.
- (١١٢) Report on the recent Attack at Tel Afar, p.3.
- (١١٣) جريدة الموصل ١١ حزيران ١٩٢٠، احمد، ولاية الموصل، ص ص ٦٢٢ - ٦٢٣.
- (١١٤) للتفاصيل انظر: عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، (بغداد، ١٩٦٣)، ص ص ٣٢٧ - ٣٢٨.
- (١١٥) العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، ص ١٩١، احمد، ولاية الموصل، ص ٦٠١.
- (١١٦) فقد فيصل عرشه في سوريا بعد احتلال الفرنسيين دمشق، اثر معركة ميسلون بين الجيش العربي والقوات الفرنسية في ٢٤ تموز ١٩٢٠.
- (١١٧) جريدة الموصل، ٢٤ حزيران ١٩٢١.
- (١١٨) جريدة الموصل ٨ تموز ١٩٢١.
- (١١٩) جريدة العراق، ١٥ تموز ١٩٢١.
- وكان من ابرز أعضاء الوفد مصطفى الصابغجي وضياء بك آل شريف بك، وتاظم العمري وعبد الغني النقيب والدكتور يحيى سمكة ومارشعون ومار يعقوب واوجين والشيخ نوري البريفكاني والسيد عبدالله السيد وهب وسعيد بك.
- (١٢٠) احمد، ولاية الموصل، ص ص ٤٤٧ - ٤٥٠.
- (١٢١) المصدر نفسه، ص ٤٥١ - ٤٥٢.
- (١٢٢) انظر: جريدة العراق ٦ أيلول ١٩٢١، جريدة لسان العرب، ٩ أيلول ١٩٢١.
- (١٢٣) احمد، ولاية الموصل، ص ص ٦٢٩ - ٦٣٥.

- (١٢٤) العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، ص ص ٤٦ - ٤٧ وكذلك، الغلامي، سوانح، ص ١٢١.
- (١٢٥) عبد المنعم الغلامي «النادي العلمي زمن الاحتلال البريطاني»، مجلة المعرفة، بغداد، ١ تشرين الاول ١٩٦٢، ص ١٥.
- (١٢٦) احمد، ولاية الموصل، ص ص ٣٢٨ - ٣٢٩.
- (١٢٧) جريدة الموصل ٩ كانون الاول ١٩١٨، احمد، ولاية الموصل، ص ص ٣٢٩ - ٣٣٠.
- (١٢٨) ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل، ١٩٨٢)، ص ص ٧٤ - ٨٤.
- (١٢٩) المصدر نفسه، ص ٨٤.
- (١٣٠) مقابلة شخصية مع حمدي جليمران في الموصل بتاريخ ٢٠ أيلول ١٩٧٣.
- (١٣١) Philip W. Ireland, Iraq, A study in political Development, (New York, 1938), PP. 158 - 159.
- (١٣٢) Herbert Young, The Independent Arab, (London, 1933), PP. 280 - 281.
- (١٣٣) للتفاصيل انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ص ٤٣٨ - ٤٣٩.
- (١٣٤) نشرت هذه الوثيقة في جريدة صدى الاحرار الموصلية ضمن سلسلة المقالات التي كانت تنشر تحت عنوان «صفحات مطلوبة من تاريخ الحركة الوطنية» بتوقيع «مؤرخ» وهو عبد المنعم الغلامي، المؤرخ الموصلية المعروف الذي اشار الى ان نص هذه الوثيقة عثر عليه عند محمد سعيد الجليلي. انظر: جريدة صدى الاحرار، ١٧ نيسان ١٩٥٣.
- (١٣٥) المصدر نفسه.
- (١٣٦) الغلامي، السوانح، ص ص ١١٦ - ١١٧، ١٦٧ - ١٦٨.
- (١٣٧) جريدة صدى الاحرار ٣ تشرين الاول ١٩٥٢.
- (١٣٨) جريدة صدى الاحرار ١٥ آب ١٩٥٢.
- (١٣٩) العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، ص ٢٩.
- (١٤٠) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط ٣، (صيدا، ١٩٧٢)، ص ٤٩.
- (١٤١) العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، ص ص ٣٦ - ٣٧.
- (١٤٢) جريدة صدى الاحرار ٢٩ آب ١٩٥٢.
- (١٤٣) Report on the recent Attack at Tel Afar by political officer in Mosul, dated June 25, 1920, P. 3. public Record office, Foreign office 371/ 5130/ E, 9897. Hereafter cited Report on the recent Attack at Tel Afar.
- (١٤٤) احمد، ولاية الموصل، ص ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

تكوين الحكم الوطني وأسسه الموصليين في تأسيس الدولة العراقية الحديثة

د. سيار كوكب علي الجميل

مقدمة : المراحل التاريخية

بعد تكوين الحكم الوطني وتأسيس الدولة العراقية الحديثة من أبرز المواضيع التاريخية المهمة في الدراسات التاريخية العراقية المعاصرة، إذ يعتبر ذلك، منطلقاً واقعياً، ومركزاً أساسياً لفهم تاريخ العراق المعاصر، وتطور أجهزته الادارية، ومؤسساته الدستورية والسياسية والاقتصادية. إضافة الى معرفة جذور مسيرة الشعب العراقي وتطور تفكيره ووعيه الوطني والقومي ووحداته الاجتماعية.. وصدى ذلك كله في ادبياته السياسية والثقافية.. سواء في اوراق وزارات الدولة ودواوينها ام في اركان مجالسه النيابية، ام في جمعياته واندبته ومؤتمراته الحزبية.. او على صفحات جرائده ومجلاته ومجالاته الاعلامية المختلفة.

ولقد كان دور النخبة العراقية المثقفة والواعية في تلك الميادين اساسياً وفعالاً في تدعيم الحكم الوطني، وتدعيم اركان الدولة الحديثة، وبناء المجتمع المعاصر.. بغض النظر عن اسبقياتهم وانحازاتهم وانتماءاتهم المحلية التي كانوا عليها قبيل تكوين الحكم الوطني وتأسيس الدولة العراقية. وتعد المراحل او العهود التاريخية الاولى من القرن العشرين حقبة زمنية تفاعلت فيها مختلف العناصر والمسببات لولادة حالة جديدة، واطر معينة من الجغرافية السياسية والبناء الداخلي.. كيف؟

١. لقد سجل عهد نهايات الدولة العثمانية، وخصوصاً للفترة بين ١٩٠٨ - ١٩١٤ / ١٩١٨، تطوراً مشهوداً لمساهمة العراقيين المجادة الاصلية في الحركة القومية العربية. ليس في تنظيمات الجمعيات القومية فحسب، مدنية كجمعية المنتدى الادبي او

عسكرية كجمعية العهد في اسطنبول.. بل كان للعراقيين دورهم الفعّال في البطولة والقيادة للاحداث القومية المصرية، وفي مقدمتها: الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦، وما أعقبها من أحداث، وخصوصاً في بلاد الشام. وتوضح الوثائق والكتابات التاريخية الحديثة ذلك الدور المشهود الذي قام به الموصليون في الحركة القومية العربية، وفي ميادين الاحداث سواء كان ذلك في استانبول ام في الحجاز ام في البصرة وبغداد.. ام في بلاد الشام والقاهرة^(١).

٢- وقد سجل عهد الاحتلال البريطاني في العراق ١٩١٤ / ١٩١٨ - ١٩٢١ م حالة جديدة في تبلور نزعة الانتماء للارض، وغرس الحس الوطني، واعلاء شأن الهوية العراقية.. بل واشعال فتيل الثورة المسلحة على الانكليز من اجل الحصول على الاستقلال والسيادة الوطنية.. وتمثل ذلك بالعمل السري المضاد او المواجهة النضالية العلنية.. مع ما رافق ذلك كله من تحولات في التفكير والممارسة والتجربة.. اضافة الى حالة التصادم التي سببتها اختلافات في وجهات النظر السياسية والايديولوجية والتي نلاحظها متمثلة ببعض الاتجاهات والاجتهادات.. ناهيك عن بروز بعض المتديبات الثقافية وتأسيس دور العلم والمراقب التربوية.. ونشر المقالات والادبيات الصحافية، واعمال المتابعة والتضامن، اضافة الى التظاهرات والاحتجاجات وتبلور ظاهرة الشارع السياسي. وكان للموصل الدور المؤثر والفعّال في الميادين اعلاه كما تعلمنا بذلك مواقف رجالها، وادبياتها المحلية

العراق تجاه الخطر العسكري الذي يمكن ان يهدد البلاد العراقية من جبال كردستان التي تمتد على شكل نصف دائرة في شمال وشرقي سهول الموصل... فن يتحصّن من الدول في الموصل.. يمسك بيده مقاليد بلاد الشرق الاوسط خاصة.. اما خطورة الموصل من الوجهة الاقتصادية فهي كثيرة وجسامة منابعها المعدنية كمنابع البترول والفحم وحجر الكحل والمغنيسا والحديد والكبريت والزيق وغيرها من المعادن.. وقد صدق السياسي القائل: اذا كانت بغداد قلب العراق فالموصل تكون رأسه (٣).

وكانت الموصل احدى ابرز الحواضر العربية التي كان لها دورها التاريخي المؤثر في حياة العلاقات الدولية والعثمانية خلال القرن التاسع عشر. وبدأت تؤثر فيها سياسة بغداد الاقلية بعد زوال الحكم الجليلي في الموصل عام ١٨٣٤م، وعلى الاخص في عهد والي الشهير داود پاشا الذي حُكم ولاية بغداد للفترة ١٨١٨ - ١٨٣١م، والذي ازدادت في عهده الانشطة الاستعمارية - البريطانية كثيرا، وتفاقت خطط الانكليز ليس في البصرة وبغداد فحسب، بل وصلت مؤثراتها حتى مدينة الموصل من خلال تأسيسهم لقصصيتهم فيها عام ١٨٣٩م، بعد ان كانت عدة بعثات تبشيرية ايطالية وفرنسية قد وصلت الموصل وعملت فيها منذ القرن السابع عشر. ولكن يبدو ان سابقاً سياسياً محموداً كان يجري بين البريطانيين والفرنسيين حول الموصل خلال القرن التاسع عشر. وكان التأثير للانكليز اكبر من الفرنسيين. نظرا لعقم التغلغل البريطاني في العراق الذي يعود الى العقد الثاني من القرن السابع عشر (٤)، إذ كانت شركة الهند الشرقية قد بدأت ترسّخ اقدامها في العراق بحثاً عن مسالك تجارية واسواق جديدة لتصريف الاقمشة الصوفية وبضائع اخرى (٥).

بقي العراق بولاياته الكبرى الثلاث: الموصل وبغداد والبصرة تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الاولى، وكانت اوضاعه في مطلع القرن

٣. وقد سجّل عهد الملك فيصل الاول ١٩٢١ - ١٩٣٣، وعهد الملك غازي ١٩٣٣ - ١٩٣٩م مرحلة التكوين وتأسيس الدولة بمجمله مرافقها واجهزتها ومؤسساتها المختلفة، إذ جدّدت تلك التي ورثتها عن العثمانيين، وطوّرت تلك التي انشأت خلال عهد الاحتلال البريطاني.. الى جانب تفاقم حالة النضال الوطني خلال عقد العشرينات، والنضال القومي خلال عقد الثلاثينيات.. مع بروز جبل عراقي جديد بدأ يناضل من اجل الاستقلال والسيادة الوطنية ومن اجل تحقيق الاهداف القومية.. متمثلاً ذلك كله بانثاق العديد من الاحزاب والتنظيمات وبعض الاتجاهات السياسية والثقافية الجديدة، مع وفرة في صدور الصحف والمجلات العراقية التي رفدت نتائجها الرصينة مسألة تكوين الحكم الوطني وتأسيس الدولة العراقية. وكان للموصل ايضاً ذلك الدور المبرز والمؤثر في تطوّر الاحداث التاريخية للدولة الجديدة.. بل واستطاع العديد من ابائها ان يشاركوا في صنع القرار، ويساهموا في مختلف السلطات، ووقعت عليهم عدة مهام جسام في العاصمة بغداد، منها - مثلاً - ميادين الصحافة والجيش والمراقب العلمية.. الخ.

هكذا، يمكننا القول بأن مدينة الموصل كانت ابرز مدينة عراقية استطاعت ان تؤثر بعد العاصمة بغداد تأثيراً فعالاً واساسياً في تكوين الحكم الوطني وتأسيس الدولة العراقية في العقود الاولى من القرن العشرين.. فكيف كان ذلك؟

مكانة الموصل الاستراتيجية:

يصف محمد امين المعري - صاحب تاريخ مقدّرات العراق السياسية - مدينة الموصل بأنها «رأس العراق وحصنه الحصين تلك البلدة الطيبة مفتاح الشرق الاوسط. ومفرق طرق المهمة واتصالها برا ونهرا بقلب العراق والهند وبلاد العجم وسوريا وفلسطين والاناضول وكردستان ولاشك في ان الموصل قلعة

الادارة الجديدة بتبليغات الحاكم العسكري ووكيله الحاكم السياسي الذي تتولى امور الولاية ، ونظم شؤونها الادارية والاقتصادية والامنية^(١١) . وورد في بغداد افرادا من البوليس الى الموصل لتشكيل دائرة الشرطة ، ونصب الانكليز قاضياً للموصل ، وشكلوا مجلساً علمياً استشارياً في القضايا الشرعية والوقفية^(١٢) .

التواصل الاجتماعي ورفض الانتداب :

كان العراق قد اصبح خلال الحرب العالمية الاولى خاضعاً ل «ادارة المناطق الماعية المحتلة» اسوة بالمناطق الاخرى المحتلة من اراضي الامبراطورية العثمانية . وقد انيطت تلك المناطق بالادارة المدنية المرتبطة بحكومة الهند^(١٣) ، في حين اخضعت الادارة العثمانية - التركية من العراق بعد الاحتلال البريطاني مباشرة أما كيف فرض الانتداب البريطاني على العراق ؟

كانت الحرب العالمية الاولى تمضي لتضع اوزارها ، وعند اقتراب نهايتها ، بدأ الحلفاء يفكرون في مصير المستعمرات الجديدة من الاراضي العثمانية او الالمانية المحتلة وغيرها ، وكيف يتم التصرف بها ، فابتدع نظام استعماري جديد هو «نظام الانتداب» للانكليز و «نظام الحماية» بالنسبة للفرنسيين بديلاً عن التدويل أو سيطرة عصبة الأمم ، او الضم العلني الصريح ، او الاستيطان المباشر . فالانتداب : هو نظام سياسي جديد له غمطه واسلوبه وسياساته التي كرسستها اتفاقية سايبكس - بيكو عام ١٩١٦م . وتقرّر في مؤتمر سان ريمو ٢٥ نيسان ١٩٢٠م صيغة انتداب بريطانيا على العراق ، ولم يمض وقت طويل على اعلان ذلك رسمياً في ٣ مارس ١٩٢٠م حتى اندلعت نيران ثورة العشرين على مختلف الجبهات العراقية منطلقة من الجهة الغربية للموصل (دير الزور — تلعفر) ، ومتفجرة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م في اصقاع جنوبي العراق^(١٤) . وكانت الثورة نتاج خمسة عناصر وقفت مناوئة لحكم الانتداب البريطاني على

العشرين قد وصلت الى حالة بائسة ، وقد عانت الموصل ابان الحرب المذكورة أسوأ كارثة حلت بهاها ليا إذ تشرّد الكثير من ابنائها في مختلف الجبهات العسكرية البعيدة ، وعانى الناس في داخل اسوارها من اسوء مجاعة عرفتها في تاريخها^(١٥) .. وبعد دخول الانكليز الى الاراضي العراقية جوهوا بمقاومة عنيفة ، واعلنوا بعد احتلالهم بغداد انهم جاؤوا «محزّين لا فاتحين» وان «عداء الاتراك هو الذي اضطر بريطانيا الى اتخاذ خطواتهم في بلاد وادي الرافدين لحماية الاصدقاء وحفظ المصالح»^(١٦) .

كانت القوات البريطانية على بعد (١٢) ميلاً من الموصل ، حينما اعلنت الهدنة في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ ، بعد ان بقيت تلك القوات عند الشرفاء في حالة تقدّم بطيء حتى اعلان الهدنة ، ولكنها زحفت بعد اعلان الهدنة ، فاحتلت مدينة الموصل على الرغم من احتجاج القائد التركي علي احسان باشا الذي عدّ ذلك مخالفة علنية صريحة لينود هدنة (مودروس)^(١٧) . لقد احتل الانكليز الموصل بحجة ان المادة السابعة من شروط الهدنة تخولهم الحق للقيام بذلك ، ثم استمروا في احتلال الاجزاء الاخرى المكوّنة لولاية الموصل ، فغدت واقعة ضمن نطاق الاحتلال البريطاني للاراضي العراقية ، بعد ان غادرها القائد التركي علي احسان باشا . ويتابع العمري كتاباته في مذكراته قائلاً : «فكان خبر عقد الهدنة قد احدث سروراً عظيماً في الموصل خاصة وفي العراق عامة لانتهاء المصائب والويلات»^(١٨) وقد اعلن نائب والي الموصل نوري بك بلاغاً في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٨م الى جميع اجهزة ولايته الادارية والعسكرية اوضح فيه ان مسؤولية ذلك قد غدت امام الحاكم السياسي البريطاني^(١٩) . فتولى الانكليز ادارة الموصل : الكولونيل ليجمن حاكماً سياسياً والجنرال فانشوقا قائداً عسكرياً والذي ابلغ المأمورين الملكيين (الموظفين المدنيين) العثمانيين لزوم المراقبة على ادارة شؤون البلدة .. ثم اصدرت

العراق، ومشكلة بذلك قاعدة ارتكاز لتكوين العراق المعاصر:-

- ١- الضباط العراقيون المغتربون.
- ٢- العشائر العراقية الساخطة.
- ٣- الجماعات الدينية.
- ٤- المدنيون المثقفون العراقيون.
- ٥- الجماهير العراقية العريضة.

وعلى الرغم من تفاعل اسباب عديدة في نشوب الثورة واستمرارها طويلا في اكثر من مكان من العراق، فقد كان للموصل مكانة بارزة ولائها دور تاريخي في تفاعل تلك الاسباب، اضافة الى الدور «اللوجستي» الذي لعبه ضباطها القوميون وهم في دير الزور وحركاتهم العسكرية بالاتفاق مع عشائر الجبور وثمر في السيطرة على تلعفر وانطلاق الشرارة الاولى.. ناهيك عن الموقع الجغرافي للموصل وتأثيره في اقتصاديات العراق الاقليمية ابان عهد الاحتلال.

الموصل بين تأسيس السلطات وتكوين الدولة العراقية:

بعيدا عن تفاصيل الاحداث التاريخية- التي سجلتها العديد من المصادر والمراجع - فان الثورة العراقية كان لها اكبر الاثر في تدعيم النزوع الوطني للمطالبة بالحكم الوطني من خلال تأسيس كيان سياسي مستقل. وهكذا، فنتيجة للضغوط العراقية التي انتجتها ثورة ١٩٢٠ في دواعيها ومداخلاتها ونتائجها التي اتخذها مثقو المدن ورجالها من الادباء والخطباء والمدرسين والصحافيين.. وسيلة للضغط على الانكليز من اجل الحصول على اكثر ما يمكن تحصيله من المصالح الوطنية. وقد استطاعوا ان يحققوا ذلك المهدف الاسمي، إذ وعدهم الانكليز ببعض التنازلات، وانشاء مؤسسات ادارية محلية لهم مشاركتهم فيها.. فجاء قرار السلطات البريطانية بتشكيل اول حكومة عراقية انبثقت تحت ثقل الاحداث التاريخية- العراقية المريعة، اضافة الى

عوامل خارجية اخرى تتعلق باوضاع الانكليز انفسهم الذين ارادوا حكومة عراقية تمثل «سيادة» بريطانية^(١٥)!

تألفت الوزارة العراقية المؤقتة برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلاني (نقيب اشرف بغداد)^(١٦) في ٢٥-٢٧ تشرين الاول ١٩٢٠، وهي حكومة شكلت لتضع الهيكل الدستوري للدولة العراقية الجديدة. وكان محمد علي فاضل النائب الموصل السابق في مجلس المبعوثان العثماني مشاركا فيها إذ كلف بوزارتي «الاشغال العامة والمواصلات» والاقواف^(١٧). وكان محمد علي فاضل شخصية موصلية مرموقة، قد انتخب في الموصل رئيسا بلديتها في ٢١ تموز ١٩٢٠، وسافر الى بغداد في ٣١ تموز ١٩٢٠ للاشتراك في وضع قانون انتخاب المؤتمر العراقي الذي كان من المقرر تشكيله^(١٨).

لقد استمرت حياة هذه الوزارة التأسيسية حتى ٣ آب ١٩٢١، وبجهود مكثفة بذلها السير برسي كوكس الحاكم المدني العام في العراق.. وهي وزارة مهدت الطريق لتكوين دولة ملكية عراقية. وجرت بعد ذلك الانتخابات العامة لتشكيل مجلس تأسيسي. وظهر الواقع السياسي والاجتماعي حاجة العراق الى حكومة عراقية ترعى مصالح الشعب العراقي الذي ناضل كثيرا من اجل تأسيس حياة وطنية جديدة حافلة بالسيادة ومكثلة بالاستقلال. كما واقترح تشكيل لجنة برئاسة وزير الدفاع جعفر العسكري لدرس النظام العسكري في البلاد. وقد اظهرت طبيعة عمل الوزارة المؤقتة ثنائية في الحكم بينها وبين نظارة المندوب السامي وتوجيهاته^(١٩). كما وأسس السير برسي كوكس مجلسا استشاريا من بعض الاعيان والوجوه والاشراف العراقيين، فاختار بمساعدة سكرتيرته الشرقية المس كيرتروود بل اثني عشر ذاتا جعلهم وزراء بلا حقبة وزارية يدعومهم للاستشارة، وكان ممن اختارهم من الموصل داود يوسفاني^(٢٠) الذي كان يمتلك رصيда اجتماعيا معروفا في الموصل، وله

تاريخ سياسي منذ العهد العثماني .

ان ابرز ما قامت به الحكومة المؤقتة ، تقسيم العراق لأول مرة الى وحدات ادارية تشتمل على :
الاولية ← الاقضية ← النواحي (وهو تقسيم اداري قديم) . لكل وحدة ادارية موظف عراقي والى جانبه مستشار بريطاني .. وتأسست لأول مرة الدواوين والدوائر الجديدة المهمة التي يديرها اداريون عراقيون ، ويقوم الى جانبهم مفتشون بريطانيون^(٢١) .

العراق والعرش الهاشمي : تأسيس الملكية العراقية
برز على الساحة اكثر من مرشح محلي - عراقي لتولي عرش العراق ومقاييد السلطة العليا ، وكانت هناك ثلاثة اسماء بارزة من ثلاث ولايات عراقية كبرى ، إذ كان السيد طالب النقيب يطمح بامارة او دولة صغيرة في البصرة ، او عرش عراقي في بغداد ، ولكن سلوكه السياسي ومواقفه ضد الهاشميين ابعده عن الوصول الى هدفه . وكان المرشح الثاني هو السيد عبد الرحمن الكيلاني (نقيب اشراف بغداد) ورئيس الحكومة المؤقتة وقد منعه ظروف شيخوخته ومرضيه وزهده عن تولي عرش العراق . وكان المرشح الثالث هو هادي پاشا العمري سليل الاسرة العمرية المعروفة في الموصل ، والذي كان له انتصاره فيها ، ولكن ليس له من الظهور في العراق كله ، ما يحولّه لهذا الطمع العظيم^(٢٢) . وقد اعتبره السير ارنولد ولسن المرشح الاول للعرش سنة ١٩٢٠م^(٢٣) . وكان هادي پاشا العمري ضابطاً عثمانياً كبيراً ، ولد في سنة ١٨٦٠م بالموصل ، ووصل الى رتبة فريق اول ركن بجدارة واستحقاق ، إذ كان قد دخل في عمليات حرية عديدة ، ونال اوسمة ونياشين عديدة من الدولة ، وكان واسع المعلومات والخبرات العسكرية ، وقد حاضر في مدرسة الازكان العثمانية بالعاصمة استانبول^(٢٤) .. وتوفي الرجل في سنة ١٩٣٢م دون ان يتوج ملكاً على العراق .

كانت الانظار العراقية موجهة الى البيت

الهاشمي ، والى الامير فيصل بن الحسين بالذات ، ذلك الرجل الذي عرفه الضباط العراقيون جيداً في عملياتهم تحت قيادته في الثورة العربية الكبرى وفي الحكومة العربية في الشام^(٢٥) . وكان صيت فيصل وادواره مثار اهتمام العراقيين واعجابهم منقطع النظر ، فكان ان فضله الانكليز على غيره . وقد تم ترشيح الامير فيصل بن الحسين لعرش العراق بصورة نهائية في مؤتمر القاهرة الذي انعقد برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية عصر ذاك في ٢١ آذار سنة ١٩٢١م^(٢٦) . وقد ذللت الصعوبات امام فيصل ، واعطي الضمانات اللازمة ، وخطط لذلك بكل دقة . فاجرّ فيصل في ١٢ حزيران سنة ١٩٢١م نحو العراق . ولما وصلت الباخرة البريطانية المياه العراقية ابرق الى رئيس الحكومة المؤقتة يعلمه بوصول البصرة ، وانه في شوق لمشاهدة البلاد التي هي محط مفارح الاجداد^(٢٧) ، وقد استقبل الامير فيصل بن الحسين بترحاب عراقي شديد قل نظيره^(٢٨) .

ما ان استقرّ الامير فيصل بن الحسين في بغداد ، حتى سارع اشراف الموصل وجهاتها واعلامها الى عقد اجتماع موسّع في مقرّه البلدية ، تمخّص عنه تشكيل وفد كبير حددت مهمته بالسفر الى بغداد لتقديم تحيات اهالي الموصل وتهانيم له^(٢٩) . وقد ضمّ الوفد كلاً من : عثمان افندي الديوبه چي ومحمد حبيب العبيدي وعبد الله افندي النعمة وامين الفتحي (وكيل رئيس البلدية) ، ونامق آل قاسم اغا ، ومصطفى الصابونجي وعبد الباقي آل حموقندو ، وعلي افندي الامام ، آصف آل قاسم اغا ، وضياء آل شريف بك ، وناظم العمري وعزيز عبد النور وفتح الله سرم وروؤف شماس الواس ، وحاخماش افندي والدكتور داود الجلي والدكتور حنا خياط وخير الدين العمري وعبد الله الدلسي^(٣٠) .. وقد كانت نفقات الوفد المذكور على حساب بلدية الموصل التي بادرت الى ارساله قبل صدور التعليمات اليها من بغداد^(٣١) . وكان يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١م الموافق ل ١٢

ذي الحجة سنة ١٣٣٩ هـ هو يوم تتويج فيصل بن الحسين ملكاً على العراق^(٣٢). وفي حفل التتويج، أُلقيَ بلاغ تلاه سكرتير مجلس الوزراء قال فيه: ان مجلس الوزراء كان قد اقترح في تموز «المناداة بالامير فيصل ملكاً على العراق، على ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية وديمقراطية مقيّدة بالقانون. وبعد اجراء التصويت العام.. استقرت نتيجة التصويت على اكثرية كلية ممثلة بـ ٩٦٪ من مجموع الناخبين على ان سمو الامير فيصل نجل الملك حسين قد انتخب ملكاً على العراق». هكذا، بدأت حياة تاريخية جديدة في العراق منذ صباح يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١، وبعد اعلان تتويج فيصل ملكاً على العراق، احتفلت ارجاء مدينة الموصل بهذه المناسبة، ومن ابرز الاحتفالات، ذلك الاحتفال الذي اقامته بلدية الموصل، وقد تكلم فيه الخطباء وصدق في ارجائه



ارشد العمري

الشعراء^(٣٣): تكلم ارشد العمري مهندس البلدية باسم البلدية، ثم تلاه كل من علي الامام، وأصف آل قاسم اغا، وياسين العربي، والدكتور حنا خياط، وعلي الجميل، والدكتور داوود الجلي، وروؤف الغلامي.. واخيراً تكلم الكولونيل نولدز شاكراً البلدية تنظيم الحفل وهتف بحياة الملك فيصل^(٣٤).

الموصل وركائز الدولة العراقية:

وهكذا إذن، كانت مشاركة مدينة الموصل

مشاركة فعلية في عملية التأسيس وارساء ركائز الدولة العراقية، سواء بالنسبة للكفاح الوطني إبان ثورة ١٩٢٠، او بالنسبة لانبثاق الحكومة المؤقتة، او بالنسبة لتتويج فيصل بن الحسين على عرش العراق. وبدأ عهد التكوين للجهزة والمؤسسات، إذ لم يكن التأسيس الا المرحلة الاولى من مراحل التطور السياسي في تاريخ العراق المعاصر. وكان لا بد ان تعقبها مراحل اخرى، تتوثق خلالها علاقة السلطة بالمجتمع اولا، وتباعد خلالها ايضا علاقة الانكليز بالدولة الجديدة. ولم يكن عرش العراق الا السقف التاريخي لولادة الشرعية السياسية، ذلك «العرش» الذي جمع ولاء ابناء الشعب العراقي قاطبة بمختلف فئاته وعناصره السكانية، قومياته واقليته.. اديانه وطوائفه^(٣٥).

وقد عملت الدولة الجديدة والذين اشتركوا في تأسيسها وترسيخ كيانها على انتزاع السلطة الحقيقية من الايدي البريطانية، في حين كان البريطانيون يحرصون على الاستمرار بها حتى في ظل معاهدات بين الطرفين امتدت خلال سنوات عقد العشرينات وحتى توقيع معاهدة ١٩٣٠ التي ادخلت العراق عضواً في عصبة الامم ونال من خلالها «استقلاله».

وعلى ان نوضح ماواكب عهد التكوين من عمليات ومشكلات (وكانت الموصل احد ابرز الاطراف التي نمت من خلالها التطورات اللاحقة):

١ - القيام بتأسيس ما تتطلبه الدولة الحديثة من اجهزة ومؤسسات حكومية وشبه حكومية تراعي متطلبات ابناء المجتمع ومصالحه العامة، اضافة الى ما تقتضيه الحياة الحديثة من النواحي المختلفة: اقتصادية واجتماعية وثقافية وعمرانية.. الخ.

٢ - تكريس صفة الشرعية السياسية للعهود الجديد، واسباغها على «الدولة الوليدة» باجراء انتخابات عامة لابناء الشعب، ينبثق عنها مجلس تأسيسي يعمل على وضع «دستور» للبلاد وفق المفاهيم السياسية الحديثة التي تعمل قبل كل شيء

على تكريس «السلطات» والعمل على الفصل بينها ومن خلال تحديد علاقاتها بعضها ببعض الآخر.

٣- تحديد طبيعة العلاقة بين العراق وبريطانيا من خلال «معاهدة» تعدّ وسيلة لذلك التحديد دولياً وصولاً الى الاستقلال الحقيقي، اما بالنسبة لبريطانيا فقد رأت في «المعاهدة» بديلاً عن صك الانتداب!

٤- العمل المباشر بشتى الوسائل على حل «مشكلة الموصل» التي غدت هاجساً مؤثلاً بالنسبة للعراقيين، اضافة الى العمل على تثبيت حدود العراق، وتنظيم العلاقة بينه وبين الدول المجاورة له.

الموصليون في معترك الحياة السياسية الجديدة :

أ- السلطة التنفيذية :

لقد بدأت حياة سياسية عراقية جديدة مع تولّي فيصل الاول مقاليد الامور، وتشكّلت الوزارة الاولى بعد التتويج برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب الكيلاني^(٣٦).. وقد اشترك معه فيها من الموصل كل من: محمد علي فاضل للاوقاف والدكتور حنا خياط للصحة.. وبدأ النشاط السياسي والحياة الحزبية بوضوح، واخذت الوزارة بالغاء القوانين القديمة. وكان للموصل احزابها المستقلة عن احزاب بغداد السياسية. كما كان للموصل ادبياتها السياسية والصحفية التي تعبّر تعبيراً خالصاً عن حياتها وواقعها السياسيين. وقد بقي محمد علي فاضل فقط وزيراً للاوقاف في الوزارة النقيبية الثالثة للفترة ٣٠ ايلول - ١٦ تشرين الثاني

سنة ١٩٢٢، وغدت وزارة الصحة بمستوى مديرية عامة مرتبطة بوزارة الداخلية. وقد اعتمد الدكتور حنا خياط مناهجاً علمياً رصيناً امام الملك لتطوير الصحة والمرافق الطبية في العراق على مدى عشر سنوات^(٣٧). اما في الوزارة السعدونية الاولى للفترة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ - ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ والتي شكلها عبد المحسن السعدون فلم تدخلها اية شخصية موصلية.. في حين اختير

السيد احمد الفخري (الشاعر والقاضي الموصلية المعروف) وزيرا للعدلية في وزارة جعفر العسكري للفترة ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٣ - ٢ آب ١٩٢٤، ويكون هذا الوزير الشاعر هو آخر شخصية موصلية في الوزارات العراقية التي تشكّلت خلال عقد العشرينات فيما بعد سواء وزارة ياسين الهاشمي او عبد المحسن السعدون او جعفر العسكري او توفيق السويدي او ناجي السويدي حتى وزارة نوري السعيد الاولى التي شكلها في ٢٥ آذار/ مارس ١٩٣٠ والتي دخلتها ابرز ثلاث شخصيات موصلية مهمة في تطور تاريخ العراق السياسي المعاصر: جميل المدفعي وزيرا للداخلية وعلي جودت الايوبي للمالية والدكتور عبد الله المدملوجي للخارجية^(٣٨).

ولقد برز خلال عقد العشرينات (عهد التأسيس) العديد من رجال الموصل في مرافق الادارة والمؤسسة العسكرية التي وقف على رأسها جعفر العسكري، فكان ان انجبت الموصل عدة من المتصرفين والقائمين والمدراء والموظفين المدنيين الذين خدموا اغلبهم في دوائر وزارة الداخلية، كما وكان في الموصل عدد من القضاة والمحامين المعروفين الذين خدموا في المحاكم الشرعية والمدينة وفي دوائر الاوقاف.. ناهيك عن عدد من الضباط المرموقين الذين خدموا الجيش العراقي. هذا وقد برز في الفترة اللاحقة من تاريخ العراق المعاصر العديد من ابناء الموصل كوزراء ورجال مؤسسات وقادة وقضاة ومدراء واساتذة جامعة.. وقد استقطبتهم العاصمة بغداد واحداً بعد الآخر.

ب- المجلس التأسيسي :

تأسس المجلس التأسيسي العراقي إثر صدور الارادة الملكية في ٢٢ آذار سنة ١٩٢٤، بدعوة ذلك المجلس الى الانعقاد في ٢٧ من الشهر نفسه^(٣٩)، والذي اتى الملك فيه خطاب العرش الذي اكد فيه على الركائز المتينة التي يجب ان يقوم عليها نظام الحكم العراقي، وهي :

١- البت في المعاهدة العراقية .

٢- سن الدستور العراقي.

٣- سن قانون المجلس النيابي.

يقول الدكتور عبد الرحمن البرزاس : « ومن الحق علينا.. ان نسجل باعجاب الجراة التي ابداهها كثير من اعضاء المجلس التأسيسي من سكان المدن اورشلاء القبائل ، والحرية التي سادت الجو في معظم جلساته .. مما يدل على قابليات برلمانية ممتازة ، واستعداد للحياة النيابية كان يبشر بمستقبل زاهر.. »^(١٠) . لقد مثل لواء الموصل في المجلس التأسيسي اربعة عشر عضواً ، هم : آصف آل قاسم اغا السعري والسيد احمد الفخري واجيد الفخري والسيد عبد الغني النقيب وعلي جودت الايوبي وامين المفتي ومحمد آل شمدين اغا والدكتور داؤود الجليلي وحمد جلميران والشيخ عجيل الباور والحاج رشيد البرواري وفتح الله سرسم والدكتور حنا زبوني والدكتور يحيى سميكه^(١١) . وسيبرز من الموصل العديد من النواب الذين حفل بنشاطاتهم البرلمان العراقي .

ج- القانون الاساسي :

بعد ان صدر القانون الاساسي العراقي (الدستور) في ٢١ آذار ١٩٢٥ ، بدأت حياة السلطات في نظام الدولة العراقية ، وذلك بتكوين كل من السلطين : التشريعية والتنفيذية . ونصّ الدستور العراقي على ان العراق « دولة ملكية برلمانية حرة ذات سيادة واستقلال » : ولكنه حدّد بنود المعاهدة العراقية - البريطانية لعام ١٩٢٢^(١٢) . وظهرت السلطة العليا المتحتة بالملك في فصل الاول تأخذ وضوحها بادارة زمام الامور وخصوصاً في عملية تشكيل الوزارات وسقوطها . ولقد صدرت الارادة الملكية التي تمّ بموجبها انتخاب النواب في حزيران سنة ١٩٢٥ ، كما تم تعيين اعضاء مجلس الاعيان في شهر تموز من العام نفسه . واجتمع اول برلمان عراقي في ١٦ تموز ١٩٢٥^(١٣) . وكان لنواب الموصل في دوراتهم الاولى دورهم الفعال والكبير في بناء السلطة التشريعية للبلاد ، وقد مثّلوا اهالي

الموصل تمثيلاً طيباً وصادقاً ، وبرز في عقد العشرينات اباان توكرين الدولة العراقية الحديثة ، العديد من النواب الموصليين الذين اثروا بأرائهم وتفكيرهم وتجاربهم : الحياة السياسية والنيابية العراقية ، فقد كان هناك من اعضاء الدورة الاولى : ثابت عبد النور ورؤوف اللوس وارشد العمري وغيرهم . ومن الدورة الثانية : خير الدين العمري وضياء يونس والدكتور عبد الاله حافظ .. وغيرهم^(١٤) . كما وكان لبعض رجال الموصل تأثيرهم في الحياة الحزبية العراقية ، فقد كان الدكتور عبد الاله حافظ - مثلاً - احد اعضاء قيادة حزب الاخاء الوطني^(١٥) .. وقد ازدادت - فيما بعد - ادوار الموصل في ترتيب اوضاع السياسة العراقية ، وبناء نظام الحكم وتطوره خلال السنوات والعقود اللاحقة .

مشكلة الموصل :

كان العراق يسعى منذ انبثاق دولته للاحتفاظ بولاية الموصل ، وحل منشأ من خلافات حولها . فمن العلوم ، ان جزءاً من ولاية الموصل كانت تدخل ضمن نطاق منطقة (A) التابعة للنفوذ الفرنسي حسب اتفاقيات سايكس - بيكو ، ولكن فرنسا تنازلت عن الموصل لبريطانيا سنة ١٩١٩ ، وبشكل رسمي في مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ ، في حين بقيت الحكومة التركية تطالب بها .. وعلى الرغم من كل المالبسات التي حدثت ، فقد تقرّر في ٣٠ ايلول سنة ١٩٢٤ تكليف لجنة دولية لدراسة المشكلة : دراسة وثيقة وتقديم التوصيات الى عصبة الامم لاصدار قرارها^(١٦) .

وانشاء وجود اللجنة في بغداد والموصل والمناطق الشمالية المتنازع عليها ، مستوحاة عن الموضوع من النواحي : الجغرافية والعنصرية والتاريخية والاقتصادية والسياسية .. وكانت النتيجة النهائية تقضي بعدم انقسام ولاية الموصل ، واوصت بضم المنطقة الواقعة جنوب « خط بروكسل » أي بكتبتها الى العراق^(١٧) . وقد قام اهالي مدينة الموصل ،

بالارادة والايمان في ان تبقى الموصل جزءاً حيوياً واستراتيجياً من العراق والذي تقف لتشكل رأسه . وكان للنخبة الموصلية المثقفة والسياسة اكبر الادوار سواء في الموصل او بغداد بخصوص حسم مشكلة الموصل لصالح تكوين الدولة ومصير العراق ومستقبله .

اسهامات الرواد الاوائل :

يوسع المرء ان يدرك ويتعلم الكثير عن مكانة الموصل في عملية تكوين الحكم الوطني وتكوين الدولة العراقية من خلال دراسة وفحص المزيد من الميادين والاطر والانماط والاجراءات والخطابات والمقالات ، وعلى مختلف الاصعدة : السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، ويبدو لنا من بعض خطابات وافكار الملك فيصل الاول انه كان يقدّر تلك «المكانة» التي حظيت بها الموصل قبل قدومه الى العراق ، وخصوصا من خلال اعتماده على العديد من الضباط العراقيين ، وزادت ثقته بمكانتها بعد اول زيارة له اليها ، ثم زيارته الاخرى ، معترّاً بتاريخها وآثارها وراثتها الاصيل وخصوصيتها الاجتماعية^(١) .

لقد اثرت مجمل القيم الحضارية والاجتماعية التي امتلكها الرجال الاوائل في عملياتهم الوطنية وتنفيذ واجباتهم كافة وخصوصا في الجيش والادارة والسياسة ، واتصفوا بالحزم والثابرة والجلد والجودة في اداء المهام . ولكن كان لبعضهم سلباتهم الكامنة في سلوكياتهم الوظيفية والاجتماعية والتي تعكسها المنافسات الشخصية والعائلية ، أو تشكلها الانحيازات الطبقية وبقياء ازمات المجتمع . وكثيرا ما كانت الظروف الصعبة التي مرتّ بالموصل منذ القرن التاسع عشر وراء انتشار بعض السلوكيات والممارسات ، دفعت بالعديد من ابنائها وعوائلها الى الهجرة والاستقرار ليس في بغداد فحسب ، بل في اماكن اخرى خارج العراق .. بل جاءت بعض الانتقالات نتيجة للعمل الوطني بعد

وعلى الاخص رجالاتها ومثقفها بادوار تاريخية بارعة في الحفاظ على عراقية الموصل .. كما ونهضت صحافة الموصل بدور بارز في بث الوعي ، ونشر الاسانيد التاريخية والمعلومات السكانية والجغرافية^(٢) من اجل حفاظ العراق على حقّه «كما كان لبعض المؤسسات القومية في الموصل ذاتها شأن يذكر في القضاء على افكار بعض الاسر المحافظة المتنفذة التي كانت لها روابط وثيقة مع الاتراك... ولاشك في ان صمّ ولاية الموصل الى العراق حادث خطير في تأريخ الدولة الناشئة»^(٣) .

يقول علي الجميل في ترحيبه بمحمدي الهاجه جي في جمعية الدفاع الوطني بالموصل : «لئن اوفدك اخواننا البغداديون للسلام علينا وتجنيد اعمالها في سبيل قضيتنا فما ذاك الا بعض ما تقتضيه شهامة ابناء العاصمة ولا فخر لنا بذلك ولا مينة لنا على احد بما قنا به من التفاني في سبيل قضيتنا الوطنية .. فالجهاد في سبيل الحق واجب في ذمة كل من عرف الحق وعرف معنى الحق ، وما نحن وانتم الا كفاراد عائلة واحدة ، العربية تربط بيننا ، واللواء العراقي المقدس يصفنا ، خلقنا عرباً وعشنا عرباً وسنموت عرباً ونبعث عرباً رغم كل معارض او معاند ... وفي الختام اهتفوا معي قائلين : فلتنجيا البلاد العراقية مرتبطة لا تتجزأ...»^(٤) .

لقد تفانى الموصليون في الحفاظ على عراقيتهم خلال عقد العشرينات الزدحم بالمشاكل وفي خضم التطورات السياسية والاقليمية ، وكان عليهم ان يرتّبوا خصوصيتهم ضمن اطار التزوع الوطني العراقي والحفاظ على هويتهم وعروبتهم من خلال العمل السياسي المكثف لاکثر من حزب سياسي كالحزب الوطني العراقي وحزب الاستقلال اضافة الى جمعية الدفاع الوطني ، وكلها احزاب موصلية عملت ببراعة واسهام حقيقي في التأسيس والتكوين .. كما وكان للصحافة الموصلية السياسية - المحلية الدور المؤثر كميديان حقيقي للتعبير والجهير

تأسيس الدولة العراقية ، وخصوصاً في فترة ما بين الحربين العظيمتين. فكان ذلك هو حالة مكملة لما بدأه الرواد الأوائل خلال العقدين الاولين من القرن العشرين.

السؤال الآن : كيف كانت طبيعة اسهامات اولئك الرواد الأوائل ؟ والجواب على ذلك يأتي من خلال الوقوف على نماذج عديدة من تلك الاسهامات والتعمق في اسبابها وعواملها والخروج بمعرفة نتائجها وآثارها كما نجمله في الآتي :

١ - المكانة الاقتصادية التي حظيت بها مدينة الموصل ، وعلاقتها ليس بالاقاليم المجاورة فحسب ، بل بالاقاليم البعيدة وخصوصاً علاقاتها الوثيقة بالعاصمة العثمانية استانبول وبلاد الشام واقاليم الاناضول .. وقبل اكتشاف النفط في اراضيها .

٢ - المكانة التاريخية التي وجدت الموصل نفسها عليها بتقاطر رجال الآثار والقناصل والرحالة الاجانب جعلها محط انظار الجميع .. ناهيك عن اولئك الذين قدموا اليها لاغراض تبشيرية وسياسية متعددة .

٣ - المكانة الثقافية والعلمية والادبية التي تمتعت بها الموصل .. وصلاتها بالمدن العربية الاخرى في العراق وبلاد الشام .. اضافة الى دورها المبكر في النهضة ونضوج النزعة القومية - العربية فيها .

٤ - المكانة الادارية - المحلية وما توارثته من القيم والاجراءات والاجهزة .. اضافة الى تأسيس العديد من المرافق والمؤسسات الادارية والقضائية والمجالس البلدية فيها .. وقبل غيرها من الاماكن والاقاليم .

٥ - الاوضاع الداخلية والمستويات الاجتماعية والاحوال السكانية التي حفلت داخل اسوارها ، سواء كانت ايجابية ام سلبية قد احدثت تناقضات واسعة النطاق في مختلف قسماها الاجتماعية .. وبالصورة التي لم نَجدها في غيرها من الاماكن .

إن كل ما تقدم كان من جملة الاسباب التي دفعت بالعديد من ابنائها في البحث عن هوية وانباء جديدين كالذي سنجده - فيما بعد - مؤطراً بالوطنية العراقية ومرسّخاً بالعمل على تكوين الدولة العراقية الجديدة .. وبوسائل وادوات متعددة كأن تكون من خلال «الفكرة القومية» أو «الجمعيات العربية» أو «الاناشيد الوطنية» أو «الاشعار الحماسية» أو «الثورة العربية الكبرى» أو «المدارس الاهلية» أو «المتنديات الادبية» أو «ثورة العشرين» أو «المقالة السياسية» أو «العمليات العسكرية» .

لقد كان لعدد كبير من الرواد الموصليين اسهامات حقيقية ، وانشطة عملية في استخدام اغلب تلك الوسائل والادوات للتعبير عما كان يجالج ضمائرهم . وعلى الرغم من اختلاف النزعات او المشارب او الافكار السياسية ، فان ذلك يعود بالدرجة الاساس الى تباين مصادر الثقافة الى جانب الاختلاف في العوامل الاجتماعية التي حكمت طبيعة توجهاتهم .. إذ كان لكل من البيئة والثقافة الدور المبرز في فرز مختلف التباينات ، بل وحتى بعض الانقسامات التي طغت على السطح فيما بعد .

كان للعسكريين الموصليين القدامى دور بارز واسهام واضح في ترسيخ الحكم الوطني والاكثر من ذلك ، بناء اسس الدولة العراقية . وقد افادتهم كثيرا ، تجاربهم ومعلوماتهم التي اكتسبوها في مدارسهم العسكرية - العثمانية او في ميادين القتال المتعددة التي استبسلوا فيها ، وتكفيها اسما : علي جودت الايوبي ومولود مخلص وجميل المدفسي وعبد الله الدلسي ومحمد امين العمري وعبد الله صالح الموصلي وعبد الحميد الديوبني وصلاح الدين الصباغ وغيرهم .

وكان لاطباء الموصليين القدامى دورهم واسهامهم العملي في تحديث الانشطة الصحية من خلال تأمين برنامج رصين بعد قيام الدولة العراقية ، ومنهم : الدكتور حنا خياط والدكتور داوود

للعراق المعاصر.. كما لحن الرجل وغنى' عندما كان يعيش في أزقة بغداد القديمة مسجلاً مواقفهِ الوطنية ضد الانكليز، وقد تعلّم منه العديد من تلامذته ومريديه والمعجبين جداً به.

وفي ميدان الصحافة، فقد كان للموصل خلال عهد التأسيس والتكوين، ذلك الدور الحقيقي المؤثّر.. وعلى لسان اربعة من اشهر صحف الموصل الرصينة والتي شاركت جميعاً في ارساء الوعي الوطني، ونشر الاحداث، ومتابعة الخطط والقوانين وكافة عمليات بناء الدولة.. فضلاً عن نشرها للعشرات من المقالات السياسية والاقتصادية والثقافية التي أثارت في الرأي العام ارساء تقاليد في المتابعة والاصلاح.. ومن اشهر صحف الموصل: جريدة الموصل وجريدة العهد وجريدة الجزيرة وجريدة صدى الجمهور وجريدة فتي العراق وغيرها.

لقد ترك بعض مثقفي نخبة الموصل مدينتهم نحو بغداد التي استقروا فيها واصدروا صحفهم الشهيرة فيها، إذ لا بد ان نذكر فضل كل من: سليم حسون وروفاثيل بطّي وبولينا حسون وتوفيق السمعاني وغيرهم من الذين نشروا العشرات من مقالاتهم في الصحف البغدادية، بل واصدروا عدة صحف رصينة اشتهرت في بغداد.

وكان لتلك «النخبة» من المثقفين الموصلين الدور الفعال في تبلور التفكير السياسي والنضال من اجل استقلال العراق، وما كان ذلك «النضال» بغرب على ابناء المدينة الذين عرفوه منذ ايام حكم الاتحاديين التي انطلقت خلالها- ولأول مرة- «الاناشيد الوطنية» و«المسرحية التاريخية».. اضافة الى فنون الشعر والخطابة التي تنغى جميعها بقدسية الوطن وهيبة الدولة.. وتبلورت صيغ النضال ضد الانكليز وخصوصاً ذلك التعبير الساخط الذي تمثلته التجمعات الوطنية والاحزاب السياسية والتي كان لها دورها الفعّال في الكفاح والتصدي كجمعية العهد وجمعية العلم..

الجليلي والدكتور استراحيان والدكتور فاروق الدملوجي (بيطار). والدكتور يحيى زهره علي والدكتور حنا زبونى والدكتور جميل دلالي والدكتور عبد الكريم قليان والدكتور يحيى سميكة والدكتور احمد وجداني. وساهم قضاة ومحامو الموصل ورجالات القانون فيها بتعزيز السلطة القضائية سواء في جوانبها الشرعية او في قوانينها الوضعية، وبرز العديد منهم في الساحة العراقية، اذكر: السيد احمد الفخري والسيد محمد نوري الفخري وعمود نشأت الفيزي وعبد الله فائق وحسن الاطراقيجي وعمر خلوصي وسليمان فيضي واحمد سعد الدين زيادة وعلي محمود الشيخ علي وضياء يونس.. ومثي بيثون ونويل رسام ومحمد صديق ششل وجيل قسطو ويوسف الحاج الياس وغيرهم.



جمال حسن صالح

وكان للمعلمين والمدرسين ادوارهم الناصعة في غرس النزعة الوطنية في قلوب النشء الجديد، وتربيتهم تربية عراقية مستندة الى روح العروبة والانتماء الاسلامي، نذكر منهم: رشيد الخطيب، رؤوف الغلامي، عبد المجيد شوقي البكري، محمد سعيد الجليلي، عبد الرحمن صالح، داؤود سليم، قاسم الجليلي، محمد توفيق الدباغ وغيرهم.

ويعتبر الموسيقار الملا عثمان الموصلّي قيمة فنية وطنية منذ عهد مبكّر، وقد عبرت وطنيته الصادقة عن مواقفه السياسية في قلب احداث ثورة العشرين التي كانت وراء تبلور الكيان السياسي

جميع - جيل مثقف - جيل مثقف

وحيث

على

لا يزال

المرحلة

مناخ

تساقط

المرحلة

صلى الله عليه وسلم

جريدة - جريدة - جريدة

صلى الله عليه وسلم

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

مركز

المرحلة ١١٤

المرحلة ١١٤

المرحلة ١١٤

جريدة صدى الجمهور

وغيرهم .

كانت هناك الكتابات والمقالات الفكرية والسياسية والخطابات العصماء والقصائد المؤثرة فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان للدكتور داوود الجلي نائب الموصلي خطابه المؤثرة في المجلس النيابي العراقي، كما وكانت له اراءه في تأسيس كيان الدولة وانشاء الحكومات، إذ يقول: «ان لتأسيس الحكومات نظاماً مشتم على نبراسه الامم الراقية، فاهتدت الى سبيل النجاح، وكان ذاك عفوا الساعة وبديهة الوقت كما يبدي احدا رأيه. بل هو سجل حقائق محصتها الاراء وقررتها التجارب.. الا ان ذلك النظام قد منع القوضى ومنع الفرد حقّه في مثل مانحن فيه على لسان ممثلي الامة في ندوة التأسيس، ليصان حق الفرد ويتجلى معنى الحكم الذاتي باوضح معانيه» (٥٣)

وكان نواب الموصلي في البرلمان العراقي من ابرز المثقفين الذين كان لهم تأثيرهم الواضح في ذلك البرلمان، ومنهم: خير الدين العمري، والدكتور داوود الجلي، والدكتور عبد الاله حافظ، وارشد العمري وغيرهم، ان خطبهم وتدخلاتهم في مناقشات حامية لقضايا أساسية ومصبية في تاريخ العراق المعاصر، تعبر عن ذهنياتهم واساليب تفكيرهم، اضافة الى واقعيتهم بتحسّسهم مستقبل بلادهم وامّتهم عهد ذاك. يقول الدكتور داوود الجلي في مناقشات وضع الدستور العراقي عام ١٩٢٥: «افتكروا ايها النواب فيها جرى بالامم الاخرى من الثورات الدموية، انكم ربما تكتبون

وقد وصل الموصلي العديد من المثقفين والرجال المختصين العرب ليزاولوا عملهم في التدريسات واعداد المثقفين، ومنهم: انيس زكريا الصولي ودرويش المقدادي وغيرهما الذين ترى على ايديهم جيل عراقي مؤمن بوطنه وقوميته.

من جانب آخر، فان بغداد - كما صامدة جديدة لدولة جديدة - استقطبت «العدد الكبير من المثقفين والادباء والصحافيين العراقيين، فطارت شهرة البعض ممن قدم اليها ثم استوطن فيها. في حين ان من بقي في مدينته - الموصلي - بقي مغموراً رغم مؤهلاته وثقافته العليا ومواقفه الفكرية. ان استحوذ بغداد على الدور الثقافي المؤثر، جاء برفقة التكوين المعاصر، فغدّت لها مركزيتها، وطغت كثيراً على دور الاطراف والحواضر العراقية الاخرى» (٥٤)

خاتمة : المساهمات الفكرية

ان ذلك الجيل من الرواد الموصليين كانوا من البناة الحقيقيين الذين ساهموا مساهمة اصيلة في اثراء الدولة والمجتمع العراقي في ميادين متنوعة كالصحافة والقضاء والتربية والتعليم والسياسة والنيابة والوظائف الحكومية والمناصب العسكرية وغيرها. والى جانب المواقف السياسية التي كرسها العديد من رجال الموصلي بهدف الاستقلال والسيادة الوطنية التي عبّرت عنها التجمعات الوطنية والتظاهرات والاحتجاجات والنضال القومي الذي مارسه رجال امثال: سعيد ثابت وثابت عبد النور ورووف الغلامي ومحمد يونس السبعواوي

مادة بقطرة من الخبر ثم تحتاج الامة في المستقبل لمحوها الى سيل غزير من الدماء»^(٥١). لقد كان الحلبي قد دعا الى ممارسة الحياة الديمقراطية والى صيانة حقوق الفرد عن طريق سن دستور للبلاد^(٥٢).

وهناك الكاتب والصحفي الموصلبي المخضرم يونان عبو اليونان الذي نشر افكاره السياسية على صفحات جريدة «الموصل» وطالب بالمستلزمات الاساسية الكفيلة لعملية بناء الدولة العراقية الحديثة، وخاصة في المراحل الجنينية الاولى من تأسيس الحكم الوطني.. مؤمناً بحجرة الفكر والديمقراطية.. وناقش مفهوم «الدولة» قائلاً: «الدولة او الحكومة هي الجمعية السياسية والادارية الثابتة الاركان والمزودة بسلطة كاملة حرة مستقلة ابتغاء الخير العمومي واستتباب الامن والعدالة بين الاهلين مع مراعاة انظمتهم الداخلية والمحافظة على حقوقهم الخارجية..»^(٥٣). وافرز هذا الكاتب ثلاثة انواع من الدول:

١. الدولة الملوكية ٢. الدولة الارستقراطية ٣. الدولة الديمقراطية. ويختم قوله بـ (مفهوم الدولة المثلى): «اما الدولة المثلى فهي التي تكون موافقة نظرياً وعملياً لاحتياجات الشعب ولاخلاقه وآماله واعلاء شأنه»^(٥٤).

لقد كان يونان عبو اليونان يمتلك رصيداً من الثقافة السياسية التي عالج من خلالها مواضيع كان العراق بحاجة اليها وهو يؤسس كيان دولته الحديثة. وهناك علي الجميل الذي اهتم كثيراً في كتاباته بتحديث المجتمع في اطار الدولة وكان يندد باولئك المشدقين بالوطنية ولايترجمون اقوالهم الى عمل ملموس ويكتفون باطلاق الاحكام لاغير، «وانطلاقاً من طروحاته النظرية.. فقد تطرق الى مسألة (الوطنية)، وعدّ الوطنية مصطلحاً شاملاً يتركز على اللغة والقومية والوطن»^(٥٥). ومن الناحية الاجتماعية «أكد على حاجة المجتمع الى حماية الانتاج الوطني وحماية العملات الوطنية واعتبر البطالة داءً وبيلاً، وأكد على احترام القانون وحاجة

المجتمع الى اصلاح القوانين والاصول الجزائية بما يتفق وتقدم المجتمع في مناشدته لنواب الامة. ودعا الى قيام ثورة زراعية في العراق لتوفر وسائل وعناصر الانتاج، والى نهضة صناعية والى تشجيع التجارة...»^(٥٦).

وعلى مستوى توثيق الاحداث التاريخية المعاصرة، كتب محمد أمين العمري كتابه المهم «تاريخ مقدرات العراق السياسية» بثلاثة مجلدات، ونشره باسم اخيه محمد طاهر آل المصيب العمري ولاسباب تتعلق بعمله العسكري انذاك^(٥٧). وحفظ فيه مجموعة مهمة من التواريخ الاساسية في تكوين الدولة العراقية خلال اخطر مراحلها الاولى مفصلاً وضعية العراق الادارية والاقتصادية والسياسية. واخيراً، يمكننا القول بأن الموصل كان لها دور نبيل وفعّال في تكوين الحكم الوطني وان اسهامات جليلة ومؤثرة كانت لابنائها في تأسيس الدولة العراقية، ورقد ذلك كله بالمزيد من الافكار والآراء والطروحات والمفاهيم. ناهيك عن دورهم في بناء المؤسسات السياسية والدستورية والقضائية والاجهزة الادارية والتعليمية والصحية، فضلاً عن العسكريين ولا بد ان نذكر ان اغلب تلك العناصر من المدنيين والعسكريين كانوا من المخضرمين الذين عاشوا نهايات حياة الدولة العثمانية، فعانوا كثيراً من حدة التحولات السياسية والفكرية وخلال مرحلة انهيار الاقتصاديات العالمية بعد الحرب الاولى.. ولكنهم نجحوا في عملياتهم ومساهماتهم ليس في جعل الموصل لواءاً عراقياً، بل في تكوين العراق المعاصر خلال القرن العشرين.

الهوامش

- (١) من ابرز المصادر التاريخية العراقية هو كتاب محمد امين العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية (المجلدات الثلاثة)، الموصل/ بغداد، ١٩٢٤ - ١٩٢٥، اضافة الى ما نشره: احمد عزت الاعطشي في كتابه: القضية العربية: اسبابها مقدماتها تطوراتها ونتائجها (٦ اجزاء)، بغداد، ١٩١٣ - ١٩٣٤. ولا بد من الاشارة الى كتابات عدد واسع من المؤرخين العراقيين المختصين منهم الدكتور عيسى نظمي وابراهيم خليل أحمد

- ومحمد هليل الجابري وسيّار الجميل..
- (٢) ماسجله عبد النعم الغلامي في كتابه: اسرار الكفاح الوطني في الموصل، بغداد، ١٩٥٨. وانظر حجم ومضمون ماشر من مقالات صحفية على صفحات جرائد الموصل.
- (٣) محمد أمين العمري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٠-١٦١.
- (٤) لوثر، دليل الخليج (القسم التاريخي)، الدوحة، ج ٧، ص ٣٩٤٦.
- (٥) التفاصيل التاريخية والجغرافية في: Col. Chesney, The Expedition for the Survey Rivers Euphrates and Tigris. vol. I, London, 1850.
- (٦) د. ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢ (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٠٦.
- (٧) راجع كتابات لونكريك في كتابه: S.H. Longrigg, Iraq: 1900 - 1950, London, 1953, p. 78.
- (٨) التفاصيل في «المقدّرات...» ١/ ١٤٨.
- (٩) المصدر نفسه، ١/ ١٤٩.
- (١٠) المصدر نفسه، ١/ ١٥٢.
- (١١) المصدر نفسه، ١/ ١٥٥.
- (١٢) المصدر نفسه، ١/ ١٥٩.
- (١٣) ل. ن. كوتوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية، ترجمة عن الروسية: د. عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٧١، ص ٧٠.
- (١٤) د. وفيض جال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط ١، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٧٧ وما بعدها.
- وللتفاصيل عن أحداث الثورة المطلقة من دير الزور الموصل، انظر مآثره على جودت الايوبي في: ذكريات ١٩٠٠-١٩٥٨، بيروت، ١٩٦٧.
- (١٥) راجع تحليلات تاريخية تحمل وجهة النظر البريطانية، كالتى يمثلها فوسر وايرلند والمس بل ولونكريك وريشارد كوك وغيرهم.
- (١٦) انظر مآثره عمري في كتابه حكايات سياسية في تاريخ العراق الحديث، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٢٠-٢٢١.
- وشخصيات عراقية، بغداد، ١٩٥٥، ج ١، ص ١٣-٢١.
- (١٧) انظر: الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، حرره الياهو دنكور ومحمد فهمي درويش (بغداد، ١٩٣٧).
- (١٨) نفلان عن اوراق قديمة رسمية وشبه رسمية بحوزة كاتب البحث.
- (١٩) د. عبد الرحمن البراز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، بغداد، ١٩٦٧، ص ١١٧-١١٩.
- (٢٠) عبد الزق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ١، صيدا، لبنان، ١٩٥٧، ص ١٥٩-١٦٠.
- (٢١) د. عبد الرحمن البراز، المرجع السابق، ص ١١٩.
- (٢٢) المرجع نفسه، ص ١٢٢.
- (٢٣) فيليب ويلارد ايرلند، العراق: دراسة في تطوره السياسي،
- ترجمة: جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩، ص ٥٨.
- (٢٤) وزارة الدفاع العراقية (مديرية التطوير القتالي)، تاريخ القوات العراقية المسلحة، ط ١، بغداد، ١٩٨٦، ج ١، ص ١٥١. وعن طيبة الموقع الاجنابي ل. هادي باشا العمري، انظر: «الشجرة العمري» تخطيط حسن زيور العمري (نسخة بحوزة كاتب البحث).
- (٢٥) تفاصيل تاريخية وياوغرافية تبعها في: Th.E. Lawrence, The Seven Pillars of Wisdom: A Triumph, Harmondsworth. Eng. Penguin, 1969.
- (٢٦) وراجع آراء المس كيرتود بل: Lady G. Bell. The Letters of Gertrude Bell (1914-1926), Vol. 2, London, 1927, p. 602.
- (٢٧) البراز، المرجع السابق، ص ١٢٨.
- (٢٨) المرجع نفسه، ص ١٢٩.
- (٢٩) Lady G. Bell, op. cit., pp. 602-3.
- (٣٠) جريدة الموصل، العدد (٣٨٩)، ٢٢ حزيران ١٩٢١.
- (٣١) المصدر نفسه، ص. ن.
- (٣٢) امين الزعاني، فيصل الاول، ط ٢، بيروت، ١٩٠٨.
- (٣٣) جريدة الموصل، العدد (٤١٣) بتاريخ ٢٤ آب سنة ١٩٢١.
- (٣٤) راجع نصوص الخطابات كاملة في جريدة الموصل، العددان (٤١٦-٤١٧)، بتاريخ ٢١-٢٤ آب سنة ١٩٢١.
- (٣٥) من المقيّد جدا مراجعة «مذكرات الملك فيصل» التي نشرها عدد من الساسة والمؤرخين منهم: علي جودت في ذكرياته (سبق ذكرها) ملحق بنهاية الكتاب.
- (٣٦) انظر: د. ابراهيم خليل احمد ود. جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل، ١٩٨٩، ص ٣٢-٣٣.
- (٣٧) انظر: د. موبس هاكويان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، الموصل، ١٩٤٨، ص ١٣-١٩.
- (٣٨) عبد الزق الحسني، تاريخي الوزارات العراقية، ج ١، ط ٥، بغداد، ١٩٨٧، ص ٧٨.
- (٣٩) كتب التفاصيل د. محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، بغداد، ١٩٦٦.
- (٤٠) انظر كتابه: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ص ١٥٦.
- (٤١) نجد التفاصيل في كتاب علي الجميل، نوابنا في الميزان، ج ١، ورقة ٤٤ (مخطوط بحوزة كاتب البحث).
- (٤٢) انظر: د. مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق (قام مؤلفه بتحريره والتوسع فيه رفقة فيصل نجم الاطريحي)، بغداد، ١٩٤٦، ص ٧١. ايضاً: هنري أ. فوسر، تكوين العراق الحديث، ترجمة: عبد المسيح جويده، بغداد، ١٩٤٥، ص ٣٣٧-٣٤٧.
- (٤٣) علي الجميل، المصدر السابق، ورقة ٥٦/ اوراق ٥٩-٧١.
- (٤٤) المصدر نفسه، اوراق مختلفة.
- (٤٥) عبد الزق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ٣، صيدا/ لبنان، ١٩٥٧، ص ٨٩.
- (٤٦) من ابرز المراجع التاريخية واهمها في دراسة هذه المشكلة الدولية:

كتاب د. فاضل حسين، مشكلة الموصل: دراسة في الدبلوماسية الانكليزية العراقية التركية وفي الرأي العام، بغداد، ١٩٦٧.

(٤٧) د. فاروق العمر، المعاهدات العراقية - البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ - ١٩٤٨، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٤٠ وما بعدها.

(٤٨) مراجعة دقيقة للمقالات التي ديجتها الفئة المثقفة سياسياً في الصحف الوصلية.

(٤٩) د. البراز، المصدر السابق، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٥٠) جريدة الموصل، العدد (٩٢٧) في ٢٥ شباط ١٩٢٥.

(٥١) مراجعات لعدة مقالات نشرتها جريدة «صدى الجمهور» الموصلية للفترة ١٩٢٧ - ١٩٢٩.

(٥٢) د. سيار الجميل، «النخبة العراقية وتكوين الدولة ١٩٢١ - ١٩٤١». آفاق عربية، العدد (١١)، السنة (١٦)، تشرين

الثاني ١٩٩١، ص ٤٦.

(٥٣) جريدة الموصل، العدد (٣٧٧)، ٢٥ أيار سنة ١٩٢١.

(٥٤) د. سيار الجميل، «انتلجنسيا العراق: التكوين... الاستشارة.. السلطة»، مجلة المستقبل العربي، العدد (١٣٩) السنة (١٣) ايلول ١٩٩٠.

(٥٥) جريدة الموصل، العدد (٤١٧)، ٢٥ ايلول ١٩٢١.

(٥٦) جريدة الموصل، العدد (٤٤٦)، ٧ تشرين الثاني ١٩٢١.

(٥٧) جريدة الموصل، العدد (٤٤٦)، ٧ تشرين الثاني ١٩٢١.

(٥٨) جريدة الموصل، العدد (١٣٨)، ٢١ تشرين الاول ١٩٢٠.

(٥٩) ذنون يونس الطائي، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب/ جامعة الموصل، ١٩٩٠، ص ٢٣٦ (نقلا عن مقالاته واوراقه وسخطوطه).

(٦٠) انظر مقدمة تاريخ مقدرات العراق السياسية (سبق ذكره).

المَسَاوِمَاتُ الدَّوْلِيَّةُ حَوْلَ وِلَايَةِ الْمَوْصِلِ

(١٣٣٤ - ١٣٤٤ هـ ١٩١٦ - ١٩٢٦ م)

أ. د. فاضل حسين

النفط ونالت حق استثماره.

وفي ١٩٠٦ انتهت الخزنة الخاصة عقدها مع شركة الأناضول ودخلت في مفاوضات مع جماعة دارسي البريطانية لاستثمار حقول النفط. وفي ١٩٠٩ استؤنفت المفاوضات مع وزارة المالية التركية التي نقل اليها امتياز نفط الموصل من خزنة السلطان الخاصة^(١).

وفي ١٩١٢ حاولت الجماعة الألمانية الحصول على تأييد الحكومة التركية للترتيبات التي اجريت في ١٩٠٤. تعاونت هذه الجماعة الألمانية مع جماعة بريطانية لتكوين شركة بريطانية تسمى بشركة النفط التركية يكون قسم من رؤسائها المانيا وقسم آخر بريطانياً. وفي ١٩ آذار أمضيت اتفاقية، قسم النفط بها بنسبة ٥٠٪ لجماعة دارسي البريطانية و٢٥٪ للبنك الألماني و٢٥٪ لشركة النفط الانكلوسكسونية. ومنح كالوست سركيس كلينكيان (ارمني) تركي الجنسية، ثم تجنس

أعادت الدولة العثمانية تشكيل «ولاية الموصل» سنة ١٨٧٩ فشملت مناطق الموصل وأربيل والسليمانية وكركوك. تلك المناطق صارت تعرف بعد الحرب العالمية الأولى بألوية الموصل وأربيل والسليمانية وكركوك (تشمل الآن محافظات نينوى ودهوك وأربيل والسليمانية والتأميم). وتمثل ولاية الموصل نخوربع مساحة دولة العراق الحديثة ونحو ربع سكانها.

نفط ولاية الموصل:

في سنة ١٨٨٨ أصدر السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) فرماناً حصر به حق منح التفتيش عن النفط وإعطاء الامتيازات لاستثماره في ولاية الموصل حصراً تاماً بمخزنته الخاصة. في ١٩٠٤ حصلت شركة سكك حديد الاناضول، وهي شركة المانية، على عقد من خزنة السلطان الخاصة تعهدت فيه بالقيام بمسح تمهيدي لحقوق

فرنسا حاجزاً بين الامبراطوريتين البريطانية والروسية ، ولذلك وافقت على اعطاء ولاية الموصل الى فرنسا .

بعد ذلك وافق كلمنصورتيس وزراء فرنسا على نقل ولاية الموصل الى منطقة نفوذ بريطانيا على ثلاثة شروط : (١) ان تنال فرنسا حصة من نفط الموصل (٢) ان تؤيد بريطانيا فرنسا تأييداً تاماً ضد اعتراض الولايات المتحدة الاميركية (٣) اذا عمل بنظام الانتداب فيجب ان توضع دمشق وحلب والاسكندرية وبيروت تحت الانتداب الفرنسي . باتفاقية سان رعو (٢٥ نيسان ١٩٢٠) نالت فرنسا حصة المانيا البالغة ٢٥٪ .

معاهدة سيفر:

في ١٠ آب ١٩٢٠ وقع الحلفاء مع تركيا معاهدة سيفر وبها وافقت تركيا على الانتداب البريطاني على العراق وبضمنه ولاية الموصل . لكن تركيا لم تنفذ هذه المعاهدة ولا الحلفاء^(١) .

تركيا الكمالية :

في ١٩١٩ التف الوطنيون الاتراك حول مصطفى كمال ، ثم عقدوا مؤتمراً في سيواس في ١٣ أيلول ١٩١٩ وافق على « الميثاق الوطني » الذي اقره مجلس النواب في استانبول في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٠ . وقد أكد مضمون المادة الاولى من الميثاق الوطني « على اعتبار ولاية الموصل جزءاً من تركيا » .

في مؤتمر مودانيا بين تركيا والحلفاء في ١١ تشرين الأول ١٩٢٢ أصر مصطفى كمال على اعتبار الميثاق الوطني حداً أدنى من لائحة حقوق تركية وطالب باسترجاع الاراضي المفقودة (أي ولاية الموصل) .

في اول تشرين الثاني ١٩٢٢ شرع المجلس الوطني التركي الكبير في انقاره قانوناً اعتبر فيه نفسه صاحب السلطة العليا في البلاد والغى السلطنة^(٢) .

بالجنسية البريطانية) ٥٪ في شركة النفط التركية من دون حق التصويت ، مكافأة لخدماته في الحصول على امتيازات النفط ، وهذه الخمسة بالمئة قدمت بالتساوي من جماعة دارسي ومن الشركة الانكلوسكسونية .

وفي ٢٨ حزيران ١٩١٤ أخبر سعيد حلم باشا (رئيس الوزارة التركية) رسماً السفير البريطاني في استانبول ان وزارة المالية التركية وافقت على إجازة المتابع المكتشفة والتي ستكتشف في ولاية بغداد والموصل . ولكن الحرب العالمية الأولى أجلت إمضاء الاتفاقية النهائية^(٣) .

اتفاقية سايكس - بيكو:

خلال الحرب العالمية الاولى اتفقت بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا على اقتطاع بعض اجزاء الدولة العثمانية . وفي ١٦ ميس ١٩١٦ تم الاتفاق بين وزير خارجية بريطانيا والسفير الفرنسي في لندن على تقسيم العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، وألحقت بالاتفاقية خارطة . وقع الاتفاقية مارك سايكس بالنيابة عن بريطانيا ، وجورج بيكو بالنيابة عن فرنسا فعرفت الاتفاقية بإسمها .

قسمت حصة فرنسا الى قسمين : واحد ازرق والثاني يشار اليه بالحرف A ، وجعلت حصة بريطانيا في قسمين : واحد احمر والثاني يرمز له بالحرف B . في القسمين الأزرق والأحمر تكون الدولتان حرتين في إقامة ادارة خاصة بها . وتكون الادارة في A وB تحت سيادة عربية تعترف بها وتسندھا الدولة المختصة على ان تكون لتلك الدولة الأولوية في المشروعات الاقتصادية وحق الافراد في تزويد الادارة العربية المقبلة بما قد تحتاج اليه من موظفين ومستشارين^(٣) .

بهذه الاتفاقية صارت اكرية ولاية الموصل ضمن حصة فرنسا في منطقة A . وعندما امضيت اتفاقية سايكس - بيكو فكرت بريطانيا في جعل

مشكلة الموصل

معاهدة لوزان :

في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ افتتح مؤتمر في لوزان (سويسرا) من اجل عقد معاهدة صلح جديدة بين الحلفاء وتركيا الكالية لتحل محل معاهدة سيفر. كان من بين مواد جدول اعمال المؤتمر حل مشكلة الموصل.

تبادل كرزن وزير خارجية بريطانيا وعصمت باشا وزير خارجية تركيا وجهات نظرها حول مشكلة الموصل في مذكرات مكتوبة وزعت على وفود الحلفاء وذلك بين ١٤ كانون الاول ١٩٢٢ و ٣١ منه. احتوت تلك المذكرات حجج الطرفين عن اسباب وجوب احتفاظ العراق بها واعطائها الى تركيا لأسباب عنصرية وسياسية وتاريخية وجغرافية واقتصادية وعسكرية.

في ٢٤ تموز ١٩٢٣ وقع الحلفاء وتركيا معاهدة الصلح في لوزان. نصت الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان على ان يعين خط الحدود بين تركيا والعراق بترتيب ودي بين تركيا وبريطانيا خلال تسعة أشهر، وإذا لم يتوصلا الى اتفاق بينها خلال ذلك يرفع النزاع الى مجلس عصبة الامم، وإلى حين التوصل الى قرار بشأن النزاع تتعهد الحكومتان البريطانية والتركية بأن لا تحدث أية حركة عسكرية او غير عسكرية تغير الحالة الراهنة^(١).

احالة مشكلة الموصل الى عصبة الامم :

اتفقت تركيا وبريطانيا على عقد مؤتمر في استانبول في ١٩ مايس ١٩٢٤ لبحث مشكلة الموصل وفقاً للمادة الثالثة من معاهدة لوزان. وقد رأس الوفد التركي فتحي بك رئيس المجلس الوطني الكبير ورأس الوفد البريطاني السير هيرسي كوكس ورافق الوفد البريطاني طه الهاشمي رئيس اركان الجيش العراقي مستشاراً. كرر فتحي بك الحجج التركية العنصرية والجغرافية والعسكرية

للاحتفاظ بولاية الموصل، وبين أهمية استفتاء الاهلين لأجل معرفة رغبات سكان الولاية واكد الحاجة الى سلام دائم بين الطرفين. وأثار كوكس مشكلة مستقبل الآثوريين لاعادة اسكانهم في مواطنهم السابقة في تركيا تحت الحماية البريطانية وطلب بانضمام المنطقة الآثورية الى العراق. اجاب فتحي بك ان المسيحيين لايزالون يجدون في تركيا السكنية والرافاهية، وقال ان الجمهورية التركية مؤلفة في الغالب من اترك واكرد وهم في رأيه من جنس ودم واحد، وقال ان هناك بعض النواب الاكراد من ولاية الموصل في المجلس الوطني التركي الكبير، ورفض مطالب بريطانيا بشأن الآثوريين. ولذلك انتهى مؤتمر استانبول الى الفشل.

ثم كتب رئيس الوزارة البريطانية ووزير خارجيتها الى السكرتير العام لعصبة الامم في ٢١ مايس ١٩٢٤ طالباً ادخال مادة(العراق)في جدول اعمال مجلس العصبة المقبل.

في العراق ابرم المجلس التأسيسي العراقي المعاهدة العراقية- البريطانية لسنة ١٩٢٢ بشرط ان تحافظ الحكومة البريطانية على حقوق العراق في ولاية الموصل بأجمعها^(٢).

تأليف لجنة التحقيق الدولية :

في ٣٠ أيلول ١٩٢٤ وافق مجلس عصبة الامم بالاجماع على تعيين لجنة تحقيق من ثلاثة اعضاء لتقدم للمجلس كل المعلومات والاقتراحات التي قد تراها تساعد في الوصول الى قرار، وللجنة ان تشرع بالتحقيق في منطقة ولاية الموصل نفسها. وفي ٣١ تشرين الاول اذيع ان اللجنة ألفت من الكونت پول تلكبي الجغرافي المعروف ورئيس وزراء المجر سابقاً و.آي. آف. فرسن وزير السويد المفوض في بخارست وأ. بولس عقيد متقاعد من الجيش البلجيكي.

خط بروكسل :

تردى الوضع على خط الحدود بين تركيا والعراق فمقد مجلس عصبة الامم اجتماعاً طارئاً في بروكسل عاصمة بلجيكا في ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٤ ، وافق الطرفان فيه على خط حدود مؤقت يمثل الحد الأقصى لكل طرف يسمح له باحتلاله ، ثم وافق مجلس العصبة بالاجماع على ذلك الحد الذي صار يعرف بخط بروكسل^(٨) .

تقرير لجنة التحقيق :

اجتمع اعضاء اللجنة في جنيف مقر عصبة الامم يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٤ ، وانتخب اي. اف. فرسن رئيساً . وقد خصصت للجنة بضعة أيام للتعرف على الوثائق التي اعدتها سكرتارية عصبة الامم التي تخص خط الحدود بين تركيا والعراق ، فدرست محاضر جلسات مؤتمر لوزان ومجلس العصبة ومذكرات الحكومتين البريطانية والتركية . زارت اللجنة لندن وانقره قبل سفرها الى بغداد .

عينت الحكومة البريطانية آر. ايف. جارون مساعداً للجنة ورافقه صبيح نشأت الوزير العراقي السابق للمواصلات والاشغال ممثلاً للحكومة العراقية . وعينت الحكومة التركية الجنرال جواد باشا مفتش الجيش العام في منطقة ديار بكر مساعداً للجنة ورافقه كامل بك وناظم بك وفتح بك خبراء .

وصلت اللجنة الى بغداد يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٢٥ فدرست العلاقات الاقتصادية بين ولايتي بغداد والموصل . وقدم الملك فيصل الى اللجنة مذكرة مكتوبة ذكر فيها الاتفاق المرتقب حول استغلال حقول النفط ، وذكر ان تجريد العراق من حدوده الطبيعية ضربة مميتة لمستقبله وان الرأسمال الاجنبي لن يأتي الى العراق اذا تعرض لأخطار الفوضى والغزو .

زارت اللجنة في بغداد عدداً من الوزارات والكلية العسكرية والمستشفيات ومعاهد التعليم ،

وقابلت شخصيات بارزة ومثلي الطبقات والطوائف ، وتفقدت الأسواق ومخازن الحبوب والاشخاب ، ودرست احصائيات الكارك وتقارير القناصل في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى^(٩) .

تحقيقات اللجنة في ولاية الموصل :

وصلت اللجنة الى مدينة الموصل يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ . إذ تمكن اعضاء اللجنة ، وهم متنكرون ، ان يكونوا فكرة عامة عن آراء الناس ، وزاروا بعض الاشخاص من ذوي الخبرة والمعرفة في مدينة الموصل . قابلوا واستوضحوا السلطات المحلية واللجان السياسية والجمعيات المهنية وجميع طبقات الناس .

ثم قررت اللجنة ان تجري تحقيقاتها في الاقسام البعيدة من ولاية الموصل في آن واحد من قبل لجان فرعية . بقي فرسن في الموصل مع جواد باشا وجارون لأجل الاستمرار بالتحقيق في ضواحي مدينة الموصل .

واجري تلكتي تحقيقه في لواء اربيل يصحبه ناظم بك وليوز الضابط السياسي البريطاني وكريمز مترجم اللجنة . واجري بولس تحقيقاته في لواء كركوك يصحبه صبيح نشأت وكامل بك . بعد ذلك اجتمع اعضاء اللجنة والمساعدان في كركوك وتوجهوا الى السليمانية .

عادت اللجنة الى الموصل يوم ٨ آذار ١٩٢٥ ، وفيها تابعت تحقيقها ، ثم سافرت الى زاخو والمادية ودهوك للفرس ذاته . ولم يقتصر غرضها على النواحي السياسية بل درست نفسية الناس ومشكلاتهم الاقتصادية والتجارية ، ودرست القضايا العنصرية والجيولوجية ، وجمعت المعلومات عن وسائل المواصلات والمرافق الزراعية . في نهاية آذار رجعت اللجنة الى مدينة الموصل وقضت بضعة أيام في تنسيق المعلومات التي جمعها . ثم سافرت الى جنيف . وفي ٢٠ نيسان بدأت بكتابة تقريرها^(١٠) .

اساليب العمل :

كانت تركيا منذ مؤتمر لوزان حتى تعيين اللجنة قد أصرت على الاستفتاء كأحسن وسيلة ، في حين فضلت بريطانيا تأليف لجنة لجمع المعلومات الضرورية .

خلاصة التقرير :

الحجج الجغرافية :

تبلغ مساحة الاراضي المتنازع عليها جنوبي خط بروكسل نحو ٨٧٨٩٠ كيلو متراً مربعاً ، وتبلغ نفوسها نحو ٨٠٠,٠٠٠ نسمة . ولذا لم يكن النزاع حول تعيين خط حدود بل تقرير مصير منطقة واسعة وعدد كبير من السكان . ان خط الحدود الشمالي الذي طالبت به الحكومة البريطانية (جيد جداً) من الوجهة الطبوغرافية ، ولكن خط بروكسل (مناسب) لتحديد الحدود مثل الخط المذكور . اما الخط الجنوبي الذي طالبت به الحكومة التركية فهو (جيد) في قسمه الغربي ولكنه (غير جيد) في القسم الشرقي . وفي داخل الولاية يمكن استعمال دجلة والزاب الكبير والزاب الصغير وديالى كحدود جغرافية .

تؤلف الاراضي المتنازع عليها وحدة قائمة بذاتها فهي محاطة بمحدود طبيعية من اكثر جهاتها ، وهي منطقة انتقال بين الصحراء المنبسطة الجافة والجبال الكروية التي تتلقى كمية اكبر من الامطار وبين المنطقة الغربية (سوريا وارمينيا) والمنطقة الجنوبية الشرقية (العراق ولورستان في ايران) . وللقسم الشمالي الذي مركزه الموصل خصائص مشابهة لخصائص نصيبين وماردين وديار بكر وأرقة ، بينما يرتبط القسم الجنوبي بالعراق ولورستان .

ان افضل خط لتقسيم الولاية هو الزاب الصغير . إذ ان أحد مظاهر الوحدة في الاراضي المتنازع عليها هو التقاء جميع الطرق في الموصل ، ولاسيما في القسم الشمالي ، وهذه الوحدة الاقتصادية قررت تاريخ الولاية .

وعن الآتوريين قالت اللجنة انه ليس من العدل فصل اراض من تركيا لاسكان الآتوريين الذين حملوا السلاح ضد سلطاتهم .

وعن الناحية القانونية قالت اللجنة ان تركيا ظلت تحتفظ بسيادتها على ولاية الموصل مادامت لم تتنازل عن حقوقها . ولكن يحق للعراق ادعاء ان تكون له حدود تسمح له بالبقاء السياسي والاقتصادي . وقالت اللجنة ان وضع العراق الداخلي غير مستقر لأنه تعوزه الخبرة السياسية ولوجود الفروق بين سكانه ، ولذلك قالت بوجود استمرار الانتداب بشكل المعاهدة العراقية - البريطانية القائمة لمدة خمس وعشرين سنة ، وإذا لم يمدد الانتداب بعد انتهاء معاهدة ١٩٢٢ فإنه من الافضل ان تعطى ولاية الموصل الى تركيا وهي اكثر استقراراً من العراق بدون انتداب بكثير . ويلاحظ أن توصيات اللجنة هنا ، بقصد أو بغير قصد ، قد أخذت بنظر الاعتبار مصلحة بريطانيا كدولة متتدبة على العراق .

وقالت اللجنة انه ربما كانت عواطف سكان ولاية الموصل لحدما الى جانب العراق ، وبعضهم فضلو العراق لأسباب اقتصادية وللاحتفاظ بالمساعدة الأجنبية عن طريق الانتداب^(١١) .

نتائج اللجنة النهائية :

إذا اخذت مصالح الاهلين بنظر الاعتبار فاللجنة تعتقد انه من المفيد لحد ما تقسيم ولاية الموصل ، وارتأت ان الحجج المهمة ولاسيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف اكثرية السكان تميل الى تأييد ضم جميع الاراضي الواقعة جنوبي خط بروكسل الى العراق بشرطين : الأول أن تبقى هذه الاراضي تحت الانتداب الفعال لمدة خمس وعشرين سنة ، والثاني ان تؤخذ بنظر الاعتبار رغبات الاكراد بتعيين موظفين اكراد في المحاكم والمدارس وبأن تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية فيها .

سنة ان الرقم مجرد تقديري ولايستطيع احد ان يقترح مقدماً وبدقة الفترة اللازمة لتطوير دولة من الدول ، وان الحكومة البريطانية لاتزال متمسك بسياستها الملنة في استعمال وساطتها لضمان قبول العراق في عضوية عصبة الامم بأسرع مايمكن ، وقال انه عن هذا الأمر تتكلم الحكومة البريطانية بالنيابة عن الحكومة العراقية والبرلمان العراقي . وعن الاهتمام برغبات الاكراد في العراق قال ممثل بريطانيا ان حكومته تؤكد أن النظام الحاضر الذي يحقق توصيات اللجنة الى حد كبير سيستمر ويزداد أثره . وعارض ممثل بريطانيا اقتراح اللجنة بتقسيم الاراضي المتنازع عنها ، وقال ان تجربة العراق تهدد استقراره وكرر رأي الحكومة البريطانية « بأن المشكلة هي تعيين خط الحدود بين تركيا والعراق لا مستقبل ولاية الموصل » .

الحجج العنصرية :

يسكن ولاية الموصل عناصر واجناس قومية (اكراد وعرب واتراك) ودينية (مسيحيون ويزيديون ويهود) مرتبين حسب اهميتهم العددية . يؤلف الاكراد اكثرية سكان الولاية وهم ليسوا تركاً ولا عرباً ويتكلمون « لغة آرية » . اتراك ولاية الموصل من جنس اتراك تركيا . ان الجماعات الوحيدة المتماسكة التي تسكن مناطق واسعة هم الاكراد والعرب . اذ يبلغ عدد الاكراد في الاراضي المتنازع عليها نحو ٥٠٠,٠٠٠ نسمة ، ولكن هذا العدد يشكل نسبة ضئيلة بالنسبة لنفوس العراق . وبسبب اختلاط الاجناس استتجت اللجنة انه في تحديد الحدود لا يمكن اخذ القضايا العنصرية المحضة بنظر الاعتبار .

الحجج التاريخية :

لعب الاتراك دوراً راجحاً في تاريخ الولاية . وقالت اللجنة انه على الرغم من انها متأكدة « ان العرب او الايرانيين او الاتراك او المغول لم يكونوا اسياد الموصل بصورة مستمرة » فانها واثقة من ان

واعربت اللجنة عن اقتناعها بأنه لو انتهى انتداب العصبة مع انتهاء المعاهدة العراقية - البريطانية وإذا لم يعط الاكراد بعض ضمانات ادارية محلية فان اكثرهم « يفضلون الحكم التركي على الحكم العربي » . وقالت اذا لم يحتفظ بالانتداب فستظهر صعوبات سياسية خطيرة ، وفي تلك الحالة توصي اللجنة باعطاء الولاية الى تركيا . وقالت اللجنة انه اذا قرر مجلس عصبة الامم تقسيم الاراضي المتنازع عليها فانها تعتقد ان افضل خط هو الذي يمتد مع الزاب الصغير تقريباً . وفي توصية خاصة قالت اللجنة اذا رجعت الولاية الى تركيا فيجب عقد اتفاقيات اقتصادية بين العراق وتركيا لكي يستفيد من قدرة الولاية على انتاج الاطعمة . واذا اعطيت الولاية الى العراق فيجب اعطاء سكانها حرية تامة بالتجارة مع تركيا وسوريا . ويجب عقد اتفاقيات مماثلة اذا قسمت الولاية بين العراق وتركيا (١٢) .

قرار مجلس عصبة الأمم عن مشكلة الموصل :

في ١٩٢٥ قامت حركة كردية في المنطقة الواقعة بين بتليس وديار بكر شمالي خط بروكسل . ثم وقعت بعد ذلك حوادث على حدود البلدين تركيا والعراق . فعين مجلس عصبة الامم ممثلاً عن عصبة الامم يذهب الى منطقة الحدود ليخبر المجلس عن حوادث المستقبل وهو الجنرال ليدورن الاستوني . في ٣ ايلول ١٩٢٥ اجتمع مجلس العصبة لدراسة تقرير لجنة التحقيق الدولية . قال مندوب بريطانيا ان لجنة التحقيق سجلت رأياً باعتبار المنطقة المتنازع عليها تركية قانوناً الى ان تنازل تركيا عن حقوقها فيها . ولكنه قال ان الحكومة التركية وافقت مقدماً في المادة الثالثة من معاهدة لوزان وبالتصريح الرسمي الذي ادلى به ممثلها امام المجلس على التنازل عن سيادتها على كل المنطقة جنوبي الخط الذي يقرره المجلس كخط حدود . وقال عن المدة التي اقترحتها اللجنة التي يحتاج فيها العراق مساعدة واستشارة خارجية اي خمس وعشرين

تؤلف خطأ عسكرياً ممتازاً كما برهنت الحرب العالمية الاولى ، ولكن قيمة القسم الثاني ضعيفة .

الحجج السياسية :

قالت اللجنة ان تحقيقاتها كشفت عن وجود «ضعف في المشاعر الوطنية العراقية» في ولاية الموصل وقتئذٍ باستثناء ما عند بعض العرب المثقفين . ووجدت اللجنة نحو الشعور القومي الكردي واضحاً عند الاكراد . ووجدت الشعور القومي بارزاً نوعاً ما بين اتركاء ولاية الموصل . ووجدت اللجنة ان الآراء المؤيدة للعراق كانت مبنية في بعضها على المصالح الفردية أو على مصالح الجماعات وليست على الوطنية المشتركة ، كما وجدت ان تأكيدات الحكومة التركية بأن اكرثية سكان منطقة السليمانية ترغب فعلاً بالرجوع الى تركيا غير صحيحة . ووجدت بين الاتركاء من يميل الى العراق . ولهذا جاء استنتاج اللجنة في حينه «ان القومية واللغة لاتصلحان دوماً دليلاً موثقاً على الآراء السياسية» .

ثم تكلم مندوب تركيا عن تقرير اللجنة فقسمه الى ثلاثة اقسام : ١- الحقائق التي لاحظتها اللجنة ٢- وضع الولاية القانوني ٣- النتائج . وزعم ان الاعتبارات الجغرافية والتاريخية والعسكرية والاقتصادية «هي في صالح تركيا» ولا يمكن ان تكون عوامل حاسمة ، لكن الاعتبارات السياسية ورغبات السكان ووضع الولاية القانوني وعدم استقرار السياسة الداخلية للعراق واختلاف العادات والتقاليد السياسية والدينية بين الاكراد والأتراك والعرب في الشمال واكرثية العرب في الجنوب هي امور مهمة في الدرجة الاولى . كما زعم ان وضع ولاية الموصل تحت الحكم البريطاني يجعل سلامة تركيا مهددة ، واذا اعطيت ولاية الموصل الى تركيا فيؤدي هذا الحل الى الاستقرار . وأشار مغالطاً أن التقرير اظهر مبلغ رغبة السكان في البقاء تحت السيادة التركية . اضافة الى مزاعم اخرى منها ان الاكراد موجودون في تركيا وايران فقط وليس ثمة منهم احد في العراق . واكد ان تركيا ترغب بالسلام

الموصل كانت تحت سيطرة السلاطين العثمانيين خلال اربعة القرون الماضية ، ولكن هذه السيطرة لم تكن دوماً فعالة ولا شاملة لكل الولاية . وقد شاركت ماردين والجزيرة وديار بكر بغداد في تاريخها ولذلك فان اي خط يقترح سيكسر السلسلة التاريخية . ومعنى آخر أن الولاية مرتبطة تاريخياً بالعراق . كما أن اللجنة هنا على ما يبدو لم تكن دقيقة حينما خلطت بين العرب - لاسبيا الذين استقروا في المنطقة منذ الفتح العربي الاسلامي - وبين الاقوام الاخرى المذكورة ، والتي غالباً ما جاءت الى المنطقة متخذة شكل الغزو أو التوسع أو الاعتداء فيما بعد .

الحجج الاقتصادية :

قالت اللجنة انه من وجهة النظر الاقتصادية الصرفة ان افضل تسوية لولاية الموصل هي الحاقها بالعراق ، ومن الخطأ فصل الموصل عن الاراضي المرتبطة بها اقتصادياً ، ولكن اذا اقتضت الضرورة فلا مانع من فصل أفضية زاخو والعادية وربما دهوك ، ومن الصعب فصل كركوك وكفري والسليمانية من بغداد ، واذا فصلت فن الضروري جداً عقد اتفاقية اقتصادية مع بغداد .

واذا كان من المرغوب فيه تقسيم ولاية الموصل لأسباب اخرى غير اقتصادية فان التسوية المقبولة اقتصادياً هي ان يرسم خط الحدود شمالي الزاب الصغير تاركاً كويسنجق وطاق وراق في العراق . وعلى كل حال يجب ترك منطقة دبالى في العراق .

الحجج العسكرية :

قالت اللجنة ان الخط الذي اقترحتة الحكومة البريطانية شمالي خط بروكسل خط عسكري ممتاز ، اعترف بأن لخط بروكسل مزايا الخط المقترح نفسها تقريباً . وقالت اللجنة ان الخط الذي اقترحتة الحكومة التركية ينقسم الى قسمين : الأول يمتد في الصحراء غربي نهر دجلة ، والثاني يمتد بين نهر دجلة والحدود الايرانية ، وقالت ان الصحراء

الدائم، وقال ان الحكومة التركية تعتقد ان مبادئ السياسة الدولية الحديثة المستوحاة من مبدأ العدالة والاحترام المتبادل للحقوق بين الدول يجب ان تنزهه عن الطابع البغيض للسياسة الدولية القديمة. وأكد أن اللجنة أوصت بعدم تقسيم الولاية، وذكر أن الحكومة التركية لم تعترف بالانتداب البريطاني على العراق. وطلب من مجلس العصبة ان يدرس الناحية السياسية والقانونية منفصلة عن قضية الانتداب.

وقال المندوب البريطاني ان المندوب التركي اكد التشابه التام بين الاكرد والأتراك، في حين ذكرت اللجنة ان الاكرد جنس يختلف عن الأتراك والعرب، وانه لاساس لادعاء الأتراك بأن سكان الولاية بطلابون مطالبة شديدة بعودتهم الى تركيا. ورجا المجلس ان يقرر ما اذا كانت «الثورة الكردية» في تركيا تشجع الاكرد خارج تركيا على الرغبة في الخضوع للحكم التركي. وقر المندوب البريطاني بأن الاراضي المتنازع عليها تابعة للسيادة التركية بالمعنى الفني الخاص للفقه الدولي فقط، ولكن مايقره المجلس يصبح السيادة القانونية^(١٣).

الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية الدائمة :

اقترح مقرر مجلس عصبة الامم ان يعين المجلس لجنة فرعية لدراسة المشكلة وتقديم تقرير عنها. وفي وقت لاحق قال المقرر ان لجنة المجلس درست بعض المسائل الأولية منها اثنتان مهمتان : (١) ماصفة القرار الذي يصدره المجلس بموجب الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان : هل هو قرار تحكيمي ام توصية ام توسط بسيط ؟ (٢) أيجب ان يكون القرار اجامياً ام يجوز أن يؤخذ بالأكثرية، أيجوز لممثلي الطرفين المتنازعين ان يشتركا بالتصويت ؟ أقررت اللجنة على المجلس تقديم السؤلين الى محكمة العدل الدولية الدائمة لأخذ رأيها الاستشاري.

وقال المندوب البريطاني ان قرار مجلس العصبة

سيكون قراراً تحكيمياً ملزماً للطرفين وليس بتوصية ولا بتوسط. وقال مندوب تركيا ان قرار مجلس العصبة الذي تمثل فيه تركيا سيكون اجامياً. وقال ان رأي المحكمة الاستشاري لا يمكن ان يؤثر بحقوق تركيا بموجب معاهدة لوزان، وان المجلس الوطني التركي الكبير غير ملزم بأي عهد عدا القوانين التي ابرمها.

في ٢١ تشرين الثاني أصدرت محكمة العدل الدولية الدائمة رأياً. قالت فيه ان القرار الذي يصدره مجلس عصبة الامم بموجب الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان ملزم للطرفين المتعينين ويكون تعديداً باتاً لخط الحدود بين تركيا والعراق، وقالت ثانياً بوجود اخذ القرار بتصويت اجاعي ويشترك الطرفان المتنازعان بالتصويت ولكن صوتها لا يحسبان لغرض الاجماع.

وفي ٨ كانون الأول ١٩٢٥ اجتمع مجلس العصبة لمناقشة رأي المحكمة الاستشاري فأكد مندوب بريطانيا قبول حكومته لقرار المجلس. وقرر مندوب تركيا ان حكومته غير ملزمة برأي المحكمة الاستشاري. ثم وافق مجلس العصبة بالاجماع على رأي المحكمة الاستشاري ماعدا المندوب التركي.

وفي ١٠ كانون الأول ١٩٢٥ سمع مجلس العصبة تقرير الجنرال يوهان ليدونر عن الوضع على الحدود بين تركيا والعراق.

قرار مجلس العصبة التحكيمي :

في ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ اجتمع مجلس العصبة. قال مقرر لجنة مجلس العصبة ان هناك حلين ممكنين : (١) الحاق كل المنطقة جنوبي خط بروكسل بالعراق (٢) تقسيم المنطقة المتنازع عليها بخط يمتد في الغالب مع مجرى نهر الزاب الصغير. وقد استشار اعضاء اللجنة زملاءهم فظهر لها ان الحل الأول أفضل.

وطلب مقرر لجنة المجلس استمرار النظام المتفق عليه في معاهدة التحالف بين بريطانيا والعراق لسنة

العراق الى رئيس وزراء بريطانيا يخبره ان العراق مستعد للمفاوضات من اجل عقد المعاهدة الجديدة المقترحة. ولذلك اعدت الحكومة البريطانية مشروع المعاهدة وارسلته الى المندوب السامي البريطاني في العراق لكي يحيله الى الحكومة العراقية.

المعاهدة العراقية- البريطانية لسنة ١٩٢٦ :

نصت المادة الاولى من المعاهدة على ان معاهدة التحالف العراقية- البريطانية لسنة ١٩٢٢ تبقى نافذة لمدة خمس وعشرين سنة ابتداء من ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ مالم يصبح العراق قبل انتهاء هذه المدة عضواً في عصبة الامم، وتبقى الاتفاقيات الملحقة بمعاهدة التحالف نافذة للمدة نفسها. ونصت المادة الثانية على ان يدرس الطرفان المتعاقدان تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية. ونصت المادة الثالثة على انه عند انتهاء معاهدة التحالف بموجب بروتوكول ٣٠ نيسان ١٩٢٣ (أي في ٥ آب ١٩٢٨) وفي فترات اربع السنوات التالية حتى تنتهي مدة الخمس والعشرين سنة أو حتى دخول العراق في عصبة الامم ستأخذ الحكومة البريطانية بنظر الاعتبار مسألتين : (١) ما اذا كان من الممكن لبريطانيا ان تلح في قبول العراق في عصبة الامم (٢) واذا كان ذلك غير ممكن ما اذا كان من الواجب تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية بسبب تقدم العراق او لأي سبب آخر.

رفض المندوب السامي البريطاني طلب العراق تعديل مدة الاتفاقيات الملحقة بالمعاهدة وكتب الى الملك فيصل انه يوجد مجالان للاختيار فقط : اما قبول العراق للمعاهدة كما كتبها الحكومة البريطانية واما تسليم ولاية الموصل الى تركيا ، ولذلك قبلت الحكومة العراقية المعاهدة. في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٦ وافق مجلس النواب العراقي على المعاهدة ، وفي اليوم التالي وافق مجلس الاعيان عليها. ووافق البرلمان البريطاني عليها في ١٨ شباط ١٩٢٦ . وفي

١٩٢٢ لمدة خمس وعشرين سنة ، ولتحقيق هذه الغاية يجب عقد معاهدة جديدة بين الحكومتين البريطانية والعراقية. وسألت اللجنة المندوب البريطاني عن الوقت الذي تحتاجه حكومته لتقديم المعاهدة الجديدة الى مجلس العصبة فأجاب : خلال ستة اشهر.

ووافق المجلس على توصيات لجنة التحقيق الدولية بمنح الاكراد بعض الضمانات بالادارة المحلية. واقرحت اللجنة على المجلس ان يوافق على قرار ذي اربع مواد :

١- يجب اتخاذ خط بروكسل خط حدود بين تركيا والعراق.

٢- يجب دعوة الحكومة البريطانية لتقدم للمجلس معاهدة جديدة مع العراق تضمن استمرار نظام الانتخاب لمدة خمس وعشرين سنة كما هو محدد بمعاهدة التحالف المفقودة بين بريطانيا والعراق ، مالم يقبل العراق الى العصبة قبل انتهاء هذه المدة. وحلما يخبر المجلس خلال ستة اشهر ابتداء من ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ بتنفيذ هذا الشرط ، على المجلس أن يعلق ان قراره أصبح نهائياً.

٣- يجب دعوة الحكومة البريطانية لأن تقدم الى المجلس التدابير الادارية لتأمين الضمانات للاكراد.

٤- يجب دعوة الحكومة البريطانية لأن تطبق توصيات لجنة التحقيق الدولية الخاصة.

وافق مجلس عصبة الامم على اقتراح لجنة المجلس بالاجماع. وقرأ وزير الخارجية البريطانية بياناً باسم الحكومة البريطانية جاء فيه ان الحكومة البريطانية الآن مستعدة لبحث اي اقتراح تقدم به الحكومة التركية يتفق مع واجب بريطانيا كدولة منتدبة على العراق^(١١).

التسوية النهائية لمشكلة الموصل :

بعد اذاعة قرار مجلس العصبة ابرق رئيس وزراء

٢ آذار أرسلت الحكومة البريطانية رسالة الى سكرتير عصبة الامم العام تقدم فيها المعاهدة العراقية - البريطانية لسنة ١٩٢٦ الى مجلس العصبة ورجته ان يعلن ان المادة الثانية من قراره المؤرخ في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ اصبحت نهائية .

وقالت الحكومة العراقية ان نسبة عالية من الاكراد مستخدمون في وزارات العراق المالية والداخلية والعدل في المناطق الكردية وغير الكردية ، ونسبة عالية مماثلة من الاكراد مستخدمون في المصالح المختلفة . وللأكراد نصيب كامل في الحكومة المركزية أي عضوان من مجموع عشرين عضواً في مجلس الاعيان واربعة عشر نائباً من مجموع ثمانية وثمانين ووزيران في الوزارة . وثمة نسبة عالية جداً من الاكراد في الشرطة والجيش . وقالت انه يوجد خمس وعشرون مدرسة في المناطق الكردية ، خمس منها مسيحية ، وتستعمل اللغة الكردية في ست عشرة مدرسة ، وتستعمل اللغتان العربية والكلدانية في خمس مدارس ، وتستعمل العربية في اربع ، إن الاكثرية الساحقة من المعلمين اكراد ، وهناك عدد كبير من المعلمين الاكراد في المدارس غير الكردية . وقد كان في السلطانية منذ بضع سنوات جريدة كردية ، وفي بغداد تنشر جريدتان كرديتان .

في ١١ آذار ١٩٢٦ وافق مجلس العصبة على قرار ينص على ان المجلس يعتبر المعاهدة العراقية - البريطانية لسنة ١٩٢٦ كافية لاستمرار نظام الانتداب لمدة خمس وعشرين سنة . وارسل المجلس الى لجنة الانتدابات الدائمة المذكورة البريطانية المتعلقة بادارة المناطق الكردية في العراق (١٥) .

مفاوضات مباشرة بين بريطانيا وتركيا :

في ٢٥ كانون الأول ١٩٢٥ قرر المجلس العسكري التركي الاعلى برئاسة مصطفى كمال عدم محاولة ضم ولاية الموصل بالقوة الى تركيا . وكانت الحكومة البريطانية مستعدة للمساومة ولتعويض

تركيا بطريقة ما . وقررت ان يذهب السفير البريطاني في تركيا من استانبول الى انقرة لتبادل وجهات النظر مع الزعماء الاثراك . وحاولت تركيا من جهتها ان تسام . وهدد البريطانيون تركيا بصورة غير مباشرة ولوحوا بتدخل ايطاليا واليونان وحتى بلغاريا لتحقيق اطاعها في الاناضول . وفي الوقت نفسه حاول البريطانيون اغراء تركيا فعرضوا عليها قرصاً بمبلغ عشرين مليون جنيه مع تخفيض كبير في الدين العثماني ، ولكن الحكومة التركية رفضت العرض .

لم تستطع تركيا تحدي عصبة الامم وبريطانيا الى الملائمة . فدارت مفاوضات بين السفير البريطاني في تركيا ووزير الخارجية التركية ونجحت ، وبها وافقت تركيا على الاعتراف بضم ولاية الموصل الى العراق مقابل احداث تعديل بسيط في خط الحدود وحصة من نفط الموصل .

المعاهدة العراقية - البريطانية - التركية لسنة ١٩٢٦ :

في ١١ مايس ١٩٢٦ ارسل المندوب السامي البريطاني في العراق كتاباً الى رئيس الوزراء العراقي عن المفاوضات التي دارت بين بريطانيا وتركيا ووافق بمشروع معاهدة تعقد بين بريطانيا وتركيا والعراق . وقد وافق العراق على تلك المعاهدة وامضيت في انقرة يوم ٥ حزيران ١٩٢٦ .

قال الفقهاء المتعاقدون ان المعاهدة عقدت وفقاً لمعاهدة لوزان ولأجل تسوية الحدود بين تركيا والعراق ، وفيها اعترفت تركيا باستقلال العراق وبالعلاقات الخاصة مع بريطانيا .

نصت المادة الاولى من المعاهدة على ان خط الحدود بين تركيا والعراق قد عين بصورة نهائية بخط بروكسل . ونصت المادة الرابعة على ان جنسية سكان الاراضي التي اعطيت للعراق تنظم بالمواد ٣٠ - ٣٦ من معاهدة لوزان ، ويمكن استعمال حق الخيار لمدة اثني عشر شهراً ابتداء من دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ ، ولكن تحتفظ تركيا بحرية

انه تكني الاكثرية البسيطة في التصويت لاصدار قرار المحكمين ، ولا يجوز اشتراك اطراف النزاع بالتصويت لأنه لا يجوز لتقاضى ان يكون قاضياً في قضيته الخاصة^(١٦) .

الرأي العام العراقي ومشكلة الموصل :

لم يقتصر بحث مشكلة الموصل على مجلس العصبة وبمكة العدل الدولية الدائمة والهيئات الرسمية الاخرى بل بحثتها ايضاً جماعات كثيرة من الناس في كثير من الاقطار.

خشي العراقيون من انهم يدفعون ثمناً غالياً لولاية الموصل . وفي ١١ و ١٨ تشرين الأول ١٩٢٣ نشرت جريدة الأمل لصاحبها الشاعر معروف الرصافي مقالين عن مشكلة الموصل هاجمت فيها مطامع الاتراك في ولاية الموصل . وذكرت جريدة الموصل في ١٠ مايس ١٩٢٤ ان تركيا بحاجة الى الرأسمال الاجنبي فقامت بمناورات من اجل التوصل الى اتفاق اقتصادي مع بريطانيا^(١٧) .

في المجلس التأسيسي العراقي قدمت المعارضة مشروع قرار بالموافقة على معاهدة التحالف العراقية - البريطانية مع تحفظات منها ان تعطى بريطانيا ضماناً بالدفاع عن حقوق العراق في ولاية الموصل جميعها ، وقدم مؤيدو الحكومة مشروع قرار بقبول المعاهدة مع تحفظات منها ان تصبح معاهدة التحالف واتفاقياتها لاغية لا حكم لها اذا لم تحافظ حكومة بريطانيا على حقوق العراق في ولاية الموصل جميعها^(١٨) .

في ١٦ حزيران ١٩٢٤ نشرت جريدة الموصل مقالة ذكرت فيها الناس عن الأيام الأخيرة للحكومة التركية في الموصل من مآسٍ ووباء ومجاعة وسجون .

وفي ١٨ كانون الأول ١٩٢٤ أعلن الملك فيصل في مدينة الموصل ان ولاية الموصل جزء لا يتجزأ من العراق^(١٩) .

في اول أيلول ١٩٢٤ أُلِف حزب الاستقلال

العمل في الاعتراف بخيار السكان الذين قد يختارون الجنسية التركية . (وكانت المادة الثلاثون من معاهدة لوزان قد نصت على ان المواطنين العثمانيين الساكنين في الاراضي التي فصلت عن تركيا يصبحون مواطنين للدولة التي نقلت اليها تلك الاراضي . اما المواد ٣١ - ٣٦ فقد نظمت حق الخيار ونقل الاقامة) .

ونصت المادة الرابعة عشرة على ان تدفع الحكومة العراقية الى الحكومة التركية لمدة خمس وعشرين سنة ابتداء من تنفيذ المعاهدة عشرة بالمئة من كل عائداتها من : (١) شركة النفط التركية (٢) الشركات او الاشخاص الذين قد يستغلون النفط عملاً بأحكام امتياز شركة النفط التركية (٣) الشركات الفرعية التي قد تؤلف عملاً بأحكام الامتياز المذكور . ونصت المادة السادسة عشرة على تعهد الحكومة العراقية بمنح العفو للأشخاص الذين قاموا بنشاط سياسي في مصلحة تركيا حتى توقيع هذه المعاهدة .

دخلت المعاهدة العراقية - البريطانية - التركية حيز التنفيذ يوم ١٨ حزيران ١٩٢٦ .

النواحي القانونية من مشكلة الموصل :

يبدو من وجهة النظر الفنية الخالصة للقانون الدولي ان ولاية الموصل كانت تحت السيطرة العثمانية قبل امضاء معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣ . ولكن تركيا تنازلت عن إدعاءاتها في الولاية بالمادتين الثالثة والسادسة عشرة من المعاهدة المذكورة ، وبقي تنازلاً معلقاً حتى اصدار مجلس العصبة قراره في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ باعطاء ولاية الموصل للعراق . ان المادة الثالثة من معاهدة لوزان واضحة وان قرار المجلس نهائي وملزم للطرفين ، والا فقد يبق النزاع من دون حل الى المالا نهاية . وقد منحت هذه المادة لمجلس العصبة صلاحية التحكيم وعمل المجلس كحكم لا كجزء من عصبة الأمم . تقول القاعدة العامة السائدة في محاكم التحكيم

ليس للانسان الاماني

العهدك

العهد.

جريدة سياسية يومية عربية
تصدر أسبوعية في كل يوم (الثلاثاء) مرقناً
وهي لسان حال حزب الاستقلال العراقي

المطابع والمراسلات

ان تكون باسم ادارة الجريدة خاصة الاجرة
ولا ادخالها لغير الترتيب ثم كاتر
الدولة البرقي : موصلي العهد
ادارة الجريدة في جادة يتوي

ويطبع سلفاً

من سنة في المجلد ٥ رويات وفي المجلد ٧ رويات
ولا تغير الروايات ما لم يكن مطبوعة
وخاصة بطم الادارة

وتتبع المسام

الامانة يتبع المراسل الادارة

ولقدو بالعهء ان العهد كان مسؤولاً

الموافق ٢٠ كانون ثاني سنة ١٩٢٥

[العدد ١٠٠]

جا ٢٥ جاد الاخر سنة ١٣٤٣

الآراء الكردية :

في اول تشرين الأول ١٩٢٤ أرسلت الجمعية
الكردية في السليمانية الى مجلس عصبة الامم مذكرة
تعارض فيها المطالب التركية في ولاية الموصل .

مؤيدو تركيا في العراق :

قال الدكتور جميل دلالي الذي كان سكرتيراً
لحزب الاستقلال الموصل ان الاتراك في اوا-ر
أيامهم حاولوا القضاء على اقتصاديات الموصل
وذكر ان مصطفى الصابونجي وجاعته ، وهم
عرب ، كتبوا مضبطة ارسلوها الى الاتراك يطالبون
بعودتهم ، وقال ان الصابونجي كان هو وطبقة
التجار في الموصل ضد آل العمري وضد السادة
(أي آل النقيب وآل المفتي وآل الفخري) الذين
ايدوا الحكومة العراقية . وفسر الدكتور جميل دلالي
تأييد آل النجفي ، وهم عرب ، وآل كشمولة للاتراك
بخصومتهم مع آل توحلة الذين ايدوا الحكومة
العراقية . وفسر تأييد بعض افراد آل النقيب وآل
سليمان بك للاتراك بثقافتهم التركية وعواظهم
الدينية ، واما تأييد اغوات باب البيض للاتراك
ففسره الى رد الفعل ضد الانكليز^(١١) .

ومها يكن من أمر ، فان موقف مؤيدي تركيا ،
يدل في حينه على ان اولئك ليسوا إلا أقلية ضعيفة
التأثير في حياة الموصل السياسية انذاك . هذا فضلاً

العراقي في مدينة الموصل بغية الدفاع عن حقوق
العراق في ولاية الموصل ، ونشر جريدة العهد لسان
حاله ، ظهر العدد الأول منها في ٢٠ كانون الثاني
١٩٢٥ . واذاع الحزب بيانه في العدد الثاني الصادر
بعد اسبوع . وذكر البيان العراقيين بمجاعة الموصل
ورفض الاتراك اعتبار اللغة العربية لساناً رسمياً في
المدارس والمحاكم .

وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٥ ألف بعض
الموصلين «لجنة الدفاع الوطني» لتأييد حزب
الاستقلال في الدفاع عن حقوق العراق في ولاية
الموصل وهي مكونة من اكثر من مئة وخمسين
شخصاً من المسلمين والمسيحيين .

في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٥ قدم حزب الامة في
بغداد مذكرة الى لجنة التحقيق الدولية تحتوي على
بحث القضية العربية والثورة العربية ضد الاتراك
وعلى الحجب الجغرافية والتاريخية والسياسية والقومية
والاقتصادية والعسكرية التي تؤيد حق العراق في
ولاية الموصل . وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٥ قدم
ثلاث مئة موصل من المقيمين في بغداد مذكرة الى
لجنة التحقيق معلنين ان الموصل جزء لا يتجزأ من
العراق وبمناخ الرأس من الجسد . وفي ٣ شباط
١٩٢٥ ابرق رؤساء الطوائف المسيحية الى قدامة
البابا وكردالة لندن وبروكسل وفيينا وبودابست
يحتجون على مطالب الاتراك في ولاية الموصل^(٢٠) .

عن ضعف تمييزهم آنذاك بين المصالح الوطنية والمصالح الذاتية القصيرة النظر.

معارضة المعاهدة العراقية - البريطانية لسنة ١٩٢٦ :

رحب العراقيون بقرار مجلس عصبة الامم عن ولاية الموصل بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ ، لكنهم استنكروا الشرط الملحق بقرار المجلس الذي يدعو الى تحنيد الانتداب على العراق لمدة خمس وعشرين سنة ، ولذلك عارضوا المعاهدة العراقية - البريطانية لسنة ١٩٢٦ . في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٦ ناقش مجلس النواب العراقي المعاهدة بجلسة سرية . عارض النواب المعارضون سرية الجلسة وأحدثوا ضوضاء وصياحاً . ولما طلب رئيس الوزراء من رئيس المجلس ان يحافظ على النظام صاح احد نواب المعارضة « اسكت » . ورسم احد النواب المعارضين على رئيس المجلس بنسخ المعاهدة ، وبعضهم مزقها ، وصاح صوت « خونة ! هذه اكثريه غاشمة ظالمة ! فلنستقط الاكثريه الغاشمة ! » ولما قال حكمت سليمان وزير الداخلية للمعارضين « اخرجوا » اجاب احد المعارضين « صدقوا المعاهدة ايها الخونة » وتأثر معارض آخر تأثراً بلغ حد البكاء ، وقال نائب آخر « لماذا تطلب منا ان نخرج يا خائن » وصرخ معارض في الخارج « فليبع حكمت بك البلاد » (١٢) .

النفط وأثره في مشكلة الموصل :

كانت قصة النفط أقدم من مشكلة الموصل نفسها . وكان النفط أهم عامل مؤثر في سير حوادث مشكلة الموصل . وقد عين النفط مواقف تركيا وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا من المشكلة . ارادت بريطانيا ان تجعل من مشكلة الموصل تهديداً متواصلاً للعراق لكي تضطره الى تسليم النفط اليها . لم تنه بريطانيا بغير مصالحها ولكن كانت مصالحها تتطابق مع مصالح العراق في هذه المشكلة (١٣) .

امتياز نفط الموصل :

لما شرعت لجنة عصبة الامم في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ باستجواب الاهالي عن مستقبل ولاية الموصل اتضح للحكومة العراقية خلال تساؤلات اللجنة ان عصبة الامم لن تسمح بحصول العراق على الولاية مالم تمنح شركة النفط التركية امتياز نفط الولاية . قال المندوب السامي البريطاني في العراق ان اهتمام شركة النفط التركية بنفط ولايتي الموصل وبغداد فيه ضمانة فعالة على ثبات الدولة العراقية .

وفي الوقت نفسه كانت المفاوضات تجري بين بريطانيا والعراق من اجل الحصول على امتياز النفط لشركة النفط التركية ، وقد نجحت تلك المفاوضات . وفي ١٤ آذار ١٩٢٥ امضت الحكومة العراقية وشركة النفط التركية اتفاق الامتياز .

المنافسة الانكليزية - الاميركية حول نفط الموصل :

حاولت بريطانيا عبثاً التخلص من منافسة الولايات المتحدة في الحصول على النفط . فبعد اذاعة اتفاقية سان ريمو دخلت الحكومة الاميركية في مراسلات طويلة مع الحكومة البريطانية حول الامتيازات الاقتصادية في الاراضي المتنبذة بدأت في ١٢ مايس ١٩٢٠ . وتمسكت الولايات المتحدة بسياسة « الباب المفتوح » والمعاملة العادلة للمواطنين الاميركيين . استمرت المفاوضات السرية بعد مؤتمر لوزان بين الحكومتين البريطانية والاميركية بغية اشراك الاميركيين في شركة النفط التركية .

في نيسان ١٩٢٦ توصلت الاطراف المعنية الى تسوية اعطيت بها الجماعات الاميركية ٢٥٪ من اسهم شركة النفط التركية . وفي سنة ١٩٢٨ وافق اعضاء شركة النفط التركية على توزيع الاسهم كما يلي :

شركة استثمار دارسي (تمثل شركة النفط الانكليزية - الفارسية) ٢٣,٧٥٪ شركة النفط الانكليزية - السكسونية (تمثل شركتي رويال دتش

- (١٣) للتفاصيل بنظر: حسين، المصدر السابق، ص ١٣٢ وما بعدها.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ١٦٢ - ١٧٥.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ١٧٦ - ١٧٧. يلاحظ أيضاً: عبد الرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ٢، صيدا-لبنان، ١٩٤٨، ص ١٠٥ - ١٠٨. جريدة العالم العربي، ١٩ كانون الثاني ١٩٢٦.
- (١٦) حسين، المصدر السابق، ص ١٨١ وما بعدها.
- بنظر أيضاً: فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية-البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ - ١٩٤٨. دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٤٦.
- (١٧) جريدة الأمل، ١١، ١٨ تشرين الأول ١٩٢٣. جريدة الموصل، ١٠ مارس ١٩٢٤.
- (١٨) انظر، مذكرات المجلس التأسيسي العراقي، المصدر السابق، ص ٣٢ وما بعدها.
- (١٩) جريدة الموصل، ١٦ حزيران ١٩٢٤، ١٨ كانون الأول ١٩٢٤.
- (٢٠) للتفاصيل بنظر: جريدة العراق، ١٩ أيلول ١٩٢٤. جريدة العهد، ١٧، ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٥. جريدة العالم العربي، ٢٤، ٢٨، ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٥. وللمزيد من التفاصيل يلاحظ: فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٢. مطبعة الارشاد، بغداد، ص ١٤١ - ١٥٥.
- (٢١) حسين، المصدر السابق، ص ٢٣٠ - ٢٣٦.
- (٢٢) جريدة العالم العربي، ١٧، ١٩، ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٦.
- انظر أيضاً: جريدة نداء الشعب، ٣١ كانون الثاني، ٣ شباط، ١٩٢٦.
- (٢٣) حسين، المصدر السابق، ص ٣١١ - ٣١٢.
- (٢٤) للتفاصيل بنظر: نوري عبد الحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ١٩٢٥ - ١٩٥٢. ط ١، بيروت-لبنان، ١٩٨٠، ص ٥٤ - ١٢١. يلاحظ كذلك، العمر، المعاهدات العراقية-البريطانية...، ص ١٤٦ - ١٥٠.

وشل) ٢٣,٧٥٪ شركة النفط الفرنسية ٢٣,٧٥٪ شركة استثمار الشرق الادنى (تمثل الجماعات الاميركية) ٢٣,٧٥٪ شركة التعاون والاستثمار (تمثل كلبنيكان) ٥٪.

وابتداء من ٨ حزيران ١٩٢٩ أبدل اسم شركة النفط التركية باسم شركة نفط العراق (٢٤).

الهوامش

- (١) فاضل حسين، مشكلة الموصل. دراسة في الدبلوماسية العراقية - الانكليزية - التركية في الراي العام. ط ٣. مطبعة اشيلية، بغداد، ١٩٧٧، ص ٣٠٣.
- (2) Earle Edward Mead: "The Turkish petroleum company" in the political science Quarterly, xxxix, 1924, pp. 270 - 278.
- (3) جورج أنطونوس، بقلعة العرب. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣٥٠ - ٣٥١.
- (4) حسين، المصدر السابق، ص ٧ - ١٢.
- (5) المصدر نفسه، ص ٢٤ - ٢٨.
- (6) المصدر نفسه، ص ٢٩ - ٣٩.
- (7) المصدر نفسه، ص ٤١ - ٤٩. أنظر أيضاً مذكرات المجلس التأسيسي العراقي، الحكومة العراقية - وزارة الداخلية، ج ١، بغداد، ١٩٢٤، ص ٤٤٠ - ٤٤١.
- (8) حسين، المصدر السابق، ص ٥٠ - ٥٨.
- (9) League of Nations (Geneva, 1925, 1926), League Report, pp. 5 - 9.
- (10) Ibid, pp. 9 - 12.
- يلاحظ أيضاً: جريدة العراق، ٢٥ آذار ١٩٢٥.
- (11) League Report, pp. 53 - 88.
- (12) Ibid, pp. 88 - 90.

الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية

د. غانم محمد الحفوف

مقدمة:

أعوام (١٩١٤ - ١٩١٨). أما الموصل فقد دخلتها القوات البريطانية الغازية في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ بعد اعلان هدنة مدروس في ٣٠ تشرين

خضع العراق بعد انتهاء السيطرة العثمانية الى سيطرة أجنبية جديدة، تمثلت بالاحتلال البريطاني له. واستغرقت عملية الاحتلال هذا قرابة أربعة

الاول من العام ذاته^(١). لذا فقد وقع على عاتق الحركة الوطنية في الموصل مهمة شاقة أوجدتها هذه الظروف الدولية في مقاومة هذا الاحتلال ، الذي أوشك أن يعرض مستقبل الموصل للخطر المهدد . ومن المناسب هنا الاشارة الى أن الموصل ، وقبل الاحتلال البريطاني للعراق كانت مركزاً لما يعرف بـ «ولاية الموصل» إذ تشمل في التقسيم الإداري العثماني السابق ، كلاً من الموصل وأربيل ودهوك وكركوك والسليمانية . فضلاً عن أن المعاهدة السرية الاستعمارية المعروفة بـ «إنفاقية سايكس-بيكو ١٦ أيار ١٩١٦» قد أكدت على وقوع جزء من هذه «الولاية» ضمن منطقة النفوذ والهيمنة الاستعمارية الفرنسية . وهذا عمل الانكليز المحتلين بادئ الأمر ، على إخضاعها للأدارة العسكرية الصرفة . وبعد التسوية الاستعمارية بين فرنسا وبريطانيا في أيلول ١٩١٩ اندمجت إدارة ولاية الموصل ببغداد والبصرة^(٢).

وفي واقع الحال كانت جذوة اليقظة الوطنية والقومية في الموصل قد اخذت تفعل فعلها منذ أواخر السيطرة العثمانية على العراق . وظهرت أولاً على شكل نهضة فكرية ثم لهدت وجهة قومية سياسية عن طريق تشكيل الجمعيات والأحزاب السرية والعلنية من أجل استقلال العرب وإنصاف حقوقهم من الأتراك ، ومن بينها (جمعية العهد) وفرعها في الموصل منذ عام ١٩١٣ و (جمعية العلم السرية) التي تأسست مطلع عام ١٩١٤ . كما عملت كلتا الجمعيتين معاً على التنديد بسياسية الاتحاديين العنصرية القائمة على «التريك» . وفي خاتمة المطاف تكلم كفاح اعضاء جمعية العهد بالنجاح بعد اندحار الأتراك ومغادرتهم الموصل في تشرين الثاني ١٩١٨ . إلا أنهم واجهوا الاحتلال البريطاني الجديد ومارافقه من سياسة إدارية غاشمة قائمة على السيطرة على مقاليد الأمور في العراق^(٣) . تمثلت المقاومة الوطنية في الموصل للاحتلال

البريطاني بأساليب عدة ، لكنها تركزت في مجالين اساسيين : (الأول) - اتباع الاسلوب السلمي السياسي . و (الثاني) - تبني الصيغة العسكرية والكفاح المسلح واتخاذ طريقاً لمقاومة الغزاة البريطانيين . وفي المجال الاول اضطلعت جمعيتا العلم والعهد العراقي بدور فعال^(٤) . لاسيما بعد أن أقر (مؤتمر سان - ريمو) الاستعماري نيسان ١٩٢٠ وقوع العراق ومن ضمنه ولاية الموصل تحت الانتداب البريطاني . وكان ذلك بمثابة الصدمة للعراقيين التي أجبحت آمالهم في إنشاء دولة عراقية مستقلة^(٥) . ومع هذا فقد ضاعف من نشاط الجماهير الشعبية والقوى الوطنية لمقاومته^(٦) .

أيقن زعماء الحركة الوطنية ان حسم مسألة استقلال البلاد بالمفاوضات والوسائل السلمية قد أخفقت . فكان رفع السلاح بوجه المحتلين الانكليز هو الصفحة الثانية للمقاومة . وبالفعل اندلعت حركات مسلحة ضدهم وشملت معظم مناطق ولاية الموصل لاسيما في زاخو والسليمانية والمعاوية وعقرة^(٧) . بل إن أغلب الحركات التي قامت في جهات دير الزور والموصل ضد الانكليز قد جرت بتأييد ومعونة جمعية العهد العراقي بسوريا وفرعها بالموصل^(٨) . حيث قامت القبائل الثائرة تناهج مراكز الانكليز ما بين عنة ودير الزور على الفرات وتكريت والشرقاط على دجلة^(٩) . وفي ٤ حزيران ١٩٢٠ وبتأييد ومعونة فرع جمعية العهد بالموصل كذلك قامت حركة تلعفر التي كانت غابيتها تحرير الموصل من الاحتلال البريطاني مقدمة لاشعال الثورة في انحاء العراق كافة^(١٠) .

وهكذا عند اندلاع الثورة في جنوب العراق في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، كانت المقاومة المسلحة الوطنية في شماله قد أقضت مضاجع الانكليز بتوجيه وتدير من جمعية العهد والقوى العشائرية . ومع ذلك توقفت اعمال المقاومة من قبل فرع جمعية

العهد في الموصل مع بدايات تأسيس «الحكم الوطني» ثم اعتلاء فيصل بن الحسين عرش العراق. كما تفرق أعضاء هذه الجمعية فمنهم من أخذ يمارس وظائف حكومية وسياسية، ومنهم من فضل ممارسة أنشطة اجتماعية وسياسية عن طريق إنشاء النوادي والجمعيات والمؤسسات الثقافية^(١١)

الحركة الوطنية في الموصل خلال فترة الانتداب ١٩٢٠ - ١٩٣٢ :

أسفرت ثورة العشرين عن شعور الانكليز بعجزهم عن حكم العراق عن طريق الوصاية المباشرة ومنطق الإدارة العسكرية الصارمة. فحاولوا من جديد إخفاء ذلك تحت غطاء الصبغة المدنية. وفي ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ أقدمت بريطانيا على تعيين برسي كوكس Percy Cox مندوباً سامياً لتهذبة الوضع بدلاً من ارنولد ولسن المعروف بترعته العسكرية المشددة. وقد عزم كوكس بعد وصوله على تكوين «حكومة وطنية مؤقتة» تكون خاضعة لمراقبته. في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠ تأسست أول حكومة عراقية برئاسة عبد الرحمن الكيلاني (نقيب أشراف بغداد). وتبع ذلك تمهيد الاجواء لاختيار الملك المناسب لعرش العراق. وفي آذار ١٩٢١ تمت المصادقة في (مؤتمر القاهرة) على ترشيح فيصل بن الحسين لشغل هذا المنصب. بعد ان كانت بريطانيا قد رفضت عدة مرشحين له، وعارضت في الوقت نفسه، بشدة، فكرة إقامة النظام الجمهوري^(١٢)

وفي ٢١ تموز ١٩٢١ قرر مجلس الوزراء في العراق تنصيب فيصل ملكاً على العراق شريطة ان تكون حكومته «دستورية نائية ديمقراطية مقيدة بالقانون». كما رافق ذلك انتخابه بطريقة «التصويت العام». ثم تمخضت هذه العملية عن اكثرية ٩٧٪ بجانب فيصل^(١٣). لقد لقي هذا الاجراء بصورة عامة وقعه المقبول في الموصل. وعبر

اهالي المدينة عن ذلك بأقامة الاحتفالات للابتهاج بهذه المناسبة. كما ردّدوا خلالها الأناشيد الحماسية ومنها: «فليحي الملك فيصل. فليحي العراق. فليحي الاستقلال». وبهذا امتزجت لديهم خلال هذه الفعاليات المشاعر الوطنية بالقومية. فضلاً عن ذلك، ان فكرة انتخاب «ملك من العراقيين» قد قوبلت من لدن البعض في الموصل بالرفض الشديد. وقد ظهرت منشورات واعلانات مخطوطة على جدران بعض الأبنية تؤيد انتخاب أحد أئمال الشريف حسين ملكاً على العراق^(١٤). يقول (العمرى)^(١٥): «ان فحوى الصراع والانقسام دار حول من يحكم العراق؟ عراقي من أبناء العراق أم عربي من أئمال الشريف حسين بن علي».

ومع ذلك ظهرت بعض التحفظات على ترشيح وانتخاب فيصل في الموصل. لاسيما وان الكثيرين قد فضل انتخابه شريطة اعطاء «الضمانات لحاية الأقليات»^(١٦). وبهذا ظهرت اختلافات في الرأي حول هذه المسألة، وتمثلت بعدة اتجاهات، كان (الأول) منها يحذ ترشيح فيصل وكانت وراءه جمعية العهد. أما (الثاني) فقد تمثل بالدعوة لانتخاب أحد العراقيين. في حين كان (الثالث) يفضل الرجوع الى رأي الشعب عن طريق انتخاب جمعية تأسيسية تأخذ على عاتقها البت بالأمر^(١٧).

أما السلطات البريطانية فكانت تميل الى جانب ترشيح فيصل لأسباب لاجمال لذكرها. كما أن المصالح البريطانية وقتئذ اقتضت ان يكون فيصلاً هو المرشح المفضل. لاسيما وان المشاورين البريطانيين والموظفين الحكوميين قد أشرفوا على عملية الاستفتاء. كما أن (جريدة الموصل) الموالية للسلطات البريطانية قد بادرت الى تأييد ترشيح فيصل كذلك.

في ٢٣ آب ١٩٢١ توج فيصل ملكاً على

العراق. وأقيم احتفال رسمي بهذه المناسبة حضره المندوب السامي البريطاني، إضافة الى وفود تمثل الألوية العراقية التي اشتركت في التصويت لصالح توليه العرش^(١٨). ومن المرجح، انه نتيجة للظروف المعقدة التي كان يعانيها فيصل ويعانيها قد حاول الموازنة بين اكتساب ودّ ومشاعر العراقيين من جهة، وتجنب اغضاب الانكليز الذين فضلوا ترشيحه من جهة أخرى. لذا فقد اختار أهون الأمور، وبأن تكون العلاقة بين الجانبين العراقي والبريطاني علاقة تعاقدية أو تنتظم بـ «معاهدة» خاصة^(١٩).

رفض الموصل للانتداب والتصدي لمعاهدة ١٩٢٢ :

لم يمض على توقيع فيصل الآبعة أيام حتى بدأت المفاوضات بين الحكومتين العراقية والبريطانية لعقد المعاهدة. وبدا من خلالها وكأن معاهدة ١٩٢٢ والأتفاقيات الاربعة الملحقه بها نسخة مكررة لنظام الانتداب وتستهدف التركيز على نفوذ بريطانيا وسيطرتها على العراق دون ذكر الانتداب نفسه، لذلك رفضتها الحركة الوطنية العراقية منذ البداية وتصدت لها بقوة^(٢٠).

شارك ابناء الموصل بقية العراقيين ورفضهم لهذه المعاهدة. ففي نيسان ١٩٢٢ وبمناسبة «عيد النهضة العربية» عقدوا اجتماعاً حاشداً ضمّ عدة آلاف من المواطنين، وتحول الاجتماع الى مظاهرة سلمية، وخلالها رفعوا برقية الى الملك فيصل عرضوا فيها مطالبهم التي تضمنت عدم قبولهم بأية معاهدة لم يصادق عليها المجلس التأسيسي، فضلاً عن منح رخصة لتشكيل الاحزاب السياسية. الا أن فيصلاً عد ذلك من قبيل التدخل في شؤون الحكومة^(٢١).

في ٢٣ ميس ١٩٢٢ صرّح ونستون تشرشل Winston churchill (وزير المستعمرات

البريطاني) في مجلس العموم بأنه لم يظهر من الملك فيصل وحكومته أي اعتراض على الانتداب. وكان ذلك بمثابة إهانة لها. لذا سارع الملك فيصل الى تفنيد ماجاء في هذا التصريح، من حيث انه وحكومته قد أبلغا برسي كوكس ان أهالي العراق يرفضون قبول الانتداب على العراق^(٢٢).

كان التصريح المذكور مدعاة لأثارة المشاعر الوطنية التي عبرت عن ذلك بعقد الاجتماعات والقيام بالنظارات وتقديم المذكرات والبرقيات الى الملك فيصل وعصبة الأمم. وفي الموصل أرسل جمهور من أعيان المدينة في ١٥ حزيران ١٩٢٢ برقية الى الملك. وما جاء فيها «إننا نحتاج على تصريح تشرشل ونرفض كل لفظ يمس الاستقلال التام للبلاد...». كما أرسل أعضاء المجلس البلدي في المدينة برقية مماثلة الى الملك في ١٧ حزيران يحتجون فيها على هذا التصريح. وجاراهم في ذلك بعض من اصحاب المهن والكسبة بارسال برقيات يرفضون فيها الانتداب. أما (جريدة الجزيرة) الموصلية فقد ديّجت المقالات الكثيرة وهاجمت من خلالها تصريح تشرشل وطالبت بالاستقلال التام للعراق^(٢٣). كما هاجمت هذه الجريدة في عددها الصادر في ١٠ حزيران الانتداب بشدة. في حين نشرت (جريدة صدى الاحرار) كلمة بقلم محمد رؤوف الغلامي دعا فيها اهل الموصل الى رفض الانتداب، كما نبّه من خلالها الى مخاطر السيطرة البريطانية. وفي ٢٥ حزيران رفع بعض من أعيان المدينة وجهاتها برقية الى الملك فيصل اعلنوا فيها رفضهم للانتداب وتمسكهم باستقلال البلاد، ومنهم الشيخ عبد الله النعمة ومحمد الجليلي ومصطفى الصابونجي ونجيب الجادر وابراهيم عطار باشي ومكي الشريبي وحلمي جلميران وعبد الأحد عبد النور وغيرهم. مما دفع الحكومة العراقية ان توعدا لتصرفية الموصل بطمأنة السكان وسعيها لتحقيق استقلال البلاد وفقاً لرغبة

الشعب^(٢٤).

الرئيسة مناقشة بنود المعاهدة ثم التصديق عليها في آخر المطاف. وخلال ذلك ظهر موقف نواب الموصل في المجلس المذكور، ومنهم اجد العمري



اجد العمري

وفتح الله سرهم وآصف وفائي والدكتور داؤود الجلبلي وعجيل الباور، واضحاً خلال مناقشة المعاهدة قبل إقرارها من قبل اكثرية المجلس. فقد اشترط داؤود الجلبلي تعديل المعاهدة قبل قبولها على علاتها: كما اعتبرها آصف وفائي من قبيل الانتداب الشديد الوطأة على الشعب وفيها من البنود مايتعارض واستقلال البلاد. ومع هذا فقد طالب نواب الموصل تأجيل المذاكرة في المعاهدة الى حين الانتهاء من حل «مشكلة ولاية الموصل» بصورة عادلة بما يضمن حقوق العراق فيها^(٢٥)

الدفاع عن عروبة الموصل والتنديد بمعاهدة ١٩٢٦:

كانت قضية الدفاع عن عروبة الموصل من القضايا الأساسية في تكوين الدولة العراقية الحديثة^(٢٨). كما شغلت هذه القضية الحيز الأكبر من اهتمام الحكومات العراقية المتعاقبة بعد الانتهاء من التصديق على معاهدة ١٩٢٢^(٢٩). لقد تصدّت الاغلبية من أهالي الموصل لأدعاءات الاتراك المزعومة للمطالبة بهذه الولاية تضافت مع القوى الوطنية في أنحاء البلاد كافة. كما نال هؤلاء التشجيع والدعم من الموصليين المقيمين في بغداد،

ومع ذلك كانت حكومة عبد الرحمن الكيلاني الثالثة قد وافقت موافقة نهائية في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ على المعاهدة شريطة ان تنال تصديق المجلس التأسيسي العراقي. لاسيما وان أمر انتخاب هذا المجلس قد اقترن بالتوقيع على المعاهدة. وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٢ صدرت الأرادة الملكية بالشروع بانتخابات المجلس التأسيسي، إلا أنها سرعان ماواجهت معارضة شديدة ودعوة عامة لمقاطعتها في أغلب أنحاء البلاد^(٣٥)

لاقت هذه الانتخابات معارضة قوية في الموصل كذلك. وتمثل ذلك بتنظيم الاجتماعات بغية إفشالها تضافتاً مع الحركة الوطنية في المدن العراقية الاخرى. وقد تدخلت الشرطة مستخدمة القمع أزاءها، كما اعتقلت ستة من المعارضين الوطنيين ومنهم يحيى ق الشيخ عبد الواحد وسعيد الحاج ثابت ومكي الشربتي، وأودعتهم رهن الاعتقال الى حين الانتهاء من التصديق على المعاهدة. وفي شباط ١٩٢٤ شاع في اوساط الوطنيين ان الملك فيصل يعزم بالاتفاق مع الانكليز على تمرير المعاهدة، فظهرت منشورات تندد بالانتخابات والملك والانكليز. كما عقد رجال الحركة الوطنية اجتماعاً جاهرياً في (جامع قضيب البان) في الموصل، كانت غايته التصويت ضد الانتخابات وتوعية المواطنين بعدم المشاركة فيها. وقد حاولت السلطات الحكومية في الموصل التدخل، دون جدوى، في ترشيح اشخاص معينين في عضوية ديوان الانتخابات، لأن هؤلاء المرشحين لا يتمتعون بتأييد القوى الوطنية^(٣٦).

تمكنت حكومة -بغفر العسكري (٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣ - ٢ آب ١٩٢٤) من استكمال المرحلة النهائية للانتخابات في ٢٥ شباط ١٩٢٤. وتبع ذلك افتتاح المجلس التأسيسي جلسته الاولى في ٢٧ آذار ١٩٢٤. وكان من احدى مهامه

حينما عقدوا الاجتماعات الوطنية وقرروا تحرير بيان خاص بوزع في الموصل ويدعو مواطنيها الى التمسك بالبقاء مع العراق^(٣٠). كما جاءت زيارة الملك فيصل للموصل بمثابة الدعم لمواطنيها في تعزيز الاتجاه العربي فيها. وعند وصول اللجنة الدولية الموصل في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ استقبلها حشد كبير من أهالي المدينة، ومن بينهم الطلاب، وطافوا الشوارع فيها معبرين من خلالها عن انتهاء الموصل للعراق. كما سارت مظاهرة كبيرة حمل فيها المتظاهرون الأعلام العربية، برغم البيان الذي أصدرته وزارة الداخلية بمنع ذلك^(٣١).

ومع ذلك، حين وصلت هذه اللجنة المذكورة للموصل، كانت هناك ثلاث فئات قد بلورت لها اتجاهات مختلفة: (الأولى) - وهي التي كانت تمثل رأي الأغلبية، واخذت على عاتقها توعية المواطنين بمخاطر الانضمام الى تركيا. كما أعلنوا في دعوتهم ان الموصل جزء لا يتجزأ من العراق. بل هي عربية الولاء. وكانت الفئة (الثانية) - تركية النوازع والأهواء، وعملت جهاراً بهذه الفكرة. الآخر انه لم يكن لها تأثير يذكر. في حين كانت الفئة (الثالثة) - مترددة أمام القضية وفضلت مصالحها الذاتية على الوطنية^(٣٢).

شرع كثير من رجال الحركة الوطنية في الموصل وقتئذ بتأليف جمعيات وأحزاب سياسية، اخذت على عاتقها مسؤولية الدفاع عن عروبة الموصل ازاء المطامع التركية. ففي الاول من أيلول ١٩٢٤ تشكل (حزب الاستقلال العراقي) برئاسة آصف وفائي. ومن المفيد الإشارة الى ان بعض اعضائه سبق ان كانوا من المنتمين الى (حزب العهد) فرع الموصل، وهم: عبدالله الفاروقي ومكي الشريفي وسعيد الحاج ثابت ومحمد صدي سليمان. دعا هذا الحزب الى الوحدة العربية والاستقلال التام^(٣٣). كما اصدر (جريدة العهد) لتكون لسان حاله، وقد ظهر العدد الاول منها في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥، ثم

نشر بيانه الاول فيها، حيث ذكر من خلاله الشعب العراقي بعنصرية الأتراك في تجاهلهم لحقوق العرب. كما حثّ البيان العراقيين على ان يعلنوا امام لجنة التحقيق الدولية انهم عراقيون وعرب ومستعدون للتضحية بحياتهم تحت الراية العراقية من اجل الاستقلال التام. واختتم الحزب بيانه بالقول: «فلتحَيِّ الموصل عراقية عربية، ولتحَيِّ عصبة الامم العادلة، ولتسقط مطالبات الأتراك الغاشمة، وليعيش العراق مستقلاً استقلالاً تاماً». كما نشط الحزب بين صفوف الطلاب العراقيين، لاسيما في حثهم على اجابة أي سؤال عن الموصل بالقول: «ان الموصل [رأس العراق] عربية ومن يفكر مناً في فصلها عن العراق خائن لوطنه وعنصره وقومه»^(٣٤). واظب هذا الحزب في نشاطه كذلك بتدبير المقالات والمنشورات وارسال البرقيات الى الجهات العليا ومنها عصبة الأمم. أما في مناهجه الثقافي فقد أكد على عروبة الموصل وتقديم الأدلة الجغرافية والاقتصادية والتاريخية التي تؤيد عائدية الموصل للعراق^(٣٥).

في ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٥ شكل بعض الموصليين (جمعية الدفاع الوطني) برئاسة أحمد الفخري وذلك لتأييد حزب الاستقلال العراقي في الدفاع عن حقوق العراق بولاية الموصل. وضمت في عضويتها مائة وخمسين شخصاً من علماء الدين والاعيان والأدباء والخطباء والمفكرين وغيرهم. وقد أكدت هذه الجمعية في مناهجها على «المحافظة على ولاية الموصل بمحدودها الطبيعية لكونها عراقية وجزءاً لا ينفك من العراق». ومن نشاطها أن قدمت في ٦ شباط ١٩٢٥ تقريراً مفصلاً عن قضية الموصل وأهمية ارتباطها بالعراق^(٣٦). كما أخذت على عاتقها مهمة الاتصال بلجنة التحقيق الدولية. الى جانب إصدارها البيانات الكثيرة وقيامها بالتظاهرات في سبيل هذه القضية^(٣٧).

وفي ٢١ مايس ١٩٢٥ تأسس في الموصل

(الحزب الوطني العراقي) برئاسة عبد الله آل سليمان ثم تولّى رئاسته بعدئذ الدكتور محمد محفوظ فقد أوضح الحزب أن غاية تكوينه «هو أن نعيش سعداء في وطن سعيد». كما دعا الى مقاومة الدعاية الضارة بالوحدة العراقية والسعي وراء استقلال العراق التام. ويعد أن أنجزت لجنة الحدود مهمتها كان الركود والتفكك بسيطان على حياة الحزب. لذا لم يقم بنشاط واسع قياساً الى حزب الاستقلال وجمعية الدفاع^(٣٨)

أقر مجلس عصبة الأمم في ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ عائدة ولاية الموصل الى العراق. لكنه اشترط ان تبقى هذه المنطقة تحت الانتداب البريطاني لمدة خمسة وعشرين عاماً إلا اذا قبل العراق في عضوية العصبة قبل انتهاء هذه المدة وان يكون ذلك بمعاملة بين العراق وبريطانيا وأخرى بين العراق وبريطانيا وتركيا^(٣٩). وعلى أثر صدور هذا القرار من العصبة، رحّب به حزب الاستقلال وأبرق بذلك الى عصبة الأمم^(٤٠). وبعد الانتهاء من قضية الموصل ضعفت هذه الاحزاب المذكورة ولم تستمر طويلاً، حيث تفرّق اعضاؤها بعدئذٍ وشرعوا في ممارسة العمل السياسي ضمن الاحزاب العراقية المتمركزة في بغداد، لاسيما الاحزاب البرلمانية ومنها (حزب التقدم) الحاكم و (حزب الشعب) المعارض^(٤١)

كانت المعاهدة العراقية- البريطانية المبرمة في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ احدئى النتائج المهمة التي تمخضت عنها قضية ولاية الموصل، والتي اتخذتها بريطانيا ذريعة لتلديد معاهدة ١٩٢٢ الى خمسة وعشرين عاماً، فضلاً عن استخدامها النفط وسيلة لتهديد العراق، بجعله مرتبطاً أساساً بمجل هذه القضية^(٤٢). لذا فقد واجهت حكومة عبد المحسن السعدون الثانية (٢٦ حزيران ١٩٢٥ - ١ تشرين الثاني ١٩٢٦) معارضة وطنية قوية حينما أقدمت على عقد جلسة سرية في ١٨ كانون الثاني لغرض

إبرام هذه المعاهدة الجديدة في مجلس النواب. وقد وافق عليها المجلس بالفعل بأغلبية (٥٨) صوتاً ضد (٣٠). وحينها برّر السعدون موقف حكومته بان عدم إقرار هذه المعاهدة معناه خسارة الموصل^(٤٣) ومن المفارقة ان نواب الموصل في المجلس قد انقسموا بين مؤيد ومعارض للمعاهدة المذكورة. وهذا خلاف ما كان عليه الحال خلال ابرام معاهدة ١٩٢٢. فقد أيدها آصف وفائي الذي سبق أن ندّد بمعاملة ١٩٢٢ وجاراه في ذلك أحمد الفخري. في حين عارضها ثابت عبد النور واحتج على قرار المجلس بالموافقة عليها. لذا فقد استنكر حزب الاستقلال التصديق على المعاهدة وقرّر فصل آصف وفائي من عضويته، معتبلاً موقفه المذكور مخالفاً لمبادئ الحزب، كما قام بنشر البيانات ضدها. مما دفع السلطات المحلية الى تعطيل (جريدة العهد) الناطقة بلسانه، بعد أن ندّت بمخططات الانكليز ودافعت عن سيادة البلاد. وقد التزم الحزب الوطني بهذا الموقف الذي اتخذ. حزب الاستقلال كذلك^(٤٤)

طبيعة النشاط الوطني في الموصل ١٩٢٧-١٩٣٢ :

واصلت الحركة الوطنية مساعيها في الدعوة الى تعديل الاتفاقيات البريطانية وعزمها على تحقيق الاستقلال والغاء الانتداب. وفي كانون الأول ١٩٢٦ دخلت حكومة جعفر العسكري الثانية (٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦ - ٨ كانون الثاني ١٩٢٨) في مفاوضات مع الحكومة البريطانية في لندن لعقد معاهدة ١٩٢٧ بين الطرفين. وخلال ذلك رفع الحزب الوطني في الموصل بوقية الى رئيس الوزراء يطلب فيها صيانة حقوق الأمة في المفاوضات المقبلة لعقد معاهدة مع بريطانيا، وانقاذها من بنود المعاهدة المخلة باستقلالها الحقيقي^(٤٥). وقد واجهت هذه المعاهدة بعد ابرامها

في ١٤ كانون الاول ١٩٢٧ معارضة شديدة أدت أخيراً الى تجريد المصادقة عليها ، لاسيما وأنها لم تأت بمجديد سوى الوعد الذي قدمته الحكومة البريطانية في المادة الثالثة بتأييد دخول العراق عصبة الأمم عام ١٩٣٢^(٦).

ومن المفيد الإشارة الى ان الحزب الوطني وحزب الاستقلال قد أظهرهما رغم انهاء أعمالهما ، نشاطاً محدوداً في هذه الفترة تضامناً مع الحركة الوطنية في أنحاء أخرى من البلاد. فقد كان الحزب الوطني في الموصل مطلعاً على حادثة زيارة (الفريد موند Mond) الصهيوني لبغداد في اوائل شباط ١٩٢٨ والمظاهرات الطلابية التي خرجت لتندد بها. وقد أرسل مذكرة الى رئيس الوزراء يمتنع فيها على فصل بعض الطلبة ويطالب باعادتهم الى مدارسهم بعد هذه الحادثة. فضلاً عن ذلك تعاون الحزبان المذكوران في تقديم البرقيات الى الملك فيصل والمسؤولين في بغداد ، يمتنعان فيها على تدخل السلطات المحلية في الموصل في اثناء عملية الانتخابات النيابية التي أجرتها حكومة عبد المحسن السعدون الثالثة في كانون الثاني ١٩٢٨ ، وأن ذلك يشكل خرقاً فاضحاً للقوانين الدستورية المرعية في البلاد^(٧).

على أثر التصريح البريطاني في ١٤ أيلول ١٩٢٩ ، الذي كان أحد بنوده استعداد بريطانيا لمعاودة ترشيح العراق للدخول في عصبة الأمم ، شكل عبد المحسن السعدون وزارته الرابعة في ١٩ أيلول ١٩٢٩ كمحاولة أخرى لعقد معاهدة تنظم العلاقات بين العراق وبريطانيا. إلا ان الأخيرة أصرت على مواقفها بابقاء مضمون المعاهدة على سابق عهدها. وكان من نتائج ذلك إقدام السعدون على الانتحار في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩ ، فكان لهذا الحادث وقعه المؤثر في البلاد. وقد واجهته حكومة ناجي السويدي (١٨ تشرين الثاني ١٩٢٩ - ٩ آذار ١٩٣٠) التعتت والاصرار

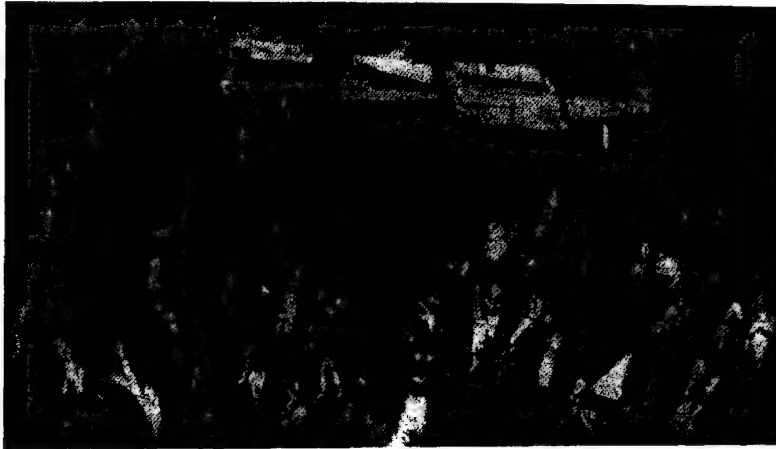
نفسه من قبل الأنكليز. وقد جاء رد الفعل على ذلك شديداً في اوساط الحركة الوطنية وقيام مظاهرة كبرى في بغداد ، حيث أرسل المتظاهرون احتجاجاً قوي للهجة الى الملك فيصل والمندوب السامي البريطاني وعصبة الأمم والى رئيس الحكومة البريطانية نفسه^(٨).

تركزت هذه الأحداث صداها الواضح في اوساط الموصليين. فتضامناً مع رجال الحركة الوطنية في بغداد والمدن العراقية الاخرى ، في الاحتجاج على سياسة الحكومة البريطانية تجاه العراق عقد اجتماع جماهيري حاشد في الجامع النوري (الكبير) بمدينة الموصل. وخلالة فوّض المجتمعون بعضاً من وجوه المدينة وأعيانها ومنهم : أحمد الجليلي وابراهيم عطار باشي والدكتور يحيى نزهت وغيرهم لتقديم احتجاج الى الملك فيصل الأول. في ٢١ آذار ١٩٣٠ أرسل هؤلاء بالفعل برقية الى الملك احتجاجاً فيها أولاً على سياسة التسوية والمماطلة التي اتبعتها الحكومة البريطانية ازاء تنفيذ وعودها للعراق. كما نددت البرقية بتعت المندوب السامي تجاه قضايا البلاد الحيوية ، التي أرادت حكومة ناجي السويدي المذكورة تنفيذها بموجب الصلاحيات الدستورية للعراق. بل عدّت هذا التصلب برهاناً على انعدام حسن النوايا البريطانية نحو العراق. كما ناشدت هذه البرقية رجال العراق الذين يغارون على مصلحة البلاد بالأحجام عن تأليف الوزارة - بعد استقالة السويدي - ما لم توافق بريطانيا على تنفيذ وعودها ، وتتنازل عن تصلبها المخالف للعهد المقطوع للعراق. وفضلاً عن ذلك فقد أبدت البرقية المذكورة مطالب «لجنة المظاهرة» في بغداد ، وناشدت زعماء البلاد باتخاذ موقف حازم تجاه عناد الغاصب والاستمرار على مقاطعة السياسة البريطانية التي وصفها بأنها : «لاتعرف للعهد والمواعيد معنى» غير إذلال الضعيف والازدراء به^(٩).

الموصلية قد نددت بهذه المعاهدة في افتتاحياتها أو المقالات التي كتبها بعض المواطنين. حيث استنكرتها (جريدة البلاغ) وطالبت بضرورة تعديلها أو إلغائها. كما وصفتها (جريدة فتي العرب) بأنها: «جائرة»^(٥١).

دخلت معاهدة ١٩٣٠ حيز التنفيذ، منذ دخول العراق عصبة الأمم في ٣ تشرين الأول ١٩٣٢، وقتها أعلن رسمياً إلغاء الانتداب وأعتبر العراق «دولة مستقلة». وكان لهذا الحدث وقعه الواضح في الموصل. بل عد من قبل بعض من رجال الحركة الوطنية خطوة كبيرة نحو استكمال استقلال العراق. كما جرى في المدينة احتفال رسمي، حيث أستعرضت من خلاله كشافة المدارس وقطعات من الجيش، فضلاً عن إقامة مظاهر الزينة والأبتهاج. وفي الوقت ذاته تفرّز تشكيل وقد من الموصل للأشتراك في الاحتفالات

وعندما أبرمت حكومة نوري السعيد المعاهدة الرابعة مع الحكومة البريطانية في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ واجهت كبقية المعاهدات السابقة، الانتقاد والرفض الشديدين من الحركة الوطنية. وفي الموصل لاقت هذه المعاهدة معارضة شعبية واسعة، حيث خرجت مظاهرة طلابية كبيرة إنضم إليها جمع من الشعب، فطافت شوارع المدينة منددة بالمعاهدة المذكورة. وعندما عرضت تلك المعاهدة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٠ على المجلس النيابي لغرض تصديقها، اختلف نواب الموصل بين مؤيد ومعارض لها. فقد صوّت لصالحها سبعة نواب ومنهم ثابت عبد النور وعبد الله الدملوجي واسحق أفرام. وبالمقابل عارضها أربعة ومنهم ابراهيم عطار باشي وعلي جودت الايوبي، وغاب عن الجلسة أحمد الجليلي. ومن هنا يلحظ الاختلاف في مواقف نواب الموصل أزاء جميع المعاهدات. وقد



احتفال الموصلين بיום استقلال العراق

التي تقام في بغداد بهذه المناسبة. وتألّف الوفد من: الشيخ عبد الله التعمة وأحمد الشريبي وصالح حديد والدكتور عبد الأحد عبد النور ونعمان الدباغ ونجيب قندلا ورئيس البلدية ومتصرف

يعود ذلك الى قضية تبوّء بعضهم مسؤوليات علما في الدولة الى جانب الاهتمام بالمصالح الذاتية التي شغلتهم بأجمعها عن قضايا الكفاح من اجل الاستقلال^(٥٢). وفي الوقت نفسه كانت الصحافة

اللواء. ومع هذا طالب بعض الوطنيين من أهالي الموصل بضرورة مواصلة الكفاح بغية رفع القيود التي تضمنتها معاهدة ١٩٣٠، ليكون ذلك بمثابة «العبد الحقيقي» للعراقيين كافة. (٥٧)

دور الموصل في أحداث ١٩٣٣-١٩٣٩ :

بعد دخول العراق عصبة الأمم سعى الملك فيصل الى اتباع سياسة إصلاحية تتلاءم ومرحلة الاستقلال. كما عمل على الموازنة والتقارب بين البلاط الملكي والمعارضة، لاسيما تلك التي يمثلها حزب الاخاء الوطني. (٥٨) في ١٠ آذار شكل الحزب المذكور حكومته الأولى برئاسة رشيد عالي الكيلاني، لكن سرعان ما واجهت هذه الحكومة مشكلة داخلية خطيرة وهي تمرد الآتوريين، ثم وفاة الملك فيصل في ٧ أيلول ١٩٣٣ وتولي الأمير غازي عرش العراق. وكان لهذه الأحداث صداها وقيلها المورث في الموصل.

حركة التمرد الآتوري :

واجهت العراق في مطلع حصوله على الاستقلال عام ١٩٣٢ مشكلات داخلية كادت تهدد سيادته ووحدته الوطنية. وفي مقدمتها تمرد الآتوريين (التيارية) الذين كانوا قد نزحوا الى العراق خلال الحرب العالمية الأولى من منطقة (حكاري) شرقي الأناضول. وعلى الرغم من أن بعضاً منهم فضلوا تأييد الحكومة في حينه واستنكروا أعمال التمرد، فإن الجماعات المتمردة والمتصلة بزعيمهم الديني المدعو (المار إيشاي شمعون) حاولت أن تطرح غايات ومطامع سياسية ومنها «تأسيس وطن قومي لهم في شمال العراق» والذي يقع وقتئذٍ ضمن (لواء الموصل). (٥٩)

وقفت حكومة الكيلاني الأولى (٢٠ آذار ١٩٣٣-٩ أيلول ١٩٣٣) بقوة ضد هذا التمرد (مايس-آب ١٩٣٣) باتخاذها الإجراءات

الفورية والحازمة بحقه. لاسيما بعد أن اتخذ له أبعاداً دولية مبالغاً فيها، وظهر أن لبريطانيا وفرنسا يداً في ذلك. لذا نالت هذه الحكومة التأييد-ولو بصورة مؤقتة- في كل أنحاء البلاد، على اعتبار أنها تدافع عن قضية وطنية them صيانة وحدة البلاد. (٥٥)

غدت الموصل خلال هذا التمرد مركزاً للمباحثات بين زعماء التمرد والمسؤولين الحكوميين. كما زارها الأمير غازي (ولي العهد ونائب الملك وقتئذٍ) برفقة الكيلاني في ٢٧ آب بتكليف من والده الملك فيصل. (٥٦)

وقد استعرض غازي هناك القوات العراقية وشكر بالنيابة عن والده الآتوريين الذين لم يشتركوا مع المتمردين، وأثنى على شعور الأفراد في حفظ النظام. (٥٧)

لقد تمتع غازي بشعبية واسعة وقتئذٍ، واستقبل بحفاوة بالغة عند زيارته الموصل. يقول ستافورد Staford (المفتش الإداري للواء الموصل آنذاك) وهو يصف الاستقبال الشعبي للأمير غازي في الموصل: «.. لم أرمثل ذلك الجو الذي هاج عند استقباله في الموصل. كان غازي موضع هتافات عظيمة من قبل المحتشدين ولكن اسم والده الملك لم يسمع خلال الهتافات». (٥٨) وهكذا لمع اسمه في هذه الأحداث وكسب شعبية واسعة بين الذين وجدوا فيه الشخص الذي يمكنه أن يتحدى الأنكليز. (٥٩) كما أكتسب هذه الشعبية لتأييده الأنجاء الذي سارت عليه الحكومة لاسيما حكمت سليمان (وزير الداخلية) وبكر صديقي (قائد الجيش الذي قام بقمع التمرد). (٦٠)

نال حزب الاخاء الوطني (فرع الموصل) تأييد الموصليين باتخاذهم إجراءات صارمة أزاء التمرد. (٦١) وكانت (جريدة البلاغ) الموصلية، لسان حال هذا الحزب، قد نشرت على صفحاتها أخبار التمرد والبلاغات الرسمية المتعلقة بقمعه، فضلاً عن تبنيها مواقف حزب الأخاء من التمرد.

أعاد الكيلاني تشكيل حكومته الثانية (٩ أيلول ١٩٣٣-٢٨ تشرين الأول ١٩٣٣). وقد أحدث وفاة فيصل فراغاً كبيراً في السياسة العراقية. استغل بعض الساسة هذه الثغرة فانطلقت الصراعات السياسية من عقابها فيما بينهم للتأثير على الملك الجديد ثم الفوز بالحكم. ولم تتمكن الحكومة الأخائية الثانية من البقاء طويلاً في الحكم بعد أن تخلّى حزب الأخاء عن معارضته القوية لمعاهدة ١٩٣٠. حاول الكيلاني تدارك الأمر بطلبه من الملك حل المجلس النيابي. إلا أن الملك وبثأثير من علي جودت الأيوبي (رئيس الديوان الملكي) حال دون ذلك وعلى أثر ذلك قدم الكيلاني استقالة حكومته. وأعقب ذلك موجة استقالات من عضوية حزب الأخاء في فروع الموصل وأربيل وديالى والكوت. (٦٥)

عَدَّ حزب الأخاء سقوط حكومته الثانية من قبيل الأنتكاسة في مكانته السياسية. لذا حاول طوال بقائه خارج السلطة إثارة المتاعب بوجه الحكومات المتعاقبة تمهيداً لأسقاطها وعودته من جديد إلى الحكم، لاسيما حكومتي جميل المدفعي الأولى والثانية (تشرين الثاني ١٩٣٣-آب ١٩٣٤). ولما جاءت حكومة علي جودت الأيوبي (٢٧ آب ١٩٣٤-٢٣ شباط ١٩٣٥) شدّد حزب الأخاء من حدة الخناق عليها، لاسيما بعد أن أقدم الأيوبي على حل المجلس النيابي. ثم جاءت نتائج الانتخابات للمجلس الجديد مخيبة لآمال حزب الأخاء، بل أضعفت من نسبة التمثيل العشائري فيه ووجد بعض رؤساء العشائر البارزين المتتمين لحزب الأخاء أمثال عبد الواحد الحاج سكر (رئيس عشائر آل فتلة) وغيره أنفسهم خارج المجلس.

لم يتمكن حزب الأخاء من أسقاط حكومة الأيوبي بالوسائل الدستورية، فالتجأ إلى تبني فكرة إثارة العشائر بوجهها بغية أسقاطها أسلوباً جديداً

لاسيما في عقده الاجتماعات التي تمخض عنها تشكيل مايعرف بـ (جمعية الأسعاف الشعبي) التي كان من مهمتها زيارة جرحى الجيش ومواساتهم، فضلاً عن جمع الأعانات والتبرعات التقديرية لعوائل شهداء الجيش والمتضررين من جراء قمع حركة التمرد. (٦٦) وفي ٢٩ آب ١٩٣٣ رفعت شعبة حزب الأخاء في الموصل عدة كتب إلى رئيس الوزراء تحذّر فيها من حركة التمرد هذه ومن أضرارها على البلاد. كما أيدت من خلالها تدابير الحكومة الحازمة في قمعهم ومعاينة كل من له يد في هذه المسألة. وطالب الحكومة كذلك بأخراج «المبشرين» الذين اتّخذوا-حسب رأيه- من التبشير وسيلة لأثارة القلاقل في العراق، ومحاربة الدعايات السيئة التي يبثها أعداء البلاد. بل طالب الحكومة بتدبير عاجل لسن (قانون التجنيد الأجنبي) تنفيذاً لرغبة الشعب الذي أعلن استعداده للتطوع. (٦٧) وكان لموقف الأخائيين الصارم هذا من حركة التمرد أثر في ازدياد شعبية حزب الأخاء وتساعد نسبة المنتسبين في صفوفه. (٦٨)

صدى حركة عشائر الفرات الأوسط في الموصل :
في ٨ أيلول ١٩٣٣ تسلم الأمير غازي عرش العراق بعد وفاة والده الملك فيصل وفي ٩ أيلول



الملك غازي ١٩٣٣-١٩٣٩

في المعارضة السياسية. فضلاً عن تعبئة الجو الساسي العام ضدها. لقد نالت معارضة حزب الأخاء مبتغاها. حين حاول الأيوبي أسترضاء ياسين الهاشمي (رئيس حزب الأخاء) بتولي الحكم شريطة أشراكه هو والمدفعي بالحكم وأبعاد رشيد عالي الكيلاني من عضوية الوزارة الجديدة. أيد الملك غازي مقترح الأيوبي في حين رفض الهاشمي هذا العرض وعندئذ كلف الملك المدفعي بتشكيل حكومته الثالثة في ٤ آذار ١٩٣٥. (٦٦)

الآن أن حزب الأخاء أستمر في قيادة المعارضة ضد حكومة المدفعي مدعماً موقفه بالتحرك العشائري الذي يقوده بعض رؤساء عشائر الفرات الأوسط وفي مقدمتهم عبد الواحد الحاج سكر، بل طالب بأسقاط هذه الحكومة كذلك. وفي ٩ آذار ١٩٣٥ أعلن عبد الواحد الحاج سكر حركته المسلحة في أبي صخير والمشخاب (لواء الديوانية) وساندته بعض العشائر في عفك ودبالي. وبعد أن فشل المدفعي في حل المسألة عن طريق المفاوضات قرر اللجوء الى القوة العسكرية وأتخذت حكومته الأستعدادات لقمع الحركة. الآن نشاط المعارضة المتزايد في التأثير على الملك لتدرك الأمر حقناً للدماء حال دون ذلك. مما أدى بالمدفعي الى تقديم أستقالة حكومته في ١٥ آذار ١٩٣٥. وبهذا تمكن حزب الأخاء من العودة مرة أخرى الى الحكم. (٦٧)

كان لهذه التدابير التي أتخذها حزب الأخاء بالتعاون مع العشائر، صداها المؤثر في بعض الألوية الأخرى، لاسيما من قبل العناصر المؤيدة لسياسته. ففي الموصل نشطت بعض العناصر العسكرية المؤيدة لـ (الكتلة العسكرية القومية) بالتعاون مع عدد من المحامين والساسة في توزيع المناشير السرية المساندة للحركة العشائرية المذكورة في الفرات الأوسط. يقول (الدرة): «.. كان الأشد

حماسة - يقصد من الضباط - على أهبة الأستعداد للألتحاق بالثائرين اذا أدى الأمر الى قتال مسلح.. في الوقت الذي كان فيه فرع أولئك الضباط في الموصل وعلى رأسهم الملازمون - محمود الدرة - وطارق سعيد فهمي وماجد سليم ومحمد نجيب الربيعي يشترك مع عدد من الساسة وفيهم الحامي ياسين العربي وحدي جلميران ويونس عباوي في توزيع المناشير المؤيدة لحركة الفرات. (٦٨)

وقد أكد أحد تقارير الأستخبارات العسكرية أن مجموعة من هذه المناشير أُلصقت على جدران الجوامع والشوارع الرئيسية في المدينة. في الوقت الذي كان فيه الأعتقاد السائد بادئ الأمر بين الموصليين أن هذه الحركة تصطبغ بالصبغة «الطائفية». كما أكد التقرير على أن مشاعر الأرتياح والتفاؤل طغت على هذا النشاط في الموصل بعد تأليف ياسين الهاشمي للوزارة الجديدة وعقد الآمال عليها في العمل البناء. (٦٩)

لقد أضفت الكتلة العسكرية القومية في حينه الطابع السياسي الوطني على هذه الحركة، وعزت أحد عوامل نجاحها لمجهودها الخاصة بعد أن أنتهت دون إراقة دماء. كما عدت هذه الحركة فاتحة لتدخل الجيش بالأحداث السياسية. (٧٠) ويبدو أن النشاط الذي أظهرته عناصر هذه الكتلة قد جرى بالتنسيق مع أعضاء من حزب الأخاء (فرع الموصل). إلا أن هذه الكتلة التي أيدت حكومة ياسين الهاشمي، أحتجت على أسلوب الشدة التي أتبعها بكر صدقي حينما كلف بأخذ حركات عشائر الفرات الأوسط الثانية. بل أوصلوا هذا الأحتجاج الى الهاشمي نفسه. (٧١)

حركة العشائر الشمالية (الكردية واليزيدية) :

دعت حكومة ياسين الهاشمي الثانية (١٧)

آذار - ١٩٣٥ - ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦) في بيان

لها بعد تشكيلها، العشائر الى التزام الهدوء ونبد المظاهر المسلحة. كما وعدتهم بمعالجة الأوضاع وفق أحكام القوانين مع مراعاة الأصلاحات الضرورية. (٧٢) ومع هذا واجهت هذه الحكومة منذ بداية تشكيلها تمرد العشائر الموالية للحكومي الأيوبي والمدفعي السابقتين. بل أن هؤلاء عزموا على محاربة الهاشمي بالأسلوب نفسه الذي حاربهم به في إثارة العشائر. (٧٣)

وأزاء ذلك، دعا الهاشمي في ٢٤ آذار ١٩٣٥ عدداً من رؤساء العشائر العربية والكردية الى العاصمة بغداد، بغية نبد خلافاتهم والأنفاق على وحدة الصف الوطني، وأظهار هيبة حكومته. وكان من بين هؤلاء عجيل الياور (رئيس عشائر شمر) وعلي السليمان (رئيس عشائر الدليم) وفاق الطالباي (مثلاً عن بعض العشائر الكردية في أربيل وكركوك والسليمانية). (٧٤)

أعلن الوفد المذكور بعد وصوله بغداد عن تأييده للوزارة الجديدة والاستعداد لقمع أية حركة يقصد بها تهديد وحدة البلاد. كما قابل أعضاء الوفد ياسين الهاشمي بمقره في ديوان رئاسة الوزارة. وخلاله التقى فائق الطالباي كلمة بالنيابة عن أعضاء الوفد. مبيناً فيها أن هذا الوفد يمثل عشائر أولوية الموصل وديالى وأربيل وكركوك والسليمانية. ويعلن ثقته بالوزارة الجديدة وبأمل منها خيراً للوطن لأنها تضم عناصر يطمئن لها الشعب. كما أوضح أن تأييدهم لهذه الحكومة منطلق من واجبها «وهو ضمان سلامة المملكة والخدمة للصالح العام». وأختم الطالباي كلمته مخاطباً الهاشمي: «... إن أبناء الشمال كما عرضنا سيشدون من أزركم بكل ما أوتوا من حول وقوة، مادمتם سالكين طريق الحق والعدل». (٧٥)

كما أسهم في هذا التجمع كذلك عبد الواحد الحاج سكر مع جمع من رؤساء قبائل الفرات الأوسط الذين وصلوا بغداد في الأول من

نيسان ١٩٣٥ بقصد تقديم الولاء للوزارة الجديدة. وقد عقد هؤلاء مؤتمراً لهم في الكاظمية في اليوم التالي، وقرروا فيه جملة مطالب رفعوها للحكومة، ومنها: حل المجلس النيابي وتوزيع الأراضي الأميرية بصورة عادلة وتطبيق القوانين بالعدل وأصلاح الجهاز الإداري. (٧٦)

في الوقت نفسه اتفق رؤساء القبائل العربية المذكورين مع رؤساء القبائل الكردية على القيام بأصلاح الوضع العام في البلاد. وقد وقع تسعة وستون رئيساً، (٧٧) على «ميثاق» أطلق عليه البعض «وثيقة الوحدة» الذي أكد في مضمونه على الأيمان بالوحدة الوطنية العراقية. وجاء في نصه: «نحن الموقعين أدناه نعلن أننا نستنكر كل فكرة أو حركة ترمي الى التفرقة ونحرص كل الحرص على وحدتنا العراقية تحت ظل عرش جلالة ملكنا الممّدى». (٧٨) وفي المناسبة ذاتها أقام أحد رؤساء العشائر الكردية المدعو (الشيخ دارا) دعوة خاصة في (فندق الهلال) ببغداد لرؤساء العشائر العربية والكردية وبعض العناصر الوطنية. وقد تخلل الدعوة لقاء بعض الكلمات والخطب التي أكدت في مجملها على الولاء لحكومة الهاشمي، والأنصراف كل الى عمله ومسؤوليته والالتزام بمشاعر الأخلاص للوحدة الوطنية العراقية. (٧٩)

ولغرض كسب التأييد لحكومته أقدم الهاشمي على خطوة ذكية، وذلك عندما أعلن عن حل تنظيم حزب الأخاء الوطني في ٢٩ نيسان ١٩٣٥ تحت ذريعة «أن البلاد بحاجة ماسة الى توحيد الكلمة من أجل الوصول الى أهدافها الوطنية». (٨٠) كما تذرّع الهاشمي كذلك بدمج الأحزاب السياسية في هيئة واحدة بغية تعزيز خطط وزارته الإصلاحية. (٨١)

لم ينجح الهاشمي قطاف هذه الإجراءات السياسية التي أتبعها. ففي الفترة مابين (مايس

١٩٣٥ - تموز ١٩٣٦) قامت بوجه حكومته موجة من الحركات العشائرية العادية لها شملت أغلب مناطق الفرات الأوسط. ^(٨٢) كما أندلعت في الفترة ذاتها حركات تمرد وعصيان بين العشائر الكردية واليزيدية في الشمال ، لاسمياً في المناطق التابعة للواء الموصل .

ومما تجدر الإشارة اليه أنه كان من بين خطط السياسة العامة الداخلية لحكومة الهاشمي ، الاهتمام بالجيش وتعزيز الروح العسكرية وغرسها بين المواطنين كافة . ومن الواضح انها أرادت من ذلك وضع أسس وتقاليد لمفهوم الدولة العراقية الحديثة بعد تفاقم المشكلات الداخلية والتهديدات الخارجية . لذا أقدمت في ١٢ حزيران ١٩٣٥ على تنفيذ قانون الدفاع الوطني (قانون التجنيد الأاجباري). ^(٨٣) ولغرض تطبيقه انتشرت في البلاد مراكز التجنيد . واهتمت الحكومة بجعل هذه المراكز بعيدة عن المناطق التي يحتمل ان تعارض أو تقاوم تنفيذها . وعلى الرغم من الحذر الذي توخته الحكومة قوبل هذا القانون في بادئ الأمر بمقاومة ومعارضة واضحة سواء في أوساط المراكز الحضرية او المناطق العشائرية . بل كان تنفيذ هذا القانون من العوامل المباشرة لاندلاع معظم حركات عشائر الفرات الأوسط . ^(٨٤) مثلاً كان عاملاً مباشراً - كما سترى - في حركة التمرد اليزيدي في الموصل .

حركة التمرد الكردي :

في الوقت الذي كانت فيه عشائر الفرات الاوسط قد أعلنت تمرداً ضد حكومة الهاشمي ، قامت بعض العشائر الكردية في أوائل آب ١٩٣٥ بحركة تمرد في منطقة (قضاء الزبير) . ولم تكن هذه الحركة إلا استمراراً لحركة التمرد التي قام بها (احمد البارزاني) في هذه المنطقة واهمدت خلال حكومة نوري السعيد الثانية عام ١٩٣٢ . حيث أن الأمن لم يستتب استتباً تاماً هناك . قاد هذا التمرد الجديد

كل من أولو بك (رئيس عشيرة شيروان وخال احمد البارزاني) و خليل خوشوي . ^(٨٥)

ازاء تصاعد هذا العصيان المسلح ، استصدرت حكومة الهاشمي ارادة ملكية في ٥ آب ١٩٣٥ أعلنت بموجبها الادارة العرفية في نواحي (مزوري بالا) و(بارزان) و(ميركه سور) التابعة للواء الموصل وبعض المناطق التابعة للواء أربيل الى ان يعاد الأمن الى نصابه في هذه المناطق . كما تم تشكيل (المجلس العرفي العسكري) برئاسة المقدم اسماعيل حقي الآغا . وكان هذا المجلس يواصل أعماله بالتنقل بين عقرة والزبير والموصل . ولقرب حركة التمرد من الحدود العراقية - التركية ، قامت السلطات التركية باغلاق حدودها بوجه المتمردين .

ولما أوشكت الحركة في الانتهاء اتفقت متصرفية لواء الموصل وقائمقامية قضاء الزبير على جملة شروط لاستسلام المتمردين منها « تسليم زعماء التمرد للمحاكمة ومعاقبة الذين يؤوون الفارين من وجه العدالة » ^(٨٦) .

ويظهر ان زعماء التمرد هذا كانوا قد انقسموا في الرأي . فقد قامت السلطات الحكومية بالتفاوض مع (أولو بك) لغرض حمله على التسليم . لكن الاخير اشترط لذلك بأن توافق الحكومة على اقامته مع اتباعه في بارزان ، ثم الافراج عن « الشيوخ البارزانيين » المبعدين في الناصرية . وبالفعل وافقت الحكومة على قبول دخالة (أولو بك) وسمحت له بالاقامة في منطقة بارزان ، وعهدت اليه كذلك بأدارة « أملاك الشيوخ » . وفي الوقت نفسه وافقت السلطات الحكومية على انتقال أحمد البارزاني مع أخوته وبعض اتباعه من الناصرية الى السليمانية . وبهذا استتب الأمن في منطقة بارزان . ^(٨٧) وفي ٣٠ تشرين الاول ١٩٣٥ صدرت إرادة ملكية بالغاء الادارة العرفية في مناطق التمرد . مع ذلك ، بقيت العناصر المتمردة التي يقودها خليل خوشوي تهدد الأمن وتهاجم القرى . وحينما شددت القوات

الحكومية من تدابيرها للقضاء على حركته. تمكن خوشي من اللجوء الى (جبال كاوند) في الأراضي التركية. عندها أرسلت السلطات (الحكومية) قوة من مفارز الاستطلاع ، حيث تمكنت في ٧ آذار ١٩٣٦ وفي معركة دارت على مقربة من (قرية سيده) من قتل (١٣) من المتمردين والقبض على (١٠) منهم. وفي ١٣ آذار تمكنت هذه القوات المذكورة من قتل خليل خوشي وأخيه (سليم) مع ثلاثة من اتباعه. ثم القبض على ستة آخرين منهم كذلك. وما لبثت السلطات العراقية أن أعلنت في بيان لها في ١٥ آذار ١٩٣٦ عن إخمادها لحركة التمرد هذه. (٨٨)

حركة التمرد اليزيدي :

لقد فعلت الحركات العشائرية التي قامت في منطقة الفرات الاوسط ، ومنطقة بارزان فعلها ، على ما يظهر ، لدى العشائر اليزيدية التي كانت تقطن في (قضاء سنجان) بلواء الموصل. فأعلنت أنها لا تستطيع ان تنفذ في منطقتها قانون التجنيد الاجباري ، في وقت كانت فيه حكومة الهاشمي قد عقدت العزم على تطبيقه في مناطق البلاد كافة. (٨٩) وخلال آب ١٩٣٥ ساد الاضطراب في صفوف هذه العشائر بعد أن طلب عمر نظمي (متصرف لواء الموصل) من رؤساء اليزيدية في جبل سنجان تقديم تعهد مكتوب بمساندة قانون التجنيد الاجباري. وقد التقى بعض من هؤلاء مع المتصرف واثمستوا منه تقديم تنازلات خاصة تلائم معتقداتهم وطقوسهم الدينية. (٩٠)

أدع عن بعض من رؤساء العشائر اليزيدية للأمر. الا أحدهم وهو (داؤد الداؤد) ، (٩١) أعلن عدم امثاله لتنفيذ القانون وأمر أتباعه بعدم الانخراط في الخدمة العسكرية. كما أيده في هذا التمرد (رشو قول) كذلك. وقد قامت السلطات الحكومية في قضاء سنجان بأندازهما بسوء العاقبة ، الا أنها رفضا

الانصياع لهذا التحذير ، وقادا أتباعها وتجمعوا في كهوف ومسالك جبال سنجان المنيعه. (٩٢) حاولت حكومة الهاشمي استخدام وسائل عدة لغرض حملهم على التخلي عن العصيان ومنها وضع حوالي ألفي دينار من التخصصات السرية تحت تصرف وزير الداخلية لصرفها على رؤساء اليزيدية. كما أعطتهم وعداً بتكوين (فوج عسكري خاص) بهم بحيث لا يتعارض ذلك مع مشاعرهم الدينية. الا أنهم رفضوا الأذعان لهذه الوعود. وعندئذ قررت الحكومة استعمال القوة لأخماد حركتهم قبل ان يستفحل أمرها. يقول (القيسي) (٩٣) : « ان الهاشمي كان يخشى من نجاح اليزيديين ، إذ بنجاحهم ستفتتح عليه جبهة واسعة في المنطقة الشمالية ».

أعدت الحكومة القوة اللازمة لاجماد التمرد ، وأنطت قيادتها بالواء حسين فوزي. وفي ٧ تشرين الأول بدأت العمليات القتالية التي انصفت بالشدة والعنف. وسرعان ما انتهت بتشتيت جمع المتمردين. حيث استسلم منهم (٥٢٤) رجلاً. كما سلم (رشو قول) نفسه للسلطات الحكومية. أما (داؤد الداؤد) فقد التجأ الى مدينة القامشلي في سوريا بعد إصابته بجرح بليغ. وقد رفضت سلطات الانتداب الفرنسي هناك تسليمه. وفي ١٢ تشرين الاول أعلنت (الاحكام العرفية) في منطقة سنجان والمناطق المجاورة لها. وفي الوقت عينه تشكل (المجلس العرفي العسكري) في سنجان برئاسة المقدم عبد الوهاب عزيز لغرض محاكمة المتهمين بالتمرد. وقد أصدر هذا المجلس بحقهم أحكاماً مختلفة تراوحت بين الأعدام والخبس والنفي. (٩٤) وفي ١٧ تشرين الاول ١٩٣٥ أذاعت الحكومة بلاغاً رسمياً أكدت فيه إخمادها للحركة. (٩٥)

ومن الجدير بالذكر أن حركة التمرد هذه كانت قد وجهت إليها أصابع الاتهام بوجود مداخلات

أجنبية فيها تمس سيادة البلاد، لاسيما الفرنسية منها والبريطانية. وكان للدعاية غير الدقيقة والمبالغ فيها، والتي اُشيعت في حينها ضد العراق في الخارج أثر واضح في ذلك. ففي أيلول ١٩٣٥ قام أحد ضباط الاستخبارات الفرنسية في (القامشلي) بتسهيل عملية تهريب السلاح ليزيدية سنجار خلال التمرّد. فضلاً عن اجتماعه بأحد رؤساء اليزيدية المدعو (خضر الداؤد) وتخريضه على التزوّج الى سوريا مع أتباعه. (٩٦) كما عثر المجلس العرفي العسكري على وثائق أثبتت قيام بعض من وصفوا بـ «المتفقين» بالاتصال بجهة أجنبية قبل انهما فرنسية والتخريض على التمرّد. وبهذا أذان المجلس المذكور إنثنين ممن صدر بمحقمهم حكم الاعدام (٩٧).

أما السفارة البريطانية في بغداد فكان تدخلها واضحاً خلال التمرّد المذكور. فقد تدخل السفير البريطاني (أرشيبالد كلارك كير) kerr في الاحكام الصادرة عن المتهمين الذين صدر بمحقمهم الاعدام تحت ذريعة «انه يخشى» ان يكون للعاطفة الدينية دخل فيها. (٩٨) بل طلب السفير كذلك تدقيق قضايا المحكومين من قبل هيئة عدلية تؤلف في بغداد لهذا الغرض. وعلى الرغم من اهتمام الحكومة بهذا الطلب. (٩٩) فقد بقي السفير على اعتقاده «بأن تنفيذ حكم الاعدام قد تمّ - بعجالة - وان التمرّد قد قمع بقسوة مفرطة وعوقب بفظاظة - لم تكن ضرورية تماماً» (١٠٠). لابل أنه أخذ يلح على الملك غازي بغية اصدار عفو عام عن اليزيديين الذين حكم عليهم بالسجن. كما اتهم الملك بالتلذّذ بهذا الشأن وأخذه بنصائح أصدقائه من الضباط الشباب خشية اتهامه بالضعف، برغم موافقة ياسين الهاشمي (رئيس الوزراء) على ذلك. (١٠١)

انتفاضة الموصل العسكرية عام ١٩٣٧ :

واجهت حكومة ياسين الهاشمي، لاسيما في أواخر عهدها، معارضة شديدة من قبل (جماعة

الأهالي) (١٠٢) والعناصر اليسارية وبعض الساسة التقليديين. وعبثاً حاول الهاشمي تفادي ذلك. واخيراً تمكنت جماعة الاهالي بتحالفها مع كتلة من الضباط بترزعمها الفريق بكر صدقي من اسقاطها في انقلاب عسكري جرى تنفيذه في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦. وعلى اثر ذلك شكل حكمت سليمان الحكومة البديلة. في حين غدا بكر صدقي (رئيساً لأركان الجيش) والشخصية العسكرية المؤثرة في تقرير الكثير من الأمور السياسية في البلاد (١٠٣). وهكذا، اذا كان الهاشمي قد استخدم سلاح إثارة العشائر بوجه الحكومات لأسقاطها، فقد استخدم خصومه السلاح وقوة الجيش في اسقاط حكومته. استقبلت بعض الاوساط الموصلية نبأ الانقلاب وحكومته الجديدة بالارتياح، وجرّت مظاهرات تأييد لها على غرار ما جرى في الكثير من المدن العراقية الأخرى (١٠٤). ومالئ وفد يمثل بعضاً من الوجهاء الموصليين أن زار العاصمة بغداد، بغية تقديم التهنئة لحكمت سليمان وبكر صدقي بهذه المناسبة. وقد ضم هذا الوفد كلاً من الشيخ عبدالله النعمة ورؤوف الشهبواني ونعمان الدباغ وشريف الصابونجي ويونس عباوي وقاسم الديوبهجي وصالح حديد وحكمت المفتي (١٠٥).

الآن أن العناصر القومية الشابة من الموصليين، والتي شكل سقوط حكومة ياسين الهاشمي نكسة لطموحاتها السياسية القومية، قد أبدت تحفظها من حكومة الانقلاب. وكان في مقدمة هؤلاء محمد يونس السبعاوي وجمال المفتي وحازم المفتي. بل أخذت هذه العناصر القومية المدنية بتنسيق جهودها مع مجموعة من الضباط العسكريين الذين أبعدتهم حكومة الانقلاب الى الموصل وكانوا على صلة بـ (الكتلة العسكرية القومية) التي بترزعمها صلاح الدين الصباغ. ومن هؤلاء محمد فهمي سعيد (مقدم لواء المنطقة الشمالية) وكامل شبيب وسعيد الخياط وعمر فوزي وطاهر يحيى وإبراهيم الراوي

الانقلاب دفع ب بكر صدقي الى توخي الحيلة والحذر، وفي الوقت نفسه أيقظت في نفسه مشاعر القلق والغرور والطموحات السياسية. لكنه غدا المهدف الذي تترصد به الكتلة العسكرية القومية للتخلص منه (١٠٨).



صلاح الدين الصباغ

ومحمد خورشيد وقاسم مقصود وعزيز ياملكي (رئيس نادي الضباط في الموصل). فضلاً عن اللواء محمد امين العمري (آمر منطقة الموصل) الذي كان يظهر تعاطفه مع هؤلاء الضباط دون انتسابه للكتلة العسكرية القومية. وبالفعل قام السبعراوي بنشاط بارز في عقد الاجتماعات وتعبئة الجهود بين ضباط هذه الكتلة وعدد من السياسيين بقصد التعاون للقيام بعمل منظم يستهدف الأطاحة بحكومة الانقلاب. وهذا ما جعله موضع شك وتهديد وملاحقة من قبل العناصر المؤيدة للانقلاب، فاضطر الى مغادرة العراق، إلا أنه بقي على اتصال مع هذه الكتلة لغرض ذاته (١٠٦).

إن السياسة التي اتبعتها حكومة الانقلاب وبدعم من بكر صدقي اوجدت شيئاً فشيئاً تصاعداً في حدة المعارضة السياسية لها. كما أن بريق الوعود الاصلاحية التي دعت اليها في البداية أخذ يخفت ويتعرض للأنقذاد. لا سيما بعد اتباعها سياسة العنف والاغتيال والتهديد والنفي ازاء الخصوم. كما أن ضررها للعشائر في السبوة جعل عرى التحالف بينها وبين جماعة الاهالي ينقسم وينفطر عقده. هذا فضلاً عن اتباعها لسياسة اقليمية استفزت مشاعر العناصر القومية. في حين أن محاولة حكمت سليمان تدارك الأمر في نهاية المطاف لم تثبت جدواها، بعد بقاء بكر صدقي وأعرانه القوة المهيمنة على حكومته (١٠٧). إن تزايد الاستياء من حكومة

جرت محاولات عدة من قبل الكتلة العسكرية القومية لاغتيال بكر صدقي. وقد جاءت محاولتهم الاخيرة الناجحة، عندما استغل عناصر هذه الكتلة نياً الزيارة التي أزمع بكر صدقي على القيام بها الى تركيا ومروره بالموصل. وحينها قام صلاح الدين الصباغ بتكليف احد عناصر هذه الكتلة وهو (حازم المفتي) بنقل رسالة منه الى اعضاء الكتلة من تنظيم الموصل القومي - السابق ذكرهم - يوصيهم من خلالها عدم اضاءة هذه الفرصة للتخلص من بكر صدقي. في ١١ آب ١٩٣٧ وصل الاخير الموصل وكان في رفقته اللواء حسين فوزي (قائد الفرقة الاولى) كما التحق به على متن طائرة عسكرية محمد علي جواد (قائد القوة الجوية). وكان في استقبالهم اللواء محمد أمين العمري والمقدم محمد فهمي سعيد.

استفترت العناصر القومية جهودها لاغتنام الفرصة والإطاحة ببكر صدقي واغتياله. وكان على رأس العناصر التي خططت لذلك، المقدم محمد فهمي سعيد وعاونوه في اعدادها النقيب الطيار محمود هندي والنقيب الخيال محمد خورشيد والعقيد عزيز ياملكي. لقد تم اعداد الخطة بأسرع وقت ممكن ونفذها نائب العريف الخيال محمد عبدالله الذي أجهز على بكر صدقي وزميله قائد القوة الجوية، حيناً حاول التصدي له، في حديقة مقر استراحة ضباط القوة الجوية بمطار الموصل. وعلى أثر ذلك، ابرقت متصرفية لواء الموصل الى الحكومة تعلمها بالأمر. وفي ١٢ آب أذاعت الحكومة بياناً رسمياً نعت فيه القتيلين، كما اعلنت فيه انه قد القي القبض على الفاعل والتحقيقات

جارية للوقوف على مسببات الحادث (١٠٩).

وقع نبأ اغتيال بكر صدقي ومحمد علي جواد وقع الصدمة المفاجئة على أعوان بكر صدقي من العسكريين وحكت سليمان نفسه ، الذي أصيب بالذهول للوهلة الأولى . بل استقبل هؤلاء هذا النبأ بالاستياء الشديد وطالبوا بأخذ الثأر له ، واتخذوا تدابير عدة بهذا الشأن . فقد تولّى العميد اسماعيل حتي الآغا (نائب قائد الفرقة الأولى) زعامة الضباط الموالين لبكر للسيطرة على الموقف في بغداد . كما تولى العقيد شاكر الوادي (قيادة القوة الجوية) . في حين غدا الفريق عبد اللطيف نوري (رئيساً لأركان الجيش) ومحمد علي محمود الشيخ علي (وكيلاً لوزارة الدفاع) . وبعد ان تداول حكت سليمان مع هؤلاء بالأمر ، أيد أخيراً رغبة أعوان بكر في الاقتصاص من مدبري الحادث . بل هدّد بانزال أشد العقاب بهم . لاسيما وأن حكت أعلن عن رغبته هذه خلال المكالمة الهاتفية التي أجراها مع اللواء محمد - امه - العمري (آمر منطقة الموصل) . وفي الحال اعلنت حكومته عن تشكيل محكمة عسكرية ولجنة تحقيق لمابعة تفاصيل الحادث . ثم أرسلت المقدم أنطوان لوقا (نائب الأحكام بوزارة الدفاع) الى الموصل لهذا الغرض (١١٠) .

وفي الوقت عينه تشكلت في الموصل لجنة تحقيق برئاسة حاكم جزاء الموصل ومدير الشرطة والمدعي العام . إلا ان الحكومة رفضت هذا الاجراء وطلبت من العمري إرسال الموقوفين الى بغداد لاجراء محاكمتهم أمام محكمة عسكرية خاصة . في حين كان من رأي العمري إرسال اللجنة التحقيقية الى الموصل خشية انتقام أعوان بكر من المتهمين في الحادث . وبعد التحقيقات الأولية التي أجراها كل من أحمد حمدي زينل (قائد الكتبية الثالثة في الموصل - وهو من أنصار بكر) وانطوان لوقا . أصدر الأخير أمراً باعتقال بعض الضباط المشتبه بهم . في حين بقي زينل

يواصل استجواباته ويتصل مع جماعة بكر في بغداد ويتبادل المشورة معهم في هذه القضية . وأخيراً تم اعتقال عدد كبير من الضباط بلغ عددهم حوالي (٤٣) ضابطاً من المشتبه بهم وفي مقدمتهم محمد فهمي سعيد وعمود هندي مع عدد من نواب الضباط والجنود . كما أصدر حكت أمراً بإرسال المتهمين الى بغداد لاجراء محاكمتهم هناك (١١١) .

ازاء إصرار حكت واعوان بكر على تنفيذ هذا الاجراء . قرر العمري رفضه له . واعلن في ١٤ آب ١٩٣٧ بدء انتفاضة الموصل العسكرية . كما اعلن في الوقت نفسه عن قطع علاقة الموصل مع الحكومة المركزية في بغداد . واعتقد أن هذا التبرير كافٍ لأجبارها على الاستقالة . كان العمري معارضاً للانقلاب الذي قاده حكت - بكر منذ وقوعه . وفي خاتمة المطاف وجد نفسه متعاطفاً مع عناصر كتلة الضباط القوميين في الموصل بعد اغتيالهم لبكر . ومع هذا تعددت الآراء وتضاربت وجهات النظر حول هذا الموقف الذي اتخذه العمري . ويمكن إجمالها بما يأتي : (١) - إعتقاد البعض ان العمري كان متفقاً ضمناً مع العناصر المتهمه بقضية الاغتيال . وان اتخذه الاجراءات الحاسمة ضدهم في بادئ الأمر ، لم يكن الا مناوره منه لكسب الوقت خشية انتفاض أمره . (٢) - خضوع العمري لضغوط ومشورة بعض من أمري الوحدات العسكرية في الموصل من أمثال قاسم مقصود وعزيز ياملكي ، والذين اظهروا تعاطفاً ودعمًا للمتهمين بالحادث . (٣) - ان العمري قد أخذ امّا بمشورة (قاسم مقصود) أو (محمد فهمي سعيد) . (٤) - قيام محمد فهمي سعيد وبعض زملائه الموقوفين باستدعاء العمري وتهديده بالصاق تهمة الاغتيال به في حالة موافقته على ارسالهم الى بغداد . وان العمري خضع للأمر الواقع بعد ان ضمن تأييد أمري الوحدات العسكرية ووكيل متصرف لواء الموصل ومدير الشرطة ورئيس البلدية (١١٢) . ومن

ميان الى الشعب العراقي

عذوب عذراء، يا بلبل الزهرين، يسكنك صدقى وهده على جوارى كانت ذ... هجرت
التي كانت ان الازمنة واتي القربى على القائل وبغريب، وكانت غشقيات نوري في
نفاق يحسر الأثر في النائمين وعرشهم غير ان الزوائد القائلة في سداد وذي
القرب شهدت بزوم لقاء الله، على صكك شربين الصراط الآن لا دناءة
ان الخلوب من جمع الاطمن الحافظة على السكون، قائم وديم القيام، باي عمل
من شأنه تنكير صدمه الان

عبد الدين العمري

ابن قراء

آسر للطفقة

١٩٣٧/١٤

البيان الذي اصدره محمد امين العمري في الموصل في ١٤ آب ١٩٣٧

خروجها على «الحكومة المركزية في بغداد». كما ذكر
البيان الشعب بأعمال الانتقام التي قامت بها
الحكومة ازاء خصومها، وانها تريد بعد اغتيال بكر
أن تعيد الكرامة، ولكن ازاء الاكثرية من ضباط
الجيش، ثم دعا البيان الموظفين والشعب لموازة
«حكومة لواء الموصل» ومقاطعة الحكومة المركزية.
وشدد البيان في الختام من لهجته بالتأكيد على ان
«حكومة الموصل» تتوعد بعقوبة الاعداء «لكل من
يحاول الخروج عن طاعتها ويخيل بالأمن
العام»^(١١٤).

وقد شاع في حينه أن الحكومة وأعوان بكر،
كانوا يعدون العدة للاستعانة بالقوات المربطة في
بغداد بغية الزحف على الموصل لانهاء الانتفاضة.
فما كان من العمري إلا أن عمل على تحصين مدينة
الموصل عن طريق اقامة المتاريس في مدخل المدينة
وطرقاتها، وضبط الدوائر الحكومية كافة. فضلاً عن
وضعه أجهزة الهاتف والبرق تحت الرقابة
العسكرية. ثم تعزيز سلاح المدفعية فوق المرتفعات
تحتسباً لأيّ طارئ. وفي الوقت نفسه ضمن العمري
دعم وإسناد بعض أمري الحاميات العسكرية في
الديوانية والحلة وكركوك والسليمانية^(١١٥). كما أبرق
العمري الى الملك غازي معلناً إخلاصه للعرش. في

الجائز ان العمري إما كان متفقاً سراً مع مدبري
الحادث. أو أنه قد وجد نفسه مطوقاً بظروف
الحادث وتعقيداته وعطاشاً بمشاعر مناهضة في أغلبها
لحكومة بغداد، لاسيما بين الضباط الذين تحت
أمرته، وبماكانه كسبها الى جانبه، فقام بهذه
الانتفاضة التي اتخذت شكل الانقلاب
العسكري.

إن أول عمل قام به العمري هو اعتقاله لزييل
ولوقا وبعض الضباط المناصرين لبكر صدقي. كما
طالب المسؤولين في بغداد ان يكون اجراء
المحاكمات والتحقيقات تحت اشرافه. بل هدّد
بالاطاحة بالحكومة القائمة والزحف على بغداد في
حالة رفضها لمطالبه^(١١٦). وكانت اشارة قطعة
العلاقة مع بغداد قد تمثلت بـ «البيان الاول» الذي
أعلنه في ١٤ آب والذي بدأ بعبارة «بيان الى
الشعب العراقي» وكان يحمل توقعه. لقد بين
العمري في هذا البيان دوافع هذه الانتفاضة
العسكرية من حيث ان الحكومة وانصارها من
اتباع بكر قد سيطرت عليهم نزوة الانتقام،
بأصرارهم على «لقاء القبض على كثير من الضباط
الذين لادخل لهم في الأمر بتاتاً» بعد ان
كانت التحقيقات قد حصرت المسألة في الفاعلين
ومحرضيهم. ثم تعنت وإصرار هذه الحكومة على
«ارسال الموقوفين والضباط الاخرين الى بغداد».
وفي خاتمة البيان رفض العمري مطالب الحكومة
هذه. بل قطع العلاقة مع بغداد. ثم ناشد أهالي
الموصل بالتزام الهدوء وعدم القيام بأي عمل
مخالف للأمن والنظام.

كان لهذا البيان وقعه المقبول في الأوساط
الوطنية الموصلية. ولم يلبث العمري أن أعلن «البيان
الثاني» الذي ابتدأ بعبارة «بيان الى الشعب العراقي
النبيل» حاول من خلاله توسيع مسؤوليات
الانتفاضة العسكرية. بل أعلن فيه لأول مرة أن
«حكومة الموصل» المتضامنة بجيشها وإدارتها تعلن

وقت قيل فيه ان الملك كان قد توجس خيفة من أمر الانتفاضة واستكبر موقف الضباط في عدم انصياعهم لأوامر الحكومة^(١١٦).

وبعد أن وثق العمري من موقفه أرسل الى الحكومة في بغداد، مطالب بالانحياز الوطني والقومية في الموصل. وقد تضمنت عدة نقاط هي: (١) - التشديد على استقالة حكومة الانقلاب باعتبارها حكومة «غير شرعية» وتأليف حكومة بديلة لها يرأسها جميل المدفعي. (٢) - عدم الاستجابة لطلب الحكومة بتسليمها المتهمين بجرائم الاغتيال. (٣) - القبض على قتلة جعفر العسكري وضياء يونس ومحاكمتهم مع قاتل بكر وزميله محمد علي جواد في محكمة واحدة^(١١٧).

كانت هذه الشروط كافية لأن تضع الحكومة في موقف لا تحسد عليه. وفي عين الوقت حاول حكمت سليمان التثبيت في السيطرة على زمام الامور. لا سيما بعد ان تغير الموقف وغدا الى جانب انتفاضة الموصل. فقد أعلن العقيد محمد سعيد التكريتي (أمر معسكر الوشاش في بغداد) وقوفه بجانب قيادة الانتفاضة في الموصل متمسكاً «وحدة الجيش والبلاد». كما أيده بموقفه هذا كبار الضباط في المعسكر وفي مقدمتهم العناصر القومية. وقد حاول حكمت نسي محمد سعيد التكريتي عن موقفه. إلا انه أخفق في ذلك بعد أن وضع التكريتي شروطاً للتفاهم، منها «إبعاد بعض الضباط من أنصار بكر عن مناصبهم لحين هدوء الاحوال، وعدم تدخل الجيش في السياسة». وقد أدرك حكمت ضعف موقف حكومته بعد أن أوغزله الملك غازي بتقبل الأمر الواقع وقبول مطالب آمري معسكر الوشاش ومنطقة الموصل. وهنا اضطر حكمت الى تقديم استقالة حكومته في ١٧ آب ١٩٣٧. وسرعان ما انفرج الموقف بعد تشكيل جميل المدفعي للوزارة البديلة، والتي كانت في تشكيلتها واجراءاتها الاولى مقبولة بالنسبة للتكريتي

والعمري والعناصر القومية في الجيش^(١١٨). كما أصدر العمري بياناً رسمياً أعلن فيه انتهاء الانتفاضة واعادة العلاقة مع العاصمة بغداد^(١١٩).

لاقت هذه الانتفاضة التي دامت أياماً معدودة فقط تأييداً واضحاً في الموصل، بل غدت في حينها حديث الساعة. فقد ذكرت (جريدة البلاغ) ان قرار العمري بقطع علاقة الموصل مع الحكومة المركزية في بغداد كان قد قوبل بارتياح وشكر شديدين في المدينة، وقد تمثل ذلك في احد اشكاله باستتباب الأمن في جميع انحاء اللواء. أما (جريدة فتى العراق) فقد وصفت موقف أهالي الموصل من هذه الانتفاضة بـ «الموقف الرزين» و «الموقف النبيل» وبأنهم وبموقفهم هذا انما يعبرون عن «الأخلاص التام لمصلحة البلاد». في الوقت الذي اضفت هاتين الصفتين على العمري ألقاب «البطولة» و «النبالة» واعتبرت قيادته للانتفاضة من قبيل «التدابير الحازمة» و «الخطة الحكيمة»^(١٢٠). ومع ذلك كانت هذه الانتفاضة ورغم صيغتها الوطنية، مؤشراً محفوفاً بالمخاطر، يعبر في مضمونه عن تصفية الحسابات بين الكتل العسكرية المتصارعة داخل الجيش، ومظهراً فعالاً من مظاهر تدخل الجيش في شؤون البلاد السياسية.

ردود فعل الموصل ازاء مصرع الملك غازي :

كان الملك غازي في أواخر عهده قد اكتسب شعبية متنامية في أوساط الشعب العراقي. لاسيما بعد أن أخذ يظهر ميولاً واضحة لتعزيز النزعة الوطنية والقومية في العديد من مواقفه. وقد ظهر ذلك جلياً من خلال الاذاعة الخاصة التي كان قد اسسها منذ حزيران ١٩٣٧ والمعروفة بـ (اذاعة قصر الزهور). فن خلالها جاهر الملك غازي بالدعوة من أجل عودة الكويت الى العراق. فضلاً عن دفاعه بحماسة عن الثوار العرب في

فلسطين والهابة مشاعر العرب في سوريا ضد الانتداب الفرنسي. بل مطالبته الاقطار العربية بالتحريم من النفوذ الأجنبي، وكان هذا كافياً لإيقاد غضب الانكليز عليه والتفكير بغلق إذاعته هذه وإبقائه عند حدّه أوخلعه عن العرش، وربما وضع حدّ لحياته كذلك. وفي وقت كانت فيه بريطانيا تواجه مواقف مقلقة لمصلحتها في العراق منها نشاط المفوضية الألمانية في بغداد، ونمو التيار القومي، والنشاط السياسي المتزايد داخل الجيش، ثم توقّع اندلاع الحرب العالمية الثانية، والتي ستكون طرفاً رئيساً فيها لاحتالة^(١٢١).

في ٣ / ٤ نيسان ١٩٣٩ نشرت الحكومة العراقية بلاغاً رسمياً، جاء فيه أن الملك غازي قد

تلقى أهالي الموصل نعي الملك غازي بألم بالغ. واتسم رد الفعل لديهم بالشدة والعنف والحماة، لاسيما بعد ان شاع في اوساطهم، كما هو الحال في بغداد، أن الانكليز وراء مصرع الملك. وفي صباح يوم ٤ نيسان نظمت في المدينة مظاهرات كبرى اقامها طلاب المدارس الثانوية، وانضم اليها الكثير من قطاعات الشعب. واضرب اصحاب الحوانيت عن أعمالهم تضامناً مع المتظاهرين. وكانت هذه التظاهرات من السعة بحيث تجاوز عدد المشاركين فيها العشرين ألف شخص. طاف المتظاهرون شوارع المدينة الرئيسة، وهم يتفون بكلمات حماسية مثيرة تندّد بسياسة الانكليز. ثم توجهوا الى مقر القنصلية البريطانية



بناية القنصلية
البريطانية في الموصل

(القرية من محطة سكك حديد الموصل). وسرعان ما طوقت جموع المتظاهرين دار القنصلية، حيث هاجموا بالحجارة وأنزلوا العلم البريطاني وأحرقوه. كما أحرقوا سيارة تابعة للقنصلية بعد تحطيمها. وقد اقتحم فريق من المتظاهرين باب القنصلية، وأدّى الأمر بعدئذ الى مقتل القنصل (مونك ميسن) حينما كان يحاول التظاهر بالخروج أمام الجمهور الغاضب واستطلاع الوضع^(١٢٢). وفي الوقت نفسه، كانت الصحف الموصلية، قد شرعت بنقل مشاعر الرأي العام على صفحاتها كجريدة (الريقب) و(فتى العراق) و(البلاغ). بل كتبت الاخيرة قائلة ان الملك الفقيد «كان خير مدافع عن حقوق وكرامة واستقلال الاقطار العربية»^(١٢٣).

توفي أثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بأحد أعمدة الكهرباء بالقرب من قصر الحارثية^(١٢٤). كانت هذه الحادثة بمثابة الصدمة المفاجئة والمؤلة لمعوم الشعب العراقي في حينه. فانطلقت في أغلب المدن العراقية، وفي بغداد على نحو خاص، مسيرات استنكار شبيهة واسعة ومظاهرات طلابية تندب الملك الفقيد وتندّد بسياسة الانكليز. لاسيما بعد ان شاع في الأوساط الوطنية اتهام لنوري السعيد والانكليز بأنها كانا وراء تدبير الحادث. كما أتاح ذلك الفرصة للصراعات الألمانية - الانكليزية الخفية أن تظهر للعيان بل اعتقد الانكليز ان هذه التهمة الموجهة ضدهم كانت من صنع الألمان^(١٢٥).

اتخذ الانكليز من مقتل القنصل ميسن في الموصل ذريعة لمطاردة العناصر الوطنية والقومية، وللغلبة على مصرع الملك نفسه على الرغم من مشاعر التنديد له من قبل الوجهاء والجمعيات واصحاب المهن وبعض الصحف الموصلية^(١٢٦) كما استغل الانكليز مقتل القنصل بغية الضغط على الحكومة العراقية نفسها لتقوم بتخفيف حدة الاتهامات الموجهة ضدهم اثر مصرع الملك. حيث طلبت السفارة البريطانية من حكومة نوري السعيد شجب الهجوم على القنصلية وتقديم اعتذارها لمقتل القنصل. بل اتخذت من ذلك ذريعة للشك في مقدرة الحكومة العراقية على حماية الممثلين البريطانيين و«الممتلكات البريطانية في العراق»^(١٢٧).

وبالفعل قدّم رئيس الوزراء نوري السعيد أسفه للسفير البريطاني، واعتبر حادث مقتل القنصل «صدمة قوية له ولاعضاء حكومته». كما أبلغ نوري السفير أن هذا العمل قد جاء بدفع من بعض «المحرّضين»^(١٢٨). لذا أعلنت حكومته عن مكافأة نقدية قيمتها خمسمائة دينار لأولي أدلة تؤدي الى اكتشاف الفاعل. فضلاً عن تأييدها لمقترح السفير البريطاني بأنشاء مركز شرطة قرب القنصلية. ثم تخصيصها منحة قدرها (عشرون ألف دينار) لتعويض عائلة القنصل القتيل. وفي الوقت نفسه شدد السفير البريطاني وبالتعاون مع حكومة نوري على مراقبة العناصر الوطنية والقومية في (المدرسة الاعدادية) بالموصل وفي جميع المدارس العراقية وذلك لموقفهم المناهض للانكليز. لا بل نشط نوري وبالتعاون مع السفير البريطاني في فرض رقابة صارمة على المفوضية الألمانية في بغداد والألمان العاملين في العراق. كما وجهت السفارة البريطانية الى الدكتور خاجيك (أخصائي في أمراض العيون بالموصل) مهمة العمل لصالح الألمان وإثارة العداء ضد الانكليز^(١٢٩).

لم تكف حكومة نوري بذلك. فقد أقدمت على فرض الاحكام العرفية على مدينة الموصل وضواحيها، وفي ١١ نيسان ١٩٣٩ تم تشكيل (المجلس العرفي العسكري) برئاسة العقيد فرج عمارة، فأخذ على عاتقه التحقيق في الحادث. ثم مالبت أن أصدر أحكاماً مختلفة على المتهمين بهذه القضية والذين كانوا في أغلبهم من التلاميذ والعمال والكسبة^(١٣٠). وقد بقيت الاحكام العرفية معلنة في الموصل وضواحيها الى حين صدور إدارة ملكية بألغائها في ١٢ آب ١٩٣٩^(١٣١). ومع ذلك، أوضح هذا الحادث بجلاء طبيعة الأحاسيس الوطنية الجياشة والمناهضة للسياسة البريطانية الاستعمارية. كما يلحظ من خلاله شدة الإجراءات الانتقامية التي اتخذتها السفارة البريطانية بالتعاون مع حكومة نوري للملاحقة العناصر الوطنية والقومية بغية وضع حدٍ لنشاطها. لاسيما وأن السفير البريطاني نفسه كان قد كتب في احدى تقاريره مؤكداً وقتئذٍ من «أن الموصل قد غدت بؤرة مؤثرة للدعاية المضادة لبريطانيا»^(١٣٢).

ومها يكن من أمر، فإنه على أثر موت الملك غازي، كان مجلس الوزراء قد اجتمع في قصر الزهور الملكي مساء يوم ٣ / ٤ نيسان ١٩٣٩ واتخذ قرارات عدة أهمها، اعلان الامير ولي العهد (فيصل) ملكاً على العراق بأسم (فيصل الثاني) وفقاً للدستور. ثم تسمية الامير عبد الله (وصياً على الملك). فضلاً عن دعوة مجلس الامة للاجتماع بغية البت في أمر (الوصاية) نهائياً وفقاً للدستور^(١٣٣) وفي ٦ نيسان ١٩٣٩ عقد مجلس الأمة اجتماعاً طارئاً، ووافق بالأجماع على تعيين الأمير عبد الله وصياً على الملك الى ان يبلغ سن الرشد القانونية^(١٣٤). ومنذئذٍ بدأ الوصي المذكور بمزاولة مهامه السياسية. ومع هذا، فإن مصرع الملك غازي المفاجئ قد أعاد من جديد الجواليماء بالصراعات السياسية الداخلية والخارجية. في

وقت كانت فيه بريطانيا تعتقد ان أهم العقبات التي يمكن ان تجاها تتعلق بموقف العراق من العمل بمعاهدة ١٩٣٠ في حالة إندلاع الحرب العالمية الثانية (١٣٥).

الهوامش

- (١) كانت القوات البريطانية قد احتلت الموصل مستندة الى المادة (٧) من هدنة مفرس التي تؤكد بان «الحلفاء الحق أن يحتلوا اي نقاط ذات أهمية عسكرية في حالة حدوث ما يهدد سلامة الحلفاء». انظر: احمد رفيق البرقاي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢. دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٩٥.
- (٢) كيزروديل (الس)، فصول من تاريخ العراق القريب. ترجمة جعفر خياط، ط ٢، مطبعة دار الكتب (بيروت، ١٩٧١)، ص ١٥٤.
- (٣) نوري أحمد عبدالقادر: الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠-١٩٤١. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٨. ص ص ٦٤-٦٧.
- (٤) ابراهيم خليل احمد، محافظة نينوى في المصير الحديثة، في عامر سليمان وآخرون، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر. دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، ١٩٨٦)، ص ص ١١٥-١١٦.
- (٥) عبدالله الفياض: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠. مطبعة الأرشاد (بغداد، ١٩٦٣)، ص ١٢٥.
- (٦) عبد الامير هادي الكماي: الحركة الوطنية في العراق ١٩٢٠-١٩٣٣. مطبعة دار الآداب (النجف، ١٩٧٥)، ص ص ٣٥-٣٦.
- (٧) محمد طاهر العمري: تاريخ مقدرات العراق السياسية ج ٣، مطبعة دار السلام (بغداد، ١٩٢٥)، ص ص ١١٣ وما بعدها.
- (٨) الفياض، المصدر السابق، ص ١٧٦.
- (٩) العمري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥٠.
- (١٠) الفياض، المصدر السابق، ص ١٧٩، الكماي، المصدر السابق، ص ٣٤.
- (١١) للتفاصيل ينظر: عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص ٨٨ وما بعدها.
- (١٢) الكماي، المصدر السابق، ص ص ٤٦-٥٢.
- (١٣) خيريه أمين العمري: حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث. منشورات مكتبة آفاق عربية للنشر والتوزيع، (بغداد، لا. ت.)، ص ص ٨٣-٨٨.
- (١٤) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص ٩٠-٩٢.
- (١٥) انظر كتابه: حكايات سياسية...، ص ٧٦.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٨٨. الكماي، المصدر السابق، ص ٦٣.
- (١٧) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص ٩١-٩٢.

- (١٨) العمري، حكايات سياسية...، ص ص ٧٣-٨٩، الكماي، المصدر السابق، ص ص ٦٢-٦٣.
- (١٩) الكماي، المصدر السابق، ص ٦٤.
- (٢٠) فاروق صالح العمري: المعاهدات العراقية- البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢-١٩٤٨. دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٧)، ص ٤٢.
- (٢١) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ١٠٣.
- (٢٢) العمر، المصدر السابق، ص ٦٤.
- (٢٣) الكماي، المصدر السابق، ص ص ٩٣-٩٥.
- (٢٤) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ١٠١.
- (٢٥) العمر، المصدر السابق، ص ٤٠.
- (٢٦) الكماي، المصدر السابق، ص ص ١٣١-١٣٤، عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص ١٠٤-١٠٦.
- (٢٧) الكماي، المصدر السابق، ص ص ١٣٩-١٤٤، عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص ١٠٧-١١١. كان التصديق على المعاهدة قد جرى في ١١ حزيران ١٩٢٤ ووافق خمسة أصوات. كما كان احد شروطه: اعتبار المعاهدة واتفاقياتها لاغية في حالة عدم تمكن الحكومة البريطانية من المحافظة على حقوق العراق التامة في ولاية الموصل، انظر: جاسم محمد حسن الطويل (وآخرون): تاريخ الوطن العربي المعاصر. دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، ١٩٨٦)، ص ٦٣.
- (٢٨) زكي صالح: مقدمة في دراسة العراق المعاصر. مطبعة الرابطة (بغداد، ١٩٥٣)، ص ٧٣.
- (٢٩) البرقاي، المصدر السابق، ص ٩٥.
- (٣٠) لطفي جعفر فرج: عبدالحسن السعدون بدوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر. ط ٢، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٧٨.
- (٣١) فاروق صالح العمر: الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢. مطبعة الأرشاد، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٤٦.
- (٣٢) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص ١٢٨-١٣١.
- (٣٣) العمر، الأحزاب السياسية...، ص ص ١٤٤-١٤٥.
- (٣٤) فاضل حسين: مشكلة الموصل. دراسة في الدبلوماسية العراقية- الانكليزية- التركية في الرأي العام. ط ٣، مطبعة اشيبيلية، (بغداد، ١٩٧٧)، ص ص ٢٢٦-٢٢٧.
- (٣٥) العمر، المصدر السابق، ص ١٤٥، عبدالقادر، المصدر السابق، ص ١٣٥.
- (٣٦) فاضل حسين، المصدر السابق ص ص ٢٢٧-٢٢٨، العمر، المصدر السابق، ص ص ١٤٧-١٤٨.
- (٣٧) الكماي، المصدر السابق، ص ٤٦٩.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ٤٧١، العمر، المصدر السابق، ص ص ١٥٢-١٥٣.
- (٣٩) في ٥ حزيران ١٩٢٦ عقدت المعاهدة العراقية- البريطانية- التركية. وفيها اعترفت تركيا بان الموصل جزءاً لا يتجزأ من العراق. إضافة الى اعتبار الحدود بين العراق وتركيا نهائية ولازمة. كما تناولت المواد من (٦-١٣) تنظيم علاقات حسن الجوار بين البلدين. فضلاً عن حصول تركيا على حصص تقدير.

الجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣-١٩٣٩. منشورات مكتبة
الليظة العربية، (بغداد، ١٩٨٧). ص ٦٩.

(٥٨) بلغت هذه الشاعر الشعبية قوتها كذلك عند عودته الى بغداد في
٣١ آب. فقد قدرت الجموع التي خرجت لاستقباله والتهافت له
في مطار بغداد بخمسين ألف نسمة. ينظر: المصدر السابق،
ص ٥٣-٥٤.

(٥٩) المصدر السابق، ص ٥٢، ص ٥٣-٥٤.

(٦٠) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦١.

(٦١) كان حزب الأخاء قد أفتح له فرعاً في الموصل بصورة رسمية في
٢٣ مارس ١٩٣٣ وغدا شياء يونس (الحامشي) معتمداً له. في
حين حل محله حمدي جلميران عام ١٩٣٤. للتفاصيل ينظر:
عبد الفتاح علي يحيى: الحياة الحزبية في الموصل
١٩٢٦-١٩٥٨. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب،
جامعة الموصل ١٩٩٠، ص ٩١-٩٥.

(٦٢) النحاس، المصدر السابق، ص ٨٦-٨٨.

(٦٣) جريدة البلاغ، العدد ٢٦٧، ٢٩ آب ١٩٣٣.

(٦٤) المصدر نفسه، العدد ٣٠٣، ٩ كانون الثاني ١٩٣٤.

(٦٥) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٢-١٦٦.

(٦٦) AL - Haffou, Ghanim M.: L'opposition politique
Irakienne et Les Mouvements des Tribus au
Moyen - Euphrate (1934-1936). Maitrise en
H.cont. de L'Irak. Universite de poitiers (France
1979). pp. 19-34.
Ibid., pp. 38-54.

(٦٧) ينظر كذلك الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦١
وسابعدها. القيسي، المصدر السابق، ج ٢،
ص ١٧٥-١٧٩.

(٥٠) بمود أصول هذه الكلمة الى (الميثاق القومي العربي) الذي
وضع أسسه في عام ١٩٢٧ بمسح الضباط القوميين. ثم
أزدد نشاطها خلال حكومة ياسين الهاشمي الثانية. ثم غدت
بمبدئي الوجه العلني للحزب القومي العربي السري وكان من أبرز
قاداتها صلاح الدين الصباغ وعبد فهمي سيد ومحمود سلمان
وكامل شبيب.

(٦٨) الدرة، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٦٩) دار الكتب والوثائق (بغداد). ملف وزارة الدفاع/ف ١٧.
الاستخبارات والتقارير العسكرية. التقرير المرقم س/٧٤
والمؤرخ في ٣ نيسان ١٩٣٥. وثيقة رقم (٤٤).

(٧٠) صلاح الدين الصباغ: رواد العروبة في العراق (مذكرات).
ط ٢، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٣). ص ٧٧
٨٤-٨٥.

(٧١) عبد الرزاق الحسيني: الأسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١
الصحفية. ط ١، (بيروت، ١٩٧٦). ص ١٥-١٦.

(٧٢) الحسيني، الزارات. ج ٤، ص ٨٣.

(٧٣) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٧.

(٧٤) Public Record office (P.R.O). Foreign office (F.O)
London E 2296193. No. 122. Kerr to John Simon,
Baghdad, March 28, 1936

(١٠٪) من عائلات نطق الموصل ولدة خمس وعشرين سنة.
انظر: صانع، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٤٠) الكمام، المصدر السابق، ص ٤٦٧.

(٤١) العمر، المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٤٢) كامل الجادرجي: من أوراق كامل الجادرجي. ط ١، دار
الطبعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧١)، ص ١٧١،
فاضل حسين، المصدر السابق، ص ٣٠٢ وباعدها.
البرقاري، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٤٣) فرج، المصدر السابق، ص ١٩٧ وباعدها.

(٤٤) عبد القادر، المصدر السابق، ص ١١٤-١١٥.

(٤٥) الكمام، المصدر السابق، ص ٤٧١.

(٤٦) العلول (وأخرون)، المصدر السابق، ص ٦٧-٦٨.

(٤٧) للتفاصيل ينظر: الكمام، المصدر السابق، ص ٢٦٧-٢٦٨،
٢٨١، ٢٩٧.

(٤٨) عبد الرزاق الحسيني: تاريخ الولايات العراقية، ج ٢، ط ٤،
مطبعة دار الكتب، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٤٩) الكمام، المصدر السابق، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٥٠) عبد القادر، المصدر السابق، ص ١١٩-١٢١.

(٥١) وائل علي النحاس: تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦-١٩٥٨.
رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب، جامعة
الموصل ١٩٨٨، ص ٢٧٤-٢٧٦.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٥٣) العدول (وأخرون)، المصدر السابق، ص ١٥٩-١٦٠.

(٥٤) سامي عبد الحافظ القيسي: ياسين الهاشمي ودوره في السياسة
العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦. ج ٢، مطبعة العاني
(بغداد، ١٩٧٥). ص ١٥٩-١٦٠. ينظر كذلك:
محمود الدرة: الحرب العراقية-البريطانية. ط ٢، دار المعرفة،
(القاهرة، ١٩٨٢)، ص ٤٣. ومن الجدير بالذكر أن هذه
المطامع السياسية لدى الآتوريين المتبردين قد ظهرت بعد أن
عقد زعمائهم في (سر عادية) أواخر حزيران ١٩٣٢ اجتماعاً
خاصاً وضعوا فيه مابيسى بـ «الميثاق الوطني الآتوري».
للتفاصيل ينظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٠-١٩١.

(٥٥) متين هسلي لونكريك: العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى
سنة ١٩٥٠. تاريخ سياسي، اجتماعي واقتصادي. ج ٢،
ط ١ ترجمة سليم طه التكريتي. منشورات الفجر (بغداد،
١٩٨٨). ص ٣٨٠.

(٥٦) كان الملك فيصل قد غادر العراق منذ ٥ حزيران ١٩٣٣ في
زيارة لبريطانيا. ثم قتل راجعاً على وجه السرعة الى بغداد في ٢
آب ليطلع نفسه على سير انتهاء التمرد. ثم غادر بغداد ثانية بعد
انتهاء التمرد في الأول من أيلول الى سويسرا بقصد الاستجمام
والمعالجة. وبعد سنة أيام توفي فجأة هناك. وقد أثار موته الفاجي
الشكوك والريبة في حبه. ينظر: القيسي، المصدر السابق،
ج ٢، ص ١٥٨، ١٦١-١٦٢.

(٥٧) لطفي جعفر فرج: الملك غازي ودوره في سياسة العراق في

- (٧٥) الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٦-٨٧.
- (٧٦) P.R.O.(F.O.) (London) E 2455/93.No. 126. Kerr to John Simon Baghdad, April 2, 1935.
- (٧٧) ذكرت (جريدة الطريق) أن عدد الموقعين على «الميثاق» المذكور كان ست وتسعون رئيساً. العدد ٦١٤، ٩ نيسان ١٩٣٥.
- (٧٨) الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٢. جريدة البلاغ، العدد ٣٨٠٣، ١٢ نيسان ١٩٣٥.
- (٧٩) دار الكتب والوثائق (بغداد). ملف وزارة الداخلية (١١١٧-و). وثيقة رقم (١). جريدة البلاغ، العدد ٣٨٠٢، ١١ نيسان ١٩٣٥.
- (٨٠) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٨.
- (٨١) AL - Haffou, G.M.: op. cit., p. 77.
- (٨٢) وهذه الحركات هي: حركة الرميثة الأولى (٧ مايس ١٩٣٥) وحركة سوق الشيوخ (٩ مايس ١٩٣٥) وحركة عشائر البوذية في البصرة (آب ١٩٣٥) وحركة عشائر بني ركب في لواء المنتفك (شباط ١٩٣٦) وحركة الرميثة الثانية (نيسان ١٩٣٦) وحركة عشائر الأكرع في عكك (حزيران ١٩٣٦). وقد تمكنت حكومة الهاشمي من قمعها وأخادها بشدة بعد أن أناطت الى اللواء بكر صديقي قيادة العمليات العسكرية في هذه المناطق. للتفاصيل ينظر: الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٨ ومابعدها؛ القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٧-٢٣٦.
- (٨٣) كانت حكومة المدفسي الثانية قد شرعت هذا القانون في شباط ١٩٣٤. فضلاً عن ذلك أثرت حكومة الهاشمي لهذا الغرض كذلك (نظام الفترة) في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٥ محاولة منها لتشجيع روح النظام والمسكينة بين طلبة المدارس المتوسطة والثانوية. ينظر: القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٠، ٢٤٤، ٢٥٠.
- (٨٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤٤-٢٤٥. كان من بين الحركات العشائرية التي أعلنت رفضها لهذا القانون في الفرات الأوسط هي: حركة سوق الشيوخ والحركة التي قامت في المدينة (ناحية بقضاء القرنة التابع اللواء البصرة) وحركة الرميثة الثانية وحركة عشائر الأكرع. (ينظر الهاشمي المرقم ٨٢ من هذا البحث).
- (٨٥) محمد البريكاني: حقائق تأريخية عن القضية البارزانية. شركة الطبع والنشر الأهلية المحدودة، (بغداد، ١٩٥٣)، ص ١٥.
- (٨٦) الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٦-١٤٧.
- (٨٧) البريكاني، المصدر السابق، ص ١٦. ومن الجدير بالذكر أن حركة التمرد في هذه المناطق قد اندلعت مرة أخرى وبشكل واسع في آب ١٩٤٥ بقيادة «الملا مصطفى البارزاني». وتمكنت حكومة حديدي الهاجيجي من أخادها في منتصف تشرين الاول ١٩٤٥، بعد أن غادر الملا مصطفى وأخوه أحمد العراق الى إيران ثم الى الاتحاد السوفيتي، ولم يتمكن الملا مصطفى من العودة الى العراق إلا بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. للتفاصيل ينظر: الحسيني، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣١٥-٣٣٢.
- (٨٨) الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٥-١٤٦.
- (٨٩) عبدالرزاق الحسيني: تأريخ العراق الحديث، ج ٣، ط ٧، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٩٨٩)، ص ١٤٤.
- (٩٠) جاء في احد التقارير البريطانية أن هؤلاء إقترحوا على المتصرف تشكيل (وحدة عسكرية يزيدية) تحت قيادة ضباط مسيحيين ليكون ذلك بمثابة الحل الممكن للمسألة. إلا أن المتصرف، على ما يبدو، لم يفتتح بهذا الطلب. ينظر: نجدت فنجي صفوت: العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦. ط ١، منشورات مركز دراسات الخليج العربي (البصرة، ١٩٨٣)، ص ١٢٥.
- (٩١) جاء في أحد المصادر إن اسمه (دادوي داود). كما وصف بأنه «رجل ذو ماضي عاصف». المصدر السابق، ص ١٢٥.
- (٩٢) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٨.
- (٩٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤٨-٢٤٩.
- (٩٤) بلغ عدد المحكومين بالأعدام (١١) نفذ الحكم في (٩) منهم وخفف الحكم عن اثنين منهم الى السجن المؤبد. وحكم على (٤٩) بالتي. كما حكم على (٣٢٦) منهم بالسجن لفترات مختلفة وعلى (٣) منهم بالسجن الاصلاحى. كما تم القبض على (٧) آخرين بعد إنتهاء الأحكام العرفية. ينظر: الحسيني، الوزارات.. ج ٤، ص ١٥١-١٥٥. صفوت، المصدر السابق، ص ١٢٥.
- (٩٥) الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٢-١٥٣.
- (٩٦) وردت هذه المعلومة في تقرير لآمرية منطقة الموصل الى وزارة الدفاع العراقية. ينظر: الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥١، ١٥٥-١٥٦.
- (٩٧) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٥١.
- (٩٨) كانت السفارة البريطانية قد احتجت لدى الحكومة العراقية اثر اعتقال عشرين مسيحياً ووجهت لهم تهمة التواطؤ في هذا التمرد. وقد اطلق سراحهم بعد أيام قليلة من الاعتقال. ينظر: صفوت، المصدر السابق، ص ١٢٥.
- (٩٩) نزولاً تحت رغبة السفير قام رشيد عالي الكيلاني بصفة كونه (وكيل وزير العدلية) بتدقيق هذه الاحكام بنفسه فلم يجد ما يستلزم ابدال عقوبة الاعدام بغيرها، ولاسيما بوجود اعترافات المحكومين بتمذد الحكم حالاً. ينظر: الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٤.
- (١٠٠) صفوت، المصدر السابق، ص ١٢٥. ويظهر أن السفير البريطاني لم يكتف بذلك. فقد طلب من وزارة الخارجية العراقية في ٢ كانون الاول ١٩٣٥ تصحيح ما وصفه بـ «الانطباعات الخاطئة» التي قد تولدها في جنيف التقارير المتعلقة بالمصليان الزيدي. إلا أن الوزارة اكدت له ان اعدام الهاشمي عبدالله قاتل وعبدالكريم قوه كله قد تم بعد اعترافها اعترافاً صحيحاً بما أدّينا به. كما أنها ذكرت أسماء لقيت من المشتركين في الترحيض، لكن الحكومة اكدت باعدامها دون غريم. حول هذا الموضوع راجع: الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٦.
- (١٠١) فرج، المصدر السابق، ص ١٠٧. مع هذا فقد استصدرت إدارة ملكية في ٧ أيلول باعفاء (٢٩) سجيناً ما تبقى من مدة

- (١٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٤ - ٢٨٧.
- AL - Haffou, Ghanim: L'Irak devant La deuxieme guerre mondiale. Doctorat de 3eme Cycle. Universite de Poitiers (France, 1981). P. 21.
- (١٢٢) الحسيني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٨٣.
- AL - Haffou, G. M.: op. cit., PP. 66 - 67. (١٢٣)
- (١٢٤) أحمد فوزي: أشهر الاغتيالات السياسية في العراق. مطبعة الديواني، (بغداد، ١٩٨٧) ص ١٧٨. عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢١٢ - ٢١٥. الحسيني، الاسرار الخفية...، ص ٣١.
- (١٢٥) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٨٨ - ٢٩٠.
- (١٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٩١؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢١٦.
- P. R. O. (F. O.) (London). 371/23200. E 2523. (١٢٧) British Embassy (Baghdad) to prime minister. 5 April, 1939.
- P. R. O. (F. O.) (London). 371/ 23200. E 2507. (١٢٨) From Sir M. Peterson to F. O. Baghdad, 4 April, 1939.
- P. R. O. (F. O.) (London). 23202. E 5412. Sir B. (١٢٩) Newton to vicount Halifax. Baghdad, 26 July, 1939.
- (١٣٠) الحسيني، الوزارات...، ج ٥، ص ٨٨. عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢١٩ - ٢٢٠. ومن الجدير بالذكر أن هذا المجلس قد أدان هذه القضية كلاً من هشام عبد الله الداغ (تلميذ في المدرسة الثانوية) ومحمد مصحفي (حجّار) وجراح فاضل الشمري (عامل في السكك الحديدية) وحسن علي الشمري (عامل في السكك الحديدية) وسليمان حسن (حامل وحامد مصطفیٰ سائق عربة). وقد حكم على الاول والثاني بالإعدام ولصغر سنهما تم إيداع الحكم بالحبس الشديد لمدة خمس عشرة سنة. في حين حكم على الثالث والرابع بالاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات. أما الاخيران فقد حكم عليهما بالاشغال لمدة ثماني سنوات. وقد بلغ من ثمّ حبسهم ما يزيد على (٣٥) شخصاً بمدد مختلفة. كما تمّ الافراج عن البعض الآخر من المتهمين. للتفاصيل ينظر: فوزي، المصدر السابق، ص ١٨١ - ١٨٥.
- (١٣١) الحسيني، الاسرار الخفية...، ص ٣١.
- P. R. O. (F. O.) (London). 371/23202. E 5412. Sir (١٣٢) B. Newton to viscount Halifax. Baghdad, 26 July, 1939.
- (١٣٣) دار الكتب والوثائق (بغداد). مجلس الوزراء (قرارات)، ج / ١١ / ٢، وثيقة رقم ٥.
- (١٣٤) دار الكتب والوثائق (بغداد). ملفات البلاط الملكي. و / ١٥، وثيقة رقم ٧.
- (١٣٥) رجا حسين الخطاب؛ تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١ - ١٩٤١. دار الحرية للطباعة (بغداد)، (١٩٧٩)، ص ٢١٤ - ٢١٥.
- محكومياتهم. كما تمّ اصدار المفو عن (١٢٥) آخرين في ٦ تشرين الاول ١٩٣٦. وبعد تأليف حكمت سليمان لحكومته في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ اطلق سراح (١٩٧) سجيناً وهم كل ما تبقى من المحكومين. ينظر: الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٦.
- (١٠٢) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٦.
- (١٠٣) من بين المصادر المتعددة التي عاجلت ظهور هذه الجامعة ومبادئها صفاء عبد الوهاب المبارك: انقلاب سنة ١٩٣٦ في العراق ومهداته وحداثه ونتائج. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب، جامعة بغداد، أيلول ١٩٧٣. فؤاد حسين الزكيّل: جامعة الاهالي في العراق (١٩٣٢ - ١٩٣٧). دار الحرية للطباعة والنشر (بغداد، ١٩٧٩). الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢١١ وما بعدها.
- (١٠٤) الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٤١ - ٢٤٢؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٩٢.
- (١٠٥) جريدة فتي العراق (الموصل)، العدد ٢٧٧، ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٦.
- (١٠٦) حازم الفتحي، العراق بين عهدين (ياسين الهاشمي وبكر صديقي) مطبعة سمر (بغداد، ١٩٩٠)، ص ١٧٠؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٩٤.
- (١٠٧) للتفاصيل راجع: عبد الرزاق عبد الدراجي: جغرافيا التهم ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨ - ١٩٤٥. دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٨). ص ٤٥٠ وما بعدها؛ الزكيّل، المصدر السابق، ص ٤٣٤ - ٤٣٥؛ الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٣.
- (١٠٨) الفتحي، المصدر السابق، ص ١٧٠؛ الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٥.
- (١٠٩) الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٤ - ٣٤٦. عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٩٨ - ١٩٩؛ الفتحي، المصدر السابق، ص ١٦٨ - ١٧٠.
- (١١٠) المبارك، المصدر السابق، ص ٢٩٦ - ٢٩٧؛ الفتحي، المصدر السابق، ص ١٧٥.
- (١١١) المبارك، المصدر السابق، ص ٢٩٧ - ٢٩٨؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢٠١ - ٢٠٤.
- (١١٢) للتفاصيل حول هذا الموضوع يلاحظ: الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٨ - ٣٤٩؛ المبارك، المصدر السابق، ص ٢٩٨؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢٠٢ - ٢٠٤.
- (١١٣) المبارك، المصدر السابق، ص ٢٩٨ - ٣٠٠.
- (١١٤) ينظر نص هذين البيانين، الحسيني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٤٨ - ٣٥٠.
- (١١٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٢.
- (١١٦) عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢٠٦.
- (١١٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.
- (١١٨) المبارك، المصدر السابق، ص ٣٠١ - ٣٠٢.
- (١١٩) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٨٥.

تَطَوُّرُ الْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ فِي الْوَصْلِ

(١٣٦٠ - ١٣٣٧ هـ / ١٩٤١ - ١٩٥٨ م)

د. غانم محمد الحَقْو

مقدمة :

الوزراء في ٢٥ آب ١٩٣٩ عبّر نوري السعيد عن رغبته علانية في دخول العراق الحرب الى جانب بريطانيا في حالة اعلان الاخيرة الحرب على المانيا. وقد أبداه بذلك علي جودت الايوبي (وزير الخارجية). في حين عارضه بقية الوزراء ومنهم طه الهاشمي (وزير الدفاع). على اعتبار ان معاهدة ١٩٣٠ لا تلزم العراق باعلان الحرب^(٥).

في الاول من ايلول ١٩٣٩ اجتاحت القوات الألمانية بولونيا. وفي ٣ ايلول أعلنت كل من فرنسا وبريطانيا انها في حالة حرب مع المانيا. وكان ذلك قبل اتساع دائرة الحرب لتشمل معسكرين متقابلين هما : (دول المحور) و(دول الحلفاء)^(٦). وفي اليوم نفسه التقى نوري السعيد خطاباً حدّد من خلاله التزام العراق بمعاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا لاسيما (البند الرابع) المتضمن تسهيل المواصلات البريطانية داخل العراق. كما استبعد نوري مسألة اشتراك العراق بالحرب الى جانب بريطانيا^(٧). إلا ان ذلك كان مناورة من نوري السعيد. ففي ٥ ايلول قطعت حكومته العلاقات الدبلوماسية مع المانيا. وايداه بذلك الوصي بشكل ضمني. وسرعان ما كشف نوري عن نيته في الوقوف الى جانب بريطانيا الى آخر الشوط. ثم أعاد نوري ذلك صراحة خلال انعقاد (مجلس الدفاع الاعلى) في ٩ تشرين الاول ١٩٣٩، حينما طالب بإدخال العراق في الحرب الى جانب بريطانيا. مما أثار المعارضة الوطنية الشديدة ضده^(٨).

وهكذا، احدثت الحرب وتطوراتها منذ البدء تقريباً اتجاهات متعددة في المواقف السياسية

أظهرت المدة بين تولي الوصي عبدالاله مهام الوصاية لعرش العراق في ٦ نيسان ١٩٣٩، واندلاع الحرب العالمية الثانية في الاول من ايلول ١٩٣٩، نوعاً من الهدوء السياسي النسبي. لاسيما وان الوضع الداخلي في العراق وقتئذٍ كان يتسم بالعداء لبريطانيا. وقد كان (التيار الوطني القومي) بشقيه المدني والعسكري، والنشاط الدعائي الألماني، قد تصاعدا بشكل واضح على الرغم من محاولات بريطانيا وحكومة نوري السعيد للحد من نشاطها.

في اواخر نيسان ١٩٣٩ أجرى نوري السعيد تعديلاً على حكومته. حيث احتفظ لنفسه بوزارة الداخلية فضلاً عن رئاسته للحكومة وعهد بوزارة الخارجية الى علي جودت الايوبي. وفي ٥ حزيران ١٩٣٩ أقدم نوري على اجراء انتخابات جديدة للبرلمان ضمن فيها الأغلبية لصالح حكومته^(١). وفي ١٣ حزيران افتتح الوصي عبدالاله البرلمان الجديد، والتي فيه خطاباً حدد بموجه السياسة العامة للبلاد. وفي مجال السياسة الخارجية، أوضح ان السلم في «الشرق الاوسط» امام الظروف الدولية المتوترة يعتمد على صلات الصداقة والتعاون ما بين الدول المرتبطة بـ (ميثاق سعد آباد)^(٢)، واهتمام العراق وعنانيته بالقضايا التي تهم الاقطار العربية، ثم الاهتمام بروابط التحالف مع بريطانيا^(٣).

ازاء تدهور الوضع الدولي في اوربا. كانت بريطانيا تبذل جُلَّ جهدها بأن يلتزم العراق اتجاهها كلياً ببنود معاهدة ١٩٣٠ نصاً وروحاً في حالة قيام حرب عالمية شاملة^(٤). وخلال انعقاد مجلس



محمد يونس السباعي

عالي الكيلاني ومحمد يونس السباعي مفتي القدس محمد أمين الحسيني) الذين كانوا يمثلون بنشاطهم هذا الواجهة العلنية لـ (الحزب القومي العربي السري) في العراق^(١٢)، من اسقاط حكومة طه الهاشمي وتشكيل (حكومة الدفاع الوطني العسكرية المؤقتة). وفي ١٠ نيسان أعلن مجلس الامة وصاية الشريف شرف بدلاً من عبدالاله الذي غادر البلاد ووضع نفسه تحت الحماية البريطانية. وفي ١٢ نيسان شكل الكيلاني حكومته الرابعة.

وطيلة شهر نيسان واجهت هذه الحكومة عنت وضغوط الانكليز الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية، لاسيما بعد الاتصالات السرية التي اجرتها مع دول المحور بغية تحرير العراق من الهيمنة البريطانية وتحقيق الاستقلال لعموم الاقطار العربية. وفي ٢ مايس ١٩٤١ بدأت المواجهة العسكرية بين العراق وبريطانيا. وقد أظهر العراقيون خلالها موقفاً يشهد له بالكفاح من أجل الاستقلال برغم امكاناتهم المحدودة. وساندتهم في ذلك بعض المنظمات والقوى الشعبية في عدد من الاقطار العربية. وفي مطلع حزيران ١٩٤١ تمكن الانكليز من اجهاض الثورة واحتلال العراق للمرة الثانية. ثم شرعوا بالتعاون مع الوصي عبدالاله وحكومتي جميل المدفعي ونوري السعيد، بشن حملة شعواء ومنظمة على عناصر الحركة الوطنية والقومية في

ووجهات النظر داخل العراق على الصعيدين العسكري والسياسي. لقد مثلت المدة بين اعلان الحرب وافتاق ثورة نيسان - مايس ١٩٤١ مايشبه (المرحلة الاولى من موقف العراق ازاء الحرب) لاسيما وان تطورات الحرب قد سمحت بشكل متدرج لـ (التيار الوطني القومي)^(١٣)، بالدخول بمجابهة فعلية مع (التيار المحافظ) الذي تزعمه الوصي ونوري السعيد، ومن ثم تمكنه من الوصول الى السلطة ممثلاً بحكومة رشيد عالي الكيلاني الثالثة (اذار ١٩٤٠ - كانون الثاني ١٩٤١). الا ان بريطانيا تمكنت من اسقاطها بالتعاون مع الوصي ونوري، ولاسيما بعد أن قامت هذه الحكومة باجراء اتصالات سرية وشبه رسمية مع دول المحور، بغية كسب دعمها لقضايا التحرر العربي^(١٤).

لم تكن الحكومة التي شكلها طه الهاشمي (شباط - اذار ١٩٤١) الا فترة هدوء. بل هدنة مؤقتة تسبق المجابهة الفعلية بين (التيار الوطني القومي) و (التيار المحافظ) المدعوم من بريطانيا. وبعد أن فشل الهاشمي في التوصل الى تحقيق انسجام وتوازن بين هذين التيارين، ومحاولة بريطانيا اخضاع الهاشمي وحكومته بمطالبتها له ازالة نفوذ القادة العسكريين القوميين في الجيش وقطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا، تحرك التيار الوطني القومي بشقيه المدني والعسكري، وتمكن من ازالة هذه الحكومة، ومن ثم تولي السلطة وعلان الثورة التحررية ضد الوجود البريطاني ومرتزكاته في العراق والاقطار العربية الاخرى. فكانت بهذا ثورة وطنية - قومية^(١٥).

موقف الموصل من (ثورة نيسان - مايس ١٩٤١) :
في مطلع نيسان ١٩٤١ تمكنت العناصر الوطنية والقومية، سواء العسكرية منها (العقلاء الاربعة : صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب) او المدنية (رشيد

العراق ثم اعدام البعض من أبرز قادة هذه الثورة^(١٣).

كان للثورة وقمها المؤثر والفعال في الموصل. بل اتسم موقف المواطنين في تأييدها بالحاسة والاندفاع. فقد انتهالت برقيات التأييد لها من مختلف القطاعات التي تمثل جمهور المدينة ومثلي الجهات الرسمية فيها وعشائر الموصل وضواحيها. وكان لطلاب المدارس لاسيما (المدرسة الاهلية) دورهم البارز في دعوتهم للتدريب على السلاح والتطوع للقتال. في حين تم توزيع السلاح على (فئة المدارس) ونظم اكثر من مائتي منهم مظاهرة نددت ببريطانيا وسياستها الاستعمارية. كما أصدر علماء الموصل (الفتوى) التي دعت اهالي المدينة الى رفع (راية الجهاد المقدس). الى جانب إشادة الشعراء والادباء بقصائدهم الوطنية اللاهبة بدعم الثورة. فضلاً عن تشكيل عدة لجان في المدينة غرضها جمع التبرعات، حيث اشترك فيها أشخاص يمثلون قطاعات وطبقات مختلفة من جماهير الموصل^(١٤).

وفي الوقت نفسه، قام (الحزب القومي العربي السري) وواجهاته في الموصل بدور فاعل في اثارة الشعور القومي لتأييد الثورة والمطالبة بالاشتراك في القتال الى جانب الجيش. فقد دعا (حازم المفتي) جماهير المدينة الى الاجتماع في الجامع النوري



حازم الفتي

(الكبير) لتوضيح مرامي السياسة البريطانية الاستعمارية في العراق. وبالفعل لبّت جموع من المواطنين الدعوة، وتخللها التي المفتي مع بعض من زملائه الخطب الوطنية الحامسة التي ألهمت مشاعر الجمهور. كما نظمت عناصر هذا الحزب مظاهرة كبرى طافت شوارع المدينة وهي تحمل الاعلام وترفع الشعارات الوطنية والقومية. فضلاً عن تدبير المقالات الصحفية المعبرة عن اهداف الثورة. ثم شكلت هذه العناصر القومية وفداً كبيراً ضمّ ممثلي المؤسسات والاصناف الحرفية واتجه الى بغداد لتأييد الثورة^(١٥).

ولاهمية موقع الموصل من الناحية الجغرافية والاستراتيجية أضحت المدينة قاعدة عسكرية مهمة لدعم مجهود الجيش الحربي. لاسيما بعد أن غدت جسراً للمساعدات العسكرية الالمانية لدعم الثورة والتي بدأت تتقاطر من سوريا الى الموصل أثر الاتفاق بين الحكومة الالمانية وحكومة فيشي الفرنسية. ففي ١٠ مايس ١٩٤١ وصل فريتز غروبا (الوزير المفوض الألماني) الى الموصل قاصداً بغداد. ومنذ ١١ مايس كانت أولى التعزيزات الجوية الالمانية قد وصلت الموصل وتضمنت ثلاثة طائرات قاذفة بقيادة الميجر (نقيب) فون بلومبرغ. وفي ١٣ مايس وصل مطار الموصل أربع طائرات المانية وإيطالية تحمل عدداً من الفنيين^(١٦). وفي اليوم نفسه، استقبلت الموصل عن طريق (تل كويك) قطارين يحملان شحنة من السلاح تحت اشراف المبعوث الألماني (رودولف ران)^(١٧).

وفي ١٤ مايس وقع غروبا وقاسم مقصود (وكيل متصرف الموصل) على اتفاقية أمدها ثلاث سنوات، وتتضمن تجهيز العراق بصفقة سلاح بقيمة (٣,٣) مليون مارك، مقابل ان يقدم العراق لألمانيا منتوجات عراقية وبدون فائدة مالية. وخلال وجود (ران) في الموصل طلب من الحكومة العراقية إعادة ضخ النفط العراقي الى ميناء طرابلس بهدف

تأمين الوقود للوحدات العسكرية الألمانية على نحو خاص. وبعد عودته الى دمشق، غادر الموصل باتجاه سوريا قطار محمّل بالوقود والمواد الغذائية^(١٨).

وبذلك غدت الموصل - وكذلك كركوك - قاعدة لتجمع الطائرات والخبراء والفنيين الألمان والإيطاليين. كما أصبحت نقطة انطلاق للطائرات الألمانية للقتال الى جانب القوات العراقية، وفي ١٦ مايس ويومي ٢٠ و ٢١ منه شاركت بقصف المواقع الانكليزية في الحباينة وفي القتال الجوي مع الطائرات البريطانية. إلا انه في الاسبوع الاخير من القتال فقدت هذه الطائرات فاعليتها لاسباب لا يحال للذكرها^(١٩). ومن هنا كانت الموصل من أكثر المدن العراقية الأخرى خطورة على النشاط البريطاني. فضلاً عن تأييد سكانها المقطع النظر للثورة. لذا سعى الانكليز لصب جام غضبهم وحقدهم على المدينة. وقد تمثل ذلك بهجوم الطائرات البريطانية على مطار المدينة. ثم إلقاء قنابلها في إحدى الغارات على منطقة (رأس الجادة) الآهلة بالسكان. مما أدى الى مقتل حوالي (٣٥) شخصاً وجرح العشرات من المواطنين الآمنين^(٢٠). فكانت مجزرة مروعة أثارت في حينها الاستنكار والاستياء الشديدين. بل عدّ عمل بريطانيا هذا من قبيل الأعمال الوحشية والاستهتار بالقوانين الإنسانية^(٢١).

كان قادة الثورة قد فكروا بتحويل المنطقة الشمالية والموصل على نحو خاص قاعدة لمواصلة الكفاح ضد الانكليز في حالة تعرض الثورة للمخاطر. إلا أن الظروف حالت دون تنفيذ هذه الفكرة. وبعد تعرض الثورة للاخفاق عانت الموصل من تشدد وعقاب السلطات الحكومية. فضلاً عن مضاعفة السلطات البريطانية المحتلة من وجود قواتها العسكرية في المدينة، وفرضها طوقاً من الحصار الاقتصادي عليها. كما طالبت حملة

الاعتقالات الواسعة العناصر الوطنية والقومية. فقد تم اعتقال بعض من مسؤولي (المدرسة الاهلية) وابعدوا الى البصرة. كما ألقت هذه السلطات القبض على حازم المفتي وبرايم وصفي رفيق المحامي (المدير المسؤول لجريدة فتي العراق) ومثني سرسم (صاحب جريدة البلاغ) ونوثل رسام (صاحب جريدة النضال). وشمل الاعتقال كذلك كلاً من عبد الحميد الدبوني ورفائيل بطي وعبدالله الشرفاني وغني صيغة الله المفتي وبرايم الحمداني ومحمد عبدالقادر وآخرون غيرهم من العناصر ذاتها^(٢٢).

وعلى الرغم من هذه القيود والاجراءات الصارمة. واصلت بعض العناصر الوطنية في المدينة تصديها للانكليز ففي ٤ حزيران ١٩٤١ ظهرت في شوارع الموصل منشائر اتخذت لها اسم (شباب الحداثة) تدعو من خلالها الأهالي الى مناهضة الحكومة ومواصلة الصمود والمقاومة ومقاتلة الانكليز. وعندما أحسّت الشرطة بها جمعتها على الفور. ولغرض تشويه سمعة العناصر الوطنية التي قامت بنشرها، ادّعت السلطات الحكومية ان ذلك من تدبير الجماعات الموالية لدول المحور^(٢٣).

وفي واقع الأمر، واصل بعض أعضاء (الحزب القومي العربي السري) بعد اخفاق الثورة نشاطهم لمقاومة المحتلين البريطانيين. بل أقدم تنظيم الحزب في الموصل على تنفيذ عدد من عمليات الاستيلاء على مخازن السلاح. مواصلاً مساعيه كذلك في توزيع المنشائر المناهضة للانكليز والحكومة^(٢٤).

فقد أقدم هذا التنظيم المذكور في ٢٥ نيسان ١٩٤٢ بتوزيع المنشور المعنون بـ «الى الانكليز الطغاة» والموقع بأسم (جمعية اليد البيضاء) في شوارع الموصل. ومن خلاله وجهت العناصر الوطنية والقومية انذاراً شديد اللهجة الى الحكومة والانكليز. وبما جاء فيه: «انا نقدم اليكم انذاراً، اذا قتلتم زعماء العرب وهم يونس السباعوي

وجماعته.. يجب ان تعلموا بأن كل عربي سوف يبذل جهده في سبيل هؤلاء الابطال الذين سعوا في اعلاء كلمة العرب [وتخليصهم] من نير الاستعمار الغاشم...^(٢٥) ثم وصف المنشور الذين ساعدوا الانكليز في القاء القبض على قادة الثورة بـ «الخونة». كما خاطب الانكليز قائلاً: «اذا قتل احداً منهم فسوف نقتل عشرة من اكبر شخصياتكم بدلاً منه... اذا كان عندكم عهود ومواثيق يجب عليكم ان تقتلوا الخونة الخارجين عن العروة والاسلام، الذين باعوا ضمائرهم بشم بنحس... بل أنذر المنشور الانكليز والحكومة بعزم العناصر الوطنية والقومية على مواصلة الكفاح بالقول: «ان العرب ودول المحور عامة والعراق خاصة سوف يبذلون النفس والنفس في سبيل هؤلاء الابطال اذا قتلوا... واختتم المنشور قوله مذكراً الانكليز بقوة المشاعر الوطنية لدى العرب: «...لنحسبونا أقواماً خاملة... لاننا عندنا شعور وروح وطنية نعرف كيف ندافع عن أبطالنا...»^(٢٦). وبالرغم من لهجة هذا المنشور المملوءة بالثقة والحماس فإن قمع الحكومة والانكليز للعناصر الوطنية والقومية لم يفت من عضدها، وان هي خمدت الى حين، لاسيما بعد فرض الرقابة القاسية على نشاطها.

فضلاً عن ذلك، فقد بقيت القيود الآمنية الشديدة على الموصل طيلة سنوات الحرب. مقابل قيام السلطات الحكومية بتعبئة جهودها من أجل تشجيع الدعاية لصالح بريطانيا على نحو خاص ودول الحلفاء بصورة عامة^(٢٧).

أبعاد الحركة الوطنية في الموصل ١٩٤٦-١٩٥٨:
ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى ظهرت الدعوة واضحة في اوساط الحركة الوطنية، الى اطلاق الحريات الديمقراطية، واجازة الاحزاب السياسية، والغاء أو تعديل معاهدة ١٩٣٠، وانهاء

الاحوال الاستثنائية التي تطلبتها الحرب، وتحسين الاحوال العامة في البلاد. بعد معاناة شديدة من الضائقة الاقتصادية وكبت الحريات وقتل وطأة الاحتلال البريطاني بعد فشل ثورة نيسان- مايس ١٩٤١. لاسيما وان الوعي السياسي كانت قد تصاعدت حدة انتشاره في العراق خلال هذه الحرب^(٢٨).

وفي نيسان ١٩٤٦ تشكلت خمسة احزاب سياسية هي: الاستقلال والأحرار والوطني الديمقراطي والشعب والاتحاد الوطني. كما تأسست بعدها احزاب اخرى هي: حزب الاصلاح (تشرين الثاني ١٩٤٩) وحزب الاتحاد الدستوري (تشرين الثاني ١٩٤٩) وحزب الجبهة الشعبية المتحدة (مايس ١٩٥١). هذا الى جانب قيام بعض الاحزاب والتنظيمات السرية فضلاً عن تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي وواجهاته، ظهرت في العراق اولى تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٧، التي سرعان ماتت و قامت بدورها في تعبئة الجماهير والمساهمة الفعالة في الحركة الوطنية، لاسيما وانه قد اتخذ له في بداية التنظيم اسماء مختلفة مثل (الشباب العربي في العراق) و (الشباب العربي الجامعي) و (الاشتراكيون العرب)^(٢٩). كما ظهرت تنظيمات سياسية اخرى محدودة النشاط تعبر عن اتجاهات دينية منها حزب التحرير وحركة الأخوان المسلمين. لقد أسست هذه الاحزاب والتنظيمات السياسية فروعاً لها في عدد من المدن العراقية ومنها مدينة الموصل^(٣٠).

نظرة في نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في الموصل:

تجمع العديد من المصادر على ان مدينة الموصل كانت قد تعرّفت الى بعض البعثيين الاوائل منذ احداث ثورة نيسان- مايس ١٩٤١ حينما احتشد

فيها المجاهدون العرب من اعضاء (حركة نصرة العراق) التي كان البعثيون الاوائل قد عملوا على تشكيلها وقتئذ بغية حث العناصر الوطنية والقومية على دعم هذه الثورة بمختلف الوسائل المتاحة^(٣١). ومنذ أواخر الاربعينات كان العديد من المثقفين في المدينة على اطلاع ودراية بأفكار حزب البعث العربي واسباب وأنه في عام ١٩٤٨ كان مجموعة من شباب حزب الاستقلال في الموصل قد اسسوا مكتبة في منطقة باب الجديد تعرف بـ (مكتبة الشباب العربي) التي اختصت ببيع وترويج الكتب القومية مثل كراس (أحاديث البعث العربي) للاستاذ ميشيل علفق وكتاب (الوعي القومي) للاستاذ قسطنطين زريق وبعض مؤلفات المفكر العربي ساطع الحصري وغيرهم من الكتاب العرب القوميين^(٣٢).

كما كانت بعض الصحف الموصلية قد دأبت بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٢، على نشر عدد من الاحاديث والمقالات لبعض قادة حزب البعث، ومنها (جريدة نصير الحق) و (فتى العرب). في حين كانت (جريدة النضال) لسان حال حزب الاستقلال فرع الموصل، تعد الجريدة العراقية الاولى وقتئذ في اقدامها على نشر وتوضيح افكار وأهداف وشعار حزب البعث وبشكل صريح^(٣٣).

مع ذلك، كانت النواة التنظيمية الاولى لحزب البعث في الموصل قد تشكلت في بداية أمرها من الطلاب الذين كانوا يدرسون في معاهد وكليات دمشق وبغداد. فقد انضم إلى عادل محمد البكري للحزب سنة ١٩٥٠ عندما كان طالباً في كلية الطب بجامعة دمشق، في حين انضم إلى صفوف الحزب في بغداد واثاء دراستهم بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٤ كل من عبدالغفار الصائغ وعبدالله فاضل العمري وحسنت عبداللّه البراز وسعدالله فاضل الحسيني وأدور نعيم قصيرة ومحمد سعيد الخياط (طالب في كلية الزراعة) وحمي الدين توفيق إبراهيم

ومحمد شريف الخياط (طالب في دار المعلمين الابتدائية في بعقوبة) ومعيّنة نايف سلطان. وخلال العطلة الصيفية كان هؤلاء الطلبة ينشرون أفكار الحزب بين أبناء المدينة^(٣٤). وقد اتم نشاط الرعيل الاول هذا من البعثيين في الموصل بالقوة في نشر افكار الحزب وتعريف المواطنين باهدافه ومقاهيمه حيث استخدموا وسائل عديدة لهذا الغرض، منها استنساخ وقراءة ادبيات الحزب ونشرها بين الأقراب والاصدقاء، ثم نشر المقالات المبسطة في جريدة النضال الموصلية، فضلاً عن كتابة شعار الحزب على جدران بعض الدور وفي الاسواق وبعض الاحياء الشعبية^(٣٥).

في مطلع عام ١٩٥٤ تبلورت فكرة إيجاد تنظيم للحزب في الموصل. وقد أختير أدور نعيم قصيرة مسؤولاً لقيادة تنظيم بالمدينة. وقيل نهاية العام الدراسي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ تشكلت أول نواة تنظيمية للحزب في الموصل من: أدور نعيم قصيرة (طالب في كلية الطب) وعبدالغفار الصائغ وعبدالله فاضل العمري وحسنت البراز (طلاب في دار المعلمين العالية). وقد ركز التنظيم في هذا الوقت على مسألة تعزيز هويته بين أوساط الاحزاب السياسية السرية والعلنية، ثم توسيع قاعدة الكسب الحزبي عن طريق الاتصال بالعناصر الوطنية والقومية المعروفة في المدينة وفي الاوساط المهنية والشعبية^(٣٦). وبالفعل شرع تنظيم الحزب في كسب عدد من العناصر الفعالة الى صفوفه ومنهم: احمد محمد المختار (موظف في مديرية اعاشة الموصل) وعبدالمالك قاسم (صاحب مكتبة) وابراهيم الصوّاف (كاسب) وطه فتحي داود (طالب) وفاضل حمادي الشكرية (سكرتير نادي الهواة الرياضي في الموصل) وجاسم محمد السباعوي (أول عسكري - جندي - انضم للحزب في الموصل)^(٣٧). كما تمكن تنظيم الحزب في هذه الفترة من كسب العديد من طلبة المدارس النشطين

الذين قاموا بدور فاعل في حياة الحزب ونشاطاته في الموصل ومنهم : موفق عسكر ونديم احمد الياسين وعصام عائد شيت ، وهشام صباح فخري فضلاً عن بعض المدرسين والمعلمين^(٣٨).

في صيف عام ١٩٥٥ تولى فاضل الشكرة مسؤولية التنظيم في المدينة ، وذلك بحكم بقاءه الدائم في المنطقة وعدم استقرار البقية لكونهم موظفين او طلاباً. ثم حل محله عادل البكري في صيف عام ١٩٥٦. وفي نهاية العام ذاته غدا تنظيم الحزب بمستوى فرقة حزبية. في شباط ١٩٥٧ تشكلت (جبهة الاتحاد الوطني) في العراق ، حينها كلفت قيادة الحزب في بغداد عادل محمد البكري ليكون ممثلاً للحزب في (اللجنة العليا) لهذه الجبهة التي شكلت فرعاً لها في الموصل كما سئري. وبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ غدا تنظيم الحزب في المدينة علنياً. مما شجع على التوسع في قاعدته التنظيمية ، فضلاً عن احتلاله موقعاً مؤثراً في الاحداث السياسية الى جانب الاحزاب السياسية الاخرى^(٣٩).

وبهذا كان لهذه اليقظة السياسية المتمثلة على نحر خاص بتصاعد العمل الحزبي وتثدي ، مكانتها الواضحة في تطور الحركة الوطنية في الموصل ، من خلال قيادتها للاحداث الوطنية والقومية والتصدي للنظام الملكي ، وفي مقدمتها وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ والانتفاضة الوطنية في عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٦ وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي وضعت حداً نهائياً للنظام الملكي وأقامت النظام الجمهوري.

صدى وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ في الموصل :

أقدمت حكومة صالح جبر في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ على ابرام معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية لتكون بديلاً لمعاهدة ١٩٣٠ ، وعرفت بـ (معاهدة بورتسموث). لقد ظهر للحركة الوطنية ان المعاهدة الجديدة هذه لا تختلف عن سابقتها. بل أضافت قيوداً عسكرية جديدة على العراق لصالح

بريطانيا. لذا فقد تصدت لها القوى الوطنية في مختلف انحاء البلاد معلنة شجبها واستنكارها لهذه المعاهدة. كما طالبت باستقالة حكومة جبر نفسها. وتحول الوضع في بغداد الى مصادمات دامية بين المتظاهرين والشرطة ، سقط خلالها بعض لشهداء. فكان ذلك إيذاناً لانتقال صدى هذه الوثبة الوطنية الى المدن العراقية الاخرى ومنها الموصل^(٤٠).

استجابة لذلك نظمت الحركة الوطنية في الموصل مظاهرات كبرى اشتركت فيها الفئات السياسية الوطنية والقومية كافة ولاسيما الطلاب منهم. وفي مقدمتهم مئذو حزب الاستقلال من طلاب (اعدادية الموصل) الذين نظموا مظاهرة حاشدة امام مبنى بلدية الموصل. وفي ٢١ كانون الثاني قرر المسؤولون عن المظاهرة الاستمرار بالاضراب عن الدراسة الى حين الغاء المعاهدة الجديدة ومحكمة المسؤولين عن مصرع الشهداء في تظاهرات بغداد. وما لبثت السلطات المحلية ان اعتقلت الطالب عبد الباسط يونس رجب بتهمة التحريض على التظاهر والاضراب. حينها تطوع اكثر من عشرين محام للدفاع عنه.

في ٢٢ كانون الثاني احتشدت اعداد من الطلاب والأهليين في ساحة المحكمة . وبعد صدور قرار الحكم باطلاق سراح الطالب المذكور انطلقت مظاهرة واسعة من أمام بناية المحاكم يتقدمها نخبة من المحامين من أعضاء حزب الاستقلال ومنهم : قاسم المفتي وحازم المفتي وغرني الحاج أحمد وعبد القادر البيدي. ولم تنفرق هذه المظاهرة على الرغم من تصدي قوات الشرطة لها ، الا بعد أن اختار المتظاهرون وفداً من المحامين ليقدم احتجاجهم الى الوصي عبدالاله بواسطة مصطفى اليعقوبي (متصرف لواء الموصل). وبالفعل قابل هذا الوفد المتصرف وقدم له صورة الاحتجاج المتضمن شجب المعاهدة هذه والمطالبة بالغائها لكونها وضعت

تقديم استقالة حكومته في ٢٧ كانون الثاني، والاعلان عن تشكيل حكومة بديلة لها. اضافة الى قيام قادة الاحزاب الثلاثة (الوطني الديمقراطي والاستقلال والاحرار) باصدار بيان الى الشعب العراقي طالبوا فيه بالغاء معاهدة بورتسموث «الجائرة» واجراء التحقيق عن اطلاق النار ضد أبناء الشعب وحل المجلس النيابي القائم واحترام الحريات الدستورية وافساح المجال للنشاط الحزبي وحل أزمة الغذاء بشكل يوفر للشعب قوته (١٣).

لاقى البيان المذكور وقعة الموتر في الموصل. فقد أبرق رؤساء المهن الى رئيس الوزراء الجديد (محمد الصدر) يناشدونه الاخذ بينوده. كما أرسل المحامون والصحفيون ورؤساء الأصناف برقية الى الوصي عبدالأله يعبرون فيها عن ارتياحهم للاجراء الذي اتخذته آخر المطاف في الوقوف الى جانب الحركة الوطنية في رفضها للمعاهدة. وفي الوقت عينه اقيمت في الموصل عشرات الفوائح والمآتم في الجوامع والمدارس، كما تُلّت الصلوات في الكنائس، شاركت في اقامتها الاصناف المهنية وأرباب الحرف وجميع الفئات السياسية. فضلاً عن ذلك ذهب بعض الوفود الموصلية الى بغداد وكربلاء والنجف والكوفة لتقديم التعازي ومواساة الجرحى، منها وقد أصحاب الحرف والصنائع (برئاسة الشيخ عبدالله النعمة) ووفد جمعية المعلمين فرع الموصل (برئاسة محمد السراج) ووفد طلاب الاعدادية (برئاسة أحمد الفخري). وفي آذار ١٩٤٨ أقامت بعض المدارس ونقابات العمال وممثلو الاصناف في المدينة حفلاً تأبينياً تكريماً لشهداء الوثبة. وفي نيسان ١٩٤٨ تشكلت في المدينة لجنة من ممثلي فروع الاحزاب السياسية والوجوه القومية والوطنية لجمع عينات نقدية بغية إعالة عوائل هؤلاء الشهداء. وهكذا تجسدت خلال هذه الوثبة الوحدة الوطنية بكل معانيها في الموصل، وذلك بالوقوف صفاً واحداً ضد هذه



وفد مدينة الموصل الى بغداد لتعزية ذوي شهداء وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ مقدرات العراق تحت رحمة بريطانيا وتحمل في طياتها معاني الأذلال (١١).

وعلى الرغم من ذلك استمرت القوى الوطنية في المدينة في تصديها للسلطات المحلية. ففي



الشيخ بشير الصقال

٢٣ كانون الثاني ألقى الشيخ بشير الصقال خطبة في جامع الأغوات (جامع أبي عبيدة الجراح حالياً) ألّب فيها مشاعر المصلين، حيث ندد بمعاهدة بورتسموث وشبه صالح جبر بـ «نيرون الطاغية» الذي أحرق روما. وفي يومي ٢٦ و ٢٧ كانون الثاني استمرت التظاهرات في المدينة وتحول بعضها الى مصادمات مع قوات الشرطة، الى الحد الذي طلب فيه المتصرف من قوات الجيش التدخل بمساندة الشرطة في السيطرة على الموقف (١٢).

ومع ذلك لم يهدأ الوضع في الموصل إلا بعد ان نجحت الحركة الوطنية في إرغام صالح جبر على

المعاهدة، وفي التلاحم مع القوى الوطنية في انهاء البلاد^(٤٤).

موقف الحركة الوطنية في الموصل من الدعوة الى تأميم النفط (١٩٥١-١٩٥٢) :

أعلنت حكومة نوري السعيد في ٣ آب ١٩٥١ أنها توصلت بعد مفاوضات مع شركات النفط الاجنبية الاحتكارية الى اتفاقية جديدة أكدت على «مناصفة الأرباح» مع هذه الشركات دون الأخذ بـ «التأميم». كما قامت هذه الحكومة، وبمعالجة، بدعوة مجلس النواب الى المصادقة عليها في ١٧ شباط ١٩٥٢ دون أن يتسنى لممثلي القوى الوطنية مناقشتها داخل المجلس المذكور والاطلاع على تفاصيلها بدقة. من هنا لم تحظ هذه الاتفاقية بقبول القوى والاحزاب الوطنية وعدتها رضوخاً لمطالب الشركات الاحتكارية. بل نظمت المظاهرات الاحتجاجية ضدها في انحاء البلاد كافة. وحددت يوم ١٩ شباط ١٩٥٢ يوماً عاماً للاحتجاج والاضراب العام^(٤٥).

تضامناً مع الحركة الوطنية في البلاد، رفع أهالي الموصل عريضة الى رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب والصحف، طالبوا فيها بـ «تأميم النفط» والتحرر من غبن الشركات والتمسك بكرامة العراق وصيانة حقوقه المشروعة^(٤٦). كما دعا فرع حزب الاستقلال في الموصل الى الأخذ بفكرة «التأميم»^(٤٧). في حين أكد فرع حزب الجبهة الشعبية المتحدة في الموصل من خلال جريدته (الهدى)^(٤٨) : ان حكومة نوري السعيد قد أبرمت هذه الاتفاقية دون إقامتها وزناً للموقف الاحزاب والهيئات وال نقابات في معارضتها الشديدة لهذه الاتفاقية^(٤٩).

كما قام أنصار حزب الاستقلال في (الاعدادية الشرقية) بتنظيم مظاهرة طافت شوارع المدينة وردد الطلاب خلالها هتافات نادى بسقوط حكومة

نوري السعيد والاتفاقية النفطية الجديدة واطلاق سراح الطلاب المعتقلين في بغداد. وفي الوقت عينه اصدر الحزب المذكور بياناً الى أهالي المدينة دعا فيه الى الالتزام بالاضراب العام في ١٩ شباط تضامناً مع نداء الاحزاب الوطنية في البلاد. وبالفعل لبى الموصليون هذه الدعوة، حيث أضربت المدينة، واقتلت الحوانيت والمخازن والمحلات التجارية^(٥٠).

إنتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ وصداها في الموصل :

ظهرت الدعوة الى الاصلاحات السياسية على نحو فعال في العراق، على أثر المذكرات التي قدمتها احزاب المعارضة العلنية وهي : الوطني الديمقراطي والاستقلال والجبهة الشعبية المتحدة والأمة الاشتراكي في ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٢ الى الوصي عبدالأله. الا ان استجابة الاخير لهذه المذكرات ومضامينها الاصلاحية اتسمت بالشككية. كما فشل (مؤتمر البلاط) الذي انعقد برئاسة الوصي في ٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ وضم رؤساء الوزراء السابقين وقادة الاحزاب المعارضة بغية التداول بشأن هذه المذكرات وضرورة القيام بالأصلاحات العامة في البلاد. لقد حاول قادة الاحزاب المعارضة من خلال هذا المؤتمر اطلاع الوصي على الامور التي شخصتها في مذكراتها جلياً. الا ان الوصي غضب وكابر ورفض الأصغاء الجاد لنداء الاصلاح وتهجم على قادة المعارضة واستهان بمذكراتها ومنهم بالذات طه الهاشمي (رئيس حزب الجبهة الشعبية المتحدة). ومن هنا انفض المؤتمر وانتهى دون جدوى^(٥١).

وسرعان ماأخذت الاوضاع في التدهور. حيث بدأت باضراب طلبة الكليات والمعاهد في بغداد وانتهت بسلسلة من التظاهرات والمصادمات بين المتظاهرين وقوات الشرطة. استمرت هذه الانتفاضة بين ٢٠ و ٢٤ تشرين الثاني ونالت تأييد الاحزاب الوطنية والمعارضة. وعلى الرغم من انها

تمكنت من اسقاط حكومة مصطفى العمري ، إلا انها احدثت بعد تشكيل حكومة عسكرية مؤقتة برئاسة الفريق نور الدين محمود (رئيس اركان الجيش) التي قبضت على زمام الأمر وتصدت للحركة الوطنية لاسيا بعد اعلانها الاحكام العرفية وتعطيلها للصحف والاحزاب^(٥٢).

تضامنت أغلب مدن العراق مع هذه الانتفاضة الوطنية. وفي الموصل كانت استجابة الاحزاب العلنية لها ضعيفة. كما ان فرع حزب الجبهة الشعبية المتحدة في المدينة ، لم يجد أية جدوى في إقامة وتنظيم التظاهرات في الموصل بعد ان تمّ اتخاذ الانتفاضة في بغداد على وجه السرعة. وعلى العكس من ذلك كانت الانتفاضة فرصة للاحزاب السرية لكي تعلن عن دورها في تعبئة الجماهير والتصدي للفئة الحاكمة. فقد قام عدد من الطلاب الموصليين (من كانوا يواصلون الدراسة في بغداد) وهم من أوائل المنتمين الى حزب البعث العربي الاشتراكي) وعدد من عناصر الاحزاب الاخرى بتنظيم مظاهرة اخترقت الشوارع الرئيسية في المدينة، حيث هتفوا خلالها بسقوط الوصي عبدالأله وحكومة نورالدين محمود العسكرية. كما طالبوا بالنظام الجمهوري متحدين بذلك الفئة الملكية الحاكمة بشكل ظاهر. لقد استفاد المتظاهرون البعثيون بالفعل من هذه الفرصة لتعريف الجماهير بأفكار الحزب واهدافه وموقفه من الانتفاضة ، فقاموا بتوزيع نسخ من بيان الحزب على المتظاهرين لهذه الغاية. وقد انتهت المظاهرة بالاشتباك مع قوات الشرطة والقاء القبض على بعض المتظاهرين^(٥٣).

وكانت بعض الصحف الموصلية قد تابعت الانتفاضة في بدايتها. ولم يكن بمقدورها تبيان موقفها وموقف الرأي العام من هذه الانتفاضة الا بعد رفع الحظر عن نشاطها. فقد أشارت (جريدة النضال) الى ان الانتفاضة اثبتت «قوة الشعب

التي تجاهلها رجال العراق وأصروا على بقاء الفساد رغم مطالب الاحزاب الوطنية والحاجهم بوجود القيام بالاصلاح الجذري». في حين خاطبت (جريدة المثال) لصاحبها الصحفي المعروف عبد الباسط يونس، الفريق نور الدين محمود (رئيس الحكومة العسكرية المؤقتة) قائلة : «ماذا ستحدث الأجيال يا جنرال وهذه دماء الضحايا سقت أرض بغداد(*).. أردت أن تقتل الحرية في نفوس الشعب وتناسيت حكماً من قبلك اسقطهم الشعب بعد أن قدّم ضريبة الدم والحياة...»^(٥٤).

موقف الحركة الوطنية في الموصل من مشاريع الاحلاف العربية :

حاولت بعض الدول الاستعمارية الغربية في مطلع الخمسينات كالولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا التغلغل الى المنطقة العربية تحت ستار الاحلاف الدفاعية العسكرية والمعونات الاقتصادية ، لاسيا (مشروع قيادة الشرق الاوسط عام ١٩٥١) و (حلف بغداد عام ١٩٥٥). لقد لاقت هذه الاحلاف ومنذ البدء عن إعلانها استنكار ومقت الاحزاب والقوى الوطنية في العراق^(٥٥).

وفي الموصل ندّت فروع الاحزاب الوطنية فيها بهذه الاحلاف ، من خلال صحفها أمثال (صدى الاحرار) و (الهدى) و (نصير الحق) و (النضال) ووقفت موقفاً معارضاً من المحاولات الجارية لارغام الدول العربية للانضمام اليها داعية في الوقت نفسه الى التمسك بـ «سياسة الحياد» بين المعسكرين الغربي والشرقي. كما دعت الاقطار العربية الى التلاحم والوقوف صفاً واحداً والابتعاد عن سياسة التوتر وأجواء الحرب الباردة بين هذين المعسكرين^(٥٦).

كما تصاعدت حدة المعارضة الوطنية لحكومة نوري السعيد بعد أن توصلت مع الحكومة التركية الى توقيع (ميثاق التعاون المتبادل) في ٢٤ شباط

١٩٥٥ ، الذي انضمت اليه بريطانيا كذلك تحت ذريعة الغاء معاهدة ١٩٣٠ ، ومن ثم انضمت اليه كل من ايران وباكستان واصبح يعرف بـ (حلف بغداد). لقد حاولت بريطانيا ومعها بعض الدول الغربية عن هذا الطريق عزل العراق عن الاقطار العربية الاخرى وجعله منطقة وثوب لضرب حركات التحرر فيها. ومن هنا فقد نصدت له القوى والاحزاب الوطنية ودعت الى إبطاله وتحرير العراق من ربقته (٥٧).

فقد دعا حزب البعث العربي الاشتراكي الى النضال وتحميم مشاريع الاستعمار واحلافه. وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٥٥ أصدر حزب البعث بياناً ندد فيه بالبيان العراقي - التركي الذي مهد لحلف بغداد. ودعا فيه كذلك الى تنظيم اضراب طلابي لعرقلة عقد الاتفاق. كما قام اعضاء الحزب بتوزيع المنشورات التي دعت جواهر الشعب والهيئات الوطنية الى مواصلة الكفاح لاسقاط حكومة نوري السعيد والغاء معاهدة ١٩٣٠ واحباط الاتفاق المذكور أو أية مؤامرة استعمارية اخرى (٥٨).

وفي ٢٥ شباط ١٩٥٥ نظّم البعثيون في الموصل مظاهرة نددوا خلالها بالاتفاق العراقي - التركي. وعدّوه تمهيداً للصالح مع «اسرائيل» وبدلياً لمعاهدة ١٩٣٠. لا بل عدّوه بمثابة صك عبودية جديد (٥٩).

الحركة الوطنية وإضراب الموصل عام ١٩٥٦ :

كان لاضراب الموصل الذي بدأ في اواخر آب ١٩٥٦ دوافع إقتصادية وسياسية. كما كان مرتبطاً بشكل او بآخر بمجمل الاضرابات التي عمت البلاد احتجاجاً على تدابير واجراءات حكومة نوري السعيد الداخلية لاسيما في المجال الاقتصادي، فضلاً عن سياسة هذه الحكومة الخارجية الداعية الى ربط العراق بالاحلاف الغربية ومناهضة حركة التحرر العربية (٦٠).

وكانت بوادر الاضراب قد ظهرت بعد أن عانت بلدية الموصل من عجز في ميزانيتها وقد حوّلتها وزارة الداخلية فرض ضرائب غير مباشرة تداركاً للأمر. حينها قررت البلدية زيادة رسوم المجازر والدعجية. وعلى أثر ذلك قرر الحرفيون وفي مقدمتهم القصابون وتجار الأغنام بدورهم وبالاتفاق مع الاحزاب الوطنية في المدينة وهي (البعث والاستقلال والشيوعي والوطني الديمقراطي) على اعلان الاضراب العام (٦١).

في ٢٨ آب ١٩٥٦ بدأ اضراب تجار الأغنام وأعقبه في ٣١ آب اضراب القصابين. وسرعان ما امتد هذا الاضراب ليشمل بقية الاصناف والمهن. حيث ساندته الخبازون والخباطون والمحامون والصاغة وسوّاق السيارات وأصحاب المحلات. وفي ٣ أيلول عمّ الاضراب مدينة الموصل وتوسع ليشمل بعد ذلك أفضية ونواحي (لواء الموصل) فشمّل تلغفر وزاخو وسنجار والعمادية. وكان الاضراب من السعة بحيث ترك السلطة المحلية في وضع يسوده القلق والاضطراب. لاسيما بعد أن أعلنت شرطة الموصل أن «أجواء الاضراب أصبحت غير اعتيادية» (٦٢).

وقد نهض حزب البعث العربي الاشتراكي الى جانب الاحزاب الوطنية الاخرى في المدينة بدور مؤثر خلال هذا الاضراب. وكان سالم حمدون مملاً علّو من أعضاء الحزب النشطين في التهيئة للاضراب والاعداد له. وفي ٨ أيلول قامت منظمة الحزب في المدينة بتوزيع بيان الحزب الذي يحمل عنوان: «وزارة نوري السعيد تفرض على الشعب سياسة التجويع وسياسة الارهاب. إضراب الموصل يظهر يقظة الشعب واستعداده للنضال». وقد ربط البيان المذكور بين الازمة السياسية والصائفة الاقتصادية لاسيما في قوله: «...سياسة الافقار والتجويع التي واجهها الشعب هي ذاتها سياسة الكبت والارهاب ومصادرة الخريات...».

كما ندّد البيان باجراءات نوري السعيد الاقتصادية التي تهدد معاش الشعب وقوته وطالب برفع الضرائب وعدم فرض ضرائب جديدة. وأوضح ان الاضراب اعطى مثلاً رائعاً ليقظة الشعب واستعداده للنضال دفاعاً عن حياته وحرية ومعاشه. ومن هنا فقد دعا البيان الشعب الى التكاثر والوحدة واليقظة^(٦٣).

وفي الوقت نفسه تشكلت في المدينة (لجنة للاضراب) أخذت على عاتقها تنسيق العمل مع بعض ممثلي الاحزاب السياسية في الموصل^(٦٤). في حين استخدمت السلطات المحلية مختلف الوسائل للقضاء على الاضراب. بل لجأت حتى الى الاستعانة ببعض رجال الدين، حيث أصدر محمد حبيب العبيدي (مفتي الموصل) بياناً طالب فيه بالكف عن الاضراب بحجة انه يلحق الضرر بـ «الفقراء والمساكين»^(٦٥).

وأخيراً تكلم الاضراب بالنجاح بعد أن صادق مجلس إدارة اللواء على الغاء الضريبة الجديدة^(٦٦). إلا أن حكومة نوري السعيد هالها الأمر فأصدرت في ٩ أيلول (مرسوم الطوارئ) لهذه الغاية^(٦٧). وعلى أثر ذلك وصل سعيد قزاز (وزير الداخلية) الى الموصل، حيث أمر باعتقال (١١) شخصاً من القائمين على الاضراب ومنهم قاسم المفتي وغري الحاج أحمد وفخري الخيرو وعبد الغني الملاح. وفي ١٠ أيلول صدر بيان اعلن بموجبه إنهاء حالة الاضراب. ومع ذلك مهّد هذا الاضراب السبيل أمام الحركة الوطنية للقيام باضرابات اخرى لمقاومة حكومة نوري السعيد^(٦٨). وعلى الرغم من انتهاء حالة الاضراب في الموصل على هذه الشاكلة. نشطت منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في المدينة بالتصدي لسياسة حكومة نوري السعيد. ففي اوائل تشرين الاول ١٩٥٦ نشرت جريدة الاشتراكي (جريدة الحزب الداخلية) مقالاً تحت عنوان: «نهاية

السعيد رهن باتتلاف القوى الوطنية» حيث أشاد باضراب الموصل هذا، وعده دليلاً على استعداد الشعب للدفاع عن قضايا القومية ورفضه السياسة الداخلية التي تسير عليها حكومة نوري السعيد. الآن السلطة المحلية أقدمت بعدها على اعتقال كل من عبدالغفار الصائغ وحكمت البراز فكانا أول بعثيين يعتقلان في الموصل^(٦٩).

نشاط جبهة الاتحاد الوطني في الموصل:

قريب قيام ثورة ١٤ تموز تألفت في شباط ١٩٥٧ جبهة وطنية موحدة اطلق عليها (جبهة الاتحاد الوطني). وكانت بمثابة ائتلاف وتنسيق لعمل الحركة الوطنية في البلاد. وقد ضمت أربعة احزاب رئيسة هي: (حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال) وعدد من الشخصيات الوطنية (المستقلة). ولغرض تنظيم العمل في هذه الجبهة تم تشكيل (لجنة عليا للجبهة) تضم مثلاً عن كل حزب. فضلاً عن قيادة تنفيذية عرفت بـ (اللجنة التنظيمية العليا) مؤلفة من ممثلي الاحزاب وبعض العناصر المستقلة. في ٩ آذار ١٩٥٧ أصدرت الجبهة بيانها الاول الذي طالبت فيه باسقاط حكومة نوري السعيد واطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية والخروج من حلف بغداد ومقاومة التدخل الاستعماري بشتى اشكاله وانتهاج سياسة عربية مستقلة اساسها «الحياة الابحائي» والغاء الادارة العرفية واطلاق سراح المعتقلين السياسيين. الا أن الجبهة لم تركز في بيانها الاول هذا على اسقاط النظام الملكي برمته بصورة علنية^(٧٠).

بعد أن تقرر في اللجنة التنظيمية العليا للجبهة تشكيل (لجان وطنية) تمثل معظم مناطق العراق، تشكلت في الموصل لجنة للجبهة من ممثلي الاحزاب الاربعة المذكورة. وكانت مهمتها تبينة الرأي العام

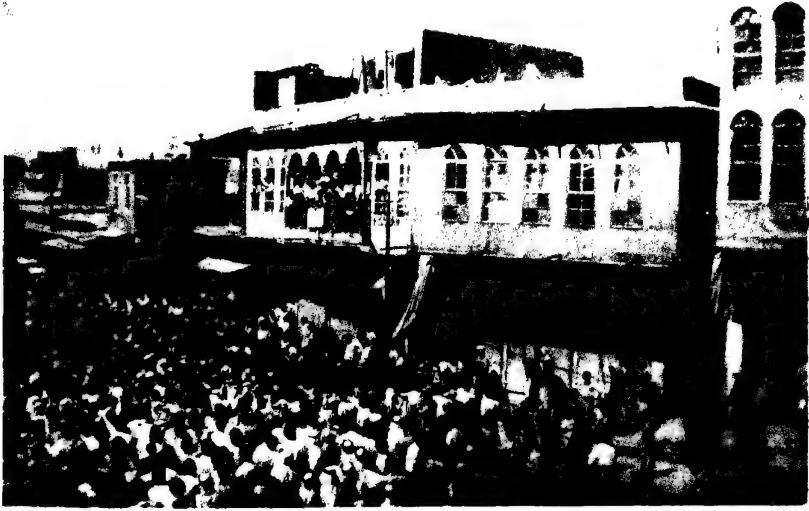
موقف الحركة الوطنية في الموصل من قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ :

أحبطت الاحزاب السياسية المؤتلفة في جبهة الاتحاد الوطني علماً في ١١ تموز ١٩٥٨ بساعة الصفر لاعلان الثورة من تنظيم الضباط الاحرار. الا انه لم يكن في الموصل من يعلم الموعد المحدد لقيامها. ومع ذلك سمع اعضاء لجنة الجبهة في الموصل نبأ قيام الثورة من دار الاذاعة العراقية ببغداد، بعد اذاعة البيان الاول للثورة منها، والذي أعلن عن إسقاط النظام الملكي وعلان النظام الجمهوري في صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨. وسرعان ما خرجت جماهير الموصل حال سماعها هذا النبأ مندفة بحماس منقطع النظير الى الطرقات والشوارع وهي تهتف مرحبة بالثورة وقادتها. كما شارك ممثلو الاحزاب الوطنية الشعب مشاعره الوطنية. فكانوا على رأس التظاهرات الحاشدة بهذه المناسبة. كما ألقى بعض ممثلي هذه الاحزاب ومنهم عبدالغفار الصانع (عن حزب البعث) وسعد مجيذ، (عن الحزب الشيوعي) وغري الحاج أحمد (عن حزب الاستقلال) ومحمد حديد وعبدالغني الملاح (عن الحزب الوطني الديمقراطي) كلمات وخطب حماسية دعوا من خلالها الجماهير الى تأييد الثورة واستنادها^(٧٢).

وتبع ذلك ارسال برقيات التأييد الى قادة الثورة، اعلنوا فيها تطوعهم واستعدادهم للدفاع عن الثورة الفتية. كما قام حزب البعث في الموصل باصدار بيان هنا فيه قادة الثورة وعلن تطوعه وتضحيته في سبيل الوطن وبما جاء فيه: «... وهكذا خرج شعب بأكمله من السجن الكبير الذي فرضه عليه العملاء الخونة نوري وعبد الاله واتباعها... واخيراً خرج العمال من القمم فتهاوت الاصنام وسقطت العروش الكاذبة...»^(٧٣).

في حالة اسقاط النظام الملكي. وبالفعل نشط حزب البعث وعناصر من الحزب الشيوعي في الاعلان عن شعارات هذه الجبهة الوطنية والدعوة لها بين المواطنين. كما قام عدد من أعضاء حزب البعث في المدينة ومنهم موفق عسكر وطه فتحي وجاسم السباعي بحملة كتابة شعارات الجبهة وأهدافها على الجدران للفت انتباهها. وفي الوقت الذي عززت فيه لجنة الجبهة العليا من اتصالاتها السرية مع (اللجنة العسكرية العليا للضباط الاحرار) في بغداد، شرع بعض اعضاء لجنة الجبهة في الموصل ومنهم: محمد حديد وعبدالغني الملاح بالاتصال مع بعض الضباط الاحرار، لاسيما العقيد الركن ناظم الطبقجلي (آمر موقع الموصل). فكان هذا التنسيق بين نشاط الجبهة الوطنية العلني ونشاط الضباط الاحرار السري، بمثابة التمهيد المنظم لقيادة وتعبئة الجماهير عندما تقتضي الضرورة إسقاط النظام الملكي^(٧٤).

سعت لجنة الجبهة الوطنية في الموصل الى استغلال كل فرصة مناسبة للتنديد بسياسة الفتنة الملكية الحاكمة. فقد اعلنت جبهة الاتحاد الوطني في احدى بياناتها مقاطعة الانتخابات النيابية التي أزمعت السلطة الملكية إجرائها في ٥ مارس ١٩٥٨. وفي الموصل صعد حزب البعث من نشاطه في تعبئة الجماهير لمقاطعة الانتخابات، وكلف بعضاً من اعضاءه بتوزيع بيان الحزب بهذه المناسبة، فضلاً عن كتابة الشعارات على الجدران في المدينة، والتي تدعو المواطنين من خلالها الى مقاطعة الانتخابات. وبالرغم من محاولة السلطة الملكية الحاكمة تحديد نشاط عناصر الجبهة ومراقبته. كانت السلطات المحلية في الموصل تواجه ظروفاً مقلقة وفي غير صالحها. كما كان الشعب يكتف في داخله حالة الانفجار والغضب والاستياء. وبدا وكأنه كان مهبطاً للثورة على السلطة الملكية^(٧٥).



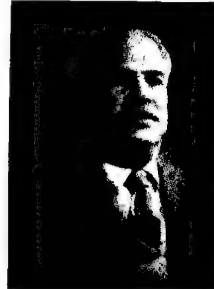
استقبال المصلين للثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

(من حزب الاستقلال) فقد عيّن بمنصب (مدير التوجيه والاذاعة العام) (٧٥).

كما كان للصحف الموصلية موقفها من نأ إعلان الثورة. حيث استبشرت بالقضاء على النظام الملكي وولادة النظام الجمهوري. ففي مقال لجريدة (فتى العراق) جاء فيه : «... أن لنا اليوم أن نعمل بحرية بعد أن ظل العراق يرزخ تحت نير العبودية والطغيان وكنم الحريات مدة طويلة حكمت خلالها أصنام سخرت نفسها لخدمة الاستعمار ومآربه من أجل السيطرة على هذه البلاد». أما (جريدة الرائد)

فقد كتبت في مقال لها تقول : «في صبيحة يوم ١٤ تموز استيقظ الشعب العراقي الكريم ليسمع أجمل نأ في حياته وهو ولادة الجمهورية العراقية وإعلان تحرير العراق الناجز من رقة الاستعمار وبدئه الحياة الكريمة اللاتقة بأبنائه التخلصين» (٧٦). كما زخرت أعداد هذه الصحف بعد إعلان الثورة ببرقيات التأييد والقصائد والمقالات التي كتبها عدد من الكتاب والسياسيين الوطنيين والقوميين التقدميين من أبناء المدينة (٧٧).

وفي البيان الثاني للثورة ، الذي أعلن من خلاله التشكيلة الوزارية الجديدة.. وهي أول حكومة عراقية في العهد الجمهوري ساهم البعض من المصلين المشهود لهم بمواقفهم الوطنية بمناصب عالية. فقد عين الدكتور عبد الجبار الجومرد (من المستقلين) وزيراً للخارجية. في حين تم تعيين محمد حديد (من الحزب الوطني الديمقراطي) وزيراً للمالية. ومحمد صديق شنشل (عن حزب الاستقلال) وزيراً للإرشاد. أما غربي الحاج أحمد



غربي الحاج أحمد

وهذا واكبت الموصل إبان العهد الملكي
الاحداث الوطنية بكل تفاصيلها، وغدا سجلها
الوطني حافلاً بالأصالة والمواقف التي تؤكد على
وحدة العراق وحضارته العريقة.

الهوامش

- (١) عبدالرزاق الحسيني: تاريخ الوزارات العراقية ج ٥، ط ٤، مطبعة دار الكتب (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٩٨.
- (٢) أكرم هذا الميثاق في ٨ تموز ١٩٣٧ وضّم في عضويته كل من العراق وتركيا وإيران وأفغانستان.
- (٣) الحسيني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٥-٩٨.
- (٤) فاروق صالح العمر: للماهدات العراقية - البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢-١٩٤٨. دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٧) ص ٣٤٦.
- (٥) طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩-١٩٤٣، ط ١، منشورات دار الطليعة، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ٣١٥-٣١٧.
- (6) Baumont, Maurice; Les origines de la deuxième guerre mondiale. Etude et documents. (Paris, 1969), p. 347.
- (7) Khadduri, Majid: Independent Iraq. A Study in Iraqi Politics from 1932 to 1950. (London, 1960), p. 145.
- (٨) صلاح الدين الصباغ: فرسان العروبة في العراق. (دمشق، ١٩٥٦)، ص ٤٥.
- (٩) لقد نشط هذا التيار بشكل واضح بعد لجوء محمد أمين الحسيني (مفتي القدس) و(رئيس اللجنة العربية العليا) الى العراق في ١٥ تشرين الاول ١٩٣٩.
- (١٠) للتفاصيل ينظر: اسماعيل أحمد ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني. دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية. ط ١ دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٥١ وما بعدها. الحسيني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٧ وما بعدها.
- ينظر كذلك: Khadduri, M., op. cit. pp. 178-195.
- (١١) للتفاصيل ينظر: ياغي، المصدر السابق، ص ٧٢ وما بعدها. الصباغ، المصدر السابق، ص ٢١٩، ٢٨٩.
- الهاشمي، المصدر السابق، ص ٤٢٠-٤٢٦.
- (١٢) عبدالفتاح علي يحيى، الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦-١٩٥٨. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٩٠. ص ١٢٢-١٢٤.
- (١٣) من بين المصادر المتعددة التي عالجت هذا الموضوع بالتفصيل: بلاظ: جعفر عباس حبيدي: التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣. مطبعة النعمان (النجف، ١٩٧٦)، ص ٣٩ وما بعدها. ياغي، المصدر السابق ص ١١٢ وما بعدها.

- (١٤) نوري أحمد عبدالقادر، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠-١٩٤١. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٨. ص ٢٢٧-٢٣٤.
- (١٥) يحيى، المصدر السابق، ص ٤٢٣-٣٢٤. ينظر كذلك: جريدة البلاغ، العدد ٩٧١، ١٨ نيسان ١٩٤١، والعدد ٩٧٤، ٢ أيار ١٩٤١.
- (١٦) بلغ مجموع الطائرات التي وصلت مطار الموصل حتى ١٧ مايس أربع عشرة طائرة وجاء على متنها حوالي اربعائة من الألمان والإيطاليين نزولاً في الموصل. ينظر: عبدالقادر، المصدر السابق، ص ٢٣٩.
- (١٧) في مجال اكتمل شحن السلاح للعراق، وصل الموصل يومي ٢٦ و ٢٨ مايس قطاران آتيا من عملاقين بالسلاح. وكان من المقرر شحن دفعة ثالثة يومي ٣ و ١٠ حزيران. إلا أن النهاية العاجلة للثورة حالت دون ذلك. وبقيت بعض الأسلحة المذكورة لم تكن ذات قيمة فعالة ولم يستفد منها الجيش العراقي في القتال، بل تكسفت في الموصل ووقع أغلبها في قبضة الإنكليز. للتفاصيل انظر: غانم محمد الحفوف: «ثورة العراق مايس ١٩٤١ في استراتيجية الدول الكبرى»، مجلة آداب المستنصرية (بغداد)، العدد ٩، ١٩٨٤. ص ٦٠١-٦٤٠.
- (18) AL-Haffou, Ghanim: L'Irak devant La deuxième guerre mondiale. Doctorat de 3eme cycle. Université de Poitiers (France, 1981).p.187.
- (19) Ibid., p. 188.
- (٢٠) بلغ مجموع شهداء لواء الموصل خلال الثورة (٢٣٩) شهيداً. أعدا المرحى الذين لم تمكن جمعية الهلال الأحمر في الموصل من معرفة عددهم الدقيق. ينظر: يحيى، المصدر السابق ص ٣٢٤-٣٢٥.
- (٢١) وائل علي النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦-١٩٥٨. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٨. ص ٣٠٣.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٣. عبدالقادر، المصدر السابق، ص ٢٤٠-٢٤١.
- (٢٣) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ٢٤١.
- (٢٤) يحيى المصدر السابق، ص ٣٢٦.
- (٢٥) من المناسب هنا الإشارة إلى أن حكومة نوري السعيد كانت وقتئذ تعمل على إعادة محاكمة قادة ثورة نيسان مايس من جديد بعد إلقاء القبض على بعضهم بالتواطؤ مع السلطات البريطانية. وكانت عازمة على استئصال شأقة العناصر الوطنية والقومية التي قادت هذه الثورة أو شاركت بها أو أيدتها بمختلف الوسائل لما لاذت أصدرت في ٤ مايس ١٩٤٢ حكماً بإعدام كل من محمد يونس السبعاوي ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان ثم نفذته في اليوم التالي مباشرة. اما كامل شبيب فقد اعدم في ٢٠ آب ١٩٤٤. في حين جرى اعدام صلاح الدين الصباغ في ١٦ تشرين الاول ١٩٤٥.
- (٢٦) جاء في الاوراق الرسمية الحكومية وقتئذ أن معاون شرطة قضاء الموصل قد عثر على هذا المنشور ملصقاً على الجدار الخلفي

- لحديقة الطيران في الساعة الثانية عشرة ليلاً. دار الكتب والوثائق (بغداد). ملفات البلاط الملكي. 311/1218 (جريدة الاستخبارات السياسية)، وثيقة رقم ٨.
- (٢٧) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ٢٤١.
- (٢٨) حميدي، المصدر السابق، ص ١٦٤-١٦٦.
- (٢٩) من بين المصادر المتعددة التي عالجت مسألة البدايات التنظيمية لحزب البعث ودوره في الحركة الوطنية. يلاحظ: فاضل حسين: الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨. مؤسسة الخليج للطباعة والنشر (الكويت، ١٩٨٤)، ص ١٢٣-١٢٣؛ هادي حسن: دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٥٨، ط ٢، مطبعة مهدي الثقافية العامة، (اللات، لا.م)، ص ١٢٥ وما بعدها.
- (٣٠) للتفاصيل عن هذه التنظيمات والأحزاب التي أسست لها فروعاً في الموصل وتحتل: ينظر: يحيى، المصدر السابق ص ٢٢٤ وما بعدها.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٢٨٠ ينظر كذلك: شبلي العيسوي: حزب البعث العربي الاشتراكي. مرحلة الأربعينات التأسيسية ١٩٤٥-١٩٤٩، ج ١، ط ٦، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٢٧-٢٨.
- (٣٢) يحيى، المصدر السابق، ص ٢٨٠.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٨١-٢٨٢.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٣-٢٨٥. هادي حسن، المصدر السابق، ص ١٢٧.
- (٣٥) يحيى، المصدر السابق، ص ٢٨٦-٢٨٨.
- (٣٦) المصدر نفسه، ٢٨٨-٢٨٩.
- (٣٧) المصدر نفسه، ٢٩٠-٢٩١.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٩١، ٣٠٩. وللتفاصيل عن تنظيمات الحزب في الأساطط الطلابية والهيئة التدريسية في الموصل بين عامي ١٩٥٦-١٩٦٠. ينظر: هشام صباح فخري: خواطر بعثية من رقى الحبداء. دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٣)، ص ٢٠ وما بعدها.
- (٣٩) يحيى، المصدر السابق، ص ٢٩٤-٢٩٧. ولابد من القول بأنه ليس هنا مجال لذكر تفاصيل عن نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في الموصل، وذلك انتظاراً لما سوف تنجزه اللجان المشكلة في القيادة القومية، التي تضطلع حالياً بوضع تاريخ رسمي للحزب ليس في العراق وحسب وإنما في اجزاء الوطن العربي كله.
- (٤٠) للمزيد من التفاصيل يلاحظ: الحسيني، المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٣٦ وما بعدها، حميدي، المصدر السابق، ص ٤٧٥ وما بعدها.
- (٤١) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٢٧-٣٢٩.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٤٣) صدر هذا البيان في بغداد مساء ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٨. ويحمل بالتتابع توقيع كل من كامل الجادرجي وعبد مهدي كية وسعد صالح. انظر: الحسيني، المصدر السابق، ج ٧،

- ص ٣١١-٣١٢.
- (٤٤) التحاس، المصدر السابق، ص ٣٠٩-٣١١. يحيى، المصدر السابق، ص ٣٣٧.
- (٤٥) للمزيد من الاطلاع على هذه المسألة وإبداها التفصيلية. ينظر: نوري عبدالمجيد خليل: التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ١٩٢٥-١٩٥٢، ط ١، مركز الابحثة للصف التصويري (بيروت- لبنان، ١٩٨٠)، ص ٣٩٢ وما بعدها.
- حميدي، المصدر السابق، ص ٦٦٨-٦٨٤.
- (٤٦) جريدة فتي العراق، العدد ١١، ٨ نيسان ١٩٥١.
- (٤٧) جريدة النضال، العدد ٨٥، ٢٤ آذار ١٩٥١.
- (٤٨) كان الدكتور عبد الجبار الجورمدي وتحتل صاحب امتياز هذه الجريدة وله دور كبير في تحريرها. كما كان يمثل في الوقت ذاته معتمد فرع حزب الجبهة الشعبية المتحدة في الموصل حتى عام ١٩٥٣. انظر: عدنان سامي نذير: عبد الجبار الجورمدي. نشاطه الثقافي ودوره السياسي. شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة (بغداد، ١٩٩١، ص ١٥٥، ١٦٢.
- (٤٩) جريدة الهدى، العدد ٥، ٢١ شباط ١٩٥٢.
- (٥٠) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٤٠-٣٤١.
- (٥١) للمزيد من التفصيلات عن هذا المؤتمر ووقائعته والجاهة الكلاسية الصارخة والصريحة بين الوصي وطه الهاشمي. ينظر: كامل الجادرجي، ملوكات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، ط ١، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٠)، ص ٥٤٦-٥٦١.
- (٥٢) للاطلاع بشكل مفصل عن طبيعة هذه الانتفاضة الشعبية يلاحظ: الحسيني، المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٢١ وما بعدها. حميدي، المصدر السابق، ص ٧١١ وما بعدها.
- (٥٣) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٣.
- (٥٤) لقد أسفرت الانتفاضة في بغداد عن سقوط (٢٣) شهيد من المتظاهرين و(٤) من الشرطة في يوم ٢٣ تشرين الثاني فقط. اضافة الى اعداد كبيرة من الجرحى والمعتقلين. انظر: جعفر عباس حميدي، التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق ١٩٥٣-١٩٥٨، ط ١، (الكويت، ١٩٨٠)، ص ٣١.
- (٥٥) التحاس، المصدر السابق، ص ٣١٩.
- (٥٦) حميدي، المصدر السابق، ص ١١٩-١٢٠. نذير، المصدر السابق، ص ١٦٧-١٧١.
- (٥٦) التحاس، المصدر السابق، ص ٣٢١ وما بعدها.
- (٥٧) حميدي، المصدر السابق، ص ١٢١-١٣١.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ١٢٢-١٢٣.
- (٥٩) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٥٢-٣٥٣.
- (٦٠) حميدي، المصدر السابق، ص ١٣٨-١٤١.
- (٦١) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٦١-٣٦٢.
- (٦٢) حميدي، المصدر السابق، ص ١٣٨-١٤١.
- (٦٣) المصدر نفسه، ص ١٤١. يحيى، المصدر السابق، ص ٣٧٠.
- (٦٤) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٦٦.
- (٦٥) حميدي، المصدر السابق، ص ١٤٢.

- (٦٦) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٦٧.
 (٦٧) أعطى المرسوم المذكور لرئيس الوزراء صلاحيات استثنائية في فرض الرقابة على الصحف والمجلات والكتب وجميع المطبوعات. كما حوّل اعتقال الأشخاص اللذين يعتقد بأن سلوكهم مخل بالأمن العام.
 (٦٨) حميدي، المصدر السابق، ص ١٤٢.
 (٦٩) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٧٠.
 (٧٠) للتفاصيل حول هذا الموضوع. ينظر: حميدي: المصدر السابق، ص ٣٦٩ - ٣٧١.
 (٧١) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٧١ - ٣٧٤.
 (٧٢) المصدر نفسه، ص ٣٧٦ - ٣٧٩.
 (٧٣) المصدر نفسه، ص ٣٨٠ - ٣٨١.
 (٧٤) المصدر نفسه، ص ٣٨٢.
 (٧٥) نذير، المصدر السابق، ص ٢٤١ - ٢٤٣.
 (٧٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.
 (٧٧) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٨٣.

شجرة الموصل

(١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م)

د. عوني عبدالرحمن السعاوي

مقدمة :

حدث ذلك التغيير. وإذ أُعلن نبأ قيام الثورة وسقوط النظام الملكي وقيام النظام الجمهوري خرجت جماهير الموصل في تجمعات عفوية الى الشارع لمواجهة لبناية البريد القديم. ومن هناك انطلقت في تظاهرة كبيرة معبرة عن فرحتها وتأييدها للثورة. وبادرت جميع الأحزاب والقوى السياسية في الموصل مثل حزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي، وحزب البعث العربي الاشتراكي الى إعداد نفسها لمواجهة الظروف الجديدة^(١). كما عبّرت الصحافة الموصلية عن استبشارها وتفاؤلها الكبير بقيام الثورة التي عدّتها حدثاً تاريخياً مهماً في حياة العراق المعاصر فقد كتبت جريدة «فتى العراق» في مقالها الافتتاحي قائلة: «وأن للشعب اليوم أن يتكلم بعد أن ظل العراق يرنخ تحت نير العبودية والطغيان وكنم الحريّات مدة طويلة، حكّت خلالها أصنام سكرت نفسها لخدمة الاستعمار ومآربه من اجل السيطرة على هذه البلاد...». وأضافت الصحيفة تقول «وأصبحنا اليوم أحراراً وآل لنا أن نلحق بالركب العربي في شتى أقطاره. ونرفع رأسنا عالياً بين الأمم الحرة التي سبقتنا في التحرر وطرد الاستعمار ونيل العزة والكرامة». واختتمت الجريدة مقالها مخاطبة قادة

تعد مدينة الموصل من مدن العراق العريقة في معطياتها الحضارية، وكان لها دورها المشهود وطنياً وقومياً على مرّ الأزمان. وفي عصرنا الراهن كانت لها إسهاماتها المتميزة في مقارعة الاستعمار البريطاني ونظام الحكم الملكي حتى سقوطه صبيحة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، وفي دعم الثورات والانتفاضات التي شهدتها الوطن العربي في مشرقه ومغربيه. كما كان لرجال الموصل إسهاماتهم الواضحة في التحضير والإعداد لثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، فقد شكّل الضباط الأحرار في بغداد منذ انطلاقتهم فرعاً لهم في الموصل، من خلال خلية تتألف من (١٠) ضباط^(٢) تشرف على تنظيم ضباط من موقع الموصل بلغ عددهم نحو السبعين ضابطاً من ذوي الانتماءات القومية. وأصبح القتيب محمود عزيز لولب الحركة بين بغداد وتنظيم الموصل. وكان على صلة مباشرة مع العقيد رفعت الحاج سري أحد قياديي الضباط الأحرار الذي زار الموصل قبل الثورة بضعة أشهر، ووقف بنفسه ميدانياً على الحالة فيها^(٣).

كما كانت الفئات السياسية في الموصل تتوقع حدوث تغيير ما في نظام الحكم. وهيات نفسها لاستقبال ذلك على الرغم من عدم معرفتها بموعد

الثورة بالقول «ان الشعب يعاهدكم على التضحية من أجل حرية الوطن الغالي...»^(٤).

ورجبت جريدة (الرائد) من خلال مقالها الانتحاشي في ١٩ تموز ١٩٥٨ بالنظام الجمهوري في العراق فككت تقول : «في صبيحة يوم ١٤ تموز استيقظ الشعب العراقي لسمع اجمل نأ في حياته وهو ولادة الجمهورية العراقية وعلان تحرير العراق الناجز من نير الاستعمار؛ وبه الحياة الكريمة اللاتفة بأبنائه المخلصين». وتختتم الصحيفة مقالها مخاطبة جماهير الموصل بالقول «فلنحرص على انتصاراتنا ونظفنا بالتزام الهدوء ومحاربة الخونة والجواسيس والمأجورين»^(٥).

اما جريدة «الأخبار التجارية» فقد تخطت عدها الأولى في ظل الثورة بنشر مقال تحت عنوان «الفجر الجديد» جاء فيه «يا يوم ١٤ تموز، سوف تبقى خالداً في نفوس الشعب العراقي خاصة والعرب عامة، وسوف تبقى انتفاضة جيشنا الباسل فخراً لكل عربي في كل زمان، وسوف يسجلها التاريخ...»^(٦).

واذ بدأت تلوح في الأفق بوادر التدخل الأجنبي في شؤون العراق الداخلية، ومحاولة إجهاض الثورة واحتوائها، ولاسيما بعد إنزال القوات الامريكية والبريطانية في لبنان والأردن^(٧)، بادرباء الموصل الى استنكار ذلك، وأعلنوا عن استعدادهم للتطوع في الدفاع عن الوطن والثورة من خلال البرقيات التي رفعوها الى قادة الثورة وهيئة الأمم المتحدة جاء فيها «ان قيام الجمهورية العراقية كان نتيجة طبيعية لكفاح الشعب العراقي.. اننا نستنكر أي تدخل أجنبي في شؤوننا الداخلية، ونعلن للعالم ان حركتنا هي حركة داخلية صرفة، وهي نتيجة طبيعية لكل شعب يريد أن يحكم نفسه بنفسه، ونستنكر احتلال الجيش الامريكي للأراضي اللبنانية، وإنزال القوات البريطانية في الأردن»^(٨).

وتعبيراً عن الولاء للثورة والتأييد لها شكل اهالي الموصل وقدماً شعبياً سافر الى بغداد، والتقى رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة الزعيم (العميد) الركن عبد الكريم قاسم، وقدم له التهنئة بهذه المناسبة^(٩). هذا في الوقت الذي شغل فيه عدد من شخصيات الموصل المدنية والعسكرية مناصب مهمة في الدولة بعد قيام الثورة، نذكر من هؤلاء الدكتور عبد الجبار الجومرد الذي اصبح وزيراً للخارجية ومحمد حديد وزيراً للمالية ومحمد صديق شنشل وزيراً للإرشاد وغري الحاج احمد مديراً للدعاية والزعم الركن (العميد) عبد العزيز العقيلي قائدا للفرقة الأولى.

ثورة الموصل ١٩٥٩ :

البدايات :

ظهرت الخلافات الحادة بين القوى السياسية في مدينة الموصل، وبخاصة بين شباب حزب البعث العربي الاشتراكي وعناصر الحزب الشيوعي، بسبب الافكار والشعارات التي بدأ يروجها الشيوعيون المناقضة للمبادئ والأهداف الوطنية والقومية والاسلامية ومعاداتهم للوحدة العربية، نتيجة الانحراف الذي دب في مسار الثورة ودعم عبد الكريم قاسم للحزب الشيوعي على حساب الاحزاب والتنظيمات الوطنية والقومية.

وقد انتقلت المناقشات والحوارات الفكرية والعقائدية بين الطرفين الى مجالس الموصل الادبية والثقافية، ومقاهيها الشعبية. وظهرت تبايناً واضحاً بين مبادئ الجانبين وأفكارهم وبخاصة في المواضيع المتعلقة ب (القومية، الدين، المادية، المثالية، الاشتراكية، الوحدة....). استمرت قرابة الاسبوعين، اضطر الشيوعيون بعدها الى الانسحاب من هذه المناقشات لعجزهم عن مواجهة الشباب البعثيين، وشعورهم بانها لا تجري لصالحهم، وان الجماهير الموصلية اخذت تميل بشكل واضح الى طروحات البعثيين وأفكارهم، مما

زاد في عدد المنتسبين الى خلاياه التنظيمية^(١١) .
وتعمقت الخلافات بين الجانبين بعد مشاهدته
الموصل من مواكب النصر القومية التي نظمها
الشباب العربي حينذاك عند زيارة نائب رئيس
الوزراء ووزير الداخلية عبد السلام محمد عارف
لمدينة الموصل في ١٥ من آب ١٩٥٨ ، واستقبالهم
الحافل له على ارض المطار^(١٢) .

وبدا اهالي الموصل يراجعون انفسهم ويعيدون
النظر في ولائهم للسلطة الجديدة ، وبخاصة بعد
تنامي وتصاعد نفوذ الحزب الشيوعي ومحاولة فرض
هيمنته على مقدرات الثورة وتوجيهها الوجهة التي
تحقق مراميهم ومصالحه المناقضة لاهداف الشعب
العراقي والامة العربية .

وانعكس ذلك في المصادمات العديدة التي
جرت في مدينة الموصل منذ مطلع عام ١٩٥٩ بين
القوى البعثية والقومية من جهة والعناصر الشيوعية
من جهة أخرى بدأت في الاعدادية المركزية
وامتدت الى المقاهي والاسواق مما نتج عنها اصابة
كل من الطرفين بجروح ، كما تم على اثرها اعتقال
عدد من الشباب البعثي^(١٣) .

وانتقل تأثير هذه المصادمات الى الجيش ، اذ
حدثت مشاحنات بين الضباط البعثيين والشيوعيين
في النادي العسكري ، إثر الكلمات الاستفزازية التي
كان يطلقها الشيوعيون ضد العناصر القومية ،
وانضم قسم من الضباط من غير الضباط الاحرار
لهذا الطوف اذ ذاك ، كما انحاز القلة من ابناء الموصل
الى جانب الشيوعيين ، على حين بقي القسم الاكبر
منهم مؤمناً بعرويته ودينه ومحافظاً على معتقده وقيمه
الاصيلة^(١٤) .

مهرجان (انصار السلام) :

وجدت القوى الشيوعية أنَّ تنامي الوعي
الوطني والقومي لابناء هذه المدينة يتعارض مع
بسط نفوذهم وهيمنتهم على مقدرات العراق
وشعبه ، سيما وان العديد من العناصر الوطنية

والقومية كان لها مواقعها المهمة في المسؤولية والسلطة
في المدينة ، بحيث اصطدمت مع مسمى الشيوعيين
في توسيع دائرة نفوذهم الذي اقتتل المشاكل
والازمات ، دون جدوى^(١٥) ، مما دفعهم
الى الاستعانة بالسلطة المركزية في بغداد ،
واستعدادها ضد اهالي الموصل واتهامهم بإيهاهم بانهم
قوى مناهضة للثورة ومهددة لنظام الحكم ، فكتبت
صحيفة «اتحاد الشعب» الناطقة بلسان الحزب
الشيوعي العراقي تقول : «منذ أمد والانباء تتواتر
عن وجود [شراذم] القوى القومية في الموصل ،
تمارس بعض الفعاليات المناوئة للثورة برعاية بعض
الموظفين غير الأمناء على مصالح الجماهير ، الا ان
نشاط هذه الزمر اخذ يتفاقم لدرجة لم يعد من
الصحيح السكوت عنه . ان هذا يستلزم من
حكومة الثورة وقائدها المقدام تشديد الحزم ضد
[الخونة والمارقين] في كل انحاء العراق واعتقال
الرؤوس الشريرة^(١٦) »

وقد اولت قيادة الحزب الشيوعي اهتمامها
الكبير للحالة القائمة في الموصل ، وسعت عبر
الضغوط والمعاودة للقوى القومية الى محاولة تغيير
الحالة القائمة في هذه المدينة بما يتفق ومصالحها .
فوضعت الخطط والبرامج الهادفة الى احتواء كل
الحركات المناهضة لها في العراق ، وكانت الموصل
على رأسها . وهذا الاتجاه قررت قيادة الحزب
الشيوعي العراقي عقد ماسمي آنذاك بـ «مهرجان
انصار السلام»^(١٧) في مدينة الموصل ، تستهدف
من خلاله حشد العناصر الشيوعية من انحاء العراق
كافة والدول المجاورة في سوريا والأردن ولبنان
وإيران ، وتكريس طاقاتها وامكانياتها وتأكيد هيمنتها
على مقدرات العراق ، فنشرت صحيفة «اتحاد
الشعب» دعوة هذا المهرجان قالت فيه «هلموا الى
الموصل للاشتراك في مهرجان السلم الكبير»^(١٨)
ولقد اثارناً اعتزام الشيوعيين عقد هذا المهرجان في
الموصل ، اهالي المدينة الذين عم السخط والغضب
بين صفوفهم ، وعدوه بمثابة تحد لشعورهم
ومبادئهم ، وبدأت الاستعدادات الزامية لمنع

انعقاده، بعد أن تسربت المخاوف في المدينة متحذرة عن احتمال وقوع اصطدام مسلح بين العناصر القومية والشيوعية.

ومحاولة من العقيد الركن عبد الوهاب الشواف^(١٨) أمر اللواء الخامس لتجنب آثار ومخاطر عقد هذا المهرجان، وفي ضوء طلب من اهالي



العقيد الركن عبد الوهاب الشواف

الموصل، سافر الى بغداد أكثر من مرة، وطلب من عبد الكريم قاسم عدم الموافقة على عقد المهرجان قائلاً له: «سيادة الزعيم اني أناشدك ان تصدر الأمر بمنع عقد هذا المؤتمر الشيوعي في الموصل.. لماذا هذا التحدي لشعور الضباط وشعور الناس، انهم قادمون بأسلحة كثيرة، واختشى عواقب حادث قد يؤدي الى صدام واسع»^(١٩).

أما قاسم فقد حاول الماطلة قائلاً: «سوف ابحت الأمر واتصل بك»^(٢٠). ثم اتصل الشواف تلفونياً بعبد الكريم قاسم للعرض نفسه وجاءه الرد من مدير مكتبه وصني طاهر قائلاً له: «ان المؤتمر سوف يعقد في الموصل في موعده في ٦ آذار، والزعيم يحملك بصفتك قائداً عسكرياً للمنطقة مسؤولة أي شيء يحدث»^(٢١).

لكن الشواف استمر في محاولاته الضغط على قاسم وثنيه عن قراره بعقد المؤتمر، فاتصل بمدير الاستخبارات العسكرية العقيد رفعت الحاج سري والـح بطلب تأجيل عقد المؤتمر او عقده في مكان آخر، وقال: «انكم لاتقدرون حراجه الموضوع. ومدى الخطورة لأن الطرفين يتبيان كل منها ضد

الآخر». وكان رد العقيد سري أن يتصل الشواف بالحاكم العسكري العام مباشرة احمد صالح العبدى ويوضح له الموقف ويحثه على مقترحه، وقد نعل الشواف ذلك، لكن الحاكم العسكري العام لم يوافق على طلب الشواف^(٢٢).

وسعت متصرفية لواء الموصل من جانبها توضيح الموقف الى وزارة الداخلية ولكن جهودها باءت بالفشل ايضاً. كما حاول الزعيم (العقيد) الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية في كركوك حث وزارة الدفاع على تأجيل عقد المؤتمر بناء على طلبات وردت من الموصل، لكن وزارة الدفاع اجابت الطبقجلي بان الاجازة قد منحت لعقد المؤتمر، ولا يمكن باي حال تأجيله^(٢٣).

وفي ليلة السادس من آذار ١٩٥٩، وضع مدير الحركات العسكرية العميد الركن طه الشيخ احمد، وهو من قيادتي الحزب الشيوعي تحت تصرف اتباعه كل المستلزمات من وسائل النقل البرية والجوية وتوفير الحامية اللازمة لنقل اعضاء المهرجان من بغداد الى الموصل^(٢٤). وخصص قائد القوة الجوية العقيد جلال الاوقاتي وهو شيوعي ايضاً عدة طائرات حربية لحراسة القطارات اثناء سيرها نحو الموصل خوفاً من تعرضها لهجمات معادية^(٢٥).

وهكذا، تحت سمع وبصر عبد الكريم قاسم ونظامه حكمت المؤامرة ضد مدينة الموصل واهلها بهدف تركيعها، وتصفية العناصر الوطنية والقومية المناوئة للنفوذ الشيوعي وانحراف مسار الثورة.

ولتفادي وقوع صدام مسلح في مدينة الموصل طلب العقيد رفعت الحاج سري من العقيد الشواف الالتقاء باهالي الموصل ومحاولة اقناعهم بان مهرجان انصار السلام هو مهرجان سلمي، وان اعضاء المهرجان سيأتون كضيوف في مدينتهم، على أن يتصل باعضاء المهرجان ايضاً ويتكلم معهم بما يناسب ذلك، وان يستخدم منتهى الحكمة والروية للسيطرة على الوضع. ويتخذ كل الاجراءات

الكفيلة بمنع وقوع اي حادث ومنع اي استفزاز يفضي الى وقوع تصادم بين الاطراف المتناحرة^(٢٦). وبغية الحفاظ على الأمن والنظام اثناء انعقاد المهرجان وبعد انتهائه، قام العميد الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية في كركوك بارسال سرية مدرعات الى الموصل في ٣ آذار ١٩٥٩، لكن عبد الكريم قاسم أمر باعادة السرية الى كركوك في ٧ آذار، اي بعد يوم واحد من انتهاء المهرجان^(٢٧).

بدأت جموع الشيوعيين الوافدة لمدينة الموصل تجاهر في اجتماعاتها التمهيدية واستقبالها وفود الانصار بتحدياتها للمشاعر القومية والدينية واستفزازاتها للفئات الوطنية والقومية على اختلاف ميولها واتجاهاتها. وقد قاطع اهالي المدينة الشيوعيين الوافدين مقاطعة تامة، اذ قاموا باغلاق حوانيتهم منذ يوم الخميس ٥ آذار ١٩٥٩، أما العناصر الشيوعية فقد كانت تحجب الشوارع على شكل تظاهرات، وهي توزع المنشائر العدائية وتهتف «اهل الموصل يا كرام، جاكم انصار السلام، ديمقراطية واثام، احنا انصار السلام، رفر وطير يا حامي السلام»^(٢٨). كما اعتدت على بعض العناصر الوطنية والقومية في المدينة. ولم تكتف بذلك بل قامت بتقديم شكوى الى عبد الكريم قاسم بشأن تصرفات الشواف وضباط جحفل اللواء الخامس المناوئين للشيوعية، وطالبوا بما اسموه باجراءات تطهيرية في اللواء^(٢٩).

وفي هذا الجو الاستفزازي للعناصر الشيوعية الموجه ضد العناصر الوطنية والقومية في الموصل عقد مهرجان «انصار السلام» يوم الجمعة المصادف ٦ آذار ١٩٥٩ في ملعب الادارة المحلية (في باب سنجار) في ظل الشعارات الشيوعية واعلامهم الحمر. فكان تظاهرة مكرسة لدعم عبد الكريم قاسم وتأكيد وجود الحزب الشيوعي، حيث القيت الخطب الحاسية في هذا الاطار، ثم خرج الحاضرون في تظاهرة صاخبة تنذر وتهدد وتوعد^(٣٠).

وقد اظهرت القوى الوطنية والقومية في ذلك الحين انضباطية عالية في عدم الانجرار لاستفزازات الشيوعيين وشعاراتهم المعادية لهم، اذ أسهم الشواف والقيادات الوطنية والقومية في الحفاظ على هذه الانضباطية، والدعوة الى وحدة الصفوف والابتعاد عن المهازات، منطلقين في ذلك من نظرة صائبة وادراك واع للامور في الربط بين مايجري في المدينة ومايجري في عموم البلاد، وان ما يحدث في الموصل انما يشكل جزءاً من الانحراف الخطير في مسيرة ثورة الرابع عشر من تموز الذي يتطلب عملية تصحيح شاملة^(٣١).

وتعبيراً عن مشاعرها الوطنية والقومية، وازاء التحدي الاستفزازي الذي اظهرته القوى الشيوعية خرجت مجموعات كبيرة من اهالي مدينة الموصل في اليوم التالي في ٧ آذار ١٩٥٩ بتظاهرة سلمية تتحج فيها على ماجرى على ارض مدينتهم وكانت بمثابة نذير للثورة ورأس الرمح فيها. وسار التجمع في شوارع المدينة، وازدادت بجماهيره، وحين وصل شارع الفاروق واستدار باتجاه منطقة (باب الجديد) تحول التجمع الى اكبر تظاهرة تشهدها المدينة بطابع هدوئها وشعاراتها التي كانت تطالب بتصحيح مسيرة الثورة، ووضع حد لاستفزازات الشيوعيين. وقد اعترض الشيوعيون هذه المسيرة وطالبوا اللواء الخامس بالتدخل لتفريقها دون جدوى، ثم مالوا ان هاجموا المسيرة باطلاق النار عليها وضربها بالحجارة والهجوم على مقاهي ومكتبات العناصر القومية والاعتداء على رؤاها ونهبها وحرقها، فضلاً عن تدمير السيارات في الشوارع العامة، ولم تتمكن قوات الشرطة من التدخل والسيطرة. واخذت الامور تهدد بوقوع اشتباكات دامية بين الطرفين^(٣٢).

وازاء استمرار مظاهرات الشيوعيين التي وصلت المنطقة السماة (باب البيض) التي كانت بمثابة «منطقة مغلقة للقوى القومية» حسب اعتقاد الشيوعيين، واقتحامهم بيوت المواطنين فيها واخراج من كان فيها عنوة. واعتادتهم على بعضهم الآخر،

تدخل الجيش ومنع التجول في المدينة تطبيقاً للخطة الأمنية ، ففرق الشيوعيون ، وسرت في صفوفهم توصيات الخطة والحذر والتأهب الدائم^(٣٢) .

بداية الثورة :

في هذا الوقت بالذات كان العقيد الركن عبد الوهاب الشواف ومجموعة من المدنيين والعسكريين تنهياً للقيام بثورة مسلحة في الموصل بداية لتحرك عسكري اوسع في مناطق اخرى من العراق وبخاصة في بغداد . وقد حاول الشواف منذ الايام الاولى لثورة الرابع عشر من تموز الاتصال بالضباط الاحرار الناقبين على عبد الكريم قاسم وعبد السلام محمد عارف لعدم اخبارهم بموعد الثورة وعدم تشكيل مجلس قيادة الثورة حسب ما هو مقرر . وبعد الخلافات التي نشبت بين قاسم وعارف التي انتهت بابعاد الأخير عن السلطة وسجنه تنهياً للعديد من الضباط الاحرار والضباط القوميون للقيام بحركة مسلحة ضد عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي . وأخذ زمام المبادرة في ذلك كل من العقيد رفعت الحاج سري والعميد الركن ناظم الطبقجلي والعقيد الركن عبد الوهاب الشواف ، واستقر رأيهم على ان يعلن الطبقجلي العصيان في المنطقة الشالية بسانده الشواف في الموصل ، ثم تتحرك العناصر العسكرية المؤيدة للحركة في بغداد فتستولي على معسكر الوشاش ومعسكر الهندسة في الرستمية وحامية وزارة الدفاع ، وتقوم باعتقال قاسم واتباعه ومطالبته بتقديم استقالته ثم يقوم فوج المدرعات الموالي للحركة باحتلال محطة الاذاعة والارسل . اما القطعات المربطة في الديوانية والسبب واربيل وعقرة ، فتتحرك فجر يوم الحركة بعد اعلانها من محطة الاذاعة في الموصل . كما جرت اتصالات مع زعماء الاحزاب القومية ، وكلفوا بتنظيم مظاهرات للسيطرة على الشارع والتصدي للعناصر الشيوعية ، وحماية المراكز المهمة . وقد وافق على هذه الخطة ايضاً الفريق الركن محمد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة دون ان يطلع على تفاصيلها ، واتفق

بعد نجاح الثورة على اجراء تعديل وزاري ، كما تم الاتفاق على اطلاق سراح عبد السلام محمد عارف من سجنه دون اسناد ابي منصب له . وتحميله مسؤولية انحراف الثورة الى جانب عبد الكريم قاسم ، والابقاء على مجلس السيادة برئاسة الربيعي ، وتشكيل مجلس قيادة الثورة ، واحتفاظ قادة الفرق العسكرية بمراكزهم^(٣٤) .

ويعزى السبب في اختيار الموصل منطلقاً للثورة الى أن اغلب الضباط فيها كانوا ذوي ميول قومية ، فضلاً عن تأييد أهالي الموصل لهم ، والاطمئنان الى مساندة الفرقة الثانية في كركوك بقيادة ناظم الطبقجلي التي تعد آنذاك من اهم الفرق العسكرية بحيث تعطي للثورة زخماً قوياً على القطعات العسكرية الأخرى ، حتى في بغداد^(٣٥) .

وقد أسهمت تطورات عقد مهرجان (انصار السلام) في الموصل ، والصراعات بين العناصر القومية والشيوعية في المدينة الى تهيئة الاجواء المناسبة لبدء حركة التغيير ، في الوقت الذي جرت فيه الاتصالات بين الشواف وسلطات الجمهورية العربية المتحدة التي وعدت بتقديم الدعم والاسناد . فقد ذكر رئيس المخابرات المصرية العامة آنذاك صلاح نصر ان وزير الداخلية في الجمهورية العربية المتحدة عبد الحميد السراج قام بالاتصال بعبد الوهاب الشواف بعد موافقة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وارسل من خلال ضباط المخابرات السورية وعلى رأسهم (برهان ادهم) عبر الصحراء مروراً بدير الزور محطة اذاعة ، شحنت من القاهرة فضلاً عن أسلحة ومعدات فنية^(٣٦) .

بيان الثورة :

وبعد الاتصالات العديدة التي تمت بين الشواف وكل من ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري اعلنت اذاعة الموصل في الساعة السابعة من صباح يوم الأحد الموافق ٨ آذار ١٩٥٩ ، بصوت الرائد محمود الدرة ، بيان الثورة وجاء في مقدمته : « ان الجيش العراقي الباسل عندما اعلن ثورته

وحده». ودعا البيان في الختام المواطنين ليخلدوا الى الهدوء والسكينة^(٣٧).

وقد تناقلت وكالات الانباء والاذاعات المختلفة نصوص البيان، ورحبت اذاعة القاهرة وصحافة الجمهورية العربية المتحدة بشوة الموصل، وتابعت احداثها مستهتجة بلاغات اذاعة بغداد، ومغزة الاخبار القائلة بانتصار الثورة. مما حمل اذاعة بغداد على اتهام الجمهورية العربية المتحدة بالتحريض على الثورة ودعم الشواف، لكن الاخيرة انكرت مسؤوليتها المباشرة عن الثورة ووصفت اتهامات قاسم بانها تلفيقات ترمي الى تأجيج مشاعر العداوة ضد الجمهورية العربية المتحدة^(٣٨).

ويذكر اللواء الركن حسين العمري في هذا الصدد ان اجتماعاً تم بين بعض قادة الثورة في الموصل مع ناظم الطبقجلي وقرر بموجبه السيطرة على القطار القادم من بغداد الى الموصل حاملاً عناصر مايسمى «انصار السلام» وسحب الى الحدود العراقية، في حين اقترح آخرون سحب القطار الى الحدود وحجز ركابه بصفة ضيوف عند شيوخ شمر. وقد اتفق على الرأي الأخير وتم ابلاغ رفعت الحاج سري بذلك لكن الاخير لم يوافق على هذه الفكرة وطلب تأجيل تنفيذها^(٣٩).

كانت الفكرة الاساسية لدى الشواف وقادة الثورة انهم ان استطاعوا الصمود بضعة ايام فان وحدات الجيش العراقي سوف تساندتهم^(٤٠) وتحلى العسكريون وجهاير المدينة باليقظة وضبط النفس بلا اعمال عنف أو حوادث مخلة بالأمن سوى اعتقال ابرز العناصر التي اشتركت في قيادة مظاهرات الشغب^(٤١).

ردود فعل عبد الكريم قاسم تجاه الثورة :

وقد حاول عبد الكريم قاسم، فور سماعه نبأ الثورة المسلحة في الموصل اثناء حضوره احتفال يوم المرأة العالمي، الاتصال هاتفياً مع مقر أممية موقع الموصل والتحدث مع بعض قادة الثورة مطالباً

الجسارة في صبيحة يوم ١٤ تموز وقضى على النظام الملكي الفاسد، واقام نظامه الجمهوري الخالد، لم يدر بخلده ولا يخلدكم ان يجل طاغية مجنون محل طاغية مستبد، وتزول طبقة استغلالية جشعة لتحل محلها فئة غوغائية تعبت بالبلاد والنظام والقانون فساداً، ويستبدل مسؤولون وطنيون وآخرين يعتقدون مذهباً سياسياً لا يمت لهذه البلاد العربية الاسلامية العراقية بصلة.

واشار البيان الى ان عبد الكريم قاسم «خان ثورة ١٤ تموز» وعاث بمبادئها واهدافها ونكث بالعهد، وغدر باخوانه الضباط الاحرار، ونكل وأبعد اعضاء مجلس الثورة الاشاوس ليحل محلهم زمرة انتهازية رعناء.. واعتمد على فئة تدن بعقيدة سياسية معينة لاتملك من رصيد التأييد الشعبي غير التضييل والمخاتفات والمظاهرات.. وركب رأسه واعلنها دكتاتورية غوغائية فتحى زعماء الثورة عن المسؤولية، واطلق للاذاعة والصحف عنان الفوضى، لتخاصم جميع الدول وتشنها حرباً عدوانية على الجمهورية العربية المتحدة التي جازفت بكيانها من اجل نجاح ثورتها، ودعم كيان جمهوريتها، واستهتر بدستور جمهوريتها المؤقت وسلب مجلس السيادة المؤقت كل مسؤولياته الدستورية، واعلنها حرباً شعواء على الجهات الوطنية والعناصر القومية المخلصة».

ومضى البيان يقول: «لهذه الاسباب عزمنا على تحرير وطننا الحبيب من الاستعباد والاستبداد وتحليصه من الفوضى، ونطالب بعزم واصرار بتنحي الطاغية المجنون وزمرته الانتهازية الرعناء عن الحكم فوراً، والقضاء على السياسة الغوغائية التي اخذت تمارسها فئة ضالة من شعبنا، لكي يسود النظام وحكم القانون». واكد البيان على ان مجلس السيادة ينبغي ان يقوم بمسؤولياته الدستورية، وتؤلف وزارة شرعية في العاصمة بالتعاون مع مجلس قيادة الثورة. وحذر البيان من اي تدخل خارجي في شؤون العراق الداخلية وقال «ان حركتنا حركة داخلية محضة من اختصاص الشعب العراقي

اياهم بعدم تأييد الشواف لزرعه على حدّ قوله الفتنة والشقاق بين كبار ضباط الثورة. لكنه اخفق في مساعاه (٤٢).

وكان لعدم تحرك قطعات كركوك لاسناد الثورة في الموصل اثر في تردد القطعات في بغداد وكذلك القطعات الاخرى في باقي انحاء العراق عن التحرك (٤٣). وكذا الحال بالنسبة للقوى والاحزاب الوطنية والقومية باستثناء جباهير حزب البعث العربي الاشتراكي في بغداد التي خرجت بمظاهرة في جانب الكرخ تأييداً لثورة الموصل رغم شعورها بانتكاسة الثورة وعدم قدرتها على استقطاب قوى جديدة من الجماهير لمواجهة نظام قاسم (٤٤). مما أعطى الفرصة لقاسم للتحرك السريع والفوري لقمع الثورة وهي في مهدها عن طريق التريغيب والتهديد واستخدام القوة العسكرية، اذ استطاع منذ اليوم الاول عزل القوة العسكرية التي كانت بأمره الشواف (٤٥) ومحاصرة العناصر القومية الموجودة في وزارة الدفاع واعتقالهم (٤٦). بعد أن اكتشفت اجهزة أمن عبد الكريم قاسم نشاط الشواف واتصالاته مع السراج، كما تسربت معلومات عن الثورة الى الاوساط الرسمية الدبلوماسية في بغداد. فقد ذكر صلاح نصر ان السفير البريطاني في بغداد «همفري تريفليان» كان اول من حذر قاسم من الخطر الذي ينتظره (٤٧).

اجتمع قادة الثورة في الموصل في مقر اللواء الخامس برئاسة الشواف لبحث الموقف وخاطب الشواف المجتمعين بقوله «مالم يتحرك الجيش كله فاطنكم تعرفون ان معركتنا بائسة». ثم استطرد «بحسبنا على اي حال ومهما كانت النتائج فأنا اعلنا رأيي الجيش العراقي باعلنى صوت، وليكن مايكن بعدها.. ومع ذلك فلو اتنا صمدنا اربعة أيام او خمسة فاني واثق ان الجيش سيؤيدنا وكذلك الشعب». واستمر الاجتماع في تدارس الموقف واحتالاته حتى الصباح، ولم يكن قادة الثورة يدرون ماذا كان يجري داخل العراق، وما اصداء

حركاتهم خارج العراق (٤٨). بل وجدوا انفسهم وحيدين فكان ان اصبحت الثورة في وضع صعب للغاية (٤٩).

تحرك سرب من الطائرات في بغداد، وقصف صباح يوم ٩ آذار مقر الشواف، في نفس الوقت الذي استقل فيه اثنان من طياري قاعدة فرناس الجوية في الموصل طائرتيهما لقصف مقر عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع ومرسلات الاذاعة في البغداد غرب، لكن الاول عدل عن تنفيذ واجبه وقفل الثاني في اصابة هدفه (٥٠).

استشهاد الشواف :

وقد اصيب الشواف بجراح اثناء الغارة الجوية على مقره، ونقل بسيارة الى مستشفى وحدة الميدان الطبية السادسة في معسكر القوة الجوية، في الوقت الذي بدأ فيه الارتباك والفوضى بين قطعات الجيش التي انقسمت على بعضها بين مؤيد للثورة ومؤيد لعبد الكريم قاسم. وقد اختلفت الروايات بشأن مصير الشواف، فمنهم من يقول بانه انتحر عندما وجد نفسه امام بعض العناصر المؤيدة لقاسم في وحدة الميدان الطبية وهو جريح مفضلاً الموت على ان يقع بايدي اعدائه (٥١). في حين يروي بعضهم الآخر انه اشتبك بقتال مع تلك العناصر حتى قتل (٥٢). بينما تشير رواية اخرى الى ان احد العاملين في وحدة الميدان الطبية ويدعى (طه المختار) الذي كان يضمده استغل خلع الشواف لسترته وسحب مسدس الشواف واطلق النار عليه حتى نفذت كل طلقات المسدس وارداه قتيلاً في الحال ثم ولى هارباً الى خارج الموصل (٥٣).

وعلى اية حال فقد تم نقل جثة الشواف الى بغداد وتم ايداعها في مستشفى الرشيد العسكري، وبقيت هنالك يومين ثم دفنت بعد منتصف الليل من قبل ضابط عسكري واربعة جنود بسرية تامة في مقبرة الغزالي الواقعة شرقي بغداد في شارع الشيخ عمر. وقد مسح قبره مع

الارض بلا علامة يستدل بها الى موضع القبر^(٥١).

محاربي الشيوعيين في الموصل :

وكان من نتائج مقتل الشواف^(٥٢)، وعدم حصول تحرك عام في المناطق الأخرى من البلاد وبخاصة في بغداد الى جانب ثورة الموصل ان اختل توازن القوى ، وحدث التراجع غير المنظم لدى أنصار الثورة والمسلمين فيها ، فاستغل الشيوعيون هذا الوضع وتحركوا لينفذوا مآرهم الاجرامية ويرتكبوا اشدع صفحة دموية في تاريخ الموصل. ويحكموا سيطرتهم عليها باسناد ودعم السلطة لهم حيث جرى اعتقال بعض العناصر الوطنية والقومية واخراج بعضهم من دورهم وقتلهم وسحلهم في الشوارع ، كما جرت عمليات نهب لدورهم وحرقها ، يشاركهم فيها اتباع الملا مصطفى البارزاني الذين دخلوا بقواتهم الموصل وسيطروا على الجزء الشمالي من المدينة بأمر من عبد الكريم قاسم^(٥٣). كما فرض بعض العناصر اليزيدية تحت زعامة رئيسهم المدعو يزيدخان اسماعيل سيطرتهم على شرقي الموصل متخذين من منطقة النبي يونس (عليه السلام) قاعدة لهم. فيما قامت بعض فصائل الجيش ولاسيما افراد كتية الهندسة بالسيطرة على منطقة باب سنجار المؤدية للحدود السورية ، وعلى مراكز الشرطة والنوادي ومنطقتي الساعة وباب الجديد^(٥٤).

وشكل الشيوعيون محكمة فورية^(٥٥) قامت باصدار احكام الاعدام بحق المشاركين في الثورة والتبثيل بمحشهم وتحويل المدينة الى حالة من الرعب والارهاب استمرت اربعة ايام لم يشهد العراق لها مثيلا، وقد راح ضحيتها الكثير من الشهداء ، وبلغت وحشيتهم أقصاها حين أقدموا على قتل حفصة علي العمري ووالدها وعلقوها على عمود كهرباء^(٥٦).

واستغل الشيوعيون العلاقات السلية بين بعض الاهالي وبعض الاسر الغنية المعروفة في

الموصل لاسباب اجتماعية وشخصية ، وعملوا على اثارة عداة ضدها من قبل بعض الفئات كان من نتائج وقوع الكثير من الضحايا وحوادث الطرق والنهب والاعتداءات. كما يبادر الشيوعيون الى تحويل الصراع السياسي الى صراع دموي رهيب وواسع ضد سكان المدينة فارتكبوا اشدع الجرائم والممارسات الخطيرة. وادى ذلك كله الى تعميق شقة الخلافات بين اطراف الحركة الوطنية والاضرار بمصالح الشعب العراقي. وامتد هذا الوضع الى مناطق اخرى في العراق وبخاصة في كركوك التي ارتكبت فيها مذابح شنيعة بعد اربعة اشهر من ثورة الموصل^(٥٧).

ولم يوافق عبد الكريم قاسم على طلب الطبقجلي المقدم الى رئيس اركان الجيش العميد الركن احمد صالح العبيدي، بارسال قوات الى الموصل لاستعادة الأمن والنظام فيها ، حيث اصر على ارتكاب المحاربي بحق ابناء المدينة^(٥٨).

كما شهدت الموصل في الاشهر الاربعة التي اعقبت الثورة اقسى فترات الظلم والطغيان ، فامتلات السجون والمعتقلات بالمئات من العناصر الوطنية والقومية وشرذمتهم من شرذمة ، وسخرت الاذاعة والصحافة للتشهير الرخيص بالمواطنين المشاركين في الثورة^(٥٩).

وقد هدأت الاوضاع بعد ان احكمت قوات قاسم سيطرتها على المدينة ، وتم اعتقال كبار القادة العسكريين ، وفي مقدمتهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وعبد العزيز العقيلي وغيرهم ، واحيلوا الى المحكمة العسكرية العليا الخاصة^(٦٠).

كما جرت اعتقالات واسعة بين صفوف العناصر الوطنية والقومية من المدنيين والعسكريين ، ومثل امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة والتي عرفت بمحكمة المهداوي نسبة الى رئيسها انذاك العقيد فاضل عباس المهداوي (وهو ابن خالة عبد الكريم قاسم) خمسة وسبعون متهماً من ضباط الجيش ومن العناصر المدنية ، كان في مقدمتهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وعبد العزيز العقيلي

وافضل حمادي الشكره وغيرهم . وصدرت الاحكام باعدام اثنين وعشرين من ضباط الجيش والمدنيين^(٦٤) . وحكم بالسجن المؤبد والاشغال الشاقة على سبعة وعشرين من ضباط الجيش والمدنيين ، وبرأت المحكمة ثمانية عشر من العسكريين والمدنيين ايضاً ، ونفذ حكم الاعدام باربعة ضباط طيارين^(٦٥) . وفي ٢٠ أيلول ١٩٥٩ نفذ حكم الاعدام بكل من ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وداؤود سيد خليل وعزيز احمد شهاب^(٦٦) و خليل سلمان وعلي توفيق واسماعيل هرمز وتوفيق يحيى اغا ومجيد حميد الجلبي ويحيى حسين الحماوي و زكريا طه وحازم خطاب وهاشم الدبوني .

لقد قوبلت احكام الاعدام بسخط شعبي عارم ، عبرت عنه المظاهرات الكبرى التي شهدتها بغداد والمدن العراقية الأخرى قامت بتنظيمها العناصر الوطنية والقومية وفي مقدمتها حزب البعث العربي الاشتراكي ، الذي ادرك ضرورة التخلص من حكم عبد الكريم قاسم والتسلط الشيوعي على مقدرات البلاد^(٦٧) كما اصدر حزب البعث العربي الاشتراكي العديد من البيانات التي دعا فيها جهازه الحزبي وجماهير الشعب العراقي الى مضاعفة النضال لازاحة الشيوعيين عن النقابات والجمعيات والاتحادات وفضح جرائمهم واعمالهم المشينة ضد الشعب^(٦٨) .

وترك الشواف يواجه الموقف بمفرده على الرغم من تأكيدهم المستمرة بالتحرك الفوري كل حسب الواجب المناط به فور اعلان الثورة في الموصل .

ثالثاً- تحسب الاجهزة الامنية من قيام اية حركة مضادة لنظام الحكم ، بعد ورود معلومات عن تحركات الشواف ونشاطاته المناوئة لعبد الكريم قاسم وتسلط الحزب الشيوعي .

رابعاً- فقدان الاحتياطات الامنية لقاعدة الثورة في الموصل وتحسبها لاي طارئ ، ولاسيما تعرضها لقصف جوي من قبل الطائرات الحربية الموالية لقاسم .

خامساً- قيام بعض عناصر الغدر والخيانة والارهاب بالتسلل الى داخل مدينة الموصل وقيامها باعمال القتل والنهب والتخريب ، الى جانب العناصر الشيوعية مما اثر في معنويات سكان المدينة .

سادساً- الحملة الاعلامية التي كانت تقودها اجهزة الاعلام الرسمية ضد الثورة وقادتها .

سابعاً- مقتل قائد الثورة عبد الوهاب الشواف ، وعدم وجود بديل يحل مكانه لمواصلة الثورة أسهم بشكل كبير في فشلها وانتهيارها .

تقييم ثورة الموصل :

وبعد فلابد هنا من اعطاء تقييم لثورة الموصل والاشارة الى نتائجها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة في الاوضاع السياسية في العراق على الرغم من اخفاقها وهي :

اولاً- جاءت ثورة الموصل كانفعال وجداني بسبب سوء الاوضاع السياسية والاقتصادية...وازداد نفوذ الشيوعيين واستفزازاتهم المتكررة . وهي ثورة قومية صادرة عن القلق من خطر الشيوعية ، ووضحت للشعب لأول مرة في تاريخه كيف يمكن ان يكون حكم الشيوعيين.. كما كشفت الطريقة التي

اسباب اخفاق الثورة :

وهنا لابد من تبيان اهم الاسباب التي ادت الى اخفاق ثورة الموصل ونجملها بما يأتي :

اولاً- فقدان الانسجام بين الضباط القائمين بالثورة لاختلاف ميولهم وطموحاتهم الشخصية .

ثانياً- تحمل الضباط العاملون في وزارة الدفاع المسؤولية في عدم توسيع نطاق الثورة بسبب موقفهم السلبي منها ، والذي لايفسر الا ان كل طرف من هذه الاطراف قد اعتمد على الطرف الآخر لانتاج الثورة من دون الإسهام فيها^(٦٩) .

من شهداء ثورة الموصل



عزيز احمد شهاب



خليل سلمان



رفعت الحاج سري



ناظم الطيجلي



داود سيد خليل



مجيد الجلي



توفيق يحيى اغا



علي توفيق



مظفر صالح احمد الامين



سالم حسين



محمد امين عبد القادر



فاضل الشكرة



خيرى الخيرو



اسماعيل قصاب



قاسم الزاوي



حازم الحمطاني



سعد التميم الجلي

من شهداء ثورة الموصل



هانم عموري



محسن عموري



اسماعيل هريز



نافع دارد



حامد خطاب



هاشم الدبيني



يحيى حسين الهاوي



زكريا م



صائب الصافي



يونس خليل



محمد طاهر احمد



عبد الجواد حميد



احمد عاشور



عبد الغني الجلي



احمد هادي



سعد الله الراوي



محمد سعيد شهاب

اخذت بها هذه الثورة للشعب كذلك ان الحكم الشيوعي لا يمكن ان يستغني عن منطق القوة والارهاب والتصفية ضد معارضيه^(٧٠).

ثانياً- كانت ثورة ، مدنية - عسكرية كما كانت في الوقت نفسه مظهراً من مظاهر حركة المعارضة الواسعة في البلاد طبيعتها قومية انفجرت في ظروف خاصة ضمن ظروف موضوعية صعبة^(٧١).

ثالثاً- ان الأغلبية المطلقة من المشتركين في الثورة من مدنيين وعسكريين كانوا من الذين أسهموا دوماً في النضال الوطني والقومي ، ولم يكونوا يوماً من الايام في الصف المعادي للشعب ، واغلبهم من الشباب المتحمس وطنياً وقومياً.

رابعاً- اثارة الشيوعيين للنعرات الطائفية والعرقية وتكريسهم الجهود لاستعداد بعض العناصر من الاقليات على القوى القومية المسهمة في الثورة أو المؤيدة لها ، الأمر الذي ترك آثاره السلبية على المجتمع الموصل و لفترة طويلة فيها بعد .

خامساً- ادرك عبد الكريم قاسم ان لثورة الموصل مضامين عديدة ، حيث ان الذين قاموا بالثورة ليسوا من العناصر القومية فحسب ، بل ان الانشقاق كان عميق الجذور في صفوف الجيش العراقي ، وبما يمكن ان يؤدي الى انقسام البلاد ، وحدثت صراعات دموية داخلية ، ولذلك عمل على اتخاذ اجراءات حاسمة من اجل توحيد الجيش وعدم تقديم الدعم للشيوعيين بدرجة تجعلهم من القوة بحيث يتمردون عليه ، او يصعب السيطرة عليهم^(٧٢).

سادساً- كانت ثورة الموصل ، والجزائر التي ارتكبت في اعقاب فشلها ، الشرارة التي ولدت الانفجار ، ولكن كان انفجاراً عفويّاً غير منظم ، أو فقد تنظيمه نتيجة الظروف المحيطة به . فكانت الثورة عملية فدائية كشفت الستار عن كل ما كان يدور

على مسرح السياسة في العراق آنذاك . وكان في ثورة الموصل من الفروسية والحاسة والاندفاع اكثر ما كان فيها من دراية وتدبير وتنظيم بحيث إمتزجت فيها العاطفة الجياشة بالمشاعر الوطنية والقومية والكبرياء اكثر مما كان فيها من القدرة على التحكم بالظروف وحساب التحرك والخطوات ضمن خطة علمية مفصلة . ومع ذلك فقد كانت البداية الحقيقية التي صححت مسار ثورة الرابع عشر من تموز التي تحققت بقيام ثورة الثامن من شباط عام ١٩٦٣ .

الهوامش :

- (١) الضباط هم : (القباء) محمود عزيز وحازم حسن العملي ومجيد الجلي وعلي حسين الخفاف ومحمد سليم احمد ، و (الملازمون الاولون) كزيا طه وكامل اسماعيل وسالم سلوو (الملازمون) حازم خطاب وعاشم الدري. انظر: خليل ابراهيم حسين ، الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وعبد الوهاب الشواف وضباط الموصل والحدودين ج/ ٤ (بغداد ، ١٩٨٩) ص ص ٤٠-٤٢.
- (٢) المصدر نفسه ص ٤٢.
- (٣) عبد الفتاح علي يحيى ، الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦-١٩٥٨ . رسالة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة (كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٩٠) ص ٣٨٠.
- (٤) وائل علي احمد النحاس ، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦-١٩٥٨ ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، غير منشورة (كلية الآداب - جامعة الموصل ١٩٨٨) ص ٣٢٩.
- (٥) صحيفة (الرائد) ، ١٩ تموز ١٩٥٨.
- (٦) النحاس ، المصدر السابق ص ٣٣٠.
- (٧) للتفاصيل انظر: عوفى عبد الرحمن السجاوي ، العلاقات العراقية التركية ١٩٣٢-١٩٥٨ (الموصل ، ١٩٨٦) ص ص ٢٠١-٢٢٣.
- (٨) انظر ، نص البيان في صحيفة (فتى العراق) ، ٢٤ تموز ١٩٥٨.
- (٩) يحيى ، المصدر السابق ص ٣٨٣.
- (١٠) المصدر نفسه ص ٣٨٤.
- (١١) صحيفة (فتى العراق) ، ١٠ آذار ١٩٦٣.
- (١٢) يحيى ، المصدر السابق ص ٣٨٥.
- (١٣) حسين : المصدر السابق ص ص ٤٥-٤٦.
- (١٤) سمير عبد الكريم ، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق ، الجزء الثاني ، ١٤ تموز ١٩٥٨- ٨ شباط ١٩٦٣ (بيروت ، دار المصادق د) ص ٦٢.
- (١٥) صحيفة (اتحاد الشعب) ، ٢٧ شباط ١٩٥٩.

(١٦) انصار السلام، منظمة أسست في بغداد عام ١٩٤٦، عندما سمح للحزب السياسي باستئناف نشاطها. ولكن منظمة انصار السلام الغيت بعد سنتين بقرار من الحكومة لكونها تدعو في الخفاء للأفكار الشيوعية، ثم عاودت المنظمة نشاطها بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تحت قيادة عزيز شريف. وكانت هذه المنظمة قد عقدت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عدداً من الاجتماعات في بغداد وفي غيرها من مدن العراق الجنوبية بغية الترويج لفكرها وسياساتها. وفي اوائل عام ١٩٥٩، قررت المنظمة نقل نشاطها الى المدن الشمالية في العراق انظر:

M. Kadduri, Independent Iraq 1932-1958, وكذلك: (London 1960) pp. 71-72.

مجيد خدوري، العراق الجمهوري (بيروت، الدار المتحدة للنشر ط / ١٩٧٤:١ ص ١٤٧.

(١٧) صحيفة (اتحاد الشعب)، ٢ آذار ١٩٥٩.

(١٨) ولد عبد الوهاب عبد الملك الشواف في بغداد عام ١٩١٦، في عائلة عرفت بالعلم والتفكير بالدين. وكان والده من كبار العلماء في اللغة والادب والفقه، وشغل العديد من المناصب الدينية والادارية كان آخرها رئيساً لهيئة التمييز الشرعي. تخرج في كلية الاركان، ورحل الى باريس لمدة تسعة اشهر في اجازات متوالية، ولم يعد الى العراق الا في سنة ١٩٥٢.

وبعد ان دخل مدرسة الاقدمين في بريطانيا. انتمى الشواف لحركة الضباط الاحرار عام ١٩٥٣ واصبح من الضباط البارزين فيها. وكان يدعو الى تبني الاهداف الوطنية والقومية، ومن الداعين لانضمام العراق الى الوحدة السورية المصرية التي قامت في شباط ١٩٥٨ وحيت بالجمهورية العربية المتحدة. وكان الشواف احد ثلاثة قادة تولوا الاعداد للقيام بمحاولة الثورة ضد الحكم الملكي في العراق في ١١ ايار ١٩٥٨ مع رفعت الحاج سري وعبد الطيف الدراجي. ولم يكن الشواف على وفاق مع عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف في المناقشات التي كانت تندرج قبل قيام ثورة ١٤ تموز حول الثورة ومستقبل نظام الحكم في العراق وانشاء مجلس قيادة الثورة. وعين الشواف بعد قيام الثورة امراً للواء الخامس في الموصل.

للتفاصيل انظر، حسين، المصدر السابق ص ص ١٦-٢٧. (١٩) ثورة الموصل على حقيقتها، كيف بدأت وكيف انتهت وماذا اثر، مجلة الحرس القومي، العدد الرابع (خاص). تشرين الاول، ١٩٦٣ ص ٢٧.

(٢٠) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٢١) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٢٢) دفاع الشهيد رفعت الحاج سري، مجلة الحرس القومي، المصدر السابق ص ٣.

(٢٣) دفاع الشهيد ناظم الطبقجي، مجلة الحرس القومي، المصدر نفسه ص ٢.

(٢٤) قام العميد الركن طه الشيخ احمد بتخصيص اربع قطارات، كل قطار مكون من خمس عشرة عربة من الدرجتين الاولى والثانية لنقل اعضاء مهرجان انصار السلام من بغداد الى الموصل، على ان تبقى هناك الى ان ينتهي المؤتمر من اعماله ليعود

بهم الى بغداد، وان تضاف الى كل قطار عربة نوم مخصصة لروؤساء المهرجان. كما اتفق الشيوعيون مع شركة الرافين لنقل اعضاء المهرجان بالسيارات من بغداد الى الموصل، ثم بدأت الطائرات تحمل زعماء الحزب الشيوعي الى الموصل. انظر: يونس بحري، ثورة ١٤ رمضان المباركة (بيروت، دار الاندلس للطباعة والنشر ط / ١٩٦٣ ص ٦٥، ثورة الموصل الباسلة على حقيقتها، المصدر السابق ص ٢٦.

(٢٥) رشيد البديري، مجزرة الموصل (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، د. ت) ص ١٨.

(٢٦) دفاع الشهيد رفعت الحاج سري، المصدر السابق ص ٣.

(٢٧) دفاع الشهيد ناظم الطبقجي، المصدر السابق ص ٢.

(٢٨) قدرتي قلمجي، تجربة عربي في الحزب الشيوعي (بيروت، دار الكاتب العربي، د. ت) ص ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢٩) عبد الكريم، المصدر السابق ص ٦٥.

(٣٠) قلمجي، المصدر السابق ص ٢٤٥.

(٣١) عبد الكريم، المصدر السابق ص ٦٧.

(٣٢) مزيد من التفاصيل انظر: عبد الستار الهاوندي، مجاز الدم في الموصل (ل.د. ت) ص ص ١٢٦-١٣٥.

(٣٣) البديري، المصدر السابق ص ص ٢٦-٢٧.

(٣٤) مزيد من التفاصيل انظر: ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق (بغداد، دار الرشيد للنشر ١٩٧٩) ص ص ٤٣٠-٤٣٣.

(٣٥) قلمجي، المصدر السابق ص ٢٤٦.

• كانت اذاعة الموصل آلة منتقلة لايزيد حجمها عن متر مكعب واحد، وكانت لاتذيع الا على الموجة القصيرة مما تندر سماع بيان الثورة من المواطنين في انحاء العراق وخارجه، وحمل قادة الثورة الى الاتصال بدمشق واذاعة البيان من جديد من اذاعة دمشق بعد حوالي خمس ساعات انظر: محمود الدرة، ثورة الموصل القوية، فصل في تاريخ العراق المعاصر (بغداد، منشورات مكتبة البقعة العربية ط / ١٩٨٧:١ ص ١٢٨.

(٣٦) صلاح نصر، عبد الناصر وتجربة الوحدة (القاهرة، ١٩٧٦) ص ١٧٧.

(٣٧) انظر: نص البيان في، الدرة، المصدر السابق ص ص ١٣٣-١٣٦، فوزي، المصدر السابق ص ص ١٣٩-١٤٢، عبد الكريم، المصدر السابق ص ص ٦٩-٧١. يشير المحامي

دريز العمري الى ان بيان الثورة الاول كان قد كُتبت بكتابه من قبل طاهر يحيى مدير الشرطة العام والخاص ساسي باش عالم، والذي اطلع عليه الطبقجي ووافق على ما جاء بمضمونه واعيد الى الموصل لاذاعته. لكن البيان استبدل ببيان آخر كتبه محمود الدرة. وكان البيان الاول قد اخذ بنظر الاعتبار واقع عبد الكريم قاسم الشعبي في ذلك الوقت، واستعرض الانحرافات التي حدثت بعد الثورة، وعودة الخلاف بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وتسليم المراكز القيادية والحساسة الى القوى والناصر الشعبية والشيوعية، وفيه الطلب من عبد الكريم قاسم بتصحيح هذا الانحراف وذلك بان يشكل مجلس قيادة الثورة من كبار الضباط الاحرار يكون هو السلطة العليا في الدولة،

واستبدال الوزارة بأخرى، وأنه إذا لم يلب مطالب الجيش خلال ١٢ ساعة فإنه سيقوم بتنفيذ مطالبه ويتحمل عبد الكريم قاسم مسؤولية ذلك انظر: حمزة مصطفى، الجوانب الخفية في ثورة الشواف، (مجلة آفاق عربية، العدد الثالث ١٩٨٨) ص ٥١. وقد أكد محمود الدرة من جانبه ذلك وذكر أنه هو الذي قام باستبدال البيان ببيان آخر كتبته بخط يده وسلمه الى الشواف مساء يوم ٧ آذار ١٩٥٩ ووافق عليه. لأن البيان الذي كتبه رزقي العمري حسب رأي الدرة لم يكن سوى عريضة مرفوعة لعبد الكريم قاسم يطلب موقعا فيه بالتنازل عن بعض مناصبه وتعديل وزاري فحسب، وهذا لا يتسجم وروح الثورة انظر: الدرة، المصدر السابق ص ١٢٥.

(٣٨) Benjamin shwadrان; The power struggle in Iraq (New york 1960) P. 41.

(٣٩) مصطفى، المصدر السابق ص ٤٨.

(٤٠) قلنجي، المصدر السابق ص ٢٤٦.

(٤١) ثورة الموصل الباسلة على حقيقتنا، المصدر السابق ص ٢٧.

(٤٢) للتفاصيل، انظر: احمد فوزي، قصة عبد الكريم قاسم كاملة، (القاهرة، ١٩٦٣) ص ١٥٦ - ١٦٠.

(٤٣) قلنجي، المصدر السابق ص ٢٤٦.

(٤٤) فؤاد الركابي، الحل الاوحد. (القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣) ص ٢٤.

(٤٥) قلنجي، المصدر السابق ص ٢٤٦، الزبيدي، المصدر السابق ص ٢٣٨.

(٤٦) للتفاصيل، انظر: الزبيدي، المصدر السابق ص ٤٣٩ - ٤٤٢.

(٤٧) نصر، المصدر السابق ص ١٧٨.

(٤٨) ثورة الموصل الباسلة على حقيقتنا، المصدر السابق ص ٢٨.

(٤٩) حازم حسن العلي، انتفاضة الموصل (بغداد، منشورات الدار العربية، ١٩٨٨) ص ٨٢.

(٥٠) فوزي، المصدر السابق ص ١٦٢.

(٥١) انظر: خليل ابراهيم حسين، الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وعبد الوهاب الشواف وضباط الموصل والحواليين ج/ ٤ (بغداد، ١٩٨٩) ص ٢٠٢، وكذلك: حازم حسن العلي، انتفاضة الشواف في الموصل، مجلة آفاق عربية، العدد ٢٦١، ١٩٨٦ ص ٥٥، دفاع الشهيد رفعت الحاج سري، المصدر السابق ص ٢٦.

(٥٢) وزارة الدفاع، محاكمات، المحكمة العسكرية العليا الخاصة ج/ ١٢ (بغداد- مطبعة الحكومة ١٩٥٨ - ١٩٦١) ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٥٣) فوزي، المصدر السابق ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٥٤) خالد قادر، طريق الى ام الطويل (بيروت، شركة الطبع والنشر الاهلية، ١٩٦٠) ص ٨٤ - ٨٦.

(٥٥) الضباط الذين استشهدوا في الموصل اثناء الثورة هم: العقيد الركن عبد الوهاب الشواف والمقدم صديق زين العابدين والمقدم سعد الله الراوي والمقدم جلال الخشاشي والرائد محمد سعيد شهاب والرائد يونس خليل والرائد احمد فتحي والرائد

محمد طاهر عمر اغا والقيب عبد الجواد عبد الحميد الصالح والقيب اسماعيل قصاب باشي والملازم الاول عبد الغني مصطفى الجلي والملازم الاول خيري الخيرو والملازم الاول حسام الدين شاكر والملازم الاول غانم عموري والملازم حازم الحمطاني والملازم الطيار صائب الصافي والامام توفيق علي التميمي. اما ضباط الصف الذين استشهدوا اثناء الثورة في الموصل فهم: النائب ضابط كاتب عبد الله عزيز والعريف محمد محمود ونائب العريف داود جلود ونائب العريف يونس فتاح. اما عدد المدنيين الذين استشهدوا اثناء الثورة فكانوا ٧٢ شهيداً، انظر، حسين، المصدر السابق ص ٣٠٦ - ٣٠٨. وكذلك العلي، المصدر السابق، ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٥٦) للتفاصيل انظر، عبد الكريم، المصدر السابق ص ٧٤ - ٨٢.

(٥٧) الدرة، المصدر السابق ص ١٦١.

(٥٨) وكان من أبرز عناصر هذه المحكمة عبد الرحمن القصاب الذي هرب بعد ذلك الى خارج العراق. انظر: البديري المصدر السابق، ص ٢٧.

(٥٩) لمزيد من التفاصيل، انظر: هلال ناجي، حتى لانسى، فصول من مجزة الموصل (بغداد، ١٩٦٣)، شاكر مصطفى سليم، نضال وجبال، الجزء الثالث من مذكرات (قومي متأمراً، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٣)، الكتاب الأسود واعترافات الشيوعيين، (السلسلة السياسية (١)، (بغداد- وزارة الارشاد، طبع دار الجماهير، ١٩٦٣).

(٦٠) عبد الكريم، المصدر السابق ص ٨٢ - ٨٣.

(٦١) البديري، المصدر السابق ص ١٩.

(٦٢) ابراهيم خليل احمد والموصل في العصور الحديثة، في، عامر سليمان (رآعرون): محافظة نينوى بين الماضي والحاضر (الموصل، ١٩٨٦) ص ١٢٦.

(٦٣) Shwadrان; op. cit. p. 44

(٦٤) لمعرفة جميع اسماء الذين مثلوا امام محكمة المهديوي انظر (المحاكمات، المجلد الثاني عشر ص ١٦٩ - ١٧٠ والمجلد الثالث عشر من ص ١ - ص ٨، والمجلد الثامن عشر من ص ١ - ص ٧ والمجلد التاسع عشر من ص ١ وما بعدها، ويلاحظ كذلك معاصر محاكمات القادة في المجلدين الثامن عشر والتاسع عشر. نفذ حكم الاعدام فيهم ٢٧ آذار ١٩٥٩، وهم: عقيد الجو عبد الله ناجي والقيب الطيار قاسم محمد علي الزاوي والملازم اول الطيار احمد عاشور والملازم الطيار فاضل ناصر.

(٦٥) نفذ حكم الاعدام يوم ٢٥ آب ١٩٥٩ في كل من: والقيب الركن نافع داود والقيب محمد امين عبد القادر والملازم الاول سالم حسين السراج والملازم مظفر صالح الامين والملازم محسن اسماعيل عموري. واعدم شغناً في سجن بغداد المركزي الرفيق فاضل حادي الشكرية. وهناك غيرهم ممن حكم عليهم بالاعدام ثم خفف عن السجن مع الاشغال الشاقة وعددهم سبعة ضباط وهم: المقدم كامل البدوي والمقدم يوسف كشمولة والمقدم سعد الله الجبوري والقيب صديق سيد علي الصغار والقيب حازم حسن العلي والقيب صديق اسماعيل الكبي

- (٦٨) نضال البعث، ج/ ٧ (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر / ط ١٩٧٦، ص ٣٣، ٣٩، ٤٣.
(٦٩) الذرة، المصدر السابق ص ٣٦٢ - ٣٦٤.
(٧٠) نضال حزب البعث العربي الاشتراكي عبر بيانات قيادته القومية ١٩٥٥-١٩٦٢، (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر/ ط ١٩٧١، ص ٥٧.
(٧١) نضال البعث، ج ٧، المصدر السابق ص ٤٤.
(٧٢) Middle East Affairs, London Vol, 2 Feb 1960. p. 60.

والقريب محمد سعيد قاسم. وهالك أيضاً نحو ستة وعشرين ضابطاً وضابطاً صف واحداً ممن حكموا بالسجن فقط ثم أفرج عنهم فيما بعد. للاطلاع على هذه الأحكام انظر: المحاكمات، المجلد الثاني عشر ص ٣٠٧، والمجلد الثالث عشر ص ٣٤٨ و ٣٥٣ والمجلد الثامن عشر ص ٤١٦ - ٤١٧ والمجلد التاسع عشر ص ٤٥٧. والتجاً نحو أربعة عشر ضابطاً من جحفل اللواء الخامس بعد فشل الثورة الى سوريا.
(٦٧) شفيق عبد الرزاق السامرائي، حزب البعث العربي الاشتراكي ودوره في السياسة العربية، منذ نشأته حتى الانفصال (بغداد، ١٩٨٠) ص ٢٣٩.

التطورات الإدارية والاقتصادية

النظام الإداري

د. سيار كوكب غلي الجميل

بالادارة الحقيقية، ولم يكن للمتصرفين سوى دور ثانوي. وكان المفتشون الانكليز يحيطون بالمنسوب السامي علماً بجميع الشؤون المحلية...^(١)
٣- المرحلة شبه المستقلة الثالثة للفترة ١٩٢٧-١٩٣٢م، استطاع العراقيون خلالها ان يشاركوا مشاركة فعالة في ادارة البلاد، فبموجب معاهدة سنة ١٩٢٧م (غير المصدقة) حصل العراق على استقلال اوسع مما كان عليه الحال في معاهدتي سنة ١٩٢٢م، وسنة ١٩٢٦م قتل دور الموظفين البريطانيين، ونقص عددهم في حين ازدادت مشاركة العراقيين في الادارة زيادة واضحة^(٣).
٤- المرحلة المستقلة الرابعة للفترة ١٩٣٢- وما بعدها، وقد تحققت خلالها ماكان يصبو اليه العراقيون من طموحات بزوال الانتداب عام ١٩٣٢، اثر عقد معاهدة ١٩٣٠، والواقع ان السياسة الادارية التي اتبعها الانكليز في العراق قد

مقدمة:

لقد مرت ادارة البلاد العراقية بعد زوال الحكم العثماني باربعة مراحل خلال النصف الاول من القرن العشرين، تطورت خلالها آليات العمل الاداري واساليب السياسة الداخلية وتأسيس الاجهزة والمؤسسات والمرافق الادارية، وبمكنتنا اجمالها في الآتي:

١- مرحلة الاحتلال البريطانية للفترة من ١٩١٤ - ١٩٢٠م وهي مرحلة فرض الهيمنة الاستعمارية والتخلص من رواسب النظام العثماني وتشكيل الادارات الجديدة وظهور التقسيمات والهيكل في المناطق المختلفة، اضافة الى انثاق الجيش العراقي^(١)..

٢- المرحلة التأسيسية للفترة ١٩٢٢ - ١٩٢٧م بعد تأسيس الدولة عام ١٩٢١م سيطر الانكليز خلالها على ادارة البلاد. وكان المنسوب السامي اقوى سلطة في العاصمة. وفي الألوية العراقية كان المفتشون الاداريون الانكليز يقومون

تميّزت بصفة «التدرج البطيء». فقد انتقلت من الادارة المباشرة الى الادارة المشتركة، ثم اخيرا الى الادارة المستقلة^(٤).

الحياة الادارية القديمة :

التشكيلات العثمانية : عهد الاصلاحات :

كانت الموصل أبان العهد العثماني تمثل ولاية مهمة في كيان الدولة العثمانية، وعلى الاخص ابان القرن الثامن عشر عندما حكمها الجليليون للفترة ١٧٢٦ - ١٨٣٤م، ولم تتجدد حياتها الادارية على عهد الوالي محمد پاشا اينجه البيروقار ١٨٣٣ - ١٨٤٣م على الرغم من اصلاحاته المتنوعة فيها والتي اداها في مرافق اخرى^(٥). وقد ضعفت أهميتها ومكانتها الادارية على عهد الولاة الاتراك الذين حكموها خلال القرن التاسع عشر، والذين ارتبطوا ارتباطاً مباشراً بالمركزية العثمانية. وفي سنة ١٨٧٩م، اصبحت ولاية الموصل تضمّ سنجق (لواء) كركوك والسليمانية اضافة الى سنجقها الاداري. فبلغت مساحتها حوالي (٩١,٠٠٠) كيلو متراً مربعاً^(٦). وبلغ عدد نفوسها سنة ١٩٠٧م قرابة (٣٥١,٢٠٠) نسمة^(٧).

لقد ضمت سنجان ولاية الموصل عدة أقضية، هي :

١ - سَنَة أقضية في سنجان الموصل، هي : الموصل / الهادي / زاخو / سنجان / عقرة / دهوك.

٢ - سَنَة أقضية في سنجان كركوك، هي : كركوك / أربيل / رانية / راوندوز / كويسنجق / كفري.

٣ - خمسة أقضية في سنجان السليمانية، هي : السليمانية / كلغبر / معمورة الحميد / بازيان / شهر بازار^(٨).

وكان الجهاز الاداري لولاية الموصل قد جدّد على عهد مدحت پاشا والي العراق ١٨٦٩ - ١٨٧٢م، فعدت تُديرها مجموعة من الموظفين العثمانيين (= الافندية) الذين يقف الى جانبهم

عدد من الاعضاء المنتخبين لهيئة دعيت بـ «مجلس الادارة» ويقف على رأس الجميع «الوالي» الذي يمثّل سلطة الدولة في الولاية، وله اختصاصاته التي حدّدها قانون الولايات لسنة ١٨٦٤م وقانون ادارة الولايات العمومية لسنة ١٨٧١م. وقد طرأت على هذين القانونين عدّة تعديلات حتى صدور قانون الولايات الجديد لسنة ١٩١٣. وكانت هيئة من الموظفين الاداريين الكبار تعمل تحت امره الوالي، وتتكوّن من نائبي والدفتدار والمكتوبجي والقاضي وقائد الجندرية ومفتش الصحة ومدير الدفتر الخافاني ومدراء المعارف والزراعة والاوقاف والاملاك والبلدية وغيرها^(٩).

وقد نظمت الادارة في ولاية الموصل على غرار بقية الولايات العثمانية من خلال مجالس ادارة، كانت تعمل جنباً الى جنب مع رؤساء الوحدات الادارية الذين لا يمكنهم التفرد بالسلطة الادارية، والمجالس هي :

١ - مجلس الولاية العمومي برئاسة الوالي واجتماعه سنوي.

٢ - مجلس ادارة الولاية من الموظفين ومن المنتخبين.

٣ - مجلس ادارة اللواء.

٤ - مجلس ادارة القضاء.

٥ - مجلس ادارة الناحية.

٦ - مجلس اختيارية القرية^(١٠).

التقسيمات السابقة :

اشتهرت الموصل منذ العهد العثماني بكثرة تقسيماتها الادارية نظراً لكثرة توابعها ونواحيها والعدد الكبير لقراها وشاثرها المتنوعة، إذ بلغ عدد قرى الموصل في القرن التاسع عشر (٣٣٢١) قرية، في حين بلغ عدد قرى بغداد (٤٧) قرية فقط، اما البصرة، فبلغ عدد قراها (٢١٠) قرية^(١١). ومن هنا تبرز لنا أهمية الموصل من جميع النواحي عند مطلع القرن العشرين.

ويعد عهد الاصلاحات العثمانية في النصف

الثاني من القرن التاسع عشر، عهد تحولات واسعة النطاق على مستوى النظام الاداري بين الولاية ومتصرفية اللواء. فضلاً عن بناء وتأسيس مؤسسات جديدة في مركز الولاية، عملت جنباً الى جنب مع اجهزة الولاية الاخرى.. ان دوائر جديدة كالبديلة والمتصرفية ومجالسها الادارية والبلدية والطابو والاملاك السنية وغيرها كانت نتاجات حقيقية لتلك الاصلاحات الشهيرة، وعلى الاخص في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩م.

السيطرة البريطانية : احتلال الموصل

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م، كان العراق جزءاً من ائمن الممتلكات الاستراتيجية للدولة العثمانية التي دخلت الحرب مع المانيا القيصرية ضد الحلفاء، فكان العراق عرضة للهجوم والاحتلال البريطاني بولاياته الثلاث : الموصل وبغداد والبصرة. وكان لكل ولاية ثلاث متصرفيات.. وعندما وضعت الحرب الاولى أوزارها، غدا العراق واقعاً تحت سيطرة الاحتلال البريطاني من شماله حتى جنوبه.. فاذا جرى من تغيرات تاريخية؟ وماهي طبيعة الادارة البريطانية في الموصل؟ وما المؤسسات الجديدة؟

بقيت الموصل آخر مدينة عراقية كبرى دخلها الانكليز بعد زحفهم اليها من بغداد وذلك بعد استسلام القائد العثماني علي احسان باشا لشروط الهدنة (= هدنة مدروس) وجاءت الاوامر من استانبول بجلاء الاتراك العثمانيين، فاحتلت القوات البريطانية مدينة الموصل^(١٢). وكان الكولونيل (العقيد) جيرارد أ. ليچمن قد لعب دوراً سرياً خطيراً قبل ذلك بزم طويل في ترتيب ذلك الحدث، عندما بقي يعيش في مدينة الموصل واطرافها متخفياً بزي اعزامي فقير ينام في الازقة والطرقات، دارساً اوضاعها كافة^(١٣). وكان ليچمن أول الداخلين مع ثلثة من جنده الى سراي الموصل في يوم ٨ تشرين الثاني ١٩١٨، ورفع العلم

البريطاني فوقه، وتسلم البلد كأول حاكم سياسي لاقليم الموصل بعد انسحاب علي احسان باشا وجيشه العثماني^(١٤). وبدأت منذ هذا الحدث حياة الموصل في تاريخها المعاصر وهكذا ايضا، كان ليچمن مع بعض افراد جنده قد ذهب الى بعض اقضية الموصل ليرفع العلم البريطاني فوق دوائرها الادارية، وعلى الاخص سنجار وتلعفر.. وغيرها^(١٥).

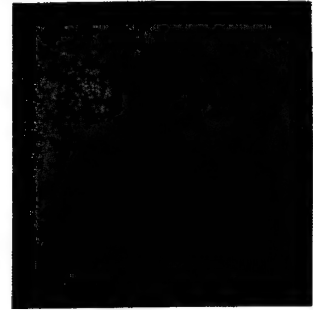
الادارة البريطانية :

لقد كان جيرارد أ. ليچمن Lieut Col. G.E. Leachman اول حاكم عسكري وسياسي معاً للموصل، إذ تسلم مقاليد السلطة من القاضي مستخدماً جميع امكانياته العسكرية وقوته السياسية وانشطته الادارية الى حد أقصى.. ولما يزل الضباط الاتراك يتسارعون لحسم امورهم وبيع ذخائرهم وعددهم العسكرية، في حين كان الموظفون الاداريون الاتراك يقومون باخفاء السجلات المدنية أو حرقها، كما كانت الشرطة التركية تعرقل توسيع النفوذ البريطاني في انحاء الولاية الواسعة بقراها وتواجها.. ببجالتها. وفيافها. وكان ليچمن يصدر بياناته ومنها اعلانه بمنع التجول، وقام بغارات على دور الموظفين والضباط الاتراك وعلى الدوائر الرسمية بهدف جمع السجلات الرسمية واعتقال من يشتبه بهم.. ثم أصدر اوامره بتعيين البعض من وجهاء المدينة في مناصب رسمية في المدينة وأقضيها، كما اتخذ اجراءات عدة لتدبير شؤون الامن والنظام^(١٦) وبشير المؤرخ الموصل عبد النعم الغلامي الى الاساليب الفظة القاسية التي استخدمها ليچمن في فرض سلطته على الموصل^(١٧). وقد استطاع ليچمن ان يسيطر على اوضاع الموصل الامنية والادارية بسرعة قصوى، ويفرض قوته السياسية.

كانت اعادة تنظيم الادارة في الموصل باشراف

البريطانيين- كما تذكر المس كيرتروود بيل- اسهل بكثير مما كانت في باقي المدن العراقية ، وذلك لأن سجلاتها الرسمية كانت مضبوطة ، ومؤسساتها الادارية قائمة واكثرية موظفيها العاملين في العهد العثماني كانوا متواجدين في الموصل^(١٨) .

باشر الحاكم السياسي البريطاني ليجمن بادارة الشؤون الداخلية للموصل حسب مآراء مناسبة ومطبقاً للتعليقات الصادرة له من قبل الحاكم العسكري العام ببغداد الذي منحه صلاحيات عزل الموظفين أو تعيينهم ، وكذلك معاقبة الاهالي إذا اساءوا واکرامهم إذا اصابوا (كذا) . وعملت السلطات البريطانية المحتلة على تغيير البنية الادارية العثمانية السابقة ، فقفّلوا المدارس ، وعطلوا المحاكم ، وألغوا الدوائر الاخرى ، واتخذوا تشكيلات ادارية جديدة . واستحدثت دائرة جديدة هي وظيفة (مستشار الحاكم السياسي) فوقع الاختيار على النائب الموصل السابق في مجلس البعثان داؤد يوسفاني الذي اصبح اعتباراً من ٢١ آذار ١٩١٩ مستشاراً للكونويل ليجمن^(١٩) . وفي



داؤد يوسفاني مستشار الحاكم السياسي

الوضع هكذا حتى اعلان صيغة الانتداب على العراق سنة ١٩٢٠ .

وقد بدأت السلطات البريطانية باعتماد صيغة «المجالس البلدية» التي برزت وجودها : التدريب على الحكم الذاتي من خلال تلك المجالس ، فكانت تلك «المجالس» بمثابة خطوة اولى على طريق تأسيس حكومة وطنية ومنح العراقيين فرصة

التدريب الاقلي على اسلوب القيادة الجماعية ، فتأسست المجالس البلدية في كل من البصرة وبغداد والموصل ، فجرت انتخابات المجلس البلدي في الموصل في ٢١ تموز ١٩١٩ ليحل محل المجلس البلدي العثماني السابق ، ثم بدأت عملية الانتخابات لعشرة اسماء من رجالات الموصل^(٢٠) .

طبيعة الادارة البريطانية في الموصل :

لم يكن هناك تمايز واضح بين ماهو سياسي وعسكري ، وبين ما هو خدمي او تنفيذي . ولكن يبدو لنا من خلال دراسة بعض التقارير البريطانية : أن الميادين التنفيذية شغلها نسبة أعلى من الموظفين العراقيين الموصليين الذين ورثوا وظائفهم وامثالهم من العهد العثماني ، والذين وقف الى جانب رؤسائهم مستشارون بريطانيون ، في حين بقيت الشؤون الشرعية والقضائية والوقفية وغيرها .. كلها بيد أبناء البلد . أما المناصب العليا ، فقد احتكرها الانكليز . وقد غدت الموصل تحت حكم ضابط سياسي يستقر في مركز المدينة .. اما الوحدات الادارية التابعة الاصغر ، فكان يديرها معاونو الضابط السياسي الذي يرتبطون به في المركز . بمعنى : ان المناصب الخطيرة التي تتخذ السلطة والقرار كانت بيد الانكليز ، اما المناصب غير الفعالة سياسياً او عسكرياً او ادارياً فكان بعضها بيد أبناء المدينة وبرواتب منخفضة ، وقد اشتغل بعضهم في دوائر الشرطة والني في ولكن برتب غير ادارية^(٢١) . ومن المعروف ان جيش الاحتلال كان يتألف من البريطانيين والهنود والسيخ ، ولم يكن في صفوفه أياً كان من العراقيين ، سواء اكانوا ضباطاً ام مراتب .

الكفاءات الادارية لرجالات الموصل :

نجم المثقفون الموصليون من الخريجين والضباط والاداريين والمدرسين والعلماء ان يثروا جملة مشاكل حيال الحكم البريطاني المباشر للموصل الذي لم يدم طويلاً مقارنة بزمه في كل من البصرة

وبغداد.. وان السياسة الادارية البريطانية كانت قد شحنت العراق كله بالخطورة واثارة روح الوطنية. كونها اعتمدت على الملاكات البريطانية والمهتدة في الادارة المؤقتة بحجة النقص في الكفاءة والتخصص.. وهو تبرير لا يتفق في مجمله والواقع العراقي بشكل عام والحياة الاصلاحية - العثمانية في الموصل بشكل خاص هذا فضلاً عن الواقع المثقل بالتناقضات ما كان يدركه الا اهل من الواعين والثقفيين^(٢٢).. اضافة الى ان تلك البداية ستكون خطوة تمهيدية لتشكيل حكومة عراقية صرفة، خصوصاً وان الموصل ستختلف عن بغداد والبصرة نظراً لقدّم التجربة الاصلاحية البيروقراطية العثمانية في الموصل، فضلاً عن احتوائها على العدد الكبير من الموظفين والضباط والمتعلمين^(٢٣).

يقول بيرترام توماس: «يتوضح من خلال التعرف على المجتمع العراقي بأن طبقة الموظفين هناك يشكلها بدرجة كبيرة سكان بغداد والمدن الشمالية»^(٢٤). وقد سببت الادارة البريطانية سخطاً عارماً لدى المثقفين والموظفين العراقيين لاسيما وان اعداداً كبرى منهم قد رجعت الى العراق من بلاد متفرقة مثل: تركيا وبلاد الشام واوربا ومصر والحجاز.. وكان اغلبهم من القوميين المتلهفين الى تأسيس ادارة حديثة في كيان سياسي عراقي، كما وتفشت رغبة عارمة في الموصل للمشاركة في الادارة والوظيفة الرسمية^(٢٥).

لقد أثبتت الاحداث التاريخية في مطلع القرن العشرين، بأن موظفي الموصل وضباطها القديرين، كانت لهم القدرة الفارقة ليس في ادارة الموصل فحسب، بل في عدة اماكن اخرى سواء في العراق او في بلاد الشام عندما اشتغلوا في الادارة المدنية، في حين كان الانكليز يعانون نقصاً في الملاك والهيكل والتشكيلات واجهزة الادارة، اضافة الى معاناتهم النفسية المتأنية من عدم معرفة اغلبهم بالعراق والمجتمع العراقي وعادات الناس وتقاليدهم.. زيادة على جهلهم بما كان من انظمة وتعليات وقوانين لسلطات النظام الاداري العثماني

القديم^(٢٦).. وكان هذا كله قد أضّر بالعمل الاداري الجديد في العراق، لا سيما وان خبرة الانكليز كانت مستلزمة من تجاربهم الاستعمارية في الهند.. ففرضوا بعض اساليبهم في غير محلها، إذ ان العراقيين لم يتقبلوا تلك التصرفات والاساليب. وتوضح لنا الوثائق البريطانية - أيضاً - بأن حكومة الاحتلال البريطاني في بغداد قد كافأت «لجمن» على «حسن ادارته وحزمه واساليبه في حكم الموصل والذي كانت له معرفة سابقة بالموصل مدينة وولاية، وتضيف قائلة بأن «لجمن» كان بيروقراطياً بريطانياً بارزاً ومهماً في اطار الحكم البريطاني للعراق»^(٢٧).

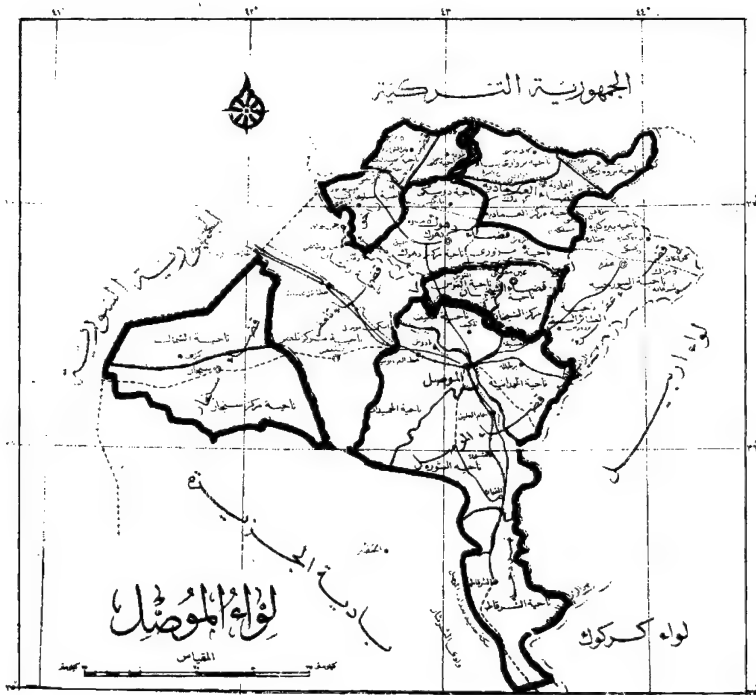
اعادة تنظيم الادارة :

تقول المس غروتورد بل: «وقد كانت إعادة تنظيم الادارة في الموصل اسهل منها في الاماكن الاخرى من ناحية واحدة. إذ بينما كانت السجلات والملفات الرسمية في بغداد والبصرة مفقودة، وبينما كان موظفو الحكومة التركية قد انسحبوا مع الجيش، نجد ان السجلات كلها والموظفين اكثرهم كانوا موجودين في الموصل»^(٢٨). اما كيف تأسست الادارة الجديدة في الموصل؟

لم تتغير التشكيلات الادارية القديمة على يد البريطانيين الذين حافظوا عليها، اذ غدا معاون الحاكم السياسي مكان قائمقام القضاء، وادبجت الادارة بالمالية، وقسمت كل منطقة الى قسبات مالية متعددة يشغل في كل منها مأمور مال عربي، ويرتبط هؤلاء بمدير المالية المتواجد في مركز الموصل^(٢٩). وكانت الموصل في العهد العثماني المتأخر مركزاً لادارة الاملاك السنّة في جميع انحاء العراق، والمربطة باستانبول مباشرة دون أية علاقة بمركز الولاية.

التقسيمات الادارية الجديدة :

لقد توضحت تشكيلات الموصل الادارية



خارطة لواء الموصل في مطلع الحكم الوطني

وكيل وشوان. اما قضاء راوندوز فيتألف من نواحي: دير حرير وبالك وبردوست وشيروان. اما قضاء اربيل فيتألف من نواحي: سلطانيه وديزه وني وشقلاوة. ولقضاء كفري (= الصلاحية) ناحيتان هما: قره تپه وطوزخورماتو. اما (لواء السليمانية) فيتشكل من اقصية: كلعبر وشهربازار وبازيان (= چمچال) ومعمورة الحميد^(٣٠).

وفي السنة ذاتها (= ١٩١٨ م)، ظهرت للوجود، منطقتان اداريتان في شمالي العراق، هما: الموصل والسليمانية. وفي سنة ١٩١٩ م، اصبحت اربع مناطق، إذ ظهرت كل من كركوك التي انفصلت عن السليمانية، واربيل التي انفصلت عن الموصل، واصبحت كل واحدة من المناطق الاربعة منطقة (ادارية) قائمة بذاتها^(٣١).

وتقسيماتها عام ١٩١٨، كونها تقسم ثلاثة الوية و (١٤) قضاء و (٢٣) ناحية و (٣٣٢١) قرية. وينقسم (لواء الموصل) الى سبعة اقصية، هي: الموصل والعمادية وزاخو ودهوك وعقرة وسنجار وتلعفر. وتألف (قضاء الموصل) من ناحيتين: الشيخان (= عين سفني) والعشائر السبعة، اما (قضاء العمادية) فتألف من اربع نواح، هي: داودية وبراورى بالا وبراورى زير ونيروه ريكان. اما (قضاء زاخو) فكانت له ناحية واحدة هي: سندي گلي، ولقضاء دهوك ناحية اسمها مزوري، ولقضاء عقرة ناحية اسمها زيار.

اما (لواء كركوك) فيتشكل من ستة اقصية، هي: كركوك وراوندوز واربيل وكويسنجق وكفري (= صلاحية) ورائية. يتألف قضاء كركوك من عدة نواح، هي: ملح وداقوق والتون كوپري

إنباق الدولة العراقية :

(١٠,١٩,٩٩٦) مليوناً وتسعة عشر ألف وتسعمائة وستة وتسعون نسمة، منها (٥٢٦,١٩٠) ذكوراً، و (٤٩٣,٨٠٦) إناثاً^(٣٤).

المتصرفية :

كان لمتصرفية لواء الموصل ديوان كبير يشكّله جهاز اداري يقف على رأسه «المتصرف» وينتظم دائرته عدد من الدوائر، منها : قلم التحرير. وهناك «مجلس ادارة اللواء» وهو جزء من ميراث قديم عرفته الموصل مذ كان لواؤها جزءاً من ولايتها، ثم اعيد وجدّد العمل بـ مجلس الادارة بموجب قانون ادارة الالوية رقم (١٦) لسنة ١٩٤٠م وللمجلس مهامه في عملية تصديق بعض القرارات. ويرأسه المتصرف. كما ويرتبط بالمتصرف عدد من القانمقامين في الاتضية المنتشرة في لواء الموصل. ويمكننا ان نقدم ادناه جرداً باسماء الحكام السياسيين والحكام الاداريين (المتصرفين) للموصل للفترة ١٩١٨ - ١٩٥٨م (٣٥) :

الحكام الاداريون	تاريخ تسلم المنصب
١- وكيل الوالي نوري بك	١٩١٨ م
(احتلال بريطانيا لولاية الموصل)	١٠ تشرين الثاني ١٩١٨
٢- الكولونيل ليجمن (الحاكم السياسي)	٧ تشرين الثاني ١٩١٨ م
٣- الكابتن بيل	١٩١٩ م
٤- الكولونيل نولدر	١٩٢٠ م
٥- المتصرف السيد حامد بك	٢٠ شباط ١٩٢١ م
(كان مقتله يوم وصوله المدينة)	٢١ شباط ١٩٢١ م
٦- وكيل المتصرف الكولونيل نولدر	١٤ تشرين الثاني ١٩٢١ م
٧- الحاج وهي الأمين	١٩ شباط ١٩٢٢ م
٨- رشيد الفرجه	١٨ تشرين الاول ١٩٢٣ م
٩- وكيل المتصرف المستر جاردن	٢١ تشرين الثاني ١٩٢٣ م
١٠- وكيل المتصرف القاضي احمد الفخري	٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٣ م
١١- المتصرف جعفر العسكري	٢٣ كانون الاول ١٩٢٤ م
١٢- المتصرف عبدالعزيز القصاب	٢٧ تموز ١٩٢٦ م
١٣- المتصرف ناجي شوكت	١٩ حزيران ١٩٢٧ م
١٤- وكيل المتصرف القانمقام عبدالحمد عبدالمجيد	٢٠ آب ١٩٢٧ م
١٥- المتصرف عبدالله الصائغ	١١ نيسان ١٩٣٠ م
١٦- المتصرف تحسين علي	

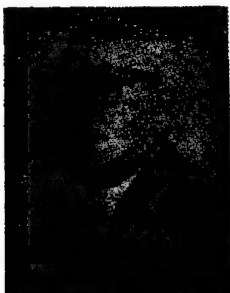
نفوس الموصل : القو الديمغرافي

يمكننا التوقف قليلاً عند احصاء عدد سكان ولاية الموصل (بموجب ما نشرته حكومة الاحتلال البريطاني سنة ١٩٢٠)، حسب الجدول الآتي (٣٣) :

اللواء	المجموع
الموصل	٣٥٠,٣٧٨
اربييل	١٠٦,٠٠٠
كركوك	٩٢,٠٠٠
السليمانية	١٥٥,٠٠٠
المجموع العام	٧٠٣,٣٧٨

- اما عدد سكان لواء الموصل (لوحده) فقد بلغ (حسب تعداد سنة ١٩٦٥م) هو (٧٨٣,٠٢٠) ألف نسمة. وقد ازداد عدد السكان في لواء الموصل (الذي غدا يسمّى بـ محافظة نينوى) في عام ١٩٧٤م كثيراً، إذ بلغ

- ١٧- المتصرف عبدالعزيز المظفر
١٨- وكيل المتصرف ماجد مصطفى (قائم مقام العاديه)
١٩- المتصرف تحسين العسكري
٢٠- المتصرف عمر نظمي
٢١- المتصرف حسام الدين جمعة
٢٢- وكيل المتصرف جلال الدين خالد
٢٣- المتصرف تحسين علي للمرة الثانية
٢٤- وكيل المتصرف قاسم مقصود (آمر الفرقة)
٢٥- وكيل المتصرف سالم نامق
٢٦- المتصرف تحسين علي للمرة الثالثة
٢٧- المتصرف حسام الدين جمعة (للمرة الثانية)
٢٨- المتصرف عبد المجيد البقوي (استقال)
٢٩- وكيل المتصرف القائم مقام طاهر القبسي
٣٠- المتصرف عبدالمجيد البقوي (عاد بعد سحب استقالته)
٣١- معاون المتصرف عبدالوهاب مصطفى الدباغ
٣٢- المتصرف عبدالوهاب القصاب
٣٣- معاون المتصرف احمد زكي المدرس
٣٤- المتصرف مظفر احمد
٣٥- المتصرف مصطفى البقوي
٣٦- معاون المتصرف مصطفى عاصم اسماعيل
٣٧- المتصرف أمين خالص
٣٨- معاون المتصرف مصطفى عاصم اسماعيل
٣٩- المتصرف خليل عزمي
٤٠- وكيل المتصرف عبد الجبار فهمي (مدير شرطة الموصل)
٤١- المتصرف سعيد قزاز
- ١٨ نيسان ١٩٣١ م
٣ أيلول ١٩٣١ م
٥ كانون الاول ١٩٣١ م
١٦ مايس ١٩٣٤ م
٥ تشرين الاول ١٩٣٥ م
١٦ شباط ١٩٣٧ م
٣٠ نيسان ١٩٣٩ م
٥ نيسان ١٩٤١ م
١ حزيران ١٩٤١ م
٥ حزيران ١٩٤١ م
١٨ تشرين الثاني ١٩٤١ م
٢٠ مايس ١٩٤٢ م
٢١ آب ١٩٤٢ م
٢ أيلول ١٩٤٢ م
١٥ كانون الثاني ١٩٤٤ م
٤ آذار ١٩٤٤ م
٣١ مايس ١٩٤٦ م
١٤ حزيران ١٩٤٦ م
١٢ تشرين الاول ١٩٤٦ م
١ آذار ١٩٤٨ م
١٥ آذار ١٩٤٨ م
١ نيسان ١٩٤٨ م
١٥ نيسان ١٩٤٨ م
١٥ حزيران ١٩٤٩ م
٢٥ حزيران ١٩٤٩ م
- ٤٢- وكيل المتصرف صبحي علي عيداغا
٤٣- المتصرف احمد زكي المدرس
٤٤- وكيل المتصرف صبحي علي
٤٥- المتصرف مزاحم ماهر
٤٦- وكيل المتصرف القائم مقام محمود البكري
٤٧- المتصرف رشيد نجيب
٤٨- وكيل المتصرف صبحي علي
٤٩- المتصرف عبدالكافي عارف (اعلان الجمهورية وسقوط النظام الملكي ١٤ تموز ١٩٥٨ م.)
- ٢٤ كانون الاول ١٩٥٢ م.
٢٠ كانون الاول ١٩٥٢ م.
١ تموز ١٩٥٤ م.
٢٤ تموز ١٩٥٤ م.
١٤ آذار ١٩٥٥ م.
٢٢ آذار ١٩٥٥ م.
٢٣ أيلول ١٩٥٧ م.
١ تشرين الاول ١٩٥٧ م.
١٤ تموز ١٩٥٨ م.



سالم نامق

الهاكم المدنية في الموصل :

صدر قانون تشكيل الهاكم المدنية في مراكز الولايات والالوية والاقضية العراقية في عام ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م. وقد شملت به مدينة الموصل ، فتأسست بموجبها الهاكم الآتية : المحكمة الشرعية ومحكمة الحقوق البدائية ومحكمة جزائية بدائية ومستنطق حاكم جزاء ومدع عام للبداءة . وكان حكام وقضاة هذه الهاكم ينصبون من قبل نظارة العدلية . اما الاعضاء فتنتخبهم المجالس الادارية . اما احكام هذه الهاكم فتستأنف لدى محكمة استئناف بغداد . وليس للادارة المحلية أي حق بالتدخل في شؤون الهاكم كونها : سلطة قضائية منفصلة عن بقية السلطات . وقد زادت حالة استقلاليتها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م . وكان ملاك الهاكم في الموصل يتألف للفترة

١٨٩٠ - ١٩٠٨ م من : المحكمة الشرعية ، ومحكمة الحقوق البدائية ومحكمة الجزاء البدائية ومقام المدعي العام . وحاكم التحقيق ومحكمة التجارة البدائية ومأمور الاجراء وكاتب العدل ورئيس كتاب محكمة الحقوق البدائية والجزائية .

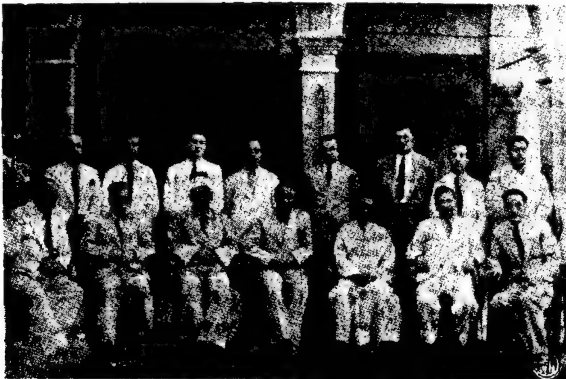
وفي عام ١٩١١ م ، تغير ملاك المحاكم المدنية والشرعية ، ليغدو على النحو الآتي : لجنة العدلية والمحكمة الشرعية ومحكمة الاستئناف والمدعي العام للاستئناف (واستمرت حالة التغير في ملاك المحاكم حتى يوم ١١ نيسان ١٩١٢ م) ، إذ اصدر البرلمان العثماني قانون الدعاوى الصلحية تسهيلاً لحسم القضايا والدعاوى الحقوقية البسيطة ، وعلى اثر ذلك ، تأسست محكمة صلح الموصل . وقد استمرت هذه المحاكم تقوم بواجباتها حتى الاحتلال البريطاني للموصل عام ١٩١٨ م^(٣٦) .

وفي عهد الاحتلال البريطاني ، رتبت الادارة القضائية على اسس جديدة مع الإبقاء على الهيكل العام للمحاكم المدنية والشرعية بعد ان توقفت المحاكم عن العمل نظراً للظروف الصعبة التي عاشتها الولاية والنقص في عدد الحكام المؤهلين لتسيير نظام القضاء بشكل اصولي ، وقد اخضعت المحاكم في ولاية الموصل الى الجهاز نفسه الذي بدأ عمله ببغداد . وكانت محكمة بداية الموصل هي

المحكمة الوحيدة التي استمرت تعمل كما كانت منذ العهد التركي .

لقد ادخلت تغييرات واسعة النطاق على مجموعة القوانين المدنية في العراق باسم « القانون العراقي » ، ونظمت المحاكم الشرعية بما يتفق والتقسيمات الادارية . اما بالنسبة للقضاء الجنائي فقد بدأ العمل والتطبيق بـ « قانون العقوبات البغدادي » و « قانون اصول المحاكمات الجزائية البغدادي » وكلاهما اعتمدا على « قانون العقوبات العثماني » و « قانون العقوبات المصري » المستمد من « قانون العقوبات الفرنسي » اضافة الى « قانون اصول المحاكمات الجزائية السوداني » وتأسست على اصوله اربعة اصناف من المحاكم الجزائية . كما وتأسست في بغداد محكمة الاستئناف العليا لجميع المناطق المحتلة والتي حلت محل محاكم الاستئناف التركية الثلاث في ولايات بغداد والبصرة والموصل . وكانت محكمة البداية في الموصل تتألف من رئيس بريطاني وحاكمين عربيين ، اضافة الى محكمة الصلح التي تأسست في الموصل^(٣٧) . لقد صُنفت محاكم الموصل إبان حكم الاحتلال البريطاني الى :

١) دائرة العدلية : وظيفتها مراقبة اعمال سائر المحاكم في الداخل والخارج ، وحسم الدعاوي



المتعلقة بالاتحاد العام.

٢) المحكمة الحقوقية التصريفية والعائلية: وظيفتها النظر في المناكحات والمفارقات التي تحدث بين الملل غير المسلمة داخل المدينة وخارجها.. كما وكانت تنظر في دعاوى التصرف في الاملاك غير المنقولة.

٣) محكمة الصلح: وظيفتها النظر في الامور التي تتعلق بالحقوق العادية والتجارية حسب قانون الصلح التركي.

٤) المحكمة الجنائية: وظيفتها التحقيق في الجرائم والجنابات.

٥) المحكمة الشرعية: وظيفتها حسم القضايا الشرعية للمسلمين كالزواج والطلاق وقسمة الموارث... الخ (٣٨).

ونخبنا وتقوم العراق لسنة ١٩٢٣ عن رجال القضاء في الموصل حسب الآتي:

٣- المحاكم الشرعية:

قاضي الشرع الشريف في الموصل: السيد احمد الفخري.

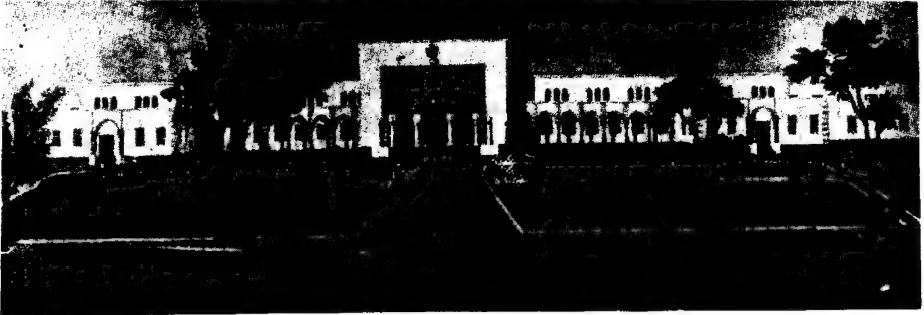
٤- محكمة الجزاء:

حاكم الجزاء: داود وهي سليمان.

٥- دائرة الايتام:

المدير: حسيب بن خليل (٣٩)

كانت محاكم الموصل والدوائر التابعة لها تقوم في سرائي الحكومة (القشلة الملكية)، ولما لم يقو ذلك الديوان على الصمود بتصدع اركانه وتداعي بنيانه، فقد استأجرت المحاكم لها دارا وانتقلت اليها.. ولما اخذت تشكيلات المحاكم بالتوسع خلال عهدي الملك فيصل الاول ١٩٢١-١٩٣٣ والملك غازي ١٩٣٣-١٩٣٩، فسمي رؤساء



بناية محاكم الموصل عند افتتاحها بريشة الفنان نجيب يونس سنة ١٩٤٨.

١- محكمة البداية:

الرئيس: المستر جي پريچارد.

نائب الرئيس: محمود نشأت الفيضي.

عضو: سعيد لطفي.

نائب عضو: مصطفى الجليلي.

٢- محاكم الصلح:

حاكم الصلح في الموصل: محمد رؤوف.

حاكم الصلح السيار في منطقة الموصل: محي

الاعرجي.

جهاز الشرطة في الموصل:

لقد تأسست في الموصل اول قوة عملية من

١٩٤٦ ، عبد الجبار فهمي ١٩٤٦ - ١٩٥٠ ،
خضر عبد الجليل ١٩٥٠ - ١٩٥٢ ، علي غالب
البياتي ، ١٩٥٢ - ١٩٥٢ ، نجيب علي ١٩٥٣ -
١٩٥٥ ، عبد الرحمن الدريندي ١٩٥٦ -
١٩٥٦ ، عبدالله سعيد ١٩٥٦ - ١٩٥٨ .^(٤٢)

بلدية الموصل :

تأسست بلدية الموصل سنة ١٨٦٩ م على عهد
الوالي مدحت باشا ، وهي مؤسسة خدمية تدير
الشؤون العامة التي تعود بالنفع العام للاهالي في
بيئة اجتماعية معينة . وكان لبلدية الموصل مجلس
يتألف من رئيس ومعاون و (٦) اعضاء . وكانت مدة
العضوية في المجلس البلدي (سنتان) ، واجتماعه :
اسبوعي وقد اضطلع المجلس البلدي بانشاء المباني
وتوسيع الشوارع واصلاحها وانشاء الارصفة
والمجاري ، والمحافظة على النظافة ، وتسجيل
السكان ، وتفتيش المكاييل وتحديد الاسعار
والمحافظة على الآداب وجباية الرسوم وانارة البلدة ،
ومنع الاحتكار للسلع والبضائع .

وتطبيقاً لقانون بلدية الولايات العثمانية لسنة
١٨٨٩ ، فقد نصّ على ان تضمّ البلدية خمس
شعب هي :

شعبة الهندسة وطبابة البلدية وشعبة المحاسبة وشعبة
التفتيش وشعبة التحرير .^(٤٣)

لقد تعاقب على رئاسة بلدية الموصل منذ
تأسيسها حتى سنة ١٩٢٢ م ، خمسة عشر رئيساً
ومنهم من تناوب على رئاستها أكثر من مرة . وكان
لبعضهم ادوارهم المهمة في تطوير المدينة عمرانياً
وتنظيمياً ، ومن ابرزهم : حسن زيور العمري للفترة
(١٨٨٧ - ١٨٩٢ م) ، وبعد من ابرز الشخصيات
الاصلاحية في الموصل وكانت له انجازاته
وتجديداته . وهناك ايضا سعيد بن قاسم اغا
السعري الذي ترأس بلدية الموصل لمرتين (١٨٩٨ -
١٩٠٢ م) ، (١٩٠٨ - ١٩١٢ م) وكانت له
خدماته وتجديداته للموصل .^(٤٤)

الشرطة على عهد الاحتلال البريطاني والتي
انصفت بالنظام والضبط بعد ان كانت الفوضى
ضاربة اطرافها بجهاز الجندرية ايام العهد التركي .
ولقد تنوع افراد تلك القوة الجديدة ، فهناك بقايا
الجندرية التركية وينسبة كبيرة ، وهناك من تمّ
تجنيدهم لسدّ الحاجة العاجلة لذلك . كما شكّلت
قوة من الشرطة العسكرية او هي التي اطلق عليها
اسم «الشبابة» لكي تنشط في اعمالها الخارجية
وعلى الحدود وفي المناطق الصعبة . كما وعين ضابط
بريطاني ليتولى شؤون الكمارك ، ومهمته جمع رسوم
الكمارك على البضائع والواردات القادمة من سوريا
وتركيا ، اضافة الى جباية رسوم التبوغ .^(٤٥)

اما مديرية شرطة لواء الموصل فقد تشكلت في
عام ١٩٢١ ، وكانت تسمّى بـ «المركز العام»
والذي اتخذ له قلب المدينة (مركز السراي) قرب
باب الطوب مكاناً له . وكان يديره معاون شرطة
آنذاك.. ثم بدأت «المديرية» بالتطور فازدادت
تشكيلاتها ومراقفها واجهزتها . ويكون مديرها
مسؤولاً بشكل مباشر امام مدير الشرطة العام
ببغداد ومنصرف اللواء في الموصل ، وذلك عن
تنفيذ جميع الواجبات والاوامر والتعليمات وفق
احكام القانون .

ومن ابرز تشكيلات هذا الجهاز : التحريّات
والآليات والنجدة والبلدة والمرور والقوة السيارة
والحدود والجنسية والسفر والاقامة والاقضية والكمارك
والمكوس .. الخ .

أما اشهر مدراء الشرطة في لواء الموصل فهم :
تحسين علي ١٩٢١ - ١٩٢٥ ، تحسين العسكري
١٩٢٥ - ١٩٢٨ ، صالح حام ١٩٢٨ - ١٩٣١ ،
حسام الدين جمعة ١٩٣١ - ١٩٣١ ، حسن فؤاد
١٩٣١ - ١٩٣٣ ، وجيه يونس ١٩٣٣ - ١٩٣٣ ،
عبد الرزاق الفضلي ١٩٣٣ - ١٩٣٤ ، عبدالله
عوني ١٩٣٤ - ١٩٣٦ ، درويش لظفي ١٩٣٦ -
١٩٣٧ ، بهجت الدلعي ١٩٣٧ - ١٩٣٩ ، كامل
يحيى (معاون) وكالة ١٩٣٩ - ١٩٤١ ، علي غالب
قاسم ١٩٤١ - ١٩٤٤ ، مزاحم ماهر ١٩٤٤ -
١٣٠

وزارة الداخلية العراقية. وكانت الادارة العراقية مركزية صرفة. وقد استخدمت «الادارة المحلية»، ولكن ضمن مفهوم المركزية الادارية.. ولم تعرف بمفهومها اللامركزي في العراق الا بعد أن نصّ عليها صراحة «قانون ادارة الالوية» رقم (١٦) لسنة ١٩٤٥، ولكنها بقيت مغنوية لم تزاوِل وظائفها بالشكل الرسمي حتى سنة ١٩٥٠.

اما الجهاز الاداري للادارة المحلية، فيتكوّن من مديرية خزينة الادارة المحلية وهندسة الادارة المحلية والادارة والذاتية ومديرية املاك الادارة المحلية وشعبة المشاريع والمتابعة والتخطيط وشعبة الضمان الاجتماعي^(٤٧).

لقد أسدت الادارة المحلية للموصل خدمات واسعة، كان من أبرزها: صيانة الاحراش الخضراء وتوسيعها بتأسيس غابات نموذجية مع تحسين الاشجار. تأسيس غرف ومدارس صناعية ومعاهد مهنية ومعارض تجارية وتوسيع الثروة الحيوانية واقامة المستوصفات البيطرية وتأسيس العديد من المدارس ومراكز تربية وتشيد المئات من الدور السكنية وبيعها او ايجارها، وتأسيس مصلحة نقل الركاب داخل شوارع المدينة.

تعد الانجازات الكبرى التي قدمتها الادارة المحلية لمدينة الموصل ذات أهمية بالغة، فقد كانت عمرانية خدمية افادت الموصل واهاليها قاطبة وعلى مدى زمني بدأ بشكل فعّال في مطلع عقد الخمسينات الذي تطوّرت الموصل خلاله تطوّراً مشهوداً بمجهود الادارة المحلية.

الدوائر العسكرية :

انتشر الجيش البريطاني في الموصل بعد ان تشتت الجيش التركي اثر انسحابه، وفي اواخر شهر شباط سنة ١٩٢٠، باشر الانكليز بتشكيل قوة عسكرية - محلية تحت اسم «الليبي»، وقاموا باستدعاء بعض ضباط الدرك من العراقيين، فرفض هذا الطلب بعضهم وقبله ضباط آخرون وعدد كبير من الجنود المرتزقة وألقوا جيشاً خاصاً،



سيد بن قاسم اغا

ووقع على كاهل البلدية خلال عهد الاحتلال البريطاني عبء ثقيل من الواجبات التي تطلبت اناساً جديدين وحقيقيين يدركون مشاكل البلد.. وقد فتح شارعان رئيسيان في الموصل خلال عام ١٩١٩، وبدأ العمل ببناء جسر جديد بدل الجسر القديم، وانجز في مطلع الثلاثينات واطلق عليه (جسر الملك غازي) كما بدأ العمل بمشروع اسالة الماء، وبدأت تنفّذ العديد من الخدمات العامة^(٤٨).

وقد تطوّرت بلدية الموصل خلال العهد الملكي وازدادت وارداتها وكثرت مشاريعها وتسلم رئاستها عدة رجالات ساهموا باخلاص في تطوير المدينة، كان من أبرزهم خير الدين العمري للفترة (١٩٣٢ - ١٩٥٠)، وكان اخوه ارشد العمري مهندس بلدية الموصل في العشرينات قد قدّم خدمات جليلة للموصل^(٤٩).

الادارة المحلية وانجازاتها :

صدر القانون الاساسي العراقي (= الدستور) في ٣١ آذار ١٩٢٥ م، وقد ورد في الباب السابع منه مايتعلق بادارة الاقاليم، واستناداً الى المادة (١٠٩) من هذا القانون، صدر قانون ادارة الالوية في سنة ١٩٢٧ م. وهو قانون يقسم العراق الى (١٤) لواء، ويرأس اللواء، «المتصرف» الذي يرتبط بمركز

وكان أغلبهم من «التيارية» الذين كانوا قد هربوا من تركيا وإيران ولجأوا الى العراق اثر احتلاله من قبل البريطانيين،^(٤٨) وسرعان ما انحل هذا الجيش .

وكان تأسيس الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ علامة تاريخية فارقة في تاريخ العراق المعاصر، واحد ابرز العوامل في تكوين دولته، وبدأ النظام العسكري بتشكيل وطنياً بريادة جعفر العسكري وعدد غير قليل من الضباط العراقيين. واتخذ المقرر العام للجيش العراقي على عاتقه تشكيل الوحدات العسكرية من قبل وزارة الدفاع. وفي ١ حزيران سنة ١٩٢١، فتح مقر التجنيد في بغداد، وبأمرته عدّة لجان في انحاء عديدة من العراق، كما وتشكّلت عدّة تجنيد بلغ عددها عدا المقرر العام (١٨) لجنة، كان تجنيد الموصل احداها، وتألفت لجنة تجنيد الموصل من :

الحاج احمد سري	ضابط تجنيد الموصل.
ابن صالح	مساعد تجنيد الموصل.
عبد الجليل بن محمد	نائب مساعد ضابط
فاتح احمد	تجنيد الموصل.
عبد الوهاب بن	كاتب من الدرجة الاولى
عبدالرزاق	في تجنيد الموصل. ^(٤٩)

وبعد تأسيس المملكة العراقية عام ١٩٢١ كانت الموصل موقفاً سوقياً - استراتيجياً مهماً في تجمع العديد من القطعات العسكرية التي اتخذت ثكناتها في جنوبي المدينة قرب منطقة الفزلاني ذات الروابي المرتفعة، وتأسس بالقرب من ذلك مطار الموصل العسكري. وتعاقب في الموصل العديد من القادة والضباط والآخرين والمراتب، وكانت الموصل معقلاً لزهرة الالوية في الجيش العراقي والذي ساهم فيها بالعديد من الاحداث السياسية التي حفل بها تاريخ العراق المعاصر.

دائرة الاوقاف :

وهي دائرة قديمة من دوائر ولاية الموصل، وقد

تطورت كثيراً على عهد رئيسها اسعد افندي العمري عند تأسيس الدولة العراقية. وكان الانكليز قد شكلوا قبل ذلك «المجلس العلمي» في اواخر كانون الاول ١٩١٨ لاغراض الاستشارة فيما يتعلق بالامور الشرعية واصول الاوقاف الاسلامية وجعلوه يرتبط بدائرة الاوقاف وقد اصبحت هذه الدائرة - فيما بعد - مرتبطة برئاسة ديوان الاوقاف العامة في بغداد قبل ان تشكل وزارة للاوقاف. وتقوم هذه الدائرة بالاشراف على الوقوف وتنظيم موارد الوقف وما يصرف منها، فضلاً عن تنظيم الامور الدينية في لواء الموصل^(٥٠).

دائرة الاحوال المدنية :

وهي احدى دوائر وزارة الداخلية، تأسست في الموصل عام ١٩٢٧ م بأسم «مأمورية نفوس لواء الموصل» ثم ابدل الى «ملاحظة نفوس لواء الموصل» ثم الى «مديرية نفوس لواء الموصل»، ثم الى «مديرية تسجيل الاحوال المدنية». وظيفتها تأشير جميع وقائع الاحوال المدنية من ولادات ووفيات وزواجات وطلاقات.. مع منح المواطنين دفاتر وهويات شخصية كانت تسمى بـ «دفاتر الاحوال المدنية»، اضافة الى قراراتها بصدد تغيير الاسماء والاعمار والمهن حسب الطلبات التي تعزها الوثائق والمستندات المؤيدة لذلك^(٥١).

دائرة الطابو (التسجيل العقاري) :

هي دائرة قديمة يعود تاريخ تأسيسها الى العهد العثماني قرابة عام ١٨٥٨ م وبعد صدور قانون الطابو العثماني، ووظيفتها تنظيم التسجيلات العقارية في السجلات العينية من اجل حفظ الحقوق للمالكين وصيانتها من التلف والتلاعب والضياح^(٥٢).

مديرية التسوية :

وهي دائرة تعنى بامور «تسوية» الاراضي وقضاياها، اضافة الى تصحيح المعاملات والحدود

والضبط للاراضي الصالحة وغير الصالحة . وهناك مديريات اخرى كالواردات والضرائب والاجراء ..

السجن :

دائرة في بناية قديمة من مخلفات الاتراك كانت تقع قرب محلة باب السراي . ثم اشرف الانكليز على سجن الموصل وعينوا المستركوين لان مديرا له في ١٣ / اذار / ١٩٢٠ ثم انتقل الى جنوب المدينة عام ١٩٣٤ (٥٣) .

الدوائر المالية والخدمية :

دائرة المالية :

تشكلت هذه الدائرة من كاتبين وكاتب مبيعات وكاتب حسابات برئاسة ناظر انكليزي اسمه (بولارد) ، وظيفتها : المحافظة على الاموال العشرية المحببة من المزروعات ورسوم المواشي .. الخ .

دائرة رسم الاملاك :

تشكلت هذه الدائرة تحت رئاسة الحاكم البريطاني ، ويديرها مدير وثلاثة كتاب ، ووظيفتها جباية ضريبة الاملاك والتي تقدر من قبل هيئة تخمينية بنسبة واحد من عشرة من بدل ايجار المسفقات .. اضافة الى تخمين ايجار الامكنة المشغولة من قبل الحكومة . وكانت المعاملات ادارية بحتة .

دائرة الاشغال العمومية :

التابعة لوزارة المواصلات والاشغال ، وكان يرأسها المستر أ.سلتر وهو مهندس اجرائي .. ومعيته اثنان اطلقوا على كل واحد منها اسم رئيس العمال .

دائرة الزراعة :

واسست هذه الدائرة لترعى الشؤون الزراعية وبإدارة انكليزية .

دائرة البريد والبرق :

وهي دائرة جديدة نظمت بشكل جديد آخر يختلف عن الدائرة السابقة التي الفاها الانكليز .

دائرة النفوس :

لم تؤسس مثل هذه «الدائرة» المهمة الا فيما بعد ، بعد ان الغيت «الدائرة» القديمة التي كانت تقوم بمهامها .

— اما البنوك والمصارف في الموصل فكان هناك

دائرة فرع بنك «ايسترن بنك ليمتد Eastern Bank Ltd. وكان مديره المستر رين . وغرفة تجارة الموصل التي بقيت تعمل بمجد كما كانت على العهد القديم ، وكان تجار الموصل يقسمون حسب اعراف «الغرفة» الى ثلاثة اصناف . اما المطابع ، فهناك : مطبعة الحكومة ومطبعة آثور ومطبعة الآباء الدومنيكان (مقطلة) .

دائرة الاتواء الجوية :

تأسست عام ١٩٢٣ ، ووظيفتها تقديم المعلومات عن الاحوال الجوية كالضغط الجوي والرطوبة والحرارة والرياح وحالات الطقس .. مع اعطاء المعدلات اليومية والشهرية لذلك (٥٤) . وهناك دوائر ومؤسسات واجهزة اخرى استحدثت خلال الخمسينيات والستينيات من هذا القرن .

خاتمة :

لقد تطورت التشكيلات الحكومية في الحياة الادارية للموصل كثيرا خلال النصف الاول من القرن العشرين ، سواء بالنسبة للتجديدات التي اصابتهياكل وابنية الاجهزة العثمانية القديمة التي تأسست في عهد الاصلاحات خلال القرن التاسع عشر ، ام بالنسبة لاستحداث المؤسسات الجديدة التي برزت للوجود خلال فترة ما بين

- ج- أ.م. متشافيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة : د. هاشم صالح التكريتي ، بغداد، ١٩٧٨.
- (٢) د. محمد عزيز، النظام السياسي في العراق ، بغداد، ١٩٥٤، ص ٩٨.
- (٣) المرجع نفسه، ص ٩٩، وأنظر
Stephen Hemsley Longrigg, Iraq 1900 – 1950: A Political Social and Economic History, London, 1956, p.51
- (٤) جريدة الوقائع العراقية، العدد (٣) بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩٣٠.
- (٥) جريدة الوقائع العراقية، العدد (٥) بتاريخ ٢ شباط ١٩٣٠. د. سيار الجميل، تكوين العرب الحديث ، ١٥١٦ – ١٩١٦، جامعة الموصل ، ١٩٩١، ص ٣٦٠ – ٣٦٢.
- (٦) محمد نصر الله وآخرون، ممالك محروسة شاهانية مخصوص وسكل مفصل اطلاحي، استانبول ، ١٣٢٥ هـ ، ص ١٠٢.
- (٧) د. ابراهيم خليل احمد ، «التشكيلات الادارية والعسكرية في ولاية الموصل اواخر العهد العثماني» ، مجلة بين النهرين ، العددان (٣٧/٣٨)، الموصل ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٨.
- (٨) انظر: سالنامه موصل در ولايتي رسمي، موصل ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م، ص ١٣٠.
- (٩) راجع التفاصيل: جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحميدي (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٢ وما بعدها.
- (١٠) راجع التفاصيل: فيصل الاحرجم، تطور العراق في عهد حكومة الاتحاديين ، الموصل ، ١٩٧٢ ، ص ٧٥ وما بعدها.
- (١١) د. سيار الجميل ، المصدر السابق، ص ٣٥١ (نقلًا عن: ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط٢، بيروت ، ١٩٦٠، ص ٢٣٠ – ٢٤٩).
- (١٢) راجع التفاصيل في: محمد امين العمري ، تأريخ مقدرات العراق السياسية (نشر باسم اخيه: محمد طاهر العمري آل المصيب)، المجلد ١، الموصل ، ١٩٢٤، ص ١٥٩ وما بعدها، المجلد ٣، بغداد ، ١٩٢٥ ، ص ٢ وما بعدها.
- (١٣) نقلًا عن رواية وثقها في كل من المؤرخين : الدكتور محمد صديق الجليلي بتاريخ ١/ نيسان/ ١٩٧٥، والأستاذ سعيد الديوهجي بتاريخ ١٦/ نيسان/ ١٩٧٥.
- (١٤) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط ، ط٢، بيروت ، ١٩٧١، ص ١٥٣.
- (١٥) العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية (سبق ذكره) ، ٣/ ٢٩.
- (١٦) المس بيل، المصدر السابق، م رقم (١) ص ١٥٣.
- (١٧) انظر مكتبته عبدالمعظم الفلامي عن «اعمال الانكليز وحكمهم في الموصل»، مجلة المعرفة ، بتاريخ ١٤ تموز ١٩٦٢، ص ٧.
- (١٨) المس بيل، المصدر السابق، ص ١٥٣ – ١٥٤.
- (١٩) راجع التفاصيل التاريخية في: د. ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ – ١٩١٢ (رسالة

الحربين العظيمين. وقد تطورت الموصل كثيرا بعد سنوات الحرب العالمية الثانية وخصوصاً اثر تشكيل الدوائر والمؤسسات الخدمية والاقتصادية. وترافق ذلك كله مع تزايد حجم عدد السكان سواء في داخل المدينة ام في توابعها من الاقضية والنواحي والقرى.

وشهدت الحياة الادارية وتشكيلاتها المعاصرة في الموصل تولّي عدد كبير من رجالات الموصل والعراق عدة مواقع مهمة سواء كان ذلك من الادارة او القضاء او البلدية او الشرطة او الاجهزة الخدمية ، سيما وقد كانت مدينة الموصل ثاني مدن العراق اتصالاً بالعالم مع ازدياد نسبة المتعلمين ومن خرجي المعاهد والكليات .. اذ اسهم ابناء الموصل في رفد الحياة العراقية الحكومية وفي مختلف التخصصات التي خدمت اجهزة وزارات : الدفاع والداخلية والعدلية بشكل ملفت للنظر وعلى امتداد عقود طويلة من الزمن من العهد الملكي ١٩٢١ – ١٩٥٨.

وتعلمنا نتائج البحث بأن لواء الموصل بتوابعه كان من المناطق المعقّدة في حياته الادارية والبلدية والداخلية .. وعليه ، فان من ينبجح في ادارة اللواء نجاحاً متميزاً خلال الحكم الملكي ، فتستند له الدولة مسؤوليات اضخم ، فالعديد من متصرفي هذا «اللواء» اسندت لهم حقائب وزارية وخصوصاً «وزارة الداخلية» .. كما وكان لواء الموصل مثار اهتمام السلطات العليا نظراً للاهمية البارزة التي يتمتع بها من النواحي الامنية والاقليلية والاقتصادية في حياة العراق خلال القرن العشرين.

الهوامش

- (١) من ابرز المصادر التي يمكن الرجوع اليها:
أ- نيليب ويلارد ايرلند، العراق: دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت ، ١٩٤٩.
- ب- Stuart A. Cohen, British Policy in mesopotamia 1903 – 1914, Middle East Center St. Antony's

- نيسان/ ١٩٧٥ (وتعتبر من اوثق المصادر التاريخية الدقيقة المتوفرة عن مذكراته).
- (٣٦) احمد الصوفي، تأريخ محاكم الموصل من سنة ١٥٣٤-١٩١٨، الموصل، ١٩٤٩.
- (٣٧) المس بيل، المصدر السابق، ص ٢٧٤ - وابعدا.
- (٣٨) عبدالنعم الغلامي، «التشكيلات الحكومية في الموصل زمن الاحتلال البريطاني، مجلة المروة، العدد (٣٦)، السنة (٢) في ١ تموز ١٩٦٢، ص ٢٥.
- (٣٩) تقويم العراق لسنة ١٩٢٣، (سبق ذكره)، ص ٦٢-٦٣.
- (٤٠) راجع مآكبه الأستاذ ابراهيم الواعظ في تليلاته وتحقيقاته على كتاب ابيه: مصطفى نورالدين الواعظ، الروض الأزهري في تراجم آل السيد جعفر، الموصل ١٩٤٨، ص ٥٥٧-٥٦١.
- (٤١) المس بيل، المصدر السابق، ص ١٦٦.
- (٤٢) نقلاً عن الأوراق الشخصية والمذكرات التي كتبها المرحوم كوكب علي الجميل رئيس محاكم الجزء الأول غير المحدودة، الموصل، ١٩٦٥ (في حوزة كاتب البحث).
- (٤٣) انظر: احمد الصوفي، تاريخ بلدية مدينة الموصل، الموصل، ١٩٧٠.
- (٤٤) نقلاً عن الأوراق الشخصية والمذكرات التي كتبها الاستاذ خيرالدين العمري رئيس بلدية الموصل ١٩٣٢-١٩٥٠ (في حوزة السيدة جان سالم نامق).
- (٤٥) مراجعات لمدينة الموصل في اعدادها لسنة ١٩١٩.
- (٤٦) تفاصيل موسومة عن بلدية الموصل وانجازاتها تزين بها صفح الموصل الشهيرة، الموصل، صدق الجمهور، فتي العراق..الخ.
- (٤٧) انظر: علي مهدي حيدر، الادارة العامة للبلدية في الجمهورية العراقية، ط ٢، بغداد، ص ١٦٢-١٦٣.
- (٤٨) الغلامي، المرجع السابق، ص ٢٧.
- (٤٩) مديرية التطوير القتالي بوزارة الدفاع، تأريخ القوات العراقية المسلحة، ج ١، (تأسيس الجيش العراقي ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢١م)، ط ١، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٩٨.
- (٥٠) انظر: دليل العراق لسنة ١٩٣٦، وتقويم العراق لسنة ١٩٢٣، (سبق ذكره) ص ٧٧.
- (٥١) معلومات مأخوذة عن مديرية تسجيل الاحوال المدنية في مدينة الموصل.
- (٥٢) انظر التفاصيل: الحكومة العراقية (وزارة العدلية): مجموعة البيانات والنظامات العدلية واصدابين ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ و ٣١ كانون الاول سنة ١٩٢٢ من القوانين (بغداد، مطبعة العراق) د.ت. ص ١٠٤.
- (٥٣) معلومات مستقاة عن أوراق خاصة بمحور كاتب البحث (انظر الملاحظة ٤٢ اعلاه).
- (٥٤) معلومات تمجد تفاصيلها في تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ و دليل العراق لسنة ١٩٣٦، وكتاب المس بيل، (سبق ذكره)، صفحات متعددة.
- ماجستير غير منشورة: كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٢٤، وابعدا (وانظر: ملحق رقم (١) أ) ص ٦٣٨.
- (٢٠) Sir Arnold Talbot Wilson, Mesopotamia 1917-1920: A Clash of Loyalties: A Personal and Historical Record, London, New York, Oxford Univ. Press. 1930, pp. 101-127.
- (٢١) د. وميض جبال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط ١ (بيروت؛ مركز دراسات الوحدة العربية) ١٩٨٤، ص ٢٠٤-٢٠٥.
- (٢٢) انظر: د. شيار الجميل، «النخبة العراقية وتكوين الدولة ١٩٢١-١٩٤١»، مجلة آفاق عربية، العدد (١١)، السنة (١٦)، تشرين الثاني ١٩٩١، ص ٤٥.
- (٢٣) د. وميض جبال عمر نظمي، المرجع السابق، ص ٢٠٦-٢٠٧.
- (٢٤) Bertram Thomas, Alarms and Excursions in Arabia, New York, 1931, p. 81.
- (٢٥) مراجعة لاعداد متفرقة من جريدة «الموصل» وعلى الأخص: العدد (١٠) في ١٦ كانون الأول ١٩١٨/ العدد (١٨) في ١٠ كانون الثاني ١٩١٩/ العدد (٢١) في ١٧ كانون الثاني ١٩١٩.
- (٢٦) مآكبه بعض السياسيين والمراقبين الانكليز عن الأوضاع العراقية ابان الاحتلال البريطاني، منهم: المس بيل وايرلاند ولونكرليك وفوسر.
- (٢٧) عن نسخ مصورة (بمحور كاتب البحث) من الوثائق البريطانية: Colonial office [C.O.] 6961/2, "Administration Reports, Mosul Division, 1919", pp. 6-8.
- (٢٨) المس بيل، المصدر السابق، ص ١٥٦.
- (٢٩) Sir John p. Hewett, Some Impressions of Mesopotamia in 1919, London, 1920, p. 51.
- (٣٠) نقلاً عن: جريدة الموصل، ٢٥ شباط ١٩٢١. ومن أجل تفاصيل موسومة عن تقسيمات العراق الادارية والقانون الاساسي العراقي وتشكيل السلطات القضائية والتنفيذية وادارة الاقاليم وتشكيلات الاوقاف والموظفين الاداريين في اللويزة العراقية والقائمقامين ومدراء النواحي.. انظر: دليل العراق لسنة ١٩٣٦، ص ٥٠، ١٩٥، ص ٦٩٦-٧٠٣.
- (٣١) المس بيل: المصدر السابق، ص ٢٣٣.
- (٣٢) انظر: ادارة العراق / قلم تحرير العراق، تقويم العراق لسنة ١٩٢٣، (السنة الأولى)، بغداد: مطبعة العراق، ١٩٢٢، ص ٧٩-٨٧.
- (٣٣) للمصدر نفسه، ص ٢٠٥.
- (٣٤) عبدالحبار جرجيس، دليل الموصل العام، الموصل ١٩٧٥، ص ١٣٨.
- (٣٥) زيد المرحوم الدكتور محمد صديق الجليلي كاتب البحث بهذه القائمة من وفاة وحكام وتتضمن الموصل في امنية يوم ١/

حَيَاةُ الْأَرْضِ الزَّرَاعِيَّةِ

مقدمة :

أ. د. خليل علي مراد

للدولة. ويشكل هذا الصنف محور هذه الدراسة.

لم تكن أساليب التصرف في الأراضي الأميرية في ولاية الموصل تقوم على أسس ثابتة، شأنها في ذلك شأن بقية الولايات العثمانية. ففي المناطق التي شكلت فيها القرية وحدة الانتاج الرئيسية، وفي المناطق الواقعة عند اطراف الموصل والمدن الأخرى في الولاية، كان الفلاح يحصل على حق زراعة الأراضي الاميرية بعد دفع مبلغ من المال يُسمى 'برسم الأرض' (رسم زمين)، وهذا المبلغ يُعد بمثابة إيجار للأرض يدفعه الفلاح في شهر آذار سنوياً. وكان على الفلاح زراعة الأرض وعدم تركها بلا زراعة لأكثر من ثلاث سنوات، وعليه دفع ضريبة العشر المفروضة على انتاج الأرض. وكانت حقوق تصرفه في الأرض تقتصر على زراعتها فقط ولا يجوز له بيعها أو رهنها أو تحويلها الى أوقاف^(٥). وفي المراحل الأولى من العهد العثماني كان الفلاح يدفع الرسوم والضرائب المقررة الى اصحاب الاقطاعات العسكرية بوصفهم ممثلي الدولة^(٦). فقد طبق العثمانيون منذ القرن السادس عشر اسلوبهم الاقطاعي المعروف في الموصل والمناطق الشمالية الأخرى من العراق نظراً لظروفها المتميزة في وفرة أمطارها وقرب الأراضي الزراعية من الادارة المركزية التي اعطتها درجة من الامان والاستقرار وجعلت الزراعة والسكنى ممكنة^(٧). ولم يكن الاقطاع العثماني اقطاع 'تخليك'، بل ان حق صاحب الأقطاع كان محصوراً في جباية الضرائب والرسوم المقررة للدولة ضمن المنطقة المخصصة له نظير

لا يمكن فهم مسألة حياة الأرض الزراعية في الموصل في التاريخ المعاصر دون معرفة الخلفية التاريخية لهذه المسألة وتطوراتها في عهد السيطرة العثمانية ١٥١٦ - ١٩١٨، لاسيما منذ منتصف القرن التاسع عشر. ذلك ان جميع قوانين الأراضي التي صدرت في العراق خلال النصف الاول من القرن الحالي استندت الى القوانين العثمانية، وخاصة قانون الأراضي العثماني لسنة ١٨٥٨ وقانون الطابو لسنة ١٨٥٩^(٨). وقد عُدَّ القانون الأول وماتلاه من تعديل وتحوير وذبول وملاحق، وما جاء به من احكام، وما احاط بتطبيقه من ظروف سياسية وتاريخية «اساس المشاكل في نظام الأراضي في العراق»^(٩).

تمثلت حياة الأرض الزراعية في الموصل قبيل صدور قانون الأراضي العثماني سنة ١٨٥٨ في ثلاثة أشكال رئيسة هي :

أولاً- الأراضي المملوكة للأفراد والتي سبق للعثمانيين ان ابقوها ملكاً حراً بيد اصحابها بعد تقديمهم سندات ملكية «حجة شرعية»، او الأراضي التي ملكها العثمانيون لبعض الافراد في مناسبات معينة^(١٠). وبصورة عامة كانت نسبة هذه الأراضي ضئيلة في العراق^(١١).

ثانياً-

الأراضي الموقوفة.

ثالثاً-

الأراضي الأميرية أي المملوكة للدولة، وكانت هذه تشمل معظم اراضي ولاية الموصل تقريباً. فقد عد العثمانيون جميع الأراضي، عدا المملوكة والموقوفة، ملكاً

خدماته الحربية للدولة. ومع تدهور الاسلوب الاقتصادي العثماني واغلاله لعوامل لا حاجة بنا لذكرها هنا توقفت الدولة العثمانية عن منح الاقطاعات كما لم تعد تمنح الاقطاعات الشاغرة بل تعهد بجباية الضرائب والرسوم فيها الى الملتزمين، ومعظمهم من المتنفذين المحليين وأثرياء المدن. وقد تفنن هؤلاء الملتزمون في جباية أقصى قدر من الضرائب والرسوم من الفلاحين مما دفع الكثيرين منهم الى هجر قرافهم وارضهم وتدهور الزراعة^(٨). وعلى الرغم من الغاء الدولة العثمانية الاقطاعات الحربية رسمياً سنة ١٨٣١، فان احفاد اصحاب تلك الاقطاعات في العراق ظلوا متمسكين بالوثائق والعقود التي حولتهم منزلتهم الاقطاعية وسوغت لهم حفظها، وكان بيع اراضي الدولة وشراؤها يجريان من غير علم الحكومة أو اعترافها^(٩).

اما في المناطق الكردية من ولاية الموصل^(١٠) فان إدارة الأراضي الأميرية وجباية الضرائب والرسوم فيها تركت منذ القرن السادس عشر لأسباب سياسية، بيد الأغوات المحليين على غرار اصحاب الاقطاعات الآفة الذكروع فارق واحد هو عدم تدخل الدولة في شؤونها الداخلية^(١١). وبمرور الزمن ونتيجة لضعف الدولة العثمانية، والنفوذ الذي تمتع به هؤلاء الاغوات في مناطقهم، لكونهم زعماء قبليين أو لانتسابهم الى سلالات اقطاعية ذات منشأ ديني احياناً، فأنتهم تحولوا الى مالكيين فعليين للأراضي الاميرية.

وفي المناطق الاخرى من ولاية الموصل كانت هناك بعض العشائر العربية التي تبسط نفوذها وهيمنتها على مناطق واسعة فيها. ومن هذه العشائر العربية شمرا الجربا والجبور والعبيد والجحيش واليومنيوت وطبي والبوحمد وغيرها. وتعد عشيرة شمرا الجربا من أبرز وأقوى العشائر العربية في ولاية الموصل حيث قدر عددها في سبعينات القرن التاسع عشر بحوالي ١٢٠٠٠ خيمة^(١٢). وكانت

تنتشر في اماكن متفرقة من ولاية الموصل، فهناك اقسام منها عند نهر الخابور بالقرب من نصيبين، واقسام اخرى في شرق دجلة حول الزاب الكبير، ولعل القسم الاكبر منها يوجد في المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات حوالي الحضر^(١٣). اما عشائر الجبور فقد سكنت اواسط دجلة بين سامراء والموصل كما استقر قسم منها بجوار نهر الخابور ورأس العين. والعبيد في منطقة حوض العظم، والبوحمد في منطقة الزاب الاسفل شمال كركوك^(١٤). وكانت اغلبية هذه العشائر تدفع الخوة الى عشيرة شمرا، مثل عشيرة طمي والجحيش والبوحمد والحديدين والجبور^(١٥). ولم يكن مفهوم الملكية الفردية للأرض وارداً لدى هذه العشائر التي كانت تعد مناطقها «الديرة» ملكاً مشتركاً فيها بين افرادها. ولم يكن لهذا النظام اي اساس قانوني ولا اية حاية من قبل الدولة، وبموجب هذا النظام لم يكن افراد العشيرة يعتبرون ملاكاً فرديين ولكنهم كانوا مزارعين في ارض مشاعة بينهم^(١٦)، ان كانوا يمارسون الزراعة او يشتركون جميعاً في الانتفاع منها في الرعي ان كانوا في البدو. وفي ضوء اعتبار «الديرة» العشائرية ملكاً للعشيرة فانها حرصت على فرض الخوة على القوافل او الاشخاص الذين يمرون بها، لان الخوة اعتبرت مظهراً من مظاهر السيادة العشائرية على الارض^(١٧). وفضلاً عن ذلك فان هذه العشائر لم تكن، بصورة عامة، تميل الى الاعتراف بسلطة الحكومة المركزية، كما كانت ترفض دفع ما يذمتها من ضرائب في احيان كثيرة بل وتهاجم القوافل التجارية والقرى واطراف المدن. ولم تغلح الحملات العسكرية العثمانية المتكررة ضد هذه العشائر في وضع حد لتجاوزاتها، ذلك ان عدم استقرار تلك العشائر وسرعة تحركها كان يقلل، في احيان كثيرة، من فعالية تلك الحملات.

لقد كان الهدف من اصدار قانون الأراضي العثمانية سنة ١٨٥٨، ومن القوانين اللاحقة

المتصلة به وضع أسس ثابتة في مسألة التصرف بالارض^(١٨)، وقد جاء القانون في ١٣٢ مادة^(١٩)، وكانت احكامه مستمدة من الشريعة الاسلامية وبعض القوانين الاوربية الحديثة، وما جرى به العرف. وقد قسم القانون المذكور اراضي الدولة العثمانية الى خمسة اصناف: وهي الاراضي المملوكة للأفراد والاراضي الموقوفة والأراضي الأميرية والأراضي المزروعة والأراضي الموات. وكانت معظم مواد القانون واحكامه تتعلق بالاراضي الاميرية وكيفية التصرف بها. ويمكن تلخيص المبادئ المهمة التي احتواها ذلك القانون في النقاط الآتية^(٢٠):

اولاً- أكد القانون ضرورة التمسك بمبدأ ابقاء رقة الارض (اي ملكيتها القانونية) للدولة مع تحويل اجهزتها المختلفة بصلاحية تأجيرها الى الافراد إيجاراً دائماً لقاء تعهدهم بدفع ضريبة العشر فقط سواء اكانوا مسلمين او غير مسلمين.

ثانياً- الغى القانون الملكية المشاعة وأكد ضرورة تصفية آثارها كلية لصالح الحياة الفردية الصغيرة حيث أكدت المادة الثامنة منه على «عدم جواز منح كامل أرض قرية الى كل ساكنها منحاً جماعياً» وعلى وجوب منح كل ساكن على انفراد قطعة منفصلة وتزويده بسند يثبت حقه في حيازتها حياة دائمة.

ثالثاً- اشترط القانون ان يكون المستأجر الدائم فلاحاً سبق له ان شغل ارضاً وقام باستغلالها لمدة عشر سنوات متتالية.

رابعاً- نص القانون على وجوب الاعتراف بحق الفرد في استئجار الارض استئجاراً دائماً في حالة ثبوت اشغاله الفعلي لها مع تثبيت هذا الاعتراف مجاناً في سجلات دوائر الطابو التي تؤسس لهذا الغرض وتزويد المستفيد بسند رسمي يؤيد ذلك صراحة.

خامساً- خول القانون الحكومة صلاحية الامتناع عن تأجير الأرض لأي شخص إيجاراً دائماً في حالة فشل ذلك الشخص في اثبات اشغاله واستغلاله الفعلي لها للمدة القانونية المنصوص عليها إلا بعد قيامه بدفع البذل المحمن للارض. ويصار الى منح الارض بالمزاد العلني الى شخص آخر في حالة اخفاق الشخص المعني في دفع البذل المطلوب.

سادساً- اجاز القانون تسجيل اية قطعة من ارض الموات مجاناً باسم الشخص الذي استصلحها وطورها بعد أخذ موافقة الدولة.

وبعد قانون الأراضي لسنة ١٨٥٨ أصدرت الدولة العثمانية قانون الطابو سنة ١٨٥٩ وجاء في ٣٣ مادة^(٢١). وقد وضع هذا القانون أمر تسوية الحقوق المتعلقة بالأراضي الاميرية وتجهيزها على أسس أصح مما سبقه، وأنشأ نظاماً قانونياً لتسجيل الحجج والعقود المختصة بالأراضي. وقد عالج هذا القانون والنظام الصادر بعده سنة ١٨٦٠ مسألة منح سندات تملك او تفويض لأصحاب الأراضي الاميرية^(٢٢). وفي سنة ١٨٦٤ اصدرت الدولة العثمانية التعليمات الخاصة بتفويض الأراضي في العراق، ولكن لم يتسن لها تنفيذ هذه التعليمات لحين تعيين مدحت باشا والياً على العراق^(٢٣).

كان مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٣) أحد أبرز رواد الحركة الاصلاحية العثمانية في القرن التاسع عشر، وقد عُيِّن والياً على بغداد سنة ١٨٦٩ وبقي في منصبه هذا حتى سنة ١٨٧٢. وكان مؤهلاً لدوره الاصلاحى برصيد غني من الخبرة توافر بالدراسة والترحال في اوربا، ثم بالخدمة في اجزاء مختلفة من الدولة العثمانية مثل سوريا وبلاد الصرب ومقاطعات الدانوب، واخيراً خلال عمله لمدة سنة كرئيس لمجلس الدولة وهو هيئة استشارية

للسلطات والحكومة^(٢٤). وقد اظهر حماساً واضحة في اثناء ولايته لتنفيذ عدة اصلاحات في مجالات مختلفة وقد وجه عناية خاصة لاصلاح نظام الاراضي ويجاد حل لمشكلة العشائر العربية من خلال السعي الى توطيئها واستقرارها، وفقاً لاحكام قوانين الاراضي والطابو المشار اليها اعلاه. وقد جاء هذا المسعى اثر فئيل السياسة التي اتبعها الولاة الذين سبقوا مدحت باشا، وخاصة خلال الفترة ١٨٣١ - ١٨٦٩، وهي السياسة القسرية في توطيئ القبائل وجعلها خاضعة للحكومة^(٢٥). وكان مدحت باشا يأمل ان تنتج عملية تفويض الاراضي بالطابو في تثبيت حقوق التصرف بالارض في العراق والقضاء على المشاكل والفوضى في هذا المجال، وتفكيك النظام القبلي سياسياً باضعاف الرابطة بين الشيوخ والأفراد عن طريق تملك الأخيرين مساحات صغيرة من الارض لتكون علاقاتهم بالحكومة رأساً لا بالشيخ، وتشديد قبضة الدولة على الشيوخ بمنحهم أراضي يستوطنون فيها ليسهل على الحكومة معرفة محلاتهم والوصول اليهم لاستيفاء الضرائب واخذ الجنود منهم او القبض عليهم ان دعت الحاجة. فضلاً عن انهم سيصبحون معرضين للعقاب بالنظر لسيطرة الحكومة على الماء، ومعتمدين على الحكومة بصفقتها هي الضامنة لحقوقهم المكتسبة في استحصال حقهم من الحاصلات. وأخيراً كان مدحت باشا يأمل ان تؤدي هذه العملية الى زيادة مساحات الاراضي المزروعة، وبالتالي زيادة ايرادات الدولة^(٢٦).

بدأت سياسة مدحت باشا في مجال الاراضي منذ سنة ١٨٧٠ ببيع حقوق التصرف بالاراضي الاميرية باسعار اسمية. وقد مُنح اصحاب حق التصرف في تلك الاراضي سندات الطابو الاميرية (سندات أراضي الدولة) التي أدت الى نشوء بعض الضمان في حقوق التصرف بالاراضي وان لم نؤد الى الملكية المطلقة لها^(٢٧). وكانت سندات الطابو هذه

مفتوحة لحملة الحقوق غير الثابتة، وللقرويين الذين فتحوا قناةً او زرعوا حقلاً، ولجميع شيوخ العشائر في دبرتهم العشائرية واخيراً، وليس آخراً، الى اعيان المدن^(٢٨). وبعد انتهاء فترة ولاية مدحت باشا استمرت عملية تفويض الاراضي في عهد الولاة الذين اعقبوه في العراق. ولكن هذه السياسة لم تعد تنفذ بصورة مطلقة كسياسة تهدف الى توطيئ العشائر وربطها بالارض، فقد كانت مساحات من الاراضي تعلن بالمزايدة فيتقدم الى طلبها شيوخ بعض العشائر فقط واغنياء المدن من تجار وموظفين^(٢٩). وقد ادت بعض المشكلات الناجمة عن تطبيق سياسة تفويض الاراضي بالطابو في العراق الى صدور مرسومين «ارادة» من السلطان العثماني في سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٩٢ بوقف عملية التفويض في وسط العراق وجنوبه، اما في شمال العراق، اي ولاية الموصل، فقد استمرت العملية حتى نهاية العهد العثماني، ولذلك كانت مساحة اراضي الطابو فيها اوسع بكثير من المناطق الاخرى في العراق^(٣٠). وطبقاً لما ذكره خبير شؤون الاراضي السير ارنست دوسن E. Dowson في سنة ١٩٣٠ فان عدد سندات الطابو في الموصل بلغ ٧٨٧٠ سند ملكية من اصل ١٥٠٤٠ حيازة^(٣١).

واجهت سياسة تفويض الاراضي بالطابو في العراق عقبات عدة أدت الى فشل تلك السياسة في تحقيق اهدافها. فلم تكن دوائر الطابو تملك الخرائط، ولم يكن لها مساحون، ولا موظفون مثقفون نزهاء. ومن اجل هذا ضاعت الدقة بين الغموض والارتشاء. فكانت تلك الدوائر تعطي أناساً سندات طابو لاراض يملكها الغير، أو اراضي يشك في موقعها الحقيقي او ليس لها حدود معلومة^(٣٢). وكان يُكتفى بوصف حدود القطع وصفاً تقريبياً بعبارات مبهمه حتى انه كان يتعذر معرفة مساحة قطع الارض المسجلة ومواقعها

بالضبط . وكثيراً ما كانت تُعطى سندات يُمنح فيها حق التصرف بالأرض يظهر من منطوق السند ان مساحتها صغيرة ، ولكن اذا اخذ بالحدود المبينة في السند يظهر ان مساحتها تصل الى عدة اميال مربعة . وكان القصد من تخفيض المساحة في السند التخلص من دفع رسوم الطابو (بدل المثل) كاملاً ، واما ما ذكر من حدود واسعة فالقصد منه وضع اليد على ارض اكثر اتساعاً بما يقابل بدل المثل المدفوع^(٣٣) . وقد ترتب على مثل هذا التسجيل الاعتباضي في اواخر العهد العثماني والمراحل اللاحقة خسارة مساحات غير قليلة من الاراضي الاميرية التي لم يكن ممكناً استئجارها لكونها مبعثرة ضمن المقاطعات ، ولصغر مساحتها حتى ان بعضها لا يتجاوز بضعة دونمات وخاصة في مناطق ناحية القوش وناحية زمار والحمدانية التابعة للموصل^(٣٤) . ومن العقبات التي واجهت سياسة التفويض بالطابو أيضاً تردد كثير من الفلاحين وابناء العشائر في تسجيل الارض بأسمائهم خوفاً من ان يكون ذلك مقدمة لدفع ضرائب اعلی اولاداء الخدمة العسكرية في الجيش العثماني . وقد استفاد الزعماء القبليون وملوك الاراضي من اغنياء المدن ومتنفذها لكي يشجعوا الفلاحين على تسجيل الاراضي باسمائهم بل ولجأوا للارهاب والرشوة لتحقيق هذا الغرض ، وهكذا ادت تلك العملية الى تسجيل الاراضي باسماء هؤلاء الأخيرين في المقام الأول . وقد قدر لشرط حياة الأرض في العراق والاستقطاب الاقصى للملكية الاراضي ان يستمر ، في الاقل ، حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ لتظهر كم كانت «محاقة هزيمة هدف مدحت من تسجيل الاراضي» .^(٣٥)

وبقدر تعلق الأمر بولاية الموصل فان عملية تفويض الأراضي بالطابو ، منذ عهد مدحت باشا وحتى نهاية عهد السيطرة العثمانية سنة ١٩١٨ ، أفضت الى النتائج الآتية :

أولاً-

تمكن قليل من القرويين فقط من الاحتفاظ بمقوقهم التصرفية في الاراضي وسجلت باسمائهم ، وان كون نسبة هؤلاء عالية في مناطق معينة من ولاية الموصل لايشكل قاعدة عامة وانما استثناء . ومن ذلك ان ٩٥٪ من الزراع في عقرة والعمادية كانوا يملكون اراضيهم ويزرعونها بأنفسهم ، وفي بعض الأحوال يستخدم الاغنياء منهم رجال العشائر عمالاً زراعيين بالطرق المألوفة^(٣٦) .

ثانياً-

استحوذ الاغوات واثرىاء المدن ومتنفذوها على كثير من الأراضي وسجلوها باسمائهم صفقة واحدة مستغلين مركزهم السابق في القرية كملتزمين لضرائبها ، وكذلك نفوذهم لدى الولاة ، دون اعتبار للحقوق القديمة التي اكتسبها اولئك الذين ظلوا سنيين طويلة يستغلون الارض بصورة منتظمة فيحرقونها ويرعون مواشيهم فيها^(٣٧) . وبمرور الزمن تركز نفوذ الاغوات واستقر وتوسع في كثير من القرى واصبحوا مالكيين لها^(٣٨) . ويرى البعض ان سكوت الدولة العثمانية عن تسجيل مجموعات من القرى باسماء وجهاء ومتنفذي اربيل والسلطانية وكركوك والموصل خلافاً لما ورد في المادة (٨) من قانون الاراضي ، وقد سبقت الاشارة اليها ، يرجع الى رغبة تلك الدولة في ضمان الامن والاستقرار في تلك المناطق^(٣٩) . وقد اعطت قوانين الطابو ، الاغوات الملاكين نوعاً من الاطمئنان حملهم على الانتقال الى المدينة باعتبارها المكان الجديد اللائق بهم ، فساعد ذلك على ظهور مشكلة ملاك الارض الغائبين نتيجة لذلك ، وكذلك بسبب انتقال

ثالثاً-

الأراضي بأساليب مختلفة الى ملاكي المدن ممن لا يمتنون الى الأرض بصلة^(١٠).

كان السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) أكبر المستفيدين من نظام الطابو في العراق، فقد استحوذ منذ أواخر الثمانينات على أراضي زراعية واسعة في ولايات بغداد والبصرة والموصل، وتم ذلك بنفس الطريقة التي حصل عليها حملة سندات الطابو ممن اشتروا الأرض من الدولة من فوق رؤوس فلاحها^(١١).

وقد عُرفت هذه الأراضي باسم «السنية»، واستندت ادارتها الى دائرة خاصة شكلت لهذا الغرض والتي كانت لها فروع عديدة في زمار والشرقاط وشمالك وترجيل والصلاحية (كفري) وطلوزخورماتو وقره تبه وسرجنار وسركه وبازيان وكلغبر^(١٢)، مما يشير الى انتشار أراضي السنية في هذه المناطق. وبعد انقلاب سنة ١٩٠٨ واعلان الدستور العثماني تنازل السلطان عبد الحميد الثاني عن هذه الأراضي فدورت باسم الخزانة العامة وصارت تعرف بالأراضي المدورة^(١٣).

رابعاً-

لم تحقق سياسة تفويض الأراضي بالطابو نجاحاً يكاد يذكر في مناطق العشائر العربية. صحيح ان شيخ عشائر شمر الجريا فرحان ابن صفوك، المعروف بعلاقته الودية مع الاتراك العثمانيين^(١٤)، قد استقر في الشرقاط واصبح واسطة لاسكان افراد عشيرته من البدو^(١٥)، الا ان عدداً كبيراً من افراد عشيرته لم يتحمسوا لفكرة الاستقرار وعارضوها. وقد ترتب على ذلك حدوث خلافات وانشقاقات في اوساط قبائل شمر الجريا^(١٦)، واستمرت عمليات فرض

الخوة ومهاجمة القرى والقوافل التجارية حتى مطلع القرن العشرين. وعلى اية حال يبدو ان المجموعة التي استقرت في الشرقاط واصلت استقرارها واهتمت بزراعة الارض. فقد ذكرت كيرترود بيل G. Bell في تقريرها المعروف عن الادارة البريطانية المدنية في العراق ١٩١٤-١٩٢٠، وفي الجزء الخاص منه بالادارة البريطانية في ولاية الموصل بعد احتلالها من قبل بريطانيا في تشرين الثاني ١٩١٨، ان عجيل الباور، وهو من شيوخ شمر الجريا، كان يزرع في نجمة بالقرب من الشورة بالاشتراك مع أحد اثرياء الموصل وهو محمد النجفي^(١٧). وفيها عدا محاولة توطين شمر الجريا فان الفترة ١٨٧٠-١٩١٤ كانت بداية لتوطين عشائر عربية اخرى في أراضي زراعية، فقد حثت الحكومة العثمانية عشائر اخرى، مثل الجبور والبيكارا والعكيدات على الاستقرار على امتداد نهر الخابور^(١٨).

يلاحظ مما سبق ان سياسة تفويض الارض بالطابو، والظروف التي احاطت بتطبيقها، ادت الى فقدان الكثير من الفلاحين لأراضيهم التي استحوذ عليها الزعماء القبليون واغنياء الموصل وتنفيذوها. وقد تساقب هؤلاء من اجل الحصول على الأراضي الزراعية التي اصبحت مصدراً مهماً لتحقيق الأرباح منذ اواخر القرن التاسع عشر. ويرجع ذلك الى حقيقة أن افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ م واقامة خط مباشر للمواصلات بين العراق (عن طريق ميناء البصرة) واوروبا، قد ادبا الى تسهيل التطور اللاحق للزراعة في العراق^(١٩). فقد دخل العراق النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي، وارتبط باحتياجات السوق الدولية، فازداد الطلب على المنتجات الزراعية على نحو

ملحوظ، كما ازداد التبادل السلمي للمنتجات الزراعية والحيوانية زيادة كبيرة، وبذلك اتسعت المساحات المزروعة بوتائر سريعة، خاصة في جنوبي جبل سنجار والاقسام الغربية من المنطقة الكردية الشمالية^(٥٠).

وعلى اية حال فان السبيل الى تملك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية من قبل الفئات المذكورة لم يقتصر على سياسة تفويض الأرض بالطابو حسب، بل كانت هناك أساليب أخرى لجأوا اليها لتحقيق تلك الغاية. فقد كتبت بيل في معرض حديثها عن ولاية الموصل قائلة: «هناك مايدل على ان معظم الأراضي في المنطقة كانت في الاصل بيد ملاكها الفلاحين، الذين يفلح كل منهم ارضه الخاصة. لكن معظم الاراضي في الحال الحاضر تعود الى ملاكين كبار هم في العادة من سكة الموصل، وهم يملكونها بواسطة سندات طابو. ولدينا شكاوى كثيرة عن كيفية تملك مثل هذه الاراضي. فقد قيل مثلاً ان بعض الفلاحين كان يعرض عليهم شراء أرضهم بسعر يقدر بمقدار ٢٥٪ من السعر الحقيقي، وعندما يرفضون البيع تلفق عليهم بعض قضايا القتل فيرسلون الى السجن ليقضوا فيه سنين عدة مالم يبدلوا فكرهم ووافقوا على البيع. والظاهر ان ادخال نظام الطابو قد مهد لاشراف المدينة الفرص للاحتيال على الفلاحين وغبنهم في اخذ اراضي واسعة وشراؤها بوثائق مزورة وما اشبه. وكان رهن الاراضي من الاسلحة الأخرى التي كان يستخدمها اولئك الناس لسلب الارض. فهناك عدد غير يسير من اصحاب الملك الطابو لم يروا اراضيهم باعينهم مطلقاً...»^(٥١). وتضيف ايضاً أن المسيحيين وحدهم قد نجحوا في اخراج اراضيهم من قبضة الملاك الموصل. وقد يكون السبب في ذلك ان قرى المسلمين لم يكن لها من يحميها ويوصل ظلاماتها الى مسامع الحكومة، عدا استغلالها بظل زبائن من وجهاء المدينة (بشمن).

في حين كان للمسيحيين رجال دينهم الذين ينطقون بأنهمهم. كما كان بوسع الدول الاجنبية ان تتدخل مدعية حماية الذين يتبعون الكنائس الكاثوليكية^(٥٢).

وفي المناطق الجبلية من ولاية الموصل انتقلت ملكية الارض في حالات كثيرة من الفلاحين الى الاغوات ولكن لاسباب مختلفة قليلاً. فقد كان الفلاح هناك معرضاً الى غارات الاكراد الرحل الذين كانوا يغيرون على الحضر وسلبونهم المحصول ويأخذون منهم الماشية^(٥٣). وعلى هذا لم يكن بوسع الفلاح العيش مالم ينصو تحت الحماية التي كان يحصل عليها من الرجل المتنفي في محيطه، لقاء التنازل عن عشر الارض التي يدفع منها السيد الاقطاعي ضريبة للحكومة اقل ما يمكن ان يقنع الاتراك بتقبله منها^(٥٤). اما اليزيديون فقد اضاعوا الكثير من اراضيهم، كما يبدو، ابان حملات التنكيل المتعددة التي قادها ضدهم الاتراك في مناسبات مختلفة، ويبدو هذا واضحاً في منطقة عين سفي بوجه خاص^(٥٥).

ادت التطورات السابقة الى تحول عدد كبير من الفلاحين ضمن حدود ولاية الموصل من مالكين الى مستأجرين للأرض الزراعية التي استحوذ عليها الاغوات والشيوخ وكبار الملاكين من اغنياء المدن. وكان استئجار الارض يتم على اساس نظام المحاصصة. ووفقاً لهذا النظام كان اغنياء الموصل يؤجرون الأراضي الخصبة المحطة بالمدينة الى الفلاحين لقاء اعطاء المستأجر للمالك نسبة ١٠٪ من الحاصل اذا كانت الأرض لاتروى بالواسطة، اما اذا كانت تروى بالواسطة اوسيحاً فان حصة المالك تصل الى ٥٠٪^(٥٦). وقد ضاعف الملاكون تدريجياً استغلالهم للفلاحين من خلال تقليص حصتهم من الحاصل باستمرار. ويبدو هذا جلياً مما ذكرته بيل عن الفلاح في الموصل في مطلع عهد الاحتلال البريطاني لها. فقد

كتبت تقول «والمالك الذي يملك ارضاً أكثر مما يستطيع زراعتها هو بنفسه، ويرغب في استثمارها مباشرة، يستخدم عادة «المربعية». ويُسمى المربعي بهذا الاسم لانه كان في وقت من الأوقات يأخذ لقاء اتعابه ربع الحاصل من الارض التي يزرعها. ويأخذ الآن الثمن، ولذلك فهو كثيراً ما يكون مثقلاً بالدين لسيده بحيث يعد بوجه عام عبداً اقطاعياً يرتبط بالارض»^(٥٧).

ولم يكن وضع الفلاح في المنطقة الكردية بأفضل من وضع نظيره في المناطق الاخرى من ولاية الموصل. فقد كان مستأجر أراضي الطابو يدفع ١٠٪ من المحصول للحكومة و ١٠٪ اخرى للملاك. وإذا قدم الملاك البذور او ماشية العمل للمستأجر فان هذا الاخير ملزم بأن يدفع له أكثر من ذلك مرتين او ثلاثاً. وكان الاغوات عادة يؤجرون عمالاً زراعيين ويدفعون لهم اجرهم عيناً على الاغلب. وإذا ماعاشوا عند الأغا فانه يكتفي باطعامهم فقط وبعد انتهاء العمل يعطيهم ملابس جديدة وقليلاً من النقود^(٥٨). ويبدو ان اغلب هؤلاء العمال كانوا من اولئك القرويين الذين لاسكن لهم، والذين كانوا يعرفون في الموصل واربل باسم «كرمانج» وفي كركوك والسليمانية باسم «مسكين». ويكاد هؤلاء ان يكونوا اقناناً لدى مالك القرية^(٥٩).

لقد كان لنظام المحاصصة آثار سلبية جداً على الفلاحين من حيث مستوى المعيشة وتغطيتها سيما اذا علمنا ان وسائل واساليب الزراعة التقليدية المتخلفة لم تكن تسمح للفلاح بأن يزرع سوى مساحة محدودة جداً من الارض. وقد لاحظ الكثيرون ان الفلاحين الذين يؤجرون الارض كانوا يسكنون في اكواخ حقيرة غير ملائمة^(٦٠)، لانهم كانوا معرضين للطرد من قبل الملاك في اية لحظة. فقد كانت الارض تؤجر للفلاح المحاصص دون تثبيت مدة محددة للايجار، ولم يكن هناك اي عقد او اتفاق

تحريري يحدد واجبات الطرفين ومسؤولياتها والتزاماتها. ولذلك كان الفلاح اشبه بالعامل الأجير في خضوعه لرب عمله ولكنه كان يختلف عن العامل في ان اجوره لم تكن نقدية مقطوعة لساعات العمل او لأيام محدودة. كما انه كان معرضاً للطرد الكفني الفاجي لأفنه الاسباب، على الرغم من قيام افراد عائلته باداء شتى الخدمات الشخصية لأسرة الملاك. ولم يكن امام الفلاح المطرود سوى الانتقال الى ارض اخرى للعمل فيها بعد بناء كوخ جديد لعائلته. ولا يمكن لانسان غير مستقر كهذا الفلاح ان يبذل جهداً لتحسين بيئته الطبيعية^(٦١).

حيازة الأرض خلال الاحتلال والانتداب البريطاني :

يمكن القول ان نظام حيازة الارض الزراعية في الموصل لم يشهد تغييراً يكاد يذكر ابان عهد الاحتلال والانتداب البريطاني ١٩١٨ - ١٩٣٢. ولقد اعترف البريطانيون ان الكثير من المنازعات والخلافات حول الاراضي كانت قائمة في ولاية الموصل، وخاصة في تلعفر وسنجار، بسبب الفش في التسجيل^(٦٢). ومع ان الموافقة صدرت في سنة ١٩٢٢ لتشكيل لجنة لتسوية منازعات الاراضي بين الملاكين في منطقة تلعفر وسنجار^(٦٣)، الا انه يبدو ان هذه اللجنة لم تتمكن من تسوية جميع المشكلات القائمة. وقد ادّى استمرار هذه المشكلات في الموصل واتجاه اخرى من العراق الى نتيجة لخصها دوسن بالقول «وليس من المبالغة ان يقال ان الارتباك الناشئ عن عدم الثقة والتزعاج القائم بين الذين يدعون ملكية الارض ذات تأثير سيء في كل من تقدم البلاد الزراعي ونوعية نظامها الاجتماعي»^(٦٤).

لم يكن للانكليز سابق معرفة بطبيعة النظام الذي كان يحكم مسألة الاراضي في العراق ولذا فضلوا الابقاء على النظام السائد واكتفوا بمعالجات

قاصرة لهذه المسألة تضمنتها بيانات القائد العام لقوات الاحتلال البريطاني وقرارات المتدوب السامي البريطاني^(١٥). وقد ركز غالب هذه البيانات والقرارات على الأراضي الاميرية وكيفية التصرف بها وتسجيلها باسماء مستحقها من الافراد، دون التعرض لأراضي الملك الصرف الامر الذي يشير صراحة الى اعتبار التصنيف العثماني حقيقة ثابتة^(١٦). اما القوانين الصادرة خلال السنوات ١٩٢١-١٩٣٢ فلم تتناول جوهر نظام الأراضي ولم تستحدث أسساً ومبادئ جديدة في اسلوب التعامل مع الارض^(١٧).

ولقد وجدت السلطات البريطانية ان من مصلحتها الابقاء على الأسس التي استندت عليها القوانين العثمانية، ويأتي في مقدمتها حق الدولة في الملكية القانونية لمعظم اراضي العراق اذ ان في ذلك ميزتين مهمتين: اولها ان اعطاء السلطة البريطانية سيادة قانونية مطلقة على معظم الأراضي يمكنها من استخدامها كاداة للضغط على القوى المحلية من اجل تعزيز احتلالها. وثانيها تخفيف الأعباء المالية عن السلطات البريطانية في العراق لأنها ستستوفي من حاصلات الأراضي الحصة المقررة للدولة باعتبارها بديلة عن السلطة العثمانية. ولتسوين ذلك ذهب الانكليز الى القول بان اجراء اي تغيير فجائي يخمس القواعد التي كانت تستند اليها اعمال «تملك الارض» حسب القوانين العثمانية، رغم اخطائها، سيكون أمراً مؤسفاً وشيئاً لا يضرطرابات سياسية في البلاد. كما زعموا أن قانون الأراضي العثماني جيد بمحد ذاته غير ان المشكلات والمصاعب نجمت عن سوء تطبيقه. لذا فقد وصفت البيانات والنظم التي سنتها السلطات البريطانية بشأن مشكلات الأراضي بأنها موافقة لروح قانون الأراضي العثماني^(١٨) ومن الأمور الثابتة التي لا تحتاج الى شرح أن السياسة البريطانية في العراق أكدت على ضرورة

دعم الزعامات القبلية وكسبها الى جانب السلطات البريطانية بما يجعلها احدى الدعومات الاساسية للسلطة البريطانية الاستعمارية. وفي ضوء ذلك فان السياسة البريطانية حرصت على عدم السماح بأي اختلال في ميزان القوة في المجتمع العراقي من خلال اضعاف قبضة الزعماء القبليين على الارض^(١٩). بل ان السلطات البريطانية عملت على توسيع سلطة اولئك الزعماء القبليين، وخاصة اولئك الذين تعاونوا معها، وتشديد قبضتهم على الأرض وتسهيل حصولهم على مساحات اضافية واسعة على حساب الفلاحين الذين ازدادوا فقراً. وفي هذا السياق منحت السلطات البريطانية زعماء القبائل الموالين لها سلطات مطلقة على افراد قبائلهم وعلى الارض التي يستقرون فيها. ومنذ سنة ١٩٢٣ اصدرت سلطات الانتداب البريطاني سلسلة من القرارات والمراسيم تقضي بتسليم ارض القبائل ملكاً خاصاً لزعمائها وافراد القبائل. غير ان زعماء القبائل اصبحوا، بحكم الممارسة، من كبار الملاكين لا بل الملاكين الوحيدين في مناطقهم في حين تحول افراد القبائل الى مزارعين^(٢٠). وانسجاماً مع هذه السياسة، وبمقدرة تعلق الأمر بالموصل، فقد اشارت وثيقة بريطانية الى حصول بعض شيوخ العشائر العربية فيها على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية. وبأن هذه الأراضي منحت لهم لأجل توطين عشائرتهم لكنهم قاموا بزراعة الارض لمنفعتهم الخاصة مستخدمين مزارعين اجراء دون محاولة توطين عشائرتهم^(٢١). وخلال هذه الفترة كان شيخ مشايخ شمر عجيل الياور قد برز واحداً من الشخصيات المهمة في الموصل واكبر ملاكي الأراضي فيها. وقد شملت ممتلكاته مساحات واسعة في شمال الجزيرة^(٢٢) في العشرينات. ومع نهاية الثلاثينات انتشرت الأراضي العائدة له في الشرقاط وتكريت وتلعفر وقرب جبل سنجار. وقد قام افراد من عشيرة الجبور بزراعتها، وقد حفر عجيل الياور

عدداً من الآبار فيها واستخدام مضخات كهربائية لتوفير المياه اللازمة^(٧٦).

وفي المناطق الكردية من الموصل عمدت السلطات البريطانية الى ترجيح كفة الاغوات وتمكينهم من الاستحواذ على الاراضي مفرطة في ذلك بحقوق الفلاحين برغم معرفتها السابقة بالكيفية التي انتقلت بها تلك الأراضي لهؤلاء الاغوات. وهكذا أصمت آذانها عن سماع مطالب الفلاحين وشكاواهم وانشغلت في اقرار تسويات بين الاغوات قائمة على اساس الموازنة فيما بينهم^(٧٧).

اما كبار ملاك الأراضي من اغنياء المدن ومتنفذيها فقد استفادوا، شأنهم شأن الشيوخ والاغوات، من بعض القوانين الزراعية التي صدرت ابان عهد الانتداب البريطاني لتوسيع ملكياتهم الزراعية على حساب بقية الفلاحين. مثال ذلك «قانون تشويق الزراع لاستعمال المضخات» الذي صدر سنة ١٩٢٦. فقد نص هذا القانون على اعفاء الحاصلات الناشئة من استعمال وسائل الري الآلية في الأراضي المزروعة وجميع الحاصلات الناشئة من استعمالها في الاراضي غير المزروعة، من الضرائب لمدة اربعة مواسم حصاد متوالية ابتداءً من تاريخ نفاذ القانون على ان يشمل الاعفاء المضخات التي اقيمت قبل نفاذ القانون المذكور أيضاً^(٧٨). وقد استفاد من هذا القانون فئة قليلة جداً من الشيوخ والتجار والمربين. فقد استغل هؤلاء المضخات لتوسيع ملكياتهم الزراعية او للدخول الى الريف، بالنسبة للتجار، للحصول على الاراضي الزراعية التي اصبحت تُعطى لهم مجاناً من قبل سلطات الانتداب بمجرد ان يستخدم الشخص المضخة الزراعية في ارواء الارض واستغلالها للانتاج الزراعي. وبذلك فقد كثير من المزارعين ملكياتهم الزراعية وتحولوا الى محاصصين لدنى صاحب

المضخة لقاء نسبة معينة من الحاصل^(٧٩). مثل هذا التحول كان يتم بوسائل مختلفة اهمها شراء المضخات من قبل الشيوخ واغنياء المدن الذين كانوا يبيعونها بدورهم الى الفلاحين باقساط مؤجلة وبأرباح مفرطة. فاستطاعوا بهذه الطريقة من الحصول على الارض نتيجة اغراق الفلاحين بالديون وعجزهم عن ايفائها^(٨٠). كما استفاد اصحاب المضخات من اغنياء المدن والشيوخ من قوانين تسوية الاراضي التي صدرت في بداية الثلاثينات بوصفهم «متصرفين» في الارض كما سيرد ذكره.

لم تشهد فترة الاحتلال والانتداب معالجات جادة لتسوية مشكلات الاراضي في العراق. وكانت الدوائر التي عهدت اليها مسألة الأراضي وايراداتها^(٨١) تفتقر الى الخرائط اللازمة^(٨٢). ولم يكن في الاولوية موظفون مختصون للقيام بمهام ادارة الاراضي والاملاك الاميرية حتى سنة ١٩٢٦^(٨٣). ونتيجة لما آلت اليه مسألة حياة الاراضي من ارتباك وتعقيد، والتدهور المستمر في احوال الفلاح العراقي، وضغط القوى الوطنية المطالبة بالاصلاح، سعت الحكومة العراقية الى إيجاد حل لهذا الموضوع. وفي نهاية العشرينات جلبت سجلات الاراضي القديمة من استانبول للمباشرة بتسوية الحقوق المترتبة على التصرف في الاراضي^(٨٤). كما استقدمت خبير الاراضي ارنست دوسن، المساح العام للحكومة المصرية سابقاً وطلبت منه ان يدرس قضايا ايجار الارض والتراميات^(٨٥).

وجد دوسن ان «الدولة تملك قانونياً غالبية الارض ولكن التصرف الفعلي فيها للقبائل وشيوخها». وهذا التصرف اما مجرد تجاوز لا سند له البتة، او أنه مستند على سندات الطابو الغامضة الوهمية والتي يجب ان لا يعتد بها بما هو ثابت الحدود والمساحة منها». ووجد ان الطمع قد استبد بشيوخ

العشائر فاعتدوا على حقوق افرادهم وارجعهم الى حال من العبودية والبؤس. وبان الوضع السياسي الجديد في العراق، ومقتضيات الدولة الحديثة يستلزمان القضاء على النظام القبلي واقترح لضمان ذلك :

اولاً- انشاء دائرة لها صفة قضائية للبت في حقوق الأراضي وتعيين عائديتها.

ثانياً- تقسيم الارض بين افراد العشائر حسب تصرفهم الفعلي فيها وحسب العرف المحلي، اي ان تُعطى للشيوخ خمسها ويوزع اربع اخماسها على افراد العشيرة.

ثالثاً- تثبيت الحقوق في الأرض الى ساكنيها القبليين المتصرفين بها.

رابعاً- قيام الحكومة بتفويض حقوق التصرف في الأرض فقط وابقاء ربة الارض بيدها. اذ على الحكومة في بلد مثل العراق له امكانات كبيرة للتوسع الزراعي ان تحتفظ بملكيتها للارض لتستطيع ان تواجه التوسعات الزراعية في المستقبل.

وفضلاً عن تلك النقاط الجوهرية تضمن تقرير دوسن الفصل عن الأراضي في العراق^(٨٣)، مقترحات أخرى عن شؤون الري والمسح والادارة^(٨٤). وقد كان هذا التقرير اساساً لقانون تسوية حقوق الأراضي الذي اصدرته الحكومة العراقية سنة ١٩٣٢، وهي السنة التي انتهى فيها عهد الانتداب البريطاني على العراق.

لم تختلف سياسة الحكومة العراقية في مجال حيازة الأرض الزراعية عن السياسة التي رسمتها سلطات الاحتلال والانتداب البريطاني سابقاً من حيث مبادئها الاساسية. والواقع ان سياسة الحكومة العراقية في هذا المجال كانت نتيجة «منطقية» للسياسة البريطانية السابقة. فقد وضع البريطانيون اساساً قوياً ليس لنفوذ كبار الاقطاعيين والزعماء القبليين في المجتمع العراقي حسب، بل

ولدورهم في النظام السياسي للمملكة العراقية ايضاً. فمن خلال تسلمهم مناصب عليا في البلد. وهيمتهم على نسبة غير قليلة من مقاعد البرلمان العراقي^(٨٥)، صار هؤلاء الاقطاعيون والزعماء القبليون في مركز يمكنهم من توجيه سياسات المملكة العراقية وتشريعاتها في هذا المجال بما يخدم مصالحهم، فضلاً عن استخدام نفوذهم المتزايد لتوسيع ملكياتهم الزراعية والتجاوز على حقوق الفلاحين واستغلالهم الى اقصى الحدود. ووفقاً لما ذكره احد الباحثين فان «كبار ملاكي الأراضي في العراق هم وحدهم حكام البلاد الحقيقيون، وهم وحدهم يقررون الحالة المعاشية للفلاحين وعمال الارياش»^(٨٦). وفي ضوء ذلك فان معظم القوانين التي صدرت بشأن الأراضي والزراعة كانت تهدف الى حماية مصالح كبار ملاكي الأراضي في العراق، أوانها آلت في نهاية المطاف الى مصلحة هؤلاء عند التطبيق. واهم هذه القوانين هي :

١- قانون تسوية حقوق الأراضي رقم ٥٠ لسنة ١٩٣٢ :

كان الغرض من اصدار هذا القانون تعيين صنف الأراضي وعائديتها، وتثبيت الحقوق المتعلقة بالاراضي وكذلك العلاقات الخاصة بالتصرف واللزمة وغيرها، وتحديد حدود الأراضي وتعيين مساحتها، وتسجيلها بأسماء اصحابها. وقد قسم القانون الأراضي الى اربعة صنف وهي المملوكة والموقوفة والمتركة والاميرية. وجعل الصنف الاخير، اي الأراضي الاميرية، ثلاثة انواع وهي :

اولاً- الأراضي الاميرية المفوضة بالطابو: وهي التي سجل حق التصرف فيها الى من كانت لديه سندات طابو تثبت عائديتها له وكان قد تصرف فيها فعلاً مدة العشر سنوات السابقة على تسويتها.

ثانياً- الأراضي الأميرية الممنوحة باللزمة : وهي الأراضي التي مُنح حق استغلالها الى شاغلها المتصرفين فيها فعلاً مدة الخمس عشرة سنة السابقة على تسويتها ، فحق اللزمة ينبثق من السكن والزراعة في الارض . ويشمل ذلك صاحب المضخة الذي سقى بمضخته الارض التي كانت غير مزروعة خلال المدة ذاتها .

ثالثاً- الأراضي الأميرية الصرف : وهي الأراضي التي تبقى حقوقها وعائداتها بيد الحكومة ولوزارة المالية ان تؤجرها او تعطيا بالالتزام^(٨٧).

أناطت السلطات المختصة عملية تسوية حقوق الأراضي في العراق بلجان خاصة عُرفت بـ «لجان التسوية» . وحددت مهمة هذه اللجان بتدقيق السندات والوثائق التي يبرزها اصحاب العلاقة ثم اصدار قرار يرجع الحقوق على الادعاءات لمصلحة الاشخاص المعنيين . وقد اعطت قوانين التسوية اصحاب العلاقة حق الاعتراض على القرارات التي تصدرها لجان التسوية وذلك خلال مدة محددة بعد صدورها . وقد ادعى توسع اعمال التسوية وزيادة الاعتراضات على القرارات التي اصدرتها لجان التسوية الى انقلاب اعمال التسوية وخروجها من ايدي الدوائر المالية الى ايدي دوائر العدل . فقد فصلت مديرية التسوية العامة عن وزارة المالية والحقت بوزارة العدل سنة ١٩٣٨ . واصدرت الوزارة الاخيرة في سنة ١٩٤٥ قراراً بتشكيل محاكم الاستئناف في ستة مناطق من العراق بضمها الموصل^(٨٨).

ونظراً لسعة لواء الموصل فان مهمة التسوية فيه انطت بلجتين ، اختصت احدها بتسوية الأراضي الكائنة في الجهة اليسرى من نهر دجلة والآخرى في الجهة اليسرى منه . وكانت اعمال التسوية في الجهة اليمنى اسرع من اعمال التسوية

في الجهة اليسرى لوجود مناطق جبلية كثيرة فيها مما يصعب معها الاسراع في انهاء تسويتها^(٨٩) . وبحلول سنة ١٩٥١ كانت لجان التسوية في الموصل قد انجزت اعمالها في تلكيف والقوش والشورة والحمدانية والشيخان وعشائر السبعة^(٩٠) . وعند قيام الجمهورية العراقية سنة ١٩٥٨ لم تكن لجان التسوية قد اتمت اعمالها ، ومع انها استمرت في العمل لغاية سنة ١٩٦٩ الا ان تغييراً ملحوظاً حصل على اعمالها ، فبدلاً من ان تكون لجان التسوية واجهتها مطلقة اليد في اقرار التصرف او منح اللزمة وهو ما كانت تسير عليه في الماضي ، اصبح مجال عملها اعداد بعض مستلزمات عملية الاصلاح الزراعي لاغير^(٩١) .

لم يحقق قانون التسوية الغرض الذي توخى تحقيقه عند اصداره ، فقد سمح القانون للرعاة القبليين بالحصول على الأراضي التي كانت بالأصل مشاعة بين افراد القبيلة كملكيات خاصة . ونتيجة لذلك فقد خفض مستوى رجال القبيلة ، الذين كانوا يتمتعون بحقوق عريقة لاشغال الارض وزراعتها ، الى مستوى مزارعين بالحصّة او عمال زراعيين^(٩٢) . وقد نشأ ذلك ، في معظم الحالات ، بسبب تحيز رؤساء لجان التسوية الذين اشتهروا بجهولهم وعدم اهلبيتهم وارتشائهم . وكانت اغلب اتصالات هؤلاء مقتصرة على الرعاة القبليين ونادراً ما كانوا يتصلون بالفلاحين اصحاب المصلحة الحقيقية . أما اللجان نفسها فكانت محطاً لكبار الموظفين الذين حال قصر فترة توليهم مسؤولية ادارة تلك اللجان دون اكتسابهم الخبرة التي تُعد ضرورة لفهم طبيعة واعراض مشكلة الارض الزراعية في العراق . وقد جاء معظم قرارات اللجان دعماً لادعاءات الرعاة القبليين الذين تحولوا بفضل هذا الدعم الرسمي الى مالكيين شرعيين للجزء الاكبر من اراضي العشائر . ولم تقتصر محاباة لجان التسوية على الشيوخ حسب ، بل شملت ايضاً

عدداً لا بأس به من كبار ملاكي الأراضي في المدينة. وقد لخص تقرير البعثة التي نظمتها البنك الدولي للأنعام والأعمار، هذه الحقيقة بالقول «وقع القسم الكبير من الأراضي الخالية الصالحة للتوسع في إنتاج المحاصيل والعائدة للدولة في أيدي كبار الاقطاعيين في العقود السابقة. وقد عزز ما يُسمى بقانون تسوية حقوق الأراضي لسنة ١٩٣٢ هذه العملية. فهذا القانون حوّل لجان التسوية بتسجيل الأرض بأسماء الأشخاص القادرين على اثبات استغلالهم لها لفترة الخمس عشرة سنة السابقة لتشريعها. ولكن هذه اللجان اعتادت، من الناحية العملية، على الاعتراف بأنهم الاثباتات الى درجة انها لم تردّد أحياناً في تسجيل الأرض بأسماء اشخاص لم يقوموا باستغلالها حتى لسنة واحدة. وهكذا فقد استطاع الشيوخ والمتنفذون الآخرون من تسجيل مساحات واسعة من الأرض باسمائهم دون مقابل» (٩٣).

٢- قانون اللزومة رقم ٥١ لسنة ١٩٣٢ :

صدر هذا القانون على اساس قانون تسوية الأراضي رقم (٥٠). وقد أعطى قانون اللزومة صفة قانونية تحت عنوان «حقوق اللزومة» لنوع من طرق التصرف بالأراضي كان شائعاً في الماضي دون ان يكون مرتكزاً على اساس سوى العرف والعادة (٩٤). ووفقاً لمنطوق المادة (١١- أ) من قانون تسوية الأراضي رقم ٥٠ لسنة ١٩٣٢ فان حقوق اللزومة تمنح «الى الشخص الذي تصرف في الأراضي الاميرية او الى من حل محله على ان يكون قد استثمارها خلال مدة الخمس عشرة سنة السابقة لتاريخ التسوية. ويعد صاحب المضخة عادة متصرفاً في الأرض المسقاة من مضخته ما لم تكن قد زرعت خلال المدة ذاتها» (٩٥).

جرى تطبيق قانون اللزومة جنباً الى جنب مع قانون تسوية الأراضي من قبل لجان التسوية. وقد

أسفر تطبيقه عن نفس النتائج التي آل اليها قانون تسوية الأراضي. فقد سارع الشيوخ وملاكو الأراضي في المدينة الى نصب المضخات في الأرض وارشاء لجان التسوية لاثبات تصرفهم في الأراضي الاميرية. ويقدر تعلق الامر بلواء الموصل فان تطبيق قانون اللزومة فيها أدى خلال السنوات ١٩٣٣- ١٩٥٤ الى منح أراضي باللزومة في حيازات تزيد مساحة كل منها عن ١٠,٠٠٠ دونم. وقد بلغ عدد هذا النوع من الحيازات في اللواء ٢٨ حيازة بلغت مساحتها الاجمالية ٥٢١٢٥٢ دونم (٩٦). وفي السنة التي تنتهي عندها هذه الاحصائية، اي سنة ١٩٥٤، كان المجموع العام لعدد المضخات، التي كانت وسيلة رئيسة لاثبات التصرف بالأرض، قد بلغ ١٢٨ مضخة في لواء الموصل (٩٧).

٣- قانون تحديد حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣ :

يُعد هذا القانون، الذي وصفه احد الباحثين بحق بأنه «موغل في الرجعية والظلم الاجتماعي» (٩٨)، واحداً من الأمثلة الصارخة على موقف الحكومة العراقية في العهد الملكي المؤيد لمصالح كبار الملاكين. ويبدو ذلك واضحاً من مواد هذا القانون التي نظمت جوانب عدة من العلاقة بين الملاكين والفلاحين بشكل يضمن مصالح الفئة الاولى ويشدد قبضتها ويمكئها من مضاعفة استغلالها للفتة الثانية. فقد أكد هذا القانون الموقع الاجتماعي للملاكين سواء كانوا مستأجرين للأرض أم اصحاب مضخات أم ملتزمين للأرض، وذلك باعطائهم تفويضاً خطياً باعتبارهم دافعي الضريبة (احد الاسس المهمة لاثبات التصرف بالأرض) وتقع على عاتقهم مهمة استثمار الأرض وعمرانها، ويشمل ذلك فرز الأرض الصالحة للزراعة الصيفية أو الشتوية واختيار انواع البذور وتعيين اوقات السقي وكيفية توزيع المياه بين

جماعات الفلاحين. ويقوم الملاك أيضاً بتعيين أماكن سكن الفلاحين واختيار محلات جمع الحاصلات وتعيين ميعاد الحصاد وموعد نقلها الى الأسواق. والزم القانون الفلاح بتنفيذ جميع الأوامر الصادرة من الملاك، وتحددت حصة الفلاح بنصف المحصول بعد اخراج حصة الحكومة. وعُد القانون الديون الزراعية، اي ديون الملاك المترتبة بذمة الفلاح بمثابة على سواها من الديون ماعدا الضرائب، والزم الفلاح بتسديد جميع تلك الديون. كما حظر القانون على الفلاح الانتقال من مكان الى آخر الا بتصريح خطي من الملاك صادقت عليه الحكومة. وفرض القانون عقوبات رادعة على الفلاحين في حالة مخالفتهم لاي من احكام هذا القانون^(٩٩).

وفما عدا هذه القوانين الثلاثة راحت الحكومة توطد مركز كبار المستفيدين من قانون التسوية بعدد من القوانين كقانون بيع وإيجار الاملاك العائدة للحكومة رقم (٣٤) لسنة ١٩٣٦، وقانون بيع الاراضي الاميرية رقم (١١) لسنة ١٩٤٠، وقانون تفويض الاراضي الاميرية رقم (٤٨) لسنة ١٩٤١، ومرسوم بيع الاراضي الاميرية رقم (١١) لسنة ١٩٥٤. وقد كان الغرض من استصدار هذه القوانين تمليك الاراضي الزراعية للقطاعيين وأصحاب رؤوس الاموال الذين أفلحوا فعلاً في تسجيل مساحات كبيرة من الأراضي الأميرية كملك صرف باسمائهم^(١٠٠). وقد نجم عن ذلك هــ خراب في الزراعة وفي الانتاج وفي الاقتصاد وفي السياسة^(١٠١)، وكان الفلاح هو الضحية الاولى.

ان كل المصادر التي درست موضوع الارض والفلاح في العراق تجمع، بلا اي استثناء تقريباً، على تدهور اوضاع الفلاحين وظروف معيشتهم وشروط عملهم في الارض إبان العهد الملكي بدرجة كبيرة. وقد نشأ هذا الوضع عن تركيز ملكية

مساحات واسعة جداً من الأراضي الزراعية بيد فئة قليلة جداً من الشيوخ والاغوات واغنياء المدن. وطبقاً لاحصاء السكان سنة ١٩٥٧ بلغ عدد المشتغلين في الريف من فلاحين وملاكين حوالي ٨٥٢٠٠٠ شخص. وكان ٨٠٪ من هؤلاء، اي حوالي ٦٨٤٠٠٠ شخص، من الفلاحين المعدمين الذين لا يملكون ارضاً. والى جانب هذه الظاهرة هناك ظاهرة اخرى وهي ظاهرة الملاكين الصغار والمتوسطين. فعلى الرغم من ان هؤلاء يمثلون حوالي ٩٨٪ من الملاكين الزراعيين، فانهم لا يملكون الا اقل من ثلث مساحة الاراضي الزراعية. ومع ذلك فان حوالي ١٣٪ من مجموع الملاكين الزراعيين من الملاكين المتوسطين يستحوذون على ٥ ملايين دونم او ٣١,٥٪ من مجموع مساحة الملكية الزراعية في العراق، بينما لا يسيطر ٨٦,١٪ من مجموع الملاكين الصغار إلا على ٢,٤ مليون دونم، او حوالي ١٠٪ من مساحة الاراضي الزراعية في العراق، مما يقرب هؤلاء من الفلاحين المعدمين. اما كبار الملاكين والقطاعيين الذين بلغ عددهم ٣٤١٨ شخصاً، اي ٢٪ فقط من مجموع الملاكين الزراعيين فكانوا يملكون حوالي ١٥,٨ مليون دونم اي ٦٨٪ من مجموع مساحة الاراضي الزراعية في العراق. وهذا يعني ان الملاكين الكبار كانوا على المعدل يستمرون حوالي ٢٠٠ عائلة فلاحية، في حين يستثمر كبارهم حوالي ٢٠,٠٠٠ عائلة فلاحية^(١٠٢).

لقد استمر الفلاحون في زراعة اراضي الملاكين وفق نظام المحاصصة كما في السابق. الا أن هذا الشكل من اشكال العلاقة السائدة بين الفلاح والمالك لا تمتع التأكيد بان بنية المجتمع العراقي انذاك كانت بنية اقطاعية^(١٠٣). وبقدر تعلق الامر بالموصل والمناطق الشمالية الاخرى من العراق، فان نصيب الفلاح من المحصول كان يختلف حسب اختلاف وسائل الري ومدى خصوبة التربة ومقدار ما يستثمره المالك من رأس المال في الارض،

وحسب نوع استقرار الفلاح في الارض ان كان حديثاً ام قديماً. ومن الممكن القول بان حصة الفلاح في القرى الجبلية^(١٠٤) التي يتكفل المالك فيها بتزويده بالحبوب والآلات تبلغ $\frac{2}{3}$ المحصول الشتوي و $\frac{1}{3}$ المحصول الصيفي. اما اذا لم يتول المالك الاتفاق على الارض فان حصة الفلاح تكون $\frac{9}{10}$ المحصول الشتوي و $\frac{2}{3}$ المحصول الصيفي. اما حصة الفلاح في المنطقة شبه الجبلية فتبلغ $\frac{3}{5}$ المحصول الشتوي و $\frac{2}{3}$ المحصول الصيفي، ولكنها تهبط الى $\frac{2}{7}$ المحصول الشتوي او الصيفي في الاراضي التي تروى بالمكائن. غير ان حصة الفلاح كانت في الحقيقة اقل من النسب المذكورة لانها تخضع الى ضرائب متنوعة يفرضها المالك على الفلاح^(١٠٥). وكمعدل عام قدر احد الباحثين حصة الفلاح من المحصول قبل صدور قانون اصلاح الزراعي سنة ١٩٥٨ بنسبة ٤٠٪ في المناطق المروية و ٥٥٪ في المناطق الديمة^(١٠٦). وتشير نتائج احدى الدراسات الميدانية التي اجريت سنة ١٩٥٨ في احدى قرى المنطقة الشمالية من العراق الى ان معدل صافي الدخل السنوي لاسرة فلاحية مكونة من ٦ افراد قد بلغ ٥٤ ديناراً فقط، أو ٩ دنانير لكل فرد في الاسرة^(١٠٧). وتنعكس هذه النتيجة مستوى المعيشة المنخفضة للغاية للفلاح في تلك المناطق، اما وضع نظيره في المناطق الجنوبية في العراق فكان اسوأ منه. وقد ادعى هذا الدخل المنخفض الى ثلاثة مظاهر بارزة في حياة سكان الريف وهي سوء التغذية وتدهور السكن وعدم كفاية اللبس، مع ما ترتب على كل ذلك من امراض فتاكه مثل ذات الرئة والاسهال والانيميا والملاريا وغيرها^(١٠٨). وما زاد من تفاقم هذه الحالة اهمال الريف وافتقاره الى الخدمات والمؤسسات الصحية والتعليمية.

ان هذا الوضع البائس في الريف العراقي عموماً دفع القوى الوطنية والصحافة العراقية

والمثقفين العراقيين الى مطالبة الحكومة العراقية على نحو متواصل بضرورة العناية والاهتمام باحوال الفلاحين وتمليكهم الارض وانقاذهم من براثن الاقطاعيين، فضلاً عن تقديم وتوفير الخدمات الاساسية للريف العراقي^(١٠٩). وفي هذا السياق اولت الصحافة الموصلية اهتماماً باوضاع الفلاحين، ونقلت على صفحاتها وصفاً دقيقاً لاحوالهم البائسة، وقدمت الاقتراحات المتبينة لتخليصهم من واقعهم المزري وتحسين احوالهم الاقتصادية والاجتماعية ونهت الحكومة العراقية الى الاهتمام بالقرية العراقية والاسراع في تقديم الخدمات الثقافية والصحية لها، كما ادانت استغلال المرابين للفلاحين ودعت الى وضع حد لجشعهم واستغلالهم للفلاحين بتأسيس مصرف زراعي، ودعت الى توزيع الاراضي على الفلاحين وتمليكها لهم، كما انتقدت بشدة النظام الاقطاعي وعدته من مشكلات البلاد الاساسية، وعارضت القوانين المحيطة بحق الفلاحين وبخاصة قانون «حقوق وواجبات الزراع» لسنة ١٩٣٣^(١١٠)

وفضلاً عن ضغط القوى الوطنية وحملات الصحافة العراقية، فان الحكومة العراقية اخذت تشعر بخطر استمرار مشكلة الاراضي وما يترتب عليها من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية، وفي مقدمتها الانتفاضات الفلاحية المتكررة، وهجرة الفلاحين من الريف الى المدينة على نطاق واسع. وكانت هذه الهجرة في المناطق الجنوبية من العراق اكبر بكثير منها في المناطق الشمالية ومن ضمنها الموصل^(١١١). وقد ادت هذه الهجرة المتزايدة الى تفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في المدينة العراقية، ومن بينها ازدياد نسبة البطالة فيها.

في ضوء ما سبق قامت الحكومة باتخاذ عدة اجراءات قانونية وغيرها لتخطي القضية الزراعية، ومجابهة رأي وموقف الماندين بالاصلاح الزراعي،

ومعالجة ردود الفعل لدى الفلاحين^(١١٣). فقد اصدرت القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٣٥ بخصوص انشاء «المصرف الزراعي - الصناعي العراقي» ، الذي انيطت به مهمة تقديم القروض للفلاحين^(١١٤). كما اصدرت قانون تشييد القرى الحديثة رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٦ ، لكن هذا القانون لم يجد سبيلاً الى التطبيق نتيجة الظروف السياسية غير المستقرة آنذاك^(١١٥)، وهيمنة الاقطاعيين وشيوخ العشائر الذين كان همهم محصوراً في جمع المال^(١١٦).
قانون اعمار واستثمار الاراضي الاميرية :

بيد ان اهم اجراء للحكومة العراقية تمثل في خطط ومشروعات الملكية الصغيرة في الاراضي الاميرية الصرفة ، وبما يتضمن توطین البدو أيضاً. وقد بدأ تنفيذ هذه الخطط والمشروعات منذ اواسط الثلاثينات في مناطق مختلفة من العراق^(١١٧). اما في لواء الموصل فان تنفيذ مثل هذه المشروعات بدأ في اوائل الخمسينات بعد صدور قانون اعمار واستثمار الاراضي الاميرية الصرفة رقم ٤٣ لسنة ١٩٥١^(١١٨). وكانت اراضي مشروع الموصل تقع بشكل خاص في اقصية سنجار وتلعفر وعقرة وزاخو حيث وزعت اراضي المشروع على شكل وحدات استثمارية تتراوح مساحة كل واحدة منها بين ١٠٠ و ١٥٠ دونماً تروى معظمها ديمياً. وكان الهدف الرئيس لهذا المشروع ، الذي تربو مساحته على ٧,٥ مليون دونم ، توطین عشائر منطقة بادية الجزيرة بواقع ٢٠,٠٠٠ نسمة من عشائر اليزيدية و ٣٠,٠٠٠ نسمة من عشيرة شمرو ١,٥٠٠ نسمة من عشيرة البومتيوت و ٣٠,٠٠٠ نسمة من عشيرة الأعافرة و ٤٠,٠٠٠ نسمة من عشائر الجبور ، وبضعة آلاف من العشائر الأخرى مثل الجمشيش والعكيدات والبوحمدان والحيايين والبویدران وغيرهم. وقد بدأ توزيع الوجبة الاولى من الوحدات الاستثمارية في مشروع الموصل بتاريخ ١ تشرين الاول ١٩٥٢ ، وبحلول سنة ١٩٥٧ كان

قد تم توزيع ٣٨٣٤ وحدة استثمارية^(١١٩). وقد نفذت مشاريع اخرى مماثلة في شهرزور في لواء السليمانية والحويجة في لواء كركوك واللطيفية في لواء بغداد ومخمر في لواء اربيل وغيرها من المشروعات. وتشير الاحصائيات الى ان اوضاع الأسر التي حصلت على تلك الوحدات الاستثمارية من حيث الإيرادات وتكاليف المعيشة أصبح أفضل قليلاً من الوضع المعاشي لاية عائلة فلاحية في ظل الاوضاع شبه الاقطاعية التي كانت سائدة في العراق آنذاك^(١٢٠).

وعلى اية حال فان مشروعات الملكية الصغيرة في الأراضي الاميرية الصرفة لم تكن سوى حلاً جزئياً. قاصر لمشكلة الارض والفلاح في العراق ، كما ان نصيب الاجراءات الحكومية في هذا المجال كان القشل في اغلب الاحيان. ويرجع ذلك الى سيطرة الاقطاعيين على معظم الاراضي المراد توزيعها ، أو انعدام وجود المبالز ومشاريع الري الضرورية. كما يعود سبب القشل الى عدم دراسة الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والنفسية المحيطة بالفلاحين ، ولقلة الاشراف الاداري والفني اللازم لتحقيق نجاح هذه المشروعات ، فضلاً عن الطرق غير السليمة التي اتبعت في توزيع الوحدات الاستثمارية كالحجابه والتلاعب والتوزيع على غير الفلاحين الحقيقيين^(١٢١). هذا فضلاً عن ان الحكومة قيدت العمل السياسي للفلاحين او المستثمرين ، فقد اشترط عقد الاستثمار استناداً الى المادة (٨) من قانون اعمار واستثمار الاراضي الاميرية الصرفة رقم (٤٣) لسنة ١٩٥١ سحب الوحدة الاستثمارية من المستثمر عند قيامه بأي عمل يضر بأمن المستثمرين ومصالحهم مما ادنى الى حرمان العناصر الواعية النشطة من الاضطلاع بمهمة زيادة المشاريع الجديدة ، مما قرر سلفاً مصير تلك المشاريع وفشلها. واخيراً فان اهمال العمل التعاوني على نحو ملحوظ جعل المستثمرين عاجزين في

ابرز الاسر المالكة للاراضي في الموصل سنة ١٩٥٨ (١٢٢)

الاسرة	مساحة الملكية الزراعية (دونم)	موقع الارض الزراعية
١- آل الباور (من شيوخ شم)	٣٤٦,٧٤٧	لواء الموصل
٢- آل الفرخان (من شيوخ شم)	٣١٠,٣١٤	الوية الموصل وبغداد والدم (الرمادي)
٣- آل خضير (من شيوخ جحيش)	٨٤,٥٩٢	الوية الموصل وبغداد
٤- آل الشلال (من شم)	٦٢,٣٦٣	الوية الموصل وبغداد
٥- آل الجادر (نجار)	٥٩,٣٤٠	الوية الموصل وبغداد
٦- شمدين آغا (زعم شبه قلبي من عشيرة سليفاني)	٥٣,٠٤٠	لواء الموصل
٧- آل الصابوني (نجار)	٥٢,٩٤٥	لواء الموصل
٨- ناصر ميرزا (شيخ اليزيدية)	٤٧,٣٥٨	لواء الموصل
٩- آل كشمولة (نجار اغنام)	٤٢,١٧٨	لواء الموصل
١٠- آل حديد (نجار)	٣٩,٩٦٦	لواء الموصل
١١- الاغوات (نجار اغنام وحيوب)	٣٩,٥٠٩	لواء الموصل

اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار الذي تولى تنفيذ الثورة (١٢٣). وفي غضون شهرين ونصف من نجاح الثورة تم اصدار قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ (١٢٤) مساء يوم ٣٠ أيلول ١٩٥٨. وكانت اللجنة التي وضعت القانون برئاسة وزير الزراعة هديب الحاج حمود قد درست قوانين الاصلاح الزراعي التي سبق أن صدرت في مصر بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ وفي سوريا سنة ١٩٥٨ بعد قيام الوحدة المصرية السورية. كما استعانت اللجنة بمخبراء مصريين (١٢٥). وقد استهدف القانون تحقيق الاهداف الآتية :

اولاً- القضاء على الاقطاع وعلاقاته الانتاجية : ومن اجل ذلك عمد القانون الى تقليص مساحة الحيازات التي كانت بيد الاقطاعيين فجعلها لا تزيد عن ١٠٠٠ دونم في الاراضي التي تسقى سحياً او

اغلب الاحيان عن مواجهة الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم في تلك المشاريع النائية (١٢٦).

اما فيما يخص العلاقات الزراعية ، او بتعبير ادق العلاقة بين الفلاح ومالك الارض ، فان الانتقادات المستمرة لنظام المحاصصة والغبن الذي كان يصيب الفلاح فيه عند تقسيم المحصول ، دفع الحكومة الى اصدار مرسوم رقم (١) لسنة ١٩٥٤ بخصوص تطبيق مبدأ المناصفة في المحصول بين المالك والفلاح. الا ان نفوذ الاقطاعيين وهيمنتهم على النظام السياسي ابان العهد الملكي لم يمنع تنفيذ هذا المرسوم حسب ، بل جعله بلا معنى ايضاً. وفي ضوء هذا النفوذ وهيمنة الاقطاعية لم تفكر الحكومة ، لا من قريب او بعيد ، بالمساس بأسس ملكية الارض الزراعية في العراق. وتركت مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية وعشرات الآلاف من القرى بيد فئة قليلة جداً من كبار الملاكين واستمر هذا الوضع حتى سنة ١٩٥٨ م. وبقدر تعلق الامر بالموصل فان الاحصائيات تكشف تركيز اغلبية الاراضي الزراعية فيها بيد كبار الملاكين حسبما يتضح من الجدول أعلاه :

خاتمة :

يتضح من كل ماسبق ان النظام الملكي لم يكن مهياً ، بسبب طبيعته وهيمنة الاقطاعيين ونفوذهم القوي فيه ، لاجراء اصلاح زراعي جذري في العراق. وان اي مسعى لتحقيق ذلك الهدف كان لابد ان يمر من خلال اسقاط ذلك النظام ورموزه ، وهذا ما تم بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقيام الجمهورية العراقية.

كانت مسألة الارض والفلاح في العراق ومعالجتها عن طريق تنفيذ برنامج اصلاح زراعي شامل من بين الاولويات في برنامج نظام الحكم الجديد الذي استلم زمام السلطة في العراق بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وكان الاصلاح الزراعي من جملة القضايا التي تمت مناقشتها في

بالواسطة و ٢٠٠٠ دونم في الاراضي الدائمة وذلك في الاراضي المملوكة والمفوضة بالطابو والممنوحة باللمزة والاستيلاء على ما زاد عن ذلك .

ثانياً- رفع مستوى الفلاحين وتوفير الفرص امامهم لاستثمار ارضهم وذلك بتوزيعها عليهم على شكل وحدات زراعية استثمارية تتراوح مساحتها بين ٣٠ - ٦٠ دونماً في الاراضي التي تسقى سباحاً او بالواسطة وبين ٦٠ - ١٢٠ دونماً في الاراضي الدائمة .

ثالثاً- تشجيع الانتاج الزراعي وتطويره وذلك بالزام الذين توزع الارض عليهم بالانتهاء الى الجمعيات التعاونية .

رابعاً- الاعتراف بأهمية العامل الزراعي في تنمية القطاع الزراعي فثبت القانون حقوقه وحدد اجرة عمله الدنيا في المناطق الزراعية المختلفة واجاز لهم تكوين نقابات تدافع عن حقوقهم .

خامساً- ايجاد علاقات زراعية جديدة تحقق العدالة وتضمن حقوق المزارع ، فلا يجوز اخراج الفلاح من الارض دون رغبته الا عند الاخلال بالتزام جوهري يقضي به العقد او القانون او العرف .

سادساً- توزيع الحاصل الزراعي توزيعاً متناسباً بين عوامل الانتاج المختلفة بحيث يمكن ان يكون توزيع الناتج اكثر عدالة وبحقق قيمة الجهود التي يبذلها المزارع ، وقد حددت حصة الاخير من الحاصل بمقدار ٥٠ ٪ في الارض التي تروى سباحاً او ديمياً و ٤٠ ٪ في الاراضي التي تروى بالواسطة . وفي حالة قيامه بنفس الاعمال التي كان يقوم بها قبل تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي ، من حراثة وحصاد وجني المحاصيل

فان النسبة ترتفع الى ٨٠ ٪ (١٢٦) .

تلا صدور قانون الاصلاح الزراعي قوانين اخرى مكّلة له او معدلة بعض احكامه ، كما صدرت ايضاً بعض التفسيرات له والتي تعتبر تفسيرات تشريعية ملزمة حالما تنشر في الجريدة الرسمية (١٢٧) . ولأجل تنفيذ القانون المذكور تشكلت وزارة الاصلاح الزراعي سنة ١٩٥٩ ، كما كانت قد تشكلت لجنة الاستيلاء والتوزيع التي قامت بالاستيلاء على اراضي الحائزين الذين تتجاوز مساحة اراضيهم الحد الاعلى الذي اقره القانون ، وفضلاً عن ذلك اصبحت تحت تصرفها الاراضي الاميرية الصرفة ، والاراضي التي كانت تحت ادارة المصرف الزراعي ، ثم أخضعت اراضي الاوقاف لقانون الاصلاح الزراعي (١٢٨) . وعلى اية حال فان تطبيق القانون واجه بعض العقبات بسبب الظروف السياسية غير المستقرة التي مر بها القطر خلال السنوات العشرة ١٩٥٨ - ١٩٦٨ . ففي حين جرى الاستيلاء على الاراضي الزراعية بسرعة ، فان التوزيع على الفلاحين تأخر (١٢٩) . وكان من اسباب ذلك ايضاً الاعتداد على جهاز اداري كان اكثره من الموظفين غير المختصين ، ودون ان تكون هناك ثمة مؤسسات جماهيرية منظمة قادرة على ان تساهم في التنفيذ وان تدعمه وتتولاه مما ادّى الى تأخير تنفيذه وسوء تطبيقه وتهرب بعض الملاكين من احكام القانون . كما نتج عن الاعتداد على المؤسسات الادارية والاجهزة البيروقراطية في تنفيذ القانون نشوء علاقات بيروقراطية معقدة بين الفلاحين وبين مؤسسة الاصلاح الزراعي تشبه الى حد كبير العلاقات التقليدية القائمة بين الفلاحين من جهة وبين باقي الدوائر الحكومية من جهة اخرى بكل ما في هذه العلاقات من عيوب ومخاطر . ولم يقدم الاصلاح الزراعي العلاج الكافي لمشكلة الفلاح المنتج ، كمشكلة تقاليده ومفاهيمه القديمة وقيمه القبلية والعشائرية ، ومشكلة سلوكه وضعف قدرته

ونشاطه، ومشكلة سوء تنظيمه وتختلف مستواه التكنولوجي وضعف وعيه السياسي، وبصورة موجزة فإن الإصلاح الزراعي اهتم بتكوين الملكية الطبيعية واهمل تكوين الفلاح المنتج^(١٣٠). ومن جهة اخرى فإن بعض الاقطاعيين الذين استغلوا الظروف التي مر بها القطر واستعادوا نفوذهم سعوا الى عرقلة وتأجيل الاستيلاء على اراضيهم، وقاموا باعتداءات وتجاوزات على الفلاحين في موضوع قسمة المحاصيل الزراعي، مما دفع الفلاحين الى رفع الشكاوى ضد ذلك وضد محاباة الاجهزة الادارية لاولئك الاقطاعيين وتوقيفهم الفلاحين بسبب شكاوى مفتعلة وترحيل الفلاحين بالجملة. وقد وردت عدة شكاوى بهذا الشأن من الموصل وبعض الاقضية التابعة لها خلال السنوات ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢^(١٣١). وفضلاً عن ذلك فإن انتقادات عديدة وجهت الى قانون الإصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨. ومن ابرز هذه الانتقادات: ان تحديد حد اعلى للمساحة التي من حق الاقطاعي الاحتفاظ بها يعد بمثابة تثبيت حق شرعي للاقطاعي الذي استولى على الارض واصدر القوانين في وقت كان هو واعوانه اعضاء في المجالس النيابية البرلمانية. كما ان هذا التحديد ادّى الى بقاء ٢٠١٢٦ حائزاً تتراوح مساحة حيازاتهم الزراعية بين ١٠٠ - ١٠٠٠ دونم وتبلغ مساحتها اكثر من ٥ ملايين دونم في العراق. وفضلاً عن ذلك فإن منح القانون للاقطاعي حق الاختيار ادّى الى بقاء ٤ ملايين دونم من اجود الاراضي المختارة بيد الاقطاعيين الخاضعين للقانون وعددهم ٣٢٧٧ حائزاً. كما انتقد القانون لعدم تفريقه بين انواع اراضي الديم من حيث خصوبتها وكمية الامطار الساقطة ونوع المحاصيل المزروعة وطبيعة المنطقة. وعدم التفريق ايضاً بين انواع الاراضي السحيبة وانواع الاراضي التي تسمى بالواسطة، سوى انه ساوى بين كل دونم من الاراضي السحيبة

بدونم من الاراضي الدمية وهذا لا يستند على اساس علمي. ومن المآخذ المهمة على القانون المذكور ايضاً انه اقر مبدأ التعويض عن الاراضي التي يتم الاستيلاء عليها من الاقطاعيين. وان اقرار القانون لهذا المبدأ كان نتيجة لعدم تفريقه بين من آلت اليه الارض بالشراء، وبين من استحوذ على الارض بالتحايل والاعتصاب ثم اصفى البرلمان عليها الصفة الشرعية، كما ان القانون حرم كثيراً من الفلاحين الذين هاجروا من الريف الى المدينة، نتيجة الظروف التي شرحناها، من الحصول على الارض. وذلك ان معظم هؤلاء المهاجرين اضطروا الى تغيير مهنتهم من فلاح الى عامل في حين كان القانون يشترط في من توزع عليه الارض ان تكون مهنته الفلاحة. وفضلاً عن ذلك فان القانون الزم هؤلاء الاخيرين بدفع بدل المثل للارض مضافاً اليه فائدة سنوية وبلغ اجمالي قدره ٢٠٪ من العوض مقابل نفقات الادارة والتوزيع. وقد ادّى كل ذلك الى تراكم الديون على الفلاحين الذين عجزوا، في حالات كثيرة عن دفعها. كما وجهت انتقادات عديدة الى طريقة واسلوب التوزيع على الفلاحين. فقد كان توزيع الاراضي في احيان كثيرة يتم بطريقة القرعة دون الاخذ بنظر الاعتبار العائلات الامر الذي كان يؤدي الى تشتيت العوائل التي يحصل اكثر من فرد منها على قطعة ارض اثناء عملية التوزيع. كما ان الاراضي الموزعة كان يتم على اساس تقطيعها الى شكل مربعات او مستطيلات مع عدم ترك مساحة بين قطعة واخرى لأمكانية اقامة مشاريع البزل مستقبلاً وكانت هذه المشكلة سبباً لمنازعات عدة بين الفلاحين فيما بعد، وغير ذلك من الانتقادات^(١٣٢).

ان النواقص التشريعية والاختفاء التي تضمنها قانون الإصلاح الزراعي رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٨ والمشاكل التي واجهته عند التطبيق حالت دون امكانية تطبيقه. ومن هنا كان صدور قانون

الاصلاح الزراعي الثاني رقم (١١٧) لسنة ١٩٧٠ في ٣٠ آيار ١٩٧٠ الذي يعد ثمرة نتائج تجارب الاصلاح الزراعي للسنوات الاثني عشر الماضية ، حيث حاول المشرع العراقي في هذا القانون سد الثغرات وازالة العقبات التي كانت موجودة في القانون الاول ، هذا بالإضافة الى تقليل التفاوت الكبير الذي كان سائداً في تحديد الملكية الزراعية^(١٣٣) . ويمكن تلخيص اهم بنود قانون الاصلاح الزراعي الثاني والتي ميّزته عن قانون الاصلاح الزراعي الاول بما يأتي :

اولاً- وضع قانون الاصلاح الزراعي رقم (١١٧) لسنة ١٩٧٠ حدوداً مختلفة للحد الاعلى للملكية الزراعية تبعاً للظروف القائمة في مناطق العراق المختلفة . ففي الاراضي الديمية وضعت حدود الملكية بمساحة ١٠٠٠ أو ١٣٠٠ أو ١٦٠٠ أو ٢٠٠٠ دونماً حسب كمية الامطار وخصوبة التربة ، اما في الاراضي المروية فكانت ٤٠ أو ٥٠ أو ٦٠ أو ٨٠ أو ١٠٠ أو ١٢٠ أو ١٣٣ أو ٣٠٠ أو ٤٠٠ أو ٦٠٠ دونماً حسب خصوبة التربة ونوع السقي (سيحاً او بالواسطة) وحسب المنطقة (الشمالية أو الجنوبية) .

ثانياً- اعتبار الاراضي التي تريد عن الحد الاعلى المقرر لها بموجب القانون اراضي اميرية صرفة من تاريخ نفاذه وبحكم المؤجرة الى اصحابها السابقين اعتباراً من الموسم الزراعي الذي يلي نفاذ القانون حين رفع ايديهم عنها بصدر قرارات الاستيلاء عليها ، وهكذا الزم الملاكين بزراعتها كما انه حال بينهم وبين اعاقا اعمال لجان الاراضي كما كان يحدث سابقاً .

ثالثاً- الغى القانون الجديد حق اختيار الملاكين للمساحة التي يريدون الاحتفاظ بها وكان

الحق المذكور قد استخدم خلافاً لمصلحة الفلاحين والاصلاح الزراعي .

رابعاً- نص القانون الجديد على عدم التعويض عن الاراضي التي يتم الاستيلاء عليها بموجبه .

خامساً- نص القانون الجديد على تملك الارض للفلاحين مجاناً ، ونص على اعتماد التوزيع الجماعي جنباً الى جنب مع التوزيع الفردي وذلك حسب ظروف المنطقة المقرر توزيعها ، كما شجع القانون تأسيس المزارع التعاونية الجماعية بالنظر لتوافر محاسن الوحدة الزراعية المتكاملة والانتاج الكبير على اساس الزراعة الاشتراكية .

سادساً- الغى القانون الجديد قانون تسوية حقوق الاراضي وجميع تعديلاته وذيوله ، واناط مهمة تثبيت حقوق الافراد في الاراضي التي لم تنته تسويتها بلجان الاراضي والاستيلاء . ونص على اعتبار جميع الاراضي غير المملوكة ملكاً صرفاً او غير المفوضة بالطابو او غير الموقوفة اراضي اميرية صرفة اذا كانت تقع ضمن منطقة لم تتم تسويتها بعد . ويجري تثبيت حقوق الاراضي فيها وفق احكام القانون الجديد .

سابعاً- فيما يخص العلاقات الزراعية شمل القانون الجديد المغارسين وفلاحي البساتين بمبدأ تقسيم الحاصل على اساس المناصفة^(١٣٤) .

وفي غضون ست سنوات من صدور قانون الاصلاح الزراعي رقم (١١٧) لسنة ١٩٧٠ ، اصدرت الحكومة قانونين مهمين في مجال الاراضي والزراعة . اولهما هو القانون رقم (٩٠) لسنة ١٩٧٥ وهو قانون تنظيم الملكية الزراعية في منطقة كردستان المشمولة بالحكم الذاتي . وثانيهما القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٧٦ وهو قانون توحيد اصناف اراضي الدولة . فقد ادت التشريعات المتعددة التي

صدرت في العراق سابقاً منذ قانون الاراضي العثماني لسنة ١٨٥٨ الى تعدد أصناف الاراضي ، فكانت هناك اراضي اميرية صرفة ومتركة ومفوضة بالطاير ومنوحة بالزراعة ... الخ . وكان كل صنف من هذه الاصناف يعني مركزاً قانونياً مختلفاً عن الآخر ، فكان هذا التعدد يثير الكثير من التعقيد مما جعل منه عاملاً معرقلاً في سبيل انجاز التحولات التقدمية في المجتمع . وحيث ان رتبة هذه الاصناف تعود الى الدولة وان حقوق ذوي العلاقة لا تتعدى حق التصرف والانتفاع بها ولذلك فقد اقتضى توحيد اصناف جميع هذه الاراضي بصنف واحد هو « الاراضي المملوكة للدولة » مع الابقاء على الحقوق التصرفية للأفراد فيها . وهكذا تحررت هذه الاراضي من الملكية غير المشروعة للأفراد واصبح للدولة حق استعادة حيازة اراضيها عند اقتضاء المصلحة العامة ذلك ، والتعويض عن الحقوق التصرفية فيها تعويضاً عادلاً دون الحاجة الى اللجوء الى الاستيلاء او الاستملاك ، وقد سميت هذه العملية « حق اطفاء التصرف » . ولأجل وضع الاراضي الزراعية في متناول الزراعيين الفعليين القادرين على استثمارها وتنمية الثروة الزراعية والحيوانية ، ولقطع دابر الاستغلال فقد نص هذا القانون على عدم جواز منح الحقوق التصرفية في الاراضي المملوكة للدولة ، بعد نفاذ هذا القانون ، الا للزراع الفعلي الذي يتولى زراعة الارض بنفسه أو بواسطة احد افراد عائلته المكلفة باعائه شرعاً^(١٣٥) .

ان صدور هذه القوانين منذ سنة ١٩٥٨ وتنفيذها تحت اشراف الأجهزة المختصة ، وأجرها المجلس الزراعي الأعلى الذي تشكل بموجب القانون رقم (١١٦) لسنة ١٩٧٠ ، أدى الى حدوث تغييرات جوهرية في حيازة الارض والعلاقات الزراعية في العراق . وبقدر تعلق الأمر بالموصل (محافظة نينوى) فان هذه التغيرات تمثلت في جوانب عديدة . فنذ صدور قانون الاصلاح

الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ولغاية ٣١ كانون الاول ١٩٧٦ بلغت مساحة الاراضي المستولى عليها بموجب قوانين الاصلاح الزراعي ٤٥٦٧١١ دونماً ، منها ٣٤٨٦٢٤ دونماً تم الاستيلاء عليها بموجب قانون الاصلاح الزراعي الاول الذي صدر سنة ١٩٥٨ ، و ٤٩٥٥٣ دونماً تم الاستيلاء عليها بموجب قانون الاصلاح الزراعي الثاني الذي صدر سنة ١٩٧٠ ، اضافة الى ٥٨٥٣٤ دونماً اراضي اميرية صرفة^(١٣٦) . وفيما عدا ذلك فان مساحة الاراضي التي كانت تحت الادارة المؤقتة^(١٣٧) في سنة ١٩٧٦ في محافظة نينوى بلغ ١٤٥٦٨٥٥ دونماً فيما بلغ عدد الفلاحين المتعاقدين مع الادارة المؤقتة ٤٤١٢٥ فلاحاً في المحافظة^(١٣٨) . وخلال الفترة ذاتها تقريباً كان قد تم توزيع ١,٦٦٨,٠٠٠ دونم من الأراضي في المحافظة^(١٣٩) . وقد وزع قسم من هذه الاراضي على ابناء العشائر البدوية فيها منذ اوائل عقد الستينات في محاولة لتشجيعها على الاستقرار والتوطن . وكان هذا استمراراً للمحاولات التي بدأت منذ العهد الملكي ايضاً . وهكذا بلغ عدد القرى المنشأة في منطقة الجزيرة فيما بين ١٩٥١ - ١٩٦٥ في المنطقة الممتدة من جنوب جبل سنجار حتى مدينة الحضر مايقارب ٤٠٠ قرية جديدة يسكنها حوالي ٤٧٢٠١ شخصاً ، وجميعها تقع ضمن قضاء الحضر . وكذلك بلغ عدد المستوطنات البدوية في المنطقة الواسعة شمال وشرق جبل سنجار لغاية سنة ١٩٦٥ حوالي ١٥٢ قرية تقع جميعها ضمن قضاء تلعفر . وهناك ١٧٤ قرية اخرى تقع مجموعة منها ضمن ناحية سنجار ويبلغ عدد نفوسها ٣٢٢٠٠ نسمة وتقع المجموعة الاخرى ضمن ناحية الشمال وبلغ عدد نفوسها ٢٧٤٧٦ نسمة خلال تلك الفترة ايضاً . وكان معظم هؤلاء من عشيرة شمر . بيد ان هذه المحاولات واجهت بعض العثرات في البداية . فبالرغم من الجهود الحكومية التي بذلت

لتهيئة الظروف المناسبة لنجاح عملية التوطين بأعداد المرشدين الزراعيين وتوزيع البذور على المستوطنين وحفر آبار المياه ، بل وحتى تهيئة المكاثر الزراعية الحديثة ، إلا ان المستوطنين البدو قاموا في حالات كثيرة بتأجير اراضيهم الى ملاك المدن وخاصة في الموصل وسنجار ، والذين عُرفوا محلياً باسم (اصحاب المصالح) ، لاستثمارها في الزراعة مقابل نسبة معينة من الحاصل . ولعل مرجع ذلك الى المصاعب النفسية والمادية التي واجهها اولئك المستوطنين في حياتهم الجديدة^(١٤٠).

ومنذ اوائل الستينات ايضاً بدأ تشكيل الجمعيات التعاونية الزراعية في محافظة نينوى استناداً الى الفقرة (أ) من المادة (٣١) من قانون اصلاح الزراعي لسنة ١٩٥٨ بشأن تشكيل جمعيات تعاونية زراعية ممن وزعت عليهم الارض بمقتضى ذلك القانون . وقد تأسست اول جمعية تعاونية زراعية في المحافظة سنة ١٩٦٣ في منطقة ريعة . ثم ازداد عددها بدرجة كبيرة بحيث بلغ عددها ٢٠٣ جمعية تعاونية سنة ١٩٧٥ ثم ارتفع الى ٢٤٢ جمعية تعاونية سنة ١٩٨٠^(١٤١). وقد حظيت هذه الجمعيات بدعم كبير من الحكومة تمثل اساساً في القروض التي قدمها المصرف الزراعي التعاوني من خلال فروعه الأربعة في المحافظة (فرع الموصل وفرع الشرقاط وفرع سنجان وفرع تلغف) الى الجمعيات التعاونية الزراعية . ففي حين قدم المصرف ما قيمته ٤٤٣٧٠ ديناراً من القروض الى الجمعيات سنة ١٩٦٩ فان هذا الرقم ارتفع الى ١,٠٧٢,٩٦٦ ديناراً سنة ١٩٧٤ وإلى ٣,٣٢٧,٥٩٦ ديناراً سنة ١٩٧٨^(١٤٢).

كان من نتيجة التطورات السابقة تحسن وضع الفلاحين بدرجة كبيرة وارتفاع مستوى معيشتهم وانعتاقهم من العلاقات الاقطاعية التي كانت سائدة قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . وخلال السنوات الاخيرة تم انشاء الكثير من القرى العصرية ،

وايصال الخدمات الاساسية الى الريف العراقي من مؤسسات صحية وتعليمية وتنفيذ برامج واسعة لحو الامية بين الفلاحين ، وربط الريف بالمدينة من خلال شبكة ممتازة من طرق المواصلات ، وكهجرة الريف ، وتقديم تسهيلات كثيرة للفلاحين فيما يخص الارشادات الزراعية وتجهيزهم بالبنود والاسمدة والآلات الزراعية ووسائل النقل وغير ذلك مما شكل تحولاً نوعياً مهماً في حياة الفلاح العراقي .

الهوامش

- (١) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في العراق (بيروت - ١٩٣٨) ص ١١٧ .
- (٢) عبد المجيد حبيب القيسي ، «تطور نظام حيازة الارض» في ، عبد الصاحب الطوان وآخرون ، الاقتصاد الزراعي ومشكلاته (بغداد - د . ت) ص ص ٤٩ - ٥٠ .
- (٣) هناك ذلك منح السلطان العثماني عمود الاول (١٧٣٠ - ١٧٤٥) قرية قروه لوش بمثابة ملك مطلق لوالي الموصل حسين باشا الجليلي تقديراً لدوره في الدفاع البطولي عن الموصل بوجه عدوان نادرساه سنة ١٧٤٣ . راجع نص فرمان التخليك في : عباد عبد السلام رؤوف الطائر ، الموصل في العهد العثماني (التحج الاشرف - ١٩٧٥) ملحق رقم (٧)
- (٤) خليل ابراهيم الخالدي وهدي محمد الازري ، تاريخ احكام الاراضي في العراق (بغداد - ١٩٨٠) ص ٥٢ .
- (٥) خليل علي مراد ، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الاداب - جامعة بغداد - ١٩٧٥) ص ص ٣١١ - ٣١٣ .
- (٦) راجع تفاصيل الاسلوب الاقتصادي العثماني وخصائصه وتطبيقه في الموصل في بحث سابق من هذه الموسوعة (المبحث الاول من الفصل الثالث - الباب الاول - القسم الثالث) .
- (٧) عباد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي في العراق ١٩١٤ - ١٩٣٢ (بغداد - ١٩٧٨) ص ١٨ .
- (٨) اعترفت الدولة العثمانية في اول مرسوم اصلاحي أصدرته في بداية عهد الاصلاحات والتطليلات العثمانية ، في سنة ١٨٣٩ ، وهو «خط شريف كلكانه» بمساوئ اسلوب الالتزام والخراب الذي ترتب عليه بالنسبة للفلاحين والزراعة في الدولة العثمانية راجع نص مرسوم خط شريف كلكانه في : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية (بيروت - ١٩٧٧) ص ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .
- (٩) ستيفن هيمسلي لونكرينك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (بغداد - ط ٣ - ١٩٦٢ - ترجمة جعفر خياط) ص ٣١٠ .

- (٢٦) القيسي، المصدر السابق، ص ٥١؛ فيليب ويلارد آيرلند، العراق، دراسة في تطوره السياسي (بيروت - ١٩٤٩ - ترجمة جعفر خياط)، ص ٥٨.
- (٢٧) يزعم أن الطابريكان يعني تأجير الأرض الأميرية لأشخاص غير رسميين إيجاراً طويلاً الأمد ليس لهم بيعها أو رهنها أو وراثتها، فإن الغاء هذه القيود اعتباراً من سنة ١٨٧٣ جعل أراضي الطابري لا تختلف في حقيقة الأمر عن الملك الخاص. انظر: البرت م. منتشاشيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني (بغداد - ١٩٧٨ - ترجمة د. هاشم صالح التكريتي)، ص ٦٦ هامش ٧٣.
- (٢٨) محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق (صيدا - ١٩٦٥)، ج ١، ص ص ١٨٧ - ١٨٨.
- (٢٩) محمود، المصدر السابق، ص ٩٨.
- (٣٠) Atiyah; op. cit, P. 30.
- (٣١) Ibid, P. 31. مسعود طاهر، المشرق العربي المعاصر، من البداوة إلى الدولة الحديثة (بيروت - ١٩٨٦) ص ٢٣٤.
- وكانت النسبة في الألوية الأخرى الشالية التي كانت ضمن حدود ولاية الموصل إدارياً حتى سنة ١٩١٨ كالتالي: في أربيل ٢٤٢٠ سند ملكية من أصل ٧١٧٠ حيازة، وفي السليمانية ٢٧٨٠ سند ملكية من أصل ٢٥٥٠ حيازة وفي كركوك ٦٢٨٠ سنداً من أصل ١٥٢٦ حيازة.
- (٣٢) لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٢٣.
- (٣٣) حادة، المصدر السابق، ص ١٦٣.
- (٣٤) وزارة الزراعة، رئاسة لجنة أعباء واستثمار الأراضي الأميرية الصغرى، الملكية الصغيرة في العراق (بغداد - ١٩٣٣) ص ٨٣.
- (٣٥) هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٤٨.
- (٣٦) الجواهري، المصدر السابق، ص ١١٨.
- (٣٧) حادة، المصدر السابق، ص ١٥٥؛ حيدر، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (٣٨) حيدر، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (٣٩) دورين، وورنر، الأرض والقر في الشرق الأوسط (القاهرة - ١٩٥٠ - ترجمة د. حسن أحمد السليمان) ص ١٧٧.
- (٤٠) الجواهري، المصدر السابق، ص ١١٨.
- (٤١) Charles Issawi (ed.); The economic history of the Middle East 1800 - 1914 (Chicago - 1975) P. 168.
- (٤٢) سالمانه ولاية الموصل - سنة ١٣١٠ هـ، ص ص ٩٠ - ٩١.
- (٤٣) الجواهري، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (٤٤) تولى فرحان المشيخة عند أو بعد وقت قصير من مقتل والده صوفك سنة ١٨٤٧. وقد أمضى ثمان سنوات في اسطنبول كمحتجز أو رهينة سياسي وقد تعلم التركية وتشرّب بالأفكار التركية. وقد أعيد إلى المشيخة، حيث بقي فيها حين وفاته سنة ١٨٩٠، وسمح راتباً سنوياً قدره ٣٠٠٠ جنيه مقابل حفظ الأمن والنظام في منطقة عشيرته وتنشيجها على الوطن. انظر: Blunt; op. cit, vol. 1, PP. 255, 265 - 266; G. G. Lorimer; Gazetteer of the [Arab] Gulf, Oman and

- (١٠) دخلت ضمن حدود ولاية الموصل بعض المناطق الكردية في شمال العراق منذ القرن السادس عشر. ثم صارت جميع المنطقة الكردية في شمال العراق تقريباً ضمن الحدود الإدارية لولاية الموصل في أواخر العهد العثماني. وكانت أربيل وكركوك والسليمانية ودھوك وتوابها ضمن الحدود الإدارية لولاية الموصل. انظر: غانم محمد علي، النظام المالي العثماني في العراق ١٨٣٩ - ١٩١٤ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الموصل - ١٩٨٩) الملحق رقم (١).
- (١١) خليل علي مراد، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة بغداد - ١٩٧٥) ص ص ٧٠ - ٧٣.
- (١٢) Laddy Anne Blunt; Bedouin tribes of the Euphrates (London - new impression - 1968) vol. 2, P. 188.
- (١٣) إبراهيم خليل أحمد، والحياة الاجتماعية في ولاية الموصل ١٥١٥ - ١٩١٨، في الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل القيسي (زغوان - ١٩٨٨) ج ١ - ٢، ص ٥٢٠.
- (١٤) محمد أحمد محمود، أحوال العشائر العراقية العربية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢ - ١٩١٨ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة بغداد - ١٩٨٠) ص ٩.
- (١٥) للمصدر نفسه، ص ١٦.
- (١٦) حول خصائص هذا النظام انظر: صالح حيدر، والتطور الاقتصادي في العراق، مجلة حقبة تجارة بغداد - ج ٩ - ١٠، تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٥٤، ص ص ٥٠ - ٥١.
- (١٧) حول هذه النظرة للدية لدى عشائر شرع الجريا في الموصل انظر: إبراهيم خليل أحمد، «اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين» مجلة ادب الرفادين - العدد ٧ - تشرين الأول ١٩٧٦، ص ٢٣٩.
- (١٨) الجواهري، المصدر السابق، ص ٢٨.
- (١٩) راجع نص قانون الأراضي العثماني لسنة ١٨٥٨ في مجموعة القوانين والتنظيمات العثمانية المنشورة باسم الدستور (بيروت - ١٣٠١ هـ - ترجمة نوفل نعمة الله نوفل) ج ١، ص ص ١٤ - ٤٣.
- (٢٠) عبد الخالق محمد عبيد، اقتصاديات الأرض والاصلاح الزراعي في النظرية والتطبيق (بغداد - ١٩٧٧) ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
- (٢١) راجع نص قانون الطابري في الدستور، ج ١، ص ص ٤٤ - ٥١.
- (٢٢) حادة، المصدر السابق، ص ١١٧.
- (٢٣) الجواهري، المصدر السابق، ص ٣٢.
- (٢٤) ز. ي. هرشلاغ، ملحق إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط (بيروت - ١٩٧٣ - ترجمة مصطفى الحسيني) ص ص ٤٧ - ٤٨.
- (٢٥) Ghassan Atiyah; Iraq 1908 - 1921, A socio-political Study (Beirut - 1973) P. 28.

Central Arabia (Holland – 1970) historical Part, 1B, P. 1500.

(٤٥) احمد، الحياة الاجتماعية، ص ٥٠٥.

(٤٦) راجع التفاصيل في،

John F. و Lorimer; op. cit, PP. 1500 – 1501

Williamson; A political history of the Shammar

Jarba tribe of Al-Jazirah 1800 – 1958 (Unpublished PH. D thesis, Indiana university 1974) PP. 112 – 119.

(٤٧) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب (بيروت – ١٩٧١ – ترجمة جعفر الخياط) ص ١٦٤.

(٤٨) Williamson; op. cit, P. 124.

(٤٩) متشاشفيلي، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٥٠) ل. ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق (بغداد – ١٩٨٥ – ترجمة د. عبد الواحد كرم) ص ٧٦.

(٥١) بيل، المصدر السابق، ص ١٦٩ – ١٧٠.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٥٣) متشاشفيلي، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٥٤) بيل، المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١٦١. وتجدر الإشارة هنا الى ان كثيراً من قرى الزيدية في الشيوخان دخلت في ايدي الملاكين الموصليين، فقد أصبح احدهم يمتلك بين ٣ – ٥٠ قرية. في الوقت الذي عجز احد من هؤلاء ان يمتلك شيئاً واحداً من قرى سنجار في منطقة الجبال حيث القوة والعصية. ولكن سرعان ما امتدت ايدي هؤلاء الى قرى سنجار بعد ان مال الزيدية الى الطاعة، واخذت تنال منهم بواسطة الماحكم. انظر، احمد، اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية، ص ٢٤٤.

(٥٦) متشاشفيلي، المصدر السابق، ص ٨٨ – ٨٩.

(٥٧) بيل، المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٥٨) متشاشفيلي، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٥٩) سي. جي. ادموندز، كرد وترك وعرب (بغداد – ١٩٧١ – ترجمة جرجيس فتح الله) ص ١٦.

(٦٠) بيل، المصدر السابق، ص ١٧٠؛ كوتلوف، المصدر السابق، ص ٧٢.

(٦١) عبيد، المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٦٢) بيل، المصدر السابق، ص ١٧١. ويبدو ان مثل هذا الغش في التسجيل يعود الى الفترة القصيرة التي سبقت الانسحاب التركي من العراق. وذلك ان الموظفين الاتراك كانوا عند انسحاب قواتهم من العراق، يلقون السجلات احياناً، وفي احيان اخرى كانوا قبل رحيلهم يبيعون سندات مزورة لاشخاص تطاولهم ذمتهم على مثل هذا التلاعب. انظر، حمادة، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٦٣) الجواهري، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٦٤) روزر، المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٦٥) راجع نصوص هذه البيانات والقرارات في، الخالد والازري؛

المصدر السابق، ص ٦٧ – ٩٩.

(٦٦) حسن هاشم خلف، الملكية الزراعية في العراق وآفاق تطورها (رسالة ماجستير غير منشورة – الجامعة المستنصرية – ١٩٧٩) ص ٧٢.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٦٨) الجواهري، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٦٩) Hanna Batatu; The Old social classes and the revolutionary movements of Iraq (Princeton – 1978) P. 92.

(٧٠) ظاهر، المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٧١) Batatu; op. cit, P. 114

(٧٢) المقصود هنا المنطقة الممتدة شرق نهر دجلة من تكريت الى الشرايط، وهناك منطقة اخرى بهذا الاسم وهي البادية الممتدة الى الشمال الغربي حتى الحدود السورية والتركية من نهر دجلة وحتى نهر الخابور.

(٧٣) Williamson; op. cit, P. 182

(٧٤) الجواهري، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٧٥) كمال محمد سعيد خياط، القطاع الزراعي في العراق (بغداد – ١٩٧٠) ص ١٨٨.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(٧٧) روزر، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٧٨) عند انشاء الحكومة العراقية سنة ١٩٢١ أنشئت ادارة الاراضي الاميرية الصرفة بمديرية الواردات في وزارة المالية. وربما كان اهم باعث لهذا الترتيب الفكرة السائدة في زمن الحكم التركي. أن اهم وظيفة لارض هي ان تدر ربحاً للخزينة. ولهذا اعتبرت مهمة مديرية الاراضي مقتصرة على تخمين الإيراد العائد منها الى الخزينة وجبايتها. وفي سنة ١٩٢٣ فصلت مديرية الاراضي الاميرية عن مديرية الإيرادات حيث انشأت لها مديرية جديدة وضعت تحت رئاسة موظف بريطاني من موظفي مديرية الإيرادات. وفي سنة ١٩٢٧ نقلت مديرية الاملاك والاراضي الاميرية الى وزارة الري والزراعة ووضعت تحت ادارة موظف بريطاني. وبقيت الحال كذلك حتى سنة ١٩٣٠ حين نقلت الى وزارة المالية بعد ان خفضت مرتبتها فاصبحت شعبة بدلاً من مديرية عامة. وفي تلك السنة عُيّن بدل البريطاني موظف عراقي بدرجة وكيل مدير. انظر، حمادة، المصدر السابق، ص ١٣٢ – ١٣٣.

(٧٩) إيرلند، المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٨٠) حمادة، المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٨١) عبيد، المصدر السابق، ص ٢٤٠؛ خلف، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٨٢) إيرلند، المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٨٣) ان نتمس لنا، عند كتابة هذا المبحث، ولظروف معينة الاطلاع على النص الكامل للتقرير الذي نشره داونس سنة ١٩٣١ في منشور Litchworth بعنوان (An inquiry into land tenure and related questions).

(٨٤) راجع خلاصة التقرير في، القيسي، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٩٩) راجع حول القانون المذكور ومنزاه واحكامه، المصدر نفسه؛
ص ص ٣٤٧ - ٣٤٩، حادة؛ المصدر السابق، ص ص
١١٩ - ١٢٠،

Batatu; op. cit, P. 133.

(١٠٠) عبيد؛ المصدر السابق، ص ٢٥٠.
(١٠١) القيسي؛ المصدر السابق، ص ٦٠.
(١٠٢) حسن؛ المصدر السابق ص ص ١٩٨ - ٢٠١.
(١٠٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٢، الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي
١٩١٤ - ١٩٣٢، ص ٣٣١.
(١٠٤) كانت دهوك وتوابعها من المناطق الجبلية ضمن لواء الموصل
انذاك.

(١٠٥) شاكر خصبال؛ العراق الشمالي، دراسة لتواجيه الطبيعية
وال بشرية (بغداد - ١٩٧٣) ص ص ٣٣٦ - ٣٣٧.
(١٠٦) عبيد؛ المصدر السابق، ص ٢٨٣.

A. M. AL - Bayati; Amonoqraph of a village in
Northern Iraq (Unpublished PH. D thesis, Univ.
of Ankara - 1958) PP. 43, 159.

نقلًا عن عبيد، ص ٢٩٢

(١٠٨) خصبال؛ المصدر السابق، ص ٢٩٢.
(١٠٩) انظر تفاصيل ذلك في؛ الجواهري، تاريخ مشكلة الاراضي
والاصلاح الزراعي، ص ص ٩٣ - ١٧٧.
(١١٠) انظر معالجة مسألة الارض والفلاح في الصحف الموصلية
(البلاغ، الموصل، الهدى، صدق الاحرار، الاخلاص،
فتى العراق، المال، المثال، وحى القلم وغيرها) في؛ وائل
احمد علي النحاس؛ تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦ -
١٩٥٨ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة
الموصل - ١٩٨٨) ص ص ٢٠٥ - ٢١٣.

(١١١) بلغ عدد المهاجرين من الريف الى المدينة في لواء الموصل
١٩٤٥، اشخاص خلال السنوات ١٩٤٧ - ١٩٥٧، بينما
كان العدد ١٥٩٠،٤٦ في بغداد و ٤٢،٨٢٣ في البصرة خلال
الفترة نفسها. انظر؛ عبيد؛ المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(١١٢) حسن؛ المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(١١٣) تشكل المصرف الزراعي - الصناعي سنة ١٩٣٦ على اساس
القانون المذكور اعلاه. في سنة ١٩٤٠ صدر قانون الفصل بين
المصرف الزراعي والمصرف الصناعي. الا ان هذا الفصل لم
يُنفذ الا بعد الحرب العالمية الثانية. وكان المصرف يقدم السلف
الى الفلاحين بضمان الاموال غير المتقولة والحقوق المستقرة عليها
او بضمان المحاصيل الزراعية او الماشي او الآلات الزراعية لم
المضخات. ولذا فان اغلب الفلاحين، وهم من المدينين، لم
يستفيدوا في الواقع من سلف المصرف. انظر حول تأسيس
المصرف وشروط التسليف؛ خياط؛ المصدر السابق،
ص ١٩٢ - ١٩٣.

(١١٤) الاشارة هنا الى انقلاب بكر صدق سنة ١٩٣٦.

(١١٥) عبد الرزاق الملالى، «ساكن المال والفلاحين في العراق»
مجلة البعث العربي - العدد ١٦ - ١٧، آب ١٩٥٢،
ص ١١.

٥٦ - ٥٧، عبيد؛ المصدر السابق، ص ص ٢٤١ -
٢٤٤، الجواهري؛ المصدر السابق، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٤،
خلف؛ المصدر السابق، ص ص ٧٩ - ٧٤.

(٨٥) بلغت نسبة الشيوخ والاغوات في المجلس التأسيسي العراقي سنة
١٩٢٤ نسبة ٣،٣٪، اما في البرلمان العراقي فان النسبة كانت
تزيد عن الثلث وبصورة خاصة منذ اواخر الحرب العالمية الثانية
وحتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وكان من بين من تولّى
عضوية البرلمان العراقي اiban المهدي للملكي افراد من أسركبار
ملاك الأراضي في الموصل مثل آل الباور وآل الفرجان (من
عشيرة شيوخ الجريا) وآل الجادر وشديدن آغا (زعم قبلي من
عشيرة سلقاني) وآل الصابري وآل كشمولة وآل حديد وأسرّة
الاغوات. كما تولّى افراد من بعض هذه الأسر مناصب وزارية.
انظر؛ Batatu; op. cit, PP. 58 - 61, 103.

(٨٦) الفرد يون؛ «مشاكل العراق الاجتماعية والاقتصادية» مجلة
الرابطة - نيسان ١٩٤٦، ص ٣٧٢، نقلًا عن؛ الجواهري؛
المصدر السابق، ص ٣١٩.

(٨٧) حادة؛ المصدر السابق، ص ١٢١، القيسي؛ المصدر
السابق، ص ص ٥٧ - ٥٨، الجواهري؛ المصدر السابق،
ص ص ٢٦٤ - ٢٦٦.

(٨٨) عاد احمد الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح
الزراعي في العراق ١٩٣٣ - ١٩٧٠ (رسالة دكتوراه غير
منشورة - كلية الاداب - جامعة بغداد - ١٩٨٢) ص ص
١٨٦ - ١٨٧.

(٨٩) وزارة الزراعة، للملكية الصغيرة في العراق، ص ٨٢.
(٩٠) الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي،
ص ٢٢٨.

(٩١) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.
(٩٢) دورين روزنر؛ الاصلاح الزراعي بين المبدأ والتطبيق
(بيروت - ١٩٧٥ - ترجمة خير الدين حبيب وحسن احمد
السلمان) ص ٩٩.

(٩٣) عبيد؛ المصدر السابق، ص ص ٢٧١ - ٢٧٢، الجواهري؛
تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي، ص ٢٣٤.
(٩٤) حادة؛ المصدر السابق، ص ١١٩.

(٩٥) المصدر نفسه، ص ١٢٨.
(٩٦) عبيد؛ المصدر السابق، ص ٢٦٨، ويقدم الدكتور عاد
الجواهري جدولاً يظهر ان عدد الحيازات التي منحت بالزراعة في
الموصل لغاية ١٩٥٤، والتي سجل كل واحد منها باسم شخص
واحد فقط، بلغ ١٥ حيازة، تراوحت مساحة ١٣ واحدة منها
ما بين ١٠٠،٠٠٠ و ٢٠٠،٠٠٠ دومت، اما الاثنيتن الاخرين فقد
تراوحت مساحة كل واحدة منها ما بين ٢٠،٠٠٠ و ٣٠،٠٠٠
دومت؛ الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح
الزراعي، ص ٢٣٧.

(٩٧) عبد الرزاق الملالى؛ معجم العراق (بغداد - ١٩٥٦) ج ٢،
ص ١٣٧.

(٩٨) الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي ١٩١٤ - ١٩٣٢،
ص ٣٥٠.

(١١٦) الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والإصلاح الزراعي، ص ٢٤٢ وما بعدها.

(١١٧) راجع نص القانون في، وزارة الزراعة، الملكية الصغرى في العراق، ص ٣-٨.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ١٠٧، الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والإصلاح الزراعي، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(١١٩) انظر الجداول المنشورة في، الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والإصلاح الزراعي، ص ٢٨٠-٢٨١.

(١٢٠) عبد الوهاب مطر الداهري، اقتصاديات الإصلاح الزراعي (الوصل - مطبة - جامعة الموصل - د. ت) ص ٣٣٤.

(١٢١) الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والإصلاح الزراعي، ص ٢٨٥.

(١٢٢) أخذت معلومات وإرقام هذا الجدول من؛ Batatu; op. cit., PP. 58-61.

(١٢٣) ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق (بغداد - ١٩٧٩) ص ١١٩.

(١٢٤) راجع النص الكامل للقانون في، الجمهورية العراقية، وزارة الزراعة، قانون الإصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ (بغداد - مطبعة الحكومة - ١٩٥٨).

(١٢٥) Majid Khadduri; Republican Iraq (Oxford - 1969) P. 151.

(١٢٦) هادي احمد مخلف، حياة الأرض الزراعية واستثمارها في محافظة بغداد (بغداد - ١٩٧٧) ص ٨٠-٨٢.

(١٢٧) الداهري، المصدر السابق، ص ٣٣٧، وحول هذه القوانين والتعليقات راجع، الخالد والأزدي، المصدر السابق، ص ١٦٧-١٨٧.

(١٢٨) مخلف، المصدر السابق، ص ٨٣.

(١٢٩) محمود، الإصلاح الزراعي، ص ١٠٢، وتأكيذاً لذلك يذكر الجواهري انه عند انيار حكم عبدالكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ كان مجموع الأراضي المستولى عليها قد وصل الى ٩,٩٨٢,٠٥٥ دونم، بينما لم تتجاوز مساحة الأراضي الموزعة

(١٣٥) ١,٦٦٤,٣٦٥ دونم. انظر، الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والإصلاح الزراعي، ص ٣٤٠.

(١٣٠) الداهري، المصدر السابق، ص ٣٦١-٣٦٢.

(١٣١) الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والإصلاح الزراعي، ص ٣٤١-٣٤٢.

(١٣٢) الداهري، المصدر السابق، ص ٣٦٣-٣٦٩، مخلف، المصدر السابق، ص ٩٢-٩٩.

(١٣٣) الداهري، المصدر السابق، ص ٣٧١.

(١٣٤) بشأن تفاصيل أكثر راجع، الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والإصلاح الزراعي، ص ٤٨٢-٤٨٤.

(١٣٥) الخالد والأزدي، المصدر السابق، ص ٢١٠-٢١١.

(١٣٦) الداهري، المصدر السابق، ص ٤٣٤.

(١٣٧) تعد الإدارة المجهزة فترة اعداد الأراضي التي استولت عليها الدولة والتي في حيازتها تكون صالحة للتوزيع، وتوفير المتطلبات الضرورية للاستثمار السليم. وتكون مهمة الإصلاح الزراعي في هذه الفترة ادارة هذه الأراضي عن طريق تأجيرها الى المزارعين الفعليين فيها وذلك بواسطة جهاز الادارة المجهزة التابع لمؤسسة الإصلاح الزراعي والمجالس الزراعية في المحافظات. ان ادارة الأراضي في فترة الانتقال تعتبر من المراحل التنفيذية المهمة لقانون الإصلاح الزراعي، فبها يتم اعداد المتعاقدين من الفلاحين ليصبحوا مالكيين فيها بعد. انظر، المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٤٤٣.

(١٣٩) محمد خيري محمد العبدلي، دراسة تحليلية للنشاط الاقتصادي للتعاونيات الزراعية العراقية (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الزراعة - جامعة القاهرة ١٩٧٨) ص ١٢٨.

(١٤٠) خصباك، المصدر السابق، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(١٤١) عدنان احمد تلاج البدرواني، دراسة اقتصادية تحليلية للتسليف الزراعي للجمعيات التعاونية الزراعية في محافظة نينوى (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الزراعة - جامعة الموصل - ١٩٨٢) ص ٣٠-٣١.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٧.

الزراعة والثروة الحيوانية

د. خليل اسماعيل محمد

مقدمة :

القانون خلال ولاية مدحت باشا لبغداد (١٨٦٩-١٨٧٢) ثم كانت قوانين تنظيم الري وتوسيع رقعة الأرض الزراعية بعد ذلك. من جهة اخرى، فان تطبيق تلك التشريعات

بدأت حركة الاهتمام بالزراعة في العراق في ظل التشريعات والقوانين الزراعية التي كانت تهدف الى تنظيم استثمار الارض والعلاقات الانتاجية منذ قانون عام ١٨٥٧، أعقب ذلك توسع في تطبيقات هذا

خارج حدود المراكز الحضرية كان ضعيفاً ، حيث لم تصل تأثيراتها المناطق الريفية والاطراف البعيدة حتى نهاية الحكم العثماني للعراق . ويمكن القول إن الحكومة العثمانية لم تنجح في توفير نظام قادر على تنظيم شؤون الأراضي ، لذلك استمرت مشكلة الأرض والعلاقات الانتاجية الزراعية قائمة حتى بعد خروج العراق من السيطرة العثمانية .^(١)

وفي ظل الاحتلال البريطاني لم يحاول الانكليز احداث تغير جوهري في نظام التصرف بالأرض ، بيد انهم اصدروا قرارات خاصة عززوا بها مكانة الشيوخ ووسعوا نفوذهم .^(٢)

وبعد حصول العراق على الاستقلال تم الاستعانة بالخبير «دوسن» لدراسة المشكلة الزراعية . وقد اقترح الخبير إنهاء سيادة النظام العشائري ، واعتماد سياسة علمية تقوم على المسح الشامل للأرض الزراعية مع بقاء ملكية الأرض للدولة وهي تتولى تفويض حق التصرف الى المستغلين الفعليين .

وفي ضوء ذلك شرعت الحكومة العراقية عدداً من القوانين لتسوية حقوق التصرف بالأرض من بينها قانون رقم (٥٠) لسنة ١٩٣٢ وقانون (٢٩) لسنة ١٩٣٨ وقانون (١١) لسنة ١٩٤٠ ، وقانون (٤٨) لسنة ١٩٤١ ، ثم قانون رقم (١١) لسنة ١٩٥٤ .

وبرغم ذلك فان نظام الملكية في العراق كان في مقدمة العوامل التي عرقلت التطور الزراعي ، وحدت من امكانيات التوسع في الأرض الزراعية ، كما قامت بدور في هجرة الفلاحين الى المدن .

وقد عمدت الحكومة العراقية الى تشريع قوانين لاصلاح حالة الملكية الزراعية ، الا ان نتائجها لم تكن مرضية . ومن بين هذه التشريعات قانون تسوية حقوق الأرض لعام ١٩٣٢ ، وتعديلاته عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ . كما شرع قانون عام ١٩٤٠ لتنظيم العمل الزراعي . واتجهت الدولة عام ١٩٤٥

الى توزيع الأراضي الاميرية على اساس الملكيات الصغيرة ، ومع ذلك فان بيانات التعداد الزراعي (١٩٥٧-١٩٥٨) اشارت الى ان مساحة الاراضي الاميرية الموزعة خلال الفترة بين عامي (١٩٤٥-١٩٥٥) كانت حوالي (٢,٢) مليون دونم وعلى (١٥,٥٠٠) فلاح فقط . ويلاحظ ان نصف هذه المساحة منح الى شيخ عشائر شمر في الموصل^(٣) وحتى صدور قانون الاصلاح الزراعي رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٨ ، كان (٨٥٪) بين المالكين لانتجاوز ملكياتهم (١٢٪) من مجموع مساحة الأرض الزراعية ، فيما كان نحو (١٥٪) منهم يملكون (٨٨٪) من مجموع الملكيات الزراعية في القطر . كما ظهر ان الغالبية العظمى من الفلاحين محرومون من الأرض الزراعية^(٤) اما معدل حجم الملكية فكان في المحافظة أعلى منه في القطر^(٥) . ويمكن القول بأن ثمة فئات ثلاث ظهرت آنذاك ، هي فئة صغار المالكين ، وكبار المالكين والمالكين الغائبين ، وكان نظام المحاصصة هو المعمول به حيث يقسم الناتج بين اربعة اطراف لم يكن للفلاح فيه سوى نصيب ضئيل لايزيد على ٥٥٪ في المناطق الديمة ، واقل من ذلك بكثير في المناطق الاروائية ، انظر الجدول (١) .

الجدول (١)

الانتاج الزراعي في نظام المحاصصة

قبل عام ١٩٥٨

الاطراف	الاراضي المروية	الاراضي الديمة
الدولة	١٠	٥,٠
السركال	٢,٥	—
المالك	٤٧,٥	٤٠,٠
الفلاح	٤٠,٠	٥٥,٠
المجموع	١٠٠	١٠٠

المصدر: عبد الخالق عبيد ، اقتصاديات الأرض والاصلاح الزراعي ، ص ٢٨٣ .

ثم جاءت التشريعات والقوانين الزراعية بعد عام ١٩٥٨، لتعمل على إعادة توزيع الأرض الزراعية على الفلاحين، وفق اسس وقواعد تحقق زيادة الانتاج ورفاهية المجتمع. ومن هذه التشريعات قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ وتعديلاته عام ١٩٦٩، وقانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠، ثم قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥، وهكذا ظهر الى جانب التوزيع الفردي للأرض الزراعية التوزيع الجماعي. وفضلاً عن التعاونيات الزراعية المشتركة ظهرت المزارع الجماعية ومزارع الدولة في حين لم تكن في المحافظة سوى (٣) جمعيات تعاونية عام ١٩٦٣ بلغت (٢٤٣) جمعية عام ١٩٧٧. كما زاد عدد اعضائها من (٣٢٠) عضو، الى (٥٩٤٠٤) عضو خلال تلك الفترة. وفضلاً عن ذلك فان المحافظة تصدر حالياً محافظات القطر من حيث عدد التعاونيات الزراعية ومجموع عدد اعضائها والمساحات التي بحوزتها^(٦).

الزراعة :

يمثل القطاع الزراعي واحداً من اهم القطاعات الانتاجية التي تسهم في تنمية الدخل القومي في العراق. بل ويعد حجر الزاوية في التوجهات الحقيقية للتنمية القومية.

ولقد تهاى للعراق، خلال امكاناته الطبيعية والبشرية، ان تكون للزراعة قاعدة متميزة وذات جذور تاريخية في اقتصاديات القطر، وان تكون مياه الأنهار المصدر الرئيس لقيام الزراعة واستقرار السكان، دفع بالانسان للسيطرة على تلك المياه وتحقيق المستوى الافضل لحاجات الزراعة والسكان.

وتعد محافظة نينوى في مقدمة محافظات القطر مساهمة في القطاع الزراعي، سواء من حيث المساحات المزروعة، أو من حيث كميات الانتاج.

واذا كانت المساحة المزروعة في عموم القطر لا تتجاوز ١٧٪ من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة، فان هذه النسبة ترتفع الى نحو ٦٤٪ في تلك المحافظة^(٧).

وتشير البيانات الى ان المساحة المزروعة في محافظة نينوى بلغت أكثر من اربعة ملايين دونم تمثل ٣٩٪ من مجموع المساحات المزروعة في القطر. كما بلغ حجم انتاجها الزراعي نحو ٥٠٪ من مجموع الانتاج الزراعي لعام ١٩٨٨^(٨).

ومع تباين نسب المساحات الزراعية وكميات الانتاج بين سنة وأخرى، فانها تتباين على مستوى الوحدات الادارية الاصغر كذلك، لاحظ الخريطة (١)، حيث تمثل الشيوخ وتلعفر وتلكيف وسنجار، والحمدانية اهم المناطق التي تضم الامكانيات الزراعية على نطاق واسع.

من جهة اخرى، فان المساحات المزروعة بالمحاصيل الشتوية تحتل مركز الصدارة في الاستثمار الزراعي، ولاسيما الحنطة والشعير.

ويلاحظ ان الموسم الزراعي ١٩٥٨-١٩٥٩، كان قد كشف عن نسبة متميزة في استثمار الأرض وزراعتها، بلغت نحو ٥١٪ من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة. بيد ان هذه النسبة ارتفعت خلال السنوات التالية، بحيث بلغت نحو ٦٤٪ للموسم الزراعي ١٩٧٦/١٩٧٧.

وبينما كانت الزيادة في الأرض الزراعية تتجاوزت ١٩٪ خلال الفترة بين موسمي (١٩٥٨/١٩٥٧ و ١٩٦٣/١٩٦٤)، فانها بلغت نحو ٢٤٪ للفترة (١٩٦٣/١٩٦٤-١٩٦٨/١٩٦٩)، فيما عانت انخفاضاً خلال الفترة (١٩٦٨/١٩٦٩-١٩٧٦/١٩٧٧) ونسبة ١٥٪، كما كانت الزيادة في مساحة الأرض المستثمرة زراعياً للفترة بين (١٩٨١-١٩٨٨) نحو (٢٠٪)^(٩).

ويلاحظ ان المساحات المزروعة بالمحاصيل الشتوية قد احتلت أكثر من ٩٨٪ من مجموع

الجدول (٢)

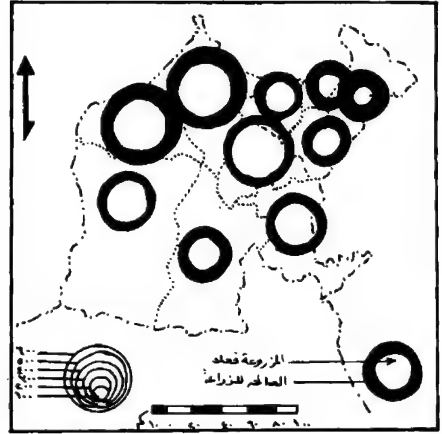
المساحات المزروعة بحسب نوع الانتاج (١٩٥٧-١٩٨٧)

نوع الانتاج	الموسم ١٩٥٨-١٩٥٧	الموسم ١٩٧٦-١٩٧٧	الموسم ١٩٨٧-١٩٨٨
الحاصل الشتوية	٩٨,٧	٩٨,١	٩٨,٦
الحاصل الصيفية	٠,٩	٠,٦	٠,٣
الخضراوات الشتوية	٠,١	٠,١	٠,١
الخضراوات الصيفية	٠,٣	١,٢	١,٠

وزارة التخطيط ، المجموعات الاحصائية السنوية للسنوات المعنية.

بالحبوب الغذائية تضم النسبة الاكبر من الأراضي المستثمرة في المحافظة ، فانها تمثل ثلث الأراضي المستغلة بزراعة الحبوب في البلاد ، و(٣٩٪) من مجموع الانتاج . وبينما ، تبلغ المساحة المزروعة بالقمح (٣٥٪) من الارض المزروعة به في القطر ونحو ٤٦٪ من الانتاج عام ١٩٨٥ ، فان هذه المساحة تجاوزت ٣٨٪ للموسم الزراعي ١٩٨٨ ، فيها انخفض الانتاج الى اقل من ٤٣٪ من مجموع انتاجه ، لاحظ جدول رقم (٣) . اما بالنسبة للشعير ، فقد ارتفع حجم الانتاج من (٣٦-٦٢٪) من مجموع انتاجه في القطر ، وذلك للتوسع في زراعته بحيث زادت الرقعة المزروعة من نحو (٣٢-٤٤٪) من جملة الأراضي المزروعة بالشعير للفترة من ١٩٨٥ - ١٩٨٨ .

وفضلاً عن ذلك فان في المحافظة اعداداً كبيرة من الاشجار ذات الثمار المختلفة . وقد بلغ عدد هذه الاشجار ٢,٢٩٤,٠٠٠ شجرة وتحتل اشجار التفاح والحمضيات والزيتون نسباً متميزة ، فيما بلغت مساحة البساتين نحو (١١) الف دونم^(١٠) . وتعتمد الزراعة اساساً على الامطار ، ولاسيا



الارض الزراعية والصالحة للزراعة في محافظة نينوى (١٩٨٦) .

الاراضي المزروعة فعلاً ، مما يجعلها الاساس في جعل الفعاليات الزراعية مساحة وانتاجاً . لاحظ جدول رقم (٢) . ومع ذلك فان الزيادة في الانتاج الزراعي الصيفي ارتفع من (١,٨-١,٢٪) خلال الفترة بين موسمي (٩٥٧/٩٥٨ - ٩٧٦/١٩٧٧) ، وقد قامت الزراعة الصيفية حيث الانهار وتفرعاتها بصورة خاصة ، فضلاً عن العيون والينابيع والكهاريز والآبار المنتشرة في المحافظة ، لاحظ جدول رقم (٢) بيد انها عانت انخفاضاً جديداً للموسم ١٩٨٧-١٩٨٨ سواء بالنسبة للمحاصيل الصيفية او للخضراوات .

ومن الطبيعي أن التوسع في المشاريع الاروائية ساهم الى حد كبير في عمليات التوسع في الزراعة الاروائية ، كما سيرد في حينه . وتظل الحبوب الغذائية تمثل حجر الزاوية في استثمار الارض الزراعية في المحافظة ، وذلك للحاجة المتزايدة لمثل هذه الغلات بسبب النمو السريع للسكان من جهة ، وارتفاع المستوى المعاشي من جهة اخرى . واذا كانت المساحات المزروعة

الجدول (٣)

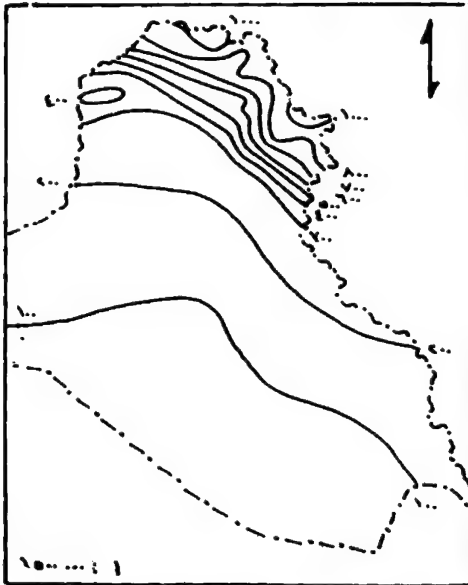
المساحات المزروعة والانتاج في محافظة نينوى
بحسب الغلة بالنسبة للعراق (%)

الغلة	المساحة (١٩٨٥)	المساحة (١٩٨٨)	الانتاج
الحنطة	٣٥,١	٤٥,٩	٣٨,٢
الشعير	٣١,٥	٣٦,٤	٤٣,٦
الشلب	٠,٩	١,٨	٠,٨
القطن	٠,٠٣	٦,٩	٢,٠
الذرة	٧,١	١٠,٠	٣,٥
عباد الشمس	٢٠,٣	٣٠,٨	٤,٨
المجموع	٣١,١	٣٧,٦	٣٩,٢

المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٨٥ و ١٩٨٨.

وعليه ، فان الانتاج الزراعي يتأثر كمياً وكيفاً بالبيئة الطبيعية للمحافظة ، لاسيما في الجهات التي تعتمد على الامطار في انتاجها الزراعي مباشرة . ومن المعروف ان محافظة نينوى تقع في ظل المعايير المناخية لانتاج الحبوب في اقليم الزراعة المطرية شبه المضمونة حيث تزيد كمية الامطار الساقطة على كمية الاستهلاك المائي في معظم اشهر النمو (١٣) . وعلى الرغم من ان الزراعة الشتوية تسود المنطقة المطرية في المحافظات الشمالية من القطر فان الاراضي المنبسطة والصالحة للزراعة ، هي الافضل في عمليات الاستغلال الزراعي . وتمثل هضبة الموصل «سهل شمر» وضيقات دجلة والاراضي بين نهري دجلة والكومل ، من اكثر جهات المحافظة في الزراعة انتاجاً .

ويمكن تقسيم المحاصيل الزراعية في المحافظة بحسب اهميتها الى :



المدلات السنوية للامطار في العراق - ملم -

أ- المحاصيل الحقلية الشتوية : وتشمل الحنطة والشعير والعدس والحمص والبقلاء .

زراعة الحبوب الغذائية . ومن المعروف ان كميات الامطار الساقطة في المحافظة تبلغ في معدلها «٣٩٠» ملم موزعة على نحو «٩٠» يوماً وتتركز في شهر كانون الثاني ، وشباط وآذار وشهر كانون الاول (١١) وتقع المساحات القابلة للزراعة شمال خط المطر «٣٠٠» ملم سنوياً ، انظر الخريطة رقم «٢٥» . من جهة اخرى فان للمياه الجوفية اهمية لاسيما في الزراعة الصيفية حيث تتركز عند العيون والينابيع والآبار والكهاريز وتحديداً في الشمال الشرقي والغرب والشمال الغربي من المحافظة ، وطبيعي فان التذبذب في كمية الامطار تعكس آثارها على مستوى المياه الجوفية ، مما يؤثر سلباً على كميات المياه في مصادر الزراعة الصيفية .

وقد اثبتت الدراسات الحقلية ان انتاج الحبوب في المحافظة وخاصة «الحنطة والشعير» يستجيب طردياً لكمية الامطار الساقطة خلال فترتي الانبات والنمو ، فكما زادت تلك الكمية مالت الغلة الى الارتفاع (١٢) .

- ب- المحاصيل الحقلية الصيفية : واهمها : الرز والذرة والقطن والسمسم والبنجر السكري .
- ج- الخضراوات الشتوية : وتتمثل في الباقلاء والبصل الاخضر والفجل والسلق :
- د- الخضراوات الصيفية : ومن بينها ، الرقي والبطيخ والخيار ، والطماطة والبامية .
- وفيا يأتي دراسة لأهم هذه المحاصيل :

أ- المحاصيل الحقلية الشتوية :

وتبلغ المساحة المزروعة بمثل هذه المحاصيل نحو ٢٢١٧٣٤ ٣,٩٩٤,١٢٤ دونم ونحو ٢٢١٧٣٤ طناً من الانتاج^(١١) . وتمثل أكثر من ٩٨٪ من مجموع المساحات المزروعة في المحافظة وما يزيد على ٥٦٪ من الانتاج . ولاشك فان مقدار كميات الامطار الساقطة وزمن سقوطها يقومان بدور فاعل في رسم حدود زراعة مثل هذه المحاصيل ، ومن بعد تؤثر في كميات انتاجها . فلا غرو ان تتباين غلة انتاج الدونم الواحد بين سنة واخرى ، كنتيجة لاختلاف كميات الامطار الساقطة ، فضلاً عن عوامل اخرى سنائي على ذكرها لاحقاً .

وبينا تتراوح كميات الامطار السنوية الساقطة في المحافظة بين (٨٥٠) ملم في اطرافها الشرقية والشمالية الشرقية ، فانها تقل عن (١٧٥) ملم في جهاتها الجنوبية والجنوبية الغربية . من جهة اخرى ، فان هذه الامطار تتباين زمانياً ايضاً . فخلال الفترة بين عامي (١٩٥٧-١٩٧٧) تجاوزت كميات الامطار الساقطة في المحافظة (٦٠٠) ملم سنوياً في المتوسط للموسم الزراعي ١٩٦٢/١٩٦٣ ، في حين انخفضت الامطار للسنة التالية ، بحيث بلغت (١٧٢) ملم ، وتجاوزت (٥٩٤) ملم في عام ١٩٨٨ .

وفي ضوء هذا التذبذب في كميات الامطار الساقطة صدر قرار لمجلس قيادة الثورة بمجمل خط سقوط المطر (٤٠٠) ملم ، النطاق المضمون للزراعة

الشتوية^(١٥) .

ومن المناسب دراسة اهم المحاصيل الزراعية في المحافظة :

القمح :

تصدر نينوى محافظات القطر في زراعة القمح مساحة و انتاجاً ، فقد بلغت المساحة المزروعة بالقمح في المحافظة اكثر من ٣٨٪ من مجموعها في البلاد . ومع ان محافظة التأميم تأتي بالدرجة التالية ، فانها لا تمثل سوى ١٤٪ من مجموع المساحة المزروعة قمحاً . وبلغت كميات الانتاج نحو ٤٣٪ من مجمل انتاج القمح في العراق^(١٦) . وتحتل المساحات المزروعة بالقمح نسبة تبلغ اكثر من ٣٩٪ من مجموع الارض المزروعة في المحافظة ، ونحو ٣١٪ من كمية الانتاج ، لاحظ الجدول (٤) .

الجدول (٤)

الغلات الزراعية في محافظة نينوى (١٩٨٨)
بحسب المساحة والانتاج

الغلة الزراعية	المساحة %	الانتاج %
القمح	٣٩,٢	٣٠,٦
الشعير	٦٠,٥	٦٨,٨
الشلب	٠,٠٤	٠,١
القطن	٠,٠٣	٠,٠٣
الذرة	٠,٢	٠,٤
عباد الشمس	٠,٠٦	٠,٠٦

المجموعة الاحصائية السنوية (١٩٨٨ / ١٠١ - ١٠٢)

وتتباين زراعة القمح بين جهات المحافظة ، فهي تزداد في اقضية : تلعفر مركز الموصل ،

الجدول (٥)
القمح مساحة وإنتاجاً في محافظة نينوى
(١٩٥٠-١٩٨٨)

السنة	المساحة (دوم)	الانتاج (طن)
١٩٥٠	٩٥٢,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠
١٩٥٥	٢,٢٠٠,٠٠٠	١٧٧,٠٠٠
١٩٥٨	٢,٧٢٧,٠٠٠	٢٦٢,٠٠٠
١٩٦٢	٢,٣٣٣,٠٠٠	٤٤٦,٠٠٠
١٩٦٨	٣,٥٢٧,٠٠٠	٥٥٦,٠٠٠
١٩٦٩	٣,٠٠١,٣٠٠	٤٣٠,٣٠٠
١٩٧٠	٣,٠١٨,٩٠٠	٣٧٦,٤٠٠
١٩٧١	٧٧٠,٤٠٠	٨٠,٦٠٠
١٩٧٤	٣,٢٦٤,٠٠٠	٤٩٠,٠٠٠
١٩٧٥	٢,٤٠٤,٤٠٠	٢٣١,٣٠٠
١٩٨١	٢,١٥٠,٤٠٠	٣٦٦,١٠٠
١٩٨٥	٢,١٩٨,٠٠٠	٦٤٤,٨٠٠
١٩٨٨	١,٦٧٢,٥٠٠	٣٩٤,٥٠٠
المجموعات الاحصائية للسنوات ١٩٧٤ و ١٩٨١ و ١٩٨٥ و ١٩٨٨.		

العوامل بصاتها بوضوح على انتاجية الدوم الواحد في المحافظة فبينما وصل انتاج الدوم الواحد من القمح (٢٣٦) كغم سنة ١٩٨٨، لم يتجاوز الانتاج عام ١٩٥٥ ٨٠٠ كغم فقط. مما يعكس الى جانب التذبذب في انتاجية الغلة، التطور الذي رافق الفترة المذكورة في هذا المجال، انظر جدول رقم (٦).

وفي مقارنة لمتوسط انتاج الغلة مع اقطار اخرى يظهر الفرق الكبير بين انتاجية الدوم الواحد. ففي مصر، بلغ المتوسط (٦٩٠) كغم/دوم، وفي البانيا (٦٣٣)، وبلغ في اليابان (٦١٣) كغم/دوم^(١٩).
١٦٧

سنجار، والباج، في حين تقل في تلكيف والحمدانية والشيخان وعقرة.

وتشتهر الموصل بالحنطة القندارية، وهي على نوعين:

١- الحنطة الناعمة: وتستعمل للخبز ومنها حميرة وبويضة، ومانية.

٢- الحنطة الخشنة: وتستعمل غالباً لصنع البرغل^(١٧). واصنافها: سن الحمل وكروكة وصندولة والسماقية، والأخيرة اكثرها شيوعاً^(١٨).

وجدير بالذكر ان ثمة انواعاً نجحت زراعتها من اهمها: صنف «صابر بك» وصنف «المكسيك» نتيجة تحملها للظروف الطبيعية والطلب المتزايد عليها فضلاً عن الصنف «الايطالي» الخشن. ومن المعروف أن القمح هو الغلة الاساسية، سواء من حيث كونها تمثل المادة الغذائية للسكان، او لاهميتها في عدد من الصناعات الغذائية.

ويبدو ان المساحات المزروعة بالقمح، وكميات الانتاج تتباين من فترة لآخرى، حيث تتراوح المساحة الزراعية بين ما يزيد على ثلاثة ملايين ونصف دوم الى اقل من المليون كما تحرك الكميات المنتجة بين (٨٠,٦٠٠) طن و(٦٤٤,٨٠٠) طن خلال الفترة بين عامي (١٩٥٠-١٩٨٨)، انظر جدول رقم (٥).

ان الظروف الصعبة التي واجهت القطاع الزراعي في العراق، سواء الطبيعية منها (كالمطار وعدم انتظام مناسيب المياه، وانخفاض درجات الحرارة، او البشرية من بينها: السليبيات التي رافقت تطبيق القوانين والتشريعات الزراعية، والبيروقراطية في اجهزة الدولة الى جانب قلة الكادر المتخصص، والآفات الزراعية، ودرجة الاستفادة من التقنية الزراعية. كلها عوامل كانت تقف وراء التذبذب في الانتاج الزراعي، لاسيما بالنسبة للحبوب الغذائية ولاسيما القمح. كما تركت ذات

المزروعة بالشعير في البلاد، و (٦٢٪) من مجموع انتاجه، لاحظ جدول رقم (٧).

الجدول (٧)

الشعير في محافظة نينوى مساحة وانتاجاً

(١٩٦٩-١٩٨٨)

السنة	المساحة	الانتاج	السنة	المساحة	الانتاج
٪	٪	٪	٪	٪	٪
١٩٦٩	٣٣,٨	٣٠,١	١٩٨٢	٤٥,٤	٣٤,٠
١٩٧٠	٢٥,١	١٤,٤	١٩٨٤	٢٤,٥	٨,٣
١٩٧١	٦,٧	٢,٤	١٩٨٥	٤٢,٨	٣٦,٤
١٩٨٠	٣٢,٨	٢٩,٩	١٩٨٨	٤٣,٦	٦١,٨
١٩٨١	٣٣,٧	٣٥,٤			
الجموع الاحصائية للسنوات ١٩٦٩-١٩٨٨					

ومثل ما عانى القمح تذبذباً في مساحاته المزروعة، وفي انتاجه، كذلك عانى الشعير. فبينما لم تتجاوز المساحة المزروعة مليون دونم سنة ١٩٨١، بلغت نحو (٢,٦) مليون دونم سنة (١٩٨٨). كما زاد الانتاج من (٣٢٧) الف طن الى اكثر من (٨٨٨) الف طن خلال الفترة نفسها^(٢١).

وتركزت المساحات المزروعة بالشعير في اقصية: تلعفر والموصل، وسنجار وعقرة، والشيوخان، فيما تقل في قضاي، الحضر والباج. ويبدو ان الشعير قد توغلت زراعته بعيداً، خارج حدود مناطق الزراعة، بسبب تحمله للمناخ المتطرف، وحيث يمكن نجاح زراعته في ظروف حرارية لانتاسب وكثير من المحاصيل الزراعية الاخرى، وبمقدار اقل من المياه^(٢٢).

المحاصيل الحقلية الصيفية :

الرز:

ويمثل اهم الغلات الصيفية في المحافظة، وقد

الجدول (٦)

تباين انتاج القمح في محافظة نينوى من حيث الغلة

الزراعية

(١٩٥٠-١٩٨٨)

السنة	الغلة	السنة	الغلة
(كغم / دونم)	(كغم / دونم)	(كغم / دونم)	(كغم / دونم)
١٩٥٠	١٦٠	١٩٧١	١٠٥
١٩٥٥	٨٠	١٩٧٤	١٥٨
١٩٥٨	٩٦	١٩٨٠	١٧٨
١٩٦٢	١٩١	١٩٨١	١٨٦
١٩٦٨	١٥٧	١٩٨٢	٢٠٤
١٩٦٩	١٤٣	١٩٨٤	٦٣
١٩٧٠	١٢٥	١٩٨٥	٢٣٩
		١٩٨٨	٢٣٦

ومع ذلك فان ثمة ارتفاعاً صاحب النصف الثاني من هذا القرن، ويرز بوضوح في فترة الثمانينات، ولارب في ان زيادة استخدام المكننة الزراعية تتناسب طردياً مع انتاجية الغلة، كما ان الاستخدام الافضل للموارد المائية بما يحقق استمراريته بمقايير مناسبة للاستثمار الزراعي، فضلاً عن استخدام البذور المحسنة والاصمدة الكيماوية، برعاية وارشاد المعنيين في الارشاد الزراعي، ومكافحة الآفات الزراعية.. من شأنها ان تعكس آثارها ايجابياً على مستوى الانتاج ونوعيته.

الشعير:

وقد تقدم بقية المحاصيل الزراعية في الآونة الاخيرة، مساحة وانتاجاً، حيث تجاوزت المساحات المزروعة في المحافظة (٦٠٪) من مجموع الاراضي الزراعية، ونحو (٦٩٪) من مجموع الانتاج^(٢٠). وتمثل نحو (٤٤٪) من المساحة

الجدول (٨)
الرز مساحة وإنتاجاً في محافظة نينوى
(١٩٥٧-١٩٨٨)

السنة	المساحة (دوم)	الانتاج طن
١٩٥٧	٩٥٣١	٢٦٥٥
١٩٦٣	٢٠٥٢	٩١٦
١٩٦٨	٦١١٤	٣٩٥٧
١٩٧٦	٤٨٢٠	٣٤٥٦
١٩٨٠	١٩٠٠	١٢٠٠
١٩٨١	٢٢٠٠	١٧٠٠
١٩٨٢	٥٣٠٠	٦٦٠٠
١٩٨٤	٧٠٠	٨٠٠
١٩٨٥	٢٢٠٠	٢٦٠٠
١٩٨٨	١٧٠٠	١٥٠٠

المجموعات الاحصائية للسنوات المذكورة.

ومن المعروف ان الرز يحتاج الى درجات حرارة عالية لا تقل عن (٣٤)°م في المتوسط ، مما لا يتناسب وظروف المحافظة المناخية ، فضلاً عن الحاجة الى الموارد المائية صيفاً . فلاغروا ن تبلغ مساهمة المحافظة نسبة (١٪) فقط من مجموع انتاج الرز في البلاد (٢٥) .

وتتركز زراعة الرز في النطاق الشرقي من المحافظة ، وذلك حينما توافرت مياه العين والابار والينابيع ، اوتوافرت ظروف الارواء الاخرى . ويعد قضاء عقرة والشيخان اهم مناطق زراعته .

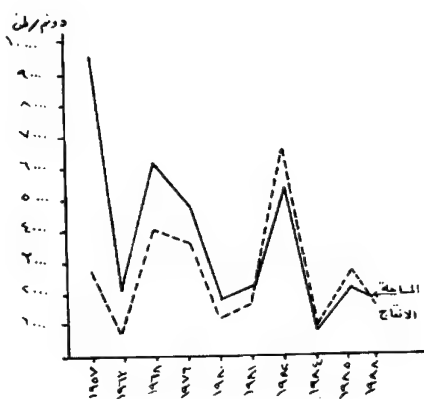
الذرة الصفراء

وتحتل الذرة الصفراء مساحة صغيرة نسبياً من الارض الزراعية في المحافظة ، تتراوح بين (٠,٥-٠,١) ٪ من مجموع المساحة المزروعة في القطر ، ومحدود مماثلة في الانتاج . ومن المعروف ان لتوفر السوق الاستهلاكية ،

بلغت نسبة المساحة المزروعة بالرز اكثر من (٢٠٪) من مجموع المساحات الحقلية المزروعة صيفاً ، ونحو (٨٪) من مجموع الانتاج الصيفي في المحافظة .

ويلاحظ من البيانات المتوافرة أن المساحات المزروعة بالرز قد انخفضت خلال العقود الثلاث الاخيرة (لاحظ الجدول (٨)) بحيث لا تزيد في الوقت الحاضر على (١٪) فقط من مجموع المساحات المزروعة في المحافظة ، ونحو (٢٪) من مجموع الانتاج (٢٣) . وبينما كان الاستغلال للارض الزراعية بمحصول الرز يبلغ اكثر من (٩٥٠٠) دوم للسنة الدراسية ١٩٥٧ فان المساحة المزروعة لم تتجاوز (١٧٠٠) دوم سنة ١٩٨٨ ، وبانتاج بلغ (١٥٠٠) طن لاحظ شكل (١) . وهو لا يمثل سوى (٠,١٪) من مجموع الانتاج الزراعي (٢٤) .

وتباينت كذلك انتاج الغلة بين (٢٨٨) كغم في الدوم الواحد الى اكثر من (١٢٤٩) كغم ، خلال الفترة بين عامي (١٩٥٧-١٩٨٨) .



الشكل رقم ١-١- الرز في محافظة نينوى للفترة (١٩٥٧-١٩٨٨)

المحافظة. وتمثل هذه النسبة (٢٪) من المساحة المزروعة قطعاً في البلاد كما بلغ الانتاج ٢,٦٪ من مجموع الانتاج.

وتتركز زراعة القطن في اقضية: تلعفر، وسنجار، والحمدانية.

ويبدو ان فترة السبعينات كانت فترة ازدهار زراعة القطن في المحافظة، ويمكن ان نعزو ذلك الى الزيادة في الطلب عليه اليافاً وبدوياً، بسبب زيادة حجم السكان، واتباع الطرق الحديثة في مكافحة الآفات الزراعية، فضلاً عن استعمال البذور المحسنة، والاسمدة الكيماوية. وقد تمثلت الفترة المذكورة باستعمال واسع للاسمدة في المحافظة، حيث ارتفعت الكمية المستثمرة من (١٢٤٢) طن للموسم الزراعي ٩٧٣-١٩٧٤، الى (١٧٣٦٦) طن للموسم ١٩٧٦-١٩٧٧، كما ارتفعت المساحة التي تم تسميدها من (١٦٥١٧-١٠٠٢٠٠) دونم للفترة نفسها^(٢٦). ومع ذلك فان التباين في انتاج الغلة مازال قائماً كذلك بالنسبة لانتاجية محصول القطن.

ان اسباب تذبذب القطن مساحة ونتاجاً، يعود في الغالب الى:

- ١- العناية الكبيرة التي تحتاجها زراعة القطن، مما يقلل من رغبة الفلاح التوسع في زراعته.
- ٢- الحاجة المستمرة الى استعمال الاسمدة.
- ٣- الآفات الزراعية التي قد تؤدي بالنتائج في بعض المواسم.
- ٤- التذبذب في مستوى المياه صيفاً مع حاجة القطن الى المياه في هذا الفصل.

وفضلاً عما سبق من غلات اشتهرت بها المحافظة، فان ثمة مساحات تزرع سنوياً بمحاصيل ذات اهمية فصلية، منها: السمسم، والعدس والحرطان والباقلاء وعباد الشمس.. وقد بلغ الانتاج من الحرطان في المحافظة ٩٧٪ من مجموعته في العراق

وكميات المياه اللازمة، دور في المساحة المزروعة بالذرة، وفي كمية الانتاج. وقد لوحظ تباين كبير في المساحات المزروعة بها، وكميات الانتاج، بحيث بلغت في الموسم الزراعي ١٩٨٨ نحو (٩٢٨٥) دونم من حيث المساحة، وبلغ حجم الانتاج، (٥٨٥٥) طن، فيما لم تكن تتجاوز المساحة المزروعة للموسم الزراعي (١٩٨٥) حدود (٩٧) دونم فقط ويكفي انتاج لا تزيد على (٤١) طن. انظر جدول رقم (٩). وتمثل اقضية الحمدانية وعقرة والشيخان وتلعفر، وتلكيف، المناطق الرئيسة لانتاجه.

الجدول (٩)

الذرة الصفراء في محافظة نينوى مساحة ونتاجاً
(١٩٨٨-١٩٥٧)

السنة	المساحة (دونم)	الانتاج (طن)
١٩٥٧	٩٨٢	٢٠٧
١٩٦٣	٤٩٣	٩٩
١٩٦٨	٦٦٨	٢١٦
١٩٧٦	٣٤٢	١٠٣
١٩٨٠	١٨١	١٩٣
١٩٨٢	٣٩٨	—
١٩٨٤	٤٧٧	١٨٨
١٩٨٥	٩٧	٤١
١٩٨٨	٩٢٨٥	٥٨٥٥

المجموعات الاحصائية للسنوات ١٩٥٧-١٩٨٨.

القطن:

من المحاصيل النقدية الصيفية المهمة، والتي تحتاج الى كثير من الجهد والعناية، لذا فان مجال زراعته محدود نسبياً، وقد بلغت المساحة المزروعة بالقطن اقل من (١٪) من الارض المزروعة في

الصافية حوالي ٤٥٪ من مجموع القيم التي ساهم بها القطاع الزراعي. ومع ذلك فإن تربية الفلاحين للحيوانات، لاتعد جزءاً أساسياً من الاقتصاد الزراعي، وإنما جزءاً اضافياً،^(٣١) حيث ترتبط الثروة الحيوانية بالانتاج الزراعي، الى حد كبير. فترى الاغنام، والماعز، والابقار، والجاموس في المزارع والحقول الريفية.

وتتمتع محافظة نينوى بظروف نموذجية لتربية مختلف انواع الحيوانات، فهي الى جانب الاراضي الجبلية التي تروى عليها الماعز تضم مناطق مثالية لتربية الاغنام في الجهات الجنوبية والشمالية الغربية من المحافظة، كما تعد بواديها الغربية والجنوبية الغربية، مناطق مهمة لتربية الجمال. وعليه فان كثرة الاغنام في منطقة الدراسة، تعزى الى سعة المراعي، وتوافر العشب، والمناخ الملائم. كما ان مقاومة الماعز للظروف الطبيعية سهل استغلال الاراضي المغرسة في المحافظة. فلا غرو ان تضم اكثر من ربع مجموع الاغنام في القطر، (١٤٪) من الماعز، وما يزيد على ٧٪ من مجموع الابل، انظر الجدول (١٠).

الجدول (١٠)

الثروة الحيوانية في محافظة نينوى (١٩٨٦)

النوع	العدد	٪ من مجموعها في العراق
الاعنام	٢٣٣٥١٠٠	٢٦
الماعز	٢٠٧٨٠٠	١٤,١
الابقار	١١٣٢٠٠	٧,٢
الجاموس	٦٠٠٠	٤,٣
المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٦ : نتائج مسح الثروة الحيوانية في القطر لسنة ١٩٨٦ - بالرونبر		

ومثل ذلك من المساحة ونحو ٤٧٪ من العدى، اما المساحات المزروعة بالحصى والكتان فقد تجاوزت ثلث المساحات المزروعة بها في البلاد ومثل ذلك في الانتاج^(٣٢). وتعد الشيوخان وعقرة وتلكيف والحمدانية اهم اقصية المحافظة مساحة ونتاجاً للعدس والحصى.

ج - اشجار الفاكهة :

لقد شجعت الظروف الطبيعية في المحافظة، سواء من حيث الارض او المياه ودرجات الحرارة، على زراعة اشجار الفاكهة، كما تنسج بإمكانات في التوسع بها. وقد كان لتزايد الطلب على الفاكهة اذ شجع المزارعين على الاهتمام بهذا النوع من الاشجار، لاسيما وان ايرادها السنوي يزيد على عشرة اضعاف الايراد المتأني من زراعة الحبوب. وفي مقدمة هذه الاشجار: الزيتون والجوز والفسق والتين والعنب. فن الزيتون تضم المحافظة نحو ٧٢٪ من مجموع اشجاره في العراق. وتعتبر بعشيقه اهم مناطق زراعته. ومن اشجار الجوز تضم اكثر من ٦٠٪ من اشجاره في القطر ومن الفسق ما يزيد على ٥٠٪، بالاضافة الى ٤٣٪ من اشجار التين^(٣٨). وتعد اقصية عقرة والشيوخان وتلعفر وسنجار اهم مناطق زراعتها. بيد ان القطع المتعمد والحرق او عدم العناية بها، حد من التوسع في زراعتها. ومع ذلك فقد ادخلت محاصيل جديدة، كالمانجو، والعنب، واللانكي والبنكي دنيا. وتدل البيانات ان عدد اشجار الفاكهة في المحافظة قد زاد ونسبة تقرب من ١٠٪ خلال الفترة بين عامي ١٩٥٨-١٩٧٨^(٣٩)، الا انها لاتمثل سوى ١,٥٪ من مجموع اشجار الفاكهة في العراق^(٣٠).

الثروة الحيوانية :

يمثل الانتاج الحيواني مورداً مهماً من موارد الدخل القومي في العراق، بحيث بلغت القيمة

ساهم في زيادة الطلب على اللحوم والمنتجات الحيوانية الأخرى أدركنا الحاجة المتزايدة باستمرار الى مثل هذه المنتجات. وتدل البيانات على ان نسبة استهلاك اللحوم في المحافظة بلغت (٣,٤)٪ سنوياً خلال الفترة بين عامي (١٩٦٨-١٩٧٧) (٣٢). وارتفعت كثيراً خلال الفترة التالية (٧٧-١٩٨٦) من جهة أخرى، فان نسبة الاغنام في المحافظة، قد اتسمت بارتفاعها النسبي حيث بلغت (٢٦)٪ من مجموعها في القطر سنة ١٩٨٦ وكذلك ارتفعت نسبة الماعز ومثل ذلك الابقار والجاموس، لاحظ الجدول (١٢).

الجدول (١٢)

الثروة الحيوانية في محافظة نينوى بالنسبة الى مجموعها في العراق (١٩٨٦-١٩٦٥) (٪)

النوع	١٩٦٥	١٩٧٨	١٩٨٦
الاعنام	١٢,٨	٢٠,٩	٢٦,٠
الماعر	١٣,٠	١١,٩	١٤,١
الابقار	٥,٤	٦,٣	٧,٢
الجاموس	١,٨	٣,٥	٤,٠
الابل	١٩,٣	٧,٣	—
الخيول	—	٤,٣	—

— المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٤ / نتائج مسح الثروة الحيوانية لسنة ١٩٧٨
 — المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٦ / نتائج مسح الثروة الحيوانية لسنة ١٩٨٦
 — دليل القطاع الزراعي لسنة ١٩٦٨ / ١٩٦٩ ص ١٩.

وفي ضوء ما سبق، وبرغم الظروف المناسبة للتوسع في انتاج وزيادة الثروة الحيوانية في منطقة الدراسة، فان ثمة معوقات لاتزال تحول دون ذلك، منها معوقات طبيعية ذات علاقة بالمناخ او المياه. او معوقات بشرية تتصل بوسائل تربية

واللخيول في المحافظة اهمية خاصة، فثمة ما يزيد على (١٢) نسباً من الخيول العربية الاصيلية. وهي ذات عناية واهتمام، لاسيا لدى عشائر شمر. وتضم (٤)٪ من مجموع الخيول في البلاد. ويلاحظ ان هناك تبايناً في تطور حجم الثروة الحيوانية في المحافظة. فعلى الرغم من الزيادة في عدد الاغنام والجاموس والابقار، فانها لاتمثل الحد الأدنى لحاجات السكان المتزايدة.. ويشير الجدول (١١) الى ان الزيادة في الاغنام بلغت ٣,٣٪ سنوياً خلال الفترة (١٩٦٥-١٩٧٨)، ثم (١,٩)٪ فقط للفترة التالية (١٩٧٨-١٩٨٦). وكانت نسب الزيادة السنوية في عدد الماعز (٠,١)٪. ثم عانت انخفاضاً بنسبة ٢٪ تقريباً للفترتين المذكورتين على التوالي. وتنسحب نسب الانخفاض في اعداد الجاموس والابل ايضاً، واذا اخذنا بنظر الاعتبار، الزيادة في وتائر نمو سكان المحافظة والتي تجاوزت (٥)٪ سنوياً، وارتفاع مستوى الدخل الفردي، مما اضاف عنصراً جديداً

الجدول (١١)

نسب التغير في حجم الثروة الحيوانية في المحافظة (١٩٨٦-١٩٦٥) ٪ سنوياً

النوع	١٩٦٥-١٩٧٨	١٩٧٨-١٩٨٦
الاعنام	٣,٣	١,٩
الماعر	٠,١	-١,٩
البقر	٢,٨	٠,٧
الجاموس	٣,٩	٠,٠٣
الابل	-٦,٧	—

المجموعة الاحصائية السنوية / ١٩٨٤
 ودليل القطاع الزراعي لسنة ١٩٦٨-١٩٦٩
 مسح الثروة الحيوانية في القطر ١٩٨٦

الحيوان او الرعي المفرط ، والنقص في المراعي الصناعية ، وضعف الخدمات البيطرية .

وقد ظهر اهتمام واسع ، في الآونة الاخيرة بتربية الدواجن ، بهدف توفير اللحوم والبيض والحليب .. من خلال الاستفادة من التوسع في المشاريع الحديثة لتربية الدواجن ومساهمة الدولة في هذا الاتجاه ، كما دخلت الاسماك منافساً للحوم الحمراء في غذاء الانسان ، مما كان له دور في التحول اليها ، وقلل من بعد ذلك اهتمام الرعاة بتطوير الاصناف القديمة .

السياسة الزراعية :

ان مسألة تنمية وتطوير القطاع الزراعي في العراق تحتل اهمية متميزة في خطط التنمية القومية ، وذلك لما تحتله الزراعة اساساً في مواجهة الحاجات المتزايدة للغذاء ، بسبب الارتفاع الملحوظ في القوة الشرائية والنمو السريع للسكان كما اشرنا الى ذلك من قبل .

ان هدف السياسة الزراعية هو تحقيق الاستخدام الامثل والفعال للموارد والثروات الزراعية في اطار المتاح من الامكانيات المتوافرة ، للاستثمار وصولاً الى اعلى الانتاج في العمليات الزراعية ، وبما يعيد التوازن بين معدلات الانتاج ومعدلات الاستهلاك .

ومن المعروف ان التوسع في المساحات الزراعية افقياً او عمودياً ، لم يزل دون الطموح الذي يحقق ذلك التوازن المطلوب . ومع ذلك فان في المحافظة امكانيات واسعة في التنمية والتطور الزراعي ، من شأنه الاسهام الفعال في مشروعات الامن الغذائي .

وتعتمد استراتيجية التنمية الزراعية على الموارد الطبيعية المتاحة والتي تتباين بوضوح في المحافظة كما ونوعاً ، مما يتطلب دراسة تفصيلية في الاستخدام الامثل لها ، دون اغفال الجوانب الاجتماعية والعمرانية الاخرى .

ولاشك في ان قيام مجموعة المشاريع الاروائية في المحافظة سواء تلك التي تقوم على اساس الخزن والارواء المحلي ، او التي تمثل مشاريع رئيسة تتولى فضلاً عما سبق ، توليد الطاقة الكهربائية والعمل على الاستغلال الامثل للموارد المائية ، سوف يصار الى التوسع في الارض الزراعية وفي زيادة الانتاج . وبعد « سد صدام » ابرز المشاريع الاروائية في هذا المجال (٣٣) . ويقع الى الشمال من مدينة الموصل بنحو ٥٦ كم ، وقد صمم لاستيعاب (١٢,٥) مليار م^٣ من المياه لاغراض التنمية القومية ولاسيما الزراعية . وارواء مساحات جديدة من الاراضي القابلة للزراعة في منطقة الجزيرة ، اضافة الى دره خطر الفيضانات وتوليد الطاقة الكهربائية . وقد قسم المشروع الى :

- ١- مشروع ارواء الجزيرة الشمالي : ويتضمن استغلاله في زراعة الحنطة والبنجر السكري والبطاطا والباقلاء والذرة الصفراء .
- ٢- مشروع ارواء الجزيرة الشرقي ، ويستغل حالياً في زراعة الحبوب وبمحدود مطرية بين ٣٥٠-٤٥٠ ملم ، اضافة الى تربية الحيوانات من مخلفات الحنطة والشعير . والمشروع المقترح يتضمن انتاج الحبوب والبنجر والباقلاء والذرة الصفراء والجت .
- ٣- مشروع ارواء الجزيرة الجنوبي : ويستغل حالياً بالحبوب الديمية الى جانب تربية الحيوانات في منطقة الامطار التي تتراوح بين (٢٠٠-٢٥٠) ملم . وقد أُقترح ان تخصص نحو ٦٢,٥٪ للمحاصيل الشتوية و(٣,٥)٪ للمحاصيل الصيفية ، و(٢,٥)٪ للمحاصيل المعمرة ، لاحظ الجدول (١٣) .

وقد عمد المسؤولون في الزراعة من اجل ذلك الى :

- ١- التوسع الافقي للمساحات الزراعية .
- ٢- التوسع العمودي باستعمال التخصبات واتباع الدورة الزراعية وزراعة الاصناف المحسنة

المجلد (١٣)

الانتاج الزراعي المتوقع لمشروع منطقة الجزيرة المحصول الانتاج (الف طن)

الحنطة	٤٠٠
الشعير	١٠٥
البنجر	٥٨٠
البطاطا	٥٨٠
مخاليط علف شتوية	٣٣٥
خضراوات	٣٠٠
ذرة صفراء	١١٦
اعلاف صيفية	١٢٠
بقوليات	٢٤

المصدر: عبدالله الغوري، الاستغلال الزراعي لمشروع رعي الجزيرة

المكننة الزراعية :

ان ابرز تشخيص للوضع الزراعي القائم هو الحاجة الى التقنية الزراعية والتوسع في مجال استخدام الالة في العمليات الانتاجية. ومن المعروف ان المكننة الزراعية تعد من الاسباب الجوهرية للنهوض الزراعي. فارتفاع الانتاجية والتوسع في رقعة الارض الزراعية. يعتمدان على التقدم المستمر في مكننة العملية الزراعية. ولعل من جملة الاسباب التي تشجع على ذلك، سعة الارض الزراعية، وهجرة الفلاح الى المدينة وقلة الحيوانات العاملة في هذا المجال.

ومن شأن المكننة الزراعية^(٣٤)

أ- توفير الجهد عن كاهل الفلاحين.

ب- انخفاض كلفة الانتاج.

ج- السرعة في انجاز العمليات الزراعية.

د- زيادة مردود الانتاج بنسب عالية.

وقد سبقت الاشارة الى التباين في انتاجية الغلة

للدونم الواحد، ولاشك في ان اعتماد الفلاح على الوسائل القديمة من جملة اسباب انخفاض الانتاجية مقارنة بتلك التي تستخدم الالة الزراعية

والتوسع في استخدام المكننة الزراعية.

٣- انتاج المحاصيل الرعوية في الأراضي التي لاتصلح لزراعة الغلات الانتاجية.

٤- الاستثمار الامثل للموارد المائية.

٥- التوسع في الارشاد الزراعي، سواء من خلال وسائل الاعلام او الدوائر المعنية.

٦- تنظيم التسويق الزراعي.

وتظل قضية الحبوب الغذائية تمثل الاساس في مجمل السلع الاستهلاكية والغذائية منها على وجه التحديد، مما يجعل قضية تطوير انتاجها هدفاً في برامج التنمية القومية.

وهناك احتمالات للتوسع في رقعة الارض الزراعية لاسيما الحبوب الغذائية، وذلك اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان نصف الأراضي الزراعية تبقى «بوراً» كل سنة، وهي تمثل مجالاً للعمل في زيادة الانتاج ومضاعفة الرقعة الزراعية.

ولقد خططت الدولة من اجل التوسع في القطاع الزراعي واولته جل اهتماماتها، فعمدت الى التوسع في المزارع التعاونية، ومزارع الدولة والمزارع

الحديثة او حينما يتم تسميد التربة بالطرق العلمية ،
وتتفاعل الجهود للحد من خطر الآفات الزراعية .
وتشير الدراسات بهذا الصدد الى ان غلة
الدوم الواحد يمكن زيادتها بنسبة (٢٠-٣٠) %
باستخدام المحراث الحديث (٣٥) وبمقارنة بسيطة في
تقنية العمليات الزراعية ، نجد ان حراثة الفدان
الواحد تستغرق اكثر من يومين بالعمليات
اليدية ، فيما لا يحتاج سوى ساعة واحدة بالنسبة
للجرارات الحديثة . وبينما تتطلب دراسة فدان واحد
للحظنة والشعير اربعة بالوسائل القديمة ، فان
بالامكان دراسة اكثر من (٨٠) فدان خلال الفترة
نفسها (٣٦) .

وقد شهدت محافظة نينوى تحولاً نوعياً في
استعمال المكننة الزراعية لاسيما في مجال استعمال
الساحبات الزراعية ، انظر الجدول (١٤) .

الجدول (١٤)

المكننة الزراعية في محافظة نينوى

١٩٥٨-١٩٧٧

السنة الآلات والمكائن الزراعية

١٩٥٨	٣٦٥
١٩٧١	٤٨٨٥
١٩٧٣	٣٤٢١
١٩٧٧	٧٧٤٠

ويلاحظ ان المحافظة تضم ما يزيد على ٢٨ %
من المجموع الكلي للمكائن والآلات الزراعية في
العراق من بينها ٨٦ % من مجموع الحاصدات ،
لاحظ الجدول (١٥) .

ومن الملاحظ ايضا أن الزيادة في عدد
الساحبات في المحافظة للعمليات الزراعية اكبر
بكثير من مثيلاتها في محافظات العراق الأخرى
بحيث تجاوزت نسبة الزيادة ثلاثة اضعاف خلال
الفترة بين عامي (١٩٦٠-١٩٧٣) ، وبينما بلغت

الجدول (١٥)

المكننة الزراعية في محافظة نينوى بالنسبة الى

مجموعها في العراق (١٩٧٧)

نوع الآلة % من مجموعها في العراق

الساحبات	٢٠
الحاصدات	٨٦
السيارات	٢٤,٤
المجموع	٢٨,٢

المصدر: وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي ، التقرير الاحصائي لسنة
١٩٧٧/ ص ١١٥ .

نحو (٦٠ %) سنوياً في المحافظة ، كانت النسبة في
القطر لاتزيد على ١٨,٣ % . انظر الجدول (١٦) .

الجدول (١٦)

المكننة الزراعية في محافظة نينوى والعراق بحسب

الزيادة السنوية (١٩٦٠-١٩٧٣)

السنة محافظة نينوى العراق

١٩٦٠-١٩٦٥	٢٥,١	١٠,٩
١٩٦٥-١٩٦٨	٢١,٦	١١,٤
١٩٦٨-١٩٧٣	٢٦,٦	١٢,٦
١٩٦٠-١٩٧٣	٥٨,٨	١٨,٣

المصدر: بيانات سناء العمري ، انتاج واستهلاك المنطقة في العراق ص
٣٣٣ .

وكذلك تم التوسع في استخدام المضخات
حيثما كان الارواء ضرورياً ومن نهر دجلة متعذراً ،
لارتفاع ضفافه بالنسبة لمستوى المياه فيه . ففي
خلال الفترة بين عامي (١٩٥٨-١٩٧٧) ، زاد
عدد المضخات المستعملة في الزراعة من (١٠٠)
الى (٣٩٧٥) مضخة ، مما ادى الى التوسع في
الرقعة الزراعية الاروائية من (٣٩٦٨٣) دوم الى
(٨٩٥٢٥) دوم خلال الفترة نفسها . وكان للدولة
دور مهم في تيسير عملية امتلاك المزارعين

لقد ظهر مما سبق الاهمية الزراعية للمحافظة سواء في نسب استثمار الارض الزراعية او من حيث حجم الانتاج قياسا الى نظيراتها في محافظات القطر الاخرى. كما تبين ان ثمة تركيز في زراعة القمح والشعير بحيث بلغت نسبة المساحة المزروعة بها (٣٨,٢)٪ للقمح و (٤٤)٪ ن مجموع انتاج الشعير في البلاد. كما تجاوز الانتاج (٤٢)٪ و (٦١,٨)٪ لها على التوالي بالنسبة لمجموع الانتاج في القطر.

بيد ان ذلك لا يمنع من القول إن المحافظة تتسم بأحادية الانتاج حيث تضم زراعة الحنطة والشعير نحو ٩٩٪ من مجموع الاراضي المزروعة فيها. ولما كانت هذه الاراضي تعتمد في انتاجها على الامطار، لذا فان اية تغيرات في كمية او وقت سقوطها. تعكس اثارها على مستوى الانتاج الزراعي.

من جهة اخرى، فان اعادة النظر في استثمار الموارد المائية في المحافظة، والتوسع في المشاريع الاروائية، ولاسيما سد صدام الكبير، سيعمل على زيادة رقعة الارض الزراعية، وخاصة في فصل الصيف، الامر الذي سيؤدي الى زيادة الانتاج الزراعي فيها.

المواضع

- (١) انظر: عبدالحق عدي، اقتصاديات الارض والاصلاح الزراعي، القسم الاول، مطبعة الاعظمي، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٣٤.
- (٢) عبدالصاحب علوان، دراسات في اصلاح الزراعي، بغداد، ١٩٦١، ص ١٣٥.
- (٣) راجع محمد سلمان حسن، دراسات في الاقتصاد العراقي، دار الطلبة، بيروت ١٩٦٦، ص ٢٨.
- (٤) انظر عبدالرحاب الداهري، اقتصاديات اصلاح الزراعي، بغداد، ١٩٧٠.
- (٥) وزارة الزراعة، مديرية الميول العامة، دليل القطاع الزراعي في العراق لعامي ١٩٦٨-١٩٦٩، بغداد، ١٩٧٠، ص

- (٦) انظر عدنان اسماعيل ياسين، التغير الزراعي في محافظة نينوى، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤، ص ٣٣٨-٣٥٨.
- (٧) رئاسة المنطقة الزراعية، محافظة نينوى، - بالرونيو-
- (٨) المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨٨ ص ١٠١-١٠٢.
- (٩) انظر عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ٤٢٨-٤٣٥ وايضا المجموعة الاحصائية للسنتين ١٩٨١ و ١٩٨٨، الزراعة.
- (١٠) المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨٨، ص ١١٢.
- (١١) انظر: المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨١ ص ١٨-٢٣.
- (١٢) راجع سناء العمري، المصدر السابق، ص ٧١.
- (١٣) انظر نافع القصاب، اقاليم الزراعة الطرية لمحصولي الحنطة والشعير، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ١٦، ص ٢٦-٢٧.
- (١٤) عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ٤٢٨-٤٣٥.
- (١٥) قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٢٤٩ في ٢٤/٣/١٩٧٣.
- (١٦) المجموعة الاحصائية السنوية (١٩٨٨/١٠١).
- (١٧) البرطل: طعام شائع الاستهلاك وخاصة في منطقة الموصل، وهو قبح يسكن ويحرق ويستعمل بدلا من الأرز، وتضغ منه اكالات خاصة مثل الكبة.
- (١٨) انظر: جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٤٤.
- (١٩) خطاب سكار العاني، جغرافية العراق الزراعية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢/١١٠.
- (٢٠) المجموعة الاحصائية السنوية (١٩٨٨/١٠١).
- (٢١) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٨/١٠٢.
- (٢٢) انظر شاكر خصبك، العراق الشمالي/ ٣٦٥.
- (٢٣) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٨/١٠٢.
- (٢٤) المصدر نفسه / ١٠٢.
- (٢٥) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٨/١٠٢.
- (٢٦) انظر: عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ٢٥٧/
- (٢٧) المجموعة الاحصائية السنوية لعامي ١٩٨٠ و ١٩٨١
- (٢٨) انظر العاني، المصدر السابق، ص ٢٦٧.
- (٢٩) عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق ص ٥٠٩ والمجموعة الاحصائية السنوية لسنة ١٩٨٤ ص ٦٧.
- (٣٠) المجموعة الاحصائية لعام ١٩٨٨ ص ١١٣.
- (٣١) انظر خطاب سكار العاني، المصدر السابق/ ٣٣٧.
- (٣٢) ازهر السالك وآخرون، العراق دراسة اقليمية، ج ١/ ١٤٥.
- (٣٣) للتوسع راجع، جامعة الموصل، الندوة العلمية والآفاق المستقبلية لسد صدام، التي اقامتها كلية الزراعة (١٩٦٨) - بالرونيو-
- (٣٤) حسن الراوي وعبد علي الخفاف، اضواء على المكتبة الزراعية، مطبعة القضاة، النجف، ١٩٧١، ص ٩.
- (٣٥) خطاب العاني، المصدر السابق، ص ١٢٦.
- (٣٦) انظر عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ٢٢٢.
- (٣٧) انظر في ذلك، عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ١٢٥.

النشاط الصناعي

أ.د. محمد أزهر السهاك

توطئة :

جنوباً وسوق الملاحين شمالاً واطلع بمهام هذا النشاط . ولعل أهم مايتسم به هذا الشارع هو انه محاط من جهته الشرقية بالمجزرة القديمة والمدبغة القديمة التي كانت تصنع فيها الجلود ، فتوطنها كان تأكيداً للتوطن الحديث القائم على اساس توفر المواد الخام. وظل هذا الشارع كذلك حتى عام (١٩٨٧) حيث يختصن خانات لبيع الجلود وتخزينها ودباغتها.

والى الجنوب من شارع المدبغة يقع خان الجلود ، وهو وقف ذري يعود تاريخ بنائه الحالي الى نهاية القرن الماضي وهو محل لخزن الجلود وحفظها. فضلاً عن انه الآن يعد مزاداً يومياً لبيع الجلود الطرية.

كذلك ثمة خان آخر الا وهو خان الحبيبات المجاور له يأخذ الخط الحرفي لدباغة الجلود ايضاً.

والموصل من المدن المشهورة بصناعة النسيج والحياكة وقد اشتهرت بمنسوجاتها ونشاطها في هذا المجال فقد انتشر فعلاً الكثير من وحدات هذه الحرفة في مناطق المدينة.

والحدادة حرفة أخرى ميزت المدينة في عصورها الاولى فقد تخصصت منطقة كاملة في هذا النشاط يطلق عليها سوق الحدادين الذي يقع الى الشمال من سوق الكوازين. هذا فضلاً عن منطقة أخرى في شمال باب السراي. وقد تكاملت هذه الحرفة مع حرفة النجارة وفي المنطقة ذاتها ، وخاصة مايرتبط بصناعة الادوات الزراعية.

والموصل من المدن التي انتعشت فيها حرفة الخياطة وتخصص سوق بهذا النشاط. ذلك هو

يتضمن هذا المبحث دراسة النشاط الصناعي الحرفي والنشاط الصناعي التعديني والنشاط الصناعي التحويلي. وقد أعتمد المنهج التحليلي المقارن في دراسة هذا المبحث. مُتخذاً من البيانات المتاحة من وزارة التخطيط أساساً للبحث والتحليل. على إننا توخينا الأسلوب الخاص بأهداف هذا العمل العلمي.

ولعل من المفيد أن نشير الى أننا عمدنا الى الاجماز فيما يتصل بالنشاط الحرفي لكونه غدا مسألة تاريخية أكثر من نشاط اقتصادي. كما حاولنا اعطاء التصور العام للنشاط الصناعي الحديث : التعديني والتحويلي ثم الحقناه بدراسات تطبيقية إعمالاً للفائدة.

النشاط الصناعي الحرفي (١) :

شهدت مدينة الموصل نشاطاً صناعياً حرفياً متميزاً منذ قرن مضى من الزمن. وعليه فقد اكتسبت المدينة شخصية متميزة في مجال صناعات الدباغة والنسيج بخاصة. فضلاً عن صناعات الحدادة والسمكرة والصباغة وغيرها.

وتقف صناعة دبغ الجلود في المقام الأول وفعلاً فقد اكتسبت مدينة الموصل شخصية متميزة في هذا المجال مواكبة لشهرة مدينة حلب في القطر العربي السوري. وهي انعكاساً لعلاقات التعاون المتبادل بين الموقعين في مجال هذه الصناعة ولاغرابة أن تخصص منطقة محددة من مدينة الموصل بمجال هذه الصناعة. وقد برز فعلاً شارع المدبغة القديمة وهو الشارع المحصور بين سوق السمكرية (التكجية)

سوق الخياطين، الذي يقع شمال قصيرة القزازين. وقد تخصص الخياطون بخياطة الملابس الشعبية كالصاية والزبون والدشاديش المطرزة.

وحرفة صناعة الاحذية شائعة في مدينة الموصل فقد ابتدأت بصناعة الاحذية الشعبية كالكالوش والبابوج والخفاف.

واشتهرت مدينة الموصل بحرفة الصياغة. فتخصصت المنطقة المحصورة بين شارع الثورة (شارع الملك غازي سابقاً) وشارع نينوى وشارع النجفي بصياغة وبيع الحلوى والمجوهرات خاصة الفضة. وكانوا يصنعون حلليم في دورهم ويحملونها للعرض في دكاكينهم الصغيرة المنتشرة هناك.

تلك هي اهم الحرف السائدة في مدينة الموصل.

ثانياً- النشاط الصناعي التعدين :

تظفر منطقة الموصل بامكانات تعدينية جيدة. فهي من المناطق الغنية بكثير من الموارد المعدنية. اذ تحتضن نحو ٩٥٪ من الاحتياطيات الصناعية للكبريت الحر. وحوالي ٣٨٪ من احتياطيات الجبس. وهي بذلك تفوق كل مناطق العراق في هذا المجال. فضلاً عن ترسبات صناعية مهمة من حجر الكلس والاطيان لصناعة الأسمت وكميات قليلة من الحصى والرمل وكذلك احتياطيات جيولوجية كبيرة من الملح الصخري مع مالح سطحية عديدة في الجزيرة. لم تقدر احتياطياتها الصناعية بعد^(٢).

ومن أهم الرواسب المعدنية المتواجدة بمنطقة الموصل. النفط والكبريت. وفيما يأتي دراسة لهذين المعدنين.

النفط :^(٣)

يعد العراق بأجمعه جزءاً من الحوض النفطي الكبير الذي يغطي معظم أراضي المشرق العربي ،

ومع ذلك يمكن تحديد انماط اقليمية للتجمعات النفطية المستغلة حالياً فيه ، تعرف بالأحواض النفطية. وهي عبارة عن مساحات من الأراضي تميل الى الوحدة والتشابه في مظهرها العام جيولوجياً وجغرافياً على الرغم من التنوع الواضح في بعض اجزائها المكونة. وتضم بين طياتها حقولاً نفطية متعددة تكون بؤر الانتاج الحالية ، ويمكن تقسيم مناطق الانتاج في العراق الى حوضين نفطيين كبيرين هما : الحوض الشمالي. والحوض الجنوبي. تشكل منطقة الموصل الجناح الغربي للحوض الشمالي في العراق. ويضم مكانين عين زالة وبطمة والقيارة.

يقع الأول (عين زالة) في أقصى الطرف الشمالي من العراق قريباً من مجرى نهر دجلة. وهو يتكون من مكنتين صغيرين تنتمي الى عصور الكرتياسي (الزمن الجيولوجي الثاني) ويستخرج نفته من الصخور الكلسية. في طبقات عين زالة وقبجوق وهو موجود في تشققات الطبقتين : الأولى والثانية. وفي مساحات الثالثة. وتراوح اعماقها بين ١٧٠٠م - ٢٤٠٠م (٥٠٠٠ - ٧٣٠٠ قدم).

والى الجنوب من هذا المكان يقع مكان بطمة وهو تركيب قبائي. ويسمى كسابقه الى عصور الكرتياسي ويستخرج نفته من الصخور الكلسية ايضاً. من طبقات الشيرونش والقمجوقة. من عمق يبلغ نحو ١٢١٣م (٣٥٠٠ قدم) اي أقل من سابقه.

وبعامة فان تكوينات هذين المكنتين تشابه مكانان الرميلان والسويدية في سوريا مما يدل على اهمية هذه المنطقة على الرغم من ضآلة معدلات الانتاج الحالية كاحتياطي مؤكد للنفط في البلاد. لاسيما وان مثل هذه التراكيب تمتد لبضعة الآف من الكيلومترات المربعة في شمال غرب العراق والاجزاء المجاورة لها في سوريا.

والى الجنوب من المكنتين السابقين وعلى ضفة

المحدودة اذالك في بيئات تواجهها لا يستحق التدوين باستثناء بعض الواحات العمرانية الصغيرة جداً متمثلة بالوحدة السكنية لمعال معمل تكرير القيارة الذي يقع جنوب الموصل بنحو (٧٥ كم) على نهر دجلة وأخرى مشابة في منطقة عين زالة. وظل ظهور مناطق عمل الشركات على حاله كونه بيئة زراعية متخلفة الى أن امتدت اليها برامج التنمية في البلاد متمثلة اساساً بالمشروع الكبير سد صدام الذي سيعمل على توفير كل متطلبات الانتاج المتجدد (الزراعة) وتوفير الخدمات المعاصرة للسكان.

الكبريت :

لعل من الحقائق المعروفة جيولوجياً أن الموصل ليست غنية بالنفط فحسب بل بموارد تعدينية أخرى فلزية ولا فلزية .

ويقف الكبريت بمقدمة الموارد التعدينية الأخرى هذه. ولقد عرف الكبريت الطبيعي في العراق منذ القدم حيث جاء ذكره في مخطوطات القدماء من الكيميائيين العرب ، وكان يستخلص من الصخور الحاوية له بالطرق البدائية. لاستخدامه في تبطين خيوط القطن، وفي صناعة البارود، والاغراض الطبية. وقد تزايد الاهتمام بالكبريت خلال العشرين سنة الماضية. لاسيما بعد توافر البيانات الناتجة عن حفر آبار النفط. وقد أسفرت البحوث عن التأكد من وجود الكبريت في أحد عشر موقعاً في منطقة الموصل والرمادي وبعضها في الصحراء الغربية.

وفي منطقة الموصل - فتحة - توجد اكبر رواسب الكبريت بنسبة تركيز عالية في الصخور. اما في الصحراء الغربية فيبدو ان الكيات محدودة بالمقارنة باحتياطيات الموصل. بالاضافة الى مصدر آخر ذي أهمية كبيرة هو الكبريت المستخلص من عمليات تنقية الغازات النفطية من حقول كركوك في

نهر دجلة الغربية يقع مكن القيارة. وهو تركيب قبلي أيضاً مشابه لمكن كركوك لكنه دونه حجماً ونتاجاً ونوعاً. وينتمي الى عصر الايوسين (الزمن الثالث). ويستخرج نفطه من الصخور الكلسية من طبقة الفرات على عمق يتراوح بين ٧٠٠-٧٠٠٠ قدم. هذا فضلاً عن وجود مكامن أخرى في قصب وجوان ونجمة وساسان. الا أنها لم تدخل قائمة الانتاج الفعلي بعد. وبعمامة فان نفوط مكامن الموصل تتسم بثقلها نسبياً وارتفاع نسبة الكبريت فيها.

ولعل من المفيد أن نشير الى أن حقل عين زالة^(٤) اكتشف عام ١٩٣٩. الا أن الانتاج التجاري ظل عاجز عن ذلك حتى عام ١٩٥٢ وهذا يرجع الى سياسة شركة نفط الموصل (قبل تأميمها) التي كانت صاحبة السيادة في الانتاج. طالما أن امتيازها هنا قد تضمن شروطاً فضلى لصالح العراق بالمقارنة بنظيراتها شركة نفط العراق (الشركة الام (منطقة كركوك). ومنها حق الدولة في أخذ ٢٠٪ من النفط الخام وغيرها وبعد أن تم انشاء خط الانبوب الناقل لنفطها بقطر يبلغ ١٢ بوصة الى محطة K₂/ ٢ك (بيجي) ومنها الى طرابلس على البحر المتوسط (ميناء التصدير).

ويتسم انتاج هذا الحقل بمحافظته على معدلات انتاجية متخصصة تبلغ بالمتوسط نحو مليون طن سنوياً ذلك يقترن بطبيعة الحقل جيولوجياً.

أما حقل بطمة فقد بدأ الانتاج عام ١٩٥٣. اي بعد عام واحد من اكتشاف النفط في نظيره حقل عين زالة. وهو أصغر الحقول النفطية المنتجة في العراق باستثناء حقل القيارة. ويأتي انتاجه من ثلاثة آبار فقط. وهو - كسابقه - ضئيل الانتاج. إن حقول نفط الموصل بعمامة لاتساهم سوى أقل من ٣٪ من اجمالي الانتاج النفطي في العراق. وإن ماخلفه النفط في ظل شركة نفط الموصل

معمل استخلاص الكبريت الذي أنجز عام ١٩٦٨.

كبريت المشراق : (٥)

يقع كبريت المشراق بين نهر دجلة شرقاً ووادي الثرثار غرباً ومدينة الموصل شمالاً وموقع الفتحة في الجنوب. وتكثر فيها ينابيع المياه الكبريتية على طول شواطئ نهر دجلة. وهي واقعة ضمن منطقة الالتواءات الجبلية في البلاد. وتتميز بوجود ثنيات محدبة تنحدر محاورها ناحية الشمال الغربي. ويوجد الكبريت في الصخور الجيرية التابعة لتكوين الفارس الاسفل (المويسيف الاوسط) وهي مجموعة من رواسب التبخريات المنتشرة في مساحات واسعة من العراق خاصة المنطقة الممتدة من غربي الفرات في الجنوب وحتى منطقة الغولاق في الشمال الشرقي من البلاد. وتمثل صخور الفارس السفلي طبقة الغطاء الصخري للطبقات الحاملة للنفط في حقول العراق الشمالية. ويتراوح سمك هذه المجموعة من ٧٠ - ١٥٠ متراً.

استغلال كبريت المشراق :

منذ عام ١٩٥٢ والكبريت العراقي مسرح للاستكشاف ومحط أنظار كبريات الشركات العالمية الطامعة في الحصول على حق استغلاله. وحتى عام ١٩٦٨ كانت الحكومة العراقية قد قامت بدراسة حقل المشراق في مساحة ٢٥ كم^٢ شملت عملية مسح جيولوجي تفصيلي مدعماً بالحفر الآلي. ويقع حقل المشراق على مسافة ٤٥ كيلومتراً جنوبي مدينة الموصل، حيث ثمة ثنية محدبة طولها خمسة كيلومترات وعرضها ٣,٨ كم ويصل سمك طبقات الفارس السفلي [الحاوية للكبريت C] الى ٢٨٠ متراً. ويتوافر الكبريت في الجزء الاسفل من هذا التكوين على عمق يتراوح من ١٠٠ - ٢٠٠ متراً ويتركز في اعلى نسبة له على طول امتداد محور

التحذب ويقل تركيزه مع اتجاه ميل الجانبين. ويوجد الكبريت في حبيبات صغيرة متناثرة وفي كتل كبيرة ومالئاً للفجوات والشقوق. ومتوسط تركيز الكبريت في الصخر من ٢٢ - ٢٥ ٪. ويبلغ سمك الطبقة التي يتركز فيها الكبريت ٥٦ - ٧٥ متراً (على امتداد محور الطية) وهناك مع الكبريت نسبة من القار تتراوح من ٢ - ١٠ ٪. في الصخر وقد لوحظ وجود الغاز بكميات قليلة. كما ان هناك طبقات صخرية حاملة للماء الجوفي بغزارة كما أنها غنية بغاز كبريتيد الهيدروجين. وقد أمكن التأكد من احتياطي الكبريت في المشراق وهو محدود ٢٤٥ مليون طن واحتياطيات اخرى قدرها ٤٠ مليون طن في الفتحة.

وبدأ في حزيران ١٩٧١ اعداد منجم كبريت المشراق للانتاج بطريقة تشبه طريقة قراش المعروفة (حقن الماء الساخن وصهر الكبريت في موضعه ثم ضخه الى السطح. وقد تمت المرحلة الاولى للانتاج منذ كانون الثاني ١٩٧٢ بطاقة قدرها ربع مليون طن من الكبريت ارتفعت الى نحو مليون طن سنوياً على ان يكون نسبة العائد في الاستخراج ٧٥ ٪ من جملة ما يحتويه الخام من كبريت.

وكبريت المشراق لونه أصفر فاتح يحوي نسبة قدرها ٩٩,٥ ٪ من الكبريت مع وجود ٠,٥ ٪ رماد وأقل من ٠,٢ ٪ مواد هيدروكربونات و ٠,١ ٪ حامض كبريتيك ومع نسبة من الرطوبة تقل عن ٠,٢ ٪. ولا يحتوي هذا الكبريت اي نسبة من عناصر الزنك او السيليونيوم او التيلوريوم. ويستخدم جزء من الانتاج محلياً ويصدر الباقي الى خارج البلاد عن طريق ميناء أم قصر على الخليج العربي وميناء طرابلس بلبان على البحر المتوسط. وقد تم تصدير نحو ٢٠٠ ألف طن عام ١٩٧٣. أرتفعت الكميات المصدرة عام ١٩٧٩ الى نحو نصف مليون طن. ينساب معظم الكبريت العراقي الى اقطار الشرق الاقصى واقطار حوض البحر المتوسط

الشمالى. هذا وقد استثمر الكبريت العراقى استثماراً وطنياً مباشراً عام ١٩٧٢.

ثالثاً: النشاط الصناعى التحويلى^(٦) :

١- التصور العام^(٧) :

تسيطر الاستعمالات الصناعية على نحو ٧٪ من مجموع مساحة مدينة الموصل (القديمة والحديثة ضمن حدود البلدية). وهذه النسبة تقارب نسبة الاستعمالات الخدمية والوظيفية والمرافق العامة تقريباً. على انه ينبغي ان نذكر ان ثلثي مساحة المدينة مشغولة في الاستعمال السكني تقريباً. والملاحظ ان الاستعمالات الصناعية تتباين بين اجزاء المدينة المختلفة. وفي ذلك مايعكس مراحل التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى الذى شهدته ونشده المدينة. وبعمامة يمكن ملاحظة مايبائى عند دراسة توزيع الصناعات ضمن المركز الحضري هذا :

١ - تتميز الحلقة الاولى المحيطة بمنطقة الاعمال المركزية بما فيها هذه المنطقة ذاتها لاسيما في الموصل القديمة (غرب نهر دجلة او الساحل الايمن كما يسمى محلياً) بأهمية خاصة في مجال الصناعات الحرفية والصناعات الاخرى البسيطة التي يفتقر قيامها بقيام اولى وحدات النشاط الصناعى في المدينة. وهي بعمامة وحدات صغيرة الحجم في معظمها ولا يستخدم سوى اقل من خمسة عال يتمثل في صناعات الصياغة والسراجة والدباغة والخياطة والنجارة والحداة والسكرة وهي تأخذ شكل تجمعات متخصصة تقريباً في توزيعها المكاني. كتجمعات سوق الصاغة (شارع النجني) وتجمع محلات السراجة والدباغة في باب الطوب وباب السراي. ومجمعات الحداة والنجارة في منطقة باب الجسر القديم وتجمعات الخياطين في باب الطوب وباب الجسر القديم ايضاً، وكما رأينا آنفاً.

٢- وتمثل الحلقة الثانية بين حافات الموصل القديمة والاطراف الخارجية لها بمحاذاة الموصل الحديثة تقريباً أي انها تغطي اجزاء المدينة القديمة. وضواحيها وتأخذ استعمالات الارض الصناعية انماطاً متباينة تجمع بين صفتي التركيز كتجمعات وانتشار بشكل خطي متناسق وغير متناسق. ومن هذه التجمعات مايلي :

أ. التجمع الصناعى في الطرف الجنوبي الغربي للمدينة القديمة الذي تمثل بمنطقة الدواسة وقصر المطران حيث تسود الصناعات الميكانيكية والحداة وما شابهها. وقد تم ترحيلها الآن الى المنطقة الصناعية.

ب. التجمع الصناعى في الطرف الجنوبي الشرقى للمدينة القديمة متمثلاً بمنطقة وادي حجر حيث وحدات صناعات الثلج وتعبئة المياه الغازية والصناعات الغذائية المختلفة، كصناعات، الدقيق والبرغل والحبية وما الى ذلك.

أما الانتشار الصناعى فتمثل بانتشار وحدات الصناعات الخشبية الحديثة في الطرف الاوسط من الجهة الشرقية للموصل القديمة متمثلة بشوارع الفاروق وامتداداته.

٣. الحلقة الثالثة فتغطي ضواحي المدينة وامتداداتها وتسم باستعمالات صناعية متناثرة لكنها تحتضن وحدات حديثة اكبر حجماً وأكثر تطوراً مما سبقها. ومن هذه الاستعمالات وحدات صناعة السكر في جنوب المدينة على طريق موصل - بغداد القديمة ووحدات طحن الحبوب والنسيج في الطرف الجنوبي الشرقى من المدينة بالقرب من شارع موصل - بغداد الحديث ومصانع الالبان والبيرة والابنية المجاورة في الطرف الشمالى من المدينة على الطريق الرئيسى بين الموصل - دهوك وصناعات تعبئة المياه الغازية في الطرف الشمالى الشرقى للمدينة.

على انه ينبغي ان نذكر ان هناك تجمعات

المواقع المركزية وتتمثل بتواجد الصناعات المختلفة كما ونوعاً وحجماً، فهي تجمع بين الوحدات الصغيرة الحجم والوحدات الكبيرة. وبما أن النشاط السائد يتدرج بين التجارة وصناعات الاثاث وصناعات الشلح والافران والمطاحن والصناعات الغذائية وصناعة النسيج وغيرها.

٣- مواقع الضواحي والاطراف الهامشية والامتدادات الخارجية للمدينة :

يغلب على توطن وحدات هذه المواقع صفتي التركيز والانتشار. اذ يمكن ان نحدد بثلاث صناعات كنموذج للسمة الاولى (التركز) ونماذجاً متفرقة للسمة الثانية (الانتشار).

وتتوزع التجمعات الصناعية في ضواحي المدينة واطرافها الهامشية على كلا جانبي نهر دجلة الذي يقسم المدينة الى قسمين ايسر وايمن وكما يسمى محلياً بالساحل الايسر والساحل الايمن. ويحتضن الساحل الايمن تجمعين صناعيين كبيرين اولهما في جنوب الساحل الايمن والثاني في شماله. يطلق على الاول منطقة المتصور ووادي حجر، حيث تتركز صناعات المياه الغازية والصناعات الغذائية وصناعة البطانيات والنسيج وصناعة الكاشي والموزاييك. والتجمع الصناعي الثاني يعرف بالمنطقة الصناعية بموصل الجديدة حيث تتركز وحدات صناعات الاثاث المعدنية والحلويات والمرطبات والحدادة والتريكو وتصنيع الانسليم والاسفلت.

ويتضمن الساحل الايسر من المدينة في طرفه الجنوبي وعلى الطريق المؤدي الى اربيل بتجمع صناعي حديث اطلق عليه المنطقة الملونة وهي تحتضن وحدات صناعات التغليف والاسفلت والكتل الاسمنتية (البلوك) وتقطيع الخلال وصناعة الكاشي والموزاييك. وتنتشر صناعات متعددة في العديد من اطراف المدينة وضواحيها. وتعد الاطراف

صناعية حديثة يمكن ان نبرزها وتتمثل في التجمع الصناعي المعروف باسم المنطقة الصناعية في شرق المدينة التي تخصصت باعمال الحدادة والسبك والتجارة بدرجة رئيسة. والتجمع الصناعي في الطرف الغربي من المدينة على الطريق المؤدي الى اربيل حيث اختير له ارض واسعة تخصصت للنشاط الصناعي الذي يتطلب مساحات كبيرة وتبعث عنه ضوضاء او روائح كريهة او ما يسبب الحاق الضرر بقاوة البيئة. فغالباً فقد احتلت تلك الاراضي من قبل مصانع الكتل الاسمنتية ومعامل الكاشي والموزاييك ومصانع الاسفلت وما شابهها.

ب- الانماط الموقعية :

يمكن تمييز الانماط الآتية ضمن الاستعمالات الصناعية لمدينة الموصل الكبرى وعلى النحو الآتي :

١- المواقع المركزية :

وتشمل الوحدات الصناعية التي تتوطن في منطقة الاعمال المركزية. ويمكن ان تميز من خلالها الصناعات التي تتوطن ناحية السوق والصناعات التي تتوطن ناحية الايدي العاملة المطلوبة. وتسم هذه الوحدات بكونها تمارس أنشطة صناعية بسيطة لا تتطلب سوى مساحات صغيرة من الأرض مما مكنها من احتلال مواضعها الحالية كوحدات الصاغة والسراجه والحدادة والتجارة والخياطة والطباعة وما الى ذلك.

وتنعم هذه الوحدات بميزة وجودها داخل السوق في ايصال منتجاتها وما تتطلبه من مواد بأقل تكاليف نقل ممكنة. كما انها على اتصال دائم ومستمر بأذواق المستهلكين ومبوهم مما يعمل على تطويرها.

٢- المواقع الوسطى :

وتقصد بها مواقع اجزاء المدينة القديمة عدا

والآن وبعد اعطاء التصور العام لابد من دراسة بعض وحدات الصناعات التحويلية الرئيسة القائمة في القطاع الاشتراكي والمختلط والخاص بشيء من التفصيل^(٨).

الصناعات الغذائية :

نماذج من صناعات القطاع الاشتراكي.

١- المنشأة العامة للسكر:

يرجع تاريخ إقامة هذه المنشأة الى عام ١٩٥٧ وذلك لسد الطلب المحلي على مادة السكر والذي يستورد من خارج العراق ، حيث بلغت كميات السكر المستوردة في عام ١٩٥٧ أكثر من -١٤٥ ألف طن في حين كانت الكمية المستوردة في عام ١٩٣٨ -٣٨ ألف طن^(٩). وقد أنشئ هذا المشروع جنوب مدينة الموصل على الضفة اليمنى من نهر دجلة لأنها من الصناعات التي تصل نسبة الفاقد فيها حوالي ٩٠٪ من اصل المادة الخام ، كما أن توافر مادة البنجر في المحافظة من جهة وتوفر نماذج البنجر المزروعة في المنطقة من حيث القيمة السكرية ونقاوة العصير من جهة اخرى ، فضلاً عن وقوعه على السكة الحديد حيث طريق استيراد السكر الخام ساهمت في اختيار موقعه الحالي الذي يمثل مامقداره -٢٥٠ ألف م^٢ من الارض. وقد باشر بالانتاج عام ١٩٥٩ معتمداً على البنجر الموجود في المنطقة بطاقة تصميمية على اساس استهلاك ٨٠٠ طن من البنجر يومياً خلال موسم المحصول البنجر وتصفية ١٠٠ طن من السكر الخام المستورد يومياً.

كما بلغ رأس مال المنشأة عند التأسيس ٢,٧ مليون دينار ارتفع بعدها ليصبح -١٣ مليون دينار حالياً.

ونتيجة لانخفاض كميات البنجر المزروعة في المنطقة لاسباب منها تدني الاسعار التي كانت

الشمالية للمدينة على الضفة الشرقية من نهر دجلة من اهم الاطراف الصناعية للمدينة واحدها. اذ تتوزع وحدات صناعات الابنية الجاهزة وصناعات الالبان وصناعة البيرة في هذا الجزء في مناطق الرشيدية والقاضية وعلى الطريق الرئيس بين الموصل ودهوك في مناطق تحضن الاطراف الجنوبية على الضفة الغربية للنهر بالمرتبة الثانية حيث تنتشر صناعات السكر والدباغة ، وصناعة الاثاث في المنطقة المعروفة بالغرلاني. وتنتشر صناعات متنوعة عديدة في جنوب المدينة (منطقة الاصلاح الزراعي وصناعات النسيج وصناعات الغذائية وفي اطرافها الشرقية لرأس الجادة صناعات طحن الحبوب) وباب سنجار (صناعات الكاشي والبلوك والصناعات الغذائية). وفي الاطراف الشمالية على الضفة اليمنى من النهر تنتشر صناعات السجاد والمشروبات الغازية والطباعة بمنطقة المستشفى الجمهوري وحى النجار. هذا وتتوطن وحدتان لصناعة الاسفلت في شمال غرب وشمال شرق المدينة في الطريق المؤدي الى السحاجي وشارع الزهور على التوالي.

ولعل من المهم أن نشير الى أن هذه المواقع تتسم بكونها تحضن وحدات صناعية كبيرة (أكثر من عشرة عمال) وهي تبلغ في مجموعها نحو (٩٢) وحدة بموجب البيانات التي اعتمدت في مديرية العمل والشؤون الاجتماعية وهي بحكم نشاطها النوعي إنتاجاً تتطلب مساحات كبيرة من الاراضي مما لايمكن توفيره في المناطق المركزية او الوسطى من المدينة. كما تنبعث عنها روائح وغازات وضوضاء مما تلحق اضراراً ببيئات توطئها ، لذلك وجدناها تتخذ لها مستقراً في الاطراف الهامشية وضواحي المدينة. وهي بذلك تحقق متطلباتها في المساحة وبدل الارض (إيجار الارض) والبعد عن المناطق السكنية ، ويؤثر تمقد وسائل النقل والاتصال وما الى ذلك.

المنشأة تدفعها الى الفلاح وطول الفترة التي يحتاجها المحصول وغيرها فقد توقف الانتاج في المنشأة عام ١٩٨٤.

ومن خلال العينة اتضح ان تكاليف الانتاج لعام ١٩٨٠ بلغت -٢٢ مليون دينار، كما يعد المشروع وحدة متكاملة يوفر فرصة عمل ٧٥٧ شخصاً يعملون على ثلاث وجبات عمل يومياً. وقد بات من الضروري اعادة النظر في الوضع الحالي للمنشأة واعادة الحياة اليها عن طريق توفير المادة الخام.

ب- مصنع البان الموصل :

تم انشاء هذا المصنع في عام ١٩٧٣ في منطقة الرشيدية شمال المدينة بكلفة ٢,٢٥٠ مليون دينار وباشر بالانتاج الفعلي عام ١٩٧٦ وبرأس مال ١,٥ مليون دينار وعلى مساحة تقدر بـ ١٧٠ ألف م^٢ على طريق موصل - دهوك وبطاقة انتاجية ٤٠ طناً باليوم.

وقد انشئ اساساً على اساس توافر المادة الخام المتمثلة بالحليب في محافظة نينوى لما تمتلكه من اعداد كبيرة من الابقار والجواميس ، إلا أن واقع المنشأة الحالي يوضح ان مساهمة المادة الخام من الحليب المحلي لم تتجاوز ١٥٪ من احتياجات المصنع ، والمصدر الرئيسي الوحيد الذي ساهم ويسهم حالياً في ديمومة الانتاج في المصنع هو الحصول على الحليب الخام من بغداد وبمعدل ٨ أطنان يومياً يسهم بسد حوالي ٨٥٪ من احتياجات المصنع ، علماً بأن المصنع يعمل بنصف طاقته الانتاجية ، وهذا امر يرفع من تكاليف النقل فقد بلغت تكاليف نقل هذه المادة من بغداد عام ١٩٧٧، ٣٦٣٨١ دينار^(١) اما في عام ١٩٨٥ فقد بلغت تكاليف النقل الاجالية في المصنع حوالي -٢٨٠ الف دينار مثلت حوالي ١١,٧٪ من تكاليف الانتاج لذات العام. ان هذا الامر

يستدعي المعالجة عن طريق تدخل الدولة في تقديم التسهيلات والدعم للفلاحين لتوفير المادة الخام لهذا المصنع. ولما كان السوق عاملاً مهماً في اختيار وتحديد مواقع هذه الصناعات وذلك بسبب طبيعة السلعة المنتجة والتي تتعرض للتلف من جهة وضروة توافرها في الاسواق بصورة مستمرة باعتبارها جزءاً اساسياً من الاستهلاك اليومي من جهة اخرى فقد جاء توطن هذه الصناعة في الموقع الحالي على الرغم من انه لم يكن هذا الاختيار سليماً ، حيث ان المساحة التي يشغلها المشروع والبالغة قرابة ٦٨ دونماً هي من أجود الاراضي الزراعية في المدينة التي كانت تزود المدينة بالخضراوات والمحاصيل الحقلية الاخرى ، هذا إذا علمنا ان نسبة المستغل منها فعلاً فقط ٢٪.

ج- مصنع نينوى للمشروبات الكحولية :

تأسس المصنع عام ١٩٧٥ برأس مال قدره -٥ مليون دينار وبدأ الانتاج الفعلي في عام ١٩٧٩ ، على مساحة من الارض الزراعية في منطقة الرشيدية تبلغ ١٢٥ دونم ، بطاقة انتاجية ١٦ مليون لتر سنوياً. وقد توطن المصنع بجوار مصنع الالبان على بعد ١١ كم فقط من مركز المدينة وقد خصص له اجود أراضي زراعة الخضراوات والبقول بحكم امكاناتها الطبيعية وكونها تمثل اراضي الحلقة الاولى من حلقات المركز الحضري على رأي رائد التوطن الزراعي الاقتصادي الالماني فون ثونون Von Thunun ولم تبلغ نسبة المستغل من تلك الاراضي اكثر من ٧٪ فقط.

بلغت تكاليف انتاجه لعام ١٩٨٥ ١,٤ مليون دينار، كما بلغت تكاليف مواد الخام المحلية حوالي -٢١ الف دينار ويقوم باستيراد ٨٩٥٠ طناً سنوياً من المواد الخام المتمثلة غالبيتها في الشعير ، بلغت تكاليف نقل المواد الخام المستوردة حوالي -١٤ الف دينار.

خطوط انتاجية.

وقد بلغت تكاليف الانتاج لعام ١٩٨٥ (١,٠٦٩) مليون دينار، ان انشاء المشروع كان لسد الحاجة المتزايدة على الصمون في المحافظة نتيجة التغير الاجتماعي الذي حصل في المدينة بخاصة وفي القطر بعامة حيث كانت العديد من العوائل تعتمد على امكاناتها الذاتية في سد حاجتها من الخبز ونتيجة للتطور الحاصل ودخول المرأة سوق العمل فقد زادت الحاجة الى توفير الخبز لتلك العوائل.

وكان توطيئها في موقعها الحالي اختياراً غير سليم حيث تقوم بنقل مامقداره ١٣,٠٠٠ الف طن من الطحين سنوياً من المطاحن الواقعة قرب السايلو وبما ان للمادة الخام دور في توطيئ مثل هذه الصناعات اضافة الى السوق فان الموقع المناسب لهذا المشروع هو المنطقة المجاورة للمطحنة قرب السايلو وذلك لتفادي نقل الكيات الكبيرة من المادة الخام.

ان هذا لا يعني نقل الوحدة الى الموقع الجديد، لان ذلك يكلف كثيراً الا انه عند اقامة مثل هذه المشاريع مستقبلاً فإن من الضرورة بمكان دراسة الموقع الافضل الذي يعمل على خفض التكاليف بأكبر قدر.

الصناعات النسيجية :

المنشأة العامة للغزل والنسيج :

انشئت هذه الوحدة ضمن البرنامج الاول لمجلس الاعمار ١٩٥١ - ١٩٥٦ في القسم الغربي من المدينة في منطقة وادي حجر ضمن منطقة المنصور الحالية وتم الانتهاء من تنفيذه عام ١٩٥٧ وبدأ بالانتاج في ذات العام بكلفة قدرها ٣,٢٥٠ مليون دينار^(١١) ارتفع رأس مال المنشأة ليصبح -١٧,٠ مليون دينار عام ١٩٨٦ على مساحة من الارض تقدر ب -١٧٩ الف م^٢ وبطاقة انتاجية -٢٥ مليون م^٢ من القماش.

كما ويعمل فيه ١٩٨ شخصاً بثلاث وجبات عمل يومياً. ان توطن المصنع في الموقع الحالي كان سليماً وذلك لان هذه الصناعات من النوع الذي تبلغ نسبة الاضافة فيها الى المادة الخام نسبة كبيرة. لذلك توطنت قرب السوق. الا أن موضعه لم يكن سليماً لانه جاء على حساب الاراضي الزراعية ذات الامكانيات الطبيعية.

د- مصنع طحين الصمود :

تأسس عام ١٩٧٤ برأس مال -٩,٠ ملايين دينار على مساحة تقدر ب -٣٤ الف م^٢ بجوار سايلو الموصل وبطاقة انتاجية ٢٠٠ طن يومياً وقد انشيء لتوفير مادة اساسية لسكان المنطقة وهي الطحين خاصة وأن العوائل في الفترة التي تأسس فيها كانت تقوم بتوفير مادة الخبز للعائلة معتمدة في ذلك على امكانيات العائلة الذاتية، فضلاً عن قيام المشروع بسد حاجة المخازير والافران في القطاعين الاشتراكي والخاص. وقد كان للمادة الخام دور كبير في توطن الوحدة في موقعها الحالي حيث يقوم موقعها ناقل سلسلي بنقل كميات كبيرة من المادة الخام المتمثلة بالحنطة من السايلو الى المطحنة، وبذلك يوفر للمشروع تكاليف نقل كبيرة. وهذه الوحدة الصناعية توفر فرصة عمل بحوالي ٧٠ شخصاً يعملون على ثلاث وجبات عمل ويعمل المشروع بخطين انتاجيين. وقد ظهر من الدراسة ان قيمة انتاجه لعام ١٩٨٥ بلغت ١,٧ مليون ديناراً.

هـ - مخازير وافران نينوى :

تأسست المخازير هذه عام ١٩٨٢ برأس مال قدره -٩٥٣ الف دينار وعلى مساحة تقدر ب -١٠ الاف م^٢ على الطريق المؤدي الى محافظة اربيل في منطقة المعارض، بطاقة انتاجية -٣٠ الف صمونة باليوم، ويوفر المشروع فرصة عمل ل ١٢٧ شخصاً يعملون على وجبتين عمل وعلى اربعة

ولقد كان السبب في اختيار المشروع في مدينة الموصل هو توافر المادة الخام في المنطقة ومن خلال التجارب التي اجريت على العينة المأخوذة من المنطقة اثبتت صلاحية مادة الخام في صناعة المنسوجات القطنية قدرت حاجة المنشأة بـ ٢٠ ألف طن قطن زهركان الانتاج المحلي في عام ١٩٧٤ يسد من حاجة المنشأة ٩٥٪ انخفضت الى ٤٦,٢٤٪ عام ١٩٧٦ وإلى ٣١,٢٤٪ عام ١٩٧٧ ثم الى ١٤,٢٩٪ عام ١٩٧٨ ، وقد اعتمدت المنشأة في سد حاجتها الباقية عن طريق الاستيراد ، اما اسباب انخفاض مساهمة الانتاج المحلي من القطن في سد حاجة المنشأة تعود الى عدم اقبال الفلاحين على الرغم من المحفزات التي قدمت لهم عن طريق رفع اسعار القطن على زراعة هذا المحصول لوجود محاصيل منافسة ذات مردود اكبر ويكلف أقل وموسم زراعي يقارب $\frac{1}{4}$ الموسم الزراعي لمحصول القطن.

اما الآن فالمنشأة تقوم باستيراد مامقداره ٥٣٠١ طن سنوياً من المواد الخام بلغت تكاليف نقلها فقط حوالي -١٤٣ ألف دينار، لذلك يعد توفير المادة الخام لهذه الصناعة محلياً أمراً في غاية الاهمية.

الصناعات الخشبية :

معمل نجارة الادارة المحلية :

تأسس عام ١٩٧٤ برأس مال قدره ٧٢,٥ ألف دينار على مساحة تقدر بـ -٤٠ ألف م^٢ على الطريق المؤدي الى أربيل قرب المعارض بطاقة انتاجية ٨٠٠٠ وحدة سنوياً.

وقد جاء انشاؤه للتوسع الحاصل في اعداد المدارس بالمحافظة وحاجة هذه المدارس الى مقاعد (رحلات) فضلاً عن انواع الآثاث الاخرى ، لذلك فقد انشيء المشروع لسد حاجة مدارس المحافظة من الآثاث المدرسية.

يحصل على مواده الخام من المنشأة العامة لتجارة الحديد والخشب. ولقد جاء توطن هذه الصناعة بعيداً عن مخازن المنشأة والكائنة في منطقة الساحل الايسر على الطريق المؤدي الى تلعفر، مما يضطرها الى القيام بنقل كميات كبيرة من الخشب والمواد الأخرى فهي تقوم بنقل ٢٤٢٦ قدم^٢ من الاخشاب الجاوي والصاج و ٣٠٦ م^٢ من خشب الجام و ٤٣٢٠ طبقة من خشب المعاكس والبلوك يورد من المخازن اعلاه ، وان هذا الامر يرفع من تكاليف النقل فضلاً عن تكاليف الانتاج.

لذلك كان من الافضل ان يتوطن قرب مخازن المنشأة لانه يستخدم كميات كبيرة من المواد الخام.

اما فيما يتعلق بنقل الانتاج فان الموقع الحالي والمقترح متساوٍ من حيث تكاليف نقل الانتاج ، لان الانتاج ينقل الى مدارس المحافظة. وبما أن المدارس موزعة على جانبي المدينة بنسب متقاربة يضم الجانب الايمن ٤٩,٥ من المدارس الابتدائية و ٦٠٪ (١٢) من المدارس المتوسطة والثانوية في حين يضم الجانب الايسر ماتبق من النسبتين. والمشروع يوفر فرصة عمل لـ ٥٣ شخصاً يعملون بوجبة عمل واحدة ويعد وحدة انتاجية متكاملة.

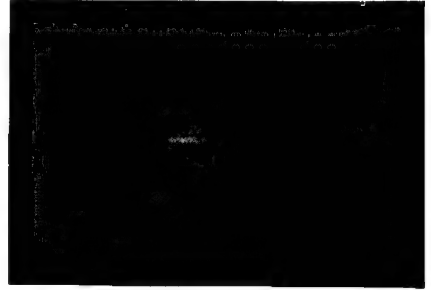
الصناعات الورقية :

مطبعة جامعة الموصل :

تأسست عام ١٩٧٠ برأس مال قدره ١,٥ مليون دينار على مساحة تقدر بـ ٧,٥ ألف م^٢ في منطقة الشفاء قرب المستشفى وبطاقة انتاجية ٣٦٠ كتاباً سنوياً.

وعلى الرغم من وجود المطابع العديدة بالمحافظة فان الحاجة المتزايدة والاهتمام الكبير بالعلم والثقافة وخاصة في الجامعة دعت الى إنشاء هذه المطبعة خاصة لتلبية حاجة جامعة الموصل ولاسيا بعد ان

اصبح التعلم مجانياً وهذا يتطلب توفير مستلزمات الدراسة للطالب مجاناً.



مطبعة جامعة الموصل

اخشاب الشمال والتي كانت من الشركات الناجحة في المدينة من حيث جودة الانتاج والاسعار. برأس مال ١,٢٥٠ مليون دينار ارتفع الى -٣,٠ مليون دينار حالياً على مساحة من الارض تقدر بـ -١٩٠ الف م^٢ قرب القاضية على الطريق المؤدي الى محافظة دهوك، وبطاقة انتاجية قدرها ٦٨٤٠ مرتبة نقرين و ١١٤٠٠ مرتبة نفر واحد سنوياً وبلغت تكاليف انتاجها لعام ١٩٨٥ - ٨٠٤ الف دينار وقد وفرت فرصة عمل ل ٢٩ شخصاً يعملون بوجبة واحدة.

الصناعات التعدينية اللافلزية : الابنية الجاهزة :

تم تنفيذ هذه الوحدة في عام ١٩٧٥ على طريق الموصل - دهوك شمال غربي المدينة على مساحة -١٩٠ الف م^٢، بكلفة تقديرية -٦,٠ مليون دينار وبطاقة انتاجية ٢٠٠٠ وحدة سكنية سنوياً. على اساس وجبتي عمل لخطين انتاجيين وقد بدأ الانتاج الفعلي فيها عام ١٩٧٧. ولقد جاء اختيار مدينة الموصل لاقامة هذه الصناعات اضافة الى اقامة معامل شبيهة بها في مناطق مختلفة من القطر. كانت الغاية من انشائها توفير المستلزمات الاساسية للمواطنين والحد من أزمة السكن الموجودة في وقتها من جهة والتأكيد على التوسع العمودي في بناء المساكن لما له من مردود اقتصادي من حيث الاقتصاد في الكلفة وبخاصة مايرتبط بتوفير الخدمات المختلفة الى جانب الاستغلال الافضل في استخدام الارض من جهة اخرى.

الا ان اختيار الموقع الحالي لهذه الوحدة الصناعية لم يكن سليماً فقد تسبب في هدر كبير في أبعاد الاراضي الزراعية الاروائية على ضفاف نهر دجلة ذات الامكانيات الطبيعية والتي تعد اراضي زراعية جيدة للخضراوات او البقول وكان الموقع الافضل لتوطنه على طريق أربيل قرب موقع المصنع وقرب المادة الخام التي يتم نقلها من منطقة الخازر

الصناعات الكيماوية :

أ- معمل اسفلت طرق نينوى :

تأسس في عام ١٩٧٣ وبدأ بالانتاج الفعلي عام ١٩٧٤ على مساحة تقدر بـ -١٢٥٠ الف م^٢ في المنطقة الملوثة على الطريق المؤدي الى محافظة أربيل وقد جاء انشاء هذه الوحدة نتيجة لما أولته الدولة من اهتمام ببرامج التنمية التي وضعتها الخطة الاستراتيجية خاصة العمرانية منها ولحاجة المنطقة الى هياكل اساسية وبالاخص الطرق الداخلية والخارجية.

وكان توطن الوحدة في منطقة ملائمة من ناحية توفر المادة الخام من الحصى والرمل في منطقة الخازر وقربه منها لتقليل تكاليف نقلها ، اضافة الى كون المنطقة التي توطن فيها قد خصصت له تمثل هذه الصناعات الملوثة. وتبلغ طاقته الانتاجية ٧٠ طن اسفلت بالساعة ، بلغت تكاليف انتاجه لعام ١٩٨٥ حوالي -١,٠ مليون دينار، وقد وفر المشروع فرصة عمل ل ٥٢ شخصاً يعملون بوجبة عمل واحدة.

ب- الشركة الوطنية للصناعات الكيماوية والبلاستيكية :

تأسست في عام ١٩٨٤ بعد إلغاء شركة

المتتملة بالرمل والحصى. وهو يقوم بتهيئة مستلزمات بناء الوحدات السكنية المجهزة بالمحافظة ويوفر فرصة عمل لـ ٢٥٦ شخص حالياً.

- نماذج من صناعات القطاع الخاص :

شركة الحاج بونس للنسيج :

هي شركة مساهمة تأسست عام ١٩٥١ وبدأت بالانتاج الفعلي عام ١٩٥٢ برأس مال قدره -١٥٠ ألف دينار ارتفع الى ١,١٩ مليون دينار حالياً في منطقة العكيدات على مساحة من الأرض تقدر بـ -٥ آلاف متر مربع وبطاقة انتاجية ١,٥ مليون متر قماش و -٥٠٠ ألف قطعة (اليشمغ) او (غطاء الرأس كما هو معروف).

لقد جاء توطن هذه الوحدة في موقعها الحالي لاسباب متعددة منها قربها من السوق وكونها من صناعات السوق ، فهو يطابق بذلك ما جاء في نظريات التوطن الصناعي اضافة الى رخص الاراضي والايدي العاملة وتوافرها في تلك الفترة. ويوفر فرصة عمل لـ ١١٧ شخصاً يعملون بوجبة عمل واحدة يومياً ، وقد بلغت تكاليف الانتاج فيه لعام ١٩٨٥ حوالي -١ مليون دينار مثلت منها تكاليف النقل الاجالية ١,٥ %.

كبيرة سواء في نقل العمال او الانتاج. يعمل بوجبة عمل واحدة ويوفر فرصة عمل لـ ٥٠ شخصاً. وقد بلغت تكاليف انتاجه لعام ١٩٨٥ -٣٧٩ ألف دينار مثلت منها تكاليف النقل الاجالية مامقداره ٢,٢ %.

شركة نسيج جواريب النابولن :

تأسست عام ١٩٦١ برأس مال -٩٠ ألف دينار ارتفع الى -٢٩٢ ألف دينار حالياً في منطقة وادي حجر على مساحة من الارض تقدر بـ -٩ آلاف متر² وبطاقة انتاجية -١٣٠ ألف زوج من الجواريب.

لقد توطنت في الموقع الحالي لاسباب عدة ايضاً منها رخص الاراضي وتوافر الايدي العاملة الرخيصة والقرب من السوق وهو يوفر فرصة عمل لـ ١٠١ شخص يعملون بوجبة عمل واحدة كوحدة انتاجية متكاملة.

اما تكاليف انتاجه فقد بلغت في عام ١٩٨٥ حوالي -٧٠ ألف دينار مثلت منها تكاليف النقل الاجالية ٣,٣ % هذا فضلاً عن نقص العمل وبخاصة العنصر النسوي.

الهوامش

- (١) أ.د. محمد أزهر سعيد السالك ود. هاشم خضير الجنابي ود. صلاح حميد الجنابي : استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق / دراسة تطبيقية عن مدينة الموصل الكبرى حتى عام ٢٠٠٠ م ، بين عقريه المكان وتخطيط الانسان / جامعة الموصل / ص ١٢٠-١٤٤.
- (٢) وزارة الصناعة والمعادن / المؤسسة العامة للمعادن : التقرير التوضيحي لخريطة العراق الجيولوجية والاقتصادية.
- (٣) أ.د. محمد أزهر سعيد السالك : البترول العراقي / دراسة تحليلية في مورد الثروة الاقتصادية / ساعدت وزارة الاعلام على نشره / بغداد ١٩٨١.
- (٤) المصدر نفسه ص ١٤٩ وباليابا.
- (٥) أ.د. محمد أزهر سعيد السالك وآخرون : جغرافية الموارد المعدنية / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / بغداد / ١٩٨٠ / ص ٢٩٣-٣٩٤.
- (٦) أ.د. محمد أزهر السالك وأ.د. قيس سعيد الفهادي : نحو تنمية

شركة نسيج الشمال المساهمة :

تأسست عام ١٩٦٢ برأس مال -٨٠ ألف دينار ارتفع الى -٢٥٠ ألف دينار حالياً في حي البعث وعلى مساحة -٥ آلاف م² منها ٢,٥٠٠ ألف م² ملك صرف ٢,٥٠ ألف م² مؤجرة بدل اجارها السنوي ١٩٠٠ دينار وبطاقة انتاجية -١٢٢ ألف قطعة سنوياً.

لقد توطنت الوحدة الصناعية في الموقع الحالي لاسباب عدة منها رخص الاراضي اضافة الى قربها من توفر الايدي العاملة الرخيصة وبقرها من السوق. وبذلك وفر الموقع للمشروع تكاليف نقل

- (٩) كاتلين ، أم ، لانكلي : ترجمة أ.د. محمد حامد الطائي وآخرون :
تصنيع العراق / دار الفتي / بغداد ١٩٦٣ ص ٣٥٨ .
- (٥) المسح الميداني .
- (١٠) عبدالعزيز مصطفى عبد الكريم : اقتصاديات توطن الصناعات
التحويلية بمحافظة نينوى / رسالة ماجستير غير منشورة قدمت
الى كلية الادارة والاقتصاد بجامعة الموصل ص ١٩٧٩ ص ١٠١ .
- (١١) كاتلين ، أم ، لانكلي : المصدر السابق ص ٣٥٧ .
- (١٢) أ.د. محمد أزهري سعيد السهاك وآخرون استخدامات الارض ،
المصدر السابق ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

- بعض وحدات الصناعات التحويلية في محافظة نينوى بالعراق /
مجلة بحوث الشرق الأوسط / العدد السادس ١٩٧٩ / جامعة
عين شمس ١٩٨٥ ص ١ - ٢٨ .
- (٧) أ.د. محمد أزهري السهاك وآخرون استخدامات الارض بين
النظرية والتطبيق / المصدر السابق ، ص ٢٤١ - ٢٤٣ .
- (٨) أحمد محمد اسماعيل البريفكاني : دور تكلفة النقل في توطن
بعض وحدات الصناعات التحويلية لمدينة الموصل / دراسة
غير منشورة قدمت الى كلية الادارة والاقتصاد بجامعة الموصل
ايلول ١٩٨٦ ص ١٠٧ - ١٢٠ .

هَيْكَلُ النِّشَاطِ الصَّنَاعِيِّ الْخَاصِّ

د. عباس علي التميمي

مقدمة :

الجذب والطرد المكانية ، فعامل السوق يجتذب
الصناعة نحو المدينة ، في حين أن عوامل اقتصادية
وبيشية أخرى تبعدها باتجاه الأطراف . وما ان
الصناعة لارتبطت دوماً بموقع موادها الاولية ، ولا
يشترط ان يسوق كامل انتاجها في سوق المدينة ،
لذا فان البحث يشمل محافظة نينوى ، يدفعنا الى
ذلك أن مدينة الموصل تعد قاعدة لبناء الصناعة
تمويلاً وتسويقاً فضلاً عن توفير بعض من
مستلزمات الانتاج والقوى العاملة وما اليها من
عوامل التوطن الصناعي ، كما يدفعنا الى ذلك
الترابط الصناعي الذي كان سائداً بين مدينة
الموصل وأطرافها قبل قيام الصناعة الحديثة ^(١) .

وقد إستثنى البحث الصناعات التي اصبحت
تابعة لمخاضات أخرى بعد التغيرات الادارية التي
جرت في السنوات الاخيرة حتى عام ١٩٨٥ .
وستتناول في هذا البحث الصناعة التحويلية ،
وهي التي تقوم على تحويل مادة او اكثر بالطرق
الميكانيكية او الكيماوية الى مواد جديدة لها
خصائص مختلفة من حيث الشكل او من حيث
طبيعة الاستعمال لتستجيب الى متطلبات الانسان
وحاجاته ، سواء أكانت منتجاتها جاهزة للاستهلاك

تتميز مدينة الموصل بتنوع أساسها
الاقتصادي ، فهو يقوم على النشاط الزراعي ، اذ
تتقدم محافظة نينوى في انتاج الحبوب على باقي
محافظة القطر ، والنشاط التجاري ، اذ تقع
الموصل في منطقة متعددة البيئات ، الجبلية
والسهلية والهضبية ، فضلاً عن البيئة الصحراوية
القريبة ، وان وقوعها على نهر دجلة جعلها نقطة
مهمة في حركة النقل النهري حتى وقت قريب ، وان
خطوط النقل البرية ربطتها بمجتمعات حضارية
مختلفة ومتباينة . ولم تتميز الموصل بتنوع اقتصادها
الزراعي ، والتجاري ، بل نشطت في انتاجها
الصناعي ، وتميزت وما زالت في هذا النشاط .

ولا تنفصل الصناعة الحديثة عن التاريخ
الحضاري والاقتصادي لهذه المدينة وعموم القطر ،
حيث قامت اولى الحضارات الرئيسة في العالم ،
والتي اعتمدت ، دون شك على صناعات مختلفة
لتوفير أسس البناء والرفاه والدفاع ، وهو ما نهضت
به عاصمة الآشوريين ، نينوى ، التي قامت الموصل
الى جوارها .

ولكون الصناعات الحديثة لارتبط بالضرورة
بالمكان (الموضع) الذي تقوم عليه ، طبقاً لعوامل

مباشرة، أم سلعاً بسيطة تدخل مواد أولية في صناعات تالية، أو صناعات انتاجية، كبناء المصانع والآلات والاجهزة. وينصب البحث على نشاط القطاع الصناعي الخاص في الموصل، لأن قطاع الصناعة الاشتراكي درس في مكان آخر. وبالنظر الى ان مشاريع النشاط الصناعي الخاص تجتذبها احوال المدينة الداخلية والسوق المحلية ومدى النجاح في تحقيق الارباح، وما ان هذا النشاط يجري عبر غرفة تجارة وصناعة الموصل^(٢) فان الدراسة اعتمدت البيانات المتوفرة لديها، وفي مقدمة ذلك حجم الاستثمارات المسجلة وعدد المشاريع والأيدي العاملة، باعتبارها المؤشرات المعتمدة للتعرف على واقع واتجاهات هيكل الصناعة للنشاط الخاص.

ولتنوع وحدات الانتاج الصناعي من حيث النوع والحجم وطبيعة المواد المستخدمة (المواد الأولية) والمنتجات وحجم الاستثمار والعالة وغيرها، مما يقتضي وجود تصنيف لتجميع الحقائق ووضع الصناعة في فئات محددة لتيسير دراستها واجراء المقارنات، فقد اعتمدت البحث هذا التصنيف الدولي للنشاط الاقتصادي المعدل ISIC الذي وضعته اللجنة الاحصائية للامم المتحدة واعتمدته المنظمة الدولية للتنمية الصناعية UNIDO.

وموجب هذا التصنيف تضم الصناعة التحويلية، القسم الثالث، الذي يضم مستويات اخرى هي الباب والفصل والفرع، وبناء على ذلك اعيد تصنيف المشاريع المسجلة لدى غرفة تجارة وصناعة الموصل، ليتماشى وطبيعة التصنيف الدولي ويوفر اساساً للمقارنات المحلية والدولية.

وسينصب البحث على ما يأتي:

- ١- هيكل الصناعات التحويلية للنشاط الصناعي الخاص.
- ٢- هيكل الاستثمار في الصناعة التحويلية للنشاط الخاص.
- ٣- هيكل العمل ومعدل نصيب العامل من الاستثمار.

أولاً: هيكل الصناعة التحويلية:

نعني بهيكل الصناعة الاهمية النسبية التي تشغلها فروع الصناعة، في معيار او اكثر من المجموع الكلي، وهذه الاهمية تتغير تبعاً للاتجاهات التطورية ومتأثرة بمعدلات النمو المتفاوتة، ويشير الهيكل الصناعي الى مرحلة التطور الاقتصادي ومدى الاهتمام الذي يوليه المجتمع للصناعة عامة او لأي نشاط فيها.

وحتى يمكن أن نعطي صورة كاملة وواضحة عن هيكل الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل نتطرق أولاً الى دراسة هيكل كل باب صناعي^(٣) وملاحظة التغيرات الجارية فيه، ثم الانتقال الى دراسة طبيعة الهيكل الصناعي التحويلي بعامة.

١- الصناعات الغذائية:

وتمثل الباب الاول من أبواب الصناعة التحويلية في التصنيف الدولي. وتتضمن ثلاثة فصول هي: صناعة المواد الغذائية، وصناعة المشروبات الغازية والكحولية، وصناعة التبوغ، وكل منها يضم فروعاً صناعية عدة.

ونفتقر الموصل حالياً الى صناعة للتبوغ، بعد أن شاعت هذه الصناعة طيلة النصف الاول من هذا القرن حتى بداية عقد الستينات فقد ظهرت صناعة لورق السكاثر، وانتاج السكاثر بالطرق اليدوية، والتي برع فيها أبناء الموصل، وعرفت في أنحاء العراق المختلفة، وقد اشار اول احصاء صناعي شامل جرى في القطر عام ١٩٥٤ الى الاهمية الكبيرة التي اشغلتها صناعة التبوغ

ومن هذا الاحصاء يتضح ان صناعة التبوغ اشغلت حوالي ربع عدد المؤسسات وثالث عدد العمال و٢٨,٢٪ من قيمة المستلزمات و٣٩,٢٪ مما تحقق من قيمة مضافة في هذا الباب الصناعي، وبلغ معدل حجم المؤسسة في صناعة التبوغ ستة عمال، وبذا يفوق معدل حجم المؤسسة من حيث العمل لمجموع باب الصناعات الغذائية البالغ اربعة

المتزلة للتبريد بنطاق واسع والتي عوضت عن الحاجة الى منتجات هذه الصناعة الى حد كبير. وضمت الصناعات الغذائية كلاً من صناعة طحن الحبوب ومنتجات القمح «الحببة والبرغل والجريش والرشته» والمربطات وصناعة البسكويت والسكريات والحلويات وافران الخبز والصمون وصناعات اخرى.

والمعروف ان مثل هذه الصناعات تعد من صناعات المدن، اي انها تتوزع ضمن المدينة لتستجيب للمطلبات اليومية للسكان، لذا نجد أن من بين ١٦٥ مشروعاً في المحافظة توطن منها ١٣٠ مشروعاً داخل مدينة الموصل او حوالي ٧٩٪ في حين توزعت المشاريع الباقية في مدن تكليف (١٤) مشروعاً) وتلعفر (٩ مشاريع) وانتشرت المشاريع الاخرى بواقع مشروع او مشروعين في بقية مدن المحافظة، وهي لاتعد كونها صناعات للبرغل (٢١) مشروعاً^(٦) ارنبطت بانتاج القمح، مادتها الاولى، التي تزرع بنطاق واسع في محافظة نينوى^(٧)، وبطبيعة غداء سكانها.

وفي ملاحظة البيانات الأولية التي وفرتها غرفة تجارة وصناعة الموصل، ظهر أن الاستثمارات تركزت في مشاريع طحن الحبوب في الوقت الذي بلغ عدد مشاريعها تسعة مشاريع او ٥٪ من مجموع المشاريع في الصناعات الغذائية استأثرت بـ ٤٥٪ من الاستثمارات المسجلة^(٨).

وضمت صناعة المشروبات (١٦) مشروعاً باستثمارات بلغت (٥٠١) الف دينار او بنسبة ٥٪ ومعدل استثمار سنوي مقداره (٣٣) ألف دينار. وبعمامة فان باب الصناعات الغذائية للقطاع الخاص ضم ١٦٥ مشروعاً بلغت استثماراتها ٩٩٥٨ الف دينار ووفرت ٩٩٠ فرصة عمل فضلاً عن عمل اصحابها.

وهناك تفاوت كبير في معدلات الاستثمار الرأسمالية، اذ بلغ معدله للمشروع الواحد ٥٩,٣ الف دينار للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠. وان اعلى معدل للاستثمار سجل خلال الفترة ١٩٧١ - ١٩٩١

عمال. إلا ان التطور الصناعي جرى لغير صالح صناعة التبغ والسيكاير في الموصل، فقد اقيم اكبر مشروع صناعي لصناعة السيكاير في السليمانية لتغطية الحاجة الوطنية للسيكاير آنذ، وبذلك اصبح انتاجها منافساً قوياً للصناعة الحرفية التي اخذت في الضمور التدريجي ولم يبق منها إلا مؤسسات حرفية صغيرة^(٩)، لاتظهر في البيانات لكونها غير مسجلة في غرفة تجارة وصناعة الموصل كما ان الجهاز المركزي للاحصاء ترك جمع البيانات عنها منذ عام ١٩٦٨^(١٠) باعتبارها من الصناعات المتزلة Cottage Industries تقوم بها العوائل داخل بيوتها. ولذا فان الهيكل الصناعي الحديث لباب الصناعات الغذائية اضحى يضم فرعين رئيسيين هما صناعة المنتجات الغذائية وصناعة المشروبات.

وبطابق للبيانات المعتمدة فقد جرى تقسيم البحث الى فترات خمسية لمعرفة التغيرات الهيكلية والتطورات التي حصلت بين ١٩٦١ - ١٩٨٥ عدا الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ عدت فترة واحدة لبعدها الزمني نسبياً، ولكونها تمثل امتداداً للسياسات الاقتصادية التي سبقت النهج الذي تبنته ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨. وهو ماسيسير عليه البحث في ابواب الصناعة الاخرى.

وتجدر الاشارة هنا الى ان الصناعات الغذائية استحوذت على الاهمية الرئيسة في هذا الباب ونسبة ٩٥٪ من الاستثمارات لعموم الفترة ووفرت ٨٣,٥٪ من فرص العمل واستأثرت لـ ٩٠,٣٪ من عدد المشاريع. وتحققت أعلى نسبة للاستثمار في الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ بلغت ٤٢٦١ الف دينار او بما يعادل ٦,٢ مرة الاستثمارات المسجلة في العشر سنوات الواقعة بين ١٩٦١ - ١٩٧٠. ويلاحظ ان المشروبات وصناعة الثلج لم تحض إلا بنسب صغيرة بلغت في الاستثمار ٥٪ فقط لعموم الفترة واقل نسبة للاستثمار حصلت في الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ اذ بلغت ١,٢٪. ويعود ذلك الى انحسار الاستثمارات في صناعة الثلج بعد دخول الاجهزة

١٩٧٥ بلغ (١٨٠) ألف دينار.

اما معدل مجمل الفترة فقد بلغ ٦٠,٣ ألف دينار مع تفاوت بين الصناعات الغذائية وصناعة المشروبات اذ بلغ للاولى ٦٣,٤ ألف دينار اضعف معدله في الثانية والذي بلغ (٣١,٣) ألف دينار. ومن ملاحظة معدل الاستثمار مقابل العامل الواحد نجد أن الصناعات الغذائية قد فاقت في ذلك صناعة المشروبات ، اذ كان في الاول ١١,٤ ألف دينار مقابل ٣,١ ألف دينار للثانية ، وبمعدل عام للباب الصناعي بلغ عشرة آلاف دينار وتحقق اعلى استثمار مقابل العامل الواحد خلال الفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ في الصناعات الغذائية ومقداره ١٧,٢ ألف دينار.

وتجدر الاشارة هنا الى ان الصناعات الرئيسية والمهمة في الصناعات الغذائية يمتلكها القطاع الاشتراكي (العام) اما تأسيساً ، كما في مشروع سكر الموصل ، او نتيجة لقرارات التأميم التي صدرت عام ١٩٦٤ والتي بموجبها تحول مشروع طحين الحدياء ومصنع المشروبات الغازية (الببسي كولا) الى ملكية الدولة.

٢ - صناعة النسيج والجلود :

ويضم هذا الباب عادة صناعات الغزل والنسيج ونتاج الملابس الجاهزة او خياطتها والصناعات الجلدية . وهي في الموصل تضم قائمة طويلة من الصناعات الفرعية ، كالمنسوجات القطنية والحريرية وصناعة التريكو والملابس الداخلية وملابس الاطفال والمطرزات واغطية الرأس ونسيج الاشرطة والخالويات والمناشف والاقشة التركيبية من الحرير والتابلون ونسيج الستائر وحياكة الملابس وخياطة الفساتين والبدلات الرجالية والجاوريب والبسط الشعبية ، ثم الصناعات الجلدية ، من المدايع وصناعة الاحذية والحقائب النسائية وحقائب السفر وغيرها .

وقسمت الصناعة في هذا الباب الى ثلاثة فروع رئيسة (فصول) هي الصناعات النسيجية وصناعة

الملابس الجاهزة والصناعات الجلدية لمطابقتها للتصنيف الدولي ولكنها الاكثر انتشاراً.

ان صناعة النسيج والجلود كانت شائعة في الموصل والمدن القريبة منها حتى اصبحت منتجاتها في القرن الثامن عشر تماثل او تفوق المنتجات المثلة لها في اوربا^(١٠) . ورغم ارتباط الاقتصاد العراقي بالسوق الدولية في بداية هذا القرن ودخول المنتجات الاوربية المنافسة ، فان صناعة النسيج في الموصل لم تفقد مركزها بل تطورت بقوة الاستثمار التاريخي من توفر الخبرة والمهارة واتساع الطلب المحلي^(١١) . فضلاً عن كونها سارت مواكبة للتطورات الحديثة باستخدام الالات الجديدة في مراحل الانتاج المختلفة ، فاتسعت المصانع وتنوعت المنتجات ، واصبحت ولا تزال تشكل واحدة من اهم الصناعات في مدينة الموصل وفي عموم محافظة نينوى .

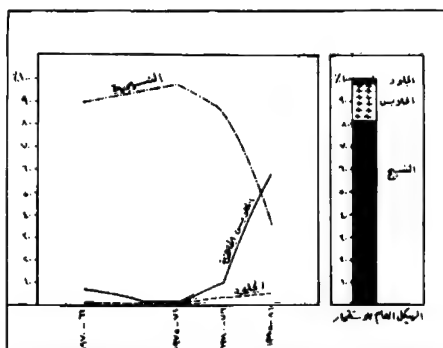
ففي اول احصاء صناعي شامل جرى في العراق عام ١٩٥٤ يلاحظ أن هذه الصناعة اسهمت بأكثر من ٧٢٪ من القيمة المضافة التي تحققت في صناعة المحافظة التحويلية ، كما اشغلت نسباً عالية في العديد من المؤشرات ، بلغت ٤٢٪ في عدد المؤسسات و ٣٧٪ من اليد العاملة و ٦٤٪ من قيمة الانتاج^(١٢)

وكما هو معروف فان صناعة النسيج اشغلت ٢٥٪ من عدد المشاريع و ٣٥,٩٪ من اليد العاملة و ٢٤٪ من قيمة الانتاج و ٢٨٪ في القيمة المضافة في وقت اشغلت صناعة الملابس الجاهزة المثلة في حياكة الملابس وخياطتها نسبة اكبر في عدد المؤسسات أي ٤٣,٧٪ في حين أنها حظيت ب ٢٧٪ من الايدي العاملة و ٢٣٪ من قيمة الانتاج وحوالي ٢٣٪ من القيمة المضافة ، ولاشك أن هذه الصناعة كانت تتميز بصغر مؤسساتها من حيث الاستثمار وبتنشرها الواسع .

اما الصناعات الجلدية والتي تتمثل بصناعة الدباغة ونتاج الاحذية والحقائب والاحزمة وسروج الخيل وغيرها فقد هيمنت على نسبة عالية في هذا

نسبة الاستثمار البالغة ٢,٦٪ مما يشير الى التخلف التكنيكي الذي تعاني منه هذه الصناعة .

٤- ولعل من ابرز الملاحظات في عموم هيكل هذا الباب الصناعي ذلك التزايد النسبي للاستثمار في فرع الصناعات الجلدية وصناعة الملابس الجاهزة ، على حساب الاهمية النسبية للصناعة التي كانت تشغلها صناعة النسيج (الشكل ١) مما يشير الى الاتجاهات التطورية لقيام صناعة متكاملة من جانب ، الى مواكبة التغير في الاستهلاك واتجاهه نحو صناعة الملابس الجاهزة والميكنة .



الشكل ١- اتجاه التغيرات الهيكلية في صناعة النسيج والجلود .

٥- استأثرت صناعة النسيج والجلود باستثمارات كبيرة نسبياً ، حيث بلغت (١١٩٠٣) ألف دينار او بمعدل استثمار مقداره ٩,٤ ألف دينار للمشروع الواحد . ومن بين المشاريع البالغ عددها ٢٤١ مشروعاً وجد ان ٢٤ منها يتجاوز الاستثمار في كل منها ١٠٠ ألف دينار وبلغ مجموع استثماراتها ٧١٢٩ ألف دينار او بمعدل ٢٩٦ ألف دينار^(١٢) .

ان المشاريع الكبيرة نسبياً من حيث الاستثمار في النشاط الصناعي الخاص يشير الى الاستمرار التاريخي لصناعة النسيج في الموصل . مما يتطلب مزيداً من الاهتمام بهذا النشاط لا باعتباره احد

الباب فأشغلت ٣٧٪ من اليد العاملة و ٥٢٪ من قيمة الانتاج و ٤٩٪ من القيمة المضافة .

لقد حصلت تغيرات كبيرة وجوهية في هيكل صناعة النسيج والجلود خلال السنوات التي تلت الاحياء الاولى لسنة ١٩٥٤ واسهمت الدولة في بناء العديد من المشاريع الكبيرة للنسيج والجلود في انحاء متفرقة من القطر ومن بين ذلك اقامة معمل النسيج القطني في الموصل ، وبذا استمرت صناعة النسيج بالاندفاع ، حيث وفر المشروع بعضاً من المواد الخام للنشاط الخاص .

١- هيمنت صناعة النسيج على الاستثمارات الرئيسية في هذا الباب الصناعي ، فبلغت مجمل الاستثمارات ٩٦٧٩ ألف دينار خلال الفترة ١٩٦١-١٩٨٥ واشغلت ٨١,٣٪ ، وقد سجلت اعلى نسبة للاستثمار في الفترة ١٩٧١-١٩٧٥ اذ بلغت الاستثمارات فيها ٤٣٨٧ ألف دينار او ٩٨,٤٪ . وقد وفرت صناعة النسيج ٥٣٪ من فرص العمل واسهمت ل ٣٩٪ في عدد المشاريع .

٢- بلغت مجمل الاستثمارات في صناعة الملابس الجاهزة ١٩١٩ ألف دينار ونسبة ١٦٪ في هذا الباب الصناعي وتحقق اكبر استثمار بلغ ١٤٢٤ ألف دينار خلال الفترة ١٩٨١-١٩٨٥ او نسبة ٥٨,٦٪ . وأسهمت هذه الصناعة ب ٧٧٪ من فرص العمل وما بمثلها في عدد المشاريع للفترة ذاتها . وتشير الفروق بين نسب الاستثمار ونسب عدد المشاريع الى صغر حجم المؤسسات .

٣- اما الاستثمار في نوع الصناعات الجلدية فكان صغيراً بوجه عام ، فقد بلغ في عموم الفترة ٣٠٥ ألف دينار ونسبة ٢,٦٪ في هذا الباب الصناعي ، وتحقق اعلى معدل للاستثمار خلال الفترة على ١٩٨١-١٩٨٥ ، اما فرص العمل فقد وفرت ١٦٩ فرصة او بنسبة ١٠٪ متجاوزة كثيراً

نتيجة لارتفاع معدل دخل الفرد العراقي والدخل القومي للقطر.

ان ارتفاع مستوى المعيشة وما رافق ذلك من تطور اجتماعي والتغير في نمط الاستهلاك، عمل على زيادة الطلب وتنوعه على الحاجات والسلع وفتح افاقاً ومنافذ جديدة للاستثمار وقد ساعد على ذلك توجه خطط التنمية القومية لتشجيع النشاط الصناعي الخاص سواء عن طريق فسخ المجال له للولوج في انتاج سلع جديدة أم عن طريق وضع المحفزات وتوفير وزيادة القروض الصناعية التي يقدمها المصرف الصناعي.

د- ولما كانت صناعة النسيج معروفة بكثافة العمل- بعمالة- فان معدل ما يصيب العامل من الاستثمار بلغ ٧,١ الف دينار، وهو أقل مما هو عليه في الصناعات الغذائية، وان اعلى معدل للاستثمار مقابل العامل الواحد كان في صناعة النسيج خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠. كما أن المشاريع ذات الاستثمارات الكبيرة اصبحت من نصيب القطاع الاشتراكي في حين كانت قد وضعت حدود عليا للاستثمار في النشاط الخاص.

ان النشاط الخاص الصناعي يمتلك حالياً مجالاً رحباً لاستثمار أمواله في بناء وتطوير صناعة النسيج وما يرتبط بها من صناعات لاحصر لها تشكل ارتباطاً خلفياً كالغزل والالياف والاصباغ، وارتباطاً امامياً كالخياطة والملابس الجاهزة، فضلاً عن بناء الصناعات الجلدية، وذلك للمحفزات الكثيرة المعروضة امامه، ولانتهاء أية ضرائب عليه خلال السنوات العشر القادمة، مما يمكنه من السير خطوات اخرى بالاستفادة من التقنيات الحديثة، في بناء وتحديث مشاريعه الصناعية والاسهام بتلبية الحاجات المحلية والوطنية المتزايدة لمنتجات هذه الصناعة.

٣- الصناعات الكيماوية^(١٤) :

يضم هذا الفرع الصناعي طبقاً للتصنيف

الانشطة الرئيسية في اقتصاد الموصل فحسب، بل ولضرورة ان تأخذ المدينة دورها في قسمة العمل لعموم القطر وبالاتجاه نحو بناء مركز صناعي للنسيج يغطي الحاجات او الطلب المحلي ويرقى تنوعية انتاجه ليكون قادراً على منافسة المنتجات المماثلة في الاسواق العربية او المجاورة، وللاستفادة من الخبرات المتراكمة وتطويرها.

٦- ومن ملاحظة معدلات الاستثمار في صناعة النسيج والجلود، يظهر لنا :

أ- أن المعدل العامل للاستثمار بلغ ٤٩,٤ الف دينار، في حين بلغ في صناعة النسيج ١٠٠ الف دينار وفي صناعة الملابس الجاهزة والصناعات الجلدية ١٥,٦ و ١٣,٨ الف دينار على التوالي.

ب- ان تغيرات كبيرة حصلت في معدلات الاستثمار خلال فترة الدراسة ومن ذلك الهبوط في معدل الاستثمار في الصناعات النسيجية، والارتفاع الملحوظ في تلك المعدلات في الصناعات الجلدية، حيث تشكل الحقائق والاحذية النسائية دوراً متزايداً مما يشير الى الاتجاهات الجديدة في التطور الاجتماعي وارتفاع المستوى المعاشي ومعدل دخل الفرد.

وإذا كانت محافظة نينوى الوحيدة التي تضم مداين الجلود، باستثناء بغداد، فانها تضم ايضاً النسبة الكبرى في تربية الاغنام وقربها من المحافظات التي تهتم بتربية الماعز، مما يهيئ الفرصة لتطور الصناعات الجلدية والأخذ بيد هذه الصناعة وتطويرها.

ج- إنجه معدل الاستثمار للانخفاض عموماً ويرجع ذلك الى تحول الاستثمارات نحو صناعات أخرى بعد ان وصل الاستثمار في صناعة النسيج الى الاشباع النسي للقطاع المحلي من جانب والى ماتواجه هذه الصناعة من منافسة منتجات المشاريع التي أقيمت في المحافظات الأخرى سواء أكانت للقطاع الخاص أو للقطاع الاشتراكي^(١٥) فضلاً عن منافسة الانتاج الاجنبي الذي غزا الاسواق الوطنية وتزايد الطلب عليه

الدولي للنشاط الاقتصادي، صناعات كثيرة ومتنوعة كالكيمياويات الصناعية الاساسية، وصناعة الاسمدة والمبيدات والمواد البلاستيكية والالياف الصناعية والاصباغ والدهان والعقاقير وصناعة الصابون والعطور وادوات الزينة ومصافي النفط والمنتجات المتنوعة من النفط والفحم والمطاط وصناعات اخرى لا حصر لها. وفي الموصل يضم هذا الباب الصناعي صناعات كثيرة منها البلاستيك والحصران البلاستيكية واكياس النايلون ومواد التجميل والاصباغ والمواد العازلة وانايج الاسفلت وغيرها.

وتخلو محافظة نينوى بعامه من الصناعات الكيمياوية الاساسية والاسمدة الكيمياوية والصناعات المطاطية ومنتجات الفحم، على الرغم من وجود الصناعة الاستخراجية للكبريت وتوفر النفط الخام، مما يهيئ للصناعة الكيمياوية مستقبلاً افاقاً كبيرة للتطور. وهذا ما يلاحظ من ازدياد الاستثمارات في الصناعات الكيمياوية في السنوات الاخيرة. فبعد ان كان مجموع الاستثمارات ١٤٣ الف دينار للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ او بمعدل سنوي مقداره ١٤,٣ الف دينار بلغ لمجموع الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ مقداراً قدره ٣٩٧,٤ الف دينار او بمعدل سنوي مقداره ٣٩٧,٤ الف دينار.

ان زيادة الاستثمارات لم تكن متساوية في الصناعات الكيمياوية، فبعد ان كان الاستثمار موجهاً نحو الصناعات البلاستيكية والنايلون اخذ بالانحاج نحو صناعات كيمياوية متعددة اخرى، فقد اتسعت قاعدة الصناعات الكيمياوية خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥ وظهرت انواع جديدة، مثل مواد التجميل واصباغ التلوين ومواد الدعاية من البلاستيك - كما توسعت صناعة المواد العازلة المستخدمة في اعمال البناء وغيرها.

ومن متابعة تحليل المعلومات يظهر لنا ان صناعة المواد البترولية، ممثلة بصناعة المواد العازلة والاسفلت التي تدخل في الاعمال الانشائية

والبنائية، حظيت بالنصيب الاوفر من الاستثمارات بلغت مجموعها ١٩٥٣ الف دينار او بنسبة ٥٤,١٪ من مجموع الاستثمارات في باب الصناعات الكيمياوية ووفرت ٣١٪ من فرص العمل واشغلت ٢٧٪ من عدد المؤسسات. والملاحظ في هذا الصددان أهمية الصناعات البترولية المذكورة قد تصاعدت خلال الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ مرافقة بذلك الزيادة الكبيرة في اعمال البناء^(١٥).

اما صناعة البلاستيك والنايلون، وهي تعتمد على المواد نصف المصنعة المستوردة، فقد جاءت بالمرتبة الثانية من حيث الاستثمار وبنسبة ٣٥,٥٪ في حين اشغلت المرتبة الاولى في توفير فرص العمل وفي عدد المؤسسات، ويشير ذلك الى صغر معدل الاستثمار وكثافة العمل، النسبي، فيها. وكان من الممكن ان تستفيد هي والكثير من الصناعات الكيمياوية لو ان مشروع الصناعات البترولية الكيمياوية في محافظة البصرة قد انجز كما هو مخطط له.

وحظيت صناعة الاصباغ والمعاجين ل ١٠,٤٪ من الاستثمارات واسهمت بتوفير ١٢٪ من فرص العمل ويمثل النسبة في عدد المشاريع. ولاتساع اسواق الصناعات الكيمياوية، لكون المواد البلاستيكية تدخل بصورة متزايدة بديلاً عن كثير من السلع والمنتجات الصناعية الأخرى، وللوارد الجديدة في دعم وتشجيع استثمارات النشاط الخاص في القطاع الصناعي، فضلاً عن ان القطاع الاشتراكي قد اخذ على عاتقه انشاء الجمع البتروكيمياوي والصناعات الكيمياوية الاساسية، مما يوفر للقطاع الصناعي الخاص قاعدة لبناء وتطوير الصناعات الكيمياوية وبذلك فان مثل هذه الصناعات في الموصل، ستوفر لها مقومات بنائها وتطويرها.

وبتزايد معدل الاستثمار في الصناعات الكيمياوية على الرغم من ظروف الحرب فقد ارتفع من ٤٧,٦ الف دينار للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ الى ١٣٢,٤ الف دينار للفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠،

وحققت صناعة المواد النفطية أعلى معدلات للاستثمار بلغ لعموم الفترة قيد الدراسة ١٧٧,٥ ألف دينار ووصل الى أعلى معدل خلال الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ وهو ٢٥٩,٣ ألف دينار.

اما نصيب العامل الواحد من الاستثمار في الصناعة الكيماوية فقد بلغ ١٧,٦ ألف دينار. وكان اعلى معدل وصله في الصناعات البترولية وهو ٣٨,٨ ألف دينار للفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ :

وجاءت صناعة الاصباغ بالمرتبة الثانية من حيث حجم الاستثمار وما يصيب العامل الواحد، في حين جاءت صناعة البلاستيك والنايلون بالمرتبة الثالثة.

ويبدو أن هناك مجالاً رحباً امام رفع معدلات الاستثمار وبناء مشاريع ذات طاقات اكبر وحدث تقنية، وذلك لمجابهة الطلب المتزايد في المحافظة اوفي المحافظات المجاورة وعموم القطر من ناحية، وإلى توافر المواد الأولية للنفط والكبريت والاملاح في المحافظة، وهي تشكل القاعدة الاساسية للصناعات الكيماوية والبتروكيماوية.

٤- الصناعات المعدنية اللافلزية (الانشائية) :

وهي من ابرز الصناعات القائمة في محافظة نينوى، ولارتباط اكثر صناعاتها بالمواد الأولية - لكونها ثقيلة الوزن وكبيرة الحجم - ولاعتبارها من الصناعات الملوثة التي لايسمح بقيامها داخل المدينة فان جزءاً كبيراً من مشاريعها تنتشر خارج المدينة لكنها ترتبط بدرجة عالية بسوق مدينة الموصل والتوسع العمراني فيها، وهناك بعض من هذه الصناعات كانتاج الكاشي والموزائيك، مازالت تنتشر في المدينة او في المناطق الصناعية المحددة فيها.

ان المشاريع الرئيسة القائمة في هذا الفرع الصناعي تابعة للقطاع الاشتراكي ممثلة بمشاريع الاسمنت في بادوش وحمام الغليل وصناعات اخرى للكاشي والابنية الجاهزة والجص وغيرها. ومع ذلك بقي النشاط الصناعي الخاص يشكل قاعدة مهمة

للصناعات المعدنية اللافلزية حتى ان مجموع مشاريعها المسجلة بين ١٩٦١ - ١٩٧٠ بلغت ثلاثمائة وخمسة وثلاثون مشروعاً وهي اما صناعات تكميلية ترتبط بصناعة القطاع الاشتراكي او انها صناعات مجهزة مباشرة للمواد البناية المتنوعة، حيث يضم هذا الباب مشاريع لتصنيف الحصى وتكسير الحجر وانتاج الكاشي والموزائيك والحلان والمرمر والشتاينكر وانتاج البلوك والطابوق والانابيب الكونكرتية.

ان التطور الذي حصل في هذا القطاع يرجع بعض منه الى التغير الجاري في نمط المباني والانشاءات، فبعد ان كان سائداً استخدام الطابوق الطيني والحجر سواء في المباني ام في ارضياتها، شاع وبدرجة كبيرة استخدام الكتل الكونكرتية في بناء اسس وجدران المباني. كما اخذت تشجع بناء الارضيات او تبليطها بالكاشي والموزائيك والشتاينكر واستخدام الحلان في واجهات المباني الى غير ذلك من التغيرات الخطية في البناء الحديث. وقد ظهرت فرص جديدة وشاعت اعمال بناء لم تكن معروفة في اعمال البناء من قبل ويرجع ذلك الى استخدام اجهزة التكيف الحراري والمواد العازلة فضلاً عن بناء طوابق عدة.

وقد امكن تقسيم الصناعات في هذا الباب الى اربعة اقسام تشكل الفروع الرئيسة حسب التصنيف الدولي وهي : تنظيف وتصنيف الحصى والرمل^(١١)، وصناعة الكاشي والموزائيك، وصناعة المرمر والحلان، وصناعة المنتجات الكونكرتية من البلوك والاعمدة.

ومع كون معظم هذه الصناعات حديثة تطلبها البناء الحديث، فان هناك تغيرات كبيرة حصلت في طبيعة الاستثمار ومعدلاته، ومن ملاحظة الجدول رقم ٩ يمكن التعرف على اهم التغيرات وكما يأتي :
أ- تركز الاستثمار الصناعي للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ في صناعة الكاشي والموزائيك التي استأثرت بنسبة ٧٤,٤ ٪، كما اسهمت بنسب تقرب من ذلك في توفير فرص العمل وفي عدد مشاريعها،

جاءت بعدها صناعة المرمر والحلان التي اشغلت النسب الباقية ، ذلك لأن الصناعات الأخرى ، اما أنها لم تكن قائمة ، او لكونها صغيرة وحرفية لم تسجل في سجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل . وتجدر الإشارة هنا الى ان الاستثمارات خلال الفترة المذكورة آنفا لم تكن كبير اذ بلغت (١٦٨) الف دينار او بمعدل استثمار مقداره ٢١ الف دينار.

ب- اتجهت الاستثمارات نحو الصناعات الجديدة في هذا الباب الصناعي في الفترات بين ١٩٧٠-١٩٨٥ ، فقد حظيت صناعة تنظيف وتصنيف الحصى للفترة ١٩٨١-١٩٨٥ بـ (٦٨٤٧) الف دينار وهو يشكل ٥٠,١٪ من مجموع الاستثمارات^(١٧) واشغلت الصناعات الاسمنتية (الكونكريتية) المرتبة الثانية باستثمار بلغ (٤٣٧٤) الف دينار او بنسبة ٣٢٪ وجاءت صناعة المرمر والحلان بالمرتبة الثالثة او ١٠٪ من الاستثمارات ، اما المرتبة الرابعة والأخيرة فكانت من نصيب صناعة الكاشي والموزاييك واشغلت ٨٪ فقط من الاستثمارات بعد ان كانت تشغل المرتبة الاولى في الفترة الاولى .

وتعود الاستثمارات الواسعة في صناعة اعداد وتنظيف الحصى وتصنيفه الى كون جزء كبير من انتاجه يدخل كسلع وسيطة في العديد من الصناعات الانشائية الاخرى ، اما الصناعات الاسمنتية ، فان تغير نمط البناء هو الدافع الاكبر في قيامها وتوسعها ، وأثر ذلك على اندثار صناعة الطابوق في الموصل وعموم محافظة نينوى .

ج- ومن دراسة عموم الفترة ١٩٦١-١٩٨٥ يظهر ان الصناعات الكونكريتية نالت النصيب الاكبر من الاستثمار حيث بلغ (٩٤٦١) الف دينار او بنسبة ٤٤٪ ويرتبط ذلك بالتغيرات الجارية في نمط البناء واعتماد المباني الجديدة كلياً على الكتل الكونكريتية ، ساعد على ذلك توافر موادها الاولى ، من الاسمنت والحصى والرمل ، محلياً ، وطبيعة عمليات الانتاج البسيطة التي لا تحتاج الى المهارات العالية ، تلتها في الاهمية

صناعة تنظيف وتصنيف الحصى والرمل اذ بلغت الاستثمارات فيها ٧٢٧٠ الف دينار ونسبة ٣٣,٨٪ ، ويرتبط انتاجها بصناعات اخرى حيث يدخل كمواد اولية فيها . وجاءت صناعة الكاشي والموزاييك بالمرتبة الثالثة ونسبة ١٣٪ وصناعة المرمر والحلان في المرتبة الاخيرة ونسبة ٩,٢٪ .

وبعامة يلاحظ أن زيادة كبيرة قد طرأت في الاستثمار في مجمل هذا الباب في العشر سنوات الواقعة بين ١٩٦٠-١٩٧٠ بلغت الاستثمارات فيه ١٦٨ الف دينار او بمعدل سنوي مقداره ١٦,٨ الف دينار ، في حين بلغ للفترة الواقعة بين ١٩٨١-١٩٨٥ مامقداره ١٣٧٥٤ الف دينار او بمعدل سنوي مقداره ٢٧٥٠,٨ الف دينار وفي عموم الفترة تجاوز الاستثمار ٢١,٥ مليون دينار او بما يزيد عن ٤٠٪^(١٨) من مجمل استثمارات النشاط الصناعي الخاص في الموصل .

وعلى الرغم من التغيرات في هيكل الاستثمار في الصناعات التي يضمها هذا الباب لصالح تنظيف وتصنيف الحصى والصناعات الاسمنتية على حساب الاستثمار في صناعة الكاشي والموزاييك ، حيث دخل القطاع الاشتراكي - انئذ - منافساً قوياً ، فان هناك ضرورة لقيام صناعات اخرى كالأبنية الجاهزة لاستجابة تزايد الطلب على البناء والطابوق الخفيف (الترستون) لمواكبة متطلبات البناء في العزل الحراري وانشاء العمارات متعددة الطوابق . وعند ملاحظة معدلات الاستثمار نجد حصول تغيرات واضحة في معدل الاستثمار للمشروع الواحد وفي معدل رأس المال مقابل العامل الواحد .

أ- ان معدل الاستثمار لعموم الفترة أخذ بالتزايد ، فبعد ان كان في الفترة الاولى ١٩٦١-١٩٧٠ حوالي ٢١ الف دينار ارتفع الى ٤٧,٣ الف دينار ثم الى ١٦٦,٧ الف دينار للفترتين ١٩٧١-١٩٧٥ و ١٩٧٦-١٩٨٠ على التوالي . وبلغ في الفترة ١٩٨١-١٩٨٥ الى ٥٨,٥ الف دينار . في حين بلغ المعدل العام لمجمل الفترة ٦٤,٢ الف دينار .

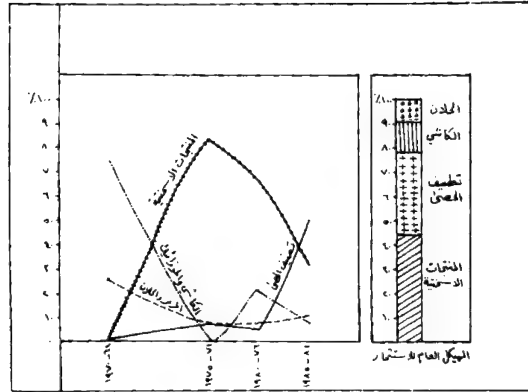
ج- ان اعلى معدل للاستثمار جرى في صناعة المنتجات الكونكريتية ، اذ بلغ معدله ١٠٣,٦ الف دينار، وهو يتجاوز معدل الاستثمار العام في هذا الباب الصناعي. وحقق اعلى معدل له خلال الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ حين وصل الى ١٢١,٣ الف دينار، وقد رافق ذلك تزايد اهمية منتجاتها في اعمال البناء عبر التحول في غط مواد البناء المستخدمة من الحجر والطابوق الى الكتل الكونكريتية (البلوك).

اما من حيث معدل مايصيب العامل الواحد من الاستثمار فقد تجاوز هذا الفرع عموم معدلات الباب الصناعي واذا كان هذا يشير الى حاجة استخدام الآلات والمكائن ومصادر للطاقة فانه يشير الى أهمية هذا الفرع واتجاه الاستثمارات نحوه لضمان أرباحه واستمرار زيادة الطلب على منتجاته.

د- ان معدلات الاستثمار في صناعة الكاشي والموزاييك كانت منخفضة عموماً للاعتقاد على المشاريع الصغيرة، وهذا ماحدا بالقطاع الاشتراكي الى بناء مشروع لانتاج الكاشي في ناحية الحمداية لتلبية الطلب الكبير على منتجاتها. وحتى يمكن للقطاع الصناعي الخاص من ان يأخذ مركزه في هذا الفرع الصناعي عليه الاتجاه لبناء مشاريع كبيرة تستفيد من وفورات الحجم، وتطوير منتجاتها لتواكب التطور في اعمال البناء ومتطلباته المتنوعة والمتزايدة.

هـ- اما فرع صناعة الحلان، وهي التي تقوم على تقطيع وصقل الصخور، فجاءت معدلات الاستثمار فيها متواضعة، اذ بلغ المعدل العام فيها ٤٥,١ الف دينار ومعدل مايصيب العامل الواحد من الاستثمار ٩,٥ الف دينار، وهي بذلك كانت دون معدلات ماتحقق في الباب الصناعي.

ان صناعة الحلان تحتاج الى الآلات والمعدات والطاقة في عملياتها الانتاجية ولكن مشاريعها



الشكل ٢- اتجاه التغيرات الهيكلية للاستثمار في صناعة المعادن اللافلزية ١٩٦٠ - ١٩٨٥

اما عن نصيب العامل من الاستثمار فهو الآخر أخذ بالارتفاع من ٦,٥ الف دينار الى ١٣ الف دينار بين الفترتين الاولى والاخيرة.

وبلغ اعلى معدل له خلال الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ حين وصل الى ١٦ الف دينار، مرافقاً بذلك النهوض الاقتصادي الذي شهده العراق اثر نجاح تأمين النفط وزيادة موارده.

ب- تزايد معدل الاستثمار في صناعة تنظيف وتصنيف الحصى، فارتفع من ١٨,٧ الف دينار للفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ الى ٢٧,٥ الف دينار ثم الى ٦١,١ الف دينار للفترتين بين ١٩٧٦ - ١٩٨٥. ومع ذلك فان المعدل العام للاستثمار كان دون المعدل العام للباب الصناعي.

ويمكن القول ان معدل مايصيب العامل الواحد من الاستثمار كان مماثلاً في تغيره لمعدل الاستثمار، اذ تزايد من ٣,٤ الف دينار الى ١٤,٣ الف دينار بين الفترتين ١٩٧١ - ١٩٧٥ و ١٩٨١ - ١٩٨٥. وقد جاء معدله العام مقارباً لمعدل الباب الصناعي حيث بلغا ١٣,٦ و ١٣,٨ الف دينار على التوالي.

ما زالت صغيرة ، وان منتجاتها تدخل في الاعمال التكميلية للبناء اي في واجهات المباني . ويمكن ان تشكل قاعدة للبناء في حالة خفض كلف منتجاتها لتصبح مقاربة لتكاليف البناء المعتمدة حالياً على مواد بناء اخرى . كما تظهر الحاجة متزايدة الى صناعة الطابوق الخفيف (الترستون) والذي تنسج سوقه المحلية وتتوافر عوامل توطنه الاخرى مما يهيئ فرصة قيام صناعته في المحافظة .

٥ - صناعة المنتجات المعدنية والآلات :

تأتي هذه الصناعة بالترتيب بعد الصناعات الاساسية للحديد والصلب ، مشكلة الباب الثامن من القسم الثالث في تصنيف النشاط الاقتصادي . ولهذا الباب اهمية كبيرة في البناء الصناعي الحديث ، فهو الاساس لأي تغيير مطلوب تحقيقه في النشاط الصناعي ومجمل النشاط الاقتصادي لكونه يضم الصناعات الهندسية التي تعد قاعدة لبناء الصناعات الثقيلة والانتاجية للآلات والمكائن والاجهزة الكهربائية ، كما يضم صناعة المنتجات المعدنية ، وتتطلب صناعات هذا الباب ، والهندسية بخاصة ، مهارات عالية وفنوناً انتاجية متقدمة وكثافة رأسمالية ، مما يجعل النشاط الصناعي الخاص لايجرؤ ، في البداية ، من استثمار امواله بمثل هذا النشاط ، ويفضل عليه المشاريع التي لا تتطلب رأسمال كبيراً او وقتاً طويلاً لاعادة تدويره ، مما يشكل مخاطرة نسبية ، وهذا ماجعل معظم المشاريع في هذا الباب هي مشاريع للقطاع الاشتراكي في القطر . وفي الموصّل حيث تشكل الصناعات النسيجية والغذائية قاعدة البناء الصناعي ، فان الصناعات المعدنية ، والهندسية بخاصة ، تأتي في مرحلة تالية من التطور الصناعي ، اي بعد أن تبلغ الصناعات الأخرى شوطاً مهماً في البناء والتشايك ، مما يخلق حاجة وطلباً متزايداً الى منتجات الصناعات الهندسية ، لذا فان هذا الباب بقي متأخراً على وجه العموم ولم يأخذ دوره المطلوب حتى الآن في هيكل الصناعة التحويلية^(١٩) ، وان

مايقوم حالياً من مشاريع لانعدوكونها تنتج قطع غيار محدودة لوسائط النقل او الاجهزة المنزلية وخدمات ادامة وتصليح السيارات والمكائن الزراعية والآلات والمعدات المستوردة ، فضلاً عن بعض من الصناعات المعدنية ، كعمل الابواب والشبابيك والأسيجة وواجهات المعارض من الحديد والالنيوم وانتاج الاثاث والاواني المنزلية وغيرها .

وقد اجتذبت صناعات المعادن والآلات اليها الكثير من الأموال في السنوات الاخيرة ، لكنها عملياً اقل من الاستثمارات التي توجهت الى صناعات اخرى واقل من ان تلي متطلبات قيام صناعة مهمة في هذا الباب . ومع هذا فان اتجاهات الاستثمار تشير الى ان سوقاً متزايدة تفتح امام منتجات الصناعات المعدنية والآلات ، سواء أكانت السوق المحلية او الوطنية ، ومن بين ذلك المتطلبات التي يخلقها قيام صناعات جديدة والتطورات الاقتصادية والاجتماعية .

وقد امكن تقسيم مشاريع هذا الباب الصناعي الى اربعة فروع رئيسة (فصول) طبقاً لتوافر المشاريع وانسجاماً مع التصنيف الدولي للنشاط الاقتصادي وهي :

١ - المنتجات المعدنية ، وتضم منتجات الحديد والالنيوم من الابواب والشبابيك وتخازنات المياه ومجاري الهواء وغيرها .

٢ - المعدات الزراعية ، وتضم مشاريع تصليح وادامة الآلات والمعدات الزراعية وانتاج قطع الغيار .

٣ - الأجهزة الكهربائية وتقوم على مشاريع انتاج لوحات التوزيع الكهربائي والسخانات وأجهزة الاضاءة الكهربائية .

٤ - وسائط النقل وتقوم بصناعة قطع الغيار وتقديم خدمات التصليح والأدامة وطبقاً لهذا التقسيم المعمول به دولياً تتضح اماناً الصورة الهيكلية للاستثمارات في هذا الباب واتجاهاتها وابرز التغيرات للفترة ١٩٦١ - ١٩٨٥ ويمكن ان نحددها بالنقاط الرئيسة الآتية :

انجاز مشروع سد صدام والمشاريع الاروائية المرتبطة به ، مما يعمل على توسيع سوق المعدات الزراعية وتخلق الحد الأدنى الضروري لقيام او توسع المشاريع المنتجة لهذه المعدات. يؤكد ذلك استمرار ونشاط المشاريع الحرفية لانتاج المعدات الزراعية ، مثل (المنجل والمعلول والعازق والقفوس والقمزعة والمكروم) وغيرها من الآلات الشائعة الاستعمال محليا .

د- وجاءت صناعة النقل ومعداته بالمرتبة الثالثة وباستثمارات بلغت ٥١٨ ألف دينار او بنسبة ١٢,٨ ٪. وتتضمن المشاريع في هذا الفرع انتاج قطع الغيار لوسائط النقل ، وتخلو المحافظة من انتاج وسائط نقل متكاملة . ويرتبط كثير من الاعمال اليدوية وباستخدام معدات حديثة في اعمال تصليح السيارات ووسائط النقل الاخرى .

ان الزيادة الكبيرة في اعداد السيارات الخاصة ومركبات النقل والتوسع في التجارة الداخلية والخارجية وحركة السكان ستعمل دون شك على جذب الاستثمارات نحو فرع صناعة النقل ، وهو ما يفتقر والاتجاهات والسياسات الجديدة التي تتبناها خطط التنمية الصناعية في تشجيع بناء الصناعات المغذية للسيارات (٢٠) .

هـ- اما الصناعات الكهربائية فقد بدأ الاستثمار فيها حديثاً ، اي خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠ ولانظر فيها صناعات مهمة ، ويبدو ذلك من ان مجموع الاستثمار بلغ ٣٦٠ الف دينار ثمانية مشاريع ، ولذا جاء هذا الفرع بالمرتبة الاخيرة بين الصناعات التي يتكون منها باب صناعة المعادن والآلات .

ان الصناعات الكهربائية والالكترونية أخذت تشغل أهمية متزايدة في الصناعة في عموم العالم واثقلته الاقتصادية ، ففي الدول الصناعية المتقدمة ارتفعت أهمية الصناعات الكهربائية في الناتج الصناعي من ١٨,٩ ٪ عام ١٩٦٣ الى ٢٤,٦ ٪ عام ١٩٧٩ في باب الصناعات المعدنية والآلات ،

أ- تزايد الاستثمار في هذا الباب تزايداً مستمراً ، فبعد أن بلغت الاستثمارات خلال الفترة ١٩٦١- ١٩٧٠ مبلغاً قدره (٥٧٣) الف دينار اي بمعدل سنوي مقداره ٥٧,٣ الف دينار بلغ في الفترة ١٩٨١-١٩٨٥ مامقداره ١٣٦٥ ألف دينار اي بمعدل سنوي مقداره ٢٧٣ الف دينار. ومع ما يلاحظ من زيادة كبيرة في معدل الاستثمار إلا انها كانت دون ما حصل في عموم الصناعة التحويلية حيث ارتفع من ٥٨٩,٣ الف دينار الى ٤٤٤٣,٦ الف دينار خلال الفترتين اعلاه .

ب- وملاحظة هيكل صناعة المواد المعدنية والآلات نجد أن صناعة المواد المعدنية اشغلت الاهمية الاولى في الاستثمار وفي عدد المشاريع والايدي العاملة ، ومع استمرار احتلال المرتبة الاولى ، فان نسبة الاستثمار تراجعت من ٨١,٥ ٪ الى ٦٤,٢ ٪. مما يشير الى زيادة الاهمية في الفروع الاخرى .

ج- اشغلت صناعة المعدات الزراعية المرتبة الثانية في استثمارات هذا الباب الصناعي وبنسبة ١٢,٩ ٪ اي ٥١٩ الف دينار. وما يلاحظ ان اعلى نسبة للاستثمارات تحققت خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠ حيث بلغت ١٨,٥ ٪. مرافقة بذلك خطة التنمية القومية الثانية التي سميت في حينها بالخطة الانفجارية. أما أوطأ نسبة للاستثمارات فقد سجلت خلال الفترة ١٩٧١- ١٩٧٥ بلغت ٢,٣ ٪. وباستثمار مقداره (٢٥) الف دينار.

كما اشغل هذا الفرع المرتبة الثانية في توفير فرص العمل وفي عدد المشاريع . ومع ذلك يمكن القول ان افاقاً واسعة تنتظر هذا الفرع الصناعي ، ذلك لأن عدد مشاريعه البالغة ١٣ مشروعاً واستثماراته التي تجاوزت قليلاً النصف مليون دينار ، لاتوازي حقيقة الطلب على الآلات والمعدات الزراعية في المحافظة والمخالفات المجاورة التي تعد اكبر مستودع زراعي في القطر. كما تزايد أهمية الزراعة هنا بعد

وبلغت ١٦,١٪ في اقليم الدول النامية لنفس الباب عام ١٩٧٩.^(٢١)

ان تخلف الصناعات الكهربائية في القطر وفي الموصل يشير الى أن مرحلة التطور الصناعي مازالت دون المستوى الذي يخلق الطلب الضروري لبناء مشاريع مهمة في هذا الفرع الصناعي، والذي يتأتى من تطور الصناعة وتشابك مشاريعها، مما يجعل الصناعات الكهربائية لا بد منها في عملية البناء الصناعي وتكامله.

وتعكس اتجاهات الاستثمار في حجم المشاريع وطبيعة الانتاج، وبعمامة فان الاستثمار في هذا الباب ولعموم فترة البحث بلغ اربعة ملايين دينار، مستثمرة في اكثر من ٥٠٠ مشروع مما جعل معدلات الاستثمار متواضعة، فهي لعموم الفترة بلغت ٢٩,٢ الف دينار للمشروع الواحد، وتحقق اعلى معدل استثمار في فرع صناعة النقل مقداره (٥١,٨) الف دينار واقل معدل في المنتجات المعدنية او (٣٦,٦) الف دينار.

وتشير المعدلات الى صغر المؤسسات وأنها غالباً ماتتخصص بانتاج قطع الغيار او معالجته وبيعها. اصلاح وادامة المعدات والآلات المستوردة. مما يجعل المجال مفتوحاً امام قيام صناعات اخرى تستفيد من وفورات الحجم ومن تزايد الطلب المحلي وتسهم في تكامل الصناعة وتقديمها.

ان تغيرات هيكلية واضحة حصلت في معدل الاستثمار، فقد تراجع فرع الصناعات المعدنية، فبعد ان حظي بمعدل استثمار مرتفع بلغ ٥١,٩ الف دينار خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠، هبط الى ٤٣ الف دينار في الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ ثم انخفض الى ٢٣ الف دينار في الفترة التالية ١٩٨١ - ١٩٨٥ ونتيجة لذلك انخفض معدل نصيب العامل الواحد من الاستثمار من ١١,٧ الف دينار الى ٩,٦ الف دينار ثم الى ٥,٥ الف دينار خلال الفترات المذكورة اعلاه وعلى التوالي. وعلى العكس من ذلك ارتفع معدل الاستثمار في فرع صناعة المعدات الزراعية اذ بلغ ٦٨,٣ الف دينار

خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥ وهو اعلى معدل بين الفروع التي يتشكل منها باب الصناعات المعدنية والآلات.

كما حصل هبوط في معدل الاستثمار لفرعي الصناعات الكهربائية وصناعة معدات النقل، لكنها استمرتا بمثلان معدلات عالية تتجاوز المعدل العام للاستثمار في هذا الباب، اما في مقارنة معدل الاستثمار مقابل العامل الواحد، فلا نلاحظ فروقاً كبيرة، اذ تراوح المعدل بين ٧,٤ و ٨,٧ الف دينار مما يشير الى عدم وجود تفاوت كبير في مستويات التقنية المستخدمة.

الابواب الصناعية الاخرى:

استعرضنا فيما سبق الابواب الرئيسة للصناعة التي تشغل نسباً عالية في هيكل الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل وتتضمن الابواب الباقية الأخرى، صناعة الورق والطباعة، وصناعة الخشب والاثاث وصناعة المعادن الاساسية وصناعة الآلات الموسيقية والمعدات الرياضية. ويلاحظ ان الفرعين الاخيرين لا تتوفر فيها اية مشاريع مسجلة، كما لا يوجد منها مشاريع للقطاع الاشتراكي (العام) اما البابين الآخرين، وهما صناعة الورق والطباعة وصناعة الخشب والاثاث فلا يشغلان نسباً مهمة في البناء الهيكلي اي يشغلان ٤,٥٪ في حجم الاستثمار و ٨,١٪ من العمالة و ٩,٧٪ من عدد المشاريع.^(٢٢)

ويتضمن باب صناعة الورق والطباعة انتاج وتشكيل الدفاتر والمطبوعات التجارية وانتاج ورق الكاربون والورق الشمعي (الاستنسل) واكياس التغليف وتشكيل علب الكرتون. كما يضم ايضاً عدداً من المطابع التي تلبي المتطلبات المحلية لمدينة الموصل وعموم المحافظة.

ويقسم هذا الباب الصناعي الى فرعين رئيسيين، الاول صناعة المنتجات الورقية والثاني الطباعة والنشر، وتفتقر الموصل الى صناعة للورق او عجينة على الرغم من قربها من مناطق الغابات في

شمال القطر التي تشكل قاعدة للمواد الأولية لهذه الصناعة.

وبما ورد من معلومات يظهر ان الاستثمار لم يكن كبيراً في هذا الباب اذ بلغ في عموم الفترة ١٩٦١-١٩٨٥ حوالي ١٦٩٥ ألف دينار وهو هذا لم يشغل سوى ٣,٤٪ في مجمل الاستثمار في الصناعة التحويلية للنشاط الصناعي الخاص في الموصل، كما انه لم يوفر سوى ١,٧٪ من فرص العمل.

ومن مقارنة الفرعين الذين يشكلان هذا الباب، يلاحظ ان صناعة المنتجات الورقية هيمنت على ٦٩٪ من الاستثمارات و ٦٦,٧٪ من فرص العمل و ٧٥٪ من عدد المشاريع، وحظيت صناعة الطباعة والنشر بالنصيب الاقل اي بحوالي $\frac{1}{3}$ الاستثمار وفرص العمل و $\frac{1}{4}$ عدد المشاريع.

وبما مريلاحظ ان الطلب يتزايد على المنتجات الورقية، ويتوافق ذلك مع زيادة النشاط التجاري واتساع النشاط الثقافي، ويعد قيام جامعة الموصل وعدد من المعاهد العلمية في محافظة نينوى ذا اثر فاعل في زيادة الطلب. وعلى الرغم من المنافسة الشديدة التي تواجهها مشاريع القطاع الخاص في الموصل من مشاريع الدولة الكبيرة، كما هو الحال في مطبعة جامعة الموصل او المشاريع الاخرى المتركزة في بغداد والتي تقوم بمهمة توفير الدفاتر والكتب بأقل ما يمكن من الأسعار لتلبية متطلبات التعليم، على الرغم من ذلك فان نشاط القطاع الصناعي الخاص يجد مجالاً لتطوير مشاريعه، ومن بين ذلك قيامه بانتاج ورق الكاربون والورق الشمعي. كما برز ذلك واضحاً في الفترة التي قامت بها جامعة الموصل، حيث استثمر في الفترة ١٩٦١-١٩٧٠ مانسبته ٩٨,٢٪ مما استثمر في الطباعة خلال فترة الدراسة.

ويعد معدل الاستثمار مرتفعاً في هذا الباب الصناعي، اذ بلغ لعموم الفترة ١٩٦١-١٩٨٥

حوالي ١٠٥ آلاف دينار. وتفاوت المعدل بين الفرعين اللذين يكونان هذا الباب، فقد بلغ في الطباعة ١٧٢,٣ ألف دينار بين ١٩٦١-١٩٧٠ وفي المنتجات الورقية ٨٣ ألف دينار. ويلاحظ ان المعدل ارتفع في صناعة المنتجات الورقية، في حين هبط في الطباعة، ومع ذلك فان الطباعة نالت اعلى معدلات الاستثمار وذلك لاعتماد مشاريعها على الماكائن والآلات والاجهزة الحديثة.

ان التوسع الصناعي والتغير الاجتماعي وتطور الثقافة سيعملان دون شك، على رفع الطلب على منتجات هذا الباب ويفتحان امامه افاقاً واسعة لاجتذاب المزيد من الاستثمارات.

والباب الآخر كان لصناعة الخشب والاثاث، ويشغل هذا الباب في التصنيف الدولي للنشاط الاقتصادي المرتبة الثالثة، ويتوافر من صناعته انتاج الاثاث الخشبية، من الابواب والشبابيك الى الاثاث المنزلي، ولا تظهر صناعات لانتاج الخشب المضغوط، وكان القطاع المختلط قد أنشأ مشروعاً لانتاج الخشب المضغوط، ونجح في البداية في توفير منتجاته لمتطلبات الصناعة الوطنية، ولكن هذا المشروع لم يستمر على نجاحه لظروف تخص المشروع الذاتية من جانب وتخص طبيعة التغيرات في الطلب ومنافسة المنتجات الاجنبية المائلة. واذا كان هذا المشروع قد فشل فلا يعني فشل مثل هذه الصناعة فيما لو تصافرت جهود القطاع الخاص مدعومة من الجهات المختصة.

وبعامة فان مشاريع الخشب والاثاث في الموصل من المشاريع الصغيرة كما يتضح من معدل حجم الاستثمار او من مجموع الاستثمارات فخلال مجمل الفترة ١٩٦١-١٩٨٥ بلغ مجموع الاموال المستثمرة في هذه الصناعة ٧٢٨ ألف دينار، وبلغ معدل الاستثمار للمشروع الواحد ٩,٧ ألف دينار، وان ما يصيب العامل الواحد كمعدل كان ٢,١ ألف دينار ومن هنا نجد أنه تتوافر امام النشاط الصناعي الخاص فرص بناء مشاريع اكبر تتوافر

مقوماتها، إذ يؤكد ذلك التوسع الكبير في البناء والانشاء الذي يسود المحافظة والمحافظات المجاورة وإلى عدم قدرة المشاريع المحلية من تلبية الطلب، فظهرت في اسواق المدينة منتجات خشبية واثاث، سواء ماوفرته الاسواق المركزية، ام ما توفر من استيراد النشاط الخاص للابواب والشبابيك ومنتجات الاثاث الخشبية الأخرى.

ثانياً: هيكل الاستثمار في الصناعة التحويلية :

تشير اتجاهات الاستثمار في النشاط الصناعي الخاص الى الطلب الذي تشكله الحاجات اليومية للمجتمع والذي يخلق الحد الأدنى الضروري لبناء المشاريع الصناعية، كما ان اتجاهات الاستثمار الصناعي تحدد مرحلة التطور الاقتصادي، ذلك لأن البناء الصناعي يخلق الترابط والتشابك الذي يؤدي الى ضرورة خلق او قيام صناعات تكميلية لصناعات قائمة، او يعمل على بناء صناعات متقدمة وبحجم انتاج كبير لتلبية حاجات السوق الوطنية والتوجه نحو التصدير.

ومدينة الموصل المعروفة بنشاطها الصناعي الذي اشتهرت به منذ زمن بعيد نتجه الاستثمارات فيها حالياً نحو المشاريع التي تتوافر لها المستلزمات المحلية بدرجة كبيرة، وما تشكله السوق المحلية من طلب على منتجاتها، يدعم ذلك نجاح كثير من المشاريع التي اكتسبت شهرة ومركزاً في السوق الوطنية، سواء كانت من مشاريع القطاع الاشتراكي (العام) ام من مشاريع القطاع الصناعي الخاص.

ان التغير في اتجاهات الاستثمار يؤدي الى حصول تغييرات هيكلية، وأن اتجاه الاستثمار نحو المكنات والآلات تعمل على تغيير معدل الاستثمار في المشروع الواحد ونصيب ما يصبب العامل منه وهو ما ستعرف عليه.

١- هيكل الاستثمار وتغيراته :

اتجهت استثمارات النشاط الصناعي الخاص في الموصل نحو صناعة النسيج والجلود، وذلك للاستمرار التاريخي لهذا النشاط ولتوافر مستلزماته من مواد اولية محلية، او طلب محلي كبير، مما خلق الاساس لتطور الصناعة اللاحق. وبعد قيام صناعة النسيج، كما هو معروف، بداية لاي تطور صناعي، لسهولة العمليات الانتاجية فيها ولسوقها الواسعة، ولأن مشاريعها لا تتطلب رؤوس اموال كبيرة^(٢٣). كما إن من الممكن قيام مشاريع ناجحة بأحجام غير كبيرة. ومع ذلك يمكن القول ان الاستمرار التاريخي لصناعة النسيج بعد العامل الأكثر أهمية في اجتذاب رؤوس الاموال. وقد قامت المشاريع الآلية للنسيج منذ وقت مبكر. ومن ذلك مصنع للمنسوجات الحريرية، وآخر لحياكة الاصواف منذ عام ١٩٣٦. وتبدو أهمية هذه الصناعة من كونها اشغلت ٤٢٪ من مجموع العاملين في الصناعة عام ١٩٤٧ وأكثر من ٣٧,٠٪ عام ١٩٥٤.^(٢٤)

وقد انعكس الاهتمام بصناعة النسيج من حجم الاستثمارات الموظفة فيه يظهر لنا ما يأتي :

أ- هيمنت صناعة النسيج والجلود على أكثر من نصف الاستثمارات الموظفة في الصناعة التحويلية للنشاط الخاص خلال الفترة ١٩٦٠-١٩٧٠ والبالغة (٣٠١٣) الف دينار او نسبة ٥١,١٪.

ب- جاءت الصناعات الغذائية بالمرتبة الثانية، وحظيت بنسبة ١٧,١٪ تلتها صناعة الورق والطباعة ونسبة ١٤,٤٪ ثم الصناعات المعدنية واشغلت ٩,٨٪. وتراوح نسب الفروع الصناعية الأخرى بين ٢,٣٪ و ٢,٩٪ وانفردت المحافظة الى الصناعات الاساسية للحديد والصلب والتي تعد احد اهم اسس بناء وتطور الصناعة التحويلية.

ج- استمر هيكل الاستثمار الصناعي على

ان التغيرات الهيكلية الكبيرة في طبيعة الاستثمار في قطاع الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل، تراكمت والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي جرت في البلاد اثر النهوض الذي شهده العراق بعد الاستثمار المباشر للنقط وكسب معركة التأمين وارتفاع اسعار النفط الخام في الأسواق الدولية وزيادة الصادرات العراقية، مما اسهم في زيادة الدخل القومي وارتفاع معدل دخل الفرد^(٢٥) وتحسن احوال السكان المعاشية، مما حفز باتجاه بناء او تحسين وحدات السكن واستثمار الاموال في العقارات وانشاء العمارات والمباني للأغراض الصناعية والتجارية والخدمية في عموم القطر، وتميزت مدينة الموصل في ذلك تميزاً واضحاً^(٢٦) يظهر في زيادة حجمها وتوسع مساحتها وتطور نط البناء، إذ ان الاتجاه نحو الاستثمار في العقار كان واضحاً في ظروف الحرب العراقية - الايرانية.

ان زيادة الطلب على منتجات الصناعات المعدنية اللافلزية، واعتماد المواد الأولية المحلية في انتاجها شجع النشاط الخاص لاستثمار امواله فيها حتى في الظروف الاستثنائية، فهي لامتحتاج الى استيراد موادها الأولية كما هو الحال في اغلب فروع الصناعة الاخرى، هذا فضلاً عن اعمال البناء والانشاء الذي ساعدت على تنشيطها للقرارات المتعلقة بتوزيع الأراضي وتحويل بناء المساكن والانشاءات الاخرى. ومن الجدول ١٥ لهيكل الاستثمار الصناعي للنشاط الخاص يظهر لنا:

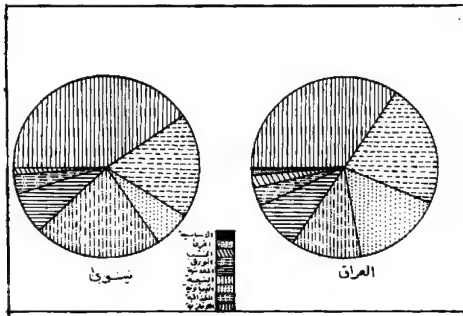
أ - ان الصناعات المعدنية اللافلزية التي تستخدم منتجاتها في اعمال البناء حظيت بالمرتبة الاولى من حيث الاستثمار الصناعي مماثلة في ذلك الاستثمار في عموم القطر في قطاع الصناعة التحويلية، ولكن نسبة الاستثمار في الموصل والبالغة ٤٠,٣٪ تجاوزت ما هي عليه في عموم القطر والبالغة ٣٢,٥٪^(٢٧).

وضعه تقريباً خلال الفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ حيث حافظت صناعة النسيج على نسبة عالية من الاستثمار بلغت ٥٢٪ من مجمل استثمار النشاط الصناعي الخاص في الصناعة التحويلية. وتلتها صناعة المواد الغذائية والمشروبات بنسبة ١٦,٩٪. وحصل تغير لصالح الصناعات الكيماوية التي ارتفع نصيبها الى ٧,٥٪. وصناعة المعادن اللافلزية (للمواد الانشائية) التي بلغت نسبتها ٥٪ بعد أن كانا قد اشغلا ٢,٤٪ و ٢,٩٪. وعلى التوالي خلال الفترة السابقة المذكورة آنفاً. وجاء ارتفاع النسبة على حساب الاهمية النسبية لصناعة الورق او صناعة الخشب.

د - حصلت تغيرات مهمة في حجم الاستثمار واتجاهاته، حيث اشغلت صناعة المواد المعدنية اللافلزية التي ترتبط باعمال البناء والانشاء، واستحوذت على ٤٢,٧٪ من الاستثمارات، تلتها صناعة المواد الغذائية التي ارفعت اهميتها النسبية ايضاً لتصل الى ٢٥,٧٪ وتراجعت صناعة النسيج الى المرتبة الثالثة بنسبة ١١,٩٪ وجاء من بعدها بالمرتبة الرابعة باب الصناعات الكيماوية، حيث اشغل نسبة ١١,٨٪ من الاستثمارات ثم تلتها ابواب صناعة المعادن والالات وصناعة الورق والطباعة. وصناعة الخشب والاثاث اي انها احتلت المراتب الخامسة والسادسة والسابعة على التوالي.

هـ - استمرت التغيرات خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥، لصالح الاستثمار في صناعة المعادن اللافلزية (التعدينية غير المعدنية) والتي بلغت ١٣,٧ مليون دينار او ٦١,٩٪ من مجموع الاستثمارات وبهذا فقد هيمنت على المرتبة الاولى، في حين تراجعت صناعة الغزل والنسيج الى المرتبة الثالثة واشغلت صناعة المواد الغذائية المرتبة الثانية، وبذلك شغلت الابواب الصناعية الثلاثة ٨٧,١٪ من مجموع الاستثمارات في قطاع الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الفترة ١٩٨١ -

هـ - حظيت الصناعات الكيماوية بالمرتبة الخامسة ونسبة ٦,٨٪ في هيكل الاستثمار، ومع انها نسبة ليست قليلة، فان بناء الصناعة الحديثة يتطلب المزيد من الاستثمارات في هذا الباب الصناعي، لكونه يعد من الصناعات الاساسية والقاعدة لاي بناء صناعي لاحق لما يخلقه من ارتباطات كبيرة امامية وخلفية وهو في الموصل لايشغل النسبة نفسها التي يشغلها في عموم القطر



الشكل (٣)

هيكل الاستثمار للنشاط الخاص في الصناعة التحويلية في العراق ونيوى

و - جاءت صناعة الورق وصناعة الخشب والاثاث بالمراتب الاخيرة وبنسب ٣,٢٪ و ١,٣٪ على التوالي. مما يشير الى الامكانيات المفتوحة امام هذه الصناعات في الموصل.^(٢٩)

هذا ولم تظهر صناعات للمعادن الاساسية للحديد والصلب، مما يشير الى ان الموصل وعموم محافظة نينوى لم تصلا بعد الى المرحلة التي تبني بها مثل هذه المشاريع التي تتطلب رؤوس اموال كبيرة وسوقاً واسعة تعتمد قاعدة من الصناعات المغذية او توافر المواد الأولية المحلية. كما لم تظهر استثمارات في صناعة آلات القياس والمعدات الرياضية والآلات الموسيقية، التي يترافق قيامها مع ارتفاع المستوى المعاشي والتطور الاجتماعي لخلق حد ادنى من الطلب المحلي عليها.

ان التغيرات الهيكلية جاءت لمصلحة ابواب

ب - جاءت صناعة النسيج والجلود بالمرتبة الثانية ونسبة بلغت ٢٢,٣٪ على الرغم من تراجع اهميتها النسبية في الفترة الاخيرة الواقعة بين ١٩٨١ - ١٩٨٥ والتي وصلت الى ١١٪ من مجموع الاستثمارات الصناعية في الموصل.

وتظهر خصوصية الموصل في هذا الباب من أن الاستثمارات فيه تساوي في اهميتها النسبية ضعف الاهمية النسبية التي يشغلها هذا الباب الصناعي في هيكل الاستثمار الصناعي في القطر والبالغة ١١,٦٪ للفترة ١٩٥٧ - ١٩٨٥.

ج - حظيت صناعة المواد الغذائية بالمرتبة الثالثة ونسبة ١٨,٦٪ في حين انها اشغلت في عموم القطر المرتبة الثانية من حيث الاستثمار الصناعي للنشاط الخاص في القطر. ومع مايلاحظ من اهمية كبيرة للصناعات الغذائية في الموصل، فانها حظيت بنصيب مهم في استثمارات القطاع الاشتراكي الذي يضم مشروع سكر الموصل، وهو اكبر مشروع من نوعه في العراق، كما يضم واحداً من اكبر مشاريع الطحين.

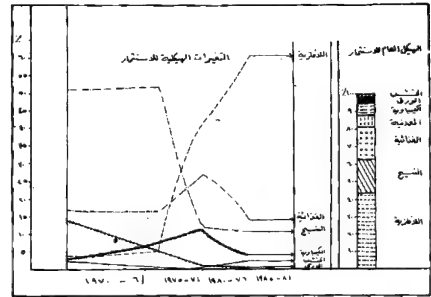
د - شغلت الصناعات المعدنية نسبة ٧,٥٪ في استثمارات النشاط الصناعي الخاص، وهي نسبة صغيرة لما ينبغي ان تشغله هذه الصناعة لما لها من اهمية في امداد الصناعات الاخرى بالاجهزة والعدد والآلات، ولدورها في البناء الصناعي والاقتصادي. وهذا مايجعلها تشغل المرتبة الاولى في الاقطار المتقدمة صناعياً ونسبة تتجاوز ٣٨٪ فيما تحققة من قيمة مضافة او ماتوفره من فرص العمل^(٣٨). ومع هذا فانها في الموصل تقترب من الاهمية النسبية التي تشغلها هذه الصناعة في هيكل الصناعة التحويلية للنشاط الصناعي الخاص في القطر والبالغة ٨,٢٪. وهي في الموصل لاتقوم على قاعدة من الصناعات الكبيرة، بل على مشاريع لاعداد قطع الغيار مثل انتاج المنقيات (الفلاتر) وتصليح المعدات مثل الخراطة.

والاستثمار الصناعي بخاصة في الموصل ، التي تأثرت وتفاعلت بالخطط الجارية للتنمية القومية . وفي هذه الظروف تطور وتغير معدل الاستثمار زمنياً وهيكليةً . ويظهر من البيانات المتوفرة ان معدل الاستثمار للمشروع الواحد تزايد من ٧١ ألف دينار للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ الى ٨٨ ألف دينار للفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ ثم ارتفع الى ١٠٣ ألف دينار للفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ . وقد تراجع هذا المعدل خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥ فوصل الى ٣٧,٥ ألف دينار (لاحظ الشكل ٥) . ان انخفاض معدل الاستثمار لا يرجع فقط الى ظروف الحرب مع ايران وتسيب النشاط الخاص وعدم مخاطرته في استثمار امواله مالم تتوافر مقومات الربح وضمانه ، ولكن ايضاً الى قرار السماح بتسجيل المشاريع الصغيرة التي لا تمتلك اجازات للتأسيس^(٢٠) مما أثر في طبيعة البيانات المعتمدة .

ومن ملاحظة عدد المشاريع الصناعية يظهر انها ازدادت بصورة مستمرة من ٨٣ مشروعاً للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ الى ٩٧ مشروعاً خلال فترة الخمس سنوات التالية ثم الى ١٦٣ للفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ والى ٥٩٢ للفترة الواقعة بين ١٩٨١ - ١٩٨٥ . ان الزيادة الكبيرة للفترة الاخيرة يرجع الى السبب نفسه الذي أشرنا اليه وهو قرار السماح بتسجيل المشاريع التي لم تكن تملك اجازات للتأسيس . وما يؤكد ذلك ان عدد المشاريع أصبح أكبر مما حددته خطة التنمية الصناعية للنشاط الخاص والبالغة ٣٢٤ مشروعاً للفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥^(٢١) .

وعلى الرغم مما لوحظ من انخفاض معدل الاستثمار للفترة الاخيرة فانها استأثرت بأكثر من ٦٣٪ في عدد المشاريع المسجلة وبـ ٤١,٦٪ من مجموع الاستثمار . وقد حصلت تغيرات هيكلية بارزة في معدل الاستثمار . وحتى نعطي صورة لهذه التغيرات نشير الى ان هيكل الاستثمارات الاجمالية

كل من الصناعات المعدنية اللافلزية والصناعات الكيماوية ، على حساب صناعة النسيج وصناعة الورق (لاحظ الشكل ٤) في حين تذبذبت اهمية ابواب الصناعات الاخرى واذا كانت الموصل معروفة بتخصصها في صناعة النسيج ، وهو ما دلت اليه عوامل الاستمرار التاريخي والتوطن الصناعي الاخرى ، فان بإمكان تطور هذه الصناعة بدرجة اكبر في حالة اعتمادها على المواد الاولية المحلية ، ووجدت في الصناعات الوطنية في القطر مجالاً لترباطها واعتمادها المتبادل على المواد الاولية او في تسويق منتجاتها . كما يتطلب بناء وتنشيط الصناعات المغذية سواء ما كان منها يعتمد على المواد الزراعية او الالياف الصناعية ، لان استمرار الاعتماد على المستلزمات المستوردة لا يضمن مستقبل الصناعة ، ويرفع مع الزمن من كلف انتاجها .



الشكل (٤)

الاتجاهات الهيكلية في الصناعة التحويلية في محافظة نينوى

٢- تغير معدل الاستثمار في الصناعة التحويلية للنشاط الخاص :

تتغير معدلات الاستثمار طبقاً لاتجاهات التطور الاقتصادي والاجتماعي وما تؤدي اليه من تغيير في حاجات الانسان ومتطلباته من جانب وطبقاً للسياسة الاقتصادية المتبعة . ولذا فان التغيرات الجارية في القطر تنعكس على واقع الاستثمار

تشكل بالترتيب الآتي :

- ١- الورق والطباعة ٢- الكيماوية وتكرير النفط
- ٣- الغذائية والمشروبات ٤- المعدنية اللافلزية.
- ٥- النسيج والجلود ٦- المعادن والآلات
- ٧- الخشب والاثاث.

ان هذا الترتيب اخذ صوراً مختلفة طبقاً لآبواب الصناعة اظهر التغيرات الاتية :

أ- صناعة المواد الغذائية : سجلت هذه الصناعة خلال الفترة ١٩٧١-١٩٧٥ أعلى معدل للاستثمار بلغ ١٨٠ ألف دينار، وهو أعلى معدل للاستثمار في عموم الصناعة في الموصل، ولجمل الفترة موضوعة الدراسة في مشاريع النشاط الخاص، وجاء ذلك الى ماتحقق من استثمارات عالية في مشاريع الطحين، فقد بلغ الاستثمار في مشروعين فقط ٢٤٢٥ ألف دينار او بمعدل ١٢١٣ ألف دينار للمشروع الواحد، لكن المعدل العالي للاستثمار لم يستمر خلال فترة الدراسة، ولذا جاء هذا الباب بالمرتبة الثالثة من حيث معدل الاستثمار ومتجاوزاً المعدل العام لنشاط الصناعة التحويلية بنسبة بسيطة كما يلاحظ من الجدول.

ب- صناعة النسيج والجلود : نشط الاستثمار في هذا الباب الصناعي خلال الفترة ١٩٦١-١٩٧٠ حيث سجلت أعلى معدل للاستثمار بلغ ١٣١ ألف دينار ثم أخذ المعدل بالهبوط النسبي فصار ٨٩ ألف دينار ثم ٦٠ ألف دينار حتى وصل الى ١٨ ألف دينار خلال الفترات الخمسية للدراسة وعلى التوالي وقد بلغ معدل الاستثمار الكلي في هذا الباب الصناعي ٤٩,٤ ألف دينار اي اقل من المعدل العام للاستثمار في الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل والبالغ ٥٧,٢ ألف دينار.

ج- صناعة الخشب والاثاث : تميزت الاستثمارات في هذا الباب الصناعي بصغرهما عموماً، اذ تراوح معدل الاستثمار بين ٨,٩ الف

دينار للفترة ١٩٨١-١٩٨٥ و ١٣,٢ الف دينار للفترة ١٩٧٦-١٩٨٠. وقد بلغ معدل الاستثمار لجمل الفترة المدروسة ٩,٧ الف دينار لذا يمكن القول ان اغلب مشاريع هذه الصناعة صغيرة وتعتمد الخبرة والمهارة اليدوية.

وتجدر الاشارة هنا الى ان القطاع المختلط انشأ صناعة للخشب المضغوط وصناعة الاثاث، لكنها برغم النجاح الالهي، واجهت منافسة شديدة من المنتجات الماثلة والبدايل التي دخلت السوق العراقية وبخاصة الاثاث من الالتيوم مما ادى الى توقفها وحرمت المحافظة وعموم القطر من انتاج صناعة الخشب المضغوط ولا بد للنشاط الخاص ان يعي ضرورة وجودها وبهيء عوامل نجاحها.

د- صناعة الورق والطباعة : سجل هذا الباب الصناعي معدلات عالية للاستثمار تجاوزت في معدلها العام البالغ ١٠٥,٩ الف دينار، معدل مجموع الصناعة التحويلية. وبذلك شغل المرتبة الاولى في معدل الاستثمار. وكان أعلى معدل سجله في الفترة ١٩٧١-١٩٧٥ بلغ ١٤٤ الف دينار.

وتميزت صناعة الورق والطباعة بقلّة عدد مشاريعها اذ بلغ مجموعها ١٦ مشروعاً ونسبة ١,٧٪ من جمل المشاريع الصناعية لعموم للنشاط الخاص في الموصل.

هـ- الصناعات الكيماوية : بلغ معدل الاستثمار في هذا الباب الصناعي ٩٠,٣ الف دينار متجاوزاً المعدل العام للاستثمارات الصناعية، وبذلك شغلت المرتبة الثانية. وقد تحقق أعلى معدل للاستثمار البالغ ١٣٢,٤ الف دينار خلال الفترة ١٩٧٦-١٩٨٠ وتمثل اساساً بصناعة الاسفلت. ورافق ذلك التوسع في مشاريع البناء وتعبيد الطرق في المحافظة وعموم محافظات القطر.

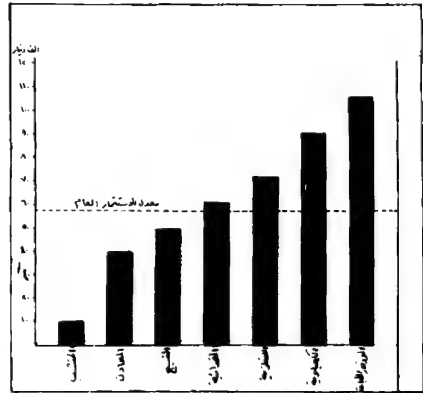
و- الصناعات المعدنية اللافلزية : شغل هذا الباب المرتبة الرابعة من حيث معدل الاستثمار او

امكانية تسجيلها في كانون الاول ١٩٨٣ المشار اليه سابقاً.

ز- الصناعات المعدنية والآلات : على الرغم من أهمية هذا الباب في البناء الصناعي وتطوره ، فإنه تخلف في معدل الاستثمار ، إذ بلغ هذا المعدل ٣٩,١ الف دينار وهو أقل من المعدل العام. وبلغ عدد المشاريع فيه ١٠٣ مشروعاً ونسبة ١١٪ من مجموع المشاريع الصناعية (العاملة) ، وبذلك فإن هذا الباب الصناعي يفتح أبوابه أمام قيام أو التوسع في مشاريع جديدة لأهميته في التقدم الصناعي فهو مصدر بناء الآلات والمصانع وقطع الغيار والسلع الانتاجية ، فضلاً عن المنتجات المعدنية.

ومما مرم يمكن القول ان تغيرات هيكلية كبيرة حصلت في معدل الاستثمار خلال فترة الدراسة ، ارتبطت عموماً بواقع الطلب على المنتجات الصناعية واتجاهاته ، وبقدرة الصناعة على تحقيق الارباح ضمن الاستثمارات المتاحة ، ويمكن توجيه الاستثمار نحو الصناعات التي تسهم في استغلال الموارد المحلية وتكامل دورة انتاجها في المحافظة او مع صناعة المحافظات القريبة او مع غنوم القطر ، او توجيه الاستثمار نحو الصناعات التي لها القدرة على دفع النشاط الصناعي عامة ومجمل النشاط الاقتصادي بما تحلقه من ترابط وتشارك يحفز على قيام سلسلة متصلة من المشاريع المتكاملة افقياً او رأسياً وبما يسهم في سرعة نمو الصناعة وتطورها في الموصل وعموم المحافظة.

ثالثاً- هيكل العمل ونصيب العامل من الاستثمار : نعني بهيكل العمل هنا الاهمية النسبية لما تشغله الايدي العاملة في ابواب الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل. وان تغير هذه النسب تعني التغير في هيكل العمالة اما نصيب العامل من الاستثمار ، وكما سبقت الاشارة ، فعني به مقدار



الشكل (٥)

استثمار النشاط الخاص في الصناعة التحويلية ١٩٦٠-١٩٨٥

حوالي ٧٣ الف دينار ، وبذلك تجاوز المعدل العام ١,٣١ مرة وسجل أعلى معدل استثمار فيها خلال الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ بلغ ١٦٦,٧ الف دينار ، ويمكن القول ان ذلك رافق الشروع في تحقيق خطة التنمية القومية الانفجارية ، وارتفاع معدل دخل الفرد وما حصل في البلاد من خطوات كبيرة في تطوير النشاط الاقتصادي ، وبذلك توافر الطلب المتزايد على منتجات هذا الباب الصناعي ساعد على ذلك اعتماد المشاريع الصناعية على المواد الأولية المحلية ، واستجابة لتطوير الهيكل الاساسي للاقتصاد المحلي والوطني.

ومن الملاحظات المهمة في هذا الباب الصناعي ، الزيادة السريعة في عدد المشاريع اذا ارتفع عددها من ثمانية مشاريع الى ٢٣٥ مشروعاً بين الفترتين الاولى والاخيرة او بحوالي ٣٦ مرة ، وهي اكبر زيادة حصلت في عموم ابواب الصناعة الاخرى وتجاوزت بذلك المعدل العام واشغل الاهمية الاولى ونسبة ٣١,٦٪ في عدد المشاريع. واذا كان هذا يشير الى اتجاه رؤوس الاموال للاستثمار في المشاريع المضمونة ذات المواد الخام المحلية ، فإنه يشير ايضاً الى النسبة العالية من المشاريع التي لم تكن مسجلة وشملها قرار مجلس قيادة الثورة في

مايستثمر من اموال مقابل العامل الواحد ، وهو معيار يؤكد اهمية استخدام المكننة والتقنيات الحديثة للتعويض عن العمل اليدوي. وان زيادة الاستثمار في الماكائن والآلات يقابله زيادة في نصيب العامل الواحد مقابل الاستثمار وهو ما يعمل على خفض عدد العاملين.

ويتنظم هيكل العالة في النشاط الخاص للصناعة التحويلية في الموصل طبقاً لمقدار الاستثمار وعدد المشاريع ونوع التكنيك المستخدم. يظهر أن ابواب الصناعة التحويلية تأخذ الترتيب الآتي :

- ١- النسيج والجلود
- ٢- المعدنية اللافلزية
- ٣- المواد الغذائية والمشروبات
- ٤- الآلات والماكائن
- ٥- الخشب والاثاث
- ٦- الكيماوية والنفط
- ٧- الورق والطباعة .

ان هذا الترتيب الذي يمثل حصيلة الفترة قيد الدراسة ، لم يكن واحداً خلال الفترات التي تضمنها الجدول ، بل جرت تغيرات مهمة فيه ، ويمكننا تحديد أبرز تلك التغيرات ، فصناعة النسيج تخلت عن مكانتها ، فبعد ان كانت تشغل المرتبة الاولى في العمل وبنسبة تزيد على ماتشغله الابواب الصناعية الاخرى خلال الفترة الاولى والثانية تراجعت تلك السنة من ٥٣,٣٪ الى ٢٢,٩٪ للفترة الاخيرة ١٩٨١ - ١٩٨٥ وشغلت بذلك المرتبة الثانية

ومن بين التغيرات تزايد الاهمية النسبية لفرع الصناعات المعدنية اللافلزية وشغلت المرتبة الاولى للفترة الاخيرة ١٩٨١ - ١٩٨٥ وبنسبة بلغت ٤٥,٢٪ في وقت كانت تشغل نسبة ٢,٩٪ في الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠.

كما تزايدت الاهمية النسبية لكل من صناعة المواد الكيماوية وصناعة المنتجات المعدنية والآلات

على حساب الاهمية النسبية لكل من صناعة المواد الغذائية وصناعة الورق وصناعة النسيج. وبعد الاتجاه ايجابياً في حالة قيام صناعات متقدمة ومترابطة.

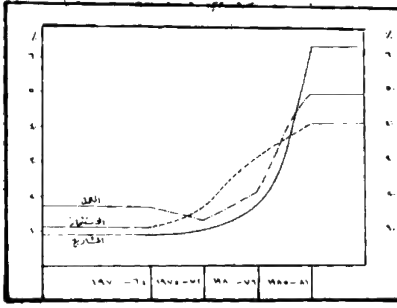
وبعامة بلغت فرص العمل التي وفرتها الصناعات التحويلية ٥٣٦٨ خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٨٥ وتعد الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥ اهم الفترات لما جرى خلالها من تسارع في اعمال البناء والانشاء ، ساعد على ذلك توافر العمل الرخيص للابدي العاملة العربية ، والمصرية بخاصة. ويبدو التفاوت واضحاً بين الفترات الزمنية وكما يأتي.

الفترة	%
١٩٦١ - ١٩٧٠	١٦,٨
١٩٧١ - ١٩٧٥	١٣,٢
١٩٧٦ - ١٩٨٠	٢١,٠
١٩٨١ - ١٩٨٥	٤٩,٠
المجموع	٪ ١٠٠

ومن هذه الفترات يظهر ان حوالي نصف فرص العمل وفرتها الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥. واذا كان اكثر من نصفها من نصيب الصناعات المعدنية اللافلزية كما انضج من البيانات ظهر لنا ان الاتجاهات الاستثمارية كانت نحو الصناعات التي يتوافر عليها الطلب في السوق المحلية وفي الصناعات الكثيفة العمل التي تعتمد الابدي العاملة غير الماهرة وشبه الماهرة ، ولم تكن نحو الصناعات الآلية او العالية المكننة.

لقد انعكس معدل الاستثمار وفرص العمل على معدل نصيب العامل من الاستثمار وبذلك تفاوت طبقاً للتغيرات الهيكلية والزمنية وكما يأتي :

١- ان اعلى معدل للاستثمار مقابل العامل



الشكل (٦) التغيرات الزمنية للصناعات التحويلية في النشاط الخاص.

رابعاً: الخلاصة:

بعد ان استعرضنا هيكل الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الفصل في معايير الاستثمار ومعدلاته وفرص العمل وعدد المشاريع اضافة الى دراسة هيكل كل باب صناعي، ووجدنا ان هناك تبايناً في بعض النتائج بين ابواب الصناعة عبر المعايير المختلفة، ولكي نعطي صورة موحدة للقياس لابد من معيار شامل للدراسة، وهذا المعيار هو حصيله المعايير المذكورة يعبر عنه بالاهمية الصناعية.

ونحصل على الاهمية الصناعية بترتيب ابواب الصناعة حسب المراتب التي شغلها في المعايير المذكورة، تم عكس ارقام الرتب وضرب مراتب كل باب في بعضها وجمع النواتج لكل الابواب ثم استخراج نسبة كل باب معبر عنها بالاهمية الصناعية طبقاً لنتائج رسم الشكل البياني ٧.

ومن ملاحظة ورصد الشكل المذكور يظهر لنا الترتيب الهيكلي للصناعة التحويلية للنشاط الخاص بمعياري الاهمية الصناعية. فالصناعات المعدنية اللافلزية حظيت بأعلى اهمية صناعية تجاوزت فيها مجموع مانتشغله ابواب الصناعة الاخرى او بنسبة ٥٤,٤٪ تلتها في ذلك الصناعات الغذائية وبنسبة ٢٣,١٪. وهذان

الواحد سجل في صناعة الورق والطباعة وبلغ ١٨,٨ الف دينار او ضعف المعدل العام لعموم الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل، مما يشير الى اعتمادها الكثافة الرأسمالية والعمل الماهر يؤكد ذلك انها سجلت اعلى معدلات الاستثمار وأعطى نسبة للعاملين.

٢- جاءت الصناعات الكيماوية بالمرتبة الثانية وبمعدل ١٧,٦ الف دينار وهو يفوق المعدل العام للاستثمار مقابل العامل الواحد.

٣- شغلت الصناعات المعدنية اللافلزية المرتبة الثالثة وبمعدل ١٣,٨ الف دينار تلتها الصناعات الغذائية وبمعدل عشرة آلاف دينار.

٤- بلغ المعدل العام للاستثمار مقابل العامل الواحد عشرة آلاف دينار وهو ما لم تبلغه الابواب الصناعية للنسيج والخشب والصناعات المعدنية حيث بلغت معدلاتها في ذلك ٧,١ و ٢,١ و ٨,٠ الف دينار وعلى التوالي.

٥- ومن الملاحظات المهمة في هذا المضمار ان الفترة ١٩٧٦-١٩٨٠ حققت اعلى المعدلات وهي الفترة التي تلت نجاح تأميم النفط وارتفاع اسعاره وزيادة انتاجه والاعلان عن خطة التنمية القومية الانفجارية.

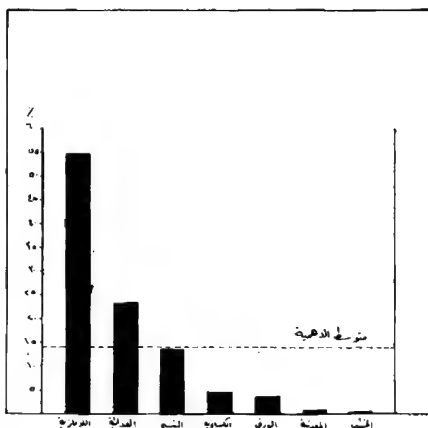
٦- اظهرت التغيرات الزمنية ان نمو عدد المشاريع جرى بمعدل أعلى من نمو معدل كل من الاستثمار والعمل (الشكل ٦)، ويشير هذا الى صغر المشاريع من حيث الاستثمار مما يجعلها تستفيد من وفورات الحجم، كما ان معدل نمو العمل يفوق معدل نمو الاستثمار بشكل اتجاه سلبياً في البناء الصناعي، وما المعالجات الاخيرة لتشجيع الاستثمارات وتوجيهها نحو القطاع الصناعي إلا واحدة من الحلول لمشكلة الانتاج نحو الصناعات الكثيفة العمل.

المعدنية والكيميائية لم تأخذ مركزها المطلوب ، وهي الصناعات الاساسية في التنمية الصناعية والاقتصادية. كما يفتقر هيكل الصناعة الى الصناعات الاساسية للحديد والصلب.

وعلى الرغم مما حصل من تطور الصناعة في الموصل فانها مازالت تركز على الصناعات ذات المنتجات الواسعة الاستهلاك ، كالصناعات الغذائية والصناعات النسيجية. كما أن أهمية الصناعات المعدنية يُؤبه بها لافتقارها الى انتاج الماكائن والالات والاجهزة الكهربائية ، والى عدم استخدام تقنيات حديثة في اغلب الصناعات القائمة.

ولاشك ان الصعوبات التي واجهت القطاع الصناعي الخاص في استيراد الآلات والماكائن في السنوات الاخيرة - لظروف الحرب - وتحديد سقف للاستثمار في السنوات التي سبقت ذلك ، تعد عوامل مهمة في حجم معدلات الاستثمار وهبوطها وهبوط معدلات الاستثمار مقابل العامل الواحد ، بل والاتجاه نحو الصناعات الكثيفة العمل بدلاً من الاستثمار في الصناعات كثيفة رأس المال والتي تتطلب استخدام الآلات والاجهزة المتطورة والمهارات الفنية العالية.

ان آفاقاً واسعة فتحت امام النشاط الصناعي الخاص ، كما ان تجربة وخبرة غنية توفرت لديه ، وان السوق الوطنية والطلب المتزايد تعد ابواباً مفتوحة امام الانتاج الوطني ، فضلاً عن عوامل التشجيع والتوسع المستمر في منح حوافز الاستثمار الصناعي ، كلها ستعمل ولاشك على الاندفاع لتطوير الصناعة في الموصل بدعم ذلك ان ستراتيكية التنمية الاقتصادية ، تعد الموصل قطباً رئيساً في شمال العراق يتطلب دعمه ليكون قاعدة للبناء الصناعي وتطويره . وستشكل الموارد الطبيعية والبشرية ، من موقع جغرافي ، وموارد مائية . وتنوع المناخ ، ومن انجاز مشروع سد صدام



الشكل (٧) هيكل الصناعة التحويلية للفترة ١٩٦١ - ١٩٨٥ .

البابان تجاوزا في أهميتها المتوسط العام للاهمية الصناعية في هيكل الصناعة التحويلية وبلغ نصيبها معاً ٧٧,٥٪. وجاءت صناعة النسيج بالمرتبة الثالثة ونسبة تقرب من متوسط الاهمية اي بحوالي ١٣,٩٪. اما ابواب الصناعات الاخرى فكان اياً منها لم يصل الى متوسط الاهمية الصناعية وجاءت بالترتيب : الكيميائية ، الورق ، المعدنية ، الخشب ، على التوالي.

لقد اظهرت الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل بمعيار الاهمية الصناعية . التخصص العالي لصناعة المعادن اللافلزية . وهي بذلك تماثل ماهو جار في القطاع الاشتراكي حيث تحضن المحافظة مشاريع للاسمنت في حمام العليل وبادوش وصناعات كوكريتيه مما يشير الى الترابط بين صناعات النشاط الصناعي الخاص المثلة بمنتجات الصناعات الكوكريتيه كـ «البلك» و «الكاشي» و «الشتابكر» ، وما اليها .

وعلى الرغم من أهمية الصناعات المعدنية اللافلزية فان انتاجها ذو طابع محلي وسوقها يتركز في مدينة الموصل والمدن المجاورة. مما يشير الى تحلف الهيكل الصناعي في الموصل ، والى ان الصناعات

الأروائي ، عوامل توطن مهمة في البناء الصناعي اللاحق.

الهوامش

انتاج القطاع الاشتراكي منافساً قوياً للنشاط الصناعي الخاص في هذا المجال.

انظر: وزارة الصناعة والمعادن - وزارة الصناعات الخفيفة، ورقة عمل القطاع الصناعي، بغداد ١٩٨٣ جدول ٢ - ١ ص ١٦/م.

(١٤) يأتي هذا الباب بالمرتبة الخامسة في الصناعة التحويلية حسب التصنيف الدولي للنشاط الاقتصادي: انظر: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، ترجمة دليل النشاط الاقتصادي المعدل لسنة ١٩٦٨ بغداد ١٩٧٤ ص ٤ «مستوحى بالرويز».

(١٥) اتسمت أعمال الإنشاء والبناء في محافظة نينوى بنسب عالية، ويظهر ذلك على نحو واضح من تزايد اجازات البناء فارتفعت من (٢٠٧٨) اجازة بناء جديد الى ٩٥٦٤ بين ١٩٧١ - ١٩٨٢ ويرقم قياسي بلغ ٤٦٠٪ مقابل ١٤٠٪ لبغداد و ٣١٨٪ لعموم القطر كما زادت كلفة البناء من ٣٠٣١ ألف دينار الى (١٢٩٧٦) ألف دينار خلال العامين المذكورين ويرقم قياسي بلغ ٤٢٧٩٪ مقابل ١٨٢٨٪ لمحافظة بغداد و ٣٢٨٠٪ لعموم العراق: المجموعة الإحصائية السنوية لسنتي ١٩٧١ و ١٩٨٢ للجدول ١٨١، ص ٢٩٥، ٢/١٢ ص ٢٤٨ على التوالي.

(١٦) - يرتبط بهذه الصناعة كثير من صناعات التحجير، وقد اضيفت الى الصناعات المعدنية اللاظرية لتدخل عملياتها. انظر الجداول المشار اليها في المجموعات الإحصائية اعلام. (١٨) تشغل صناعة المعادن والآلات في الموصل نسبة ٩,٤٪ من القوي العاملة في العراق ١٦٪ وفي الاقطار النامية ١٥,٨٪ في حين يشغل في الدول المتقدمة ٣٨٪: انظر: د. محمد اظهر سعيد السالك و د. عباس علي التميمي، اسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها. الموصل ١٩٨٧ ص ٤٣٤ و ص ٤٥٢، وللموصل جدول ١٨ من هذه الدراسة.

(٢٠) قرر مجلس قيادة الثورة بتاريخ ١/٩/ ١٩٨٨ السماح للقطاعين الخاص واقتصادى بإنشاء مشاريع وشركات لأقامة الصناعات المغذية للسيارات انظر: النشرة التجارية، تصدرها غرفة تجارة بغداد السنة السابقة عدد ٣٧ شباط ١٩٨٨ ص ١٢.

(21) U.N. Hand book of Industrial statistic, New york 1982 T:8 p. 19.

(٢٢) حسب النسب من قبل الباحث.

(٢٣) د. محمد سلمان حسن، التخطيط الصناعي، ترجمة موفق حسن محمود وفؤاد الدهوي، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤ ص ٣٣.

(٢٤) د. عباس علي التميمي، النمو الصناعي في محافظتي البصرة وبنين، الموصل ١٩٨١ ص ١٠٦ والجدول ٣/١ من الملحق الإحصائي ص ٣٠٠.

(٢٥) لاتوافر تقديرات للدخل القومي او معدل دخل الفرد حسب المحافظات، يمكن التأكيد على قوة النشاط الاقتصادي في

(١) انظر ذلك: عباد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد

عثماني، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٧٥ ص ٢٨٦. (٢) كان اتحاد الصناعات العراقي وقرع في المحافظات يقوم بمهمة توجيه الصناعة قبل اندماجه مع اتحاد الغرف التجارية. ويعود الاتجاه نحو فصلها أخيراً.

(٣) ترتب الابواب الصناعية في التصنيف الدولي ضمن القسم الثالث الذي يمثل الصناعة التحويلية، كما يأتي: المواد الغذائية والمشروبات والتبغ، والغزل والنسيج، والخشب والاثاث والورق والطباعة، والصناعات الكيماوية ونصفه النفط، وصناعة المعادن اللاظرية وصناعة المعادن الاساسية، والصناعة المعدنية ونتاج الآلات، وصناعات تحويلية اخرى.

انظر: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، ترجمة دليل النشاط الاقتصادي المعدل لسنة ١٩٦٨، بغداد ١٩٧٤ ص ٢ - ٧ (مستوحى بالرويز).

(٤) يظهر من الاستقصاء الميداني ان هناك ستة محلات حربية لاتاج السكاكر يدوياً مازالت قائمة في الموصل عام ١٩٨٨.

(٥) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج الاحصاء الصناعي لسنة ١٩٦٨، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٧١ ولاحظ المقدمة.

(٦) البيانات اعتياداً على سجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

(٧) انتجت محافظة نينوى من القمح عام ١٩٨٥ على سبيل المثال نسبة ٤,٦٪ من انتاج العراق، انظر: المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٨٥ جدول ١/٢ ص ٥٦.

(٨) النسب المذكورة اعتياداً على البيانات المتوافرة في سجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

(٩) عباد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني، مصدر سابق ص ٢٨٨.

(١٠) انظر في اهمية صناعة النسيج. سعيد الديوهجي و تاريخ الموصل مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطابع مديرية دار الكتب في جامعة الموصل ١٩٧٥، ج ١ ص ٤٠٣ - ٤٠٦.

(١١) د. عباس علي التميمي، النمو الصناعي في محافظتي البصرة وبنين، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ١٩٨١، الملحق الإحصائي جدول ٢/١ ص ٢٩١.

(١٢) الأرقام والنسب بدلالة البيانات في سجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

(١٣) بلغ انتاج المؤسسة العامة للصناعات النسيجية (ملغاة) من الالفة القطنية والحريية والصوفية ٨٢٩٨٠ ألف متر مربع عام ١٩٧٦، ارتفع الى (١٢٤٠٢٤) ألف متر مربع عام ١٩٨٢ ومعدل زيادة سنوية مقدارها ٩٦٤٤ ألف م^٢ وبذلك اصبح

(٢٨) د. عباس علي التميمي، تبأين اتجاهات هيكل الصناعة التحويلية في الاقاليم الاقتصادية الدولية، مجلة التربة والعم، تصدرها كلية التربية - جامعة الموصل العدد السابع اذار ١٩٨٩ جدول ١ ص ٤٥.

(٢٩) مديرية التنظيم والمساعدات العامة. المصدر السابق.

(٣٠) صدر في ١٩٨٣/١٢/٢٨ قرار مجلس قيادة الثورة رقم ١٤١ سمع بموجبه بقبول طلبات المشاريع الصناعية القائمة للحصول على اجازة تأسيس. وتم بموجبه تسجيل ٤٧٨٩ مشروعاً حتى نهاية ١٩٨٥ في عموم القطر، انظر: المؤسسة العامة للتنمية الصناعية مديرية التنظيم والمساعدات العامة، التقرير السنوي لعامي ١٩٨٤ و ١٩٨٥ صفحات عديدة «مصحوب بالرونيو».

(٣١) المؤسسة العامة للتنمية الصناعية، خطة التنمية الصناعية للقطاع الخاص ١٩٨١/ ٩٨٥ بغداد «مصحوب بالرونيو».

(٣٢) الارقام طبقاً لسجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

نينوى - كمنال - من النشاط الذي تمارسه الجمعيات الاستهلاكية اذ بلغ نصيب محافظة نينوى من مشتريات الجمعيات في القطر - باستثناء بغداد ١٨,٧٪ في حين بلغ معدل في المحافظة الواحدة ٥,٩٪ وبلغت نسبة سكان نينوى ٨,٧٪.

انظر: المجموعة الاحصائية السنوية لسنة ١٩٨٥ ص ٤٥ للسكان وص ١٤٧ للجمعيات/ النسب بدلالة الجداول.

(٢٦) بلغ نصيب الفرد من كلف البناء - على سبيل المثال ٩٠,٤ دينار في الموصل مقابل ٦٠,٤ دينار لعموم القطر، انظر المجموعة الاحصائية السنوية لسنة ١٩٨٥ جدول ٢/٢ ص ٤٥ وجدول ٢/١٢ ص ٢٥٥.

(٢٧) النسب المتوزعة عن القطر انظر:

المؤسسة العامة للتنمية الصناعية (المائة) مديرية التنظيم والمساعدات العامة، التقرير السنوي لسنة ١٩٨٢ بغداد ١٩٨٦ «مصحوب بالرونيو».

الحياة الاجتماعية في الحفان العامة

الحياة الاجتماعية في الموصل

موفق ويسي محمود

د. محمد حربي حسن

مقدمة :

اعتماد ركائز قائمة على منجزات المؤرخين والجغرافيين، مع وضع الثقل الاكبر على كاهل منهج الملاحظة ولكون البحث معني بالحياة الاجتماعية لمدينة الموصل فانه ملزم بتقديم منظور متكامل عن الجوانب الاجتماعية الأساسية في اطار اجتماعي (سوسولوجي) بما يضمن عرض صورة حركية للجاعات البشرية التي يتشكل منها المجتمع الموصل سواء في اصولها التاريخية، أو في علاقاتها المتداخلة على اساس الانماط الاسرية السائدة في هذا المجتمع بوصف الاسرة البؤرة التي تغطي الاطار الحقيقي لفهم الحياة الاجتماعية.

وبالرجوع الى المصادر التاريخية والجغرافية يتضح لنا ان الموصل هي الوريثة الشرعية لأعاجاد نينوى

يعجب المتصدي لبحث الجوانب الاجتماعية لمدينة الموصل من ندرة ما كتب في هذا الجانب؛ فهذه المدينة العريقة لم تتل حظها في الكتابات بعامة والكتابات الاجتماعية بخاصة. ولعل السبب الرئيس يعود الى حداثة التخصص في علم الاجتماع في العراق بالقياس الى العلوم الاخرى اذ كان المجال واسعاً للمؤرخين والجغرافيين فسادت كتاباتهم ومحوهم في التعريف بالمدينة. وما تعرض منها للجانب الاجتماعي اقتصر على التعريف ببعض أوجه النشاط الاجتماعي من زوايا وصفية.

لهذا السبب واجه هذا البحث صعوبة حقيقية تمثلت في الافتقار الى الخلفية الاجتماعية (السوسولوجية) المناسبة فكان لزاماً على الباحثين

الاقليم ثقافياً كانت الموصل على الدوام مركزاً
للاتصال الثقافي Cultural contact
لسكان المنطقة.

هـ - لهذه الاسباب ، أُلْمِتْ بالموصل شدائد
قاسية ونكبات ومجاعات متوالية ومحاولات
الجيوش الاجنبية السيطرة على مفتاح
المنطقة فاذا اضفنا مجموعة من الاوبئة التي
كانت تفتك بأهالي المدينة قاربت الصورة
التاريخية للمدينة على الاكتمال ولم تعد بحاجة
إلا الى ضربات فرشاة تحمل ألوان الحالة
العامة للعراق خلال الفترات الاخيرة والتي
كان للموصل فيها نصيب لا يستهان به .

والخلاصة التي يمكن منها تقديم صورة عن العوامل
التاريخية المؤثرة لحياة المجتمع الموصل هي ان الحياة
الاجتماعية في هذه المدينة تصطبغ نتيجة المصاعب
التاريخية باتماسك الاجتماعي والاعتزاز بالانماط
السائدة والدفاع عنها وحمايتها ، مما اعطى
للمكونات الثقافية عوامل الديمومة والاستمرار
فضلاً عن ديمومة الخط الاسري والعلاقات الاسرية
بوصفها الوحدة الاساسية في النشئة الاجتماعية
والادارة الجهورية في ترسيخ البناء القيمي وتدعيم
الخط الثقافي للجباة بما يجعلها اكثر تماسكاً أمام
المؤثرات الخارجية فأبناء الموصل يتميزون دوماً
بانتباههم الاسري (العائلي) والقبلي والديني والوطني
والقومي في اطار انتمائهم الى مدينتهم ووطنهم العراق
وامتهم العربية ، فظاهرة الالقاء العائلية في الموصل
تعكس مثلاً صورة واضحة عن مفهوم الانتماء ،
فهي الاداة للاحساس بالضمان والطمأنينة ، وهي
الوسيلة في ذلك التماسك والتضامن الذي لا يكون
موجوداً دون نظام أسري تم فيه تنشئة الافراد على
الموازنة بين الأخذ والعطاء في بناء العلاقات
الاجتماعية .

من الجانب الحضاري أو الثقافي⁽³⁾ يمكن
تمثيل الموصل بلوحة فنية ذات ألوان متعددة

العظيمة . وقد أضيف الى إرثها الحضاري الكبير
هذا الكثير ، خلال مسيرة الموصل بوصفها مدينة
على قدر كبير من الاهمية وقد كان للمدينة على
الدوام طابع مميز هو حصيلة عوامل عدة لعل
أبرزها⁽⁴⁾ :

أ - أن الموصل ملتقى طرق التجارة الأكثر أهمية
خلال القرون الأكثر ازدهاراً في تاريخ الدولة
العربية الاسلامية . وهذا يعني ان تصب فيها
مختلف اشكال الثقافات Cultures مما
يخلق فيها شخصية ذات طابع مميز ، شخصية
قوية قادرة على هضم وتمثل هذه التأثيرات
وصياغتها صياغة جديدة في اطار المعطيات
الثقافية المحلية الاساسية .

ب - أن الموصل كانت متجهة في تجارتها الى
الشام⁽⁵⁾ فقد بادت في حياتها تفصيلات
حياتية ناتجة عن تأثيرات ثقافة بلاد الشام
الى جانب تأثيرات بغداد التي تجاذبت واباها
مواجهة الاحداث المهمة .

ج - الصراعات السياسية التي عرفتها المنطقة ،
وقد كانت الموصل فيها نقطة التجمع والوثوب
ومركز القوات القادمة من العاصمة العثمانية
أو ولاياتها في العراق والشام . فضلاً عن
المحاولات المتعددة التي حاول فيها ابناء المدينة
الاحتفاظ بحكم محلي يحافظ على كيان المدينة
مستقلاً ويبدو هذا واضحاً في الثورات على
الولاة الاجانب وعدم قدرة هؤلاء على
الاستمرار في حكم المدينة لفترات طويلة
قياساً بالولاة من اهل المدينة أصلاً أو الذين
عدوا من ابنائها كالولاة الجليليين .

د - التنوع الثقافي الواسع الذي ضمته المدينة ،
اذ انها ككل المدن يمكن عدّها المصب الذي
تتجمع عنده روافد الاقليم والبنوثة التي
تصهر أو في الأقل تتفاعل فيها مؤثرات
الاقليم ، وبسبب التنوع الواسع لسكّة

تداخلت وبدرجات مختلفة وتناغمت فيما بينها لتكوّن في النهاية رؤية شاملة ، وقد وصف ابن الكوّاء اهل الموصل بقوله : « قلادة امة فيها من كل خرزة »^(١) ولعل هذا التشبيه الجميل موفٍ للتعبير عن هذا التنوع ، فالمجتمع الموصلّي مجتمع تعددي دون تزاخم ولا صراع حتى ان المآسي والفنن التي عرفتها المدينة لم تمنع التجانس ليبدو الجميع وكأنهم ينتمون الى عنصر واحد . ولعل من الاسباب المهمة في خلق التجانس ان المدينة كانت سوقاً تجارية رائجة^(٢) اي انه كان هناك دائماً متسع للجميع وحاجة للجميع وكما هو واضح فان القبائل العربية شيدت الموصل على اصول الحصن القديم وسكنتها ثم منحتها طابعها العربي الاسلامي^(٣) .

المدينة وما حولها :

المدينة بوتقة تتفاعل فيها عوامل عدة منها ماله علاقة بتاريخها الخاص ومنها ماله علاقة باقليمها ، فلا يمكن تصور مدينة معزولة عن تأثيرات ما يحدث في اماكن اخرى خاصة وان وسائل الاتصال وفرت الامكانيات اللازمة لاجداث هذه التأثيرات ، فكيف باقليم المدينة المحيط بها احاطة السوار بالمعصم .

والموصل مدينة على علاقة وثيقة بريفها وتفاعلها معه دائم ومستمر فهي أولاً السوق الذي تنصرف اليه منتجات الريف ، وهي كذلك مصدر السلطة ومركز دواوين ومكاتب الحكومة ، كما تركز فيها امكانيات واسعة لتلبية احتياجات ابناء الريف الى الخدمات الطبية والعلاجية ، فضلاً عن كونها مركزاً كبيراً يوفر وسائل التسلية والراحة ، فاذا أضفنا الى ذلك كله جامعتها ومعاهدها العلمية ، وجدنا انها تمثل بالنسبة لأبناء الريف مطمئناً تتكرر الزيارات اليه وينتهي قسم كبير منها بالاستقرار فيه . وقد شهدت الموصل نزوحاً كبيراً اليها في فترات مختلفة من تاريخها ، فكان الناس يلجأون

الى المدينة هرباً من قسوة ظروف الريف او عندما يتعرضون الى جائحة حرب او مرض ، وقد اشار دومنيكو لانزا الى حالة من هذا النوع عندما حاول القرص الاستيلاء على المدينة سنة ١٧٤٣^(٤) .

وازدادت هذه الهجرة في السنوات الاخيرة لاسباب كثيرة منها التوظيف الذي وفر مجال عمل مناسب لكثير من المتخرجين من ابناء الريف ، وتوافر مجالات العمل ذات المردود الربحي السريع ، واتباء ابناء الريف الواسع الى القوات المسلحة ومارافق ذلك من امتيازات منها : توفير السكن فنشأت في المدينة احياء قامت في الاصل على اساس توزيع قطع اراضي على الضباط الجدد كما في حي (١٧ تموز) ونواب الضباط (حي التحرير) والشهداء وحي دوزيمز ولنوضح ابعاد الهجرة الى المدينة منذ الخمسينيات يمكن الرجوع الى الجدول (١) حيث نجد انها شهدت توسعاً سريعاً أثر في مجمل الخدمات التي تقدمها الاجهزة المعنية ، ولعل استقراء بعض الأرقام الاحصائية يوضح لنا هذه الفكرة ، فعدد سكان مركز قضاء الموصل حسب احصاء عام ١٩٧٧ كان (٤١٤,٦٦٠) نسمة ، اصبح في عام ١٩٨٧ وهو عام التعداد السكاني اللاحق (٦٦٥,٢٦٢) باجمالي زيادة قدرها (٢٤٦,٦٠٢) نسمة خلال السنوات العشر، ويمثل هذا زيادة بمقدار (٦٪) تقريباً وهو حوالي ضعف نسبة الزيادة الطبيعية (٣,١٪) .

فاذا علمنا ان سكان الموصل القديمة انخفض من (١٠٤,٤٩٥) الى (٨٣,٣٣٩) نسمة خلال المدة نفسها تبدت لنا واضحة حقيقة من شقين اولاهما: ان الهجرة الى المدينة - ايّا كان مصدرها - تمثل السبب في نسبة الزيادة الاضافية التي بلغت (٢,٩٪) اما الشق الثاني فهو ان هذه الزيادة في عدد السكان تركزت في الاحياء خارج مركز المدينة

انماط سلوكية وقيم وعادات^(٩). وفي مدينة تجارية مثل الموصل تقع على طريق مواصلات عالمية وتصلها التأثيرات من اماكن بعيدة فان من المتوقع ان تنشأ تناقضات واختلافات بين ثقافة ريفية (سكونية) وثقافة حضرية (متبدلة)، ناهيك عن ان المدينة التي مثلت السلطة لفترة طويلة من الزمن اصبحت في متناول اكتشاف من كانوا تابعين لها ،

سواء منها القديمة مثل وادي حجر والزنجيلي أو الجديدة مثل الكرامة والتحرير والشهداء مضافاً اليها اعداداً من ابناء الموصل القديمة الذين انتقلوا الى خارج مركز المدينة القديمة نتيجة الانشطارات الاسرية او التحسن في الوضع المادي والجدول رقم (١) يمثل النمو السكاني في الموصل للفترة من ١٩٥٧ وحتى ١٩٨٧^(٨).

جدول رقم (١) يمثل النمو السكاني في الموصل للفترة ١٩٥٧ - ١٩٨٧ .

السنة	الموصل القديمة	نسبة النمو %	النسبة الى المجموع %	الاحياء الجديدة ••	نسبة النمو %	النسبة الى المجموع %	مجموع مركز القضاء	نسبة النمو %
١٩٥٧	١١٨,٠٢٦			٥٥,١٥٦		٦٨	١٧٣,١٨٢	
١٩٦٥	١١٢,٠١٤	٥,١-		١٥٢,١٣٢		٤٢,٤	٢٦٤,١٤٦	٥٢,٢
١٩٧٧	١٠٤,٤٩٥	١١,٥-		٣١٠,١٦٥		٢٥	٤١٤,٦٦٠	١٤٠,٢
١٩٨٧	٨٣,٣٣٩	٢٩,٤-		٥٨١,٩٢٣		١٢,٥	٦٦٥,٢٦٢ -	٢٨٤

• بالقياس الى سنة الاساس ١٩٥٧ .

• المقصود بالاحياء الجديدة كل الاحياء خارج الموصل القديمة سواء منها التي في الساحل الايمن او الساحل الايسر.

مما ولد صراعاً بين مانشأوا عليه ومايطمحون اليه ، فقيم (التجار) ليست هي قيم (الفلاحين) إذ يحتاج الامر الى وقت ليس بالقصير لحين تغلب احد التمتطين او ظهور نمط جديد توفيق .

ولابد من التذكير في هذا المجال ان الحدود بين الريف والمدينة ليست بهذا الوضوح وان هناك تدرجات لونية تربط بين كليهما ، فاختلاف المدينة اختلاف في الدرجة وليس في الجوهر دائماً ، في المعايير وليس في القيم ، في انماط السلوك كما في الازياء وليس في جوهر العلاقة الاجتماعية .

يقودنا هذا البحث في علاقة الموصل باقليمها الى تساؤل ذي اهمية بالغة عن ماهية العوامل التي خلقت هذا التجانس المنبثق عن تنوعات واسعة

ويمكن ان يعد الجدول رقم (٢) بمثابة جدول توضيحي للنمو السليبي الذي حدث في المدينة القديمة اذ يوضح كيف حدث التقلص في المحلات القديمة خلال الثلاثين سنة ٥٧ - ١٩٨٧ والذي بلغ حوالي ٣٠٪ .

هذا التقلص يقترن بنمو ايجابي في سكان المدينة بما يوضح ان نسب الزيادة تركزت في الاحياء الجديدة التي ازداد عدد سكان المدينة بنسبة ٢٨٤٪ في السنوات ذاتها (انظر الجدول ١) .

هذه الهجرة الى المدينة تعني تفاعلاً بين اسلوبين من اساليب العيش ، اذ أن ابناء الريف يظلون لفترة طويلة على ثقافتهم الريفية ومايتبعها من

الجدول (٢) ويمثل سكان الموصل القديمة موزعون حسب المحلات للسنوات ١٩٥٧ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٧.

السنوات			المحلة
١٩٨٧	١٩٧٧	١٩٥٧	
٢١٦١	٥٩١٣	٣٦٥٢	الخاتونية
٢٩٩٧	٣٧٦٨	٣٦٦٢	عبدو خوب
٥٦٥٧	٣٦٣٥	١٠٠٣٠	الشفاء
٢١١٢	٣٩٦٤	٤٠٤٥	الاحمدية
٢٤٥١	٢٦٣٨	١٧٦٥	الشيخ فتحي
٥٣٩٣	٦٢٣٦	١٦٤٧	المشاهدة
٢٩٠٣	٣٤٩٥	٣٩٨٢	باب المسجد
١٨٠٥	٢٤٧٧	٢٥٩٤	جامع جمشيد
٢٣٥٨	٣١٠٩	٢٩٤٧	المكاوي
٢٩٨٣	٣٩٦٦	٤٣٤٩	راس الكور
١٦٦٣	٢٧٢٤	٣١٦٣	الميدان
١١٨٤	١٦٠٣	١٤٠٣	امام ابراهيم
٢٥٣٦	٣٣٨٢	٣٩٩٥	باب النبي
١٢٢٣	١٦٨٢	١٨٧٤	جامع الكبير
١٩٥٨	٢٥٨٣	٢٦٧٧	حمام المنقوشة
٤٤٩٨	٥٢٧٤	٦٨٥٧	خزرج
٢٦٩٠	٣٦٤٤	٣٩٦٢	الاوس
٥٧٣	٧٩٤	٩٥٥	عمو البقال
١٦٨٥	٢٦٩٠	٣٣٥٩	حوش الخان
٤٢٥	٤٨٩	١٠٤١	باب السراي
١٨٠٤	٢٥٨١	٣٢٣٣	باب الطوب
١٢٩١	١٨٧٤	٢٦١٤	جامع خزام
١١٢٤	١٧٣٩	١٧٣١	سوق الصغير
٧١٤	١٠٢٣	١٦٥٧	السرجهانة
٨٦٥	١٠١٩	٨٨٥	الرابعة
١٧٤٨	٢١٦٤	٢٢٥٠	المياسة

تابع للجدول (٢)

السنوات			المحلة
١٩٨٧	١٩٧٧	١٩٥٧	
٣٩٥٥	٢٨٤٥	٥١٨٧	الحموديين
٣٧٦٥	٤٣٦٦	٥١١٨	باب البيض الغربي
١٠١٢	١٨٧٠	٢٠٩١	باب البيض الشرقي
١١٤٨	١٥٣٠	١٦٨١	المنصورية
١٠٣٠	١٣١١	١٤٩٩	شهر سوق
١٣٢٩	١٧٦٢	١٧٧٧	امام عون الدين
١٣٣١	١٥٦٤	٢٩٨٠	شيخ ابو العلا
١٠٢٧	١٣٤٣	٢٤٠١	الشيخ عمر
١٥١٣	٤٤٩	٣٢٦٦	باب لكش
٣٠٦٨	٤١٠٦	٤٠٦١	الشيخ محمد
٦٦١٢	٧٩٠٦	٦٦٢٢	باب الجديد
٧٤٨	٩٧٧	١٠١٤	القنطرة
٨٣,٣٣٩	١٠٤,٤٩٥	١١٨,٠٢٦	المجموع

• مديرية احصاء نينوى ، الاحصاءات السكانية .

والجواب في رأينا يكن في ثلاث عوامل :

الاول : طبيعة العلاقة التي قامت واستمرت لفترة طويلة من الزمن بين فلاحين مرتبطين بارضهم ، ومدينة تجارية نشطة تقع على مفترق الطرق تمنح محاصيل القرى أفضل الفرص ، خاصة بعد ان تحول انتاج هذه القرى من نط (الانتاج للاستهلاك) الى نط (الانتاج التجاري) ، فضلاً عن كون المدينة قادرة على تلبية عدد كبير من الاحتياجات بوصفها مركزاً صناعياً يحصل منه ابناء القرى على معداتهم وفيه يصلحونها بما يضمن استمرار انتاجهم

الزراعي، كما انه لاغنى للفلاح عن المدينة للحصول على صيانة الاجهزة المختلفة التي بدأت تدخل حياته عاماً بعد عام الأمر الذي يخلق حاجة متبادلة قائمة على مبدأ اشباع المصالح المشتركة للطرفين.

الثاني : غلبة التعصب^(١٠) المحلي، حيث ان الاقليات وجدت لنفسها ملاذاً في مدينة ليس في ثقافتها الاساسية عناصر التعصب والتحيز، مما أوجد امكان حقيقية لقيام تناغم بين مختلف عناصرها ضمن اطار المصلحة العامة، اذ ان المهنتين الرئيسيتين في هذه الشركة وهما : الفلاحة والتجارة تحتاجان الى استتباب الامن ووضوح الحدود كي يمكن ان تزدهرا والا كان الخراب ينتظر الجميع ومن الواضح ان هذا لايعني سكونية العلاقات الاجتماعية، وانما يعني توازنها، فالتدخل في الحدود بين الصراع والانسجام يبقى موجوداً، ولكن المصالح المشتركة موجودة ايضاً وذات اهمية كبيرة في الوقت نفسه فلا بد من اشتراك الطرفين وتعاونها لأمكانية تحقيق تبادل تجاري ناجح بين مايزرعه الريف وما تصنعه المدينة او تقدمه من خدمات ترفيهية او صحية وثقافية .

الثالث : من الجدير بالاشارة ايضاً ما ساهمت به الفرص الوظيفية التي تامت مع نمو الجهاز الحكومي في الاندماج والتقارب بين الوافدين للمدينة وبين ابنائها بدءاً من المدرسة الابتدائية وانتهاءً بالمعمل والدائرة الحكومية، فعلاقات العمل السابقة التي كانت قائمة على مفهوم ملاك الارض الغائبين The Absentee Landlord

انعكست في السنوات الاخيرة ليصبح ابناء الفلاحين زملاء دراسة او رفاق عمل لابناء المدينة، بل أن بعضهم اصبح معلماً او مدرساً او استاذاً لابنائها وبعضهم اصبح رئيساً لهم في العمل او في النقابة او في التنظيم السياسي. وهكذا أسهمت الهجرة من الريف الى المدينة في دعم التكيف الثقافي نتيجة البناء الوطني الذي حققته عمليات التنمية سواء فيها وفرت من فرص كافية في التعلم وفي المشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (فرص العمل الاجتماعي والسياسي وفرص العمل الوطني) فضلاً عما وفرت من فرص لشتمية المؤهلات والمواهب الشخصية وكذلك من فرص التسلية وقضاء اوقات الفراغ.

المدينة من الداخل :

البناء الاجتماعي الحضري للمدينة :

يمكن تناول هذا الموضوع من زوايا متعددة، معمارية وجغرافية وصحية وغيرها، ولكننا سنقتصر في هذا المجال على البحث عن الدلالة الاجتماعية في تقسيمات المدينة فهي تحتوي على^(١١) محلة (بضمها الاحياء السكنية الجديدة) تختلف في احجامها وخصائصها وكثافتها السكانية، وهي موزعة على جانبي النهر (الساحل الايمن والساحل الايسر)، ومن الجدير بالذكر ان ربع هذه المحلات (الأحياء) انشيء خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة اذ كان عددها (٧٥) محلة فقط في تعداد ١٩٧٧^(١١). وتبلغ الكثافة السكانية في الساحل الايمن اكثر من ضعفها في الساحل الايسر، اذ بلغ عدد سكان الساحل الايسر (١٣٠,٢٠٧) نسمة بالمقارنة مع (٢٨٢,٢٩٤) نسمة هم سكان

الساحل الايمن مقارنة بالساحل الايسر، تمثل الموصل القديمة المحور الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الموصل ككل. فعلى الرغم من عمليات الهدم الكثيرة التي اصابته بيوتها السكنية بفعل ضغط التطور الاقتصادي وتشعب الاسواق وتكاثرها والحاجة المتزايدة الى الشوارع بفعل الزيادة المضطردة في اعداد السيارات فضلاً عن الفضاءات المفتوحة الواسعة التي استغلت مواقف للسيارات او تركت لاغراض عمرانية وتعميلية مختلفة.. على الرغم من هذا كله فانها مازالت تحتفظ بما يقارب ربع عدد السكان الاجالي ويمكن للمدقق ان يلمح اختلافات ذات اهمية بين نمطين من المحلات: النمط القديم الذي تمثله أزقة الموصل القديمة. والنمط الحديث الذي تمثله الاحياء السكنية في الساحل الايسر.

أ- الاختلاف الاول يظهر في اختلاف مصادر التسميات للمحلات، حيث نلاحظ ان محلات الموصل القديمة ذات اسماء شعبية عفوية تفتقر اما بأعلام من رجال الدين او أماكن للعبادة مثل محلات (الشيخ محمد) (الشيخ عمر) (الشيخ ابو العلا) (الشيخ فتحي) (امام عون الدين) (امام ابراهيم) (جامع جمشيد) (جامع خزام) (باب المسجد).. او انها تفتقر بتسميات عشائرية مثل (خزرج) (الأوس) (المشاهدة) (الاحمدية)، وغيرها او انها ذات دلالة مهنية اذ تفتقر باسماء الاسواق المشهورة قديماً مثل: (السوق الصغير) (المرجخانه) (شهر سوق).. أو انها تعرف بقرىها من ابواب المدينة مثل: (باب السراي) (باب الطوب) (باب البيض) (باب لكش) (باب الجديد).

في حين ان تسميات الاحياء الجديدة

تسميات رسمية، وذلك لانها انشئت اساساً بتوجه رسمي تحت ضغط الحاجة التي خلقها النمو السكاني المتزايد، وتزايد اعداد القادمين الى المدينة، وتندرج هذه التسميات في فئتين رئيسيتين:

— التسميات التي تعكس التوجه القومي والسياسي ورموزها مثل: (البكر) (صدام) (القاهرة) (القادسية) (المنشئ) (الكرامة) (التأميم) (التحرير) (البعث) (البرموك) (الثورة) (١٧ تموز) (الوحدة).

— أو أنها تسميات ثوية للموظفين المستفيدين من نظام توزيع الاراضي السكنية على المواطنين مثل: (المصارف) (البريد) (الضباط) (السكر) (البلديات) (الجامعة) (الحاربين).

ب- الاختلاف الثاني هو تميز المحلات السكنية القديمة بنظامها المتراس اذ لايفصل بينها سوى أزقة ضيقة ملتوية^(١٢) وتمثل بمجموعها كتلة واحدة ذات اصول معمارية متشابهة، حتى ان السائر في دروها من غير أبنائها لا يدرك انتقاله من محلة الى أخرى، هذا التشابه يلتقي مع تصميم البيوت في اقضية الموصل ونواحيها وعلى الاخص مناطق بعشقة وبرطلة وتلكيف حيث تلتقي مع الاصول المعمارية التي تقوم عليها بيوت المدينة القديمة. وهذه الميزات المعمارية وظائف امنية ومناخية واجتماعية^(١٣). فهذه الكتلة تمثل وحدة اجتماعية متماسكة تحكمها قواعد الجماعة المحلية وتسودها قيم تحافظ على هذا التماسك. كما ان التفافها على نفسها يعطيها شكلاً دفاعياً ضد الغزاة فضلاً عن توفير اكبر قدر من الظل للحماية من شدة حر الصيف.

المشكلات الاجتماعية للمدينة بكتشفيل الاحداث وفقدان الوعي الصحي والتجاوز على أراضي الدولة^(١٥) ويميل بعض المهاجرين للسكن في هذه الاحياء لرخص ايجاراتها نسبة الى ايجارات مركز المدينة والضواحي السكنية فضلاً عن توفر امكانية السكن مع الاقارب الذين سبقوا في الهجرة بما يقدم الاسناد والعون اللازم حين تمكن المهاجر الجديد من الاعتماد على نفسه ليصبح بدوره مركز استقبال لآخرين من اقاربه وهكذا.

البناء الاسري :

الاسرة هي حلقة الوصل بين المجتمع والفرد، فن خلالها وبوساطة عملية التنشئة الاجتماعية يتم نقل كامل التراث الثقافي الى الافراد وبشكل استدماجي يجعل قيم ومعايير وعادات وطرأق تفكير المجتمع جزءاً من ذهنية الفرد فالتنشئة الاجتماعية هي « تلك العملية التي يتعلم الفرد بوساطتها طرق مجتمع او جماعة اجتماعية حتى يتمكن من الحياة بين تلك الجماعة ويصبح قادراً على المشاركة في المجتمع ، فهي عملية اكتساب المعارف والتماذج والقيم والرموز، وهي سريرة يكتسب عن طريقها الانسان ويستبطن طوال حياته العناصر الاجتماعية - الثقافية السائدة في محيطه ويدخلها في بناء شخصيته^(١٦) مما يسهل عليه التعامل مع الآخرين من خلال تقمصه الأدوار. وادائه لها بالشكل المناسب الذي يطلبه المجتمع ، وكذلك من خلال القدرة على توقع سلوك الافراد الآخرين وردود افعالهم .

فالاسرة حسب تعبير (ارلك فروم) هي الوكيل النفسي (السايكولوجي)^(١٧) للمجتمع ، وهي المكان الرئيس الذي يتم فيه تشكيل شخصية الفرد ، في اطار النمط القبول اجتماعياً ثم يأتي بعد ذلك دور المؤسسات الضابطة فهناك اذن خيط يصل بين الافراد وبين المجتمع يمر في قسمه الكبير او

في الجهة الاخرى تفتح الاحياء السكنية الجديدة إذ تغطي شوارع عريضة مستقيمة وتتبادل البيوت بعضها عن بعض بحكم المساحة الواسعة المخصصة لكل دار والتي سمحت باضافة الحدائق المنزلية وترك مساحة على جانبي الدار ساهمت في احداث تباعد بين الدور إنعكس بوضوح على نمط العلاقة بين الجيران ، هذه العلاقة التي اصبحت أقل صميمية . لهذا السبب ، ولان سكان الاحياء الجديدة جاءوا من اماكن مختلفة فقد ظهر نوع جديد من العلاقات يجمع بين معرفة الجيران معرفة دقيقة والمحافظة على مسافة معينة توفر قدرأ من الخصوصية او العزلة . ويصح هذا التصور على نحو واضح في احياء (الزهور) (القادسية) (النور) (الربيع) التي أنشئت في الستينيات ، والتي كانت ملجأ الموصليين الذين تحسنت احوالهم المعيشية فانتقلوا الى فضاء اوسع .

في حين ان الاحياء التي ظهرت خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة تختلف من حيث تركيبها السكاني ، فهم في غالبيتهم من المهاجرين الى المدينة من اقليمها ، ولم تحضي عليهم فترة طويلة ، وعليه فقد نقلوا اليها صيغة او نمط القرية ، والتي هي وحدة اجتماعية قبل ان تكون وحدة سكنية^(١٨) . لذا يلاحظ فيها نمط من العلاقات الاجتماعية مختلف ، وهو في شكله العام قريب من نمط علاقات الوحدات القرابية والريفية على الرغم من التصميم الحديث للوحدات السكنية في هذه الاحياء ، والتي هي نسخ لتماذج معمارية غربية تعتمد على ماتوره التقنية والاجهزة الكهربائية من ضوء وتدفئة وتبريد .

كما يمكن ملاحظة احياء سكنية على محيط المدينة الخارجي يمكن عدها مواطن اقدم للمهاجرين الجدد ، وتتصف بكونها احياء فقيرة ومزدحمة ومتنوعة المصادر السكانية ، وهي بعامة مناطق متخلفة حضارياً ومصدر عدد من

المهم بالأسرة. والأسرة بهذا المعنى تعكس صورة المجتمع وهي التي تبنى الفرد من خلال بنائها وتغط السلطة فيها والوسائل المستخدمة لضبط سلوك الفرد.. تهيئة لقبول الانماط الاجتماعية وتمنحه القدرة على مسايرتها.

والأسرة الموصلية ليست شاذة في هذا الصدد، فهي المجال الأول لتلقي تعاليم المجتمع، ولما كان المجتمع الموصلي على ماشرنا اليه انفا وما يتطلبه ذلك من قدرة كبيرة على المسيرة المستندة الى مركز أمان.. مسايرة تتطلب التفهم للتنوع الثقافي فضلاً عن غلبة العصبية المحلية التي يفترض من خلالها الضعف النسبي في الروابط القبلية والعشيرية، لذا فقد تحولت الأسرة الى مركز ذي أهمية فائقة للفرد، لا بل لانغالي اذا قلنا ان الولاء للأسرة والارتباط بها كان صنوا للولاء المحلي، والتعصب لها يختصر كل اشكال التعصب للعشيرة والقبلية.

والأسرة الموصلية أبوية السلطة يحمي سلطان الأب فيها كماكبيراً من الأثر الثقافي، وسبب من طبيعتها هذه، فضلاً عن الحاجة القوية للتضامن التي يخلقها المجتمع المتنوع. أنتهى الموصلي الى أسرته، مما ساعد على مدها فظهرت في شكل العائلة الممتدة التي تدور مصالحها وحياة أفرادها حول قطب واحد يمثل رب العائلة الكبير، ولعل هذا مايفسر لنا الظاهرة البارزة في المجتمع الموصلي بالانتساب الى العائلة أكثر من الانتساب الى العشيرة أو القبيلة فالأفراد يُعرفون أنفسهم برب العائلة الكبير مثل: (الجادر) (حمو القدور) (المجسلي) (الحاج طالب) (عبيد أغا) (السلهان)... أو يتسبون الى مهنة العائلة مثل: (الصاويجي) (الدباغ) (الصانغ) (التجار) (التحافي) (اليزيكبي) (الصواف) (العلاف) (الملاح) وفي هذا المجال تستوي العائلات الفقيرة والغنية ونتم الأسرة الموصلية بالذكر، والأسرة التقليدية تراعي أن يكون لذكورها أدوار كبيرة

بالقياس الى الأناث فيها، فالولد البكر هو التالي في المرتبة من حيث الأهمية وهو خليفة الأب عند غيابها.. وهذا دور لايسند الى البنت البكر. مما يعني انحسار دور المرأة سواء كانت أمّاً أو أختاً أو زوجة الى دور الشريك الأقل أهمية وانحصرت مهامها التقليدية في أعمال المنزل وتربية الأطفال كما أن طبيعة المجتمع في الماضي القريب والتي أنتقلت الى الأسرة حتمت التحفظ على المرأة داخل المنزل أو تحديد حركتها في الدروب الخلفية دون الخروج الى الواجهة، خاصة وأن التنوع الذي شهدته المدينة في سكانها يتطلب دراية وخبرة في التعامل مع الآخرين، وهذا أمر تفتقد اليه المرأة بحكم طبيعة دورها. إلا أن هذا لم يعن ابداً احتقاراً للمرأة أو تصغيراً من شأنها في المحصلة النهائية بل كان اهتماماً بها وحفاظاً عليها- بغض النظر عن مدى سلامة هذا التفكير- إذ أن الموصليين لم يأنفوا من أن يتسبوا الى النساء، فالمدينة تعرف عائلات تنسب الى نساء حققن قدراً من الشهرة أو التمايز في الفعل أو الصفات مثل (آل صبيحة) (كرجبة) (آل الليلة) (كشمولة) (الحجبة) ووضعت بعض الأسر الارستقراطية أسماء نساها على مساجد وأوقاف تطوعن بمآثرها.

لقد حافظت العائلة الموصلية على كيانها الاجتماعي والتنظيمي لفترة طويلة من الزمن في ضوء عاملين أساسيين: أولها مجموعة الأعراف والتقاليد التي ضمت التضامن العائلي وغرسته في أبنائها، وثانيها التجاور في السكن، إذ كان أبناء العائلة الواحدة يستمرون في الإقامة في بيوت الآباء أو بالقرب منها بعد زواجهم حتى أننا نجد أن بعض الأزقة القديمة قد تكون مقلدة على بيوت من عائلة واحدة، ويعرف هذا النمط من الإقامة في علم الأنثروبولوجيا بنمط الإقامة الأبوية.

وهكذا استمرت العائلة محور حياة الموصلي وارتبطت حياته بها، ودارت اهتماماته ومشكلاته،

وخلصه في إطار هذا الجو المتضامن الذي منح الأفراد الطمأنينة والراحة النفسية مما جعل العائلة في مقدمة أولويات المجتمع ، لا بل أن الأفراد كانوا يتعاملون مع المجتمع من خلال عوائلهم بوصفها نقاط ارتكاز في مواجهة نقاط ارتكاز الآخرين .^(١٨)

ولعل في هذا مايفسر تعلق الموصلبي بمدنيته وعدم رغبته في العيش في أماكن أخرى والاستخفاف بأية مكاسب يمكن تحقيقها بعيداً عن هذا الملاذ المطمئن . ولعله أيضاً السبب في طبع سلوك الموصلبي خارج إطاره المحلي بالكثير من الحذر والتوجس ولعل من المفيد الذكر في هذا المجال أن التنشئة الاجتماعية في العائلة الأبوية تقوم على أساس الحرص والضبط مما قد يُمَتِّط سلوك الأفراد في قوالب محددة ونماذج مكررة . وقد يكون في هذه الفكرة مايفسر نجاح الموصلبين الكبير في المهنة العسكرية التي تعتمد على ذات الركائز في الأسرة الأبوية من انضباط وتنفيذ صارم للتعليقات .

وإذا كان من الصحيح أن فرص الكشف عن حقيقة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية إنما تظهر في حالات التوتر أكثر مما تظهر في حالات الاسترخاء فإن التعرف على البناء الأسري يبدو أكثر وضوحاً في حالات الزواج . إذ أن الزواج الداخلي وخاصة الزواج بأبن العم كان دائماً واحداً من أقوى معايير الجماعات البدوية والقروية^(١٩) وفي إطار أوسع إنحصر الزواج داخل المجموعات القومية والدينية وهذا الشكل من الزواج تعرض داخل المدينة الى اختبار من نوع جديد يتضح من خلاله وجود فروقات وحواجز أخفية وعمودية بين الجماعات المختلفة ودخل كل جماعة .

فالحياة الحضرية تدفع باتجاه اعتبار اختبار الشريك حقاً مدنياً مشروعا ينبغي أن لايقع تحت الضغوط القروية ، ولكن طبيعة التنوع الذي عرفته المدينة والقائم على الاحتفاظ باستقلالية كل جماعة

ومحاولة الحفاظ على ذاتيتها وتميزها حددت علاقات الزواج داخل الجماعة ، فوقت الفروقات الدينية والقومية حاجزاً أمام حرية اختيار الشريك وهذا مايمكن أن يطلق عليه الحاجز العمودي بين الجماعات ، وتتمثل الحواجز الأفقية في مجموعتين من القسم والأعتبارات الأولى هي الأعتبارات الاقتصادية إذ أن فارق المستوى الاقتصادي وقف على الأغلب حائلاً بين إقامة علاقات زواجية داخل الجماعة القروية ، فالعائلات الغنية تختار مصاهرة عائلات في المستوى الاقتصادي نفسه محاولة المحافظة على هذه الامتيازات الاقتصادية ومنعها من التفتت .

والمجموعة الثانية هي أعتبارات المكانة الاجتماعية ، فالعائلات الموصلية تدقق كثيراً في قضايا اختيار الشريك على أساس المكانة الاجتماعية للعائلة ، وعلى الرغم من أن المكانة الاجتماعية والامتيازات الاقتصادية متلازمة في الغالب إلا أن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية رفعت من المستوى الاقتصادي لبعض العائلات والتي تحاول أثبات قدمها في مركزها الجديد عن طريق المصاهرة ، مع ملاحظة أن العائلات ذات المكانة الاجتماعية أكثر تمسكاً بقم الزواج الداخلي حتى لو كانت قد فقدت امتيازاتها الاقتصادية .

هذه الصورة التقليدية للعائلة الموصلية هبت عليها رياح التغيير وعلى الأخص خلال النصف الثاني من هذا القرن ، فقد كان لمجمل التغيرات الاقتصادية والاجتماعية تأثيرات مهمة على أبناء العائلة ، إذ أدت هذه التغيرات الى تفكك العوامل الممتدة الى أسروية توزعت - مكانياً على الأقل - على الأحياء الجديدة من المدينة . كما خلق التعلم والدراسة والأنصال فضلاً عن الجامعة فرصاً كبيرة لتغيير نمط العلاقات الاجتماعية وتكوين الأسر الجديدة وخاصة فيما يتعلق بإختيار شريك الحياة والمفاهيم الجديدة عن طبيعة العلاقة بين

الرجل والمرأة، فالجالات الجديدة التي خلقتها الجامعة على سبيل المثال قدمت الفرصة للقاء الجنسين بعيداً عن الأطر الاجتماعية الموروثة، فضلاً عن مجموعة القيم والمعايير التي تؤكد الفردية في مواجهة أعراف وتقاليده العائلية الكبيرة كما تؤكد ضرورة تأمين حرية اختيار الشريك بعيداً عن التدخل القرابي، لأن الفرد أحق بالتصرف بحياته من غيره، مما شجع من بعد على استقلال الأسر الصغيرة الجديدة في مساكن مستقلة بعيداً عن القواعد القديمة، وأدى اندفاع البعض في محاولة إثبات الذات هذه إلى إحداث ما يمكن أن ندعي بأنه النواة لأنماط جديدة من العلاقات قائمة على أسس جديدة وما زاد في حدة التغيرات الاجتماعية المتطلبات الاقتصادية وخروج المرأة للعمل، الأمر الذي خلق أنماطاً جديدة من العلاقات داخل الأسرة رفعت ولو بشكل جزئي من مكانة المرأة بسبب مساهمتها الاقتصادية من جهة وما وفره خروجها للعمل من مجال لتنمية مداركها وتوسيع أفق معرفتها من جهة ثانية. غير أن هذا لا يعني قطعية بين هذه الأسر الصغيرة وعوائلها الأصلية، كما لا يعني أن الأمور تجري في هذه الأسر على نحو مختلف تماماً عن النمط العائلي القديم وأنما يعني وهناً في الصلات وتغيراً نسبياً في نمط العلاقات مع احتفاظ العائلة الكبيرة بمركزها المحوري بالنسبة للجميع.

ج - البناء المهني :

يمكن تحليل البناء المهني لمدينة الموصل وفق مداخل عدة. فثلاً يكن التمييز بين مهنة تقليدية ومهنة مستحدثة. وهذا المدخل يمكن تلمسه مثلاً في الأسواق، إذ نجد نوعين من الأسواق التي تنتشر في المدينة، فالقديمة منها يمثل كل منها مجعاً مهنيّاً، إذ يمكن التعرف على : (سوق الكوازين) (سوق السراجين) (سوق الصاغة) (سوق

الصوافين) (سوق القطانين) (سوق العطارين) (سوق الصغارين) (سوق الحدادين)... الخ. وعلى الرغم من أن التغيرات العمرانية طالت قسماً من هذه الأسواق بالهدم والتغيير، وبعضها الآخر أقيمت مهن مغايرة فإن الطابع العام للسوق لازال طاعياً عليه.

وبالمقابل نجد أسواقاً حديثة تسمياتها لا ترتبط بالمهنة على الرغم من أن كل واحد أخذ طابعاً خاصاً وأختص بنسبة كبيرة بسلعة أو مجموعتين من السلع المتقاربة فشارع نينوى مثلاً يعرض لنا تخصصاً واسعاً ذو علاقة بالملابس ولوازم الزينة النسائية، في حين يختص شارع خالد بن الوليد بالأجهزة الكهربائية، وأغلب محلات شارع العدالة تختص بالأحذية الرجالية.

كما يمكن ملاحظة أن التطور الاقتصادي والثقافي قد أوجد الكثير من المهن الحديثة، فقد شاعت المهن الخاصة بتصليح وصيانة الأجهزة والمعدات الميكانيكية والكهربائية وحصلت تلك المختصة بصيانة وتصليح السيارات على القسط الأوفر من بينها إلى الحد الذي دفع المسؤولين إلى نقل ورشها ومحلاتها إلى خارج مركز المدينة لعدم قدرة أماكنها القديمة على استيعاب حركة السوق. هذا التطور الاقتصادي نفسه أدى إلى ضمور وأختفاء مهن أخرى أو حصرها في نطاق ضيق، فأختفت أو كادت صناعة الحارث الخشبية القديمة، وأنقرضت صناعة عربات درس الحبوب (الجرجر) وحلت الآلات محل الحيوانات وحجر الرحي العظيم في طحن الحبوب.

وبنفس الوتيرة تصاعدت أعداد الموظفين في أجهزة الدولة وكان للمهن العسكرية حصة كبيرة فيها. كما حصلت أندفاعات نحو بعض المهن بسبب توجهات خطة التنمية الأنفجارية كالمهن الهندسية ومقاولات البناء والتجهيز.

ثم يأتي دور جامعة الموصل لكي تخلق ملاكاً

واسعاً من التدريسيين والموظفين والفنيين سواء من أبناء المدينة أو من الوافدين الذين استقروا بسبب طبيعة عملهم في جامعتها. وفي الوقت نفسه أدى وجود هذا العدد الكبير من الطلبة والذي يربو على العشرين ألف طالب الى تنشيط مهن الخدمات وخاصة في المنطقة المجاورة للجامعة.

وثمة مدخل آخر لدراسة البناء المهني يكون في البحث عن علاقة هذه المهن بالبناء الاجتماعي للمدينة، فضلاً عن السكان الأصليين من العرب، ولاشك أن لكل واحدة من هذه المجموعات قيمها ومعاييرها وتقاليدها، كما أن طبيعة وظروف دخولها الى المجتمع تحدد وضعها في السلم الاجتماعي. ويمكن ملاحظة تأثيرات هذه الاختلافات الاجتماعية والقيمية في مهن المدينة، فعلى سبيل المثال تأتف القيم البدوية من الأعمال البدوية باستثناء التجارة، لذا نرى أن سكان المدينة هم في الأصل وفي غالبيتهم من التجار وأرباب الحرف والأصناف وباعة المفرد وقد أدى هذا الأمر الى نتيجتين مهمتين:

١- أن هذا التخصص أكسب الأفراد مهارة ودقة عالية أنتجت من بعد سلعاً ونشاطاً مهنيّاً ذا مستوى عالٍ.

٢- خلق هذا التخصص مهناً وراثية أو مغلقة نوعاً ما بالنسبة لجماعات معينة.

وعلى الرغم من عدم إلزامية هذه الظاهرة بالنسبة للجميع اذ كان بالأمكان دوماً أن ينتقل الأفراد من بعض المهن الى بعضها الآخر، فإن حدود القيم والتقاليد لا يمكن تجاوزها، وأدى التضامن العائلي والقبلي والديني الى تفضيل الأفراد مهنة الجامعة لأنه سيجد في مجالها العون الكبير من أبناء جماعته، مما انعكس على توجهات الأبناء ومهنتهم وحتى في مجالات العمل الحكومي فإن توجهات معينة سادت بسبب الطبيعة القيمية والاجتماعية للعمل، فأتجه أبناء الموصل للانخراط

في الجيش هو في أحد جوانبه استجابة لطبيعة التنشئة الاجتماعية للموصلين وقيم الشجاعة والقروسية التي عرفوا بها هذا فضلاً عن البعد التاريخي حيث أن الموصل عرفت التجنيد الأتزامي في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ولا يمكن أن ننسى ماتوفره الحياة العسكرية من مكانة مادية واجتماعية، ولهذا السبب نجح -كما سبق أن أشرنا- نجح الموصلون إما نجاح في هذه المهنة وتوسعت أعدادهم بين الضباط.

وفي خط مواز عملت العائلات الموصلية التي دخلت معترك الحياة السياسية ونمت طموحاتها في هذا المجال على دفع أبنائها وأعدادهم لتولي مناصب سياسية وبالفعل نجح الكثير منهم في الوصول الى سدة الوزارة مما كان له أثر كبير في تحفيز الباقين على اقتفاء أثرهم وظل الموصلون يميلون الى الوظائف الحكومية طالما كانت هذه المهن توفر لهم قدراً من تعميق الشعور بالتميز والتفوق، وحين أنشئت جامعة الموصل غدت ملاذاً جديداً لتحقيق الطموحات فسارع أبناء المدينة للانتساب اليها أعضاء في هيئة التدريس وموظفين. وهنا لابد من الإشارة الى أن النسبة الكبيرة لأبناء الموصل، من العاملين في الجامعة، ولاسيما من أعضاء هيئة التدريس، لها جوانب إيجابية على المستوى العلمي اذ أنها تساعد على استقرار الكادر التدريسي. هذا فضلاً عن أن الطبيعة الجدية والحرصية التي تميز بها الموصلون انعكست على الجامعة، وهذا الأمر أدى الى تضافر جهود الجميع في السعي من أجل أن تتبوأ جامعة الموصل مكانة متقدمة بين شقيقاتها الجامعات العراقية الأخرى.

وعلى النوال نفسه نسجت التنمية الاقتصادية التي عرفها القطر المكانة المميزة للمهن الهندسية الأمر الذي جعل لها منزلة اجتماعية رفيعة مما دفع الى تزايد الانتساب اليها بسبب قدرتها على تحقيق طموحات الأفراد في الحصول على المناصب

والأرباح في أوقات قياسية. هذا التوجه أحتفظ بطابعه العائلي أيضاً وخلف الأبناء آباءهم حتى في وظائفهم الحكومية كما خلفوهم في مهتهم الأخرى ، فليس من النادر أن نجد في الموصل عائلة من العسكريين أو المهندسين أو الأطباء ، والفارق الوحيد بين هذا التوجه في خلافة الأبناء لأبائهم أو لألقاب الوظائف الحكومية لانتظهم في أسماء الأفراد ، في حين أن المهن القديمة تظهر واضحة ، فقد يتوارث الأبناء مهنة الأب في الدباغة فيطلقون على أنفسهم أو يعرفهم الناس بأسم بيت الدباغ وكذلك الحال بالنسبة للملاح والغلّاف والتنجي ، والشركجي وغيرها وبعض هذه الأسماء مازالت تدل على مهن متوارثة حتى اليوم .

خاتمة :

لقد تعرض هذا التقسيم بدوره الى تأثيرات أدت الى ضعف تماسكه وإعادة ترتيبه ، ذلك أن التغييرات العميقة التي حدثت في كيان المجتمع نتيجة التغييرات الاقتصادية والثقافية والسياسية غيرت مراتب السلم المهني ، فوظائف الدولة التي كانت في أعلى السلم تبادلت مواقعها مع المهن اليدوية والزراعية التي كانت في أسفل السلم المهني من الناحية الاجتماعية وتغير مردودها المادي مما غير من المواقف الاجتماعية تجاهها . وفي الوقت نفسه تعرضت مفاهيم الجدارة لدى الشباب الى التغير ، ففي خضم الطلب على الاحتياجات المادية ، وازدياد التركيز للحصول على المقتنيات الحديثة بدأت الأجيال الجديدة تستطلع الطرق التي تفتح أمامها المزيد من الكسب المادي ، مما خلق توجهات كثيفة نحو التخصصات المهنية سواء على مستوى الدراسة الجامعية أو على مستوى الأعمال الخاصة . وما ساعد على ذلك أن هذه المهن وخاصة الحكومية منها لايرتبط الانتساب اليها بأي اشتراطات قومية أو دينية مما أدى الى كسر التقسيم التقليدي للعمل

القائم على أساس الجنس أو الأنتاء الى جماعة معينة ، فضلاً عن أن المردود الاقتصادي العالمي الذي وفرته بعض المهن الجديدة ساعد على تخفيف الموقف المعادي لها ، فبدأ الفلاح في زراعة الخضر وتسويقها مدفوعاً بالعائد المالي الكبير ، كذلك أصبح الموقف من مهنة القرصص أقل تشدداً عن ذي قبل ، وكذلك الحال بالنسبة للفنانين الذين أصبح المجتمع أكثر تسامحاً تجاههم وخاصة الذكور منهم .

هذا الرواج الاجتماعي للمهن المختلفة ساعد على ربط الشرائح والفئات الاجتماعية المتنوعة ، فقد ولّد انخراط الناس - من جميع هذه الشرائح - في المهن قواسم عملية وذهنية مشتركة^(٢٠) . ومن البديهي أن تسهم هذه القواسم في تقرب وجهات النظر وزيادة الاحتكاك القريب بما قد ينسج في المستقبل أطواراً تكاملياً لقيم توفيقية وثقافة أكثر مرونة تستوعب أغلب الاختلافات . إلا أننا لازلنا نلمح في الوقت الحاضر بقايا المواقف القديمة آزاء بعض المهن ويبدو هذا أكثر في بعض المواقف الاجتماعية مثل التصاهر .

الهوامش

- (١) للتفاصيل انظر : سلمان صايغ ، تأريخ الموصل ، ج١ ، الطبعة السلفية ، ص ٢٠ . وكذلك سعيد الديوهجي ، تأريخ الموصل ، ج١ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ١٩٨٢) ، عاد عبد السلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ، مطبعة الاداب ، (التجيف الأشرف ، ١٩٧٥) ، المقفلة .
- (٢) رؤوف ، المصدر السابق .
- (٣) يقصد بالثقافة أو الحضارة Culture : نماذج التي نشأت تاريخياً بأشكالها الظاهرة أو المستترة ، العقلية أو غير العقلية الموجودة في أية فترة من فترات تأريخ المجتمع كمرتكبات لتوجيه سلوك أعضائه .. وذلك حسب تعريف كلايد كلاركسون . أوكا يعرفها أدوارد تايلر : (ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعارف ، والعقائد والأخلاق والفلسفة والفنون وكل ما يكتسب الفرد من القدرات يوصفه عضواً في مجتمع معين ..) أنظر : قيس الزوي ، للدخل الى علم الإنسان ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، (الموصل ، ١٩٨٢) ، ص ١٢٠ .

- (٤) أنظر: عبد الماجد أحمد السلطان، الموصل في المهدين الراشدي والأموي، مكتبة بسام، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ٥٠.
- (٥) رؤوف، المصدر السابق، ص ٣٢١.
- (٦) الديوه جي، المصدر السابق.
- (٧) دومينيكو لاززا، الموصل في الجبل الثامن عشر، تعريب رؤفائل بيدايود، مطبعة النجم، (الموصل، ١٩٥١) ص ١٠-٩.
- (٨) مديرية أحصاء نيوى، الإحصاءات السكانية.
- (٩) عبد المجيد عبد الرحيم، علم الأجناع الحضري، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ١٩٢-١٩٦.
- (١٠) رؤوف، المصدر السابق، المقدمة.
- (١١) مديرية أحصاء نيوى، الإحصاءات السكانية.
- (١٢) عامر سليمان وآخرون، محافظة نيوى بين الماضي والحاضر، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٨٦)، ص ٢٥٠.
- (١٣) المصدر نفسه.
- (١٤) خليل أحمادي محمد، أنماط الاستيطان الريفي.
- (١٥) مديرية شرطة نيوى، الحلقة الدراسية لقسم الخدمة الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الموصل، بعنوان: دور الخدمة

- الاجتماعية في الرقابة من الجريمة، مناقشات، ١٩٩١.
- (١٦) محمود أحمد موسى ودور نظام التعليم في تنشئة الطفل العربي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، السنة (١٠)، العدد (١٠٠)، حزيران ١٩٨٧.
- (١٧) إريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد النعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٢٣٦.
- (١٨) يقدم هشام شرابي مايشبه هذه الفكرة خلال تحليله لنمط العلاقات في العائلة العربية عموماً. أنظر كتابه: مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط ٤، (بيروت، ١٩٨١).
- (١٩) قيس الثوري والمشكلات الاجتماعية في الوطن العربي من المنظور الأنثروبولوجي، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجاحظ، بغداد، العدد (١٤)، ١٩٨٥، ص ٢٧.
- (٢٠) قيس الثوري، الأثر الاجتماعي للسلوك المهني في السلم والحرب، مجلة الدفاع، السنة (٢)، العدد (٢)، ١٩٨٦، بغداد، ص ٢٤٩.

الخدمات العامة

د. سعدي علي غالب

مقدمة:

الخدمات، وعموماً فإن تلك الخدمات كانت كثيراً ما توصف بالبساطة وهي من بعد كانت لانتواء مع اصالة هذه المدينة ودورها الحضاري.

أولاً: طبيعة الخدمات العامة في مدينة الموصل:

كثيراً ما يعتمد المتخصصون في دراسة التخطيط الحضري والاقليمي طبيعة الخدمات العامة مؤشراً مهماً في تطور وتقدم المركز الحضري دون سواه، آخذين بنظر الاعتبار ان هذه الخدمات تمس كل الشرائح الاجتماعية التي تستقر في المدينة او ماجاورها. ومن المفيد ان نعطي لمحة عن طبيعة هذه الخدمات في المدينة خلال الفترات التاريخية حتى عام ١٩٨٩.

لمدينة الموصل نكهة خاصة في الدراسات العلمية تميزها عن بقية الدراسات الاخرى للمراكز الحضرية في القطر، وذلك لأصالة هذه المدينة وعراقتها. وبسبب من موقعها الجغرافي المتميز، فانها كانت مستهدفة من الطامعين، ولذلك فقد دخلتها قوات اجنبية، ولكن المدينة كثيراً ما كانت تصدهم وتطردهم.

وعلى الرغم مما تعرضت اليه هذه المدينة من نكسات فانها ظلت محافظة على شخصيتها الحضارية العربية الاسلامية بعامه، في وقت كانت - انذاك - الخدمات العامة فيها متواضعة وهي لا تتناسب مع قيمتها المكانية. وقد تعرضت هذه الخدمات الى حالة من التدهور خلال الحكم العثماني مع وجود فترات محدودة تطورت بها هذه

١. البريد والبرق :

من المعروف ان مدينة الموصل إرثاً حضارياً قديماً يعود الى الآشوريين. ومن ضمن المؤشرات الحضارية الآشورية الرائعة، هو الاتصال السريع بين الملك وموظفيه في المقاطعات حيث أُبتدع نظام خاص ورائع للبريد بين المقاطعات والعاصمة. فقد كان الاتصال بين المدن يتم بواسطة رسل فہم الراكض على الارجل ومنہم الراكب على الحصان ومنہم من كان يتسلق الجبال والمناطق الوعرة، ومن الرسل من كان يحفظ الرسالة على ظهر قلب زيادة في السرية والحفظ. وكان على الطرق المؤدية الى المدن الرئيسية محطات بريدية على أبعاد مناسبة وفي كل محطة ما يحتاجه المبعوث من غذاء وماء ومكان للتمبيت. كما كان فيها محلات خاصة لتبديل الحيوانات المتعبة، وهكذا كان الاتصال يتم بين الملك وموظفيه بسرعة فائقة ويسر.

وقد أولى الانابكيون البريد رعاية خاصة وكان ذلك في عهد عماد الدين زنكي، اذ كان شديد الولع بالاطلاع على اخبار البلاد، وكان يصل اليه البريد يومياً يحمل اليه اخبار بلاده وهو لذلك أعد الخيول والعدائين من الرجال والطيور- من الزاجل- لنقل البريد، ولهذا حافظت مدينة الموصل على اهتمامها بترية هذه الطيور حتى بعد انقراض الدول الانابكية^(١). وكانت ابراج الحمام منتشرة في مؤسسات الدولة، وقلما تخلو دار منها وللحمام من يتعهدا ويتولى أمرها وتديرها والاعتناء بها^(٢).

وفي خلال الحكم العثماني اعطيت وظيفة البريد وأوكلت الى « التاتار أغاسي » وهو الموكل بنقل البريد وله مكتب خاص على مقربة من قصر الوالي يدعى « قوتاق ططر اغاسي » كما يعرف بالمسؤول عن العناية الخاصة بالخيول والتي كانت معروفة آنذاك بـ « سروجي باشي »^(٣). وقد استخدمت الجندرية او الضبطية للمحافظة على

الجدول ١

المكاتب البريدية في المحافظة خلال ١٩٨٣ -

١٩٨٧

السنة	عدد مكاتب البريد	الصناديق البريدية				الوكالات البريدية
		العمومية		الخاصة		
		العمودية	الجدارية	الموجزة	الشاغرة	
١٩٨٣	٣١	١	٥٩	٨٧٥	١٧	-
١٩٨٥	٣٠	١٣	١٣	٩٤١	٣٨٣	٤
١٩٨٧	٣٠	١٦	٣٩	١١٠٨	٣٤٠	٩

الأمن وحراسة القوافل التي تحمل البريد بين المناطق المختلفة من الولاية^(٤). وفي سنة ١٨٧٠ أصبح مكتب البريد نشطاً اذ كان يعمل بمعدل رحلة في الاسبوع من بغداد - حلب^(٥).

ويوضح الجدول رقم ١ ان هناك ثباتاً باعداد المكاتب البريدية في المحافظة خلال الفترة الواقعة بين ١٩٨٣ - ١٩٨٧ مع زيادة واضحة في فتح الوكالات البريدية لتقديم خدماتها الى المواطنين والتخفيف عن المركز الرئيس^(٦) كما أن المحافظة نفسها « نينوى » تحتل المكانة الثانية في القطر بما تملكه من اعداد لمكاتب البريد- بعد العاصمة وهذه الاعداد هي (٣٠) مكتباً تمثل نسبة ١٠,٦ ٪ من اجمالي اعداد المكاتب في القطر والبالغة ٢٨٣. في حين ان المحافظة احتلت المكانة الثامنة في الوكالات البريدية في القطر والبالغة (٣٣) مكتباً لسنة ١٩٨٧ مما يوضح الاهمية التي تحتلها هذه المحافظة من جهة ومدينة الموصل بشكل خاص. وترداد اهمية البريد لحياة المواطنين اليومية بسبب اهمية الاتصالات ولذلك جهزت الدولة بعضاً من المحافظات بخدمة بريدية متطورة تعرف بالبريد الالكتروني وكانت التجربة محدودة على ثلاث محافظات هي بغداد والبصرة ونيوى كنتجربة حتى منتصف عام ١٩٨٥ وبسبب نجاح التجربة عُمت على كافة المحافظات

في القطر. كما في الجدول رقم ٢.

الجدول ٢

المكاتب البريدية - خدمة البريد الالكتروني

عام ١٩٨٧ (٧)

المحافظات	البريد الالكتروني	عدد أجهزة البريد الالكتروني	حركة البريد الالكتروني
دهوك	١	١	١٤٦
نينوى	١	٤	٢٠١٢
أربيل	٢	٢	٧٢
السليمانية	١	١	٢١١
التأميم	٢	٢	١٤٧
صلاح الدين	٢	٢	٨
ديالى	١	١	٥٦
الانبار	١	١	٢٦٣
بغداد	٣٧	٤٧	٣٨٢٠
واسط	١	١	١١٢٧
بابل	١	١	٨٥
كربلاء	١	١	٤٦
النجف	١	١	٢٤
القادسية	١	١	٣٢٢
الثنى	١	١	٩٦
ميسان	١	١	٣٦
ذي قار	١	١	٦٢٧
البصرة	١	٤	٢٢٠
المجموع	٥٧	٧٣	٩٣١٨

ويوضح الجدول (رقم ٢) مايلي :

١. تصدر محافظتي نينوى والبصرة - عدا العاصمة - بقية المحافظات بامتلاكها عدداً من الاجهزة البريدية المصورة الالكترونية قدرت بـ ٤ لكل منها.

٢. سجلت حركة البريد في محافظة نينوى تطوراً واضحاً في الخدمات اذ بلغت اعدادها ٢٠١٢ وهي تمثل نسبة ٢١,٦٪ من اجمالي حركتها في القطر لعام ١٩٨٧.

٣. ان حركة البريد المصورة قليلة، اذ بلغت ٢٠١٢ ومتوسط يومي ٥,٦ حركة يومية ويمكن

تبرير ذلك بكون التجربة في مرحلتها الاولى ومن المتوقع ان تزداد هذه الحركة في السنوات القادمة. وتجارباً مع المتطلبات الحضارية الحديثة فقد نجحت المنشأة العامة بتأمين خدمات بريدية سهلة الى المواطن عن طريق فتح وكالات البريد الاحلية التي تقوم بمهام بيع الطوابع وتسجيل المراسلات والتوزيع في المناطق التي لاتتوفر فيها مكاتب بريدية، وهكذا اصبحت اعداد الوكالات البريدية ٣٣ وكالة عام ١٩٨٧ بعد ان كانت اعدادها ١٤ وكالة عام ١٩٨٤.

وهكذا تطورت الخدمات البريدية في القطر عامة وفي محافظة نينوى خاصة، فبعد ان كانت الخدمات البريدية معتمدة اساليب بدائية عند اعتاب هذا القرن تحولت تلك الخدمات الى خدمات عصرية سريعة باستخدام البريد المصور (الالكتروني) اذ بمقدور المواطن ان يبعث رسالته الى اية محافظة لتسلمها فوراً.

ب. البرق والهاتف :

البرق وكان يعرف بالتلغراف ويرجع تاريخ دخوله الى العراق في عام ١٨٥٦ حيث تقدمت شركة البرق الهندية الاوربية الى شركة الهند الشرقية للحصول على الضمان المالي لد خط برقي في داخل العراق. وبدأ العمل في الخط بين بغداد - اسكوتاري عام ١٨٥٨ وتم أول اتصال للعراق مع العالم الخارجي عام ١٨٦١ وتمت أول مخابرة داخل العراق بين بغداد والبصرة في ٢٨ كانون الاول ١٨٦٥ (٨).

ولم يكد القرن التاسع عشر يشارف على الانتهاء حتى امتدت الخطوط التلغرافية الى معظم المدن العراقية وكانت استخداماتها مقتصرة في البدء على المخابرات الحكومية وسرعان ما انتشر استعمالها بين المواطنين.

وتطورت حركة البرق في المحافظة وذلك لظهور

مؤسسات علمية فيها مثل جامعة الموصل وكلياتها والمعاهد والمدارس والمؤسسات الصناعية الأخرى. هذا فضلاً عن أن المحافظة نفسها تعد مركزاً سياحياً مهماً مضافاً إلى ذلك أن عدد سكان المحافظة احتل المكانة الثانية في القطر بعد العاصمة، إذ بلغ تعداد سكان المحافظة ١,٦ مليون نسمة حسب تعداد ١٩٨٧. كل هذه المؤشرات عملت سوية لزيادة فهم واستخدام البرق للاتصال داخل القطر كما في الجدول رقم ٣.

الجدول ٣

اعداد البرقيات الداخلية في العراق ١٩٨٧^(١)

المحافظة	عدد البرقيات
بغداد	١٤١٤٠٣
نينوى	٣٣١٠٠
أربيل	٢٥١١١
الانبار	٢٦٣١٠
البصرة	١٠٦٢٠
بابل	٧٨٢٥
التأميم	٩٣٤٠
القادسية	١٣٨٠٠
ذي قار	١١٨٠٥
السليمانية	٦٣٣٠
النجف	١٠٢٨٠
كربلاء	٦٦٢٨
الثنى	٨٦٢٢
ديالى	٨٥١٥
ميسان	٦٠٢٠
دهوك	٤٥٤٠
واسط	٧٣١٠
صلاح الدين	١٢٣٧
المجموع	٣٣٨٨٠٦

وفهم من الجدول رقم ٣ ما يأتي :

تصدر محافظة نينوى بقية المحافظات، إذ بلغ عدد البرقيات فيها ٣٣١٠٠ وهي تمثل نسبة ٩,٨٪ من اجمالي اعدادها ٣٣٨٨٠٦ خلال سنة ١٩٨٧ وهي بذلك تكون المحافظة الاولى عدا العاصمة بغداد.

وبسبب الاهمية المكانية والسياسية للعاصمة، فقد احتلت المكانة الاولى وحظيت بعدد من البرقيات بلغت ١٤١٤٠٣ وهي تمثل نسبة ٤١,٧٪ من اجمالي اعدادها للسنة نفسها.

الهاتف :

تأسست في مدينة الموصل أول بدالة يدوية عام ١٩٣٦ وبسعة (٢٥) خطاً وتم نصب بدالة تلفونية ذات ٢٠٠٠ رقم وكذلك تأسيس محطة لاسلكية للاتصال مع تركيا في ١٤ نيسان ١٩٤٩^(١). وتم توسيع هذه البدالات على نحو تدريجي حتى جاء عام ١٩٥٦ ووسعت الى ١٠٠٠ رقاً. وفي العام نفسه تم نصب أول بدالة اتوماتيكية بسعة ٥٠٠٠ رقماً ووسعت في نفس عام ١٩٦٧ الى ١٠٠٠٠ رقم وهكذا تطورت انجازات الهاتف في المدينة حتى اوائل السبعينات اذ تم نصب بدالة نينوى بسعة ١٠٠٠٠ عام ١٩٧٦ وفي سنة ١٩٧٨ انشأت بدالة اليرموك الاتوماتيكية بسعة ١٠٠٠ رقم.

وتعد سنة ١٩٨٤ نقطة تحول في تاريخ الخدمات الهاتفية في مدينة الموصل وذلك لانشاء:^(١)

أ. مجمع مواصلات ابي تمام في الموصل الجديدة.

ب. مجمع مواصلات الزهور بسعة ١٠٠٠٠ رقم.

ج. مجمع مواصلات العشائر السبعة.

د. مجمع مواصلات برطلة.

وتوسعت الاعمال في عام ١٩٨٧ الى:^(٢)

الآخري فضلاً عن مشروع الهواتف الريفية التي يربط المحافظة بالوحدات الادارية بالاقتضية والنواحي.

وانتت مديرية اتصالات وبريد نينوى في نهاية العام ١٩٨٨ انجازها توسيع مشروع خطوط البدالات الهاتفية لعدد من الاحياء السكنية في الموصل وقضاء تلغروناحية القيارة بزيادة ٢٥٤٠ خطاً هاتفياً. (١٦)

الجدول ٤

تطور خدمات الهاتف في نينوى
خلال ١٩٨٣ - ١٩٨٧ (١٣)

السنة	اعداد الهواتف	الكثافة الهاتفية
١٩٨٣	٣٨٩١٦	٣,٠٠٠
١٩٨٤	٥٧٨٩٩	٤,٥
١٩٨٥	٦٨٢٥٣	٥,٣
١٩٨٧	٧٨٠٠٠	٦,٠٠٠
المتوسط العام للكثافة في القطر: ٦,٣٠٠		

الكهرباء
وفق أحد أبناء الموصل وهو «السيد مصطفى الصابونجي» في اوائل العقد الثالث من هذا القرن الى شراء بعض المحركات «دائمو» من الجيش البريطاني وباشر بتجهيز بعض البيوت والمؤسسات بالطاقة الكهربائية وتعاقد الصابونجي مع بلدية الموصل الانارة بعض الشوارع الرئيسة .
ثم نجحت البلدية بالتعاقد مع ثلاث شركات انكليزية بتأسيس مشروع للكهرباء. وفي عام ١٩٣٣ تم ارسال التيار الكهربائي وبحضور المحافظ «المتصرف» انذاك تحسين العسكري في ٣٠ حزيران ١٩٣٣. وفي ٢٥ تموز ١٩٣٣ بوشرياعطاء الكهرباء الى الاهالي ليلاً ونهاراً (١٧) وظلت هذه الحالة حتى سلم مشروع القوة الكهربائية السابق الى بلدية الموصل ١٩٦٦ وكان وقتها عدد المشتركين (٣٥٠٠٠) مشترك ارتفع هذا العدد الى (١٩٠٠٠) مشترك في عام ١٩٧٥ بسبب التوسع الذي حدث نتيجة توزيع الاراضي والاحياء السكنية في المدينة واطرافها. ونجحت المديرية في تطوير المشروع الكهربائي وحدث ذلك بنحو خاص بعد قيام ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ التي حققت الكثير للمدينة منها: (١٨)

١. تطوير شبكة الموصل القديمة واثارة الشوارع كافة
٢. ايصال الكهرباء الى كافة الاحياء الجديدة.
٣. انشاء محطة توزيع رئيسة في الجانب الأيسر

وقد شهدت خدمات الهاتف تطوراً كبيراً بعد انشاء مشروع التكامل الشمالي للكوابل المحورية وبسعة ٢٤٠٠ قناة هاتف قابلة مستقبلاً الى (٣٠) ألف قناة. كما تم انشاء بدالة تلغروالالكترونية وبسعة (٤) الف خط هاتفي مضافاً الى بدالة ابي تمام في الموصل بسعة ١٠ ألف رقم قابل للتوسع الى ٣٠ الف رقم (١٤).

وقد بلغت سعة الشبكة الهاتفية الأرضية ١٤ ألف خط هاتفي قابلة للتوسع الى ٢٠ الف خط ، ونصب اكثر من ٢٠ الف هاتف للمواطنين وربطت المحافظة بمشروع المايكرويف الوطني اضافة الى مشروع مايكرويف (١٥) الموصل - سوريا والموصل - تركيا وذلك لتحقيق الاتصالات الهاتفية والبرقية مع دول اوربا وتم تنفيذ مشروع الكابل المحوري الشمالي الذي يربط نينوى بالمحافظات

كانت هناك محاولات عدة لأبصال المياه الى مدينة الموصل ، حيث كانت تنقل المياه على ظهور الحمير أو الدواب. اما الفقراء فكانوا ينقلون المياه بأنفسهم الى دورهم. وترجع هذه المحاولات الى الولاة العباسيين الذين أولوا رعاية خاصة بشق المجاري وأبصال الماء الصالح للشرب ، وقد قام باجراء الماء في جوانب الموصل من قبل الحر بن يوسف عام ٧٢٤م^(٢٠) بشق جدول لنقل المياه عرف بنهر الحر، وبني الحرقصره المعروف بالمنقوشة عام ٧٢٤م.

وبجري هذا الجدول من دجلة وراء «دير مار ميخائيل» شمال مدينة الموصل بقرب موقع «قوجه مغارة» محاذياً الحايي المعروف «بحاوي الكنيسة» حتى يصل موقع «البنجه» ثم يدخل المدينة ويوزع المياه بواسطة أنابيب من الخزف على الدور^(٢١) وفضلاً عما تقدم فإن المياه كثيراً ما كانت توزع بالقرب بواسطة الحيوانات المستخدمة والتي تتجول بين أزقة ومحلات المدينة لتوزيع المياه على تلك الوحدات السكنية او للاستعمالات العامة.

ولعدم وجود مشاريع اسالة الماء سابقاً فقد عولجت مسألة توفير المياه بحفر الآبار في البيوت لكافة الاستعمالات ماعدا مياه الشرب والطبخ التي كان يوفرها السقاة من نهر دجلة كما ذكرنا. وقد اعتاد المواصله على نحت صندوق مجوف من حجر الحلان يسمى «المزلة» يوضع بجانب البئر للمنه بالماء تتقدمه قطعة اخرى مجوفة من الحجارة دائرية الشكل قليلة العمق تدعى «الانجاة» تستعمل لغسل الملابس عادة^(٢٢).

وفي سنة ١٩٢٧ تأسست دائرة اسالة الماء في المدينة واخذت على عاتقها توزيع المياه على الدور حيث شيد مهندس البلدية انذاك أرشد العمري خزاناً ، في أعلى جزء من المدينة على تل قلعيات ثم اختار عرصه على

٤. انشاء محطتين كبيرتين في الحمدانية وتل أسقف لنقل القوة الكهربائية الى المراكز الحضرية المجاورة لها.
وازدادت اعداد المشتركين للتزود بالطاقة الكهربائية كما هو موضح في الجدول رقم ٥ .

«الجدول ٥»

اعداد المشتركين في كهرباء محافظة نينوى
خلال ١٩٧٥ - ١٩٨٨^(١٩).

السنة	اعداد المشتركين
١٩٧٥	٤٦ ٥٠٠
١٩٨٤	١٧٥ ٤٣١
١٩٨٥	١٨٨ ٩٧٥
١٩٨٦	٢٠١ ٦٤٤
١٩٨٧	٢٠٨ ٩٦٠
١٩٨٨	٢١٢ ٥٧٠

ويمكن الاستفادة من الجدول اعلاه في توضيح ما يأتي :

١. يقدر متوسط النمو لاعداد المشتركين خلال الفترة الواقعة بين ١٩٧٥ - ١٩٨٨ بما يقرب ١٢٧٧٤,٦ مشترك سنوياً.
٢. وهذا يعني ان المتوسط الشهري لنفس الفترة تبلغ ١٠٦٤,٦ مشترك.
٣. وعليه فإن المعدل اليومي لاعداد المشتركين يبلغ ٣٥,٥ مشترك.

هذا وقد أسهمت مديرية الكهرباء في المحافظة بأبصال الخدمات الكهربائية الى كافة الوحدات الادارية من قرى وقصبات خارج مركز المحافظة ، فقد تمكنت المديرية خلال عام ١٩٨٥ بأبصال الكهرباء الى ٦٠ قرية وفي عام ١٩٨٨ الى مايقرب ٩٥ قرية.

«الجدول ٦»
تطور اعداد المشتركين في اسالة مدينة الموصل
خلال الفترة الواقعة
١٩٦٨ - ١٩٨٨

السنة	عدد المشتركين
١٩٦٨	٦٢٠٠
١٩٦٩	٧١٠٠
١٩٧٠	٨٨٠٠
١٩٧١	٩٧٠٠
١٩٧٢	١٠٤٠٠
١٩٧٣	١١٥٠٠
١٩٧٤	١٣٦٠٠
١٩٧٥	١٥٣٠٠
١٩٧٦	١٧٤٠٠
١٩٧٧	١٨٧٠٠
١٩٧٨	٢١١٠٠
١٩٧٩	٣٣٣٢٠
١٩٨٠	٢٧٠١٠
١٩٨١	٥٥٦١٠
١٩٨٢	٤٢٤٤٠
١٩٨٣	٤٧٧٦٠
١٩٨٤	٤٩٩٢٠
١٩٨٥	٥٩٦٢٠
١٩٨٦	٥٦٧٥٠
١٩٨٧	٥٧٥٦٠
١٩٨٨	٦٠٦٠٠

عن اكمال شبكات ومد خطوط اضافية للشبكات القديمة ومد خطوط للتقوية ونصب مضخات للتقوية وتحويل خطوط حسب متطلبات الاعمال فضلاً عن ايصال الماء الى المنشآت الحكومية والمدارس وغيرها، كما باشرت المديرية بانجاز مشروع ماء الساحل الايسر وبكلفة ٢٧,٥ مليون دينار.

دجلة قرب بناية «عيسى دده» فشيّد فيها بناية للمضخات ثم مد الانابيب في الشوارع والطرق العامة ثم أوصلها الى الدور والمقاهي والأماكن العامة في المدينة (٢٣).

وعليه فقد تعهدت اسالة الماء بنقل الماء، ولكن حاجة المواطنين للمياه في زيادة ملحوظة سيما بعد زيادة سكان المدينة، وتعتمد الاسالة على تحقيق خدماتها عن طريق مشروعين رئيسيين هما:

أ. المشروع الأول يقع في عين كبريت، في الجانب الأيمن من المدينة، وتقدر طاقته ب (١٢) مليون غالون يومياً.

ب. المشروع الثاني يقع في الجانب الأيسر وتقدر طاقته القصوى ب ٧,٥ مليون غالون يومياً.

وهناك مشروع ضخّم أنجز بنسبة ٩٠٪ حيث تم تركيب مكائن الضخ العالية والمشروع جاهز للاستعمال بعد أن تربط الانابيب بالحطة، وسينفذ هذا المشروع الجبار عندها سيحقق كافة احتياجات الساحل الايسر من المياه بل ويزيد عنها.

ومهما يكن فإن اسالة الماء في المحافظة تقدم خدمات كبيرة الى سكانها على الرغم من الطلب المتزايد عليها كما هو موضح في الجدول رقم ٦. ويستفاد من الجدول رقم ٦ مابيلي:

١. تعد سنة ١٩٨٨ سنة انجازات واضحة لاسالة الماء للمشاركين اذ بلغت الزيادة عما كانت عليه لسنة ١٩٨٧ بما يقرب ٣٠٤٠ مشتركاً.

٢. وهذا يعني ان المتوسط الشهري بلغ ٢٥٣,٣ مشتركاً. اي بمتوسط يومي ٨,٩ مشترك. ولاشك ان السنوات القادمة ستشهد تطوراً أكبر وذلك للتوسع الساحلي للمدينة ولظهور مراكز عمرانية جديدة في اطراف الساحل الايمن والأيسر.

هذا وقد قامت مديرية الماء والمجاري في محافظة نينوى بإيصال الماء الى المناطق السكنية في المحافظة وبلغت اطوال الشبكة ٩١٣٢٠ كيلومتر (٢٥) فضلاً

هذا وتقدر اطوال الانابيب المنجزة للاعوام التالية ١٩٨٤ و ١٩٨٥ و ١٩٨٦ بما يقرب ١٠٣٨٥ كيلومتر.

الخدمات الصحية :

تزدت اوضاع الموصل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعد سقوطها بيد المغول سنة ١٢٦١م. وكان للاحداث السياسية والعسكرية التي تعرضت اليها منذ ١٢٦١ وحتى ١٩٢١ انعكاسات سلبية على مستوى سكانها. ولم يكن مستوى الطب متقدماً من حيث القدرة على تشخيص الامراض وعلاجها وكان عدد المستشفيات قليلاً جداً والعناية بها محدودة. كما لم تبدل اية محاولات لتحسين التغذية العامة.^(٢٦) وكان الطب يقوم في اكثر الاحيان على الادوية النباتية. وكانت اكثر الاساليب العلاجية شيوعاً انذاك القصد والحجامة^(٢٧). ولقد تعرضت الموصل خلال العهد العثماني الى كثير من الكوارث الطبيعية كالفيلضان والابوة والمجاعات. فعلى سبيل المثال حدثت مجاعة مهلكة في الموصل سنة ١٨٢٧ نجّم عنها انتشار الطاعون^(٢٨). وخلال الحرب العالمية الاولى، حدثت مجاعة مروعة بدأت في خريف سنة ١٩١٧ ثم تفاقمت في الشتاء. ولقد أدت المجاعة ونفسيخ الجثث الى تفشي الابوة كالتيفوس والكوليرا والانفلونزا واستمرت حتى صيف ١٩١٨ وقضي فيها قرابة عشرة الاف نسمة^(٢٩).

وبعد ظهور العراق كياناً سياسياً سنة ١٩٢١، وتشكيل الحكومة العراقية الاولى برئاسة عبدالرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد اصبح لقضايا التعليم والصحة وزارة واحدة سميت وزارة المعارف والصحة العمومية وقد تسلم مسؤولية هذه الوزارة عزت باشا الكركوكي. وفي ١٢ ايلول ١٩٢١ اصبحت وزارة الصحة وزارة منفصلة وتولى الدكتور حنا خياط مسؤوليتها والى جانبه الكولونيل كراهام مستشاراً

بريطانياً للوزارة.

وسرعان ما تطورت النشاطات الصحية في العراق عامة في الموصل كانت هناك على سبيل المثال حملة ضد مرض الجدري «فبعد ان كان عدد المراجعين والمفحّين ٢٣٧٨ مراجعاً عام ١٩٢٤ ارتفع هذا العدد الى ١٨٠٣٦٤ مراجعاً عام ١٩٤٣»^(٣٠) وفي عام ١٩٤٣ انتشر مرض التيفوس وقامت الوقاية الصحية باتباع طرق علمية بفحص المرضى واجراء التحليلات المختبرية له واخبار الطبيب المعالج بالنتيجة.

وفي ١٢ حزيران ١٩٣٤ وضع الحجر الاساسي للمستشفى وافتتحت عام ١٩٣٩ بأسم المستشفى الملكي في الموصل. وبعد قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ أبدلت تسمية المستشفى ليكون المستشفى الجمهوري وكانت سعتها ٢٤٠ سريراً تطورت الى ٦٠٠ سرير، وفي عام ١٩٥٩ افتتحت مستشفى الاطفال وعدد اسرتها ١٥٠ سريراً وافتتحت كلية الطب في الموصل للعام الدراسي ١٩٥٩ - ١٩٦٠ وتم قبول ١٢٣ طالباً فيها.

وتطورت الرعاية الصحية في العراق عامة وفي محافظة نينوى خاصة بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ التي أولت رعاية المواطن رعاية خاصة وتمثل ذلك بزيادة اعداد المراجعين في العيادة الخارجية الواقعة قرب المستشفى ٣٩١٧٣١ أرتفع الى ٤٤٠١٣٢ لكل من عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ على الترتيب^(٣١).

وفي عام ١٩٧٤ افتتحت المستشفى العام وبلغ عدد المراجعين لنفس السنة ١٦٣٩ مراجعاً، وهناك مستشفيات عديدة في المحافظة منها : مستشفى الاطفال، الامراض الصدرية، الحميات، الولادة، الطب الذري، مستشفى صدام الحديثة بتجهيزاتها المتخصصة. المستشفى العام، الجمهوري، اي ان هناك ٨ مستشفيات تقوم بخدمة سكان المحافظة عامة ومركز المدينة

خاصة.

اما اطراف المحافظة فهناك مؤسسات صحية اخرى (مستشفيات) في كل من : مستشفى تلعفر، ومستشفى قره قوش، والشرقاط (التي كانت تابعة الى محافظة نينوى)، وعقرة، والشيخان، وتلكيف، وسنجار. وهناك مراكز صحية في سنوي والبعا وبعشيقه والحضر.

كما تخدم المحافظة مراكز متخصصة في رعاية الطفولة والامومة منها : في الزنجيلي، والدواسة، والبرموك، ورعاية الحوامل في الجامعة، والصحة المدرسية في الساحل الايسر، ورعاية ١ حزيران، ورعاية الخساء.

وتم فتح مختبر البيئة لفحص المياه والاغذية في المحافظة ومدى صلاحيتها للاستهلاك البشري وبعملية حسابية لتقويم العملية الصحية في المحافظة، شهدت المحافظة تطوراً كبيراً في الخدمات الصحية كما هو موضح في الجدول رقم ٧.

(٣٢)

ومن الجدول رقم (٧) يمكن ملاحظة ما يأتي :

١. تطور في اعداد الاطباء، فبعد ان كانت اعدادهم ١٤٣ عام ١٩٧٠، بما فيهم الاطباء الاختصاص والاطباء العامين واطباء الاسنان، ارتفع هذا الرقم ليصل الى ٥٠٠ طبيب خلال عام ١٩٧٧ ليقفز هذا العدد الى ١٥١٩ طبيباً عام ١٩٨٧، معنى ذلك ان متوسط النمو السنوي ١٩٧٠-١٩٨٧، بلغ ٨٤,٣ طبيباً.

٢. وبفعل الوعي الصحي للمواطنين وزيادة السكان ازداد اعداد المراجعين وبالتالي ازدادت حصة الطبيب الواحد، فبعد ان كانت حصة الطبيب الواحد ١ : ٦٣٦٤ مراجعاً انخفضت هذه الحصة لتكون ١ : ١٧٨٨ مراجعاً.

٣. وهناك تطور ملحوظ في اعداد الاسرة نتيجة فتح المستشفيات المتعددة في المحافظة فبعد ان كانت ١٢٢٤ سريراً خلال عام ١٩٧٠ ارتفع هذا

المؤشر ليكون ٢٨٩٧ سريراً عام ١٩٨٧.

٤. بلغ متوسط ما يصاب السرير الواحد من سكان المحافظة بما يقرب ١ : ٥٥٢ مراجعاً سنة ١٩٨٧ بعد ان كان ١ : ٧٤٣ عام ١٩٧٧.

٥. وبسبب ارتفاع مستوى الوعي الصحي في المحافظة ازداد اعداد المراجعين في المستشفيات، فبعد ان كان عدد المراجعين ٢,٤٧٣ مليون ١٩٧٠ ارتفع ليكون ٢,٧٩٧ مليون مراجع خلال عام ١٩٨٧ وهو ارتفاع محدود يؤثر الى ارتفاع الوعي الصحي للمواطنين، بعبارة اخرى ان الزيادة السنوية كانت بمعدل ١٩ مراجعاً سنوياً خلال الفترة ١٩٧٠-١٩٨٧.

٦. اما اعداد المستشفيات فهي الاخرى تطورت وتقدمت، فبعد ان كانت (٨) مستشفيات تخدم مركز المدينة حتى عام ١٩٧٠، ارتفعت اعدادها لتصل الى (٢٣) مستشفى ١٩٨٧. أي أن الزيادة كانت ٨ أضعاف تقريباً عما كانت عليه عام ١٩٧٠ وهي نسبة عالية، اذ من المعروف ان فتح المستشفيات يتطلب الى تهيئة كادر علمي ومهني وخدمي من نوع خاص، ولذا فإن هذه القفزة تعكس اهتمام الدولة بصحة المواطن بالدرجة الاولى.

ثالثاً: النشاطات والخدمات الاجتماعية والسياسية :

ان التنمية التي استهدفتها الثورة لم تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة بل شملت كافة مرافق الحياة الرعية، ومنها النشاطات الاجتماعية من أجل ان تكون عملية البناء واحدة، فالتنمية الاقتصادية بحاجة ماسة الى التنمية الاجتماعية وغير ذلك وعلى هذا فاننا سنسلط الضوء على ما يأتي :

١. الجمعيات والنوادي والمؤسسات الشبابية

٢. الخدمات السياحية والترفيهية

«الجدول ٧»

المؤسسات الصحية الخدمية في محافظة نينوى خلال ١٩٧٠ - ١٩٨٧.

١٩٨٧	١٩٨٦	١٩٨٥	١٩٨٤	١٩٨٣	١٩٨٢	١٩٨١	١٩٨٠	١٩٧٩	١٩٧٨	١٩٧٧	١٩٧٦	١٩٧٥	١٩٧٤	١٩٧٣	١٩٧٢	١٩٧١	١٩٧٠	
٧٣١	٧٢٧	٦٩٥	٤٧٩	-	-	٤٢٨	٢٣٤	٢٩٨	٢٥٣	٢٤٣	-	٢٤٨	٢٩٧	٢٠٨	١٧٨	٢٠٨	١٣٢	أطباء
١٠٧	١٠٣	٩٨	٩٣	٦٤	٦١	٤٨	٤٢	٢٩	٢٩	٣٢	١٨	١٥	١٣	-	-	-	-	أطباء اختصاص
٦٢٤	٦٠٢	٥٧٧	٢١٦	٢٤١	٢٠٠	١٨٥	١٩٢	٨٣	-	١٩٥	-	-	١٦٥	-	-	-	-	أطباء عامين
٥٧	٦٢	٦٦	٦٥	٣٨	٥١	٤٧	٧١	٣٩	٤٠	٣٠	٣١	٢٧	٢٧	١٤	١٢	١٧	١١	أطباء اسنان
٩١	١٠٤	٩٣	٨٣	٧٤	٧١	٦٩	٧٠	٨٣	٦٥	٧٨	٩٧	٨٤	٨٤	٢١	٢٠	١٩	١٨	الصيدالة
٢٣	٢١	٢١	١٧	١٧	١٧	١٧	١٥	١٥	١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١١	١١	٨	٨	المستشفيات
٢٨٩٧	٢٨٤٨	٢٢٢٣	٢١١١	٢١٣٤	٢١٢١	٢٠٩٩	٣٠٣٣	١٩٦٦	١٩٣١	١٨٩٦	١٥٧٦	١٥٤٠	١٤٧٦	١٢٧٦	١٢٥٩	١١٩٩	١٢٢٤	الاسرة
١٢	١٧	١٩	١٤	١٣	١٤	١٦	١٤	٢٠	٢٠	٢٠	١٦	١٤	١٩	٢٠	١٠	٩	٢	المستوصفات
٥٧	٧٠	٥٩	٣٠	٥٤	٣٠	٧٠	٩٢	٨١	٧٩	٧٤	٧١	٦٥	٦١	٦١	٥٨	٧	-	المراكز الصحية الفرعية
٢١	٢٢	١٧	٢٣	٢٣	٢٠	٢٥	٢٣	٢١	٢١	٢٥	٢٦	٢٣	٤٣	٢٣	٢١	٤	-	المراكز الصحية الرئيسية
٢٧٩٧	٢٩٤٢	٢٨٣٤	٢٨٣٢	٢٧٥٢	٣٤٧٢	٣٣٢٢	٣٣٢٢	-	-	-	٣٦٥٨	٢٧٤٦	٢٩١٢	٢٣٧٨	٢٤٤٩	٢٥٥٤	٢٤٧٣	عدد المراجعين بالالف
٢٤٨٩	٢٢٠٥	١٩٨٧	١٥٧٩	١٥٢٠	١٣٩٥	١٣٦٦	١٣٦٦	١٠٦٦	٨٣٨	١١٥٠	١٠٢٥	٩٩٩	٨٦٩	٦٩٠	٥١٢	٦٢٢	١٧٥	قوى المهن الصحية
٥٨٢	٥٨٦	٥٩٩	٥٧٨	-	٤٥٢	٤٢١	٣٧٦	٣٤٢	٣٣٦	٣٠٣	١٨٩	٢٦١	٢٣٤	-	-	١٦٢	١٥٨	المرضات
٥٩٦	٣٣١	٣٠٨	٢٦٩	-	٢٠٤	٢٠٣	٢٢٩	٢٠٩	٢٢٨	٢٦٥	٢١٨	٢١٠	١٨٧	-	-	١٨٤	١٣٥	المضامين
١٢	١٢	٩	١١	٩	٨	٩	٩	٥	٥	٥	٩	٨	٨	٥	٥	٥	٥	مراكز رعاية الامومة والطفولة
٧٢٤	٧٧٩	١٥١٩	٥٢٥	٦١١	٤٦٩	٤٦٩	٥٧٩	-	-	-	٤٣٦	٤٨٤	٨٤٥	-	-	-	-	عدد التلقيحات بالالف
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	٤٩	-	-	-	٥٠	عدد الصيدليات

أ. جمعية العلم :

تأسست عام ١٩١٤ وكان دورها تذكرة طلبة
المدارس بالدور الرائد والانساني للعرب ، ومؤسسها
ثابت عبدالنور.

١- الجمعيات والنوادي والمؤسسات الشبابية

من اهم الجمعيات العلمية التي ظهرت في
مدينة الموصل خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية
الاولى (٢٢) :

ب. النادي العلمي في الموصل :

تأسس في ١٩١٩ وكانت له نشاطات ثقافية. كما أصدر مجلة تحمل اسمه ونظم في مقره العديد من المحاضرات الثقافية والاجتماعية.

ج. النادي الادبي في الموصل :

تأسس في ٥ تشرين الثاني ١٩٢١، ومن مؤسسيه محمد رفوف الغلامي. وكان لهذا النادي نشاطات علمية وثقافية متعددة أبرزها، تنظيمه لحملة محو الامية في مدينة الموصل، وفتح دورات تقوية باللغة العربية، وعقد مناظرات وحلقات دراسية ثقافية.

وسرعان ما اتسعت دائرة الاهتمام بالثقافة فظهرت جمعيات عديدة خلال الفترة من ١٩٢١-١٩٥٨ وكان من جملة المنضوين تحت لوائها عدد من المثقفين من معلمين ومحامين واساتذة وكان هدف هذه الجمعيات هو هدف اجتماعي وتثقيبي (٣١).

وتطورت الاوضاع بشكل تدريجي حتى اواخر العقد السادس من هذا القرن وأولت ثورة ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ النشاطات الاجتماعية اهتمامها فظهرت مؤسسات متعددة الاغراض لكنها تصب في رافد واحد هو خدمة الجيل والجمتمع منها (٣٥) :

١. الاتحاد العام لشباب العراق :

حتى نهاية الستينات لم تتوافر للقطاعات الشبابية ما ينهض بها ويستثمر طاقاتها ولم تتوافر في القطر العراقي حركة شبابية تلعب دورها في استقطاب هوياتهم وتبرمج اهتماماتهم وفي ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٢ انبثق الاتحاد العام لشباب العراق.

٢. الطلائع والفتوة والشباب / نينوى :

وتأسست هذه المنظمة في أيلول ١٩٧٣ وذلك

لخدمة الاطفال الذين تقع اعمارهم بين ٩ - ١٤ عاماً وهذه المنظمة لها فروع في كافة انحاء المحافظة.

٣. اما الفتوة فتشكلت في ٨ شباط ١٩٧٨ ومهمتها استقبال الطلائع عند بلوغهم الرابعة عشر لتتواصل معهم الى سن السادسة عشر. اما منظمة الشباب فانبثقت في ٥ نيسان ١٩٨٠ ومهمتها استقبال الشباب بعد مرحلتهم العمرية : ١٤ سنة.

٤. الاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق / نينوى :

في ٧ شباط ١٩٨٤ تم دمج الاتحاد الوطني مع المنظمات الشبابية السابقة بمنظمة جديدة هي الاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق ولها فروع في كافة محافظات القطر وخلال السنة ١٩٩١ فك الدمج.

٥. مديرية الشباب : وهي تابعة الى وزارة الشباب ومرتبطة بمديرية الشباب العامة تأسست عام ١٩٧٠ وتقوم بتنفيذ الخطط لاعداد الشباب اعداداً قومياً ويتفرع منها :

ا. مركز شباب الموصل

ب. مركز شباب الثورة

ج. مركز شباب حي المشي.

د. مركز شباب تلعفر.

وجميع هذه المراكز هدفها رفع القدرات الشبابية في المجالات الثقافية الادبية والشعرية والخطابية والمجالات الرياضية على اختلاف تخصصاتها والمجالات الفنية بتشكيل فرق فنية ومسرحية وموسيقية واقامة المعارض من خياطة وتطريز للاناث واقامة المعسكرات لتدريب الشباب وخلق ملاكات وطنية لها القدرة في بناء حاضرم وكذلك تشجيع الموايات العلمية باختصاصاتهم المتعددة. ومن أهم الاندية الرياضية في المحافظة.

١. نادي الموصل الرياضي.

٢. نادي الفتوة الرياضي.

٣. نادي المشي الرياضي.

كل احتياجات السباح الذين يفيدون المحافظة خلال ايام السنة دون انقطاع عامة او خلال المناسبات الوطنية والاعياد الرسمية والعطل وقد وزعت هذه الخدمات على المدينة ، بساحلها الايمن والايسر. ولاجل ابصال ومراقبة هذه الخدمات بشكل صحي سليم قسمت مدينة الموصل الى ستة اقسام تخضع للمراقبة والتفتيش الصحي وهذه المراكز هي :

١. الساحل الايمن :

وتخدمه الاقسام التالية : الاولى والثانية والثالثة والخامسة

٢. الساحل الايسر.

وتخدمه قسمين هما : القسم الرابع والسادس كما في الجدول رقم ٨.

وتمارس هذه الاندية النشاطات الرياضية وهناك فروع لها في الاقضية. وجميع هذه الفروع تقع ضمن إشراف المديرية المرتبطة باللجنة الاولوية الوطنية العراقية التي تعمل على دعم هذه المؤسسات الرياضية والتي من شأنها رفع المستوى الرياضي في العراق.

وبالاضافة الى ماتقدم فهناك جمعيات علمية متخصصة في المحافظة تقوم بنشاطات علمية بين اعضائها ومنها على سبيل المثال لا الحصر. الجمعية الجغرافية ، اتحاد الادباء والكتاب ، جمعية المحاربين ، جمعية المؤرخين والاثاريين ، وغيرها.

٢- الخدمات السياحية والترفيهية :

وتشمل المؤسسات السياحية والترفيهية في مدينة الموصل ، وهي عديدة ويمتدورها ان تلي

(الجدول ٨)

المؤسسات الغذائية في مدينة الموصل للساحلين الايمن والايسر خلال ١٩٨٩ *

	الاستعمال	القسم الأول	القسم الثاني	القسم الثالث	القسم الرابع	القسم الخامس	القسم السادس	المجموع
١.	الاستعمال الغذائي	٦٩	٢٦	-	٣٧	٢٦	٧٠	٢٢٨
	المطاعم	١٥	٢٧	٢٥	١٧	-	-	٨٤
	الكباب والمشويات	١٧	٣٤	١٦	١٨	١٣	-	٩٨
	الساندويچ	٨	٤	٤	٣	-	١	٢٠
	الباجة	٤	-	٣	-	-	-	٧
	تشريب	١١٣	٩١	٤٨	٧٥	٣٩	٧١	٤٣٧
٢.	المجموع							
	الافران والحائز	٥	١٥	٦	١٥	٢	٩	٥٢
	فرن صمون	١٢	١٢	٦	٨	٧	-	٤٥
	فرن لحم بعجين	-	-	٣	٢	٧	-	١٢
	فرن خبز عربي	٥	-	١١	٨	٦	٩	٣٩
	فرن كيك	٣	١٥	٦	٥	-	٩	٣٨
	فرن خبز	-	-	-	١	-	-	١
	فرن قلي وشوي	٢٥	٤٢	٣٢	٣٧	٢٢	٢٧	١٨٥
	المجموع							

من عمل وحساب الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية ، ومراجعة السجلات المتفرقة لكل مركز في مركز صحة المدينة خلال نموز ١٩٨٩.

الجانب الايمن : يشمل الأقسام : الاول والثاني والثالث والخامس.

الجانب الايسر : يشمل القسمين : الرابع والسادس

ومن الجدول رقم ٨ يمكن ملاحظة ما يأتي :

أولاً : المؤسسات السياحية الخدمية الغذائية :

١. ان العدد الاجمالي لها « وتشمل مطاعم الكباب والسندويج والباجة والتشريب » ب (٤٣٧) خلال عام ١٩٨٩ وتوزعت بين الساحلين للمدينة.

حظي الساحل الايمن من المدينة باعداد بلغت ٢٩١ مؤسسة خدمية وهي تمثل ٦٦,٦٪ في حين حظي الساحل الايسر على عدد ١٤٦ وتمثل ٣٣,٤٪ من اجمالي اعدادها. مما يؤكد ان مركز المدينة يقوم بجذب السياح اليها دون المناطق الاخرى.

٢. تركز المحلات التي تباع الكباب والمشويات في الساحل الايمن وبلغ عددها ٦٧ محلاً يمثل ٨٠٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٨٤ في كافة انحاء المدينة. في حين بلغ اعدادها في الساحل الايسر ١٧ محلاً يمثلون نسبة ٢٠٪ من اجمالي اعدادهم. ٣. اما محلات السندويج « الاكلات الخفيفة » تركزت في الساحل الايمن باعداد ٨٠ وحدة بيع اي نسبة ٨١٪ من اجمالي اعدادها ٩٨ وحدة ، في حين حظي الجانب الايسر ب ١٨ وحدة وهي تمثل ١٩٪ من اجمالي اعدادها .

٤. وركزت محلات بيع الباجة في الساحل الايمن وبلغ عددها ١٦ محلاً اي نسبة ٨٠٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٢٠ وحدة ، وحظي الساحل الايسر ب (٢٠٪) من اجمالي اعدادها. ٥. وتخصص بيع التشريب بشكل ملحوظ ونسبة ١٠٠٪ من اجمال اعدادها البالغة ٧.

اما الافران والمخابز فلاحظ ان هناك توزيعاً جغرافياً متبايناً ، ويمكن الاستفادة من الجدول رقم (٨).

١. ان العدد الاجمالي لكافة الافران والمخابز على اختلاف تخصصاتها الوظيفية بلغ ١٨٥ وحدة

وظيفية ، حظي الساحل الايمن من المدينة ب ١٢١ وحدة وهي تمثل نسبة ٦٥٪ من اجمالي اعدادها ، في حين حظي الجانب الايسر بعدد ٦٤ ونسبة ٣٥٪ من اجمالي اعدادها عام ١٩٨٩.

٢. ويلاحظ ان الساحل الايمن من المدينة جذب نحوه اكبر الاعداد من الوحدات العاملة في « لحم بعجين والخبز العربي » وبلغ اعدادها ٣٧ و ١٠ ونسبة ٨٢ و ٨٣٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٤٧ لعام ١٩٨٩. في حين حظي الساحل الايسر بعدد من الوحدات ٨ و ٢ على الترتيب وهي تمثل نسبة ١٨ و ١٧٪ على التوالي .

٣. وجاءت اعداد الافران (المخابز) فحظي الساحل الايمن ب ٢٤ مخبزاً اي نسبة ٦٣٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٣٨ ، ويخدم الساحل الايسر ١٤ مخبزاً اي نسبة ٣٧٪ من اعدادها.

كما ويلاحظ ان هناك توزيعاً خاصاً في عرض المربطات والمثلجات ومراكز المشروبات الكحولية والمقاهي (الصيفية الموسمية والشتوية المغلقة) والملاهي فانها تتركز في مناطق معينة من المدينة دون غيرها كما هو واضح في الجدول رقم ٩ :

ومن هذا الجدول نلاحظ ما يأتي

١. ان مركز المدينة في الساحل الايمن ظل محافظاً على تصدره بقية المناطق الاخرى في الساحل الايسر، وتمثل ذلك بما احتوى على عدد من محلات المربطات - على اختلاف انواعها كما وردت في الجدول - بلغت ٩٩ وحدة في حين حظي الساحل الايسر على ٥٧ وحدة وهما يمثلان نسبة ٦٣,٨ و ٣٦,٢٪ على التوالي من اجمالي اعدادها العامة والبالغة ١٥٦ للمربطات والشربت والمثلجات وحدة خلال سنة الدراسة ١٩٨٩.

٢. كما يفهم ان عدداً كبيراً من بائعي المربطات تجمعوا في الساحل الايمن وبلغ عددهم ٨١ وحدة وهي تمثل نسبة ٦١٪ من اجمالي اعدادها البالغة ١٣٣ ، في حين حظي الساحل الايسر على ٥٢

(الجدول ٩)

توزيع المربطات والمثلجات والمقاهي والملاهي والمشروبات الكحولية ومحلات بيع
اللحوم ١٩٨٩^(٣٦)

الوظيفة	القسم ١	القسم ٢	القسم ٣	القسم ٤	القسم ٥	القسم ٦	المجموع
١. المربطات	٢٩	٣١	١٤	٢٨	٧	٢٤	١٣٣
الشربت والمثلجات	-	-	١	-	١٠	٥	١٦
معمل ثلج	-	٤	١	-	-	٢	٧
معمل البان	-	١	-	٢	-	١	٤
معمل بيرة	-	-	-	١	-	-	١
معمل خمور	-	-	-	-	١	-	١
٢. محلات اللحوم	-	-	-	-	-	-	-
تقطيع اللحوم	-	٣	-	-	-	-	٣
وكالة بيع الدجاج	٣	١	١	١	-	-	٦
الجزائرون	٤٧	٧٣	٦٨	٣٩	٢٦	٣٥	٢٢٨
علاوي الاسماك	-	-	١	-	-	-	-

الجانب الايمن : يشمل القسم الاول
والثاني والثالث والخامس
الجانب الأيسر: القسم الرابع والسادس.

وحدة وهي تمثل نسبة ٣٩٪ من اجمالي اعدادها
البالغة ١٣٣ وحدة.

٣. اما بقية الاصناف الاخرى فجاءت متقاربة
بعضها مع البعض نسبياً.

٤. وتركز اعداد الجزائريين في الجانب الايمن من
المدينة وبلغ عددهم ٢١٤ قصاباً اي بنسبة ٧٥٪
من اجمالي اعدادهم البالغين ٢٨٨ قصاباً. في حين
حظي الساحل الايسر على ٧٤ قصاباً اي بنسبة
٢٥٪ من اجمالي اعدادهم خلال سنة ١٩٨٩.

٥. اما محلات (علاوي) الاسماك فهناك علوة
واحدة رئيسة تقع في الجانب الايمن اي ان هذا
الجانب حظي على ١٠٠٪ من هذا النشاط.

ومن الجدول (رقم ١٠) نلاحظ ما يأتي :

١. جاء توزيع النوادي بشكل متقارب اذ
حظي كل من نوادى الجانبين الايمن والايسر من
المدينة بـ ٥ و ٦ وهي تمثل نسبة ٤٥ و ٥٥٪ على

الترتيب من اجمالي اعدادها البالغة ١١ نادياً.
٢. في حين جذب مركز المدينة ، والذي يخدمه
اربعة اقسام كما جاء ذلك في تصنيف صحة مدينة
الموصل ، جذب عدداً كبيراً من الفنادق بلغ
تعدادها ١٠٨ فندقاً وهي تمثل نسبة ٩٢٪ من
اجمالي اعدادها والبالغة ١١٦ فندقاً في حين حظي
الجانب الايسر بعدد من الفنادق بلغت ٩ اي بنسبة
تساوي ٨٪ من اجمالي اعدادها.
٣. وجاء الجانب الايسر ليحظى وبشكل
متميز على كل الدور السياحية والبالغة ٣٥ داراً اي
بنسبة ١٠٠٪. وذلك لتوفر المناشط السياحية فيه من
غابات وشلالات ، وغير ذلك.
٤. اما محلات التجميل العامة (الرجالية
والنسائية) فجاء توزيعها كالآتي :

أ. بلغ عدد محلات الحلاقة للرجال في المدينة
٢٠٨ محلات حظي الجانب الايمن على عدد كبير
منها ١٥٠ محلاً اي بنسبة ٧٢٪ من اجمالي

(الجدول ١٠)

الفنادق وصالونات التجميل ومراكز اللهو في مدينة الموصل ١٩٨٩*.

الوظيفة	القسم الأول	القسم الثاني	القسم الثالث	القسم الرابع	القسم الخامس	القسم السادس	الايمن	الايسر
١. الفنادق والوادي :	-	٥	-	٤	-	٢	٥	٦
الوادي	٧٤	٢٩	-	٧	٤	٢	١٠٧	٩
الفنادق	-	-	-	-	٣٥	-	-	٣٥
الدور السياحية	-	-	-	-	-	-	-	-
٢. صالونات التجميل والحمامات :	٤٠	٤٥	٣١	٢٢	٣٤	٣٦	١٥٠	٥٨
حلاقة للرجال	٧	١١	١٢	٣٠	٦	٤	٣٦	٣٤
حلاقة للنساء	٧	٦	٣	-	١	٢	١٧	٢
حمام شمسي	-	-	-	-	-	-	-	-
٣. مراكز اللهو :	٣	٩	-	-	-	-	١٢	-
السينما	٢	١	-	-	-	-	٣	-
الملاهي الفنية	٦٠	٧٩	٣٥	٣١	٣٥	٤٢	٢٠٩	٧٣
المقاهي والداخلية	-	-	-	١	-	-	-	١
مدينة الألعاب	٤	٢	٢	٢٣	-	-	٨	٤٣
٤. المقاهي الصيفية الموحية	-	-	-	-	-	-	-	-
المشروبات الكحولية :	-	-	-	-	-	-	-	-
معمل بيرة	-	-	-	-	-	-	-	-
معمل خمور	-	-	-	-	-	-	-	-

من عمل وحساب الباحث اعتماداً على الدراسة
الميدانية ، والمسح لمنطقة الدراسة خلال تموز ١٩٨٩ .
والسجلات المتفرقة في دائرة صحة مدينة الموصل .

الجانب الايمن : يشمل الأقسام : الاول والثاني
والثالث والخامس .

الجانب الايسر : يشمل القسمين : الرابع والسادس

اعدادها ١٢ و ٣ حسب الترتيب ونسبة ١٠٠٪
من اعدادها العامة في المدينة

ب. اما المقاهي وهي المتنفس المهم لسكان
المدينة ، وتنقسم المقاهي الى نمطين هما :

١. المقاهي الداخلية « الشتوية » اي المغلقة اذ
تتوافر فيها التدفئة شتاءً والهواء المبرد صيفاً ، فقد
حظي الجانب الايمن باكبر الاعداد ، وبلغت
٢٠٩ مقاهٍ اي بنسبة ٧٣٪ من اجمالي اعدادها في
المدينة والبالغة ٢٨٢ مقهى خلال تموز ١٩٨٩ .

٢. المقاهي الصيفية (الموسمية النشاط) وهي
الواقعة على ساحات مكشوفة او على صفاف نهر
دجلة وبلغ تعدادها ٣١ مقهى خلال فترة
الدراسة ، وحظي الجانب الايمن بـ ٨ مقاهٍ اي
بنسبة ٢٦٪ من اجمالي اعدادها ، في حين تركزت
اعداد كبيرة منها في الجانب الايسر بعدد ٢٣
مقهى اي بنسبة ٧٤٪ من اجمالي اعدادها عام
١٩٨٩ .

ج. اما مدينة الألعاب السياحية فقد تركزت

اعدادها ، وتمتع الجانب الايسر بـ ٥٨ محلاً ونسبة
٢٨٪ من اعدادها الكلية .

ب. اما اعداد محلات حلاقة النساء ، فجاء
توزيعها وبشكل متقارب ، اذ حظي كل من
الجانبين للمدينة بـ ٣٦ و ٣٤ للساحلين الايمن
والايسر على الترتيب ونسب ٥١ و ٤٩٪ من اجمالي
اعدادها البالغة ٧٠ محلاً على التوالي .

ج. اما الحمامات فقد حظي مركز المدينة
(الجانب الايمن) ، بالعدد الأوفر اذ بلغ تعدادها
على ١٧ حماماً اي بنسبة ٨٩٪ من اجمالي اعدادها
والبالغة ١٩ حماماً ، في حين كانت من حصة
الجانب الايسر (٢) حمامين اي بنسبة ١١٪ من
اعدادها العامة .

٥. في حين ان مراكز التسلية موزعة حسب
النمط الوطني الذي يؤدي ذلك النشاط وهي
كالآتي :

أ. جاءت كل من دور السينما والملاهي متركزة
في الجانب الايمن من المدينة (الدواسة) وبلغت

السنة في حين حظي الجانب الايسر على عدد من المحلات بلغت ٦ محلات اي بنسبة ٢٤٪ من اجمالي اعدادها.

٣. اما المحلات التي تخصصت بوظيفة تجهيز المواد الغذائية ومعامل التكوين فكانت هي الاخرى متركزة في الجانب الايمن وبنسبة ٨٣ و ٧٥٪ على الترتيب وهي كالآتي :

أ. حظي الجانب الايمن على عدد كبير من محلات تجهيز المواد الغذائية بلغت ٢٥ محلاً اي بنسبة ٨٣٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٣٠ محلاً في حين تواجد عدد منها في الجانب الايسر بلغ ٥ محلات اي بنسبة ١٧٪ من اجمالي اعدادها.

في الجانب الأيسر من المدينة وموقعها الجغرافي الناحج وعلى ضفة نهر دجلة في حين لم يكن للجانب الايمن اية مثل لهذه الوظيفة السياحية.

د. اما المعامل المنتجة للمشروبات الكحولية ، فقد وزعت مناصفة لكل من الجانبين تماماً اذ وصل كل منها على معمل واحد اي بنسبة ٥٠٪ تماماً.

والجدول رقم ١١ يفصح عن الملاحظات التالية :

١. حظي الجانب الايمن من مركز المدينة على معظم الخدمات الوظيفية وتراوحت ما بين ٥٠ - ١٠٠٪ من اجمالي الوظائف كما هو الحال في كل من معامل الجبس والقهوة مثلاً وعلى الترتيب.

(الجدول ١١)

بعض الخدمات الغذائية الوظيفية في مدينة الموصل ١٩٨٩ (٣٧)

الوظيفة	القسم ١	القسم ٢	القسم ٣	القسم ٤	القسم ٥	القسم ٦	المجموع
١. محلات الحلويات	٩	-	١٠	٦	-	-	٢٥
٢. معمل حلويات	١٤	٣٢	-	٤	٤٢	٣	٩٥
٣. تجهيز المواد الغذائية	-	-	٢	٣	١٣	٢	٢٠
٤. معمل التكوين المنزلي	-	٢	١	١	-	-	٤
٥. محلات الطرشي	٦	١١	٥	١	٦	١	٣٠
٦. معمل جبس	-	-	١	١	-	-	٢
٧. معمل قهوة	١	-	-	-	-	-	١

ب. اما معامل التكوين المنزلي ، فقد تركزت في الجانب الايمن بعدد ٣ أي بنسبة ٧٥٪ من اجمالي اعدادها ٤ ، في حين كان عددها في الجانب الايسر ١ أي بنسبة ٢٥٪ من اجمالي اعدادها.

٤. اما محلات الطرشي فقد تركز وجودها في الجانب الايمن بـ (٢٨) محلاً اي بنسبة ٩٣٪ من اجمالي اعدادها ، في حين حظي الجانب الايسر بعدد (٢) أي بنسبة ٧٪ من اعدادها البالغة ٣٠ محلاً .

٢. اما معامل الحلويات فقد حظي الجانب الايمن على عدد كبير بلغت ٨٨ معملًا اي بنسبة ٩٣٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٩٥ خلال عام ١٩٨٩ ، في حين انخفضت هذه الاعداد في الجانب الايسر لتصل الى ٧ معامل وهي تمثل نسبة ٧٪ من اجمالي اعدادها.

اما المحلات الخاصة بالحلويات فتجد انها تركزت في الجانب الايمن بعدد ١٩ محلاً اي بنسبة ٧٦٪ من اجمالي اعدادها البالغ ٢٥ محلاً لنفس

١٧. احمد علي الصوفي : « تاريخ بلدية الموصل » ، مطبعة الجمهور ، الموصل ١٩٧٠ ، ص ٤٠.
١٨. عبد الجبار محمد جرجيس : « دليل الموصل السياحي » محافظة نينوى ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٩٧٥ ، ص ٥٢٤.
١٩. الكهرباء الوطنية في محافظة نينوى قسم التخطيط والمتابعة ، سجلات منفردة.
٢٠. احمد علي الصوفي : « حكايات الموصل الشعبية » ، مطبعة الرابطة : بغداد ١٩٥٣ ، ص ٨.
٢١. احمد علي الصوفي : « تاريخ بلدية الموصل » الجزء الاول ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٩٧٠ ، ص ١٨.
٢٢. د. عامر سليمان واخرون : المصدر السابق ، ص ١٥٢.
٢٣. د. جعفر خصباك : « العراق في عهد النور البهلخانيين » ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٢١٩.
٢٤. المنشأة العامة للمجاري ، اسالة المياه ، محافظة نينوى ، سجلات منفردة.
٢٥. د. عامر سليمان واخرون : المصدر السابق ، ص ٣٤٧-٣٤٨.
- (٢٦) انظر : خصباك ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩.
- (٢٧) عباس الغزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٤ ، ص ٤٣٧.
- (٢٨) للتفاصيل انظر : ستيفن هسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، ط ٥ ، (بغداد ، لات) ، ص ١١٩-٣٠٠.
- (٢٩) للتفاصيل : انظر : ابراهيم خليل احمد ، ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٢٠٦-٢٢١.
- (٣٠) موبيس دير هاكوبيان ، حالة العراق العلية في نصف قرن ، دار الحرية ، سلسلة دراسات رقم ٢٦٠ ، بغداد ١٩٨٠ ، ص ٢٠٠.
- (٣١) عبد الجبار محمد جرجيس ، المصدر السابق ، ص ٢١٦.
- (٣٢) من عمل وحساب الباحث.
- (٣٣) ابراهيم خليل احمد ، الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية ، موسوعة حضارة العراق ، الجزء ١٣ ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٤٨.
- (٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٥.
- (٣٥) الاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق ، لغات من تاريخ الحركة الطلابية والشبابية في العراق ، مطبعة دار القادسية ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٢٢.
- (٣٦) من عمل وحساب الباحث اعتماداً على الدراسة والمسح الميداني ، ومراجعة السجلات المنفردة في صحة مدينة الموصل خلال شهر تموز ١٩٨٩.
- (٣٧) المصدر نفسه.
١. سعيد الديوه جي : « الموصل في العهد الاتونكي » ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٥٨ ، ص ٧٣.
٢. المصدر نفسه ، ص ٧٤.
٣. كوركيس عواد : « مدينة الموصل » ، مديرية الآثار العامة ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٥٩ ، ص ٨.
٤. المصدر نفسه.
٥. احمد الصوفي : « الآثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل » ، المطبعة العلمية ، حلب ، دون سنة طبع ، ص ١١.
٦. من عمل وحساب الباحث اعتماداً على البيانات التالية :
أ. وزارة النقل والمواصلات ، المؤسسة العامة للبريد والبرق والمخاتف التقرير السنوي لعام ١٩٨٣ ، بدلالة جدولتي رقم ٢ و ٣ على صفحتي ٥٥ و ٥٩ على الترتيب.
ب. المصدر نفسه ، التقرير السنوي لسنة ١٩٨٥ بدلالة جدول رقم ٢ ص ٩١.
ج. المصدر نفسه ، التقرير السنوي لسنة ١٩٨٧ بدلالة جدول رقم ١ ص ٦٢.
٧. الجمهورية العراقية وزارة النقل والمواصلات ، المنشأة العامة للاتصالات والبريد ، قسم التخطيط والمتابعة ، وحدة الاحصاء ، « التقرير السنوي ١٩٨٧ » ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، بدلالة جدول ٢ ص ٦٣.
٨. تيمر طه ياسين : « بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ » رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية ، الدراسات التاريخية ١٩٨٤ ، ص ٦٥.
٩. الجمهورية العراقية ، وزارة النقل والمواصلات ، المنشأة العامة للاتصالات والبريد ، « التقرير السنوي ١٩٨٧ » ، قسم التخطيط والمتابعة ، وحدة الاحصاء ، الدار العربية للطباعة ١٩٨٨ ، ص ٤٧.
١٠. جريدة الجمهورية العراقية العدد ٧١٤٩ في ١٤ نيسان ١٩٨٩ ، بغداد ، ص ١٠.
١١. عبد الجبار محمد جرجيس : « نينوى في عامين ١٩٨٤-١٩٨٥ » ، الموصل ١٩٨٦ ، ص ١١٧.
١٢. الجمهورية العراقية ، وزارة النقل والمواصلات ، المصدر السابق ، ص ٥٢.
١٣. الجدول من اعداد الباحث : اعتماداً على وزارة النقل والمواصلات ، التقرير السنوي ١٩٨٣ ، ص ١٨. والتقرير السنوي ١٩٨٥ ، ص ٣٢. والتقرير السنوي ١٩٨٧ ، ص ٤١ اما بالنسبة للكتابة الحاتية فهي من حساب الباحث وكما يلي :
الكتابة الحاتية : عدد الهواتف لكل ١٠٠ شخص.
١٤. د. عامر سليمان واخرون : « محافظة نينوى بين الماضي والحاضر » ، محافظة نينوى ، الحكم المحلي ، مهرجان الربيع ، الموصل ١٩٨٦ ، ص ٣٦.
١٥. المصدر نفسه.
١٦. جريدة الجمهورية ، المصدر السابق ، ص ١٠.

التخطيط الحضري والعمراني لمدينة الموصل

خطط مدينة الموصل منذ مطلع القرن العشرين

داود سليم عجاج

تمهيد :

الجانب الايسر ان نهر دجلة يلتف حولها مما اسبغ عليها أحد مسمياتها (الحدباء) .

وكان هناك تجمعاً سكانياً صغيراً على الجانب الايسر يبعد عن المدينة المسورة بحدود كيلومترين متمثلاً بمنطقة النبي يونس . لذا يمكن القول ان المدينة الحالية نشأت من نواتين هما الموصل القديمة ومنطقة النبي يونس .

شكل المدينة :

كان شكل المدينة لغاية عام ١٩٣٤ شبه دائري طبقاً لـ مسار محيط السور (الخارطة المرفقة) وبسبب انتفاء قيمته التحصينية فقد تم هدمه كلياً مما فصح المجال للحيز المكافي ان يمتد بمختلف المحاور خلال السنوات الأخيرة من هذه المرحلة خارج مسار السور، ولم يتغير بذلك شكل النمو المساحي العام للمدينة الا قليلاً إذ كان من نوع التخط التراكمي حيث تم على المساحات الشاغرة داخل المدينة المسورة وكذلك عند مشارفها^(١) .



المنطقة المبنية من مدينة الموصل حتى ١٩١٤ .

يتناول المبحث خطط مدينة الموصل المعاصرة بعد عام ١٩١٤ وحتى عام ٢٠٠٠ . وللتطورات السريعة التي طرأت على خطط المدينة خاصة في السنوات الأخيرة من حيث نموها السكاني، وتوسعها المساحي وانماط شبكة الشوارع وقطع الاراضي والابنية واستعمالات الارض المختلفة فقد امكن تمييز اربع مراحل مورفولوجية خلال هذه الفترة التاريخية . وقد اتفقت مراحل تطورها العمراني مع التعدادات السكانية الرسمية التي اعتمد عليها في تحليل مختلف التغيرات والتطورات التي اسهمت في تشكيل معالم خطة المدينة :

المرحلة المورفولوجية الاولى	١٩١٤ - ١٩٤٧
المرحلة المورفولوجية الثانية	١٩٤٧ - ١٩٥٧
المرحلة المورفولوجية الثالثة	١٩٥٧ - ١٩٧٧
المرحلة المورفولوجية الرابعة	١٩٧٧ - ٢٠٠٠

المرحلة المورفولوجية الاولى ١٩١٤ - ١٩٤٧

موضع المدينة :

كانت مدينة الموصل خلال هذه المرحلة حيزاً حضرياً يحيط اطرافه بقايا السور القديم الذي هدم معظمه عام ١٩١٤^(١) . ويظل القسم الاعظم من المدينة بصورة مباشرة على جانب نهر دجلة الأيمن بحيث اصبح هذا الموضع فريداً ، فهو يرتفع عن مستوى النهر وينتهي بحافات عالية مما يوفر لها الحاية الطبيعية ضد اخطار الفيضان فكان موضعاً ملائماً جداً للنمو الحضري . وتبدو للناظر القادم من

مساحة المدينة :

غطت حدود بلدية الموصل في هذه المرحلة مساحة ٣٥ كم^٢ تقريباً وهي المساحة التي تخضع للقوانين البلدية ، إلا أن حدود المدينة المبنية اقتصر على مساحة صغيرة منها شملت على ما يطلق عليه حالياً المدينة القديمة والتي تقدر مساحتها بـ ٢١٥ هكتار اي (٢,١٥) كم^٢ مضافا اليها ٥٥,٥٥ كم^٢ من الاراضي التي كانت شاغرة في شمال وشرق المدينة المسورة متمثلة باراضي الميدان والشيخ فتحي وتل كناس ، وبذا تكون المساحة المبنية داخل السور بمحدود ٢,٧ كم^٢ . وقد خرج اطار النمو المساحي عن سور المدينة في السنوات الاخيرة من هذه المرحلة بامتدادات حضرية نطاقية شملت كل المحاور ومساحة بلغت ٢ كم^٢ فاصبحت المنطقة المبنية على الجانب الايمن بمحدود ٤,٧ كم^٢ اما الجانب الأيسر فكان يشمل في بداية المرحلة مساحة تقدر بـ ٠,١ كم^٢ توسعت الى ٠,٤ كم^٢ في نهاية المرحلة . وبذا يكون صافي مساحة المناطق المبنية في المدينة بمحدود ٥,١ كم^٢ نهاية هذه المرحلة .

السكان :

قدر عدد سكان مدينة الموصل بمحدود ٩٨,٠٠٠ نسمة حسب احصاء النفوس العراقية الذي جرى للفترة ١٩٢٢ - ١٩٢٤^(١) . اما نتائج التسجيل لعام ١٩٢٧ - ١٩٢٩ فقد حدد سكان المدينة بـ (٧٩٨٤٢) نسمة^(٥) . واذا اعتمدنا على الاحصاء الاخير على انه التقدير الأحدث عهداً للنصف الاول من هذه المرحلة والتي كانت المدينة فيه مقتصرة الى حد كبير على المدينة القديمة بمساحتها البالغة (٢١٥) هكتاراً فان الكثافة السكانية ستكون بمحدود (٣٧١) نسمة في الهكتار وهذه تعد من الكثافات السكانية العالية جداً لأن ما يصيب الفرد الواحد يقدر بـ (٢٧) م^٢ من الأرض الحضرية .

وقد نما سكان المدينة في نهاية المرحلة حتى وصل عددهم الى (١٣٢٧٤٦)^(٦) نسمة عام ١٩٤٧ أي ان مقدار الزيادة عن احصاء عام ١٩٢٧ مايقارب (٥٢٩٠٤) نسمة وبلغت نسبة الزيادة السنوية بمحدود ٢,٧٪ مما انبثق عليه الحاجة الى تطوير المناطق الزراعية القليلة الارتفاع الواقعة شمال وجنوب موضع المدينة القديمة . وكذلك ظهرت الحاجة الى تطوير الجانب الأيسر من النهر ، والتوسع في هذا الجانب يتطلب مواجهة خطر الفيضان الذي يسببه كل من نهر دجلة ووادي الخوصر .

وهنا لا بد من الإشارة الى ان محلات المدينة القديمة إستحوذت على معظم سكان المدينة بواقع ١٠٦,٥٥٩ نسمة من أصل ١٣٢٧٤٦ نسمة أي بنسبة ٨٠٪ من المجموع الكلي للسكان .

استعمالات الارض :

اهم الاستعمالات التي شكلت النسيج الحضري لمدينة الموصل هو الاستعمال السكني والنقل والتجارة والصناعات الحرفية والخدمات الدينية والتعليمية .

أولاً : الاستعمال السكني :

أ - المحلات السكنية :

كانت المدينة تتألف من المحلات السكنية القديمة والمحلة السكنية تتكون من تجمعات للبيوت الموصلية التقليدية ، وكانت تستند على العوامل الاجتماعية بالدرجة الرئيسية كالذهب والعشيرة . وقد انتظمت هذه المحلات بهذا الاسلوب بحيث كانت لها خصوصية مستقلة ومنفصلة عن المحلات الاخرى بالطرق الرئيسية ، واجزاء كل محلة ترتبط بأرقة غير نافذة وبالطرق الحلقية . وتمثل المحلة وحدة حضرية ضمن تركيب المدينة ولها قابلية على اشباع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية لسكنة المحلة .

وقد أظهر المسح الذي قام به Rittemdsterk الألماني عام ١٩١٧ أن المدينة كانت تتألف من ٣١ محلة داخل السور باستثناء محلة عمر المولى (شيخ عمر حاليًا) وكانت تضم أيضاً منطقة باب الطوب خارج حدود السور فضلاً عن ظهور بوادر التوسع في منطقة النبي شيت والعكيدات ومحلة باب الجديد وإلى الجنوب من المناطق الأخيرة كانت تنتشر البساتين تتخللها بعض الدور المستقلة.

وبعد الحرب العالمية الأولى ونتيجة للاستقرار النسبي ونمو السكان فقد بُدئ بتعمير الأراضي الشاغرة داخل المدينة القديمة واستمر توسعها خارج محيط السور حتى أصبح عدد المحلات السكنية ٤٣ محلة عام ١٩٤٧ منها ٤١ محلة على الجانب الأيمن تضم المحلات القديمة إلى جانب المحلات الجديدة وهي محلة النبي شيت والعكيدات والمحطة والغزلاني^(٧) وبلغ مجموع عدد سكانها ١٩,٩٢٧ نسمة، كما اكتملت عمرانياً وسكانياً كل من محلة الشيخ فتحي ومحلة المشاهدة وباب الطوب وباب السراي والتي كان لكل منها نواة منذ عام ١٩١٧. وقد أفرزت محلة باب البيض إلى محلتين محلة باب البيض الشرقي ومحلة باب البيض الغربي، كما بوشر باغراز أراضي منطقة الدواسة في نهاية هذه المرحلة.

أما الجانب الأيسر فظهرت فيه لأول مرة محلتا نينوى الشمالية والفيصلية وبلغ سكانها (٦٢٦٠) نسمة عام ١٩٤٧ وهو المجموع الكلي لسكان الجانب الأيسر انتشروا على مساحة (٤٠) هكتاراً بحيث أن ما يصيب الفرد الواحد محدود (٦٤) م^٢ وهو أفضل كثيراً مما عليه الحال في المدينة القديمة (٢٧) م^٢.

وأخيراً يمكن القول إن الغالبية العظمى من سكان المدينة كانوا يتركزون في الجانب الأيمن بنسبة ٩٥,٣٪ في حين لم يساهم الجانب الأيسر سوى ٤,٧٪ من المجموع الكلي لسكان المدينة. وإن التوسع العمراني لهذه المدينة تم بصورة تدريجية ابتداءً

بأعمار الأراضي الشاغرة ضمن المدينة القديمة ثم تحول باتجاه الأراضي الواقعة خارج آثار السور القديم.

ب- نمط قطع الأراضي:

قطع الأراضي ضمن هذه المرحلة تتألف بالدرجة الأساسية من القطع السكنية للبيوت الموصلة التقليدية وقطع الأراضي المشيدة عليها العائثر الدينية والمحلات والخانات التجارية والأبنية الحكومية.

وبالامكان ان نميز نمطين من الأراضي:

- النمط القديم (التقليدي):

وهو النمط المسيطر خلال هذه المرحلة واتصف بما يأتي:-

- لم تخضع قطع الأراضي السكنية لنظام هندسي معين من حيث الشكل بل اخذت اشكالاً بعيدة عن الاشكال الهندسية المتعارف عليها المربع والمستطيل لكون جذورها تمتد الى فترة سبقت اشراف البلدية عليها مما نتج عنه ظهور البلوكات السكنية بعيدة عن التناسق والانتظام.

- اتصفت قطع الأراضي السكنية بصغر مساحتها وهي بالمعدل تتراوح بين ١٠٠ - ٢٠٠ م^٢ وفي الوقت نفسه كانت هناك قطع صغيرة تصل الى اقل من ٤٠ م^٢ وقطع سكنية اخرى تزيد عن ١٠٠٠ م^٢ وهذا التباين يحدده المستوى المعاشي والمزلة الاجتماعية للأسرة.

- كانت قطع الأراضي المخصصة لتأدية وظائف دينية وإدارية أكثر انتظاماً وأكبر مساحة تناسب مع طبيعة وظائفها. أما التجارية منها فكانت أيضاً متناسقة إلى حد ما ومختلفة في مساحتها.

- النمط المخطط:

بدأ العمل فيه في مطلع الاربعينات ويتزامن مع تشريع قانون الطرق والأبنية رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٥ وتمثل بالمحلات السكنية الجديدة التي

ظهرت خلال السنوات الاخيرة من هذه المرحلة
وانتصف بالآتي :

• خضوع عمليات الافراز الحديثة الى الاشراف
والتنفيذ من قبل البلدية وتبعت اساليب حديثة
في الافراز لوجود ملاك فني متمكن في هذا
المجال واستخدام آلات المساحة الحديثة لهذا
الغرض .

• تميزت القطع بأشكال هندسية منتظمة وحافات
واجهاثها مستقيمة تتأشى مع استقامة الشوارع
وهي ذات اشكال مربعة او مستطيلة لذا
ظهرت لأول مرة البلوكات السكنية المخططة ،
اتسمت باتساع مساحتها نسبياً فهي تتراوح
ما بين ١٥٠ - ٢٠٠ م^٢ .

ج- الإستعمال السكني :

احتل الاستعمال السكني في نهاية هذه المرحلة
أكثر من ٨٠٪ من مساحة الأرض الحضرية حيث
بلغ عدد المساكن ١٣٩٧٧ مسكن منها ٩٨١٦
تسكنها أسرة واحدة بلغ افرادها ٦٢٦٦٢^(٨)
ساكناً وما يصيب المسكن الواحد كمعدل ٦,٤ فرد
وكان هناك ٤١٦١ مسكناً تسكنها ١١٩٤٢ أسرة
نفوسها ٥٩٩٢٣ ساكناً أي ان ما يصيب المسكن
الواحد كمعدل ١٤,٤ فرد وهذا مؤشر على ارتفاع
حصة الوحدة السكنية من شاغلها وكان هناك
١٠٧٣٧ يسكنون في اكواخ حكومية واهلية ودينية .
والطابع العام المميز لمعظم البيوت هو انها تتألف من
طابق واحد أو طابقين . اما مادة البناء فهي بصورة
رئيسية قطع الحجارة والجص وتؤلف نسبة تقدر بـ
٩٠٪ من مجموع عدد الدور السكنية في تلك
المرحلة .

ان دور المدينة القديمة من حيث النوعية تتصف
بسماة جمالية وفنية وهو يعكس التراث الحضاري
والتاريخي الغني .

ثانياً : النقل :

أ- نظام الشوارع :

نمط الشوارع العام الذي كان سائداً في هذه
المرحلة هو النمط العضوي^(٩) وكان ينمو بشكل
متدرج يتأشى مع نمو حاجة السكان وايضاً
مستفيداً من الممارسات العمرانية العقلانية التي
اكتسبت وتبلورت على مر الاجيال ومن مشاهدة
الخارطة التالية يتضح ان نمط شوارع مدينة الموصل
كان مشابهاً لشجرة كبيرة ذات تفرعات كثيفة تمتد
في كل الاتجاهات ولاعطاء صورة واضحة فقد
اخترت مساحة محددة لمنطقة السوق القديم
(الذي اعتبر ولا يزال بؤرة النشاط التجاري في
المدينة) وجانب من محلة الميدان لعام ١٩٢٢
ومن تحليلها يتضح ما يأتي :

١- اتجاهات ومسارات الشوارع غير واضحة
الاتجاه وربما كان السبب التقليل من سرعة
هبوب الرياح خلالها شتاءً ولتشكيل مناطق
ظل وضياء ضمن الشارع الواحد وجزئياً
لغياب التخطيط العمراني فيها .

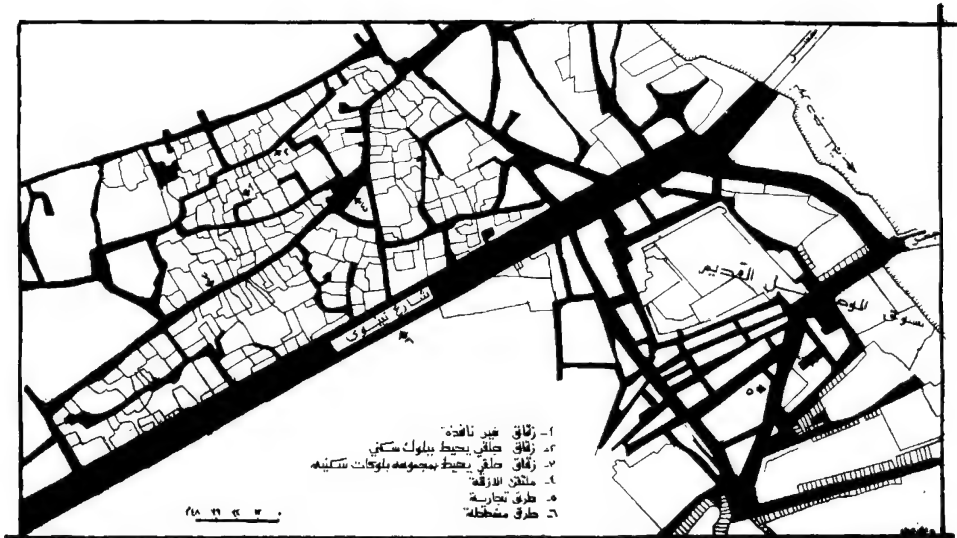
٢- تباين اتساع الطريق الواحد في نقاط مختلفة
فتارة يضيق وتارة اخرى يتسع . هذا
الاختلاف يعطي مظهراً عمرانياً متنوعاً بعيد
عن الرتابة .

٣- انها ضيقة نسبياً قياساً للطرق الحديثة ، الا
أنها كانت فعالة وملائمة لحركة المشاة
وحوانات الحمل والعربات الخشبية التي
تمثل وسائط النقل الرئيسة آنذاك .

٤- اتصفت بعض الشوارع بوجود القناطر
«غرف فوق الشوارع» يستريح تحها من يمر
من السابلة^(١٠) .

يتضح من الخارطة ان هناك ستة مستويات
للشوارع حسب اتساعها تتمثل في ما يأتي :-

أ- شوارع ضيقة غير نافذة (مقفلة) تخترق



المصدر: بحريه الطابع والمقياس ١:٤٠٠٠

- نمط الشوارع ونمط الأراضي السكنية والتجارية.

وايضاً تتصف بالعرض حيث يصل اتساع بعضها الى ١٠م لتسهيل حركة المتسوقين ووسائل النقل ولتسهيل عمليتي الشحن والتفريغ.

و- الشوارع المخططة: وهي الشوارع التي اشرفت على تنفيذها بلدية الموصل التي تأسست عام ١٨٦٩م ومن مهامها تنظيم الخرائط والمخططات للشوارع^(١١) واتسمت هذه الشوارع بالاستقامة والاتساع آخذة بنظر الاعتبار التطور الحاصل في وسائل النقل الحديثة. واهم الشوارع المخططة حسب قدمها شارع الصوافة وجزء من شارع ابن الاثير الحالي وشارع القشلة (العذالة حالياً). وقد نشأت هذه الشوارع في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

أما اهم الشوارع فهو شارع نينوى الذي بدأ العمل فيه عام ١٩١٤ وهو من الشوارع التجارية الرئيسية لحد الآن ويتصف باستقامته واتساعه قياساً للشوارع التي كانت سائدة آنذاك، حيث يصل

المنطقة السكنية كما توفر مداخل للدور ولربطها بالطرق الأكثر عرضاً التي تحيط بالبلوكات السكنية وهي تخدم بيتاً او عدة بيوت. عرضها عموماً أقل من (٢)م.

ب- شوارع حلقية تحيط بالبلوكات السكنية وتنتهي عندها الشوارع المقفلة وهي تخدم عدداً أكبر من البيوت حسب مساحة البلوك السكني وعرضها غالباً بحدود ٢ متر أو أكثر. ج- شوارع حلقية تحيط بمجموعة من البلوكات السكنية: عرضها اوسع من السابقة ويصل الى ٣ أمتار أو أكثر وذات مسارات نحو الطرق الرئيسية وبخاصة التجارية.

د- مناطق الازكان (تقاطعات الشوارع): تتسع الشوارع عند نقاط التقائها فتصل أحياناً الى ١٠ أمتار أو أكثر ويتشكل فضاء على هيئة فسحة تساعد على انشاء الدكاكين وايضاً تستغل في المناسبات الدينية والاجتماعية.

هـ- الشوارع التجارية: وهي تتصف الى حد ما بالاستقامة كما هي في شوارع السوق القديم

يستخدم لعبور المشاة وحيوانات الحمل. ثم انشأ عام ١٩٣٣^(١٤) الجسر الحديدي (جسر نينوى) وهو اول جسر حديث انشأ في الموصل وكان له تأثير

اتساع طرقة الشرقى الى ١٨ م وطرقة الغربى ١٤ م. كما تم فتح شارع التجنى وشارع النبي جرجيس عام ١٩١٤ وفتح شارع غازي (الثورة حالياً) خلال



جسر نينوى عام ١٩٣٣ من : قصر العبيدي ، الموصل أيام زمان ، الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ٣٣٢.

بالغ في توسع الجانب الايسر من المدينة وخاصة منطقة الفيصلية ونيوى الشمالية.

ثالثاً : الاستعمال التجاري :

وكان يتألف من ثلاثة انواع في مدينة الموصل :

١. الاسواق التقليدية :-

تكاد تنحصر في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة ، وتضم المناطق التي عرفت بسوق الموصل القديم وباب السراي وباب الطوب وحتى باب لكش^(١٥) وهي اسواق متخصصة ببضائع معينة. وتعد هذه الاسواق المركز التجاري الرئيسي للمدينة من حيث تقديمه للخدمات التجارية لسكان المدينة والمناطق المجاورة. وكان سوق الموصل القديم يحتل مساحة تقدر بـ ٨ هكتارات وإن المخازن والدكاكين التجارية تتجمع حسب طبيعة المواد المعروضة على طول الشوارع والأزقة التجارية. وأهم الاسواق التي تعرض سلعاً متخصصة سوق اللحوم وسوق التوابل وسوق الأقمشة وسوق الاحذية وسوق الأواني المعدنية وسوق الصاغة وغيرها. فضلاً عن ورش الصناعة الخاصة بالمنتجات الحرفية فكانت



شارع غازي من قصر العبيدي ، الموصل أيام زمان ، الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ٢٩٨.

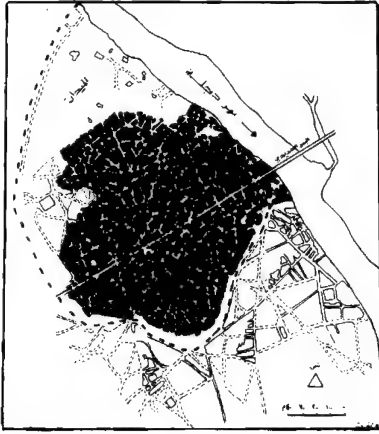
الفترة ١٩٢٢ - ١٩٢٧ وأكمل شارع خرج عام ١٩٣٢ كما تم تنفيذ شوارع مهمة أخرى في الثلاثينات مثل شارع الفاروق وشارع الصديق واستكمل انشاء شارع ابن الاثير^(١٦). وتأسيساً على ما تقدم يتضح ان النمط السائد خلال هذه المرحلة هو النمط العضوي والشوارع الضيقة بالإضافة الى الطرق الحديثة الى فتحت خلال هذه المرحلة وقد احتلت الشوارع نسبة ١٠٪ من المساحة الكلية للمدينة.

ب- وسائل النقل :

كانت حيوانات الحمل والعربات التي تسحبها الحيوانات تستخدم لنقل البضائع والافراد ، وكانت وسائل النقل الرئيسية خلال هذه المرحلة فبالرغم من دخول السيارات بعد دخول الانكليز للموصل عام ١٩١٨ الا ان انتشارها بقي محدوداً جداً فلم يتجاوز عددها التسعة واسطة نقل حديثة عام ١٩٤٧^(١٧).

ج- جسور الموصل :

في مطلع هذه المرحلة كان الجسر الخشبي هو الجسر الوحيد الذي يربط طرفي المدينة وكان



مدينة الموصل عام ١٩٣٧ وأخط القنطرة لشوارعها ونسيجها الحضري

خامساً: الخدمات التعليمية:

تميزت مدينة الموصل باهتمام ابنائها في مجال التعليم وقد بلغ عدد المدارس والكتاتيب عام ١٩٤٧ بمحدود ٢٥٨ مدرسة وكتاب لتعليم الذكور و٣٥ مدرسة وكتاباً لتعليم الاناث فضلاً عن المدارس الثانوية كالاعدادية الرسمية (الاعدادية الشرقية) التي انشئت عام ١٩٠٨ ، وقد بلغ عدد الملمين بالقراءة والكتابة من الذكور ٢١٥٧٣ فرداً وعدد الاناث ١٠٩٦٨ (١٨) من اصله سكان المدينة البالغ ١٣٢٧٤٦ نسمة .

سادساً: الخدمات الصحية:

كانت الخدمات الصحية متخلفة الى حد كبير وقد بلغ عدد العاملين الكلي ٣٠٧ (١٩) فرداً في مجال الطب والصيدلة والصحة في عام ١٩٤٧ . وكان المستشفى الملكي (المستشفى الجمهوري فيما بعد) اهم مؤسسة صحية في المدينة .

سابعاً: الخدمات البلدية:

• خدمات الأنارة:

في مطلع العشرينات تم مد اسلاك الكهرباء

متجمعة في ابنية او في شوارع صغيرة تأتي مباشرة بعد الأزقة التي يتركز فيها البيع كصناعة الآلات الزراعية الحديدية منها والخشبية وصناعة الاحذية وغيرها . وكانت هذه الاسواق مسقفة لتجنب حرارة الصيف والحماية من امطار الشتاء (١٦) ويمكن القول ان درجة سيطرة هذا المركز التجاري كان على اشده في هذه الفترة وذلك لصغر المساحة التي يشغلها الحيز الحضري. (١٧)

• الخانات:

يتركب الخان من فناء ذي مساحة واسعة مفتوحة وحوله كانت المخازن المبنية بطابقين وكانت الطوابق العليا توفر ظلالاً للناس في الصيف وتحميهم من امطار الشتاء واهمها خان حمو القدو وخان المفتي . وكانت ذات ابواب كبيرة كمي تسمح بدخول حيوانات الحمل واهم وظائفها استيراد البضائع وبيعها على اصحاب المتاجر والدكاكين ولبيت المسافرين ، وايضا تزاوّل في بعضها حرفة الدباغة واعداد الجلود .

اسواق المحلات:

كل سوق منها يتألف من عدد قليل من الدكاكين التي تتجمع على الشارع الرئيسي الذي يحيط بالمحلة وكان يطلق عليها اسماء المحلات . اما المحلات التي ليس فيها سوق فكان يظهر فيها بعض الدكاكين في مواقع الاركان .

رابعاً: الجوامع والكنائس:

تعد من العناصر الأساسية في النسيج العمراني لمدينة الموصل لقيمتها المعمارية والتاريخية ولكونها اماكن تأدية الوظائف الدينية اليومية ، وكذلك كانت مراكز ثقافية في نفس الوقت حيث يتعلم اطفال المحلة السكنية قراءة القرآن الكريم واللغة العربية بالقرب من الأسواق . فضلاً عن وجود عدد من الكنائس ذات القيمة المعمارية .

في الشوارع لتنوير المدينة ليلاً وفي عام ١٩٣٣^(٢٠) تم تنفيذ مشروع الكهرباء حيث وصلت الطاقة الكهربائية الى محلات المدينة السكنية أيضاً.

خدمات الماء :

خلال الفترة ١٩٢٢-١٩٢٧ تم تأسيس اسالة الماء وزرع على الدور والمقاهي والاماكن العامة وبعد عام ١٩٣٢^(٢١) تم توسيع هذا المشروع بحيث ربطت الدور بشبكة الماء .

المياه المستعملة ونظام الفضلات :

لم تكن هناك انظمة لتصريف المياه المستعملة حيث كان الماء المستعمل تمتصه التربة اسفل البالوعة ، في حين ان الفضلات الصلبة كانت تجمع وتحمل خارجاً عن طريق صهريج يسحبه حمار. كما ان القنوات كانت مفتوحة في وسط الازقة والطرق لتجميع وتصريف المياه وتقوم بطرحها الى النهر.

اما الاوساخ فكانت تجمع من كل بيت عن طريق سلال كبيرة يحملها حمار.

ثامناً : الحدائق والمتنزهات :

تعد الحدائق والمتنزهات من الاستعمالات الترفيهية وقد أولت البلدية اهتماماً في هذا المجال فأنشأت خلال هذه الفترة عدة حدائق منها حديقة غرستها بأشجار الزينة في منطقة (إيج قلعة) . ثم انشأ عام ١٩٢٧^(٢٢) حديقة الشعب بمحاذاة الضفة اليسرى من نهر دجلة مقابل المدينة القديمة بلغت مساحتها بمحود ١٢ هكتاراً وترتبط بالجانب الايمن ذي الكثافة السكانية العالية (الموصل القديمة) بالجسر الحديدي مما يسهل امكان الوصول اليها. للتمتع بجوائها الخلاصة ولاتبعد اقصى الحدود الخارجية للمدينة القديمة عنها اكثر من (٢) كم. وتتصف بتنوع اشجار الزينة وتنوع ازهارها وتعيش فيها انواع مختلفة من الطيور.

وفي عام ١٩٣٢ انشأت حديقة الشهداء الواقعة على الجانب الايمن الى الجنوب الشرقي من المدينة القديمة وبلغت مساحتها ٣ هكتار. وقد اهتمت البلدية ايضاً في تنظيم الحدائق الوسطية في الشوارع وتشجير الشوارع سنوياً وبالاخص ساحات التقاطع .

فضلاً عن وجود مواقع طبيعية خلاصة خارج حدود المدينة القديمة وضمن حدود البلدية تعد من الاماكن الترفيهية في ايام العطل والمناسبات وايام الربيع اذ تزدان اراضيها بالنباتات والزهور البرية الجميلة ، وأهم تلك المواقع قصب البان ومار ميخائيل ومار ايليا^(٢٣) .

تاسعاً : استعمالات اخرى :

• الصناعة :

لم يطرأ تطور على طبيعة الوظيفة الصناعية خلال هذه المرحلة اذ بقيت الصناعات الحرفية (القائمة في موقع السوق القديم) هي السائدة باستثناء دخول بعض المصانع الحديثة والمتمثلة بمعامل الثلج وحلج الاقطان وطحن الحبوب .

• المقاهي :

أحد العناصر المهمة التي كانت تنتشر في محلات المدينة القديمة قاطبة لكونها تمثل المكان الذي يتجمع فيه رجال الحلة ، وكانت تقام في المقهى الاحتفالات في مختلف المناسبات والمقتصرة على الرجال فقط فضلاً عن وظيفته الاساسية مكاناً للراحة والترفيه .

• الحمامات :

كانت الحمامات منتشرة في جميع اجزاء المدينة وكان لكل محلة أو أكثر حمام عام بسبب قلة الحمامات الخاصة . ومن هذه الحمامات للرجال ومنها للنساء وإحياناً كانت تستخدم للنساء في ساعات الصباح وللرجال في ساعات بعد الظهر.

النسيج العمراني :

اتخذ النسيج الحضري لمدينة الموصل شكله ضمن متطلبات وحاجات الانسان في هذه المرحلة ، وقد اتضح هذا الطابع المميز للمدينة من خلال وجود الشوارع الضيقة وبيوت قليلة الارتفاع وحمامات واسواق وخانات وجوامع وكنائس كونت جميعها وحدة عمرانية مترابطة تقاسمت فعاليات الانسان^(٢٤) . وقد تأثرت هذه الوحدة العمرانية بعوامل ثلاثة هي حاجات الساكنين فيها والمحددات البيئية وكذلك الامكانيات التكنولوجية المتاحة في تلك الفترة والتي كانت محدودة .

اتسم هذا النسيج بطابع المدينة العربية القديمة الذي اتصف بالامتداد العمراني المتصل والمتماثل (التو التراكمي) ، والمنبعث من اعتبارات اكتسبتها المدينة من مهارة وعي معماريها الذين استوعبوا العناصر المناخية للمدينة فظهرت وحدات العمار المختلفة متجمعة ومتلاصقة لتظل الوحدة الاخرى والفضاءات (الازقة والفناءات) ضيقة للتقليل من تأثير اشعة الشمس وذلك بتقليص المساحات المكشوفة والمعرضة لحرارة الشمس المباشرة . كذلك فان الخاصية المذكورة ادت الى زيادة قوة المباني بفعل استناد بعضها الى بعض ، مما يطيل عمرها الزمني^(٢٥) .

كما ان اجزاء المدينة المبنية تظهر بشكل تصميمي رائع ولون متباين من الظل والضياء نتيجة لاختلاف كتور الارض ، وايضاً بسبب عامل الاختيار الموضوعي الحاذق الذكي لكل تركيب معماري . وكان التركيب المعماري المسيطر بشموخ على اجزائها هو هيكل الجامع الذي يعلو بمنارته وقبته على بقية مستوى النسيج العمراني .

اما مايتعلق بتوزيع التركيب الفضائي لمدينة الموصل والذي يشمل الكتل الصلبة (الاراضي المبنية) والفراغات (الاراضي الشاغرة) فيمكن القول ان كل منها متفاعل مع الآخر بحيث نتج عن

هذا الترابط والتفاعل نسيج حضري متميز ملائم لطبيعة ومقياس استعمالات الارض والبيئة المناخية كما انه اغتنى الى اقصى الحدود بالناحية التراثية .

فلو نظرنا على هذا الاساس الى خارطة الموصل فسنجدها تمثل تركيباً فضائياً نموذجياً لمدينة عربية قبل دخول المؤثرات الغربية عليها ، فالنسيج العمراني كثيف والفراغات فيه قليلة ، وكانت متوافقة مع حاجات السكان ولو تمعنا اكثر لرأينا ان شكل البناء والفراغ يأخذ مساراً بخطوط منحنية ومتعرجة يعطي للمدينة سمة المرونة والحركة والانسيابية خلال هذه المرحلة .

الا ان هيئة النسيج العمراني في السنوات الاخيرة من هذه المرحلة تغيرت جزئياً بتأثير عوامل عدة منها ادخال التكنولوجيا الحديثة المتمثلة بأساليب ووسائل النقل المتطورة وكذلك تعدد استخدام مصادر الطاقة فضلاً عن بدء الاهتمام بشبكة البناء التحتاني الى جانب عامل النمو السكاني .

بعد استعراض الصورة العامة لخطة مدينة الموصل خلال هذه المرحلة تبين انها لم تتغير كثيراً عن السنوات الاولى منها فقد كان الثقل السكاني والمساحي والتجاري يتركز في المدينة القديمة وكانت بحاجة الى تطوير وتنظيم اقسامها المختلفة مما دعا الى القيام بعدة خطوات تمثلت بتنفيذ مسح شامل للمدينة قامت به مديرية الطابو العامة عام ١٩٢٢ ويعد من اهم المسوحات للمدينة خلال هذه الفترة فقد اسقطت عليه جميع المشيدات والاستعمالات وكانت خارطة المسح بمقياس كبير ١ / ١٢٠٠ . أعقبها خطوة اخرى تمثل بتصميم اساسي أولي انجزته الجهات المعنية عام ١٩٣٠^(٢٦) ويعد من اول التصاميم الاساسية المعتمدة في المدينة ويكاد يكون من اولي التصاميم الاساسية الممارسة على المدن العراقية .

المرحلة المورفولوجية الثانية ١٩٤٧ - ١٩٥٧ :

انصفت هذه المرحلة بظهور الضواحي المخططة نتيجة للحاجة المتولدة عن نمو السكان ، فنشطت البلدية في افراز اراضي جديدة معتمدة على اساليب حديثة في اعداد التصاميم التفصيلية للضواحي . فاتسع موضع المدينة المشيدة مبتعداً عن النهر ومفضلاً الاراضي المرتفعة إبقاءً لاختطار الفيضان . ومعظم الضواحي الجديدة كانت متركزة في الجانب الأيمن للاستفادة من الخدمات المختلفة التي يوفرها مركز المدينة .

وتغير شكل المدينة العام فابتعد عن الشكل الدائري وبدت المدينة على شكل مجموعات سكنية متناثرة تفصل بينها اراضي شاغرة غير مشيدة ويطلق على هذا النوع من النمو مصطلح النمو القافز . وظهرت توسعات حضرية جديدة أيضاً على الجانب الأيسر الا انها كانت على نطاق ضيق .

مساحة المدينة :

نتيجة لظهور تجمعات سكنية خارج حدود البلدية مثل منطقة موصل الجديدة ووادي حجر فقد انبثقت الحاجة الى توسيع هذه الحدود عام ١٩٥٦^(١٧) فتوسعت حدود البلدية من ٣٥ كم^٢ للفترة السابقة الى ٥٥ كم^٢ خلال هذه المرحلة . وقد تسارع التوسع المساحي خلال هذه الفترة لعدة اسباب منها استمرار استقرار ظروف المنطقة النسبي بعد الحرب العالمية الثانية والهجرة من الريف وتحسن الاحوال الصحية وارتفاع المستوى المعاشي نتيجة لزيادة عائدات النفط بعد تطبيق صيغة مناصفة الارباح مع شركات النفط الاحتكارية ، فازدادت رقعة المدينة المبنية عن المرحلة السابقة بحدود ١,٥ كم^٢ منها ١,٢ كم^٢ على الجانب الأيمن و ٠,٣ كم^٢ على الجانب الأيسر ، واصبحت المساحة المبنية الكلية ٦,٦ كم^٢ خلال نهاية هذه المرحلة . والارقام السابقة توضح ان النسبة الكبيرة من التوسع كانت على الجانب

الأيمن حيث ظهرت وتكاملت اربع محلات سكنية جديدة هي الشفاء والدواسة الشرقية ، والموصل الجديدة ووادي حجر ، فضلاً عن بناء الاراضي الشاغرة في محلة الشيخ فتحي وباب الطوب وباب البيض الغربي . أما الجانب الأيسر فنشأت فيه محلة النعمانية وتوسعت رقعة محلة الفيصلية ، وكان السبب الرئيسي في هذا التوسع ايضاً يعزى الى فعالية الجسر الحديدي في ربط ضفتي المدينة ، وبهذا فقد ازداد عدد المحلات السكنية من ٤٣ محلة خلال المرحلة السابقة الى ٤٨ محلة خلال العشر سنوات التي اعقبها .

السكان والكثافة السكانية :

نمت مدينة الموصل سكانياً خلال هذه المرحلة فوصل سكانها الى ١٧٨٢٢٢^(٢٨) نسمة عام ١٩٥٧ بعد ان كان ١٣٢,٧٤٦ نسمة في عام ١٩٤٧ بزيادة سكانية بلغت ٤٥,٤٧٦ نسمة وارتفعت نسبة الزيادة السكانية من ٢,٧ ٪ الى ٣ ٪ لذا فقد تغيرت نسبياً خارطة الموصل السكانية .

حافظت المدينة القديمة على ثقلها السكاني ونما سكانها الى ١٢٣,٠٦٦ نسمة أي بنسبة ٦٩ ٪ من المجموع الكلي لسكان المدينة وسبب الزيادة يرجع الى زيادة حجم الأسرة من ٦ افراد عام ١٩٤٧ الى ٧ افراد عام ١٩٥٧ فضلاً عن الاسباب السابقة التي ذكرت في موضوع التوسع المساحي . والمحلات السكنية الجديدة شملت محلة الشفاء ب ١٠,٣٠ نسمة والدواسة الشرقية ب ٥,٩٧ نسمة والموصل الجديدة ب ٣,٥٥٥ نسمة ووادي حجر السفلى ب ٦,٣٢٧ نسمة وبلغ مجموعها ٢٥,٠٠٩ نسمة كما نمت محلة الغزلاني من ٣,٥٠٠ نسمة الى ٨,١٦١ نسمة وبهذا اصبح الحجم السكاني للمناطق الجديدة خارج حدود المنطقة القديمة بحدود ٣,٠٠٠ نسمة فضلاً عن النمو الذي شمل بعض

المحلات القديمة ، وقد حافظت الكثافة السكانية ضمن المنطقة القديمة اي بحدود ٤٥٦ نسمة لكل هكتار أي ما يصب الفرد الواحد ٢٢م^٢ تقريباً بينما ارتفع نصيب الفرد الواحد من الارض السكنية الى ٣٧م^٢ في المحلات الحديثة .

استعمالات الارض :

الاستعمال السكني :

نمط قطع الاراضي :

استمر نمط قطع الاراضي المخطط في السيادة خلال هذه المرحلة لكونه أقدر على تلبية متطلبات عصر التكنولوجيا الحديثة والتطورات التي حصلت في مستويات المعيشة وطرق النقل والخدمات المختلفة فانصفت الاحياء ببلوكاتها المستقيمة وانتظام مساحات القطع السكنية . كما اتسم العمران أيضاً بالتجمع والتماثل دون ان تكون هناك فضاءات مكشوفة بين البيوت باستثناء البيوت التي شيدت في محلة الدواسة حيث انصف قسم من البيوت بوجود الحدائق الامامية والجانبية .

نمط الأبنية :

دخلت المؤثرات الغربية على نمط البناء فشيّدت ابنية معتمدة على خرائط دور مُعدة لظروف البيئة الغربية ، فاختلّف قسم من الدور عن دور المرحلة السابقة بكونها ذات مساحة اوسع وباختلافات جوهرية تتمثل باستحداث حديقة أمامية أو جانبية أو حديقة تحيط بالدار . وظهور الحدائق المنزلية بهذه الصيغة يعد نقطة تحول في تصميم الوحدة السكنية من انفتاحها نحو الداخل وانغلاقها عن المحيط الخارجي الى انفتاحها نحو المحيط الخارجي اي نحو الحديقة والشارع . وتحول الفناء التقليدي الى فناء مسقف واصبح النقطة المحورية في الدار حيث تتجمع فيه مداخل الغرف واقسام البيت الاخرى وقد احتفظ قسم من الدور بالفناء فضلاً عن الهول المستحدث .

شبكة الشوارع :

احتفظت مدينة الموصل القديمة على نظامها العضوي باستثناء الشوارع المخططة التي نفذت خلال المرحلة السابقة . وفي هذه المرحلة نشطت البلدية في تبليط الازقة القديمة وفتح وتعبيد الشوارع الجديدة داخل المدينة القديمة واهمها شارع النبي جرجيس عام ١٩٥٣ وشارع المكاوي وشارع الجامع الكبير وتم تعبيد شارع المطار من الدواسة الى المطار وايضاً عبّدت الشوارع التي تربط بين المحلات السكنية الجديدة بمركز المدينة .

وقد تم انشاء شارع خير الدين العمري الممتد من بداية الجسر القديم الى مفرق الزهور خلال الفترة ١٩٤٩ - ١٩٥١ . وفي هذه المرحلة اصبحت الشوارع الرئيسة تحدد محاور التوسع في المدينة . وقد طبق النمط الشبكي على الاحياء الحديثة واصبح النمط السائد في كل توسع جديد ويتميز هذا النمط ببساطته وسهولة توجيهه^(٢٩) .

وسائط النقل :

ازداد عدد وسائط النقل البرية نتيجة للحاجة اليها بسبب ظهور الضواحي الجديدة وكانت واسطة النقل الرئيسية هي الباصات التي كانت تقوم بالجزء الاكبر من مهمة نقل الافراد وايضاً العربات التي تجرها الخيول .

جسور المدينة :

بقي الجسر الحديدي الجسر الوحيد في المدينة حتى نهاية هذه المرحلة وكانت تمر خلاله مختلف وسائط النقل سواء السيارات او العربات التي تجرها الحيوانات أو عربات الحمل التي تدفع من قبل الانسان كما كان يقوم بدور كبير في عبور المشاة . ولضيق الجسر لكونه لايسمح الا بمرور خطين من وسائط النقل في آن واحد احدهما للذهاب والآخر للاياب فقد ظهرت بوادر مشكلة الاختناق وأدى الى ضرورة التفكير بانشاء جسر آخر ، وبالفعل فقد

بوشر العمل في انجاز هذا المشروع في نهاية هذه المرحلة .

استعمالات الارض والنسيج العمراني :

حافظت المدينة القديمة زعامتها على مختلف استعمالات الارض باستثناء الاستعمال السكني اذ ظهرت محاور جديدة للنمو الحضري تركزت ايضا في الجانب الايمن من المدينة . وقد تم عام ١٩٥٢ انشاء غابة الحدباء الواقعة على الضفة اليسرى وضمن القسم الشمالي من المدينة وبلغت مساحتها ٢٦٠ هكتارا وتحوي اشجاراً متنوعة .

وقد استمر النسيج العمراني الذي سبق وصفه في المرحلة السابقة بالسيادة باستثناء المناطق السكنية الجديدة والتي نفذت طبقاً للتصاميم التفصيلية الحديثة والتي شكلت انعطافاً حاداً في النمط التقليدي ، فبدت الفراغات المكونة للشوارع اكثر اتساعاً من سابقتها ، كما ظهرت لأول مرة العمارات السكنية على هيئة شقق في محاور الشوارع الرئيسة وعلى الاخص شارع نينوى وكان معظمها يتألف من طابقين : الارضي خصص للاستعمالات التجارية او الحرفية والطابق الاول لاغراض السكن او كمكاتب او عيادات ٥

وللتوسع الحتمي الناتج عن النمو السكاني ولتحسن وسائل النقل ولارتفاع المستوى المعاشي فقد ظهرت الحاجة الى وضع تصميم اساسي للمدينة لتوجيه وتنظيم هذا التوسع ضمن منظور تخطيطي حديث ولعدم توفر كادر تخطيطي مؤهل لمثل هذه المهمة لذا استعانت الجهات المعنية ببعض الخبراء الاجانب ، فانجزت اول دراسة تمهيدية لاعداد تصميم اساسي للمدينة عام ١٩٥٤ (٣٠) من قبل راغلان Raglan وسكوير Squire الا انها كانت دراسة اولية ينقصها التفصيل .

المرحلة المورفولوجية الثالثة ١٩٥٧ - ١٩٧٧ :

حدثت خلال هذه الفترة تطورات جوهرية

شملت مدن العراق الكبرى ومن ضمنها مدينة الموصل التي تغيرت مورفولوجيتها ومظهرها الحضري بفترة زمنية قياسية وكان وراء هذا التطور اسباب سياسية واقتصادية متعددة منها قيام ثورة ١٤ تموز وما اعقبها من تشكيل جمعيات الاسكان التي قامت بتوزيع الاراضي على منتسبيها وقيام ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ التي اولت اهتماماً كبيراً لقضايا التخطيط بمستوياته المختلفة : القومي والاقليمي والمحلي ، وايضاً بسبب نجاح قرار التأميم عام ١٩٧٣ وما اعقبه من ازدهار اقتصادي انعكست آثاره الايجابية على مختلف مرافق المدينة ووظائفها والتوجه نحو تنظيمها على اسس تخطيطية .

التصاميم الاساسية المعدلة :

يحدر التركيز هنا الى الاهتمام الذي اولته الجهات المسؤولة عن التخطيط العمراني لمدينة الموصل ، فلقد سعت وضمن امكانياتها الفنية الى اعداد تصمم اساسي عام ١٩٦١ ويمكن تلخيصه كالآتي :-

بموجب هذا التصميم تم تخصيص مساحة ٦,٥٠٠ هكتار (٦٥ كم^٢) للتوسع الحضري المقترح منها ٢٩٠٠ هكتاراً (٢٩ كم^٢) على الجانب الايمن و ٣٥١٥ هكتار (٣٥ كم^٢) على الجانب الايسر ، وتم تحديد مساحة النهر والمنطقة المعرضة للفيضان ضمن الحدود الحضرية وقدرت بـ ١,٠٦٠ هكتار اي مايعادل ١٠ كم^٢ .

ومن خارطة التصميم يتبين ان الجانب الأيسر كان ييشر بتوسع حضري اوسع مما هو عليه من الجانب الأيمن لكن في حالة اقتطاع مناطق الحفاظ (موقع نينوى الاثري) ضمن اسوار نينوى فان المساحات التي يمكن ان يمتد اليها العمران تكون مساوية تقريباً في كلا الضفتين .

وهذا التصميم كان دليلاً ومؤشراً مهماً لتطور المدينة فالتوصيات المتعددة التي طرحها نفذ

معظمها، مثال على ذلك شارع بغداد الحلقي، والجسر الثالث جسر الرابي تمام بالقرب من المستشفى العام، المنطقة الصناعية، وقد امتد العمران تقريباً على جميع المناطق المصدق عليها في هذا التصميم لغاية عام ١٩٧٠ بل تجاوزت المناطق العمرانية حدود البرنامج المقرر لها. والخاص بمقترحات عملية التحضر في تلك الخطة. كما ادرجت والى حد كبير الاعمال الخاصة بمناطق حق المرور والمناطق الخضراء مع اجراء تعديل جزئي عليها.

بعد ان نفذت حدود التوسع الحضري الذي اوصى به التصميم الاساسي لعام ١٩٦١ برزت الحاجة الى البدء بوضع خطة جديدة للمدينة.

تصميم كافكا:

استقدم الخبير كافكا B. Kafka لاجراء دراسة عن المدينة وقد انجزت دراسته الا انها لم

تصدق وكان هدفها فسح المجال لتوسيع حدود المناطق الحضرية لتغطي مساحة جديدة بحدود ١٦٠٠٠ هكتار أو ١٦٠ كم^٢ بحيث تصبح ابعاد المناطق العمرانية باكملها ١٣,٥ × ١٧ كم وتحاط بطريق حلقي رئيسي. ويبدو ان كافكا قد تنبأ بقرب حدوث توسع حضري مفاجئ يغير كلياً من مورفولوجية هذه المدينة.

وقد كانت مهمة كافكا اعداد دراسة تخطيطية لمدينة الموصل، الا ان هذه الدراسة لم تترجم الى تصميم اساس لها لذا فقد بدأت مديرية التخطيط العامة سنة ١٩٦٩ باعداد دراسة مرحلية لوضع تصميم لغاية عام ١٩٨٠ وقد تألفت لهذا الغرض هيئة تخطيط عليا اوكل اليها هذه المهمة وانجز التصميم عام ١٩٧٠ وتشمل جوانب رئيسية يوضحها الجدول الآتي:

الجدول (١) التصميم المرحلي لعام ١٩٧٠.

١٩٨٠			١٩٦٩			استعمال الارض
هكتار	%	م ^٢ لكل ساكن	هكتار	%	م ^٢ لكل ساكن	
١٣٧٠	٦٢	٤٥,٨	٢٠٥٠	٦٨,٥	٥٠	سكن
٣٨,٢	٢	١,٢	١٠٧	٣,٦	٢,٥	مركز مدني ومبان عامة
٣٨,٢	٢	١,٢	٢٥٠	٨,٤	٥,٥	تجارة
٥٠,٠	٣,٥	١,٨	١٢٠	٤,٠	٣,٠	صناعة
٤٢,٤	٢,٥	١,٥	٨٢	٢,٩	٢,٠	الابنية الثقافية العامة والخاصة
٦٤٥,٦	٢٨	٢١,٥	١٧٤	٥,٨	٢٧,٠	النقل
٢٠٣			٢٠٣	٦,٨	١٠,٠	الاراضي المحجوزة للمستقبل
٤٤٣			٤٤٣			المواضع الاثريّة
						مناطق لاستعمال :-
	(٦٠٠)					الوديان
	(٩١٨)					مناطق منخفضة
	(٥٧٨٣)					مناطق منحدرّة
٢٨٣٠,٤		٧٣	٣٤٢٩	١٠٠	١٠٠	المجموع باستثناء الارقام داخل الاقواس

٢٠٠٠. (وسيتم التطرق الى هذا التصميم في المرحلة المورفولوجية الرابعة).

وبعد التعرف على الجهود المبذولة لمواجهة التوسع الحضري لمدينة الموصل فمن الضروري الاطلاع على التطورات والتغيرات المورفولوجية التي حدثت خلال المرحلة المورفولوجية الثالثة :-
السكان :

نمت المدينة خلال العشرين سنة التي اعقبت المرحلة السابقة نمواً سريعاً ليصل سكانها الى ٤١٤٦٦٠ نسمة عام ١٩٧٧ (٣٢) ، اي ان المدينة قد ازدادت ٢٥١٦٦١ نسمة عن عام ١٩٥٧ وبلغت نسبة الزيادة السكانية السنوية ما يقارب ٤,٧٪ وهي تمثل اقصى مابلغته المدينة في معدلات نموها السنوية والناتجة عن النمو الطبيعي مضافاً اليها المهاجرون من المناطق الاخرى. كما وتؤثر الى ان الهجرة الداخلية قد تجاوزت كثيراً الهجرة الخارجية من المدينة.

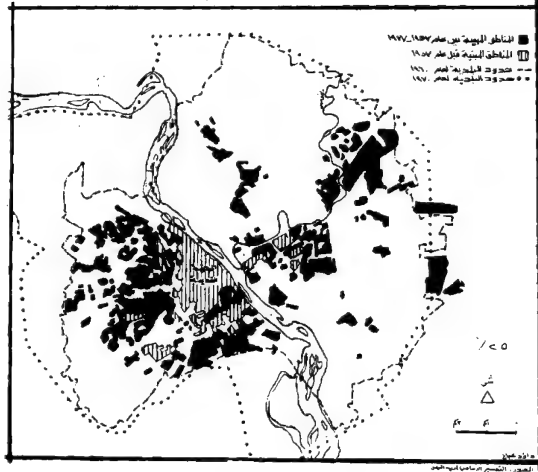
المساحة :

نتيجة للزيادة السكانية الكبيرة توسعت رقعة المدينة توسعاً كبيراً ، اضطرت معها البلدية الى توسيع حدودها مرتين خلال هذه المرحلة ففي عام ١٩٦٠ أصبحت الحدود البلدية تضم ١١٥ كم^٢ تقريباً وفي عام ١٩٧٠ توسعت حدودها الى ١٥٠ كم^٢.

اما المناطق المبنية لغاية عام ١٩٧٧ فقد اتسعت كثيراً ووصلت قرابة ٣٥ كم^٢ منها ٢٢ كم^٢ على الجانب الايمن و١٣ كم^٢ على الجانب الايسر وبلغت نسبة الزيادة في المساحة المبنية عن المرحلة السابقة بمقدود ٥٣٪.

اتجاهات التطور الحضري :

لغاية عام ١٩٥٧ كانت مدينة الموصل مقتصرة على حد ما على المدينة القديمة. الا ان تحسن الحالة الاقتصادية والاجتماعية لسكان المدينة القديمة



مدينة الموصل عام ١٩٧٧ والحدود البلدية لعامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠

وحسب الخطة فان مساحة مدينة الموصل الكلية لعام ١٩٦٩ ومن ضمنها الارقام داخل الاقواس هي ١٠١٣١,٤ هكتار أي ١٠١,٣ كم^٢ اما المساحة التي لا تستخدم لأي استعمال فمساحتها الكلية ٧٣٠١ هكتار أي ٧٣ كم^٢ والمساحة الصافية لعام ١٩٦٩ باستثناء الموضع الاثري ٢٣٨٧,٤ هكتار اي ٢٣,٨٧ كم^٢ وقد خصصت الخطة ٢٩٨٦ هكتار أي ٢٩,٨٦ كم^٢ كمساحة كلية للمدينة عام ١٩٨٠ باستثناء الموضع الاثري (٣١). وبسبب التوسع الحاصل في رقعة المدينة وامتدادها عبر حدود بعض المحاور فقد انشئت الحاجة بصورة سريعة بعد اعداد تصميم عام ١٩٧٠ مما دفع الجهات المسؤولة على توقيع اتفاقية في ١٣ نيسان عام ١٩٧٣ بين وزارة البلديات العراقية وشركة سيت انترناشنال الفرنسية وبالتعاون مع مكتب دار العمارة للاستشارات الهندسية للقيام بـ (دراسة تقويم خطة التطور العمراني) لمدينة الموصل. وقد انجزت الشركة الفرنسية مجموعة تقارير مفصلة عن هذه المهمة وانتهت بوضع دراسة دقيقة عن التصميم الاساسي لمدينة الموصل في عام ١٩٧٦ وعلى ضوء تلك الدراسة تم إعداد خطة المدينة لغاية عام

خلال هذه المرحلة دفع السكان من ذوي الدخل المرتفع الى ترك مركز المدينة والتوجه نحو ضواحيها. وقد كانت محاور التوسع تتفق مع الخطة لعام ١٩٦١ والخطة التي اعقبتها لعام ١٩٧٠. توضح اتجاهات التطور الحضري للفترة التي اعقبت عام ١٩٧٠ ومنها أيضاً يتبين ان الجانب الايمن واليسر يتصفان بتباين يلفت النظر. ففي الجانب الايمن من النهر تكون المدينة مندمجة ومتصلة الاجزاء حيث المناطق الحضرية تكون مطوقة بشكل شبه دائرة نصف قطرها ٥ كم ، ويبدو اتجاه التوسع الحضري في الجانب الايمن واضحاً نحو الطرف الشمالي الغربي بسبب وجود معوقات ومحدّدات النمو منها طبيعية ومنها بشرية كوجود المطار والمنطقة الحكومية الخاصة. وبالعكس من ذلك فان التوسعات الحضرية في الجانب اليسر قد اعطاها شكلاً اصعباً يبدأ من المركز الصغير لمنطقة النبي يونس ويمتد بمختلف الاتجاهات. ان المنطقة المركزية للجانب اليسر تكون متعامدة على نهر دجلة كما انها تنحصر بين الطريقين الرئيسيين اللذين يبدآن من الجسرين الوجوديين في هذه المرحلة ، وهذه المنطقة لا تبعد اكثر من ثلاثة كيلومترات من نهر دجلة.

والى الشمال الشرقي من المنطقة المركزية للجانب اليسر يمتد التوسع الرئيسي على طول وادي الخوصر وهو يبعد (٧) كم عن نهر دجلة ، اذ تقوم منطقة الزهور السكنية المهمة. ويمتد التوسع الثاني على طول طريق عين سفني وايضاً على طريق دهبوك ، وأهم المعالم البارزة في هذا النطاق الممتد بين نهر دجلة وطريق عين سفني غابة الحدباء وجامعة الموصل ، ويصل مدى هذا التوسع الى قرية القاضية التي تبعد بمحدود (٩) كلم عن جامع النبي يونس. وشكل طريق اربيل محوراً حضرياً ثالثاً فظهرت فيه عدة احياء سكنية جديدة. وأهم المعالم المميزة في هذا الاتجاه محطة تلفزيون الموصل ومنطقة

الكرامة السكنية اذ غطت مساحة تجاوزت (١) كلم^٢ وتبعد بمحدود (٧) كلم عن نهر دجلة. اما المحور الرابع ذو المستوى الواسع في النمو فهو محور الكوبر، حيث ادى الى ظهور احياء سكنية جديدة أهمها حي الوحدة وهي تبعد اكثر من خمسة كيلومترات عن منطقة النبي يونس. وكان لهذا المحور امكانية كبيرة للتوسع. لأن فتح طريق الموصل - الكوبر الذي يعد جزء من الطريق البري العام الموصل - كركوك قد زاد من اهمية وجاذبية ذلك المحور لاغراض تطور حضري جديد في المرحلة القادمة لكونه يمتلك مقومات مناطق المدينة المخططة الملائمة للتوسعات في المستقبل.

استعمالات الارض :

استعمال السكني :

الاحياء السكنية الجديدة ضمن محاور التوسع :

اتسمت هذه المرحلة بسرعة ظهور الكثير من الاحياء السكنية المتكاملة في كلا الجانبين ، الا ان التوسع تركز بالدرجة الاولى على الجانب اليسر من المدينة .

فالجانب الايمن ظهرت فيه تسعة احياء جديدة [هي الدواسة الغربية واليرموك والموصل الجديدة الشمالية والثورة ، والزنجيلي ووادي حجر العليا ووادي حجر الوسطى والربيع والربيع الغربية] وبلغ مجموع سكانها ١٢٤٢٤٨ نسمة ، كما توسعت وتكاملت حلة الموصل الجديدة وكذلك وادي حجر السفلى واصبحت الخارطة لهذا الجانب موزعة على المدينة القديمة بثقل سكاني ١٠٣١٠ نسمة ونسبة ٢٤,٨٪ من مجموع سكان المدينة باكملها والاحياء الجديدة فيه بلغت ١٧٨٩٢٧ نسمة بنسبة ٤٣,٢٪ اي ان الجانب الايمن لغاية عام ١٩٧٧ قد سيطر على ٦٨٪ من مجموع سكان المدينة .

أما الجانب اليسر فنشأ فيه ثمانية عشر حياً جديداً بمجم سكاني بلغ ٧٨٩٠٩ نسمة . وأصبح

مجموع سكان الجانب الأيسر ١٣٢,٧٢٣ أي بنسبة ٣٢٪ من مجموع سكان المدينة .

• غط قطع الاراضي :

خضعت عمليات الافراز للعقارات أيضاً الى نظام الطرق والابنية لسنة ١٩٣٥ ولقانون ادارة البلديات لسنة ١٩٦٤ وتعديلاته . وقد تم التنفيذ بافراز قطع الاراضي السكنية الى اربع مناطق عمرانية وهي المنطقة العمرانية الاولى لانتقل مساحة القطعة فيها عن ١٢٠م^٢ ، والمنطقة العمرانية الثانية لانتقل مساحة القطعة عن ٢٠٠م^٢ والمنطقة العمرانية الثالثة لانتقل مساحتها عن ٣٠٠م^٢ والمنطقة العمرانية الرابعة لانتقل عن ٦٠٠م^٢ وكانت القطع السكنية تفرز على شكل صفوف (بلوكات) من قطع الاراضي السكنية منتظمة الابعاد وتحيط بها شبكة الشوارع .

• ظروف الاسكان :

احتفظت مدينة الموصل القديمة بمستوى اسكان المرحلة السابقة المتكونة من بيوت تقليدية . اما معظم البيوت الحديثة لهذه المرحلة فقد اقتبست تصاميم الدور الغربية وشيدت معظمها بالحجارة ونسبة ٦٥٪ من مجموع الدور المشيدة والبقية من قوالب السمنت والطابوق . وهذه البيوت لم تكيف للظروف المناخية المحلية ولا الى اسلوب السكان التقليدي في الحياة . اما مايتعلق بالناحية التصميمية ، فهذه البيوت ذات مستوى عال . والمساحة الكلية للوحدة السكنية تتراوح ما بين ١٠٠ - ١٠٠٠م^٢ وتكون محاطة بمجردان عالية باستثناء بيوت الاغنياء والثقفيين والدور العصرية جداً . وقد حلت الحديقة محل فناء البيت التقليدي في البيوت الحديثة ذات المستوى العال باستثناء البيوت ذات المساحات الصغيرة انظر خارطة (١٢) . ان متوسط الكثافة الاسكانية الاجمالية للمناطق السكنية المشيدة في المدينة تتراوح ما بين

٥٠ - ٦٠٠ ساكن في الهكتار الواحد . وقد وجدت اعلى الكثافات في المدينة القديمة (حوالي ٤٠٠ ساكن / هكتار في المعدل) (٣٣) ويتصف التخط الحضري فيها وفي القسم الواقع الى جنوب المدينة القديمة باختلاط الاستعمال السكني مع الاستعمالات التجارية .

واتضح من المسح الميداني الذي قامت به الشركة الفرنسية عام ١٩٧٤ ان معدل حجم الوحدة السكنية هو ٣,١ غرفة سواء في المدينة القديمة او مدينة الموصل بصورة عامة . وكان معدل غرف النوم ١,٩ غرفة لكل وحدة سكنية .

كما تبين أن القسم الجنوبي الشرقي للمدينة القديمة يتصف بانه متهدماً وقد أعدت له خطة لاعادة تجديده عندما يتم تنفيذ توسيع مركز المدينة الذي سيمتد الى هذا القسم .

وخلال هذه المرحلة وجد كثير من المقاطعات السكنية ذات المستويات التصميمية الراقية ، الا ان اهمها مقاطعة الزهور على الجانب الايسر من النهر ومقاطعة الدواسة على الجانب الايمن كما وجدت عدة مقاطعات سكنية ذات وحدات سكنية ذات حجوم دون المتوسط متمثلة بمحلات المركز الجديد للمدينة القديمة (باب لكش ، باب الطوب ، شيخ عمر) وكذلك منطقة وادي حجر وامتدادها الى المنصور وكلاهما على الجانب الايمن من النهر .

اما مايتعلق بشبكات المنافع العامة المتضمنة خدمات الماء والطاقة والكهربائية فالمدينة القديمة تظهر عموماً بأنها مخدومة بها خدمة جيدة في حين أن المناطق السكنية الجديدة وحتى المستويات العالية منها خدماتها رديئة ومن امثلتها حي الثقافة . وهذه مؤشرات واضحة على ان التوسع في شبكة الخدمات والتسهيلات العامة لم تستطع ان تسير التطور الحضري . ومايتعلق بمياه الشرب فان اكثر من ٩٥٪ من البيوت مرتبطة بشبكة المياه النقية ، اما حمامات ودورات المياه فمعظمها مرتبطة بنظام

المجاري من نوع الصهاريج وجميع البيوت مجهزة بأجهزة التدفئة المعتمدة على النفط او الغاز.

نظام النقل :

• خطوط النقل الخارجية :

فيما يخص النقل الجوي ثمة في الموصل مطار واحد لغرض الاستعمالات الحكومية والمدنية وهو ملائم للطائرات المتوسطة الحجم وفي ظروف الطقس المعتدلة. بعد عام ١٩٧٠ تزايد اعتماد المحافرين على النقل الجوي.

وطريق سكة الحديد الدولي الذي يربط بغداد بقرارة اوريا يمر بمدينة الموصل وهذا الخط لا يمكنه إستيعاب حركة المرور المتصاعدة الا عن طريق تجديد كامل لهذا الخط. وحركة المسافرين مابين بغداد والموصل تشكل مايقارب ١١٪ (٣٤) من حركة نقل خطوط سكك الحديد العراقية، وتعد حركة نقل البضائع والسلع اكثر اهمية مقارنة بنقل المسافرين.

كما ان المدينة تخدم بسبعة طرق رئيسية عامة أهمها طريق بغداد الجديد وطريق اربيل. ويتميزان بمواصفات عالية وبظروف جيدة، كما تم اعادة تجديد طريق بغداد القديم. ان معدل السيارات الداخلة الى المدينة والخارجة منها قدرت عام ١٩٧٤ بـ ٧٨٠٠ مركبة خلال الاسبوع الواحد ونصيب الشاحنات بلغ ٥٠٪ من المجموع الكلي، ونسبة مركبات المسافرين (الباصات والتاكسيات) ٣٤٪ والنسبة المتبقية تؤلف السيارات الخاصة في حين ان عدد السيارات الخاصة بلغ ٤٨٠٠ (٣٥) سيارة، واذا اعتبرنا سكان الموصل بحدود ٤٠٠ ألف نسمة فهذا يعني ان هناك سيارة لكل ٨٣ ساكناً.

النقل داخل المدينة :

كانت شبكة النقل الداخلية في المدينة في وضع جيد حيث وجد نوع من التدرج في مستويات

الشوارع وقد اتخذت اجراءات باستملاك الأراضي لتوسيع شوارع أخرى. وكانت سطوح الشوارع الداخلية بصورة عامة ذات مواصفات عالية. الا ان السنوات الاخيرة من هذه المرحلة شهدت ازدياد كبير في عدد السيارات نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي ساد القطر مما ادى الى ظهور مشاكل متمثلة باختناقات مرورية في بعض التقاطعات وكذلك مشكلة تقاطعات الشوارع مع خط سكة الحديد، ومشكلة الانتقال عبر نهر دجلة الى جانب مشكلة وقوف السيارات في المنطقة المركزية للمدينة. والموصل كغيرها من المدن القديمة تنصف بنظام للشوارع المتجمع حول مركزها لذا فان الرحلات التي لا منشأها ولا نهاياتها في مركز المدينة يجب ان تمر من مركز المدينة مسببة صعوبات للمرور في المنطقة المركزية. والجسران الوحيدان اللذان كانا في هذه المرحلة والواقعين على نهر دجلة يقعان ضمن المنطقة المركزية وكان الواحد منها قريب من الآخر، لذا فان جميع الرحلات من احد الجانبين الى الجانب الآخر كانت تحتم المرور خلال مركز المدينة. لذا فان النقص في الطرق الجانبية للمنطقة المركزية المقترنة بالشوارع الضيقة هذه المنطقة كان عاملا في احداث فوضى لحركة ايقاف السيارات وحركة المشاة، كما ان عدم وجود ضوابط في تحديد ساعات الشحن وتفريغ الشاحنات تسبب اختناقاً في هذه المنطقة المركزية وهناك مشكلة اخرى هي حركة المشاة المعرضة للخطر نتيجة لضيق الارصفة فيضطر المشاة الى النزول الى مجرى الشارع أو أنها رديئة في رصفها، وعدم تحديد مواقع عبور السابلة على طول الشارع مما يجعل وظيفة الشارع خطرة ويقلل من طاقة الشارع الاستيعابية.

والواقع ان نظام المرور في هذه المرحلة لم يواكب التطورات الحاصلة في استخدام الاشارات الضوئية والعلامات المرورية، فانهدام الاشارات الضوئية في التقاطعات الرئيسية يقلل من طاقة التقاطعات

الاستيعابية ومن سلامة وأمان المشاة والسائقين.

المتنزهات والحدائق :

حولت المقابر التي كانت تنتشر ضمن محلات الجانب الايمن الى حدائق عامة فانشئت حديقة البدن والفيترية ودكة بركة و ٣٠ تموز وغيرها. اما على الجانب الايسر فاصبح لغابة الحدباء اهمية خاصة بعد ازدياد اعداد السيارات الخاصة والمتنزهين فيها بحيث اصبحت من المتنزهات الرئيسية بين مدن العراق لاتساع مساحتها واعتدال جوها وامتدادها على نهر دجلة واحتوائها على بعض التسهيلات الترفيهية كمقاعد الجلوس والممشي ومخيم كشفي دائم تجري فيه مختلف الفعاليات والانشطة الرياضية والفنية ، واضيف اليها مرافق خدمية وترفيهية كالكازينوات ومسبح ودور سياحية . وانشئت مدينة الالعاب بجوار حديقة الشعب التي ضمت مختلف الالعاب المسلية الحديثة الكهربائية والاولومياتيكية ، وتنتشر الحدائق فيها وتعدّ من اهم المراكز الترفيهية في المدينة . وانشئ ملعب الجامعة ، ومركز شباب المثني والعديد من ملاعب الاطفال .

المرحلة المورفولوجية الرابعة ١٩٧٧ - ٢٠٠٠ : مخطط التطوير:

ان مخطط التطوير لمدينة الموصل والذي اعدته شركة سبت انترنشنال الفرنسية اوصى بحملة توصيات (تخص فترات تنفيذ التصميم الاساسي للفترة من ١٩٧٥ ولغاية عام ٢٠٠٠) وكما موضح في الخارطة التالية والتي توضح توزيع استثمارات الارض المختلفة وحسب المساحات المخصصة لكل استعمال والمندرجة في الجدول ادناه .

من الجدول يتضح ان مساحة الموصل لغاية عام ٢٠٠٠ تستصل الى ١٤١ كم^٢ ويكون نصيب الفرد الواحد منها ١٥١,٦ م^٢ واذا اضيف اليها الاراضي الزراعية والمسطحات المائية ، ومحرمات الفيضان البالغة ٤٥ كم^٢ فستصل الى ١٨٦ كم^٢

الجدول (٢)

خلاصة النقاط الاساسية الخاصة باستثمارات الارض حسب التصميم الاساسي^(٣٦).

استثمارات الارض	مجموع المساحة (كم ^٢)	المساحة لكل ساكن (م ^٢)
١ - السكن	٦٦,٤	٧١,٤
٢ - الصناعة	٨,٩	٩,٦
٣ - التجارة	١,٧	١,٨
٤ - الاعمال الادارية الرئيسة	١,١	١,٨
٥ - الخدمات العامة	٩,٥	١٠,٢
٦ - المناطق المفتوحة العامة	٢٠,٤	٢١,٩
٧ - النقل وتسهلاته (من ضمنها محطات سكة الحديد)	٢٦,-	٢٨,-
٨ - استثمارات متنوعة (موقع نيوي ، معاهد خاصة)	٧,-	٧,٥
٩ - الزراعة ، المياه السطحية ، حاية ضد الفيضان	١٤١,-	١٥١,٦
المجموع الاجمالي	١٨٦,-	٢٠٠

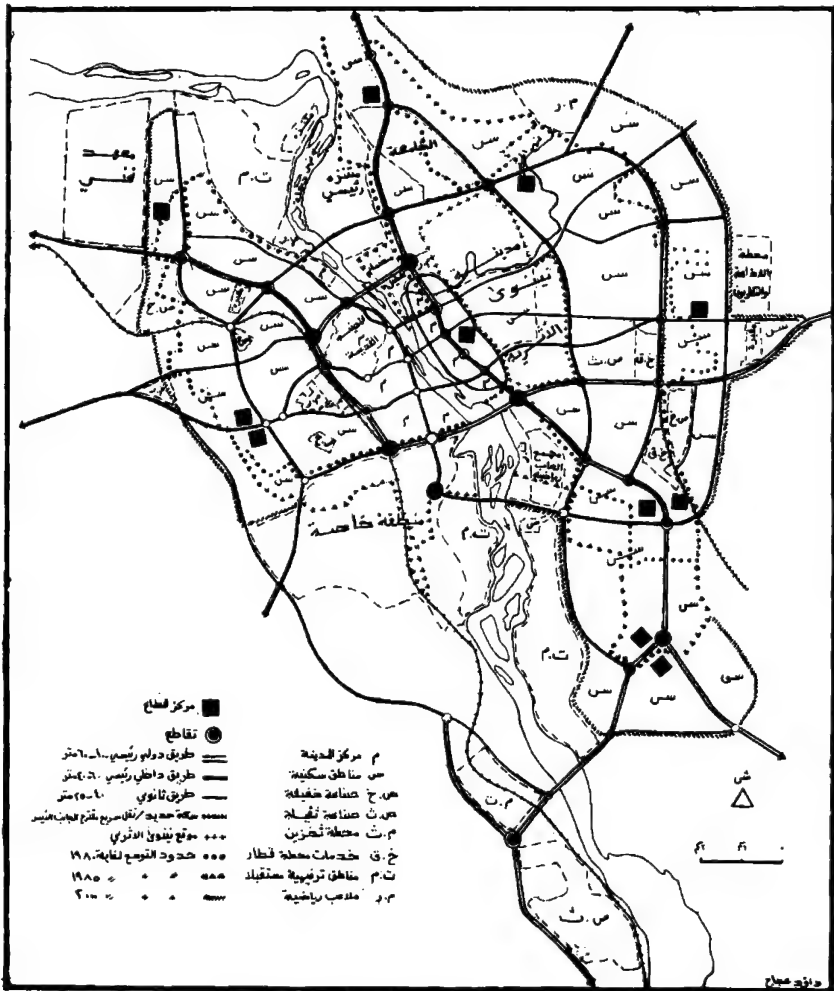
وتكون حصة الفرد الواحد من المساحة الاجمالية ٢٠٠ م^٢.

والمساحة العامة للمدينة وزعت على الاستثمارات الاساسية الآتية :

الاسكان :

ان حاجات السكان من الاراضي السكنية تم تأمينها عن طريق الوحدات السكنية المستقلة وجزئيا عن طريق السكن العمودي . وهذا الاستعمال يحتاج الى مساحات كبيرة من الاراضي لذا فقد خصصت له مساحة ٦٦,٤ كم^٢ بحيث تصبح حصة الفرد الواحد منها ٧١,٤ م^٢.

اعطيت الاولوية للتوسع الحضري للفترة من ١٩٧٥ - ١٩٨٥ من تنفيذ التصميم الاساسي للضفة اليسرى من المدينة باستحداث مناطق سكنية كبيرة اذت الى تحقيق حالة توازن بين ضفتي النهر ، فامنت التوسع الحضري فعلا على الجانب الايسر



— خارطة مدينة الموصل لغاية ٢٠٠٠ .

كحي ١٧ تموز والاصلاح الزراعي والعامل والرسالة والشهداء والنفط .

ويمكن القول ان مدينة الموصل لغاية عام ١٩٨٧ قد استنفذت تقريباً جميع اراضيها المخصصة للوظيفة السكنية وان العمران قد شمل جميع القطاعات الحضرية التي حددها التصميم الاساسي باستثناء الطرف الجنوبي والجنوبي الشرقي من الجانب الايسر وهذا الجزء سيصله العمران

باتجاه الشرق حول الانطقة التي كانت قائمة ، كما امتد التوسع باتجاه شمال وجنوب المدينة فظهرت احياء جديدة لم تكن موجودة عام ١٩٧٧ على الجانب الايسر وأهمها حي العربي والحدياء والبلديات والسكر والجامعة والشرطة وحي المهندسين والبكر وحي صدام والمشرق والميثاق وفلسطين وسومر والسلام . اما الجانب الايمن فقد شمله التوسع الحضري بحيث ظهرت احياء جديدة

اطفاء الحريق ودوائر البريد ومحطات الباصات وغيرها ، وتم توزيعها على جميع اجزاء المدينة .

الخدمات العامة :

وتشمل الخدمات الصحية والاجتماعية ودور الحضانة وتضمن ايضاً دور العبادة والمراكز الثقافية ونوادي الشباب والمكتبات فضلاً عن الخدمات التعليمية كالمدارس بجميع مستوياتها .

وتخصص هذه الاستعمالات مساحة ٩,٥ كم^٢ أي ان نصيب الفرد منها ١٠,٢ م^٢ ومن خصائصها ان هذه الخدمات موزعة على جميع القطاعات والاحياء السكنية الموجودة في المدينة .

المناطق المفتوحة العامة والمتزهات :

لم تشهد هذه الفترة اهتماماً في حركة انشاء المتزهات والحدائق العامة باستثناء انشاء منتزه اليرموك على الجانب الايمن في الجهة الشمالية الغربية من المدينة وبعد المنتزه الرئيسي في هذا الجانب من حيث المساحة ويتصف بحسن التصميم وتبلغ مساحته مايقارب ٧,٥ هكتار . وحالياً بوشر بانشاء مجمع للالعاب في الجانب الايسر وبمساحة كبيرة تقع على محور الموصل - عين سفي .

الا أن التوسع المساحي الكبير والنمو السكاني السريع للمدينة لم يصحبه ازدياد في عدد المناطق الترفيهية فقد بقي نصيب الفرد الواحد منها لايتجاوز ٧ م^٢ على الرغم من ان التصميم الاساسي قد خصص لهذا الاستعمال ٢٠,٤ كم^٢ بحيث ستصل حصة الفرد منها ٢١,٩ م^٢ في نهاية عام ٢٠٠٠ .

النقل وتسهيلات :

يبدل حالياً اهتمام كبير في تنفيذ مشاريع البنى الارتكازية والتي اهمها مشاريع شبكة الطرق والشوارع ويتم تنفيذها بصورة تدريجية وفق المخطط التطوري للمدينة . وتتضمن هذه الشبكة انشاء محورين رئيسيين من نوع الطرق الدولية السريعة بمحجم ١٠٠ م Expressway محور في كل جانب .

بالتركيز وستمتد المدينة لغاية عام ١٩٩٠ الى الحدود النهائية التي رسمها لها التصميم الاساسي مما ساهم على ازدياد الحاجة الى ضرورة البدء في اجراء دراسة تخطيطية جديدة هدفها توسيع حدود المدينة .

الصناعة :

اهتم التصميم الاساسي اهتماماً خاصاً بدفع الوظيفة الصناعية الى الامام من اجل احداث حركة تطوير وتنمية شاملة في المدينة فخصص مساحة ٨,٩ كم^٢ لانشاء مناطق صناعية كبيرة . واكبر هذه المناطق الصناعية واوسعها هي المنطقة الواقعة في القسم الجنوبي من المدينة وعلى الجانب الايمن منها وقد اعطيت لها الاولوية لاغراض الصناعة الثقيلة والفعاليات المتعلقة بها ، وتوسع هذه المنطقة سيمتد جنوباً باتجاه منطقة حمام العليل وعندئذٍ ستشكل شريطاً صناعياً يحادد خط سكة الحديد . والدراسات الأولية مستمرة لتحديد طبيعة المصانع التي ستنفذ فيها .

والقطب الصناعي الآخر قد ظهر الى الوجود ويشمل منطقتين صناعيتين كبيرتين للصناعات الخفيفة احدهما على الجانب الايمن والأخرى على الجانب الايسر وموقعها ضمن المنطقة الحضرية لان الفعالية الصناعية فيها ليس لها نتائج ضارة على السكان .

التجارة :

تم تخصيص مساحة ١,٧ كم^٢ للاغراض التجارية بحيث يكون نصيب الفرد الواحد منها ١,٨ م^٢ وقد بوشر بتوزيع الفعاليات التجارية على جميع اجزاء المدينة ومراكز القطاعات والاحياء السكنية .

الأعمال الادارية :

المساحة المحددة لهذه الوظيفة هي ١,١ كم^٢ وتشمل الخدمات البلدية ومراكز الشرطة ومراكز

وقد تم البدء بانشاءها ، بحيث ان كل جانب سيرتبط بشمال وجنوب مركز المدينة وسيربط المحوران معاً بطرق فرعية تقطع النهر شمال المدينة القديمة وجنوب مركز المدينة. اذ سيتشكل طريقاً حلقياً حولها وبعد اكماله سينجب رحلات السيارات بين القطاعات من المرور خلال مركز المدينة ، وفي الوقت نفسه سيفسح المجال لجميع القطاعات الواقعة حوله بدخول سريع وسهل بواسطة نقاط الاتصال والربط الموزعة عليه.

وسيحيط بالطريق الحلقى المركزي طريق دائري آخر يحيط بالمدينة ولكنه من نوع الطرق الداخلية الرئيسية Arterial road بمحرم ٦٠ م والغرض منه ربط القطاعات المختلفة وان بقية الطرق الخارجة من المدينة ستربط مع هذا الطريق الدائري. وهذا الطريق الدائري نفذ منه القسم الاكبر والواقع على الجانب الايمن والذي يشمل مقتربات الجسر الثالث وطريق بغداد ، وعلى الجانب الأيسر نفذ الجزء الشمالي منه والذي يشمل مقتربات الجسر الثالث وامتدادها الى دورة السكر ثم الى تقاطعه مع طريق عين سفني.

اما المستوى الثالث من شبكة الطرق الرئيسية فتألف من شوارع ثانوية boulevards بمحرم ٤٠ م وهذه الطرق تعمل على توفير نقاط اتصال رئيسية بين القطاعات.

والعمل مستمر لاكمال هذه الشبكة لغاية عام ٢٠٠٠ .

ومن ضروريات هذه الشبكة انشاء جسور الربط بين جانبي المدينة وقد تم انشاء الجسر الثالث (جسر الى تمام) الذي افتتح عام ١٩٧٩ ومقترباته على الجانب الايمن تؤدي الى طريق بغداد الدولي السريع وساعد على تقوية الارتباط بين مناطق القسم الشمالي من جانبي المدينة. وفي عام ١٩٨٤ انتهى العمل من انشاء جسر الموصل الرابع (جسر صدام) ومقترباته التي ترتبط بطريق كركوك الدولي

السريع عبر حي الوحدة ، وقد ادى الى ربط حي الدندان بحي الضباط وبهذا زاد الاتصال بين الجانب الايسر والتوسع الجنوبي الحاصل لمركز المدينة على الجانب الايمن.

وفي عام ١٩٨٨ تم انجاز الجسر الخامس (جسر القادسية) وهو يقع بين الجسر الثالث والجسر الحديدي بحيث تحيط مقترباته بالحد الشمالي من المدينة القديمة والتي تؤلف الجانب الشمالي من الطريق الحلقى المركزي.

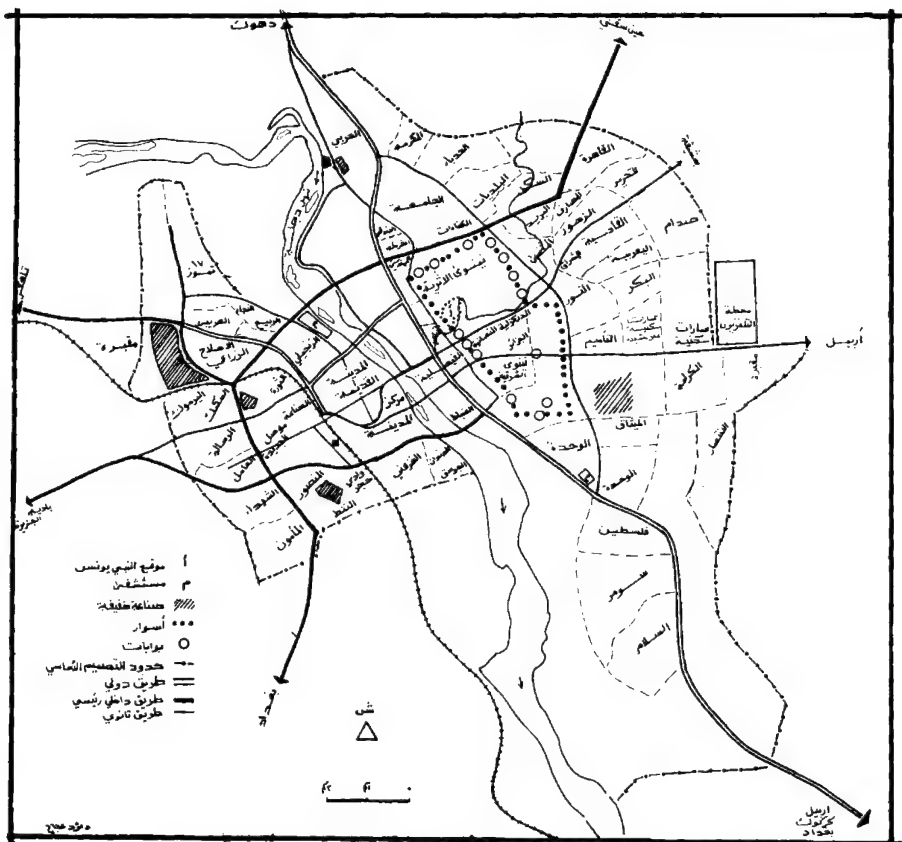
اما الجسر السادس المقترح والذي سيقع في اقصى جنوب المدينة لربط المنطقة الصناعية الثقيلة المقترحة الواقعة على الجانب الايمن بطريق كركوك الجديد. والجسر السابع المقترح لربط شرق وغرب المدينة بقسمها الجنوبي بطريق دولي سريع يعمل على سهولة الحركة والوصول الى المركز بالنسبة للسكان الجدد في كلتا الضفتين. واخيراً جسر ثامن مقترح يقع جنوب الجسر السابع لاحكام الربط التام بين التوسعات الجنوبية على كلا الجانبين ولاكمال الوصل بين مركز المدينة ومحطة القطار المقترحة على الجانب الايسر.

١. الخط السريع لسكة الحديد المقترحة :

ان هذا الخط سينفذ على المستوى القومي وان محطة الموصل ستكون بوضعية متميزة للاتصال مع الخارج (ربط بقية اقسام القطر بالخارج). وسيكون مسار هذا الخط وموقع المحطة المقترحة على الجانب الايسر والجزء الاعظم منه سيكون خارج حدود المناطق السكنية لتجنب الضوضاء.

وسائط النقل :

ازدادت اعداد السيارات باختلاف انواعها خلال السنين الاولى من هذه المرحلة والهدم توافر اعدادها على مستوى المدينة لذا فستذكر الارقام على مستوى المحافظة علماً ان النسبة العظمى منها هي مركبات تنقص سكان مدينة



شبكة الشوارع الرئيسية واسماء المحلات السكنية لغاية عام ١٩٨٧ .

ويتضح ان عدد سيارات الركاب بلغ ٤٧,٧٨٨ سيارة بالإضافة لوجود ١٨٤٩٧ سيارة بيك آب وفان و٧٤٤٩ سيارة قلّاب اي ان مجموع سيارات الحبل بلغت ٢٥٩٤٦ سيارة حمل . وبلغ المجموع الكلي لمتخلف انواع السيارات ٧٣٧٥٣ سيارة .

فلو اعتبرنا ان ٨٠٪ من السيارات الخاصة هي لأهالي مدينة الموصل فان معنى هذا ان عددها في المدينة بحدود ٢٨٠٠٠ سيارة وإذا قدرنا ان عدد سكان المدينة عام ١٩٨٥ كان بحدود ٥٥٩٠٠٠ نسمة معنى هذا ان هناك سيارة خاصة واحدة لكل ٢٠ شخصاً كان يقابلها سيارة خاصة واحدة لكل ٨٩ شخصاً عام ١٩٧٤ وهذا يدل على

الموصل ولكون سيارات الاقضية تقوم برحلات مستمرة الى مدينة الموصل . بلغت سيارات الركاب للقطاع الخاص المسجلة لغاية عام ١٩٨٥ (٣٧) كالتالي :-

الجدول (٣)

سيارات الركاب (صالون)	سيارات ركاب حقلية (ستيشن)	الباصات
خصوصي ٣٥٠٢٢	٣١٠	١٥٢٥
اجرة ٧٦٤٩	٦٤	٦٣٧
المجموع ٤٢٦٧١	٣٧٤	٢١٦٢

المجموع الكلي ٤٧,٧٨٨

التنوع السريع جداً في عدد السيارات الخاصة نتيجة لارتفاع مستويات المعيشة.

خدمات عامة أخرى :

• التخلص من مياه الأمطار :

لكون الوديان المنحدرة في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية يمكن ان تسبب خطراً على بعض المناطق السكنية فقد بوشربانشاء مشاريع مجاري مياه الأمطار على مستوى المدينة بأكملها كما زاد الاهتمام بتقوية السداد المقامة على ضفاف نهر دجلة ووادي الخوصر.

• مشاريع المياه القذرة :

تم اعطاء الأولوية حالياً لمشاريع المياه القذرة لمعالجة المستويات الصحية المتدنية في هذا المجال والعمل على ربط جميع قطاعات المدينة بشبكة كفاءة من خطوط المجاري القذرة.

• مشاريع الامداد المائي :

العمل مستمر على تنفيذ مشاريع لتلبية حاجات المدينة خلال اعلى طلب على المياه النقية وخاصة في فصل الصيف. فضلاً عن الاهتمام بانشاء شبكة توزيع مياه الحدائق الخاصة والمتنزهات العامة.

شبكة الطاقة الكهربائية :

ان نظام التوزيع الحالي للطاقة الكهربائية سيتعزز بانشاء محطات توليد كهربائية ثانوية لكي تلي الطلب المتزايد من الطاقة الكهربائية للاستثمارات الصناعية والمنزلية.

مناطق ذات قيمة خاصة :

ضمن التصميم الاساسي هنالك عدد من المناطق التي تتصف كل منها بقيمة خاصة و متميزة عن المنطقة الاخرى ومن هذه المناطق :

• وادي دجلة ووادي الخوصر :

يتصف وادي دجلة بمجاذيته الكبيرة وهو ملائم

جداً لقيام فعاليات التسلية والاستحمام والخدمات الترفيهية الأخرى ، والتي تتم في المناطق المفتوحة ذات الهواء الطلق . وهذه الامكانية المتميزة لنهر دجلة تعد مهمة للغاية في انتشار الانطقة الحضرية على طول النهر. كما ان وادي الخوصر له امكانيات متشابهة لنهر دجلة الا انها ذات مستوى ادنى منه .

• المدينة القديمة :

إن الآثار التاريخية والتراثية والمعارية القيمة التي تتصف بها المدينة القديمة يجب صيانتها والحفاظ عليها. الا ان ظروف خدماتها واحوال سكانها الحالية بحاجة الى القيام باعداد برنامج متكامل لتجديدها بحيث يصاحب عملية التجديد تقليل في كثافتها السكانية (٣٨) وابعاد فكرة انشاء شوارع واسعة تتخللها والاستعاضة عنها بانشاء شوارع الكورنيش على طول النهر لكي يمكن ضمان ربط الجزء الجنوبي من الكورنيش المنفذ منذ عام ١٩٧٤ مع الطريق الدولي الحفاتي الذي هو تحت التنفيذ ، وضرورة ان يكون هذا الربط باتجاه واحد كي لا يخلق اي ثغرة كبيرة في البناء الحضري الواجب صيانتها.

• موقع نينوى الأثري :

تبلغ مساحته بمحدود (٧) كم^٢ وهو محاط بصورة تامة بمناطق حضرية قائمة . وان التصميم الاساسي استبعد اي عملية تخضر سكنية تنفذ ضمن الموقع ، وقد اكد على ضرورة انشاء اشربة حماية تكون مزروعة على طول محيطها ، لكي تزيد من جمال وروعة الاسوار التي يعاد بناؤها تدريجياً . وايضاً اكد التصميم على ضرورة انشاء فتحات واسعة بعيداً عن محيط الموقع الأثري بحيث يمكن منها مشاهدة الاسوار.

القوانين والتشريعات الحضرية :

ان عملية التنفيذ والسيطرة على التطور الحضري قد اخذت بنظر الاعتبار في خطة مدينة الموصل

- (١٥) أحمد مجيد، العائز السكنية في مدينة الموصل، الجزء الأول، موصل، ١٩٨٢، ص ٥.
- (١٦) د. عبد الرزاق عباس حسين، جغرافية المدن، بغداد، ١٩٧٦، ص ٩٩.
- (١٧) د. صلاح الجنائي، دور العوامل الاجتماعية في توزيع انماط استثمارات الارض ضمن الإطار المكاني للموصل الكبرى، مجلة التربية والعلم، العدد الثاني، ١٩٨٠، ص ٢٩٧.
- (١٨) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، المصدر السابق، ص ١-٤.
- (١٩) المصدر نفسه، ص ٢٣-٢٥.
- (٢٠) الصوفي، المصدر السابق، ص ٣٥.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ٣٥.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.
- (٢٣) الصوفي، المصدر نفسه، ص ٣٨.
- (٢٤) أحمد مجيد، العائز الخدمية في مدينة الموصل، الجزء الثاني، الموصل، ١٩٨٢، ص ٣.
- (٢٥) د. أحمد قاسم الجمعة، المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد ٦، ١٩٨٦، ص ٣٢٣.
- (٢٦) د. محمد ازهر السباك، وآخرون، استخدامات الأرض بين النظرية والتطبيق، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٥، ص ٣١.
- (٢٧) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Analysis Report, 1974, P. 111
- (٢٨) هاشم الجنائي، المصدر السابق، ص ٨٠.
- (٢٩) روبرت أوزيل، فن تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان، بيروت، ١٩٧٤، ص ١٣١.
- (٣٠) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Op. Cit, P. 115.
- (٣١) Republic of Iraq, Mosul Plan, Op. Cit., P. 115
- (٣٢) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج ترقم المباني وحصر السكان لسنة ١٩٧٧، ص ٦-٧.
- (٣٣) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Master Plan Report. 1976, PP. 14- 15.
- (٣٤) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Ibid, P. 16.
- (٣٥) Ibid, PP. 16- 17.
- (٣٦) Ibid, P. 74.
- (٣٧) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، دائرة إحصاءات النقل والمواصلات ١٩٨٦، ص ٢.
- (٣٨) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Special areas report, 1978, P. 47.
- (٣٩) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Mosul Master Plan Report, "Regulations", 1978 P. 1.

الحالية عن طريق ضوابط وانظمة تستند على اساس قانونية مصادقة، ويتم تعديلها حسب المناطق الحضرية المختلفة والمناطق الثانوية أيضاً حسب القطاعات الحضرية المحددة ضمن الخطة بحيث تحددت المشاريع المسموح بها والمشاريع المحرم القيام بها في كل منطقة^(٣٩).

كما شملت المساحة الصغرى لكل قطعة من الأرض، وابعادها والمساحة القصوى المسموح بناؤها لكل قطعة، ونسبة مساحة الطوابق المبنية القصوى، وكذلك عدد الطوابق، فضلاً عن المسافة الصغرى المسموح بها بين أي بناء وحدود القطعة.

الهوامش

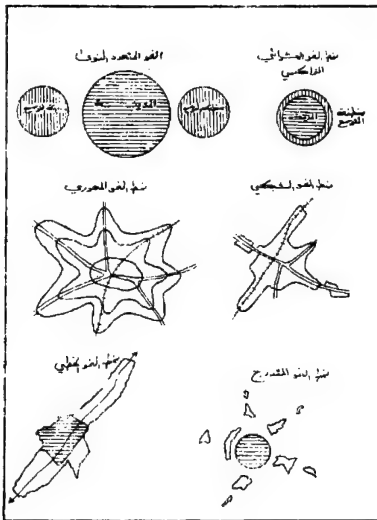
- (١) هاشم الجنائي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٢، ص ١٦.
- (٢) د. صلاح الجنائي، جغرافية الحضر اسس وتطبيقات، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص ٣٤٣.
- (٣) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Mosul Master plan "Central and Conservation Areas 1974 P. 8.
- (٤) د. فاضل حسين، مشكلة الموصل، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٩٧، ص ٩٤.
- (٥) طه الهاشمي، مفصل جغرافية الرافدين، بغداد ١٩٣٠، ص ٨٤.
- (٦) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧، الجزء الثاني، ١٩٥٤، ص ١-٤.
- (٧) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، المصدر نفسه، ص ١-٤.
- (٨) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، المصدر نفسه، ص ١٣.
- (٩) د. صلاح الجنائي، المصدر السابق، ص ٢٦٠.
- (١٠) سعيد الديوهجي، «البيت الموصل»، مجلة التراث الشعبي، العدد ٦، ١٩٧٥، بغداد، ص ٤٣.
- (١١) أحمد الصوفي، تاريخ بلدية الموصل، ج ١، الموصل ١٩٧٠، ص ٢٢-٣٨.
- (١٢) أحمد الصوفي، المصدر السابق، ص ٢٢-٣٨.
- (١٣) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، المصدر السابق، ص ٤.
- (١٤) سعيد الديوهجي، بحث في تراث الموصل، دراسة في المصادر التاريخية لتراث وتخطيط مدينة الموصل، ١٩٨٢، ص ٧٠.

بُنية مَدِينَةِ المَوْصِلِ وَصُورَتُهَا الحَالِيَّة

د. صلاح حميد الجنابي

نمط نمو المراكز الحضرية :

- ١ - نمط النمو العشوائي .
- ٢ - نمط النمو المخطط .
- ٣ - نمط النمو الخطي .
- ٤ - نمط النمو المحوري .



الشكل (١)

انماط النمو المساحي للمدن

١) نمط النمو العشوائي :

يظهر نمط النمو العشوائي للمدينة ضمن

السياقات الآتية :

أ) النمط التراكمي :

يتم على مساحات الفضاء داخل المدينة ، أو بالبناء عند المشارف أحيانا اذا ما كان سعر الارض مرتفعاً في الداخل . لقد واكب هذا النمط من النمو المراكز الحضرية القديمة المسورة التي كانت محدودة الاطار المساحي ، او كانت حركة السكان بين

يختلف نمط النمو المساحي للمراكز الحضرية في العالم باختلاف مؤثراته ، فمدن الدول المتطورة مرت بمراحل النمو متكاملة ، وذلك لان خصائص هذا النمو تطورت في تلك الجهات في حين بقيت لدول العالم الثالث الحرية في اختيار أي من هذه المراحل بعد التغير الذي أصاب وسائل النقل المستخدمة . كما ان الطاقة المستعملة حالياً غيّرت من نمط نمو المراكز الحضرية . فالطاقة الكهربائية المستخدمة في الاستعمالات الحضرية تمتاز بسهولة توزيعها ، مما أثر ايجاباً على حرية توزيع استثمارات الارض في داخل المركز الحضري او عند هوامشه ، وبشكل يختلف عما كان عليه في انشاء استخدام الطاقة المائية والبخارية التي تم استثمارها في مواضع الانتاج .

ويقاس النمو المساحي للمراكز الحضرية عن طريق ملاحظة التغير في المساحة المستثمرة بين فترتين زمنيتين . ويبرز هذا التغير باجلي صوره في الأطراف الحضرية Urban Fringe يشكل نمواً مُشتتاً Scattered او ممتداً بشكل أشرطة Strung Out او بتركيزات نووية مميزة . وتكون هذه الانماط متداخلة مع استعمالات الأرض الزراعية التي تمتاز عادة بتجانسها ، وتكون الكثافة السكانية فيها دون متوسط الكثافة في المدينة المركزية (١) .

ومن خلال ملاحظات الباحثين على انماط النمو المساحي للمراكز الحضرية ، برزت الانماط الاساسية التالية تتناوب باختصار لتحديد النمط او الانماط التي انعكست على صيغ النمو المساحي لمدينة الموصل .

انماط النمو المساحي للمدينة :

يمكن اعتبار الانماط التالية نموذجاً لأنماط النمو المساحي للمراكز الحضرية في العالم :-

مواقع السكن والعمل محدودة تتم دون استعمال اية واسطة . وبمرور الزمن تمد المدينة حمايتها الى اولئك الذين يسكنون خارج أسوارها ، فتهدم الاسوار القديمة وتبنى أسواراً جديدة تحيط بمساحة اوسع في حين تستثمر منطقة السور القديم بانشاء طريق دائري يشير ولو جزئياً الى الخطة الدائرية الاصلية للمدينة . وهكذا تنمو امثال هذه المدن الدائرية حلقات اثر حلقات . ولكن ليس معنى ذلك ان امتدادات المدينة تتبع في توزيعها الخطة الاصلية ، فقد تمتد وفق الزوايا القائمة على الرغم من الاصل الدائري .

ان التوسع الحضري بهذا النمط يقضي بقاء مناطق الاطراف على اتصال مباشر مع المدينة المركزية باعتبار أن الوضع المشتت لايسمح بنقل الخدمات والاستعمالات ذات المنفعة العامة الى تلك المناطق^(١) . وخلال الفترة التي نمت فيها المدينة على هذا النحو امتدت العديد من طرق النقل التي تمكن السكان من الحصول على الخدمات . كما ساهمت بدورها في توقيع المؤسسات الوظيفية .

(ب) نمط النمو متعدد النوى :

يختلف هذا النمط عن نمط النمو التراكمي ، وهو في ابسط صوره يعني ظهور مدينة جديدة على مقربة من اخرى قديمة ، ولكنه قد يتخذ صورة مركبة عندما يمتد الى مدينة اخرى او بضعة مراكز حضرية حولها ترتبط معها بعلاقات معينة . وتقوم مدينة جديدة على مقربة من اخرى قديمة تلبية لرغبة في الانفصال او رمزاً لدولة جديدة او طلباً للأمان . بيد أنه ليس من الضروري في كل الأحوال ان تكون هناك رغبة انفصالية لتظهر مدينة جديدة . ففي بعض الحالات تنشأ مثل هذه المدن نشأة ذاتية وتتخذ شكلاً خاصاً لانها ترتبط بعلاقات وظيفية مع المدينة الاصلية القائمة . كما تنشأ حول محطات

السكة الحديد التي تقع خارج المدينة ، او على الضفة الاخرى من النهر المقابلة للمدينة الاصلية ، او حول المصانع التي هجرت المدينة الام . او تظهر تلبية للحاجة الى اعداد كبيرة من المساكن الرخيصة الواسعة تكون بمجموعها ضواحي سكنية يعيش فيها كثير من سكان المدينة الاصلية ، وهكذا يفصل المسكن عن مكان العمل^(٢) . والمتبع للنمو مدينة الموصل يجد ان الزهور برزت كضاحية سكنية - اتضحت لدى سكانها في بدء ظهورها - سمة الفجوة الواسعة بين المسكن ومكان العمل او مركز التسوق في الزمن الذي كان يقطعه الفرد في رحلته اليومية آنذاك والذي كان يستغرق ساعة ونصف .

(ج) نمط النمو المتدرج :

يطلق على هذا النمط من النمو مصطلح Leap Frog Development ويقصد به النمو المتناثر على شكل مراحل بانشاء مجمعات حضرية ثانوية غير مرتبطة عمارياً بالمدينة المركزية ، بل تفصلها منطقة خالية تتطور مستقبلاً^(٣) . ان هذا النمط من النمو يكون ملائماً لانشاء المدن الجديدة والمتخصصة .

(٢) نمط النمو المخطط :

يأتي نمط النمو المخطط من تدخل الدولة بطريق مباشر او غير مباشر في توجيه العمران المدني وتنظيمه وتجهيزه بالمواقف العامة منعاً لظهور التجمعات الحضرية المتدهورة ورغبة في توفير السكن المناسب في المكان المناسب ، فضلاً عن تهيئة الجو الصحي لسكان المدينة .

(٣) نمط النمو الخطي / النظرية الشبكية (نسيج العنكبوت)

يتخذ هذا النمط من النمو شكل أشرطة ممتدة من المدينة المركزية نحو الخارج ، وتتبع مناطق النمو الجديد في امتدادها خطوط النقل الرئيسة تاركة فيما

بينها مناطق قليلة التطور. وكان هذا النمط سائداً في المدن عندما كانت السيادة في النقل للسكة الحديد. وتميزت المدن من خلاله بشكلها النجمي عندما نمت الضواحي بسرعة كبيرة وارتفعت الكثافة فيها على نحو جعلها تنافس المدينة المركزية في ذلك. ويعد هذا النمط من أكثر انماط النمو الحالية رغبة ووضوحاً.

(٤) نمط النمو المحوري :

وهو النمو المستمر للمدينة بالقدر الذي تسمح به الظروف الطبيعية، ويلعب الوقت المصروف في الوصول الى المركز الحضري دوراً مهماً في امتداد المدينة، فالانتشاع يكون مع امتداد خطوط النقل أكثر من المناطق المحصورة بين الخطوط.

ان نظرية النمو المحوري تعطي فكرة واضحة عن الاشكال النجمية التي تتخذها المراكز الحضرية والمعايير التي تتحكم في نمو المدينة باتجاه المناطق الريفية المحيطة، ويترك هذا النمط من النمو المناطق الداخلية للمدينة بشكل نطاقات غير مستقرة. ويمكن اعتبار هذا النمط من النمو مرحلة تطويرية لصيغة النمو الشبكي، خاصة بعد شيوع استعمال السيارة كواسطة اساسية في النقل، او استثمار الاراضي المحصورة بين الأذرع الحضرية الممتدة مع خطوط النقل.

التغير المساحي لمدينة الموصل :

تختلف صيغة التطور المساحي للمراكز الحضرية باختلاف مقومات نموها وازدهارها. فعند ضياع جانب الديمومة فيها سرعان ما تفسد. وكثيراً ما يُشبه الجغرافيون مراحل نمو المدينة بمراحل النمو الحياتية للكائنات متأثرين في ذلك بآراء ديفز، فيميزون مراحل حياة المدينة بمرحلة الشباب ومرحلة الكهولة ومرحلة الشيخوخة. وعلى الرغم من صحة هذا الرأي في بعض جوانبه فإنه ليس قطعياً، فنلاحظ مثلاً ان كثيراً من المدن تبدأ بمرحلة الشباب وتنتهي

بشكل مفاجئ بمرحلة الشيخوخة دون المرور بمرحلة الكهولة. ويحصل هذا خاصة في المدن التي تتعرض الى غزو خارجي، او تتأثر بظاهرة طبيعية، او تتحول عنها طرق المواصلات، في حين مازالت مدناً كثيرة في العالم تعيش في مرحلة الشباب دون انتقالها الى مرحلة نالية في حين تهرم مدن وتعود لطور الشباب من جديد بعد فترة سبات. وقد تتابع تلك الدورات الحياتية لأكثر من مرة. فمدينة الموصل بدأت مرحلة شبابها في العهد الاسلامي الاول. ولاقت بعض الاصلاح في اوضاعها العمرانية على يد الامويين خاصة في عهد آخر خلفائهم مروان بن محمد الذي كان اول من عظمها والحققها بالامصار.^(٥) وخلال فترة الحكم العباسي - وبشكل خاص في بداياته - لم تشهد المدينة تطوراً ملحوظاً في مؤسساتها. فضلاً عن ان الحركات التي سببها الخوارج في المدينة في حوالي القرن الثاني الهجري اثرت على وضع المدينة، حتى ان الخليفة هارون الرشيد هدم سورها^(٦).

إلا ان المدينة عادت من جديد الى مرحلة الشباب في زمن الحمدانيين (٩٠٥-٩٧٧م) عندما رمت قلعتها وسورها وابعاده، اضافة الى مؤسساتها الوظيفية والخدمية الاخرى. وعادت المدينة الى مرحلة الضمور بشكل واضح في العهد العثماني (٩٩٧-١٠٩٥م) بسبب التنازع الشديد بين امراءهم على الحكم^(٧). واستمرت في ضمورها في العهد السلجوقي (١٠٩٥-١١٢٧م) حيث لم تهمل مؤسساتها الوظيفية فقط وانما بدأت المدينة تفقد سكانها بسبب المنازعات المستمرة بين امراء السلاجقة.^(٨)

وفي فترة الحكم الاتاكي (١١٢٧-١٢٣٣م) عادت للمدينة بعض نضارتها بعد استقرار الاوضاع فيها وفي ظهيرها الزراعي حتى اصبحت في زمن بدر الدين لؤلؤ «ام البلاد ونزعة العباد ومحط العدل ومنبع العقل»^(٩).

إلا ان حالات الاستقرار لم تدم فبعد سقوط بغداد (١٢٥٨م) بثلاث سنوات سقطت المدينة بأيدي التتر ولاقت شأنها شأن المدن العراقية الاخرى اكبر نكبة في تاريخها.

ولم يحدثنا التأريخ عن اصلاحات تمت في المدينة في فترة سيطرة القره قوينلي والآق قوينلي وفترة السيطرة الصفوية، والعثمانية (١٥٣٤م) والفارسية (١٦٢٢م) ثم العثمانية في زمن السلطان مراد الرابع في سنة (١٦٣٨م). وخلال هذه الفترات جميعا بقيت المدينة على حالها على الرغم من اهميتها الموقعية، الا انه في عام (١٧٢٦م) وليّ العثمانيون عائلة آل الجلبيلى على مدينة الموصل واستمروا ما يقارب الـ (١٢٠) عاماً (١٧٢٦-١٨٤٣م) استقرت الامور فيها داخل المدينة وفي اقليمها مما ساعد على اعادة مؤسساتها الوظيفية وبدأ العمران يتطور فيها وأخذت بوادر الشباب تظهر عليها من جديد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولم توفر كتب التأريخ والآثار خرائط واضحة للمدينة إبان نموها وتطورها المبكر، ولكن عند متابعة مواقع المناطق الأثرية المبينة خلال فترات الحكم الراشدي والاموي والعباسي وما بعده يجدها في مواقع داخلية ضمن منطقة السور العام. كما ان خرائط الموصل اثناء الحكم الأتابكي تكاد تشابه مخططات المدينة عندما زارها نيبور عام (١٧٦٦م) وفليكس جونس عام (١٨٥٢) وهرسفيلد عام (١٩٠٧) وما وضعه والتصميم الاساسي للمدينة لعام (١٩٣٠)^(١٠). وتبدو المدينة من خلالها على شكل دائري يحيطها سور من معظم جوانبها عدا الجانب الشرقي الذي يطل على نهر دجلة. ويتركز العمران السكاني والأداري في وسط وجنوب وجنوب شرق المدينة المسورة. وهذا يعني ان المدينة خلال مراحل نموها وضمورها حافظت على وحدتها المساحية المحددة قسراً داخل سور المدينة العام. ولا يظهر التطور إلا في اتساع الاستعمالات الحضرية

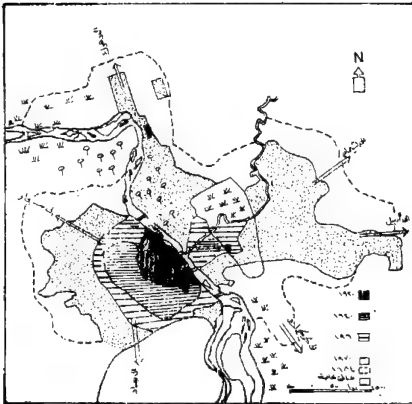
داخل السور باتجاه شمالي وشمالي غربي على حساب مناطق مخصصة اصلاً للاغراض العسكرية.

وتنتشر المناطق الزراعية خارج السور وبالقرب من ابوابه، مستثمرة طرق النقل التي تربط المدينة باطراف اقليمها او بالمراكز الحضرية الأخرى. وبعد عام (١٩٣٦) تحررت مدينة الموصل نهائياً من سورها بعد ان بدأ هدمه منذ الحرب العالمية الاولى، وبدأت استعمالات الارض الحضرية تتناول من الهيكل العام المتراس للمدينة مع خطوط النقل الرئيسة وبشكل خاص في الاتجاه الجنوبي والجنوب الغربي. كما ان بناء جسر الموصل الحديدي عام (١٩٣٠م) ساعد على نمو حضري جديد ملتصقاً مع طريق موصل - اربيل وموصل - دهوك. واتصلت منطقة نينوى القديمة مع حافة نهر دجلة الشرقية عبر محلة النصر (الفصلية سابقاً). او بعبارة اخرى اتصلت نواحي مدينة الموصل الحالية، المدينة القديمة في الجانب الايمن لنهر دجلة ومنطقة النبي يونس في الجانب الايسر للنهر. ومن الجدير بالذكر ان سكان مدينة الموصل كانوا يحجمون عن السكن في الجانب الايسر لقلة حمايته وتعرضه المستمر لخطر فيضان نهري دجلة والخور. ان هذا التطاول للمدينة حررها من شكلها الدائري المحتشد المحشور قسراً داخل الاطار الذي يرسمه سور المدينة، وبدأت لوامسها الحضرية تتناول مع خطوط الحركة الأساسية.

وكانت بدايات النمو المساحي للمدينة في عشرينات هذا القرن عندما تأسس معسكر الغزواني ومنطقتي الدواسة والشفاء. وكانت المنطقة الاخيرة في الاساس منطقة مخصصة للاستثمارات العسكرية ابان فترة الحكم العثماني. وفي الخمسينات بدأ البناء يزحف على اطراف الجانب الايمن المدينة تتسع في احياء الثروة وجمعية المعلمين بشكل نمو تراكمي خاصة في محلات الموصل الجديدة والزنجيلي الجنوبية. بعد ذلك بدأت

في رسم اتجاه النمو في المدينة. وبعد الاستعمال السكني من أكثر الاستعمالات الحضرية سرعة في النمو والتحرك باتجاه اطراف الحيز الحضري المستمر، وذلك لقلة قابليته على منافسة استعمالات الأرض الحضرية الأخرى كالتجارية والصناعية. ولكل من حجم المدينة وأهميتها ودرجة مركزيتها وموقعها دور مهم في سرعة نمو الاستعمال الجديد. كما ان للصناعة دوراً أساسياً في نمو المدينة.

وتعد منطقة الاطراف متفكراً للمدينة القديمة في نقل استثماراتها المزدحمة بنمط من التشتت، فعلى سبيل المثال سيطرت منطقة الاطراف على ٩٥,٩٪ من مجموع الاستعمال الجديد في المدينة خلال الفترة ١٩٦٧ - ١٩٧٦^(١١).



الشكل (٢) التطور المساحي لمدينة الموصل ١٩٢٠ - ١٩٨٦

وتباينت سرعة النمو في اطراف المدينة تبعاً لقربتها من المدينة المركزية، ومقدار تأثير خطوط النقل، والعامل الزمني. وبعد الجانب الايمن للمدينة اقل سرعة في النمو خلال السنوات الأخيرة مما هو عليه في جانبها الايسر، بالنظر لاستثماره المبكر خلال العقد الرابع من هذا القرن، وتماسه مع المدينة القديمة واستثمار معظم الاراضي الشاغرة الواقعة ضمن الحدود البلدية فضلاً عما شكله الاستعمال الخاص من قطع في امتداد الاستعمالات الحضرية. اما الجانب الأيسر فقد كان الاقبال على

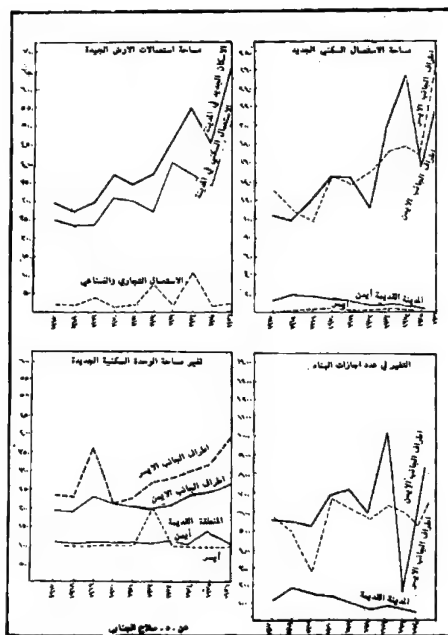
الاستثمارات الحضرية تنمو في اطراف منطقة الدندان والطيران والويسيف والزنجيلي الشمالية وحي الربيع والاصلاح. وفي العقد السادس بدأت المدينة تنسج في احياء كثورة وجمعية المعلمين واليرموك والبلدية والاطباء والمأمون والنسيج والسكك وارضى الزنجيلي الشمالية.

اما الجانب الايسر للمدينة فلم يشهد النمو والتطور إلا حديثاً، حيث لم يستثمر بالاستعمالات الحضرية الخارجة من المدينة المركزية بشكل فعلي إلا في نهاية الخمسينات. فقد حافظ هذا الجانب على استعمالاته القديمة والمستحدثة في الثلاثينات الى عام (١٩٥٧)م عندما بدأت الاستعمالات الحضرية - خاصة السكنية منها - تغزو الزهور والمجموعة الثقافية والاندلس. وفي فترة الستينات ازدهر البناء في هذا الجانب حيث استثمرت اراضي القادسية والعبيدي والمنشئ والمصارف والبريد والنور والضباط والمالية والوحدة والمنطقة المحصورة بين حي البعث ومحطة تلفزيون الموصل مع امتداد طريق الموصل - اربيل، وحياء الماء والكهرباء والزراعي والحكام.

واستمرت الاحياء السكنية تنمو في السبعينات متطاولاً مع طرق موصل - دهوك وموصل - عين سفي، وموصل - عقرة، وموصل - اربيل، وموصل - الكوير. وتعددت الاحياء الجديدة، وتطاولت الاحياء القديمة بشكل كثيف بعد ان استثمرت المناطق الشاغرة والمتركة. ومن ملاحظة المناطق المستثمرة حتى عام ١٩٨٦ نجد ان المدينة في طريقها للعودة الى شكلها الدائري القديم ولكن على اطار مساحي اكبر.

طبيعة التغير المساحي لمدينة الموصل :

ظهر مما سبق ان مدينة الموصل تعرضت الى نمو سريع بتأثير عملية التفاعل بين الانسان وبيئته. ولعب الميل المتزايد للسكان في استيطان المراكز الحضرية دوراً فعالاً في ذلك النمو. وتبرز تأثيرات موقع ومساحة الاراضي المخصصة للاستعمال الجديد



الشكل (٣) تطوّر مساحة الاستعمالات الجديدة واجازات البناء في مدينة الموصل ١٩٦٧ - ١٩٧٩

الحضري، وأصبح عامل المسافة أقل تأثيراً في تحديد مناطق السكن الجديدة. وبدأت الاستعمالات الحضرية المشتتة من المدينة المركزية باستثمار المناطق المحاذية للطرق الرئيسة باستثمارات أمنية. فعلى سبيل المثال سيطرت الطرق الرئيسة الخارجة من مدينة الموصل على ٦٢,٦٪ من مجموع الاستعمال الجديد في المدينة كمعدل عام خلال الفترة ٩٧٦ / ٩٧٧ (١٤).

٢) ارتفاع الكثافة السكانية :

وصلت مدينة الموصل في عام ١٩٤٧ الى قمة تطورها مقارنة بالسنوات السابقة، مما شجع على حركة السكان من المناطق الريفية باتجاه المدينة. وظهر اثر ذلك في ارتفاع المدينة سكانياً في احصاء ١٩٥٧. وكان للزيادة الطبيعية دور آخر في هذه الزيادة. وكانت هذه الفترة تقف عند بدايات خروج السكان الى اطراف المدينة. ولم تكن الزيادة السكانية في احياء المدينة القديمة مطلقة، وانما

استثماره قليلاً خلال العقد الرابع من هذا القرن لافتتاحه من جهة، وقلة حاجته من خطر الفيضان من جهة اخرى. كما ان النهريشكل فاصلاً طبيعياً يمنع الاستمرارية الحضرية ابان فترة النمو الاولى للمدن. ولكن بعد السيطرة على ما يهدد هذا الجانب من خطر، وبناء جسر الموصل وانشاء مؤسسات ثقافية مميزة، تشجع الاستعمال الحضري الجديد على استثماره بصورة سريعة، ويبرز ذلك من ملاحظة المساحات المبنية في كلا الجانبين خلال الفترة ١٩٦٧ / ١٩٧٦ حيث بلغت (١٥٤٤٨٦٧) م^٢ في الجانب اليسر يقابلها (١٤٥٩٤١١) م^٢ في الجانب الاول (١٢). ومن الجدير بالملاحظة ان الاستثمارات الجديدة المبنية عند اطراف مدينة الموصل لاتتمثل في الاستثمار السكني فحسب - بالرغم من سيطرته على ٩١,٤٧٪ من مساحة الجانب اليمين و٩٣٪ من مساحة الجانب اليسر - وانما بالاستعمالات الصناعية والتجارية، حيث سيطرت على ٨٩,٦٪ من مساحة الاستثمار الجديد المضاف للمدينة خلال الفترة ٩٧٦,٩٧٧ (١٣).

ان التشتت لاستعمالات الارض في اطراف مدينة الموصل يأتي من تأثير متغيرات عدة اهمها، فاعلية قوة الطرد المركزية التي تمارسها المدينة على بعض مؤسساتها المركزية بدفعها الى مواقع جديدة عند الاطراف، او استقطاب مؤسسات جديدة واردة للمدينة من اقليمها، او استحداث مؤسسات جديدة نتيجة لتلبية حاجة ملحة لسد متطلبات المستوطنين الجدد في هذه المناطق او بالقرب منها.

وهناك عوامل متعددة ساعدت على انتقال المؤسسات الوظيفية الحضرية الى اطراف المدينة وساعدت على نموها اهمها :-

١) خطوط النقل :

تعد خطوط النقل شرياناً للنمو والتوسع

المنطقة المركزية لم تستطع تهيئة مستلزمات الصناعات الحديثة كالخيز المكاني، وسهولة الاتصال وغيرها، لذلك استوطنت عند اطراف الخيز الحضري في فترة نشأتها الاولى. وقد اثرت مع الزمن على طبيعة الاستثمار في المناطق المجاورة لها لما تحتاجه من مؤسسات تكميلية كالوحدات السكنية والخدمية. ان هذا العامل كان له دور رائد في اتساع مدينة الموصل خاصة بعد انشاء معامل النسيج القطني والسكر في اطراف الجانب الايمن والألبان والأخشاب والبيرة والبناء الجاهز والمشروبات في جانبها الأيسر.

تأثير الجمعيات التعاونية لبناء المساكن :

برز هذا المتغير في الستينات، وكان وراء الاندفاع السكني نحو الخارج، حيث وزعت الاتحادات والقبابات المهنية مساحات نطاقية عند اطراف المدينة بأسعار واطنة. وساهم المصرف العقاري في سرعة استثمارها عن طريق ما وفره من سلف. وتوضحت تلك الظاهرة في سرعة استثمار مناطق وادي حجر والمنصور والموصل الجديدة والثورة والي تمام وحسي النجار واليرموك في الجانب الايمن، وفي حسي المعلمين والثقافة والزراعة والحكام والضباط والمالية والزهور والقادسية والمنشي والنور والوحدة والكرامة والمصارف والمحاربين وغيرها في الجانب الأيسر. وعلى سبيل للمثال ظهر أن الأراضي السكنية الموزعة من قبل الجمعيات في اطراف المدينة تسيطر على ٤٨٪ من مجموع الوحدات السكنية البنية خلال الفترة ١٩٦٧/ ١٩٧٦. (١٥)

٦) العوامل الاجتماعية

وتتمثل في قلة مساحة الوحدة السكنية في المدينة القديمة، مقارنة بما هو عليه في منطقة الاطراف، وارتفاع المستوى المعاشي للسكان، ورغبتهم في تربية اطفالهم في بيئة صحية أفضل من تلك التي عاشوها في ازقة المدينة القديمة. فضلاً

تعرضت مناطق معينة للنقص بعد ان وصلت الى حد الأشباع، وتوافر مجالات الانتقال الى الاحياء الجديدة. وبرز هذا الأثر بوضوح في احصاء ١٩٦٥. فقد كانت اعلى نسب الانخفاض السكاني تتمثل في محلات حوش الخان والخاتونية والدواسة وباب السراي والسرچانة وجامع خزام والعكيدات والشيخ ابو العلا. ولم تتعرض الى الزيادة سوى محلات قليلة في المنطقة القديمة خاصة تلك التي تقع عند هوامش منطقة الاعمال المركزية مثل محلات إمام ابراهيم وباب المسجد والمحموديين والمكاوي والمشاهدة وباب الطوب وباب لكش وباب البيض القوقاني والشيخ عمر والقنطرة، في حين مالت جميع المناطق الهامشية الواقعة عند اطراف المدينة الى الزيادة السكانية باعتبارها مناطق جذب للسكان المشتتين من مركز المدينة القديم.

٣) ارتفاع قيمة الارض الحضرية :

لاستثمار ارض المدينة باكثر من استعمال تنافس جميعها في استغلال المواقع المرغوبة، وان درجة الاهمية الوظيفية لكل قطعة ارض تحدد درجة الرغبة في الاستثمار من الاستعمالات المختلفة، وتعد منطقة الاعمال المركزية في المدينة من اكثر المناطق الحضرية عرضة للمنافسة وبالتالي في ارتفاع قيمتها. وتحتل هذه المنطقة في مدينة الموصل قمة الهرم في سعر الارض وإيجارها، وتندرج هذه القيمة تنازلياً بالابتعاد عنها بشكل رئيس وعن الطرق الرئيسة بشكل ثانوي، مما جعل بعض الاستثمارات الحضرية - خاصة السكنية - تنشأت نحو الاطراف مستغلة رخص الارض وتوافر المساحات الملائمة والمظهر الطبيعي.

٤) اثر التوزيع الصناعي الجديد :

تركزت الصناعات الحرفية الاولى في بيئة المدينة او عند هوامشها للاستفادة من زبائنها من جهة وتهيئة مستلزماتها من جهة اخرى. إلا ان

عن تضخم معدل حجم العائلة ، وقلة ما يتوافر من خدمات في الاحياء القديمة .

٧ اثر الدولة في تحسين البيئة الحضرية :

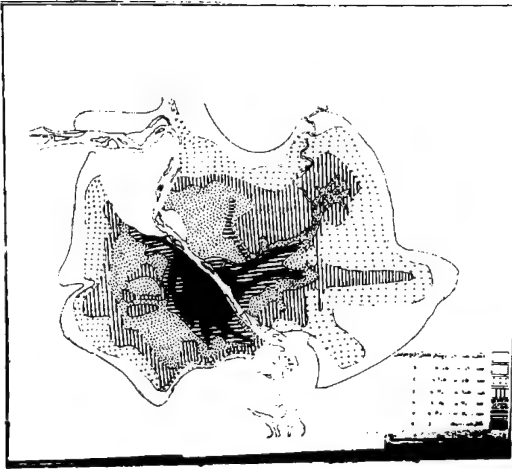
تعد مدينة الموصل من المراكز الحضرية الاولى في العراق التي شهدت محاولات تخطيطية مبكرة . فأول تصميم اساسي للمدينة في عام ١٩٣٠ . وتوالت تلك التصاميم ، وكانت غايتها تحسين البيئة الحضرية من خلال فتح الطرق المستقيمة داخل المنطقة القديمة التي يغلب النمط العضوي (الطبيعي) على شوارعها ، وتخلق فعاليات ووظائف داخلها ذات اهمية مركزية ، كل ذلك كان على حساب الاستعمالات السكنية القديمة في المدينة المركزية فضلاً عن الاستعمالات الحضرية الأخرى مما اضطرها الى هجرة مواقعها قسراً نحو اطراف الحيز الحضري مما ساهم في اتساع الاطوار المساحي له .

تحليل نمط إتساع مدينة الموصل :

من خلال ما اشرنا اليه الى اتساع المراكز الحضرية نستطيع ان نبين انماط الاتساع المساحي لمدينة الموصل خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٢٠ حتى الوقت الحاضر ، وقد املت الفترة السابقة لأن المدينة كانت محصورة قسراً داخل السور ولا تشمل الاضافات إلا بعض الوحدات الوقتية التي تتخطى السور عند بواباته وهي عموماً تبرز في فترة الاستقرار .

١- فترة ١٩١٠ - ١٩٢٠ :

كانت المدينة خلال هذه الفترة متكونة من نواتين هما النواة المركزية التي تحتلها المدينة القديمة ، ونواة ثانوية تحتلها منطقة النبي يونس ، وكان نمط نمو كل نواة منها يتم بشكل تراكمي تحيط بالنواة اطارات متتابعة . وبذلك يكون نمط النمو في هذه الفترة هو خليط من نمط النمو المتعدد النوى ، فضلاً عن نمط النمو العشوائي التراكمي .



الشكل (٤)

قبة الارض الحضرية في مدينة الموصل ١٩٧٦ وطبيعة التغير من ١٩٢٠ - ١٩٧٠

٢- فترة ١٩٢٠ - ١٩٤٠ :

استمر النمو في هذه الفترة مسارباً لنمط النمو المتعدد النوى والعشوائي التراكمي حول نواتي المدينة ، إلا انه قد تحقق اتصال بين جانبي المدينة من خلال محلة النصر ، وكان جسر الموصل الذي انشأ عام ١٩٣٠ عصب الاتصال بينها .

٣- فترة ١٩٤٠ - ١٩٦٠ :

بعد اتصال نواتي المدينة بدأت تظهر بعض الاستطالات التالية في جانب المدينة الايسر مع طرق موصل - دهوك ، وموصل - عقرة ، وموصل - اربيل خاصة في حي الجزائر ونيوى الشمالية ، وبذلك كان نمط نمو الجانب الايسر مقارباً لنمط النمو المحوري والشبكي ، في حين استمر النمو العشوائي التراكمي مسيطراً على توزيع الاستثمارات الجديدة في اطراف الجانب الايمن .

٤- فترة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ :

اختلف نمط النمو في هذه الفترة عما سبقه ، خاصة في جانب المدينة الايسر ، فقد ظهرت احياء

الزهور والقادسية والثني وما يجاورها بشكل وحدات حضارية غير متصلة عمارياً مع المدينة وانما تتصل معها بخطوط حركة رئيسية. مما اسبغ النور في هذه الفترة وضمن هذا الجانب بنمط التو المتدرج. في حين نمت المدينة خطياً مع طريق اربيل- دهوك. اما الجانب الايمن فاستمر في نمط نموه العشوائي التراكمي، إلا ان منطقة الغزلاني شكلت منطقة قطع واضحة لهذا النمط من التو. وبدت المدينة خاصة في جانبها الايسر وكأنها مدينة ذات اذرع تمتد متطاولة مع خطوط النقل الرئيسية التي تربط المدينة بالمراكز الحضرية الاخرى، ويمكن ملاحظة ذلك في امتداداتها مع طريق موصل- دهوك، وموصل عين سفي، وموصل- اربيل.

٥- فترة ١٩٧٠ - ١٩٨٧ :

في هذه الفترة شكل نمط التو المساحي للمدينة استطلاات واضحة مع خط النقل خاصة في اطراف المصارف والزهور، او مع امتداد نهر دجلة باتجاه الجنوب الشرقي وهو من نمط التو المحوري، وفي الوقت ذاته بدأت تستغل المناطق الشاغرة المحصورة بين اذرع المدينة كمحاولة لاعادة المدينة الى شكلها الدائري الاصلي، بنمط من التو العشوائي التراكمي والمخطط. ويمكن ملاحظة ذلك في بعض اطراف الجانب الايسر الشمالية الشرقية واطراف الجانب الايمن الغربية والشمالية الغربية.

صورة الموصل الحالية :

تعد مدينة الموصل من المدن العراقية المزدوجة البنية، حيث تراكمت ضمن حيزها المساحي كثير من المؤسسات والفعاليات ذات الجذور التاريخية، يرقى بعضها الى عدة قرون ماضية. ويصارع هذا الاستمرار والمحاولات الجادة في تحسين ظروف البيئة المحلية بما يتناسب مع متطلبات العصر. فشقت الطرقات الحديثة وارتفعت المباني واستجدت فعاليات

حديثة. ان هذا التباين في انماط الفعاليات خلق صراعاً حاداً بين قوى التغير الحديثة وعناصر الاستقرار والثبات في الركائز الحضارية الموروثة.

وعلى الرغم من حداثة الصراع لكن قوى التجديد والتغير الحديثة سادت مناطق واسعة من الحيز الحضري المستثمر للمدينة، ساعية في ذلك الى توفير بيئة حضرية متطورة لسكان المدينة. ومن العوامل التي اسهمت في دفع قوى التجديد هي: التغير المستمر في المستويات المعيشية للسكان، والتغير الاجتماعي في التقنية والممارسة في العمل والسكن، والتضخم الحاد في سكان المدينة، اضافة الى استعمال البرامج التخطيطية المدروسة ضمن فترات زمنية قصيرة وبعبء المدى.

ومن ملاحظة البنية الداخلية لمدينة الموصل الحالية ومقارنتها مع نظريات التركيب الداخلي التقليدية نجدها بعيدة نسبياً عن مفهوم نظرية الدوائر المتراكزة Concentric Zone Theory التي جاء بها الباحث الاجتماعي ارنست برجس Ernest Burgess عام ١٩٢٥. (١٦)

وملخص النظرية ان المدينة تنمو بفعل قوة طرد مركزية بشكل حلقات متتابعة تتناول اصلاً من منطقة الاعمال المركزية التي تشكل نواة المدينة، وتندفع الاستعمالات في النطاقات المحيطة بالمركز بشكل حركة موجية مع بقاء ظاهرة التخصص ثابتة في الحلقات وفي نظام توزيعها.

وتعد مدينة الموصل اقرب الى نظرية القطاعات Sector Theory لهومرهويت Homer Hoyt منها الى نظرية الدوائر المتراكزة، وبخاصة في مرحلة نموها الرابعة ١٩٦٠-١٩٧٠ عندما نمت المدينة في جانبها الايسر بشكل خطي او محوري متطاولة مع خطوط النقل الرئيسية التي تربطها مع ظهرها والمراكز الحضرية الاخرى. إلا ان التغيرات التي رسمها هومرهويت في نمو استعمالات الارض الحضرية لا تنطبق على ما بناظرها في مدينة الموصل. (١٧)

طريق الموصل - اربيل ، وعلى امتداد طريق الموصل - الكوير.

ان هذا الانتشار الحضري ساعد على ظهور مراكز تجارية وصناعية وخدمية ثانوية تتوزع على الاطوار المساحي للمدينة ، مصدرها إما مؤسسات مستجدة على المدينة لسد النقص في متطلبات الساكن الحضري ، أو انها مؤسسات نشئت من مركز المدينة بفعل قوة الطرد المركزية الى نطاق الاطراف الريفية - الحضرية Rural - Urban Fringe ، وبمرور الزمن تمحورت حولها مؤسسات سكنية وخدمية مشكلة وحدة ثانوية مميزة عن المنطقة المركزية في المدينة .

الهوامش

(١) Robert D. Harvey and W.A. Clark, The Nature and Economics of urban Sprawl, Internal Structure of City, Ed., Lorrays- Boorne, New York, 1971, P.476.

(٢) Stewart Chapin F., Economics of Landuse Planning, urban and Regional, London, 1969 P.124.

(٣) عبدالفتاح وعية ، جغرافية العمران ، الاسكندرية ١٩٧٥ ص ١٤٧-١٥٣ .

(٤) James H. Johnson, Geographical Processes of the edge of the City, Suburban Growth, 1974, PP.4-5.

• توماس فرنك برنث Thomas F. Barton

(٥) محمد جاسم حادي ، الجزيرة القراية والموصل ، دراسة في التاريخ السيامي والاداري ، رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٧٧ ص ١٠١ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٠٢-١٠٣ .

(٧) سعيد الديوه جي ، الموصل في العهد الأتابكي ، بغداد ١٩٥٨ ص ٤ .

(٨) حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، بغداد ١٩٥٥ ص ١٤٣-١٤٤

(٩) ياسين العمري بن خير الله الخطيب ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوه جي ، الموصل ، ١٩٥٥ ص ٦٦

(١٠) محمد زاهر السالك وآخرون ، استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على مدينة الموصل الكبرى حتى عام ٢٠٠٠ بين عقبة المكان وتخطيط الانسان ، الموصل ، ١٩٨٥ ص ٢١ .

وتعد نظرية النويات Multiple Nuclei Theory لجانسي هزرس (Channcy D. Harris) وادوارد اولسن (Edward Ullman) أقرب النظريات انطباقاً على واقع توزيع استعمالات الارض في مدينة الموصل وعلى نظام اتساعها .^(١٨)

لمدينة الموصل تتكون في الاساس من نواتين منفصلتين ، احدهما النواة المركزية التي احتلتها المدينة القديمة في الجانب الايمن في حين كانت النواة الثانية في جانبها الايسر تحتلها منطقة النهر يونس التي شغلت جزءاً من الحيز المساحي لمدينة نينوى القديمة وبشكل خاص منطقة تل التوبة . وكان نهر دجلة يمثل عنصر قطع فاصلاً بين النواتين . وعندما بدأت بواكير النمو المساحي للمدينة كان بشكل تراكمي حول النواتين ، إلا ان معدل النمو حول النواة الاولى اكبر وذلك بحكم أهميتها المركزية وتعدد وتنوع مؤسساتها الوظيفية . وعندما شيدت الجسور الثابتة على نهر دجلة بدأت المنطقة المحصورة بين النواتين تتطور تدريجياً الى ان تم الاتصال بينها واندماجا في وحدة حضرية .

وفي المراحل اللاحقة وبتأثير تطور وسائط النقل اخذت بعض النويات الثانوية تنشأ بنمط من التخصيص على مسافة من الحيز الحضري المستثمر ، فنشأت نواة الغزلاني واليرموك في الجانب الايمن ، ونواة مجمع الزهور والقادسية والمثنى السكني في الجانب الايسر بشكل ضواحي يغلب عليها طابع الاستعمال السكني . وبمرور الزمن اندمجت هذه النويات مع المدينة الام لتنشأ نويات جديدة في الكرامة على طريق موصل - اربيل ، وفي الحمي العرني ومجمع البناء الجاهز ، واندمجت هذه النويات مع المدينة الام لتكون ما يطلق عليه بالمدينة الكبرى التي يتخطى الاستثمار فيها الحدود البلدية المرسومة . ومادامت المدينة في انتشارها المستمر فان نويات جديدة تظهر مع طريق سنجار في الجانب الايمن وفي مجمع شقق البناء الجاهز على

Ernest Burgess, The Growth of the city, An (١٦)
Introduction to Research Project, Chicago, 1975
PP. 47- 62.

Homer Hoyt, The structure and Growth of (١٧)
Residential Neighborhood in American cities,
Washington, 1939.

C.D. Harris and Eullman, the Nature of cities, (١٨)
Annals of the Amer. Academy of Political and
social science, CCXLII, 1945, PP. 7-17.

(١١) بلغت المساحة الجديدة في المدينة خلال الفترة المذكورة
(٤٠٣٥٥٥٥١م) سيطرت الأطراف على (٣٨٧.٧٩١م)،
انظر صلاح حديد الجنائي، التغير في استعمالات الأرض حول
المدينة العراقية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد،
كلية الآداب ١٩٧٧ ص ٢٠٣.

(١٢) المصدر نفسه ص. ٢٠٣.

(١٣) المصدر نفسه ص. ٢١٠-٢١٢

(١٤) المصدر نفسه ص. ٢٢١

(١٥) المصدر نفسه ص. ٢٣٧

الْعِمَارَةُ الْمُعَاَصِرَةُ

أ.د. أحمد قاسم الجمعة

المقدمة :

الحكم الوطني عام ١٩٢١ م بفترتين : الفترة الاولى
زامنت تأسيس الحكم الوطني واستمرت حتى
اواسط الخمسينات ، وجرى التأكيد فيها على
تأمين متطلبات الدولة من مبانٍ ومنشآت كثيرة
ومتنوعة اقتضتها طبيعة المرحلة نهضت بمعظمها
دائرة الاشغال^(١) ، علاوة على بعض الممارسات
البلدية. وبعد زيادة عائدات النفط بداية
الخمسينات نشطت تلك الخدمات ، وظهرت
احياء حديثة في بعض المدن ومنها المنصور في بغداد
والزهور في الموصل^(٢) .

أما مجال الاسكان في تلك الفترة فقد كان
يمارس حتى بداية الخمسينات من قبل القطاع
الخاص ، بينما اقتصر القطاع الحكومي على بعض
المؤسسات التي برزت في انشاء دور لمتسبها
كالسكك والشؤون الاجتماعية^(٣) .

وتبدأ الفترة الثانية للعارة المعاصرة في العراق في
منتصف الخمسينات نتيجة للتوسع العمراني في
القطر بفعل نشاطات المصرف العقاري والجمعيات
التعاونية . وقد ادى ذلك الى تحمس المسؤولين بان
التوسع لا يمكن ان يكون عشوائيا دون إعداد
تصاميم اساسية ، وهكذا بدأ مجلس الاعمار بطلب
اعداد تلك التصاميم ابتداء من المدن الكبرى في
بغداد والموصل والبصرة^(٤) . وقد تزامنت هذه

عبرت عارة الموصل واسنبا خلال العصور
العربية الاسلامية عن التواصل الحضاري والتفاعل
مع مستجدات الزمن ملية متطلبات الانسان ودون
ان تفقد اصالتها ، لكنها وقعت في اعقاب الحرب
العالمية الاولى تحت التأثيرات المعارية الاجنبية ومنها
ماسمي بالطراز العالمي للعارة (International
Style)^(٥) مما ادى الى فقدان الخصوصية المحلية
وانقطاع الصلة بالتراث القومي بصورة عامة^(٦) .
وقد ظهرت بوادر الطراز العالمي او العارة الحديثة في
اوربا في اعقاب الثورة الصناعية في القرن التاسع
عشر. وما ساعد على ذلك التقدم التكنولوجي
وظهور مواد انشائية جديدة فتحت ابوابا واسعة
لتطوير اساليب الانشاء ، واستخدامات الاجزاء
الانشائية المختلفة بابعاد فضاءات كبيرة
وواضحة^(٧) . وتطلب الأمر انشاء مبانٍ ومنشآت
كثيرة تلي حاجات تلك الثورة بعد ان اعتمدت
انظمة ذات درجة كبيرة من التقييس والتنميط
والتكرارية في وسائل الانتاج والتوزيع^(٨) . واستمر
ذلك الطراز بعد الحرب العالمية الثانية حتى طغت
نهايا الاتجاهات المعارية الحديثة ، كما ظهرت
الحاجة الى تأمين مساكن بنطاق واسع ، مما تطلب
اعتماد اساليب جديدة في البناء فظهر البناء الجاهز
والمواد الانشائية المُصنعة^(٩) .

والعارة العراقية المعاصرة مرت منذ تأسيس

أولاً/ المباني التراثية :

تتركز معظم المباني التراثية داخل المدينة القديمة . وتضم دورا سكنية واسواقا تجارية ومباني دينية وعلمية وخدمية كالحانات والقيساريات والحمامات حيث ان المدينة القديمة حتى منتصف الاربعينات كانت تضم حوالي (٨٠٪) من مجموع سكان الموصل^(١٤) .

فتصميم الدور السكنية يتكون من فناء مكشوف وجناح او اكثر يتكون من ايوان وغرفة على كل من جانبيه ، ويحتوي على بعض السرايب للاستعمالات المختلفة ومنها سرداب القيلولة (الرهرة) ووجود مدخل منكسر لاسباب اجتماعية ، وتتميز الدور بسقوفها المقببة التي تغطي بسقوف اخرى مسطحة وجدران خارجية سمكية خالية من الشبايك عادةً ورصف الارضيات المكشوفة بالحللان والمغطاة كالعرف والرهارة بالرخام الموصل ، وتتكون من طابق أو طابقين وتوجد أمثلة نادرة جدا للدور تتكون من ثلاثة طوابق كما هو الحال في دار (آل الصفاوي) على البدن في محلة باب البيض . وهناك ظاهرة اخرى نجدها في بعض الدور وهي انتقال الايوان من الطابق الارضي الى الطابق الاول ويكون مفتوحا من الامام والخلف على هيئة ممر مسقف يوصل بين الغرف الواقعة على جانبيه ، وحدث هذا في بعض الدور التي تقع على الشوارع التي شقت مؤخرا وبعد ان استخدمت العقادة والشلان بدلا من السقوف المقببة . هذا وتتبع الدور التراثية في تجمعها النظام المتراس حيث لانفصلها سوى بعض الأترة المتلوية .

اما الاسواق التراثية في المنطقة التجارية المركزية في مدينة الموصل فتمتاز بالامتداد الطولي المتوازي لوحدة متائلة من الدكاكين المتلاصقة على جانبي طرق وممرات ضيقة وملتوية تعلوها سقوف عالية مقببة ذات فتحات جانبية وعليا للتهوية والاضاءة ، كما تتميز الدكاكين بصغر مساحتها وافتتاحها على الطرق بقوس من الرخام . ومن المباني الخدمية الاخرى المتعلقة بالاسواق

الفترة مع مرافق المجتمع في العالم من تغييرات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في مختلف النواحي ، وانتقال الافكار المعمارية الى مناطق عديدة نتيجة التقدم المائل في وسائل الاتصالات وانكاسات ذلك على العراق ، فحاول قسم من المماريين اعتداد الاساليب والمواد الانشائية الحديثة ، علاوة على إدخال منظومات الخدمات الهندسية فيها^(١٥) . كما استخدم المماريون في هذه الفترة المفاهيم المعمارية الجديدة التي ظهرت في الطراز الدولي مع تحمس لخصوصية البيئة العراقية من الناحية المناخية ، كما ادخلت المواد الحديثة بجانب المواد التقليدية في اشكال مستحدثة^(١٦) ، وأستلهم التراث عن طريق الدلالات الرمزية وحياء التزيين اساساً مهماً لصياغة الشكل^(١٧) .

ومنذ منتصف السبعينات وخلال الثمانينات حدثت زيادة كبيرة في الاحياء والمباني السكنية . اذ تضاعف عشرات المرات نتيجة تضاعف دخل المواطنين ، وارتفاع مستوى المعيشة بعد تأميم النفط ، وتوفير فرص العمل ، وزيادة التسهيلات المصرفية ، وتوزيع الاراضي السكنية من قبل الدولة بالجمان او باسعار رمزية . ورافق ذلك زيادة مطردة في المباني ذات النفع العام كالمدارس والجامعات والمستشفيات والفنادق والجسور والسابيلوات وغيرها^(١٨) .

عمارة الموصل المعاصرة :

تزرخ الموصل بمبانٍ ومنشآت معمارية تختلف فيما بينها من حيث الموقع والتصميم والمميزات تبعا لوظائفها المختلفة والعوامل المؤثرة فيها . ونظرا للتداخل بين المباني التراثية والحديثة ذات السمة التراثية التي جرى التطرق الى بعضها في مباحث سابقة ، وبين المباني العصرية من حيث التصميم والموقع لذا ارتأينا عدم التعرض اليها الا بخلاصة مركزة ربطا للموضوع . وسيكون تناولنا للمباني التراثية التي لم يجر التطرق اليها سابقا استكمالاً للموضوع والانتقال بعد ذلك الى عمارة الموصل المعاصرة .

هي القيساريات والمخانات، فالقيساريات عبارة عن أسواق لها بعض الخصوصية من حيث نوعية البضائع والتجوير بطرازها المعماري اذ امتازت بتداول بضائع ثمينة تحتاج الى حاية وتواجد اصحابها بالقرب منها لذا يستوجب اضافة طابق علوي من الغرف واحكام مداخلها مثل قيسارية سوق العتيق (١١٦٩هـ ، ١٧٥٥م).

أما الخان فيتكون من فناء مكشوف تحف به غرف، ومدخل مقنطر تقع على ممره بعض الدكاكين وقد يضاف اليه طابق علوي وسراديب لخزن بضائع اصحاب المحلات والدكاكين المجاورة. ومن المخانات التراثية خان الكرك (١١١٤هـ / ١٧٢٢م) وخان الجلود.

وبالنسبة للحمامات العامة فقد تركزت في المدينة القديمة كحمام العطارين (١١٦٩هـ / ١٧٥٥م) التي ازيلت مؤخرًا. ومعظم الحمامات تكون مزدوجة أي: تتكون من حمام للرجال وحمام للنساء لكون المرء محترماً بينما يبد أن حمامات النساء لها خصوصية تمثل بوجود مدخل منكسر لأسباب اجتماعية، كما هو الحال في حمام باب لكش. ويؤكد تصميمها على الانتقال التدريجي من البرودة الى الحرارة وبالعكس حيث اشتمل على (منزع) لخلع الملابس ثم مسبح وحجرة تفصل بينها.

ونخصوص المباني الدينية فتأتي الجوامع في مقدمتها وتتكون بصورة عامة من مصلى مستطيل يفتح على رواق بثلاثة مداخل، ويتقدم ذلك صحن مكشوف خلا من المجنبات الا من بعض الأروقة أحياناً. وفي بعض الحالات تلحق به مدرسة دينية كجامع الاغوات (١١١٤هـ / ١٧٠٢م). والمآذن من اهم العناصر المعمارية في الجوامع التراثية وهي تتبع بتصميمها مثذبة الجامع النوري إذ تتكون من قاعدة مكعبة يعلوها بدن اسطواني مزخرف ينتهي بقمة كروية. أما المحارب فبالاضافة الى محراب المصلى الرئيس المحوف الذي يتوسطه المصلى فهناك محراب على كل من جانبيه، بينما المنبر

مبني من الرخام وهو على هيئة درجات مائلة ذات مجنبات وتوجه مظلة في نهايته العليا.

وتعد المدارس في مقدمة المباني العلمية. وتتكون من فناء مستطيل مكشوف تحف به غرف الطلبة والادارة التي تتقدمها الأروقة عادة. ويعلو ذلك طابق ثان يصعد اليه بعدة سلالم من النوع المستقيم، والمستقيم الشعب لتسهيل انسيابية الطلبة وتمتاز الجدران بالسلك البين لتحقيق العزل الحراري والصوتي، كما هو الحال في المدرسة الشرقية (الخضرية سابقاً). و(تأسست سنة ١٩٠٧م). وتتجلى أهمية تصميم هذه المدرسة في كونه اعتمدت في اغلب تصاميم المدارس اللاحقة والمعاصرة كما سئرى في ما يأتي من صفحات لاحقة مما يدل على نجاحه في تأدية وظيفته. وهناك المدرسة الخزامية للبنات حيث تختلف في تخطيطها عن تخطيط المدرسة السابقة لاسباب اجتماعية اذ تتكون من ممر مسقف تحف به غرف التدريس ويتقدم ذلك من جهة المدخل فناء صغير مكشوف.

لقد إمتازت الحقبة العثمانية (١٥١٦- ١٩١٨م) في الموصل بالاهتمام بالمباني العسكرية الدفاعية ويعزى ذلك الى ازدياد الاهمية الاستراتيجية لمدينة الموصل ولتطور الاسلحة النارية كالدفعية في تلك الفترة من جهة اخرى. وتمثلت تلك المباني بسور الموصل والقلعة الرئيسية (باشطاييا) والقلعة الداخلية (ايچ قلعة) والثكنة العسكرية (القلعة).

ويتضح مما اورده المؤرخ احمد الصوفي حسانة وضخامة السور فقد بلغ سمكه ثلاثة امتار وارتفاعه عشرة امتار وطوله عشرة آلاف متر واستحدثت فيه ثمانية عشر برجاً ببيئات نصف اسطوانية وتتخلل الاجزاء العليا من السور وابراج مزغل مفرجة وتعلوه الشرفات ويحف به من الخارج خندق عرض يبلغ عمقه حوالي سبعة امتار^(١٥).

ومن البديهي ان سلك السور اعطاه قوة إنشائية بحيث أصبح من التلذذ على الاعداء اختراقه بسهولة. أما خاصية الارتفاع الكبير للسور

فقد جعلت من الصعوبة على الاعداء تسلقه أو اجتيازه كما ادت الى زيادة التحصين^(١٦).

وبروز الأبراج الساندة للسور عن محيطه يساعد عملية رصد العدو وتقاطعها على جميع المناطق المحيطة بالمدينة وتبادل الرؤيا والمعلومات وسرعة نقل الاوامر من المدافعين والموجودين في الداخل. هذا فضلا عن العمل الرئيسي للأبراج وهو استخدامها لرمي الاعداء عن طريق المزاغل المستحثة فيها^(١٧). والهيئة نصف الدائرية للأبراج ذات أهمية تعموية لأنها تترك منطقة دفاعية مينة قليلة جدا فتكون فرص المهاجمين في الاحتماء من مقذوفات المدافعين وسهامهم قليلة^(١٨).

وتعددت المداخل في سور الموصل وكانت على هيئة فتحة واسعة مؤطرة بالحجارة المهندمة ومعقودة من الاعلى بعقد منبسط.

اما المزاغل فتتخذ اوضاعا رأسية وعمودية. فالمزاغل الرأسية تكون فتحتها ضيقة من الخارج ليكون المدافع في مأمن من الاصابة الخارجية وواسعة من الداخل بحيث تسمح لترصص الاعداء في حين تستخدم المزاغل العمودية لصب الزيت والمواد المنصهرة على الاعداء لدى وصولهم أسفل الاسوار.

وترجع جذور الشرفات الدفاعية التي تملو الاسوار الى العهد الآشوري في العراق. وتعد قلعة الموصل الرئيسة (باشطاية) من اهم المباني الدفاعية المتخلفة في الموصل وادت وظيفتها الدفاعية على افضل وجه فوضعها كان عمليا من الناحية العسكرية لانه يقع في أعلى نقطة من الموضع الذي ترقد عليه الموصل القديمة البالغ (٢٤٠م).

وما زالت بعض آثار القلعة التي ترجع الى العهد العثماني (١١٥٨هـ / ١٧٤٥م) شاخصة حتى الآن متمثلة ببرجها الرئيس الذي يمتاز ببيته التسديرية وضخامته وارتفاعه الشاهق، كما تتصل بالبرج الاجزاء المتبقية من السور الذي كان يحيط بالقلعة. وقد أظهرت التنقيبات التي اجرتها جامعة الموصل في الجهتين الجنوبية والغربية للبرج عن

العديد من الغرف والقاعات فضلا عن وجود عدة غرف داخل استدارة البرج يصل بعضها ببعض دهليز افقي. وهناك دهليز آخر فريد من نوعه بوضعية عمودية يصل اعلى البرج بأسفله للسماح بتحرك المدافعين ونقل اللوازم الحربية بكل حرية.

كما كان للقلعة عند هذا البرج مدخل سري يؤدي الى النهر ليؤمن المياه والمواد الغذائية والتجارية والمتطلبات العسكرية. والملاحظ على قطر برج القلعة زيادة اتساعه في الأسفل عما هو عليه في الاعلى. ويعد هذا البرج من الأبراج المزدوجة وذلك لوجود برج آخر يعلوه على نفس الغرار ولكنه أصغر منه، فقد احيط القسم العلوي من جداره بشرط بارز يتركز على مساند حجرية تحصر بينها مزاغل عمودية لرصد حركة الاعداء. وقد زود الجزء الذي يعلو الشرط المذكور من حائط البرج الاول بكوى شبه مخروطية واسعة الفتحة من الداخل وتضيق تدريجياً من الامام وسرعان ما تنقسم على نفسها الى قسمين الاول ينتج نحو الامام وينتهي بفتحة شبه عمودية، والآخر ينتج نحو الاسفل وتكن أهمية هذا النوع من المزاغل المزدوجة بمنح الحرية الكاملة لحركة المدافعين وامكانية مراقبة العدو.

أما البرج العلوي فكان الغرض منه وضع بعض المدافع بعد ان اصبحت المدفعية من اسلحة الحروب المتطورة آنذاك ولهذا السبب زود الجزء العلوي من جدار البرج باربع فتحات كبيرة تتسع كل منها لمدفع فضلاً عن العديد من المزاغل^(١٩).

وهذا النوع من المزاغل له أهمية دفاعية مهمة لانه يعطي المدافع حياية كبيرة اذ يصبح من المتعذر على المهاجمين اصابة المدافعين الذين يحتمون خلف البرج^(٢٠). هذا وقد ساعد ارتفاع البرج على اتساع مجال مراقبة العدو من مسافات بعيدة.

ومن المرافق المهمة الاخرى لهذا البرج غرفة العمليات الحربية التي مازالت بقاياها ماثلة في اعلى جزئه الشرقي المطل على النهر. وكان لهذه الغرفة دور

مهم عام (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) حيث كان يدير منها الوالي حسين باشا الجليلي معركة الموصل الدفاعية ضد الحشود الغازية بقيادة نادرشاه^(٢١).

وقد توجت الابراج وبقياء السور المحيط بالقلعة شرفات ذات شكل دائري تقريبا، كما ضمت بقايا السور تحت الشرفات صفين من المزاغل^(٢٢).

وهناك برج (البارود خانة) الواقع في الشمال الغربي من المدينة بجوار الاعدادية المركزية حيث يتكون من مجاز واسع مستطيل الهيئة وجناح مقبب يوازيه في كل جانب من جانبيه. ويعلو ذلك طابق آخر مماثل له يصعد اليه بواسطة سلم عريض يتفرع بعد اجتياز الطابق الارضي الى فرعين يؤديان الى الطابق الاعلى ويقوم كل ذلك على سراديب ارضية انظمرت مؤخرا ولم يبق من معالمها سوى بعض الشبايك الصغيرة، لما يمتاز المبنى بالسلك الكبير لجدرانه وابراج نصف اسطوانية في اركانه، بالاضافة الى بعض المساند المائلة التي تعد من جملة التحويزات التي ادخلها الامان على المبنى قبيل الحرب العالمية الاولى.

ومن المباني الدفاعية الاخرى في الموصل القلعة الداخلية (ايح قلعة) الكائنة في الجهة الجنوبية الشرقية من الموصل على ساحل دجلة من العهد العثماني. وقد احيطت القلعة من الجهة الغربية (منطقة الميدان) بخندق يأخذ مياهه من نهر دجلة فتحولت الى شبه جزيرة اصطناعية^(٢٣). كما كان لها سور مشيد بالآجر متعدد الابراج. وعلى الرغم من زوال معالم ذلك السور فان هيئته وتصميم شرفاته وابراجها ومزاعله كانت على غرار ملاحظتنا في القلعة الرئيسية (باشطاية) التي ترجع معالمها المائلة الى نفس الفترة^(٢٤).

والجدير بالتنويه ان القلاع الداخلية في المدن شاعت في العهد العثماني لتكون مقرا للوالي^(٢٥) ومكانا امينا لحفظ الخزينة والسجلات المهمة^(٢٦)، فضلا عن وظائفها الدفاعية. ومماثل ذلك ملاحظناه في دار الامارة في العصر العربي

الاسلامي لانها لم تكن تمثل مسكنا لمثل الخليفة فحسب بل لكونها تحتوي على مؤسسات الدولة المالية والادارية وتمثل سلطة الدولة وهيبتها. هذا وبعد الاشوريين في مقدمة الاقوام الذين بنوا القلاع داخل مدنتهم لتضم قصورهم ومعابدهم لتكون بمثابة خط دفاع ثاني اذا ما تمكن الاعداء من اقتحام اسوار المدن^(٢٧).

ومن المباني العسكرية المحكمة العسكرية (القشلة) التي ازيلت مؤخرا وكانت تتكون من فناء واسع مكشوف تحف به مرافق وغرف تتقدمها اروقة مفتوحة على الفناء ويعلو ذلك طابق مماثل تقريبا يصعد اليه بسلم مستقيمة نصفية. ويفضى القسم الارضي بدوره الى مستشفى عسكري يتألف هو الآخر من مرافق وغرف تحف بفناء مكشوف ويحاور ذلك مطبخ (اكمكخانه).

ولابد من التنويه ان هذه المباني الدفاعية على الرغم من اقامتها في العهد العثماني الا انها تعد عمارة محلية موصلة من حيث المظاهر المعمارية واساليب التنفيذ والمواد الانشائية.

ثانياً: المباني المعاصرة:

تميزت عمارة الموصل المعاصرة مثل غيرها من مدن العراق الاخرى بظهور عشرات المحلات والاحياء السكنية خارج مركزها القديم. فقد بدأ السكان بترك مدينتهم القديمة في بداية الثلاثينات، وظهر ذلك بشكل ملموس في بداية الخمسينات. وخلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٥٧ - ١٩٧٧م، ازدادت المحلات في طرقي المدينة منها: (١٩) محلة في الجهة اليسرى و(٩) محلات في الجهة اليمنى، وبهذا اصبحت نسبة سكان الضفة اليسرى الى مجموع سكان المدينة حوالي ٣٣٪ في حين كانت تشكل في بداية الخمسينات حوالي ١٢٪ ويرجع ذلك لاسباب اقتصادية واجتماعية وتخطيطية منها ارتفاع دخول المواطنين^(٢٨) وازدياد الاهمية الحقيقية بوسائل النقل التي سهلت الارتباط بين المناطق المتناثرة ومراكز

خدماتها المركزية (٢٩) .

والجدير بالذكر ان زيادة الأحياء في الجهة اليسرى لمدينة الموصل عما هو عليه الحال في جهتها اليمنى دليل على خطأ مقترح الاستشاري الأجنبي (روكون سكواير) الذي اعتمد التوسع على الجانب اليسرى للمدينة بنمو اصبعي Finger plan حيث اهمل التوسع في هذا الجانب من المدينة فعزل نينوى حتى انه لم يقترح سوى اضافة جسر واحد للربط (٣٠) .

١- المباني السكنية :

ان التركيب السكاني في الموصل يختلف من حيث تصميم الدور وسعتها في المركز القديم عما هو الحال في الأحياء الحديثة على الرغم من وجود بعض التداخل في المركز القديم التي تتمثل باغلب دوره التصميم التراثية الشرقية كما مربنا وبعض التصميم الغربية المغلقة كما هو الحال في محلة الشفاء في شمال ذلك المركز. بينما دور المناطق الحديثة تتسم بالتصميم الغربي باستثناء الأحياء التي تغلف المركز القديم للمدينة حيث تمثل تصاميمها مرحلة انتقالية بين التصميم التراثية الشرقية والتصاميم المعاصرة الغربية على الرغم من غلبة السمات الشرقية عليها ، علاوة على ظهور العمارات النسقية العصرية .

وعلى هذا الاساس يمكن تقسيم الوحدات السكنية المعاصرة في الموصل من حيث التصميم الى أربعة اقسام هي : الوحدات ذات السمة التراثية ، والوحدات الانتقالية ، والوحدات ذات الطابع الغربي ، والوحدات والعمارات النسقية . وبما أن التصميم التراثية قد تناولناها آنفاً لذا سيقصر نظرنا على الوحدات الثلاث الأخرى من حيث التصميم والمميزات المعمارية والمواد الانشائية .

فالوحدات السكنية الانتقالية بين التصميم الشرقية والغربية تمثلت في المحلات التي تشكل الاطراف الذي يغلف الوحدات السكنية القديمة ومنها محلات : الشيخ فتححي وباب سنجان وروادي حجر والتي شيت والدواسة والدندان والعكيدات وبعض

دور الغزلاني في الجانب الايمن . ومحلات النصر والعناية وينوى الشرقية والشالية في الجانب الايسر . وتتميز بعض الدور بصغر المساحة التي لاتتجاوز ١٥٠ متراً كما في محلات الشيخ فتححي وباب سنجان والعكيدات (٣١) . وعلى الرغم من تميز دورها بالتصميم الشرقي المفتوح الا أن غرفها أكثر اتساعاً من غرف الدور التراثية ، وامتدادها أكثر انتظاماً على الشوارع الواقعة عليها ، وتم تسقيفها بالمقادة والشلمان ، ولهذا انعدمت العقود من أوأوين اجنحتها ، وفتحت بعض الشبابيك المتوسطة الحجم في جدرانها الداخلية والخارجية .

والجدير بالذكر أن الدور السكنية الآتفة الذكر التي تمثل حلقة الربط بين التصميم الشرقية والغربية أو التي تتسم بالسمات التراثية يتمثل في تصميمها صفة التناظر symmetry. والتناظر كان الاساس في اغلب الطرز المعمارية القديمة ومنها الطرز العربية الاسلامية حيث تماثل الاشكال على طرفي خط التناظر. وهذه السمة تمثل التصور المسبق Preconceived لفكرة الشكل وهيمنة الناحية الهندسية والرياضية في القرن (٣٢) .

اما الوحدات السكنية ذات الطابع الغربي المغلق فقد شجع عليه التغيير الاجتماعي والاقتصادي ، وتمسك تقنيات البناء (٣٣) . ويمكن تقسيم هذه الوحدات السكنية الى نوعين حسب المساحة والتركيب الداخلي للدار هما : الدور المتوسطة النوعية والدور الجيدة النوعية .

فالدور المتوسطة النوعية تمتاز باتساع مساحتها قياساً بمساحات الدور السابقة ، ويقع معظمها على اطراف النطاقات السكنية السابقة تكون في بعض الاحيان نوى جديدة تشكل ضواحي سكنية جديدة في المدينة . وقد بني بعضها بمساعدة المصرف العقاري والجمعيات التعاونية كبعض القطاعات كالعلمين والحامين وذوي الدخل المحدود . واهم الأحياء المتمثلة فيها هي : الشفاء واليرموك والثورة في الجانب الايمن وحبي السكر وحبي البلدات وحبي نواب الضباط في الجانب

الايسر، أما الدور الجيدة النوعية فتتمثل في محلة الشفاء، وأحياء الطيران والبرموك والزهور والقادسية والمجموعة الثقافية والنور والشرطة والمخني^(٣٤).

وتتبع هذه الأحياء السكنية من حيث الهيكل العام (التقسيمات الشطرنجية) Grid Iron إذ تتكون من بلوكات متشابهة ضمن الحمي الواحد تقريباً وتتظم على شوارع تتقدمها وتفصل فيها بينها، وتتصل الدور من جهة أو أكثر بمجاوراتها من الدور الأخرى. ويتمثل بتصميمها النمط الغربي المغلق بعد اختفاء الفناء المكشوف وانفتاحها الى الخارج على هيئة حدائق تتقدمها أو تحف بها. وتظهر فيها الشبايبك الواسعة وكراجات السيارات، علاوة على اتساع غرفها وتعدد مراقفها واستخدام الكونكريت المسلح في تسقيفها والطابوق السمنتي في بناء الجدران، كما ان الشوارع التي تتظم عليها أصبحت متدرجة في السعة والتخصص بفعل التخطيط البلدي.

أما التركيب الداخلي لمراقف الدور فيتمثل بصالة كبيرة بهيئة (هول) مركزي داخلي ثم جناح للضيوف يتكون من غرفة للجلوس تجاورها غرفة طعام وحمام على الاغلب، ثم يلي ذلك من الداخل جناح للعائلة يتمثل بغرفة للجلوس وحمام ومطبخ يتركز في الجهة المقابلة للكراج. وهناك طابق ثانٍ يمثل غرف نوم العائلة تتقدم واجهته المظلة على الحديقة الامامية بعض البالكونات.

واذا تناولنا هذا التركيب بالتحليل نجد ان (الهول) المركزي الداخلي وفرجزاً من الخصوصية المطلوبة وعمل كفضاء انتقالي بين الفضاءات الخاصة بالزوار. وهناك فضاءات حركة تؤمن جانباً من الخصوصية وتكون عازلاً للفضاءات الخاصة بالعائلة عن الوحدات السكنية المجاورة من جهة والشوارع من الجهة الامامية للدار. وبعض تلك الفضاءات تتمثل بالكراج والمعمرات الخارجية التي تقود الى الفضاءات الداخلية الخاصة بالعائلة. ويوجد محور الحركة باتجاه المدخل المؤدي الى جناح

الضيوف. وفي بعض الدور يكون الدخول اليها من مدخل عبر الحديقة الى المدخل الذي يؤدي بدوره الى الجناح الخاص بالضيوف أو الى الفضاءات الخاصة بالعائلة^(٣٥).

أما البالكونات فتحتمي الواجهة الامامية التي تغطيها المساحات الزجاجية الواسعة، وتكسر الخطوط الأفقية القوية للواجهات المتراسة للدور. كما ان هذا النوع من تصاميم الدور متأثر بالحاجة والخصوصية العراقية التي تؤكد على الفصل بين الجناح الخاص والجناح العام Private Zone و Public Zone من ناحية، والاستجابة للتحديث الغربي في تحديد المساحات والحجوم والدار المغلق والتفاصيل الفنية في التخطيط والواجهة من جهة أخرى^(٣٦).

ومنذ منتصف السبعينات تقريباً حدث بعض التغير في تصاميم الدور أملت الناحية الوظيفية والاقتصادية فقد أصبحت بعض الدور متصلة بمجاوراتها من جميع الجهات عدا الامامية منها المظلة على الشوارع الواقعة عليها بعدما كانت لاتتصل بما يجاورها إلا من جهة واحدة لأن تعليمات البلدية كانت تؤكد على ذلك في حينه. كما انتفت الحاجة الى غرف الطعام بعد أن عوض عنها المطبخ الواسع بالنسبة للعائلة. واختفى مدخل الاشخاص المؤدي من الخارج الى فضاءات الدار المختلفة واقتصرت ذلك على الكراج الذي أصبح مدخلاً مشتركاً للسيارات والاشخاص، وتحول السلم المؤدي الى الطابق العلوي من داخل الهول المركزي الخلفي الى احد الجوانب في بعض الدور لمضاعفة الاستفادة منه بعد ان أصبح مركزاً لنشاطات العائلة، علاوة على استعماله السابقة كحلقة وصل بين الفضاءات المختلفة.

كما شاعت بعض الالواح الزجاجية الثابتة بالشبايبك الواسعة. وقلت هوائيات الشبايبك وانعدمت الحماية الحديدية من بعضها واستبدلت الاطر الحديدية باطر من الانيموم في البعض الآخر. وبدأ بعض الانحسار في استخدام السطح للنوم

صيفاً حتى ان بعض المتأثرين بالطابع الغربي تعمدوا إجماله بعد استعمال السقوف المائلة Pitched Roof واستعمال اسيجة حديدية شفافة ، كما ظهرت بوادر المزج في القضاة المستعملة من قبل الجنسين وبدأ التحول باستعمال غرف الضيوف الى غرف الجلوس والطعام والهول كغرف للعائلة وهذا مقارب لما هو متعارف عليه تقريباً لدى الغربيين^(٣٧).

اما الوحدات السكنية النسقية فتتمثل الوحدات المتشابهة بالشكل والامتداد والتركيب الداخلي. وتدخل مشاريع الاسكان الحكومية تحت هذا النمط كافة. وهي على نوعين:

أ- العمارات العمودية المتعددة الطوابق:

ان معظم العمارات السكنية في الموصل متخصصة تقع في مواضع مختارة نهضت مؤسسات الدولة بتشيدتها ومثال ذلك الشقق السكنية التابعة لشركة النسيج، وتجمعات جامعة الموصل السكنية غير ان أكبر تلك التجمعات هي تجمعات البرموك على طريق السحاجي وعمارات حي الخضراء والعمارات الكائنة في شمال حي العربي^(٣٨).

وقد شيدت معظم هذه العمارات من وحدات جاهزة التصنيع. وأول من استعمل مبان بوححدات مصنعة مسبقاً هي البلدان الاسكندنافية في اوائل الخمسينات نظراً لقسوة الجو عندهم ، وخصوصاً في فصل الشتاء، حيث تم صنع وحدات تلك المباني في مصانع خاصة ثم تنقل الى الموقع لتثبيت وتشيد وحداتها ببعض بواسطة الاربطة الخاصة. ومن أهم مزايا المباني الجاهزة: سرعة التنفيذ والاعتقاد في التكاليف، كما لم تخل من بعض العيوب المتمثلة بالتمطية المتكررة المملة وعدم تفضيلها في انشاء المباني العالية حيث ينهار المبنى العالمي كله اذا تم انفجار جزء منه لان نظامه الانشائي يعتمد على طوابق يبنى بعضها فوق بعض ولذلك تفضل في المباني قليلة الارتفاع فقط^(٣٩) كما لا تخلو مثل هذه المباني من مشاكل انشائية لاسيما

وان وزنها الخفيف يصبح له اثر سيء اذا ماتعرضت للرياح غير ان المهندسين في بعض دول العالم اخترعوا اسلوباً جديداً يعطي نفس تأثير ثقل المباني القديمة وذلك بالتوصل لفكرة أجهزة التخامد Wind Damping Devices التي تحول طاقة الرياح الى حرارة وبذلك تستطيع هذه الاجهزة امتصاص صدمات قوى الرياح^(٤٠). ومن المحتمل ان يواجه هذا النوع من السكن مصاعب بسبب نمو عدد أفراد العائلة كما أن مساحات الشقق وضعت بأسلوب تصميمي آخر هذا فضلاً عن ان الظروف المناخية تجعل من الشقق غير ملائمة لاسيما اذا ارتفعنا فوق ثلاثة طوابق واهملنا جانب استعمال السطح والعوامل الاجتماعية والموضوعية الاخرى.

لقد ظهرت بوادر هذه العمارات في العراق في بداية الثمانينات لتلافي التوسع الافقي في المدن. وقد اكدت مؤسسة (بول سيرفس) البولندية عام ١٩٦٥م على زيادة السكن العمودي. وضمن الخطة الخمسية المقترحة من ١٩٧٥ - ١٩٧٩م قررت الدولة البدء بمرحلة زيادة عدد الشقق السكنية الى ٧٠٪ من حصة العمارة الاسكانية المقترحة وتخفيض نسبة الدور المنفصلة منها الى ٣٠٪^(٤١).

ب- الوحدات النسقية الافقية:

اما النوع الافقي من الوحدات النسقية فقد اتبع في بداية الاسكان الحكومي. واهم ما يتصف به هذا النمط من الابنية هو منظره الافقي وشكله العماري المتناسق الممل. ويعود معظم هذه الوحدات لمؤسسات حكومية انتاجية ومنها وحدات شركة النسيج في المنصور ووححدات الشركة العامة للسكر في وادي حجر. ومشاريع وزارة الاسكان (دوميز) الى الجنوب من الساحل الايسر واهم ما يتصف به الدور في هذه الوحدات هو انتظامها على هيئة صفوف متقابلة على جانبي الشوارع الرئيسة والفرعية التي تتعاود مع بعضها مشكلة بلوكات نسقية رباعية او مستطيلة.

تتمتع بخصائص بيئية ومناخية وديموغرافية معينة^(١٤).

٢- المباني الخدمية :

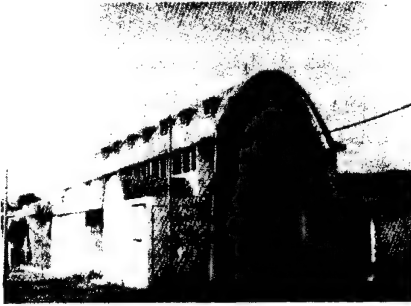
تعددت هذه المباني نظرا لتعدد الخدمات التي تقدمها من اقتصادية واجتماعية وصحية وغيرها كالاسواق والمحازن والفنادق وقاعات الاجتماعات وغيرها. فالاسواق تأتي في طليعة تلك المباني لكونها ذات خدمات اقتصادية تتعلق بالتجارة والامور المتصلة بها ، وتتميز أسواق الموصل المعاصرة بكثرتها نظرا للتوسع الكبير الذي أصاب المدينة حديثا ، كما تنوعت تصاميمها بسبب طبيعة المواد التي تعامل بها ، والمواضع الكائنة فيها والمواد البنائية المستخدمة في تشييدها. فبعض الاسواق تقع في المنطقة التجارية المركزية وتعد امتداداً للأسواق التراثية التي سبق التطرق اليها حيث تتخذ نمط الامتداد الطولي لوحداث متائلة من الدكاكين المتلاصقة على جوانب طرق وممرات سوقية وملتوية وخاصة في سوق باب الطوب وباب الجسر. وتعلو بعض الممرات اقنية ذات فتحات للتهوية والاضاءة كسوق الخفافين ، كما ان بعض الدكاكين تغطيها سقوف مستوية لكونها بنيت مؤخرًا بمادة الاسمنت والكونكريت المسلح بعد هدم الدكاكين القديمة المتهرة ، كما هو الحال في سوق العنسي ، وبعض دكاكين سوق اللحم القديم في باب الطوب وهناك دكاكين معاصرة الا اننا نلاحظ في تصميمها طابعا تراثيا يتمثل بواجهاتها المقوسة على الرغم من بنائها بمادة السمنت وتغطيها ممراتها بقبوات من صفائح البلاستيك كما يلاحظ في سوق الصاغة ويرتفع فوق ممرات البعض الاخر من الاسواق سقوف جملونية من صفائح المعدن (الجينكو) ، واستبدلت ابواب الدكاكين الخشبية التراثية بابواب من صفائح المعدن المضلع .

وهناك أسواق تمثل المنطقة التجارية الحديثة تركزت حول الشوارع التي شقت في المدينة

والجدير بالذكر ان مشاريع وزارة الاسكان كانت من الوحدات الجاهزة التصنيع كما ان مشروع اسكان موظفي معمل السكر يتكون من طابقين^(١٥) ، في الوقت الذي تتكون اغلب هذه المشاريع من طابق واحد .

وبخصوص المباني السكنية في بقية ارجاء المحافظة فنجد ان مراكز الاقضية والنواحي تجمع ما بين التصميم الشرقي المفتوح ولاسيما العائدة للمزارعين ومربي الحيوانات ، اما بقية السكان ولاسيما الموظفين فتتمثل في معظم دورهم التصاميم العصرية المغلقة . وتمتاز بسقوفها المسطحة نظرا لاستعمال الكونكريت المسلح في تنفيذها . ويغلب على الدور الريفية النمط الشرقي المفتوح والمساحات الواسعة عادة لان بعض اقسامها تستخدم كمخازن : ومع ذلك فهناك اختلافات بين الدور الريفية نتيجة عدة اسباب منها طبيعة المنطقة ونوعية المواد الانشائية والقدرة المادية وطبيعة الحياة الاجتماعية . ومعظم الدور الريفية تتألف من وحدات منفصلة تمتد افقيا على الارض بارتفاع طابق واحد فقط حيث يتعدى السكن العمودي وخاصة في منطقة الجزيرة جنوب خط المطر ٤٠٠ ملم لأن مادة اللبن والطين والتسقيف بالحصران وأغصان الاشجار أحيانا لايساعد على ذلك ، كما ان الحياة الاجتماعية في الريف تؤكد على حجب الرؤيا وعدم الاطلاع على الجيران والتي تنتفي في حالة بناء طابق واحد . اما الدور المكونة من طابقين فتنتشر بشكل خاص شرق دجلة في القسم الشمالي والشرقي من محافظة نينوى لكون معظمها مبني من الحجر والجص او الطين المتوفرة ويتكون الطابق الارضي من غرفتين يتوسطهما فضاء مسقف مفتوح نحو الفناء الداخلي المكشوف . ويخصص قسم من هذا الطابق كمأوى للحيوانات ويعلوه الطابق الثاني الذي يتكون من غرفة او غرفتين تخصص لسكن العائلة^(١٦) . وهناك تصميم مغاير في قرية ربيعة الريفية يتمثل بالنوع المغلق Compact Plan رغم تقارب الوظيفة ولم يأت ذلك عفويا فان قرية ربيعة

من الدكاكين المتلاصقة بصورة متدابرة بمعنى ان الصف الاول يفتح على المر والثاني يتجه على الشارع العام في المنطقة ، وسقف المربسقف ذي قو بيضوي مطول ، وقد شغلت فتحة العقد من الامام والمؤخرة بنسيج محزم من البلوك السمتي ، كما استحدثت في جوانبه من الاعلى فتحات للتهوية والاضاءة . وهناك قسم مائل بصورة مستعرضة



سوق تجاري حديث في حي المنصور

وقبل نهايته استحدثت قسم آخر على نفس الغرار عدا استبدال السقف المقبب بسقف مسطح . هذا وتتقدم الدكاكين الواقعة خارج الممرات المسقفة اروقة محمولة على اعمدة ، علما بان المادة الانشائية المستخدمة في البناء هي الاسمنت والكونكريت المسلح .

ويوجد سوق مائل في الجانب الايسر في مدينة الزهور مع بعض الاختلافات منها : أن اقسامه غطيت بسقف كونكريتي مسلح محمول على روافد كونكريتية ، كما استندت سقف الارقوة على اعمدة من الانابيب الفولاذية بدلا من الاعمدة الكونكريتية التي تمثلت في سوق المنصور .

ولابد من التطرق الى مخازن المؤسسات الخدمية حيث تكون بصورة عامة من مساحة مستطيلة واسعة ذات جدران مرتفعة تنتهي من الاعلى بفتحات غير واسعة للتهوية . ويغطيها سقف جملوني من صفائح المعدن المضلع الذي يستند على

القديمة بعد الحرب العالمية الاولى ومنها شارع نينوى والفاروق . والتصميم المميز لهذه الاسواق المعاصرة هي تأثرها بالطرز الغربية ، وتتميز بمساحتها الواسعة وعمقها البين اذا ماقيست بتصاميم الاسواق الموروثة . ونجد اسواقا اخرى واقعة على شوارع حديثة اخرى سميت بحزام المدينة التجاري لكونها تحيط بالمدينة القديمة من معظم جوانبها كشارع ابن



عارة ماصرة على شارع الكوريش

الاثير^(٥٠) . وشارع الكوريش الذي تمتاز ابنته بالعصرنة وتعدد الطوابق وادخال بعض الملامح التراثية فيها .

وبغية الحفاظ على منطقة الاسواق الموروثة ونسيجها العماري من الضروري عدم السماح بتشييد ابنة ذات طرز غربية عن طرزها الموروثة ولا بأس من ادخال بعض التغييرات الفنية عليها تتماشى وظروف العصر ، ولتشجيع ذلك ينبغي تقديم المساعدة المالية عند هدم الابنية القديمة والمتداعية واعادة بنائها بشكل ينسجم مع الطراز المماري الموروث^(٤٦) .

والجدير بالذكر ان هناك اسواقا خدمية اخرى استخدمت في مناطق متعددة من مدينة الموصل احدها في الجانب الايمن في منطقة المنصور وتتكون مرافقه الممارية من عدة اقسام : الرئيس منها يتكون من ممر واسع يقع على كل جانب من جانبيه صفان



فندق الموصل

وقاعات ترفيهية ومطعم كبير. ووجود حمامات ملحقة بغرف المسافرين، كما جهزت بالتدفئة المركزية وتعد من الناحية الانشائية من نوع المباني الهيكلية، وامتازت بكثرة الشبائيك ذات الالواح الزجاجية الثابتة والمتحركة، واخذ الظروف المناخية كاتجاه الرياح السائدة وهي الشمالية الغربية وكذلك اشعة الشمس بنظر الاعتبار لدى اختيار اتجاه المبنى. هذا ولاننسى بعض السيات الحضارية التي اخذت بنظر الاعتبار وخير مثال على ذلك فندق الموصل المتميز بتعدد طوابقه وقلة اتساعها التدريجي نحو الاعلى بحيث اصبح اشبه ما يكون بالزقورة المعاصرة. كما فيه لمحات تراثية تتمثل في العقود الدائرية المطولة. هذا وتحتوي هذه الفنادق على أماكن لوقوف السيارات وبعض الفضاءات المكشوفة وهناك فضاءات أخرى مكشوفة تتخلل اقسام هذه الفنادق لتكون كمصدر للاضاءة والتهوية الطبيعية.

أما قاعات الاجتماعات فتعد هي الاخرى من المباني الخدمية المعاصرة، ومنها قاعة الربيع وقاعة ابن الاثير في الجانب الايسر وقاعة صدام في مركز جامعة الموصل. ويتميز تصميم هذه القاعات بالاتساع البين ويعتمد على التناظر في الواجهة الرئيسة ليعطي نوعاً من التجسيم والهيبة للمبنى. ومن حيث توزيع الكتل في التخطيط فقد استخدم

روافد فولاذية مسنمة Trussed Girder. وقد شاع هذا التصميم من المخازن لانه من اهم التصميم الناجحة في تادية وظائفه التخزينية، فالارتفاع البين يساعد على تنشيط حركة الهواء ويقلل الضغط الحراري على المواد المخزونة. اما السقوف الجملونية فتسمح بانسيابية مياه الامطار، وارتكازها على الجدران بصورة سليمة وان تضلوع معدنها يضاعف مقاومتها للرياح والقوى الخارجية التي قد تسلط عليه. بينا الروافد المسنمة فهي أنجح الروافد في المخازن الكبيرة ذات الطابق الواحد لأنها تعمل تبعاً لنظرية المسننات، والعمق يزيد من قوة الروافد وبذلك يكون اقتصادياً بالنسبة للثقل^(١٧).

وتعد الفنادق من المنشآت الخدمية المهمة في المدينة غير أن تصاميمها تختلف حسب مناطقها ويمكن ان نصفها الى نوعين: الاول لم يصمم بالاصل كفنادق الا أنه استغل لهذا الغرض ويلاحظ ذلك في الطوابق الاولى على بعض الشوارع الحديثة داخل المدينة القديمة والتي يمكن استخدامها لاغراض متعددة اخرى كمكاتب لارباب الاعمال وعيادات للاطباء وحتى شقق سكنية ومثل هذه المباني التي استغلت للاغراض الفندقية تتميز بعدم توفر الخدمات المطلوبة لمريديها. أما النوع الثاني فقد صمم بالاصل لهذا الغرض ويعتمد تصميمه على وجود ممرات مستعرضة تنتظم غرف الزوار حولها باحجام تناسب وعدد الأسرة المطلوبة كما توجد مرافق متعددة للاستحمام والطبخ والاستقبال وتتوفر فيها أجهزة التبريد والتدفئة، كما هو الحال في فندق الحطة وفندق الرفادين في الجانب الايمن من الموصل غير ان اهم فنادق الموصل هي الفنادق الضخمة التي بنيت مؤخراً كفندق نينوى (اوبري) في الجانب الايسر، وفندق الموصل، وفندق اشور في الجانب الايمن. وهذه الفنادق التي خطط لها مسبقاً تمتاز بتعدد طوابقها وتعدد مرافقها كاقسام للاستراحة

فيها نمط التوجيه الداخلي Look in Pattern وهو النمط الذي يكون التخطيط فيه بموجبه نحو الداخل وذلك لاستخدام الفضاءات لنشاطات ترفيهية واجتماعية، ولاننسى العامل الأمني ومعالجة المشاكل الناحية ويعبر عن هذا التخطيط أيضا بالتخطيط المغلق⁽⁴⁸⁾. ومن المميزات المعاصرة هذه القاعات وجود طابق بصفوف متوازية من كراسي الجلوس تنخفض تدريجيا كلما اتجهنا نحو الامام ليتسنى للجالسين مشاهدة الفعاليات التي تجري فوق المسرح الذي يتصف بدوره بارتفاعه البين. هذا وان سقف القاعات تكون ذات ارتفاع كبير وبهذا تكون بمثابة فضاءات مسقوفة مثلها في ذلك مثل (الأواوين) في اجنحة البيوت التراثية. واخذت الناحية التراثية بنظر الاعتبار في بعض القاعات كما هو الحال في قاعة ابن الاثير فاستخدمت الاقواس الدائرية المتتابعة في سقفوها والعقد المنبسط الذي يحتضن المدخل الرئيس ويعبر عن واجهة القاعة. وقد جهزت هذه القاعات بوسائل سمعية وبصرية.

وهناك ابنية خدمية بمائل تصميمها الى حد كبير تصميم قاعات الاجتماعات السابقة وهي (السينات) حيث يعتمد على وجود طابق ارضي وآخر علوي مرتد نحو الخلف وتدرج بصفوف كراسي المشاهدين، ومسرح تنصده الشاشة وسقف مرتفع يتخذ الهيئة الجمولية عادة وتتركز السينات في الجانب الايمن في منطقة الدواسة.

والملاعب الرياضية هي الاخرى بمائل قسم المشاهدين والضيوف قاعات الاجتماعات من حيث تدرج المصاطب لنفس الأسباب التي وجدناها في تلك القاعات وهذا القسم الذي يعد اهم المباني في تلك الملاعب حيث يتبع مبدأ التناظر إذ يتكون من منصة وسطية تغطيها مظلة كونكريتية وتتوزع صفوف المقاعد على الجانبين بصورة متساوية تقريبا من حيث عددها وتدرجها. وهناك ممر للمتسابقين أو

المشاهدين في كل جانب من جانبي المنصة ويضم قسم المشاهدين بعض الاجنحة والمرافق الخدمية تحتها. وتتقدمه ساحة الملعب ذات الاتساع الكبير التي تجري فيها الفعاليات الرياضية المختلفة لاسيما التي تحتاج الى العدو ومجال الحركة الكبير كسباقات الخيل وكرة القدم. ومن اهم الملاعب الرياضية بمدينة الموصل هو ملعب جامعة الموصل في المركز الجامعي، وملعب الادارة المحلية في باب سنجار. والجدير بالذكر ان جامعة الموصل قد شيدت ملعبا مسقفا تمارس فيه العديد من الفعاليات الرياضية ويمتاز باتساعه وبوجود مدرجات للجلوس على جانبيه، وسقف كونكريتي مقبب ونوافذ للاضاءة والتوية. كما شيدت مسبحا مسقفا على الغراف نفسه تقريبا باستثناء قسم الفعاليات الوسطي الذي شغله حوض للمياه.

اما بالنسبة للحمامات العامة التي اشتهرت بها الموصل منذ القدم فلا زال بعضها منتشرا في بعض مناطق المدينة وخاصة في الجانب الايمن، وبعد تصميمها المعاري امتدادا لتصميم الحمامات التراثية الذي كان يؤكد على الانتقال التدريجي من البرودة الى الحرارة وبالعكس حيث اشتمل على متزج لخلع الملابس ثم مسبح وحجرة تفصل بينها. ومعظم الحمامات تكون مزدوجة اي تتكون من حمام للرجال وحمام للنساء لكون الرجل مشتركا بينها بيد ان حمامات النساء لها خصوصية تتمثل بوجود مدخل منكر لاسباب اجتماعية، كما هو الحال في حمام عبيداغا وباب لكش.

والجدير بالذكر ان الحمامات المعاصرة التي بنيت مؤخرا ذات سقف كونكريتي مسطحة كما هو الحال في حمام باب الجديد ومثل هذه السقوف غير ناجحة في الحمامات لانها تساعد على تكاثف الابخرة على شكل قطرات باردة تزعج المستحمين بعكس السقوف المقببة في الحمامات التراثية كحمام الصالحية.

٣- المباني الدينية :

لقد تميز العصر الحديث في الموصل بالاهتمام بالمباني الدينية عماراً وترميمياً فظاهرة بناء الجوامع كانت احدى السمات المعمارية في مرحلة الثمانينات والتسعينات حتى غطت تلك الجوامع جميع مناطق واحياء الموصل اذ قلما نجد حياً يخلو من جامع او اكثر وهذا يدل على تأصل الناحية الدينية في نفوس اهل الموصل واهتمام الدولة بهذه الناحية. بيد ان بعض الجوامع لم يراع في تخطيطها وهيتها عناصرها المعمارية السمات الاساسية للعمارة الاسلامية بل كانت على النقيض منها احيانا فعلى سبيل المثال نجد ان التخطيط المضلع تمثل في تخطيط بعض مصليات الجوامع كجامع حي الضباط وهذا يعد خروجاً عن التخطيط المستطيل الذي كان مألوفاً منذ صدر الاسلام والعصور التالية لانه يتماشى مع السنة النبوية الشريفة التي تؤكد على زيادة اجر المصلين في الصفوف الاولى باعتباره يوفر اكبر عدد من المصلين فيها بينما التخطيط المثلث يحدث العكس فيه حيث يقل عدد المصلين في تلك الصفوف ويمثل ذلك خروجاً عن السنة النبوية الشريفة.

وتوجد ظاهرة اخرى جديرة بالملاحظة في بعض جوامع الموصل وهو نقلها من الطابق الارضي الى الطابق العلوي وتسمى بالجامع المعلقة ليتسنى توفير محلات في الطابق الارضي لتزجر لشاغليها وتوفر ريعاً للجامع. ومثال ذلك جامع زينب خاتون (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) في منطقة السرجخانة. وهذه الظاهرة نادرة الشيعة في الجوامع والمساجد. كما نجد احيانا أن موقع المرافق وحجمها لا يتناسب مع المرافق الاخرى ضمن المبنى العام ومساحته الكلية، علاوة على اهتزاز العلاقة العضوية بين عناصرها المهمة كالقبة والمئذنة وذلك للبعد البين بينها وعدم تناسب حجمها كجامع رشان في حي المشي

ولابد من الاشارة ونحن في سبيل التعرض الى المنشآت الخدمية ان نشير الى بعض العمارات العامة التي تستخدم من قبل دوائر متعددة للدولة. ومن أشهر أمثلتها عمارة التأمين التي تمتاز بتعدد طوابقها ووجود مصاعد كهربائية بالإضافة الى السلام واروقة تحفظ محلات الطابق الارضي من المشاكل المناخية واستعمال الشبائيك ذات العقود الدائرية التي تؤطر بعض الشبائيك والبعض الآخر يكون بمثابة مشكاوات قائمة بذاتها تضي على البناء ضخامة وتجسبا وتعتبر بنفس الوقت على بعض السمات التراثية التي عمت العديد من المباني العامة والخاصة في المدينة ولاسيما المشيدة مؤخرًا على شارع الكورنيش على الضفة اليمنى لدجلة بين الجسر الحديدي والجامع المجاهدي.

وتعد هذه العمارات من العمارات الهيكلية او الابنية الثقيلة وهي الابنية التي تجمع فيها الانتقال الى اعمدة بواسطة السقوف والروافد والحالات ثم تنقل بالاعمدة من طابق الى آخرته وهكذا الى التربة حيث يوزع النقل فيها في ضمن حدود تحملها. ويتم توزيعها بالتساوي على سطح تلك التربة^(١٤).

وتكثر في هذه المباني عادة الجدران المائلة والقواطع التي لا تكون حاملة لانقال البناء الا وزنها فقط، وذلك لان جميع الانتقال التي تحملها الروافد والحالات^(١٥) في مثل هذه المباني الهيكلية.

اما المباني الصناعية كمعامل النسيج والسكر فتتميز بتعدد مرافقها واقسامها وان كانت تختلف من معمل لآخر حسب طبيعته ووظيفته وان كان هناك بعض المرافق تتواجد في معظم المعامل كالتخازن مثلاً، كما انها تتبع من حيث توزيع الكتل نمط التخطيط الموجه الى الداخل انطوائياً لأن المكائن والمعدات وكذلك الكادر البشري العامل عليها يكون داخل فضاءات مغلقة عادة.

كالسيراميك مثلا ، كما شمل الترميم بعض الاديرة
كدير مارموتي ودير ماربنام .

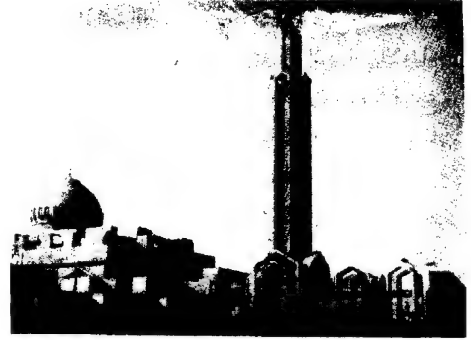
٤ - المباني الصحية :

لقد غطت هذه المباني مركز الموصل وارجاء
محافظة نينوى نظرا لأهمية الخدمات التي تؤديها
للمواطنين وتشمل المستشفيات والمستوصفات
والمراكز الصحية غير أن المستشفيات تركزت في
مدينة الموصل ، بالإضافة الى المستوصفات ،
والمراكز الصحية التي اخذت التوزيع الجغرافي بنظر
الاعتبار لدى انشائها ، أما الاقضية والنواحي
فانحصرت على المستوصفات عادة . وقد جرى
التأكيد في تصاميمها على توفير الجو الصحي الملائم
للمرضى ومنها معالجة التهوية الطبيعية ، وضمان
دخول اشعة الشمس لمعظم مراقفها إن لم تكن
جميعها .

وتعد المستشفى الجمهوري من أولى مستشفيات
المدينة المعاصرة ويتكون من عدة اقسام اهمها
ردهات المرضى التي تتكون من قاعات مستطيلة
متجاورة تفصلها بعض القضاات المكشوفة
ويتقدمها ممر طولي مشترك يشرف بدوره على بعض
الحدائق والأبنية المكشوفة بواسطة شبايك واسعة
نسبيا فتكون بمثابة أروقة مغلقة وهذه الوضعية توفر
العزل البيئي من ناحية ، وتلقي أشعة الشمس
المطلوبة في مثل هذه المباني الصحية .

وتتألف المستشفى من طابقين متناظرين تقريبا
مثل الطابق الارضي ردهات الرجال وبعض المباني
الملحقة كالتحريات وصالات العمليات وغرف
الادارة والاطباء والفحوصات ، علاوة على المطبخ .
اما الطابق العلوي فيمثل ردهات النساء وبعض
غرف الاطباء والتداوي .

وقد بنى المبنى بالحجارة الكلسية والجص ولهذا
تميزت جدرانه بالسلك البين الذي حقق بعض
الفوائد من حيث الناحية الانشائية والعزل



جمع رشان في حي التين

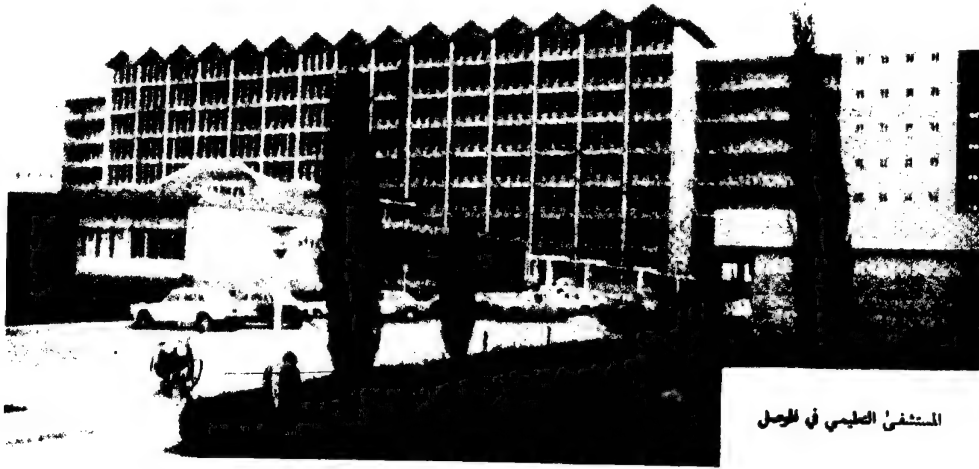
(١٩٧٧/٥١٣٩٧ م) .

ومن حيث شكل العناصر المعمارية فقد تنوعت
تنوعا كبيرا ولاسيما المآذن وهذا غير مألوف بالمعارة
الاسلامية التي تشهد التنوع البسيط الذي يتناسب
مع الناحية الوظيفية والجمالية ، أما القباب فعلى
الرغم من جمالية نسبها الا ان بعضها يعد غريبا على
قباب الموصل والقباب الاسلامية بصورة عامة كالقبة
ذات التكوير المنبسط لسطحها في بعض الجوامع .
ومخصوص المحارب شاع المحراب المجوف وانعدمت
المحارب المسطحة كما ان المنبر المدرج البارز تمثل في
بعض الجوامع كالمنبر الحجري في جامع رشان .
والمنبر الخشبي في جامع السلطان . هذا وقد شملت
المباني الدينية المعاصرة بعض الكنائس اهمها من
الناحية التصميمية كنيسة السريان الارثوذكس
(١٩٨٨م) التي اتبعت التخطيط البازيليكسي في
تصميمها والأقواس المتقاطعة والزجاج الملون في
بعض الشبايك .

وبالنسبة لترميم وتطوير بعض المباني الدينية
فيمكن اعتبار جامع النبي يونس في مقدمة الامثلة
على ذلك ، وعلى الرغم من الاهمية الانشائية في
ترميمه الا انه قد بعض عناصره وسماته الاصلية بعد
التحديث الكبير الذي اصابه بفعل المواد الانشائية
الحديثة غير التقليدية التي استخدمت في داخله

للمرضى. وبعد المبنى من الابنية الثقيلة (الميكانيكية) الذي شيد بالبلوك والكونكريت المسلح. واستخدمت فيه التدفئة والتبريد المركزي وزود بمساعد كهربائية علاوة على سلامه الاعتيادية. ومن المستشفيات المعاصرة مستشفى صدام الذي يتميز بانشائه بواسطة البناء الجاهز ويتعدد طوابقه التي تصل الى ستة طوابق ايضا. ويعتمد

الحراري، على الرغم من اعتماد المستشفى على التدفئة والتبريد المركزي. وهناك بعض الملاحق المتفرقة بنيت مؤخرًا من البلوك والسمنت. هذا وبعد المبنى من الابنية الخفيفة التي تقوم جدرانها بنقل الثقل الى الاساس الذي يكون ملازماً للجدار. والابنية الخفيفة عادة تتكون من طابق او طابقين ونادراً تكون اكثر من ذلك (٥١).



المستشفى التعليمي في الموصل

بتصميمه على محرات داخلية مغلقة طويلة ومستعرضة تنظم عليها غرف المرضى من الجانبين، علماً بأن الطابق الارضي يشتمل على مرافق الادارة والفحوصات والتجبرات والمطابخ. وقد زود هو الآخر بمساعد كهربائية وباجهزة التبريد والتدفئة المركزية.

وثمة مستشفى آخر هو مستشفى الخنساء للأمراض النسائية والتوليد ويتكون من طابقين شيداً بواسطة البناء الجاهز وقد انتظمت مرافقها حول محرات طويلة ومستعرضة مغلقة وزود المبنى بالتدفئة والتبريد المركزي.

ومخصوص المستوصفات فقد وزعت في مناطق

والمستشفى الآخر في المدينة هو المستشفى التعليمي (العام) الذي يتألف من ستة طوابق متناظرة تقريباً تشغل من قبل المرضى باستثناء الطابق الارضي الذي يشتمل على مرافق الادارة وقاعات العناية المركزة والفحوصات التجبرية والمطابخ.

ويتكون كل طابق من الطوابق الخمسة العليا من صف من الغرف المتجاورة يتقدمها ممر مغلق يشرف على فناء مكشوف بواسطة الشبائيك الواسعة. ويتميز هذا المستشفى عما سبقه بتعدد طوابقه والاستعاضة عن ردهات المرضى الواسعة بصغوف من الغرف المجاورة التي تكون اكثر راحة

على هيئة قاعات مستطيلة تتخللها مدرجات تنخفض تدريجياً كلما اتجهت نحو الامام لضمان اقبال مستلزمات المحاضرات السمعية والبصرية للطلبة.

اما المدارس فالقاسم المشترك في تصميمها هو وجود فناء مكشوف تحف ببعض جوانبه مرافق المدرسة المعارية التي تتكون عادة من صف من الغرف المتجاورة تتقدمها أروقة محمولة على أعمدة مرعة خالية من التيجان والقواعد. ومعظم المدارس تتكون من طابقين متناظرين. هذا ويوجد في بعضها قاعات مستطيلة للاجتماعات، علاوة على بعض الملحق.

والفناء المكشوف يضمن حركة افضل للطلبة ولاسيما في الالعب والتمارين الرياضية، بالإضافة الى كونه المصدر المهم للاضاءة والتهوية، أما الرواق ففي الصفوف التي يتقدمها وكذلك الطلبة اثناء الاستراحة من الحر الشديد صيفا والبرد والامطار شتاء.

وما يجدر ذكره، أن المواد البنائية الجديدة ومنها . الخرسانة والكاشي والموزائيك المزجج، تعد من اهم العوامل التي اثرت في المباني المعاصرة، وخاصة من حيث التصميم والخصائص والاغراض، بحيث اخرجتها عن طابعها القديم المتوارث وذلك للتغيرات الكبيرة التي اصابتها في فترة زمنية قصيرة. هذا فضلاً عن تأثير المكننة والتقنية الحديثة في تغيير خصائص بعض المواد المعتمدة في البناء، أو إيجاد مواد بنائية جديدة لم تكن معروفة من قبل. وهذا الامر يلقى على عاتق المعاري المعاصرة مسؤولية كبيرة في مجال أخذ هذه المسألة بنظر الاعتبار، بحيث يستطيع ان يزاوج في مشاريعه المعارية بين التراث والمعاصرة^(٥٢). مما يعني ان دراسة العارة المعاصرة لاتزال موضع نقاش وحوار، وذلك لعدم تبلور اهدافها ومبادئها المتعددة.. وحسب هذا البحث ان يكون بمثابة مفتاح يشجع الاخرين على

متعددة من مدينة الموصل، وبعض اقضية ونواحي محافظة نينوى وهي بمثابة مستشفيات صغيرة تتكون من طابق واحد ولهذا انتفت الحاجة الى المصاعد الكهربائية، وانعدمت منها التدفئة والتبريد المركزي. وقد بنيت من البلوك أو الحجارة والكونكريت المسلح واخذ مبدأ التناظر التثلي بنظر الاعتبار عند التشييد، بينما المراكز الصحية تتكون بصورة عامة من هول مسقف قريبا من المدخل الرئيس ومنه تتفرع بعض الممرات المغلقة التي تحف بها المرافق من غرف الفحوصات والأطباء والصيدلة. وتعد من المباني الخفيفة ايضا لكونها تتكون من طابق واحد.

٥- المباني العلمية :

لقد كانت هذا المباني احدى المنشآت المعارية التي تميز الموصل في العصر الحديث شأنها في ذلك شأن بقية المباني المعاصرة. ويأتي في مقدمتها مباني الاقسام واختبرات العلمية في جامعة الموصل، ومؤسسة المعاهد الفنية، ومداس المديرية العامة لتربية نينوى.

فبالنسبة للاقسام العلمية فترجع بعض مبانيها الى منتصف الستينات التي شيدت بالاصل لمباني المجموعة الثقافية التابعة للتعليم المهني ثم شغلها بعض اقسام كليتي العلوم والتربية فيما بعد وهي عبارة عن مجموعة من البلوكات رتب بصورة متوازية يوصل فيما بينها ممر مغلق ويقسم كلا منها بنفس الوقت الى قسمين متناظرين، كما يفصل هذه الاقسام عن بعضها افنية مكشوفة ومفتوحة من الخارج. ويتألف كل قسم من ممر مغلق تنتظم على جانبه الداخلي سلسلة من الغرف المتناظرة ويشرف من الخارج على فناء مكشوف بواسطة عدة شبايك واسعة.

أما الاقسام العلمية التي انشئت خصيصا كاقسام علمية في بعض كليات الجامعة فعلى الرغم من بعض الاختلافات فيما بينها الا ان اغلبها صمم

ولوح هذا الميدان وتعميقه بدراسات لاحقة.

الهوامش

- (١) توفيق احمد عبد الجواد : تاريخ العارة ، القاهرة ، ج ٤ ، ص ٦٩.
- (٢) احسان فتحي : الخصوصية في العارة ، مجلة المهندسون ، العدد ٨ لسنة ١٩٨٥م ، ص ١٦.
- (٣) شيرين احسان شيرزاد : لمحات من تاريخ العارة والحركات المعارية وروادها ، بغداد ١٩٨٧م / ص ٧١.
- (٤) فتحي : المرجع السابق ، ص ٨٥.
- (٥) شيرزاد : المرجع السابق ، ص ٨٥.
- (٦) المرجع نفسه ، ص ١٢١.
- (٧) عقيل نوري الملا حويش : العارة الحديثة في العراق ، بغداد ١٩٨٨م ، ص ٣٤.
- (٨) المرجع نفسه ، ص ٤٢.
- (٩) المرجع نفسه ، ص ٣١.
- (١٠) شيرزاد : المرجع السابق ، ص ١٤٨.
- (١١) المرجع نفسه ، ص ١٥٣.
- (١٢) المرجع نفسه ، ص ٨٦.
- (١٣) احمد قاسم الجمعة : المظاهر المعاصرة والفنية في الموصل منذ صدر الاسلام حتى الوقت الحاضر ، (محافظة نينوى بين الماضي والحاضر) ، الموصل ١٩٨٦م ، ص ١٥٣ ، ١٥٤.
- (١٤) هاشم خضير الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة الموصل ١٩٨٢م ، ص ٧٣.
- (١٥) احمد الصوفي : خطط الموصل ، الموصل ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) ج ١ ، ص ٢٢.
- (١٦) احمد قاسم الجمعة : المظاهر الدفاعية والامنية في تخطيط الموصل وبانيها في العصور العربية الاسلامية (الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ١٦- ١٨ ايار ١٩٨٩م ، مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ، ج ١ ، ص ٣١٢.
- (١٧) صبحي محمد رؤوف وصلاح حسين : المظاهر العسكرية لحصن الاخيرسر ، مجلة سور لسنة ١٩٧٦م ، م ٣٢ ، ص ١٢٩.
- (١٨) حجاجي ابراهيم محمد : القلاع وتطور الفكرة الهندسية ، مجلة المنهل ، ج ٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، م ٤٨ ، العدد ٤٥٤ ، ص ٢٩٤.
- (١٩) الجمعة : المرجع السابق ، ص ٣١٤ - ٣١٦.
- (٢٠) سعدى ابراهيم اسماعيل الدراجي : عارة القلاع وتخطيطها في شمالي العراق ، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت لجامعة بغداد ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٥٣.
- (٢١) للتفاصيل حول حصار الموصل انظر : سياركوكب علي الجميل ، حصار الموصل ، الصراع الاقليمي واندحار نادرشاه ، الموصل ، ١٩٩٠.
- (٢٢) الجمعة : المرجع السابق ، ص ٣١٧.
- (٢٣) جيمس بكنغهام : رحلتي الى العراق ، ترجمة سليم طه النكريتي ، بغداد ١٩٦٨م ، ص ٦٥.
- (٢٤) الجمعة : المرجع السابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨.
- (٢٥) سعيد الديوبه جي : بحث في تراث الموصل ، الموصل ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٠٤.
- (٢٦) حسين علي الدافقي : القلاع والحصون في مدن المصوّر الوسطى ، مجلة دراسات الاجيال ، العدد ٤ ، كانون الاول ١٩٨٦م ، بغداد ١٩٨٦م ، ص ٤٦٦.
- (٢٧) الدراجي : المرجع السابق ، ص ١٣٠.
- (٢٨) هاشم الجنابي : المرجع السابق ، ص ٨٠.
- (٢٩) صلاح الجنابي : الوظيفة السكنية لمدينة الموصل الكبرى (استخدامات الارض) ، الموصل ١٩٨٥م ، ص ٥٧.
- (٣٠) حويش : المرجع السابق ، ص ٣٨.
- (٣١) هاشم الجنابي : شخصية مدينة الموصل بين التراث والمعاصرة ، (الندوة العلمية والتربوية السادسة لجامعة الموصل ١١/٩ آيار ١٩٨٧م ، الموصل ١٩٨٧م ، ص ٤٢١.
- (٣٢) شيرين احسان شيرزاد : مبادئ في الفنون والمعارة ، بغداد ١٩٨٥م ، ص ٢١٦.
- (٣٣) حويش : المرجع السابق ، ص ٨٨.
- (٣٤) هاشم الجنابي : المرجع السابق ، ص ٤٢٢.
- (٣٥) حويش : المرجع السابق ، ص ١٦١.
- (٣٦) المرجع نفسه ، ص ١٤٨.
- (٣٧) المرجع نفسه ، ص ١٧٦.
- (٣٨) هاشم الجنابي : المرجع السابق ، ص ٤٢٣.
- (٣٩) فاروق عباس حيدر : تشييد المباني ، ط ٢ ، بغداد ١٩٨٩م ، ص ٣٤٨ ، ٣٥١.
- (٤٠) المرجع نفسه ، ص ٥٤٠.
- (٤١) حويش : المرجع السابق ، ص ٨٨.
- (٤٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٩.
- (٤٣) اعلي عبد عباس العزاوي : السكن الريفي في محافظة نينوى ، (الندوة العلمية والتربوية السادسة لجامعة الموصل ١١/٩ آيار ١٩٨٧م ، الموصل ١٩٨٧م ، ص ١٠٣ ، ١٠٤.
- (٤٤) حويش : المرجع السابق ، ص ١٥٤.
- (٤٥) هاشم الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة ، ص ٦٧.
- (٤٦) المرجع نفسه ، ص ٧٠.
- (٤٧) يوسف الدواف : انشاء المباني والمواد البنائية ، ط ٦ ، بغداد ١٩٨٢م ، ص ٢٦٥ ، ش ٥٤.
- (٤٨) شيرزاد : المرجع السابق ، ص ٢٢١.
- (٤٩) الدواف : المرجع السابق ، ص ٤ ، ٥.
- (٥٠) انيس جواد سلمان : تركيب المباني (الجدول الحامل وتفصيلها المعارية ، ط ٢ ، بغداد ١٩٨٨م ، ص ٤٧.
- (٥١) الدواف : المرجع السابق ، ص ٤.
- (٥٢) للتفاصيل انظر : زهير ساكو ، وارتين ليفون : انشاء المباني ، ط ١ ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ وكذلك اسامة الرفاعي : الانشاءات الخرسانية في البلدان العربية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ١٥٨ ، وسلمان : المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٢.

طبيعة الحياة الثقافية المعاصرة في الموصل

د. سيار كوكب علي الجميل

الموصل : المناخ التاريخي : الحضور الثقافي

المعارضين والمناضلين الأشداء الذين سيكملون ذلك الدور الوطني ، ويعيشون الارهاص القومي الذي فجره الرواد المواصلة الاوائل .. وكان ابناء هذا الجيل الثاني ضمن قافلة الاحرار من العراقيين الجدد الذين شهد لهم تأريخ العراق المعاصر ، وتأريخ ثقافته الجديدة دوراً بارزاً من المنجزات الواسعة على طريق التحولات الجديدة .

ويكاد يبرز دور ذلك الجيل الثوري الجديد عند بداية تأريخية بارزة في تطور الأحداث الوطنية ، وصفحة من النضال الوطني ضد الانكليز قبل ان تنفجر الحرب العالمية الثانية ، كي يرتبى جيل الموصل الجديد خلال الحرب وما بعدها على احداث وتحديات وأزمات ومشكلات تؤثر جميعها تأثيراً كبيراً في تكوينه وتجاربه وممارساته . وتكاد تكون البداية تلك ممثلة بمصرع المستر مونك ميسن القنصل البريطاني في الموصل نيسان عام ١٩٣٩م على يد الجماهير الغاضبة ، وبتأثير المظاهرات الطلابية الصاخبة التي عمت أرجاء المدينة بعد الاعلان عن مصرع الملك غازي الاول ، فاتهمت الموصل المستعمر البريطاني وعملائه بتدبير تلك الجريمة .

لقد ترسّى جيل من الثوار والمثقفين على دروس تلك الانتفاضة الوطنية الأصلية ، فحققوا بذلك المثل الثوري النموذج في التعبير عن تطلعات الجماهير ، والدفاع عن القيم والمنجزات الوطنية والقومية .. وقد عرف عن اغلب المثقفين المواصلة

لقد احتفظت الموصل بتقاليدها العربية واعرافها الثقافية الاصلية ، وخاصة عندما نفضت عنها أردية الماضي السكوتي خلال القرون المتأخرة .. وبدت من أولى الحواضر العربية التي شاركت في النهضة الحديثة مذ خرجت عن طور السكونية العثمانية كي تواصل مسيرتها بصفاتها جزءاً مهماً من كيان العراق المعاصر ، ولتساهم في تكوينه السياسي ، ونهضته الثقافية بعد ان اضطلت الموصل بدور مؤثر في الحركة القومية العربية . مشاركة بذلك من خلال الأدوار التي مارسها كثير من مثقفيها في الجمعيات العربية . وبعض من رجالها في عمليات الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م . والنضال الوطني ضد الأستعمار البريطاني . ثم تأسيس كيان العراق السياسي المعاصر ، وكانت قد توالدت في الموصل نزعات ثقافية جديدة بعد ان مضى جيل الاوائل من المثقفين المواصلة الرواد الذين عاشوا ارهاصاً فريداً من نوعه بانتقالهم من طور التحدي مع الاتراك العثمانيين ، والصراع ضد الانكليز ، ثم التجاوز من طور العثمانية الى حالة الاستنارة القومية ، وتأسيس النزوع الوطني من خلال مواقفهم واشعارهم وخطابهم السياسي ، وصحافتهم القوية ، ومقالاتهم الرصينة .. وتجمعاتهم القومية والوطنية ، وحركتهم الأدبية المعاصرة .

لقد بدأ على اعقابهم جيل جديد من المثقفين ، هو جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ برز في الموصل عدد كبير من المثقفين الاحرار والسياسيين

خلال هذا القرن أنهم شغلهم الأحداث السياسية كثيراً.. وقد شكلوا معها خصباً متوالداً في العطاء والتجديد من اجل ايقاف مؤثرات العجلة القديمة المسيطرة على مقاليد الامور التي توارثت ذهنياتها عن مخلفات الزمن العثماني.

من هنا يأتي دور حوافز البيئة في التكوين الثقافي الاصيل، ودور العوامل التاريخية والسياسية التي أسهمت في بناء الفكرة القومية التي تميزت بها مدينة الموصل، ليس على المستوى الوطني فحسب، بل على المستوى القومي منذ بواكير القرن العشرين. وقد كانت مشاركة ابناء الموصل في بناء ثقافة العراق المعاصر، وبناء الدولة والتكوين السياسي كبيراً سواء كان ذلك في حقل الصحافة ام السياسة ام الابداع الأدبي، ام الحقل الوطني، ام الجانب الاقتصادي، ام الأحداث الكبرى.

لقد ساهمت الموصل كبيئة ثقافية وسياسية وقومية الى جانب العاصمة بغداد، مساهمات فعالة في النصف الاول من القرن العشرين، فضلاً عن عقد الخمسينيات التي يعدّ عقداً تراكمياً جامعاً لحصيلة تراكم الجهود الواسعة للبناء المؤسساتي والرواد الاوائل. ويكاد ذلك «العقد» هو حقبة صراع التناقضات في اوج مرحلة قومية شهدتها العرب. وكان ان وجد العراق نفسه وهو يترجم على يد ابرز ابنائه من الشباب الحائزين على درجات الثقافة الجديدة عما كمن في أعماق الذات العراقية، وتفجر الابداع على يد العشرات من المثقفين والأدباء والشعراء والفنانين العراقيين.. خلال تلك المرحلة الصعبة من حياة العراق المعاصر.

دعونا نخلل إذاً مراحل تطور ثقافة الموصل المعاصرة المرجعية الثقافية في الموصل إبان القرن التاسع عشر.

كان الانتقال الى نظام المركزية الإدارية في الموصل خلال القرن التاسع عشر، تحولاً بارزاً في حياتها، إذ شهدت المدينة بعض الاصلاحات

المدنية والعسكرية الرسمية بوقت مبكر لعهد مدحت باشا والي العراق الشهير.. كما وأثر توافد الاوربيين على الموصل، ممثلاً ذلك بالارساليات التبشيرية والبعثات الآثارية، اذ ساعد على انتشار الثقافة وازدياد الوعي بفعل تأسيس بعض الوسائل والمرفقات كالطباعة والتعليم المدني وعناصره.. فبدأ البعض من المثقفين بالخروج عن طور التقاليد العثمانية المألوفة.^(١)

ولم تشهد الموصل في القرن التاسع عشر قيام او تأسيس اية جمعية او رابطة او حزب مع وجود العديد من المثقفين المواصلة الذين تتحكم في ذهنيته مصادر متفاوتة منها:

١- المصدر الاسلامي بحكم ميراث التعليم والتقاليد الدراسية- الدينية القديمة.

٢- المصدر المسيحي بحكم ميراث عدد من رجال الموصل المسيحيين وتقاليدهم القديمة. وقد جمعت اغلبهم رابطة «العثمة» بحكم سيطرة الدولة العثمانية على المشرق العربي وقد تأثر بعضهم بالاجراءات الاصلاحية دون ان يشهدوا تحولات كبيرة في واقعهم المضي. اوبدائل اساسية في تحديث مجتمعهم كالذي حدث في مصر عصر ذلك مثلاً.

لقد برز على الساحة الثقافية للموصل خلال القرن التاسع عشر، عدد وافر من الأسماء، يمكننا ان نذكر منها: «الطبيب محمد الحلبي والشاعر ابن الصباغ الموصلي، والأديب محمد امين بن يوسف العمري والأديب العالم محمد فهمي بن مصطفى العمري، والشاعر الشهير عبدالغفار الأخرس، ورئيس العلماء عبدالله افندي ابن محمد حلبي العمري، ورئيس العلماء عبدالله افندي الدملوجي، والأديب صالح تقي الدين الشهير بسعدي الموصلي والشاعر قاسم حمدي افندي السعدي المكتوبي والأديب محمد سعيد الجوادي والأديب السائح عبدالرحيم الفائز والشاعر الملا

حسن البزاول الحاج شيت الجومرد والشاعر علي رضا افندي بن محمود افندي العمري والأديب المتصرف احمد عزت باشا الفاروقي والشاعر عبدالله راقم افندي والشاعر شهاب الدين الملبسي والأديب حسن حسني أفندي الفخري». وظهر في نهاية القرن التاسع عشر: الشيخ ضياء الدين الشعار وداؤد أفندي الملاح وعبدالله افندي الفيضي وروفاثيل بطرس المازجي واللغوي المطران اقليمس يوسف داؤد، واغناطيوس بهنام بني والبطريك جرجس عبد يشوع خياط، ونعم ففتح الله سحرار والقس لويس رجاني وغيرهم^(١).

الدور الثقافي لجريدة «موصل»

كان لأبرز الاسماء المذكورة آنفاً دورها البارز في الروابط الثقافية بين الموصل ومدن عربية اخرى، ومنها ما نشره من مقالات وقصائد في جريدة «الجوائب» خصوصاً والعديد من الصحف العثمانية والمصرية والسورية عموماً، كما نشر بعضهم كتبه هناك وقد ساعدت تلك الروابط على انتشار مفاهيم الثورة الفرنسية والأفكار الإصلاحية والمدارس الحديثة^(٢).

أما تأثير جريدة «موصل» وهي اول صحيفة تنشر في مدينة الموصل فكان كبيراً، إذ صدر العدد الاول منها في ٢٥ حزيران سنة ١٨٨٥، وكانت جريدة رسمية اسبوعية وعلى الرغم من طابعها الاخباري، ولكنها تمتعت بأسلوبها الجزل مقارنة بأسلوب جريدة «زوراء» في بغداد، فضلاً عن طول عمرها، فقد عمرت طويلاً، وعاصرها اكثر من جيل، فقد مرت بثلاث مراحل: امتدت المرحلة الاولى من ٢٥ حزيران ١٨٨٥ حتى اعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨. وتمتد المرحلة الثانية منذ اعلان الدستور حتى قيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤^(٣). فتوقفت عن الصدور، لكي تصدر من جديد بعد الاحتلال البريطاني

للموصل سنة ١٩١٨، ولكن تحت اسم «الموصل» فيستمر صدورها حتى سنة ١٩٣٤. وتعد المرحلة الثالثة من أبرز مراحلها وذلك لما لحق بها من تطور في الطباعة والانتشار والمفاهيم.. وعلى الرغم من قول روفائيل بطي بأن جريدة «الموصل» ما كان لها من اثر يذكر على الحياة الفكرية في الموصل^(٤)، وذلك لصدورها باللغة التركية، فان صدورها بالعربية خلال مرحلتها الثالثة، ناهيك عن دورها في بناء الوعي الاجتماعي والدعائي والقانوني قد ميزها كعلامة بارزة في تطور ثقافة الموصل^(٥).

دور جريدتي «نينوى» و«النجاح» في اثراء أدبيات الموصل:

الفكرة القومية: الاتحاديون والانتلافيون

لقد نشط الوعي الثقافي كثيراً في الموصل مع نشر فكرة التقدم والحريات والاصلاحات السياسية التي توافقت شعاراتها (= عدالت، حریت، مساوات) مع مجيء الاتحاديين للسلطة عام ١٩٠٨م؛ وتأسيس فرع لجمعيتهم في الموصل بعد اعلان الدستور بمدة قصيرة، وقد أصدرت في ١٥ تموز ١٩٠٩م جريدة اسمها «نينوى» بالتركية والعربية كتب فيها العديد من المثقفين المواصلة منهم: محمد حبيب العبيدي وفاضل الصيدي وداؤد الملاح آل زيادة وسلم حسون وغيرهم، وسرعان، انكشفت مساوئ الاتحاديين، فانقلب العديد من المثقفين العرب عليها بل وتشكل في الموصل فرع لجمعية «اتحاد محمدي» المضادة لسياسة الاتحاديين في الموصل.. وانتمى اليها من كانوا يناصرون السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦- ١٩٠٩م امثال: يوسف الرضائي (رئيس العلماء) والشيخ محمد احمد الصوفي وابراهيم ياسين القصاب ومصطفى البكري ومحمد ضياء الدين الشعار وداؤد الصانع.. ولكن سرعان ما قضى الاتحاديون على الجمعية الام في اسطنبول وفروعها.

وكان هناك صوت سياسي آخر للمثقفين الائتلافيين من المواصلة الاحرار الذين اصعدوا لهم «جريدة النجاح» وكتبوا فيها مقالاتهم، ونشروا على صفحاتها اشعارهم، وكان يحررها خير الدين الفاروقي (العمرى) مؤيدة الحزب الحر المعتدل.. ثم بدأ الموصليون من المثقفين الاحرار يستقبلون من جمعية الاتحاد والترقي وينتمون الى الحزب الجديد، فشهدت محافل الموصل صراعاً سياسياً حاداً بين العناصر المثقفة انعكس على كتابات بعضهم. آصف وفائي آل قاسم اغا السعري وصديق الدمولوجي ومحمد توفيق افندي وعبدالله رفعت العمرى، ونشرت قصائد لكل من مجيد التولي وعلي الجميل وغيرهم^(٧)، وقد أثارت بعض الأحداث القومية مشاعر ادياء الموصل ومثقفيا وخاصة الغزو الايطالي لليبيا عام ١٩١١م، فنشرت في الموصل قصائد ومقالات قومية رائعة.^(٨)

ان السياسة الطورانية التي زاوها الاتحاديون قد ولدت مرارة قاسية في نفوس المثقفين المواصلة الذين حسبوا ان وراء الآمال خيراً عميماً، وتحقيقاً للمبادئ الحرة التي رفعت كشعارات، فادى ذلك الى ان ينسحب معظم الكتاب والشعراء الذين اندفعوا في تأييد الاتحاديين على صفحات جريدتي «موصل» و«نيوى»؛ بل وبدأ البعض من المثقفين يستفيد من مكانته الاولى في العاصمة استانبول ليندد بالسياسة الجائرة للاتحاديين، فسبب لهم ملاحقات ومطاردات واعتقالات، وكان من ابرز من تصدى لتلك السياسة علانية كل من علي الجميل وصديق الدمولوجي في رسائلها المتتالية^(٩).

مثقفو الموصل وعهد التحولات :

كان للمثقفين المواصلة في طورهم الواعي الاول من الجيل المنحصر دورهم في تأسيس الجمعيات القومية ثم الاحزاب السياسية، وذلك

بعد انتقال حركة الوعي القومي من خطاب التنظير الى ممارسة التنظيم، ونشير المعلومات التاريخية الى دور اولئك الرجال الاوائل من المواصلة في العاصمة اسطنبول، فانخرط المدنيون من المثقفين الكبار في تشكيل اقدم جمعية ثقافية عربية فيها، هي «المنتدى الأدبي» بمشاركة رجالات عرب. وكان من ابرز العراقيين: احمد عزت الأعظمي وجميل صدقي الزهاوي وابراهيم الواعظ (من بغداد)، وثابت عبدالنور وحبيب العبيدي وعلي الجميل (من الموصل). وقد نشر كل من الاعظمي والعبيدي والجميل والزهاوي كتاباتهم واشعارهم القومية في كل من مجلتي الجمعية «لسان العرب» و«المنتدى الأدبي».^(١٠)

اما العسكريون المواصلة فقد ساهموا في الانخراط في جمعية العهد باسطنبول ومن أبرزهم: جميل المدفسي وعلي جودت وعبدالله الدليمي.. وكان لهذه الجمعية منهج قومي ووجهة اسلامية-عثمانية، وتخوف من الخطر الغربي. وكان قد تأسس في آذار ١٩١٤ فرع لهذه الجمعية في الموصل بجهود عبدالله الدليمي، وانضم اليه ضباط القبلق الثاني مثل: ياسين الهاشمي ومولود مخلص وعلي جودت ومحمد شريف الفاروقي.^(١١)

وتعاطف بعض من مثقفي الموصل خلال تلك الرحلة التاريخية الصعبة مع فرع حزب اللامركزية الادارية العثماني. وتأسس ناد ادبي بجهود سليمان فيضي الموصل متخذاً ذلك غطاءً لفرع الجمعية الاصلاحية في البصرة. ومن أشهر الذين انتموا اليه: محمود الملاح وآصف وفائي ومحمد مكّي الشريتي وحمدى جلميران وملا عثمان الموصلية وغيرهم^(١٢). ولكن هذا التجمع لم يثمر عن اي نشاط كون بعض من هؤلاء المثقفين لم يبرحوا يؤيدون السياسة العثمانية الاتحادية، كما ان هذا التجمع لم يكن قومياً ابداً!

لقد غدت الموصل عصر ذاك من ابرز الحواضر

العربية المشاركة بكثير من مثقفها في الجمعيات والتجمعات القومية الاخرى.. ولم يقتصر الامر على فروع تلك الجمعيات، وانما وصل الامر الى تأسيس الجمعيات القومية، إذا تأسست في الموصل جمعية العلم الموصلية بجهود ثابت عبد النور بهدف التحرر من الازراك، وقد شاركه في ذلك: محمد رؤوف الغلامي ومكي الشربتي ورؤوف الشهواني، واتخذوا لأنفسهم اسما مستعارة، فوسقت من قواعدها بانشاء واجهات ثقافية وعلمية ومدرسية ومكتبية. ومن انجازاتها: مكتبة الخضراء ومدرسة دار النجاح والمدرسة الاسلامية.. وكان لهذه المؤسسات دورها في إثارة الجماهير على الانكليز.

كان من أبرز مؤسسي مكتبة الخضراء: محمد سعيد الجليلي ومحمد رؤوف الغلامي ويحيى قاف العبد الواحد.. وقامت «المكتبة» بدور مهم في بث الثقافة القومية. اما مدرسة النجاح فن ابرز مدرسيها: عبد المجيد شوقي البكري ومحمد رؤوف الغلامي.. في حين ان المدرسة الاسلامية قد تقاربت فيها جهود المستنيرين بالأصوليين امثال: الشيخ عبدالله النعمة وسعيد الحاج ثابت وحمد جلميران (١٣).

وفي عهد الاحتلال البريطاني قام لفيف من مثقفي الموصل المستنيرين بتأسيس اول مؤسسة علمية - اجتماعية ثقافية هي «النادي العلمي» ١٨/١١/١٩١٨، وبجهود ابرز مثقفي الموصل عهد ذاك: علي الجميل والدكتور حنا خياط والدكتور داود الجليلي والدكتور فاروق الدملوجي وحمد جلميران ومحمد مكي صدقي الشربتي وغيرهم. وجاء في منهاج النادي ان غايته «اتخاذ الوسائل والوسائط اللازمة لرفي الشعب علماً، إذا انه اتخذ من الوسائل العلمية والثقافية واجهة لنشاطاته السرية، كما كان عليه حال جمعية «المتدى الأدبي» في استانبول قبيل الحرب العالمية الأولى. وقد تمّ ترخيص «النادي العلمي» من قبل

سلطات الاحتلال البريطاني، وجرى حفل افتتاحه بمشاركة جميع مثقفي الموصل، متخذاً له مكاناً على ساحل نهر دجلة مقابل الثانوية المركزية (الأعدادية الشرقية) حالياً، ومؤسساً له مكتبة ممتازة.. وبدأت الاجتماعات تتوالى بعد ان تألفت الهيئة الادارية للنادي برئاسة الدكتور عارف معروف بك وعضوية كل من شريف الصابونجي ومكي الشربتي وحمد جلميران وسلمي حسون والدكتور فاروق الدملوجي. اما هيئة المراقبة فتألفت من علي الجميل وتوفيق آل حسين اغا افغان ويونس جودت الرمضاني. ودعا النادي علماء الموصل ووجوهها لانتخاب اعضاء الشرف، فكان كل من السيد عبدالغني النقيب (نقيب الأشراف) والسيد احمد الفخري (قاضي الموصل) والشيخ محمد الصوفي اعضاء شرف.

ان ابرز النشاطات الثقافية لهذا «النادي» تخصيص ليلتي الاحد والأربعاء من كل اسبوع لالقاء المحاضرات، واجراء المسامرات الأدبية، والمناقشات التاريخية والعلمية واللغوية فضلاً عن الأبداعات الفنية. وأصدر «النادي» مجلة باسم «النادي العلمي» وعهد برئاسة تحريرها الى الأستاذ علي الجميل، وقد صدر العدد الاول منها في: ١٥ كانون الثاني ١٩١٩، وجاء في ترويسها انها:

السنة الاولى

العدد ١ من المجلد الاول

النادي العلمي

مجلة علمية، فنية، أدبية، اخلاقية، تاريخية تصدر كل خمسة عشر يوم

مرة واحدة في الواصل

المرافق ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧

في ١٥ كانون ثاني سنة ١٩١٩

مجلة النادي العلمي

«مجلة علمية أدبية اخلاقية تاريخية تصدر كل خمسة عشر يوم مرة واحدة في الموصل». صدر منها ثمانية اعداد ثم توقفت عن الصدور بعد ان اغلق الانكليز النادي لأسباب مختلفة. وقد نشرت في المجلة مقالات ومحاضرات وقصائد وآراء ساهمت في كتابتها نخبة من أبرز المثقفين الموصليين، وهم: علي الجميل والدكتور حنا خياط وفاضل الصيدلي ورشيد الخطيب وصديق الدمولوجي ومحمد توفيق آل حسين اغوان وروفاثيل بطي والدكتور داؤد الجلي



روفاثيل بطي

وابراهيم الواعظ والسيد احمد الفخري وسليمان فيضي وغيرهم.^(١٤)

كما ونشرت المجلة اخبار النادي العلمي ونشاطاته العلمية والأدبية، وكان لها الفضل في نشرنتاجات الأدباء، فضلاً عن اهتمامها بالنصوص الذاتية، والاعتناء بتاريخ المدينة ورجالاتها السابقين.. ناهيك عن مقالات علمية وثقافية تدعو الى المعرفة والحرية، واخرى اجتماعية تعنى بالمرأة وبناء المجتمع.^(١٥)

الموصل: المجتمع.. الثقافة.. الدولة
رجال العشرينات والثقافة السياسية:

إن الوضع الثقافي والسياسي والاجتماعي للمثقفين الموصلة سيأخذ له مساراً جديداً بعد تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ وخلال عهد الملك فيصل الاول للفترة ١٩٢١-١٩٣٣م.

وتوضح الاتجاهات الفكرية والوطنية والقومية من خلال معطيات ابرز اولئك المثقفين ونتاجاتهم سواء على صفحات اشهر جرائد الموصل او صحف العاصمة بغداد؛ وقد أدت التطورات الواسعة بعد تكوين «الدولة» الى انتقال او هجرة العديد من مثقفي الموصل الى بغداد بحكم عوامل وظيفية او صحافية او اجتماعية او سياسية، وسيؤثر بعض اولئك الرجال المواصل في الحياة الثقافية العراقية ببغداد..^(١٦) اما في الموصل فقد صدر ابرز ثلاث صحف وطنية هي: جريدة الجزيرة عام ١٩٢٢، وجريدة العهد عام ١٩٢٥، وجريدة صدئ الجمهور عام ١٩٢٧ (مع استمرار جريدة الموصل في الصدور).

لقد ترأس ادارة وتحرير جريدة «الجزيرة» محمد مكبي صدقي الشربتي الذي أفصح عن غاية جريدته القصوى في خدمة القضية العربية، ونقلت على صفحاتها اصداء الحركة الوطنية في الموصل، وعالجت مقالاتها السياسية الاماني والتطلعات الوطنية ازاء سياسة المعاهدات مثيرة في الرأي العام جوانب أساسية في الوعي الوطني والتكوين الثقافي، وقد ساهم في بلورة مفاهيمها عدد من الكتاب والأدباء منهم: حبيب العبيدي وسعد الدين الخطيب واحمد وفيق الشربتي وفاضل الصيدلي واسماعيل حتي فريج وغيرهم. وقد آلت هذه الصحيفة الا ان يكون في ام الريعين جريدة اهلية واحدة.. اعتماداً على مناصرة محبي الأدب ومريدي الحقيقة - على حد ما جاء على لسانها-^(١٧). وكانت جريدة «الجزيرة» هي صحيفة اهلية نجحت في التعبير والانفصاح عما كانت تريده في الاستقلال^(١٨)، وتطمح اليه في البناء الوطني.

وصدرت جريدة «العهد» بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥، لكي تعبر ثقافياً عن واقع سياسي حزبي في الموصل؛ باعتبارها لسان حال حزب الاستقلال

الموصل الذي تأسس في ١ أيلول ١٩٢٤ ومن جملة اهدافه الاساسية: الاستقلال التام للعراق، وتنشيط حركة الوحدة العربية، وتعزيز السياسة الخارجية؛ باستعطاء العالم المتحدن وعلى الاخص الشعب البريطاني، باستخدام الوسائل السلمية من اجل تحقيق الاهداف الوطنية. وقد تركزت الهيئة الادارية للحزب من: آصف وفائي آل قاسم اغا وعبدالله الحاج علي الفاروقي ومكي الشربتي والدكتور جميل دلالي والحامي محمد صديق سليمان وسعيد الحاج ثابت والدكتور محمد محفوظ وشريف الصابونجي وابراهيم عطار باشي.. (١٩)

وقد شغلت صفحات جريدة «العهد» بالمشكلات السياسية والأقليمية التي فجرتها قضية الموصل على الملأ، فحضت الجريدة مطالبين الأتراك، ونشرت المقالات المؤيدة للحقوق الوطنية المشروعة.. كما ونشرت الخطب والأهازيج واخبار التظاهرات التي عمت مدينة الموصل لمنع اقتطاع الولاية. وقد ترأس تحرير جريدة العهد: عثمان قاسم وهو كاتب سوري كان يؤمن بالفكرة العربية. (٢٠)

وكانت قد تأسست في الموصل أيضاً «جمعية الدفاع الوطني» بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٢٥ اثر وصول اللجنة الدولية الى الموصل، وهي تشكل ديني للحيلولة دون انضمام الموصل الى تركيا تألف من (١٥٠) عضواً، ووقفت على رأسهم هيئة ادارية منتخبة تتكون من: السيد احمد الفخري رئيساً وحبيب العبيدي نائباً للرئيس وأرشد العمري سكرتيراً، وثابت عبدالنور وابراهيم كمال وآصف وفائي آل قاسم اغا ومحمد صديق سليمان وجميل دلالي اعضاء. (٢١)

كما وكان للنشاط السياسي واسع النطاق في الموصل ابان وجود اللجنة الدولية اثر كبير في تأسيس حزب سياسي موصل في آخر باسم «الحزب الوطني العراقي»، في مطلع شهر آذار سنة ١٩٢٥، وتألفت هيئة ادارته من: عبدالله سليمان رئيساً

وعبدالله العمري آل رئيس العلماء نائباً للرئيس ومجيد العمري آل رئيس العلماء والدكتور استراحيان ومحمد محفوظ واحمد الجليلي واحمد الشربتي والحامين مجدي وتوفيق النائب اعضاء. (٢٢) وعندما جرت انتخابات هيئة ادارية جديدة في ١٨ حزيران ١٩٢٧، صعد الى ادارة الحزب من رجالات الموصل المثقفين، فكان: محمد محفوظ رئيساً واحمد الجليلي نائباً وعبدالله فائق الحامي واحمد توفيق الشربتي كاملاً للاسرار، والدكتور استراحيان محاسباً، وعلي الجميل اميناً للصندوق، والدكتور يحيى نزهت والحامي محمود خيري النائب والحامي مجدي سليمان النائب اعضاء. (٢٣).

لقد دافع مثقفو الموصل من الرجال المستنيرين الاصلاح عن قضية الموصل من خلال تنظيماتهم السياسية (٢٤)، باعتبارها قضية دولية مصيرية حددت ليس مستقبلهم فحسب، بل مستقبل بلدتهم العربية العريقة ووطنهم العراقي العظيم. وكانت الموصل قد حظيت منذ فترة مبكرة من تأسيس الدولة العراقية بتدريسات ومحاضرات وافكار المؤرخ القومي انيس زكريا النصولي، ووصول اسانذة غيره من بلاد الشام، والذين قاموا بدور بالغ في اثارة الوعي السياسي- القومي لدى الشباب الناهض، وغرس القيم المثالية في تربية جيل مثقف جديد (٢٥).. وهذا ما لاحظناه من خلال دراستنا لتعاطف مثقفي الموصل ونصرتهم للثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥.

وعلى الرغم من الانشطة السياسية التي عنى بها كل من حزبي الاستقلال والوطني العراقي، وما حفلت به علاقتها من خلافات بين ١٩٢٦-١٩٢٨ (٢٦)، إلا ان ثمة تعاون قد ظهر بينها من اجل تحقيق خدمة اجتماعية تمثلت بجمع الاعانات والتبرعات للطلبة المعوزين لتمكينهم من مواصلة الدراسة وتكوين مستقبلهم.

افكار «صدى الجمهور»: الثقافة والجمع

اما جريدة «صدى الجمهور»^(٢٧) فكانت صحيفة اهلية، جاء في ترويستها، انها جريدة يومية سياسية ادبية عامة أصدرها وترأس تحريرها على الجميل وأوكل مسؤولية ادارتها للحماسي عبدالله فائق. صدر العدد الاول منها في ٢١ شباط ١٩٢٧^(٢٨) وبقيت تصدر حتى ٣١ كانون الاول ١٩٢٩^(٢٩)، ثم جاء آخرون فأعادوا إصدارها في بداية الثلاثينات. وتعد جريدة «صدى الجمهور» من أمهات الصحف التي صدرت في العراق، وذلك للمنهج الذي تبنته في طرح مواضيعها، ومعالجتها لقضايا سياسية وطنية متعددة كانت تعتبر الشغل الشاغل في تفكير العراقيين عصر ذاك. كما واهتمت مقالاتها بمواضيع اساسية في اصلاح الاحوال الاجتماعية والثقافية والنقد السياسي وتحليل الاوضاع الدولية... والاهتمام بالتربية ونقد الادارة والبلدية.. كما ودعت الجريدة الى الحرية الفكرية وتشجيع الصناعة والزراعة وحماية الانتاج الوطني.. كما اهتمت بالموصل وعناصرها المثقفة وثقافتها العالية وحركتها الطلابية.. فضلاً عن مقالات تدعو الى حرية المرأة والاعتناء بها وتثقيفها.. واهتمت بالحرية الادبية، فنشرت قصائد واشعاراً متنوعة..

ان من ابرز المثقفين الذين نشروا مقالاتهم وقصائدهم على صفحات «صدى الجمهور» الى جانب كتابات رئيس تحريرها على الجميل، نجد اسماء الدكتور داود الجلبي والدكتور جميل دلالي وعلي محمود الشيخ علي وعبدالله فائق الحماسي وجميل صدقي الزهاوي وصالح البديري وبشير الصقار وقصائد السيد احمد الفخري... فضلاً عن اسماء مستعارة.. ولما كان رئيس تحرير هذه الجريدة عضواً مؤسساً في الحزب الوطني العراقي بالموصل فقد ارادها الحزب المذكور وسيلة للدعاية له، فحدثت خلافات مع سكرتير الحزب احمد الجلبي، وبقيت الجريدة مستقلة، وقادت الأزمة

الى استقالة رئيس التحرير من الحزب واستقال ايضاً عدد من مؤيديه^(٣٠).

ويبدو للمؤرخ أن عدداً من المثقفين الشباب في الموصل قد تربى على افكار جريدة صدى الجمهور وآراء كتابها ومعالجتها النقدية الرصينة. كما وكانت مقالاتها صدى حقيقياً للرأي العام الموصل في معارضته لبعض قرارات الحكومة بشأن المصلحة الوطنية والمصالح الادارية والاجتماعية لمدينة الموصل.

الموصل: الثقافة والتجمعات القومية

في عقد الثلاثينات، وخاصة ابان عهد الملك غازي ١٩٣٣ - ١٩٣٩، يتصاعد المد القومي في الموصل كثيراً، وستقبل هذه الصفحة التاريخية بمحدث تاريخي بارز تمخض عن مصرع القنصل البريطاني في الموصل عام ١٩٣٩. لقد كان لسياسة ياسين الهاشمي الدور المؤثر في اغناء تلك الحالة القومية ورفدها بمختلف العناصر سواء بتطبيق فعلي لعسكرة الشباب من خلال نظام الفتوة الذي اقترن بعهد غازي، او من خلال نشاطات النوادي والجمعيات القومية.. متخذاً صيغة وطنية للنضال ضد السياسة البريطانية، وامكان الاستفادة من ألمانيا بعد الاعجاب الشديد بها.. وقد اسهم شباب الموصل في انشطة متعددة لاحزاب ومنظمات وجمعيات ونواد قومية عربية سرية وعلنية^(٣١).

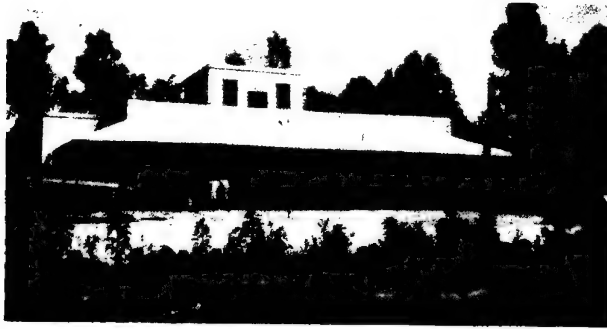
وكان من حسن حظ مدينة الموصل ان تغطي باستضافة عدد من الاساتذة السوريين واللبنانيين والفلسطينيين كمدرسين استفادهم ساطع الحصري الى العراق، وكان من ابرزهم: درويش المقدادي الذي سعى الى تنظيم الفكر القومي وعسكرته بادخال نظام الفتوة في المدارس، وعمل مدرساً في ثانوية الموصل في العشرينات، واصبح مديراً لها سنة ١٩٣٣ م، فعدت الثانوية في عهده كتلة من النشاط الوطني والروح القومي. وقد عرفت مدارس الموصل جهود بعض المدرسين الفلسطينيين

بشير حديد عضوين عاملين^(٣٣) . وقد اعلن رئيسه أن النادي سيتجنب السياسة لأن السياسة محظورة عليه ، وأن عمله سيقصر على الامور الثقافية وتنمية الروح الادبية والرياضية في المجتمع^(٣٤) .

كان الاتجاه القومي واضحاً من خلال بث النادي للوعي القومي ونشاطاته الثقافية وعلاقاته بنادي المثني في بغداد ونادي بردى في دمشق ، واستقباله الشخصيات القومية التي زارت الموصل آنذاك ، واحيائه ذكرى بعض ابناء وشعراء العرب الكبار^(٣٥) . هكذا ، فاذا كان نادي الجزيرة يرتبط تأسيسه باسم عبد الجبار الجومرد (قبيل سفره الى فرنسا) فان نشاطات كل من محمد يونس السباعوي وصديق شنشل ترتبط في مطلع شبابهما بتأسيس «الحزب العربي القومي» الذي أكد على العلاقة العضوية بين العروبة والإسلام ، في الموصل وتبرز من خلاله في الساحة اسماء جديدة تحركت سرّاً من خلال هذا الحزب ، مثل : عبد الرحمن الارجم وعبد الرحمن السيد محمود ومحمد محمود

امثال : محمد طاهر الفيتاني وسعيد شقير وجواد الدجاني وعبد الرحمن الزعبي .. وغيرهم^(٣٦) من الذين مارسوا دوراً مهماً في تثقيف جيل عريض من شباب الموصل ، اولئك الرجال العرب الذين كانوا يؤمنون بفكرة القومية العربية وممارستها من اجل تحقيق الاهداف السامية للامة .. فقد اخرجهم الانكليز من العراق غداة فشل ثورة مايس ١٩٤١ م .

نادي الجزيرة ونشاطات اخرى في الثلاثينات :
لعل ابرز ظاهرة في تاريخ الموصل المعاصر ابان ثلاثينات هذا القرن ولادة ثاني ابرز ناد ثقافي فيها بعد « النادي العلمي » ، أي بعد (١٨) سنة من تأسيس الاخير . وبعد تأسيس نادي الجزيرة ، حلقة متطورة في تاريخ المثقفين الموصلين ، وخصوصاً في أدواره التي لعبها على الساحة الفكرية والسياسية . وتقف مجموعة من الشباب المثقف وراء ذلك التأسيس للنادي الذي اجيز في ١ / آذار /



نادي الجزيرة

الصواف واحمد شهاب واسماعيل الكبي .. وغيرهم^(٣٧) ، ولكن هذا « الحزب » اهتم اصحابه ومؤازروه بالقضايا السياسية ، ولم يهتموا بالامور الثقافية .. ولم يكسب الى صفوفه مثقفين كباراً ، ولم يصل الى الدرجة التي وصلها نادي الجزيرة الذي

١٩٣٦ . وقد ترأّسه عبد الجبار الجومرد وبرفقته الدكتور يوسف زبوني نائباً للرئيس ، والمدرس نجم الدين جلميران سكرتيراً والمحامي نوثيل رسام امينا للصندوق . والمدرس عبد الرحمن اغوان مديراً للالعاب والمهندس عبد الجبار اسماعيل والمحامي

غدا خلال فترة قصيرة مركز اشعاع فكري وادبي في حاضرة الموصل ، وذاعت سمعته في الاوساط العربية .

وربما يعود ذلك الى ان الحزب العربي القومي قد اتسم بطابعه السري في التنظيم والعمل . في حين نشط الكثير من اعضائه في واجهات قومية علنية وقتئذٍ مثل جمعية الجوال العربي ونادي المثني بن حارثة الشيباني .

هكذا ، فعلى الرغم من ازدياد عدد المثقفين المواصله خلال عقد الثلاثينات ، مع بقاء اغلب اولئك الشيوخ والرواد الاوائل ، مع وفاة بعضهم وهجرة بعضهم الآخر نحو بغداد.. فضلاً عن اختفاء صحف العشرينات ، وظهور صحف جديدة^(٣٧) ، الا ان الموصل شهدت فيها بعد بروز بعض الادباء والمثقفين الكبار ، وعلى صفحات ابرز مجلتي ثقافيتين شهيرتين صدرتا في الموصل وعن نادي الجزيرة بالذات بتحرير اعضائه ، إذ صدرت عنه مجلة «المجلة» عام ١٩٣٩ ، ثم مجلة «الجزيرة» عام ١٩٤٦ .

مكانة النتاجات الثقافية ودورها في الموصل : مجلة «المجلة» ومجلة «الجزيرة» .

تعد مجلة «المجلة» من ابرز المجلات الادبية التي صدرت في العراق ، ونستشف من افتتاحية عددها الاول نهجها التقدمي بانفتاحها على ألوان الثقافة العالية وفنون الادب الحديث^(٣٨) . ونهضت هذه «المجلة» بدور مهم في تبيينها وجهات نظر اشتراكية وراдикаلية ، حيث بدأت تنشر على صفحاتها وبأسلوب واضح كتابات تحمل مضامين اشتراكية ، وكان من ابرز الذين حرروا فيها عبدالحق فاضل (رئيس التحرير) ويوسف الحاج الياس وذوالنون ايوب .. وكان الاول والثاني حقوقيان ، اما الثالث فهو خريج دار المعلمين العالية ، وقد شكلوا لهم اول خلية شيوعية في الموصل . ومن كتاب «المجلة»

ايضاً : جرجيس فتح الله (الحامي) وعبد الفتاح ابراهيم وحسن زكريا ، وثلاثتهم من الذين حملوا فكرًا اشتراكياً راديكالياً ، ثم برزت في بداية سنة ١٩٤٤ «رابطة الشيوعيين العراقيين» التي تزعمها الحامي داود الصايغ . ولكن كان قد سبق الجميع في حمل الفكرة الشيوعية في الموصل ، المعلم يحيى (قاف) العبد الواحد بين سنتي ١٩٢٦ - ١٩٢٧ م الذي كان قد تبنى منذئذٍ وجهات نظر اشتراكية وراдикаلية شديدة جداً ، وشرع يبتث افكاره منذ ذلك الوقت^(٣٩) .

لقد اهتمت «المجلة» بنشر القصص التي حملت مضامين سياسية في الحرية والديمقراطية . ولاسيما قصص ذوالنون ايوب ، كما نشرت قصائد شعرية وبخاصة لاكم فاضل كما اهتمت بالقضايا الاجتماعية^(٤٠) . والدراسات التاريخية وخاصة عن تاريخ الموصل الزاخر ، وساهم في الكتابة ل «المجلة» عدد من المثقفين الموصليين ، منهم : اكرم فاضل ونقيب فاضل وعبد الفتاح ابراهيم ومتي بيثون وعبدالحق فاضل ومجيد خدوري ويوسف الحاج الياس وسعيد الديوبه جي وغيرهم^(٤١) .

بعد مضي سنتين على صدور «المجلة» توقفت بعد ان راقتها اتعاب عدة في الموصل ، لكي تظهر في بغداد... ومضت سنوات ، لكي يصدر مثقفو الموصل عن «نادي الجزيرة» مجلة «الجزيرة» ، إذ صدر العدد الاول منها في الاول من ايار ١٩٤٦ . وعهد بالاشراف على تحريرها الشاعر ذوالنون الشهاب ، ولكن بخطة جديدة وروحية مختلفة وافكار متباينة عن نهج «المجلة» وافكارها . وقد خدمت مجلة «الجزيرة» اللغة العربية والادب العربي ، إذ نشرت على صفحاتها مقالات ادبية رصينة ، وقصائد شعرية رقيقة ، ومتابعتها للاخبار الادبية والثقافية في البلاد العربية ، واصدارها لاعداد خاصة عن ادباء وشعراء كبار... الى جانب ما نشرته من دراسات تاريخية^(٤٢) .

﴿ من أجل الأندلس العنبري ﴾

في العراق ٧٥٠ طناً

خارج العراق ١٠٠٠ طناً

الطلاب للدارس ٥٠٠ طناً

الجزيرة

﴿ الجزيرة ﴾

يشرف على تحريرها : ذوالنون الشهاب

مديرها للردول : شياء الجادر الحماي

تصدر عن نادي الجزيرة للموصل

مجلة الجزيرة

عدد ٢٣

- مسجلة بداره ٢٠٢ رقم ٢٠٢ -

الطبعة الثالثة

الاول من القرن العشرين ، فقد صدرت مجلة «المعرفة» لصاحبها متي فرنكول، ومجلة «الجوهرة» لصاحبها جمال شوريز، ومجلة «الفجر» لصاحبها الحامي حازم الدبوني، كما اصدر بعض المثقفين الادباء عدداً من الجرائد الأدبية في الموصل. كما اهتمت مجلة «الفجر» بالقصة ، فأصدرت عدداً خاصاً بها، نشرت فيه قصص عربية وقصص مترجمة عن الفرنسية لمرجعها اكرم فاضل وعن الانكليزية لمرجعها جرجيس فتح الله... فضلاً عن عقدتها للندوات الأدبية والمثقفات الفكرية^(٤٥).

هكذا ، يبدو للمؤرخ ان الموصل قد عاشت خلال عقدي الثلاثينات والأربعينات حركة أدبية وثقافية زاهرة، متمثلة بابداعات ادباء وشعراء ودراسين مثاقفين ودائبين، وفي مناخ فكري ملائم برغم الصعوبات المادية، وفر لهم خدمة المجتمع على درجة من التميز والأصالة والابداع.

تكوين الثقافة النسوية في الموصل :

على الرغم من حيازة الموصل لقصب السبق في مجال البدء بالتعليم النسوي في العراق عندما اسست «مدرسة اخوات الحية» على يد الآباء اللوميينكان عام ١٨٧٣م^(٤٦)، الا ان كلاً من التعليم والثقافة لدى نسوة الموصل بقي ضعيفاً جداً... وفي عهد الاتحاديين افتتح «مكتب رشدي» للبنات الموصليات ، ثم اعقبه تأسيس «مكتب ابتدائي» هن ، فازداد عدد المتعلقات بينهن^(٤٧). وفي عهد الاحتلال البريطاني ، تم تأسيس مدرستين للاناث هما : المدرسة الخزامية ومدرسة

كانت هذه المجلة تمثل ركيزة ثقافية لأنباء الموصل وواجهة ادبية لنادي الجزيرة، وصوتا للجيل الجديد ولكن لفئة المثقفين المعتدلين الذين اهتموا بنشر الثقافة وتعميمها وخصوصا الثقافة العربية والمآثر القومية والمضامين الاجتماعية.. وكانت قد عاهدت نفسها في افتتاحيتها على الرسالة الادبية، وانها ستكون منبراً للفكر الحر والقلم التزيه^(٤٨).. كما انها استقطبت اقلاماً عربية شهيرة من الادباء العرب مثل ، روكس العزيزي وبنيت الشاطيء وعبد الحميد جودة السحار. اما ابرز الكتاب المواصله الذين نشرت مجلة «الجزيرة» كتاباتهم ومقالاتهم وقصصهم واشعارهم، هم : سعيد الديوه جي ، وذو النون الشهاب واسماعيل حقي فرج ، واكرم فاضل الصيدلي وصديق الدملوجي



ذوالنون الشهاب

ومحمود الملاح وكوكب علي الجميل وخيري العمري وحازم سعيد وغانم الدباغ وعبدالرزاق الشماح واسحق عيسكو وسليمان صائغ ونجيب سفر ومحمد الحسوفيفضل دبدوب وغيرهم^(٤٩).

وفضلاً عن هاتين المجلتين الرصينتين في تاريخ تطور الحياة الثقافية لحاضرة الموصل خلال النصف

حداائق المعرفة^(٤٨) ، وقد شارك في تأسيسها وإدارتها والتعليم فيها بعض مثققات الموصل اللواتي كنَّ يعددن على اصابع اليد ، نذكر منهن : حميدة مصطفى واسماء حسين الجميل ونجمة رزق الله وعطية نوري ومنيرة الياس وفتحية عنبر عطا وفاطمة سعيد ومقبولة صالح ونورية عبد القادر وفخرية ميرزا وفخرية رشيد وفرفت نامق وباكزه موسى صبري^(٤٩) .

تقول السيدة الحاجة وهبة عبد الباقي الشبيخون التي درست في المدرسة الخزامية عام ١٩٢٥ ، بأن هناك مدرسة أخرى للبنات تدعى بـ «العراقية» ولكن كلاً من الخزامية وحديقة المعرفة ساهمت بتعليم بنات الموصل وتثقيفهن منذ عهد مبكر ، وقد تخرجت من أروقتها عدد وافر منهن ، وتستطرد قائلة : بأن بنات الانغماء كنَّ يكتفين بالثقافة ، اما بنات غيرهم فيصبحن معلمات ومدرسات^(٥٠) .

اما في الثلاثينات من هذا القرن ، فان ثقافة نسوة الموصل تزداد بشكل ملحوظ إثر تطور الجهاز التعليمي والانفتاح على الثقافة العربية ، وتفاعل نزعة الانجماه القومي في نهضة المعارف العراقية ، وقد وفد الى الموصل مدرسات لبنانيات وسوريات ونسبن الى ثانويتها للبنات وكلهن يتحسسن للقومية العربية ، وتميزن بثقافتين الواسعة ، فاثرن تأثيراً كبيراً في نفوس الطالبات ليس من خلال التعليم فحسب ، بل في بنائهن الثقافي والنفسي والوجداني ، في مجتمع تقليدي - محافظ كالموصل وقتئذ^(٥١) . وبدأت الطالبات يفتحن على ثقافات عدة من خلال قراءات في التاريخ والادب والشعر والروايات بخاصة . من بين تلك المدرسات العربيات اذكر : أنيسة روضة (لبنانية - مديرة للمدرسة الثانوية) ، وسولوى نصار (فلسطينية) ، وجوجين مبارك وفكتوريا بحوش وماركرت شيري وسيليا مالك^(٥٢) .

نتيجة للجهود الثقافية والقومية التي بذلتها تلك

النخبة الكريمة ، فقد تأسست في الموصل لاول مرة جمعية «بنات الضاد» هدفها دعم اللغة العربية مقوماً أساسياً من مقومات الوجود القومي العربي ، وذلك في اواخر سنة ١٩٣٧ . وتشكلت الهيئة الادارية بالانتخاب ففازت كل من : عالية العمري رئيسة وسكينة عبد الغني النقيب (ناتبة للرئيسة) ، وفاضلة احمد عزت آل قاسم اغا (كاتبة) ، وشكرية محمد الكشاف (امينة للصندوق) ، وسعدية سعيد بحجي بك ووجيه الكلاك وبدرية مجيد عضوات^(٥٣) . ولم تكن للجمعية نشاطات سياسية ، بل حصرت قضاياها في المجالات الثقافية والاجتماعية ولم يكن للجمعية أي منهاج او نظام داخلي .. بل كانت الاجتماعات دورية متواصلة ، وقد حقق هذا التجمع النسوي مكانة في قلوب المثقفين من خلال اللقاءات والاجتماعات الادبية التي عقدها ، والاحتفالات التي اقامها^(٥٤) . وبدأت المدرسات العربيات يبيئن افكارهن القومية وخطيطن الحاسية المثيرة للاحاسيس .. ووصلت الجمعية خلال ١٩٣٨ في قمة عطائها ثم توقفت عن اعمالها بعد ان قدمت للمجتمع خيراً عميماً^(٥٥) .

لقد ضعف النشاط النسوي في الموصل بعد ذلك ، مع ظهور جيل جديد من النسوة الموصليات اللواتي شغلن بقضايا التعليم او التدريس ، ولكن سيبرز بعضهن لاول مرة في مجالات عمل جديدة ، إذ ستظهر منهن طبيبات على نحو خاص ، وستظهر فيما بعد للوجود «جمعية حماية الاطفال» التي تسيّرهما بعض سيدات المجتمع الموصلية .. كما ستغدو المرأة الموصلية بعلاقة اكبر مع بغداد لدراساتها الجامعية فيها واتصالها الثقافي بها .. اما في مجال النشر والثقافة الادبية فستبقى المرأة الموصلية بعيدة عن ذلك على الرغم من اهتمامات بعضهن للادب والشعر والرواية ومتابعة الصحافة ..

الابداعات الثقافية في الموصل : الآداب والفنون .

اختلف الجيل التالي في الموصل والذي بدأ

مسيرته الوطنية والقومية في عقد الثلاثينات بعد ان نجح في تكوينه على عهد الملك فيصل الاول ١٩٢١-١٩٣٣ م، ليأخذ مكانته الثقافية والادبية في الاربعينات، ويساهم في الانشطة السياسية والعرفية خلال عقد الخمسينيات، ولاسيما بعد ازدياد التأثير بروافد الثقافة العربية سواء على يد اولئك الاساتذة من العرب القوميين الذين اعتمد عليهم ساطع الحصري في بناء الجيل العراقي الجديد.. او من خلال التأثير بالصحف والمجلات الادبية العربية الرصينة (وخاصة المصرية منها)، وكان من ابرزها: المقتطف والهلال والرسالة والسياسة والثقافة.. ثم المختار والكتاب، فكان سيلاً من اروع المقالات والابداعات الراقية التي حملت في طياتها جوانب جديدة من الفكر العربي وترجمات لصفحات من الفكر الاوربي^(٥٦).

لقد تبلور الوعي الثقافي لدى الشباب تبلوراً كبيراً من خلال قراءات متنوعة في الادبيات العربية، فكان ذلك كله ركيزة اساسية لانطلاقات ثقافية وادبية على صفحات الجرائد والمجلات.

لذا يمكننا القول بأن الحركة الادبية والثقافة التي عاشتها الموصل خلال الثلاثينات والاربعينات قد ضعفت في عقد الخمسينيات التي تؤكدت خلاله جوانب من الحياة السياسية في مدينة الموصل، أما بغداد فقد استقطبت خلاله قوة الابداع العراقي الادبي والمعرفي والتشكيلي والفني. يقول احد النقاد في معالجته مسألة ركود الحركة الادبية في الموصل قائلاً: «ادباء زهدوا بقرائهم، وقراء زهدوا بادبائهم، وكل منهم شكل طرفاً في حلقة معينة مغلقة لا تبدأ الا لتنتهي فتزداد كل يوم سوءاً. فالادباء آثروا الانزواء على الانطلاق، وطمانينة الكسل على عناء العمل.. كل منهم في برج عاجي.. اما القراء فقد انصرفوا الى المطابع المصرية!.. لم يعد يأبه القارئ العراقي بادب المحلي»^(٥٧).

اما الاستاذ عبد الباسط يونس فقد دعا الى «بروز ادباء الانبعاث الى الميدان ليعملوا على خلق روح تحررية تسعى لذلك صروح الظلم وتحطيم الاستغلالية والانتفاكية وكل ما يؤدي الى العبث بحقوق المواطنين»^(٥٨).

خصوصية الحركة الادبية في الموصل:

السؤال الآن: ماهي خصوصية الموصل في الحركة الادبية العراقية الحديثة؟ وهل هناك ثمة اضافات لا بداعاتها على مدى نصف قرن.. أي حتى عقد الخمسينيات؟

تفرد الموصل بقدم عهد مطابعتها وقوة اتصالاتها الثقافية منذ القرن التاسع عشر ويكفيها مجرد الاطلاع والتدقيق في ركام من التأليف والادبيات التي تعتبر اليوم جزءاً من التراث الثقافي الحديث لمدينة الموصل^(٥٩)، والذي ساهم في وفده عدد من الرجال الادباء والعلماء والمثقفين الذين امتلكوا خصوصية في المناهج والاساليب الادبية ومعالجة قضايا جديدة. ويكفيها ايضاً مقارنة الاسلوب الجزل الفصيح الذي تميزت به جريدة «موصل» بالاسلوب العامي والركيك الذي اتصفت به جريدة «زوراء» في نهاية القرن الماضي^(٦٠).

وتفرد الموصل - ايضاً - في تأسيس لون ادبي جديد في تاريخ الحركة الثقافية العراقية منذ اواخر القرن الماضي، وكمحاولات برزت الى الوجود نتيجة التأثير بالاداب الاوربية، فقد نشرت مسرحية مترجمة عن الفرنسية لنعوم فتح الله سحار (١٨٥٩ - ١٩٠٠) في مطبعة الآباء الدومنيكان بالموصل.. فضلاً عن تمثيل مسرحيات اخرى اجتماعية واخلاقية على مسرح مدرسة الآباء الدومنيكان؛ بالموصل، فنالت اعجاب الناس وتقديرهم^(٦١). ان تلك المحاولات «تسجل بداية تاريخية لفن حديث.. غريب بالنسبة لما هو معروف من الوان ادبية... قامت نتيجة تشجيع المشرفين، ويبدو ان الفكرة عن المسرح كانت مخترعة في

بعد آخر .

اما في العقود الثلاثة التالية ، فقد غلبت على مقالات المثقفين الموصلة - كما هو حال المقالة العراقية الحديثة - الاهتمام بالجوانب السياسية كثيراً ، والانهاك في المشاكل الايدولوجية ، وطرح الآراء ، ونشر الخطب العاطفية ، ومواقف المعارضة .. وقد تفاقم ذلك كله في عقد الخمسينات كثيراً .. مع اطلاق حرية الاحزاب السياسية للعمل ، وكثرة صدور الصحف السياسية . اما صحافة الستينات فكانت هزيلة جداً بفعل عوامل مختلفة .

ويمكننا القول من خلال التمعّن في دراسة الأدبيات العراقية بأنّ الثقافة السياسية ، ومشكلات الواقع السياسي المضي قد تقاطع مع واقع الحركة الأدبية والفكرية فيه .. وحال ذلك المجتمع ومشاكله وامانيه وتطلعاته بشكل متوازن .

هكذا ، أخذت الحركة الأدبية في الموصل تنحسر شيئاً فشيئاً مقارنة بما كانت عليه ، ولابد ان نذكر ما تبقى من رواسب وآثار تلك « الحركة » ، فقد تأسست « الندوة العمرية » في أواخر الأربعينات (نسبة الى بيت آل العمري) ^(٦٧) .. يقول الشاعر ذو النون أيوب : « وتفق غاياتهم في المنحى العاطفي والتزعات الأنسانية والخدمة الاجتماعية فقد ارتضوا الادب غاية والعلم وسيلة ... » ^(٦٨) . وهي ندوة اسبوعية أدبية صرفة شارك فيها العديد من الأدباء والشعراء برئاسة ابراهيم الواعظ ومشاركة : نعمة الله النعمة وعبد الخالق طه واسماعيل حتي فرج وذو النون الشهاب ومحمد سعيد الجليلي وابوب صبري الخياط .. وحسن التكريتي ومحمد توفيق ومتي اسحق والدكتور داود الجلبي وغيرهم . وقد القيت في الندوة قصائد وموضوعات نقدية ومحاضرات ومناقشات تابعتها باهتمام مجلة « الجزيرة » الموصلية كجزء من فعاليات الحركة الأدبية في الموصل ^(٦٩) .

الاذهان آنذاك .. لما عرف عن صلة الموصل بحلب والشام . واتصال الرهبان بعضهم ببعض ومعرفتهم باللغات الاجنبية وعلاقتهم الثقافية بكل من روما وباريس مما عرفهم على الفن المسرحي في اوربا وزوّدهم بثقافة فنية مكنتهم من غرس بذورها في العراق ^(٧٠) .

اما الرواية او القصة الطويلة ، فيعد الاديب سليمان فيضي الموصل هو اول من حاول كتابتها في الادب العراقي الحديث ، فقد نشر في عام ١٩١٩ « الرواية الابقازية » التي اعتبرها مؤلفها عملاً عارضاً في حياته . ولم يذكره بعد ذلك ^(٧١) ، وهي من الروايات التعليمية التي اكسبت صاحبها شهرة فيما بعد . اما اول قصة قصيرة لاديب موصل فيهي « بين الزمهرير والسعير » التي كتبها علي الجميل ونشرتها جريدة « العراق » ببغداد (العدد الممتاز) ، العدد ١٢٣٦ في ٢٥ حزيران ١٩٢٤ م ^(٧٢) .

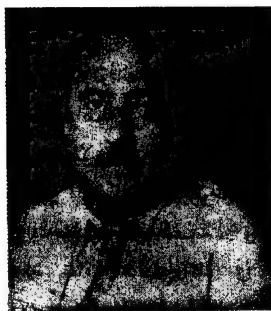
لقد سادت مفاهيم خاطئة في الذهنية العراقية بعامة حول كتابة الرواية او القصة كلون غير معروف في المناخ الادبي للعراق ، فأدى نشر بعض النتاجات القصصية الى هجوم المحافظين عليها ، ونفورهم منها .. مما أدى الى ضعف القصة العراقية لفترة طويلة من عقد العشرينات ^(٧٣) .

اما « المقالة » فناً أدبياً وثقافياً ، فقد مارس كتابتها العشرات من الكتاب والمثقفين الموصلة على صفحات الجرائد والمجلات ^(٧٤) . ومن الملاحظ ان الاتجاه العام لطبيعة مضامين تلك المقالات في عقد العشرينات وماسبقها ، كانت اجتماعية تعالج مظاهر التأخر الاجتماعي ، وترسم مختلف الحلول لها .. مع عدد من المقالات التي عادت بالذاكرة الى الماضي التليد والبحث عن الابداج الزاهرة . وقد زخرت مقالات العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن برصانتها ، ونصاعة اسلوبها الرشيق ، وبلاغه العبارة ، وقوة الحجج والادلة ، وحصافة الرأي ودقّة الرؤية .. في حين بدأت هذه المميزات تفتقد يوماً

الشهاب وعدنان الراوي وشاذل طاقة .. هكذا ،
فان كل ثلاثة منهم يمثلون جيلاً معيناً في تطور
الثقافة الشعرية بالموصل .

اما على مستوى الفنون التشكيلية ، وخاصة
الرسم ، فقد برزت شخصية نجيب يونس رساماً
شهيراً في الموصل منذ الخمسينيات ، ثم برز كل
من الرسامين : راكان دبدوب وضرار القدو . اما في
فن التصوير الفوتوغرافي فلا يمكننا ان ننسى
ابداعات الفنان مراد الداغستاني الذي كانت له
مكانته الدولية في التصوير .

اما في مجال الموسيقى والغناء فان الامر يكاد
يكون ضعيفاً مقارنة بما كان عليه الحال في الموصل
قديماً .. ولم يظهر بعد الموسيقار الملا عثمان الموصل
شخصية تملأ مكانته وكان كل من الاخوين
الفنانين المبدعين : جتيل ومنير بشير قد استفرا
ببغداد منذ سنوات طويلة ، وقدما ابداعات
غزيرة . ويبدو لنا أن الموصل كانت مدرسة عربية
مؤثرة في الغناء العربي ، إذ انتقلت منها ابداعات
راقية في التلحين والانغام الى بيئات عربية اخرى
مثل بغداد وحلب وبيروت والقاهرة . اما بقايا
الارث الموسيقي والغنائي للموسيقار الملا عثمان
الموصل في الموصل فقد امتلك مؤثراته عدد
من المبدعين الذين انجبتهم الموصل ،
فضلاً عن ابداعاتهم ، امثال : محمد الكوازي والسيد
عبدالقادر الموصل وكل من ولديه : السيد احمد
(ابن الكفر) مطرباً لامعاً والسيد امين . وهناك :
السيدة منيرة الهوزوز والسيدة سلطنة يوسف
وكلتاهما اشتهرتا في العراق والبلاد العربية . وهناك :
الحاج سلو الجرجي وولدي محمد صالح آل شيخ
الفراء : سعيد وعلي .. اما اشهر قراء المقام ورجال
الطرب مؤخرين في الموصل فهم : السيد اسماعيل
الفحام وصالح الحاج قدو . وهناك شخصية موصلية
ساهمت في التربية والتعليم والتفتيش ، وكان لها باع
عريض في فن التجويد والمقام والطرب الاصيل



يوسف صبي الخياط

اما في عام ١٩٥٤ ، فقد تشكلت جماعة أدبية
في الموصل من قبل بعض اديباها الشباب الذين
اطلقوا على انفسهم « رواد ادب الحياة » ، وهم :
شاذل طاقة وهاشم الطعان ومحمود المحروق
وعبد الغفار الصانع ، وقد ارتبطوا وازالمهم بعض
الادباء امثال : غانم الدباغ وعبدالحليم اللاوند ..
وقد حرروا الصفحة الأدبية في جريدة « الراية »
الموصلية (٧٠) .

لقد اهتم المثقفون المواصل بال شعر وتذوقه على
مدى اجيالهم الثلاثة ، وبرز منهم شعراء كبار
مرموقون ، فرضوا انفسهم على الساحة العراقية
بجدارة ، وامتازت قصائدهم المنشودة والمنشورة
بسمة التنوع والتلون ، ومعالجة اغراض عديدة ،
فكان منها « القصيد الديني » و « القصيد القومي » و
« القصيد الوطني » (= الأناشيد) وقد أرتكز كل
ذلك على روح التاريخ المجيد للعرب والمسلمين
كاثارة للروح الإسلامية ، اوبعث للتزوع القومي -
العربي ، او دعم للنضال الوطني العراقي ضد
الاستعمار .

لقد غلب « القصيد القومي » في الموصل على
غيره من الأبواب لتبيان اجماد العرب ومفاخر
المسلمين في بلدة عريقة وعربية اصيلة كالموصل
الحدياء ام الربيعين ، وهذا ما نلاحظه عند شعراء
مشهورين ، امثال : داؤد الملاح آل زيادة ،
وحبيب العبيدي وفاضل الصيدلي ، ومحمود الملاح
واسماعيل حتي فرج وعبدالجبار الجومرد ، وذو النون

متمثلة بـ عبدالعزيز الخياط .

ثقافة الموصل والتحولت الاجتماعية والأدوار السياسية :

لقد شهدت الموصل المعاصرة تطورات متميزة في معالم التعبير الاجتماعي التي اتضحت على نحو بَيِّن . فقد بدأت يوماً بعد آخر منذ مطلع القرن العشرين ، فئات جديدة من الأندية (=موظفون/ محامون/ اطباء) الذين ارتبطوا بمقاييس دولة حديثة بدأت تقضي شيئاً فشيئاً على آليات المجتمع القديم المتوارثة ، وهو المجتمع الذي كان ولم يزل يحتوي على فئات واسعة من الحرفيين والمهنيين والصناع والتجار الصغار. ان طبقة جديدة اخذت تظهر بعد ان بدأت تشق مسيرتها في الحياة ؛ وكان لتلك الطبقة معالمها وطموحاتها وآمالها التي كان العراق بحاجة ماسة الى تحقيقها أسوة بغيره من البلاد العربية . (٧١)

ان ظهور طبقة جديدة في المجتمع ساعد كثيراً في ان تتبلور تلك « الطبقة » لتصبح « طبقة وسطى » غدت لها تقاليدها واساليبها المستحدثة في الحياة ، واصولها في المأكل والمشرب والترفيه والعلاقات الاجتماعية .. ولما كان الواقع الاجتماعي والسياسي متعنّث كثيراً ، فقد بدأ البعض يدعو الى تغيير راديكالي/ جذري وجدوا أن العراق هو في أمس الحاجة اليه ، فقد تنبّئ العلم بحجى (قاف) العبد الواحد بين سنتي ١٩٢٦-١٩٢٧ ، وجهات نظر اشتراكية شديدة جداً وقد شرع ببث افكار اشتراكية في العراق ؛ في حين رأت الأغلبية الأخذ بالاجراءات الاصلاحية الاجتماعية ثم السياسية . لقد دعي الى كل من التطلعين : الراديكالي والاصلاحي نسبة الى حاجة العراق الماسة في ذلك الوقت كونه خالياً من المشكلات السكانية الإقليمية المستعصية والتي تفاقمت فيما بعد .

لقد نمت فئة المثقفين الجدد ، وتزايد عددهم

نتيجة التوسع في التعليم والانفتاح على ثقافات اخرى ، ولكن موقف هؤلاء كان صعباً امام سيطرة الفئات القديمة في المجتمع ، وقد عبّرت تلك الفئة عن افكارها وآمالها من خلال الأدب او السياسة .. ولم يكن اولئك المثقفون التحررون يستندون في الواقع الى طبقة واضحة الأبعاد والمعامل في المجتمع ، إذ ينتمي اغلبهم الى شرائح عليا ووسيلة .. وقد حملوا افكاراً طوباوية او مثالية ، او خيالية لاتصلح لأن تكون حلولاً جذرية « للمجتمع » من مشاكله المتنوعة و « الدولة » من أزماتها السياسية .

لقد برز عدد من المثقفين : الادباء ام السياسيين على مسرح الاحداث بعد تطور الخدمات التعليمية والاعلامية .. كما وساهمت صحافة العشرينات والثلاثينات في نمو جيل جديد من مثقفي الأربعينات والخمسينات ، والذين توزعتهم اتجاهات جدّ متباينة ومتعارضة ، وصلت الى حد التصادم العنيف في بعض الأحيان غداة قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م .

ومن جانب آخر ، فان تطلعات الجيل الجديد وتفكيره قد اختلفا جداً بفعل ما شهده العراق من تطورات ثقافية عبّرت عنها حركات نشيطة ومخاطبات ووسائل وادوات جديدة .. فثلاً زار الموصل على مدى خمسين سنة كثير من الادباء والمؤرخين والكتاب العرب والمستشرقين ، نذكر منهم : ساطع الحصري ، والدكتور زكي مبارك وجمال بريك ومالوان والدكتور زكي الخطيب ... وزار الموصل في شهر آب سنة ١٩٤٤ المفكر القومي الدكتور قسطنطين زريق الذي تحدّث الى شباب الموصل وابنائها عن الفكرة القومية ورجالاتها .

ان ما يمكن فرزه ايضاً على مستوى الحركات السياسية القومية والوطنية ودور ابرز المثقفين المواصله فيها هو النشاط والحيوية والفعالية التي تمتع بها اولئك المثقفون وبمكنا ان نجمل اسماء ابرز الرواد السياسيين الذين كانوا حلقة وصل بين الموصل

ومركز استانبول على العهد العثماني ، وبين الموصل ومركز بغداد على العهد الوطني فهم :

علي الجميل عن جمعية المنتدى الأدبي في الأستانة / عبدالله الدنجي عن جمعية العهد في الأستانة / احمد سعد الدين زيادة عن حزب العمال العراقي / ضياء يونس وعبدالله حافظ عن حزب الاخاء / يحيى قاف العبد الواحد عن الحزب الشيوعي العراقي / محمد يونس السباعوي عن كل من الحزب العربي - القومي و فرع جمعية الدفاع عن فلسطين / صديق شنشل عن حزب الاستقلال / جرجيس فتح الله عن حزب الشعب / يوسف الحاج الياس عن الحزب الوطني الديمقراطي / عبد الجبار الجومرد وعبد الرحمن الجليلي عن الجبهة الشعبية المتحدة / محمود فوزي مفتي الشافعية عن حزب الاتحاد الدستوري / احمد الجليلي وحنا خياط ومكي صديقي الشربتي عن حزب الامة الاشتراكي / محمد محمود الصواف عن الاخوان المسلمين / عبدالباري الطالب عن حركة القوميين العرب / عادل البكري عن حزب البعث العربي الاشتراكي. (٧٢)

أستنتاجات تأريخية :

١ - لقد بدأت حياة الثقافة الحديثة في الموصل قبل غيرها من المدن العراقية منذ اواخر القرن التاسع عشر، وذلك لما حظيت به الموصل من مكانة علمية وأدبية وكمركز اقتصادي فعال ، سواء من خلال حالة النهضة الأدبية والانتاج التأريخي والعلمي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر على العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤م، او في مجال الاصلاحات والتنظيمات التي عاشتها الموصل خلال عهد المركزية العثمانية ، او على يد الأسراليات الأجنبية كالدومنيكان مثلاً .

٢ - وقد بينت هذه « الدراسة » طبيعة التطورات التي رافقت الحياة الثقافية الحديثة في الموصل

على مدى مائة سنة من تكوينها ، وتحولات اجيالها المتعددة ، والتي رافقت جنباً الى جنب : الاحداث التأريخية الكبرى كالحربين العظميين .. الاستعمار البريطاني بعد الانهيار العثماني ، وبناء الدولة ، والنضال من اجل الاستقلال ، ثم الاحزاب السياسية والتجمعات الثقافية .. وعلاقات كل ذلك بانتقالات الثقافة من بينها القديمة (= التقليدية العثمانية) الى حالات جديدة ، تشكّل مجدّ ذاتها ، بنية متقدمة نوعاً ما في الوعي السياسي والقومي والوطني .. وتحديد مفاهيم ثقافة جديدة في العراق ، ساهمت الموصل في اراثها مساهمة فعالة وحقيقية .

٣ - وعرفنا أيضاً أن اطار طبيعة الحياة الثقافية الحديثة قد حددته البنية الاجتماعية للمدينة في وحداتها وقسماتها المتنوعة ، ودور فئاتها او طبقاتها الاجتماعية التي قام فيها الارستقراطيون والبورجوازيون وطبقة العلماء والادباء ، ثم الحرفيون والمهنيون والطلبة والكسبة .. أدواراً بارزة في رفد الثقافة بالمزيد من المواقف والانساجات والأبداعات والأدبيات .

٤ - اضطلعت الأجهزة ووسائل الاعلام الحديثة كالصحافة والأذاعة والمسرح والسينما والمقاهي الصيفية والشتوية .. فضلاً عن المناسبات ومرافق الدولة التعليمية والندوات والاحزاب كمناصر اساسية في التقدم المدني بدورها جميعاً ضد المفاهيم القديمة وما ساد من الاعراف التقليدية والأساليب المضادة التي تمخضت عنها جميعاً رواسب التاريخ المظني .

٥ - ان الفجوة التأريخية واسعة وكبيرة بين كل من العقدين الاول والأخير من هذا القرن : إذ شهد العراق خلالها تغيرات في الحياة

التأريخية، وتطور العلاقات الانشائية، وتحولات في الوحدات الاجتماعية. وقد ساهم مخفوق الموصل مساهمات فعالة في تطور الثقافة العراقية، وخاصة خلال النصف الأول من القرن العشرين. وبرز عدد من الرواد المبدعين في شتى صنوف الفنون والآداب والعلوم وقد اشتملت عطاءات تلك النخبة على نتاج ابداعي الى جانب ما انتج من تراكم كمي او نوعي في ميادين متعددة.

٦- لعل ما يميز مصادر نخبة الجيل المخضرم تخرجهم في أروقة مدارس العاصمة العثمانية اسطنبول وكنياتها المدنية والعسكرية.. اما غلبة مصادر الجيل الثاني خلال الثلاثينات والأربعينات تخرجهم في اروقة كلية الحقوق، إذ غلبت على تكويناتهم دراسة القانون، إذ كان اغلبهم من المحامين.. في حين كانت غلبة مصادر الجيل الثالث خلال الخمسينات والستينات تخرجهم في دار المعلمين العالية ففي حين تعد كلية الحقوق العراقية اقدم معهد اكاديمي عراقي تأسس في عام ١٩٠٨، فان دار المعلمين العالية كانت من ابرز المعاهد العلمية الرصينة في تاريخ المشرق العربي الحديث، إذ استطاعت تلك «الدار» الزاهرة ان تورق وتثمر جيلاً من المبدعين ورجال الفكر والأدب غدا بعضهم من اشهر رجال الثقافة العربية.

٧- صحيح ان الموصل كبيت ثقافة امتلكت خصوصياتها في النهضة والعمليات الاصلاحية والبناء الاجتماعي.. وقد انجبت العشرات من المثقفين الاصلاء، الا انها لم تنطور كثيراً في واقعها الاجتماعي، إذ اجهضت محاولاتها اسبانياً عدة في الضد

قادت نتائجها الى هجرة لكثير من ابناء المدينة. فقد غادرها عدد منهم الى اماكن اخرى بحثاً عن الراحة او الأضواء او المركزية او التفاعل مع ثقافات اخرى.. ويمكننا ملاحظة ان الموصل رفدت العاصمة بغداد بمثقفين بارزين في ميدان الصحافة والآداب والعلوم والثقافة والاعلام.

٨- وفرة الاتجاهات الاصلاحية والفكرية في الموصل وتنوعها الى جانب ازدهار الانتاج الأدبي والصحافي والعلمي واللغوي منذ القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٨م، إذ اصدرت مطابع الموصل العشرات من الكتب والمجلات والصحف.. وكلها ساهمت مساهمة جادة في تطوير حياة الثقافة العراقية الحديثة.

٩- فعالية التجمعات والجمعيات والاحزاب السياسية سواء من خلال العناصر المثقفة التي أنشأتها ومارست أدوارها الوطنية والقومية فيها.. ام ما انتجته من ابداعات أدبية، ومعطيات ثقافية كان لها اثرها في بناء الاجيال.. وقد انبثق هذا التزوع من خلال الموروث الثقافي الذي زخرت به الموصل على مدى ازمان طويلة، إذ امتاز مجتمعها بكثرة «المجالس» و«الندوات» الخاصة التي كانت تتخذ من البيوت الكبيرة او المقاهي المعروفة مقرات لها. ان ابرز ما يمكن ملاحظته عنها، ليس نتاجاتها الأدبية والثقافية فحسب، بل مواقفها السياسية الصلبة من قضايا وطنية ام قومية كفضية فلسطين مثلاً.

١٠- لم يقتصر الامر في تطور الحياة الثقافية المعاصرة للموصل على الرجال فقط، بل كان للمرأة الموصلية دورها ايضا على امتداد القرن العشرين في مجالات عدة، كان من ابرزها دورها في التعليم بوجه خاص، وقد وجدت

المرأة الموصلية في موروثها الثقافي والاجتماعي ايضا خزينا من توارىخ حية لنساء موصليات كنّ المثل الاعلى في مجتمعهن سواء في بناء دور العلم والمكتبات ، ام في اتخاذ المواقف في اللحظات الصعبة . وقد رفدت بعض النسوة الموصليات الجرائد والمجلات والنشرات بمقالاتهن ، والتي عالجن فيها مواضيع مختلفة .

١١- يتوضح لنا من دراسة طبيعة هذا الموضوع ان الحياة الثقافية الحديثة في الموصل قد تمخضت عن ثلاثة اجيال هي :

١/ الجيل المحضرم بين قرنين الذي وقع على عاتقه مهام التكوين القومي والتأسيس الوطني ، والنهضة والتجديد .

٢/ جيل الثلاثينات والأربعينات الذي تمرّس في الآداب والقانون والسياسة الوطنية والقومية .

٣/ جيل الخمسينيات والستينيات الذي عبّر عن نفسه بالتراث والشعر الحر والثورة والفولكلور والاعلام .

١٢- اما خلال العقدين الاخيرين (أي :

السبعينات والثمانينات) فقد وقع نقل ثقافة الموصل على كاهل المثقفين والمتخصصين في جامعة الموصل التي تأسست في نهاية الستينيات ، وقد تخرج في أروقتها العشرات من الخريجين.. كما وأصدرت عدداً من المجلات والأعمال والانتاجات الثقافية ، وعدّت الجامعة الاولى في العراق .. وكانت رفقة مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر التي أنشأتها.. قد رفدت المجتمع بالمعطيات الثقافية المتعددة المتنوعة .

الهوامش

- (١) انظر : د. سيار الجميل ، تكوين العرب الحديث ١٥١٩-١٩١٦ ، جامعة الموصل ، ١٩٩١ ، ص ٣٦٦ .

(٢) راجع ما كتبه المؤرخ سليمان صايغ في كتابه ، تأريخ الموصل ، ج٢ ، بيروت ١٩٢٨ ، ص ٢٢٢-٢٨٠ . فضلاً عن استخدام عدد من المجموعات الشعرية المخطوطة التي تحفظ بها مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، واستخدام عدد من المطبوعات القديمة التي تحفظ بها مكتبة كنيسة الدومنيكان بالموصل .

(٣) انظر : د. سيار الجميل ، «طبيعة العلاقات الثقافية بين مصر والعراق والآفاق المستقبلية» ، اعمال ندوة العلاقات العراقية- المصرية لمدة ١٤-١٦ / ٢ / ١٩٩٠ ، ج١ ، (عقدت في جامعة الزقازيق- مصر) ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٦-١٣٧ .

(٤) راجع : عباس ياسر الزبيدي ، تأريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى ١٩٣٩ . (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ ، ص ٣٢-٣٣ .

(٥) انظر : آراء ، رفاثات بطي في كتابه : الصحافة في العراق : القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٧-١٨ .

(٦) راجع : اعداد متفرقة من جريدة «الموصل» التي صدرت ابان مرحلتها الثالثة (والتي تحفظ بها المكتبة العامة بالموصل) مع جريدة «موصل» التي صدرت ابان المرحلة الثانية (والتي تحفظ بها المكتبة الوطنية في بغداد) . وانظر تحليل د. ابراهيم خليل احمد عنها في كتابه : الصحافة العربية في الموصل ، الموصل ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠ .

(٧) من الأهمية بمكان الاطلاع على جريدة نينوى التي يمتاز على اعدادها د. عمار سريم ببغداد والاطلاع على جريدة النجاح التي تحترز على اعدادها اسرة الاستاذ حسن العمري بالموصل . وراجع تحليل ذنون بونس الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الآداب/ جامعة الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ١٤٢-١٥٣ .

(٨) مراجعة للعديد من اعداد جريدة النجاح الموصلية (القسم العربي) .

(٩) راجع ما كتبه عبدالفتاح علي يحيى ، الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦-١٩٥٨ ، (رسالة ماجستير غير منشورة) . كلية الآداب/ جامعة الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ١٩-٢٠ .

(١٠) ما كتبه الأستاذ علي الجميل في مذكراته «اوراق قديمة» (مخطوط بمجموعة اسرة آل الجميل بالموصل) ، اوراق ٦٤-١٠٦ . (وفيه معلومات خاسبة عن دور العراقيين في اسطنبول) .

(١١) راجع ما كتبه د. ابراهيم خليل احمد ، ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢ ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الآداب/ جامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٢-١٥٨ .

(١٢) انظر : سليمان فيضي ، في غمرة الضال : بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ١٢٤ . وانظر : محمد امين العمري ، تأريخ مقدرات العراق السياسية (نشر باسم اخيه محمد طاهر العمري الموصل لاسباب سياسية) ، المجلد ٣ ، بغداد ، ١٩٢٥ ، ص ٤٥-٤٦ .

(١٣) راجع : جريدة الموصل ، العدد (١٦١) ، في ٢٩ كانون الاول ١٩١٩ . وجريدة الموصل ، العدد (٣٧٠) ، في ٩ أيار ١٩٢١ .

- (٣٢) عن أوراق من سجلات دائرة المعارف القديمة في الموصل (المكتبة العامة)، وما كان قد حدثني به الدكتور محمد صديق الجليلي (رحمه الله) في ٢١ شباط ١٩٧٧.
- (٣٣) جريدة البلاغ، العدد (٤٦٣)، في ٣ آذار ١٩٣٦.
- (٣٤) جريدة فتي العراق، العدد (٢١٧)، في ٢ نيسان ١٩٣٦.
- (٣٥) انظر: نوري احمد عبد القادر، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠ - ١٩٤١ (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٨، ص ١٤١ - ١٥٨.
- (٣٦) عبد الفتاح علي يحيى، المرجع السابق، ص ١٢٦.
- (٣٧) من ابرز صحف الموصل في الثلاثينات: جريدة فتي العراق وجريدة الاخلاص وجريدة صدى الجمهور وجريدة الحق و جريدة المعارف وجريدة الجزيرة وجريدة الرقيب وجريدة الجميل وجريدة صوت الجميل وجريدة البلاغ.
- (٣٨) انظر: مجلة المجلة، السنة (١)، العدد (١)، ١ تشرين الاول ١٩٣٩.
- (٣٩) قراءات متقدمة ومتنوعة لما كان كتبه اوائل الكتاب الراديكاليين- التقدميين في الموصل فضلاً عما هو شائع في المجتمع وعند ابناء النخبة المثقفة في الموصل من المواقف والاتجاهات.
- (٤٠) انظر: مجلة المجلة، السنة (٢)، العدد (٦)، ٣١ كانون الاول ١٩٣٩.
- (٤١) قراءات متنوعة لاعداد متعددة من مجلة المجلة الصادرة خلال سنتي ١٩٣٩ - ١٩٤٠، وانظر: وائل النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦ - ١٩٥٨، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الاداب/ جامعة الموصل، ١٩٨٨، ص ١١٩.
- (٤٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: مجلة الجزيرة، العدد (٣)، السنة (١)، ١ تموز ١٩٤٦/ العدد (٧)، السنة (١)، ١ تشرين الثاني ١٩٤٦/ العدد (٣٦)، السنة (٣)، ١ نيسان ١٩٤٩.
- (٤٣) انظر: مجلة الجزيرة، العدد (١)، السنة (١)، ١ مابس ١٩٤٦.
- (٤٤) تصفح كامل لاعداد الكاملة من مجلة الجزيرة.
- (٤٥) تصفح وإطلاع كامل على مجلات «المعرفة» و «الجزيرة» و «الفجر» إضافة الى بعض الجرائد وبعض الأوراق والمخطوطات التي احتجز عليها.
- (٤٦) عبد الرزاق الملاي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٩٣٨ - ١٩١٧، بغداد، ١٩٥٩، ص ١٩٩.
- (٤٧) ذنون الطائي، المرجع السابق، ص ١٦٤.
- (٤٨) جريدة العرب، العدد (٥٤٣) في ٣ أيار ١٩١٩.
- (٤٩) عبد الرزاق الملاي، المصدر السابق، ص ١٧٦، وانظر أيضاً: ذنون الطائي، المرجع السابق، ص ١٨٥.
- (٥٠) مقابلة مع السيدة الحاجة رهيبة عبد الباقي الشبخون يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٩١. (مع توثيق للمعلومات والاسماء الأوراق القديمة بمهزة الباحث).
- (٥١) معلومات عن أوراق ودفاتر قديمة تعود لتواريخها الى عقد

- (١٤) لقد اختلفت الآراء في تقويم تاريخ النادي العلمي ومجته بالموصل. ونحن الآن بصدد تأليف كتاب، وثائقي يوضح تاريخية النادي ونزاهته وروصاته مجتمة.. فضلاً عن فضّ التفتيدات التي حفل بها عبر سيرة التي دامت حوالي ستة أشهر من عهد الاحتلال البريطاني.
- (١٥) انظر: «مجلة النادي العلمي»، الموصل، العدد (١) في ١٥/١/١٩١٩. وانظر سناج النادي في المرجع نفسه، العدد (٢)، ٣٠/١/١٩١٩، إضافة الى مراجعته لجميع الاعداد الخمانية.
- (١٦) من ابرز اولئك المثقفين: سليم حسون ود. عبدالله حافظ وروفاثيل بطي وتوفيق السمعاني وكوكيس عواد وميخائيل عواد وفتح الله سرم ود. داؤد الجليلي وضياء يونس وارشد العمري وثابت عبدالودويونس السبعاري وجميل الجميل وابراهيم عطار باشي وسعيد ثابت وغيرهم.
- (١٧) جريدة الجزيرة، العدد (٢٦)، في ٢٢ شباط ١٩٢٣.
- (١٨) جريدة الموصل، العدد (٨٧٤)، في ٥ أيلول ١٩٢٤.
- (١٩) جريدة العهد، العدد (٤)، في ٢ شباط ١٩٢٥.
- (٢٠) روفائيل بطي، المصدر السابق، ص ١٠١.
- (٢١) انظر: عبدالامير العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٢، النجف، ١٩٧١، ص ١٦٨.
- أيضاً: د. فاروق العمر، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٢، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٤٧.
- (٢٢) انظر: عبدالفتاح علي يحيى، المرجع السابق، ص ٥٧.
- (٢٣) راجع: جريدة صدى الجمهور، العدد (٢٥)، في ٢٧ حزيران ١٩٢٧.
- (٢٤) الى جانب كل من حزبي «الاستقلال العراقي» و «الوطني العراقي» الموصلين، فقد تأسست جمعيتان هما «جمعية الدفاع الوطني» و «جمعية النهضة المدرسية» فقدت نشاطات سياسية فعالة في سبيل قضية الموصل: انظر: جريدة الموصل، الاعداد (٩٣٥ - ٩٤٧)، كانون الثاني - شباط ١٩٢٥.
- (٢٥) انظر: انيس زكريا النصولي، عشق وشاهدت، بيروت، ١٩٥١.
- (٢٦) جريدة صدى الجمهور، العدد (٤٥)، في ٧ آب ١٩٢٧.
- (٢٧) لم تحظ هذه الصحيفة المثيرة مع الافس بدراسة المؤرخين واهتمامهم، ولذين درسوا الصحافة العراقية عموماً، والموصلية خصوصاً، علماً بأنهم استخدموا الجريدة ومطوياتها في دراساتهم ويحتمز على اعدادها د. سيار الجميل.
- (٢٨) انظر: جريدة صدى الجمهور، العدد (١)، في ٢١ شباط ١٩٢٧.
- (٢٩) لقد توقفت الجريدة بعد فترة من وفاة رئيس تحريرها علي الجميل، وفي مطلع الثلاثينات اعاد اصدارها احمد سعد الدين زيادة واحمد سامي الديوبتي.
- (٣٠) انظر: جريدة صدى الجمهور، الاعداد (٥٧ - ٦٦) ايلول - تشرين الاول ١٩٢٧.
- (٣١) انظر: انيس زكريا النصولي، المرجع السابق، ص ٩٩. وقارن ماكتبه: ابراهيم الراوي، من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث: (مذكرات)، بيروت، ١٩٦٩، ص ٤٤ - ٤٦.

الIraq في العهد العثماني، مجلة للاعلام، ٩٠، السنة (١)، مايس ١٩٦٥، ص ٤٨-٤٩.

(٦٣) سليمان فيضي، في غمرة الضلال، (سبق ذكره)، ص ٢٣٧.

(٦٤) هذا ما استطعنا كشفه مؤخرًا، ويشاركني في هذا الرأي الدكتور

عمر الطالب المهنص بالموضوع، والذي استشرته بخصوص اول

قصة موصلية قصيرة نشرت في بدايات القرن العشرين (لقاء

مع الدكتور عمر الطالب بتاريخ ١٦ تشرين الأول ١٩٩١).

(٦٥) د. عبد الله احمد، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٦٦) مراجعات مقارنة لاعداد متنوعة ولاكثر من اربعين جريدة ومجلة

موصلية صدرت على مدى خمسين سنة من القرن العشرين.

بخصوص ذلك، انظر: فاتق بطي، صحافة العراق: تاريخها

وكفاح اجلها، بغداد، ١٩٦٨، ص ٢٠٧-٢١٦.

(٦٧) كان نازم بك العمري وراء تأسيس هذه الرابطة في بيته،

فنسبت باسم «المعمرية».

(٦٨) انظر: ابراهيم الواعظ (جمع ونشر). المساجلات الموصلية في

التدويع المعمرية، (الرسالة الاولى)، الموصل، ١٩٤٩، ص.

ب-٣٨.

(٦٩) راجع: المصروف نفسه، ص-٨، وقارن اعداد متفرقة من مجلة

والجزيرة..

(٧٠) انظر: مداخلة كل من عبدالغفار الصائغ وعمود فتحى الحروق

في ندوة قسم اللغة العربية/كلية الآداب بجامعة الموصل: شاذل

طالع شاعرا وانسانا في ١٩٨٩/١٠/٢٢ (المجلد الثاني:

الندوات الخاصة والشهادات).

(٧١) انظر: د. سيار الجميل، وانتلجسيا العراق: التكوين..

الاستشارة.. السلطة، مجلة المستقبل العربي، السنة (١٣)،

العدد (١٣٩)، ايلول (سبتمبر) ١٩٩٠، ص ٣٥-٣٦.

(٧٢) متابعة لبعض الاخبار المحلية التي نشرها عدد من الصحف

والجملات الموصلية. متابعة منهجية لادوار هؤلاء الرواد السياسيين

في كثير من الأدبيات السياسية والصحف المحلية والعراقية.

الثلاثينات (مجموعة خطب).

(٥٢) نوري احمد عبدالقادر، المرجع السابق، ص ١٧٠-١٧١.

(٥٣) مجلة فناة العراق، العدد (٣٧) في ١٨ كانون الاول ١٩٣٧،

ص ٢٣.

(٥٤) معلومات كنت قد سجلتها على لسان المرحومة الست شكرية

محمد الكشاف في الموصل سنة ١٩٧٤.

(٥٥) انظر ابرز نتاجات الجمعية: «جمعية بنات الضاد»، مجموعة

مقالات، الموصل، ١٩٣٩. اضافة الى ما نشر في الصحف

الموصلية عهد ذلك باقلامهن او تحت اسماء مستعارة. ويبدولنا

بأن ما طرحه رواد تحو المرأة بالموصل في العشرينات قد أتى نغاره

في الثلاثينات.

(٥٦) علينا ان نذكر ايضا أن هناك بعض الادباء والمثقفين الموصليين

استطاعوا بنجاح ان ينشروا بعض نتاجاتهم وافكارهم على

صفحات مجلات مصرية وسورية ولبنانية كالمسالة والظافة

والاديب.

(٥٧) ما كتبه محمد عزة الميدي في مقالة له بعنوان «دفاعاً عن

الادب» في: جريدة الفجر، العدد (٧)، في ١٧ / ١ /

١٩٥٠.

(٥٨) ما كتبه عبد الباسط يونس في جريدة «الرابية»، العدد (٣٢)،

في ١٢ حزيران ١٩٥٠.

(٥٩) تحتوي كل من المكتبة العامة ومكتبة الآباء الدومنيكان بالموصل،

فضلاً عن كثير من المكتبات الخاصة على نماذج عدة من

التأليف والادبيات المطبوعة في الموصل خلال القرن التاسع

عشر.

(٦٠) مقارنة بين اعداد متنوعة من كل من الجريدتين.

(٦١) د. عبد الله احمد، نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨-

١٩٣٩، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦، ص ٥٥، وانظر ايضا: د.

عمر الطالب، المسرحية العربية في العراق، النجف، ١٩٧١.

(٦٢) نص ما قاله د. علي الزبيدي في دراسته: «المسرحية العربية في

صحافة الموصّل منذ الاحتلال البريطاني وحتى أوائل الخمسينات

د. ابراهيم خليل أحمد

مقدمة:

سنة ١٩١٧. ولما اعلنت المدة في ٣٠ تشرين
الاول سنة ١٩١٨ كان الجيش البريطاني على بعد
اثني عشر ميلاً عن الموصل. غير أن الجنرال
مارشال Marshall قائد الجيش البريطاني تسلّم
أمرًا من وزارة الحرب بالاستمرار في التقدم، استناداً
الى فحوى المادتين السادسة والسابعة من شروط

اندلعت الحرب العالمية الاولى، وأصبحت
الدولة العثمانية في الجانب المضاد لبريطانيا،
وعندئذ ابتدأت العمليات العسكرية التي كلفت
بريطانيا في سبيل احتلال العراق، واخضاعه
خسارة كبيرة في الانفس والاموال. وقد احتلت
القوات البريطانية البصرة سنة ١٩١٤، وبغداد

مقالاتها السياسية وغير السياسية كانت تمثل وجهة نظر السلطات المحتلة تجاه الاحداث والقضايا المعاصرة لها^(٦).

إهتمت جريدة الموصل، بأخبار المدينة، ونظّرت الى احتياجات السكان من المدارس والمعاهد العلمية، وعالجت مشكلات الاهالي الاقتصادية والصحية والاجتماعية، واعادت نشر شكاوى الاهالي وتساولاتهم^(٧) وتوقيع «صوت البائسين» نشرت مقالاً بعنوان «أسعار الحاجيات في الموصل» شنت فيه حملة على ارتفاع الاسعار، واستغلال المحتكرين وبما قالته: «كانت الموصل قبل الحرب الكونية بلدة الرخاء والرفاهية، مذبذولة

أعاد الإنكليز، بعد احتلالهم الموصل، إصدار جريدة الموصل كي يتخذوا منها وسيلة من وسائل الدعاية لحكمهم^(١). ومن يراجع ما كتبه الجريدة منذ صدورها في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ يجد أنها

(العدد ١٨٥٢)
التكملة
٢٢ آب ٩٥٠
٨ أيلول ١٣٦٩
من السنة ٩٠ قرص

جريدة الموصل : مجموعة الأستاذ احمد سامي الجليبي .

الحاجات ، متهاودة الأسعار ، فكان الفقير يعيش بارتياح .. لايتشكى أحد من ضيق العيش .. اما اليوم فقد انقلب النظام : ولاتسمع سوى تأوهات الفقراء وزفريات المساكين والفعلة (العمال) المستائين من قلة الرزق وغلاء المعيشة ... وسبب ذلك هو وقوف الحركة التجارية ... ولكن نشاهد بعين الاسف ... ان اثمان الخبز واللحوم لازالت مرتفعة والسبب عائد الى أولي الاطاع المحتكرين الذين يمسون دم الفقراء ... فقد تعود هؤلاء القساة القلوب على الارباح الطائلة . لذلك دعت الجريدة السلطات البلدية الى وجوب التدخل ، لتلافي « هذا الأمر الخطير الذي يش من شدة وطائنه جماعة الفقراء والبائيسين ، وباحذا لو تخطى الاوامر اللازمة لتخفيض اسعار الخبز والسمن واللحوم ... ونخرج من هذا المأزق الحرج متخلصين من هذه الازمة الاقتصادية الضاربة اطنابها بين ظهرائنا»^(A)

ترأس تحرير الجريدة أنيس صيداوي، وهو كاتب من لبنان كان مرافقاً للانكليز في حملتهم على العراق.. وقد زاول الصحافة اثر تخرجه من الجامعة الاميركية في بيروت.. وذلك من خلال عمله في جريدة (المراتب) البيروتية.. وكان كاتباً في قلم الترجمة بدائرة الحاكم السياسي البريطاني^(٤). كما أسهم في تحريرها في بداية الأمر القس سليمان صايغ ويونان عبو اليونان وسليم حسون، وهم من مثقفي الموصل المعروفين انذاك بنزعتهم المعادية للعثمانيين. وقد صدرت الجريدة بأربع صفحات من الحجم المتوسط ومقياس (٣١ × ٢٤) سم. وتحوي الصفحة الواحدة على ثلاثة اعمدة وابتداء من العدد (١٧) الصادر في ٩ كانون الثاني ١٩١٩ أصبح صدورها ثلاث مرات في الاسبوع بعد ان كانت تصدر مرتين^(٥) وكانت جريدة الموصل، كما جاء في ترويسها، جريدة «رسمية». ومن هنا فان

ذكاء نادر ومواهب طبيعية سامية .. وما تحتاج اليه (هو) فتح المدارس العالية والمعاهد العلمية . وتأسيس النوادي الادبية والنهضة الصناعية والزراعية وترقية الجنس اللطيف (المراة)^(٩) .

واهتمت الجريدة بقضية المرأة وتحريها .. فتحت عنوان « المرأة والمعارف » نشرت مقالاً لعلي الجميل جاء فيه : ان من « الحكمة ان لا يقتصر الرجل على قسر ابنائه على عاداته فانهم خلقوا لزمان لم يخلق هو له ، وما زال الاقدمون ساجدين للهِ يقولون ان تعلم البنات باحث لافسادهن وأي امرأة رضعت لبان العلم والحكمة والدين وفسدت اخلاقها ؟ ولا اظن ان تلك الاقوال والتصورات إلا منبثقة عن عادات قديمة وخيالات واهية ... جاهلين مغزي طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .. وختم مقاله بالقول ان المرأة لم تخلق « لتكون مستقر هوى ومتاعاً حسناً انما خلقت لتكون عاملاً في الهيئة الاجتماعية وتسعى السعي الخيث في هذه الحياة ... »^(١٠) .

وأولت جريدة الموصل اهتماماً كبيراً ببعض المواضيع ذات الطابع الفكري .. ومن ذلك المقالات التي كتبها الدكتور جميل دلالي بعنوان « تنازع البقاء والتعاون على بقاء الغير » ، والتي عكست فهماً أولياً لنظرية دارون في الصراع من اجل البقاء ...^(١١) .

كما أسهمت الجريدة في التوعية الانتخابية لاعضاء المجلس التأسيسي (البرلمان) ، من ذلك المقال الذي نشرته بعنوان : « من نتخب لتمثيلنا في المجلس التأسيسي » وقالت فيه : « ان المجلس التأسيسي هو بمثابة الروح في جسم المملكة العراقية ... (لذلك) سيختب ابناء الربيعين رجالاً اكفاء لياخذوا على عاتقهم مسؤولية مصير البلاد في أمر تصديق المعاهدة العراقية - الانكليزية ، ويسنوا القانون الاساسي (الدستور) وقانون الانتخاب ... »^(١٢) .

وقد عرضت الجريدة في بعض مقالاتها الافتتاحية الى الاوضاع السياسية في الاقطار

العربية .. واهتمت كذلك بالشؤون السياسية الدولية ، وعالجت في بعض اعدادها الاوضاع في روسيا بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية سنة ١٩١٧ ، وخاضت في مناقشة القضايا المتعلقة بالصراع الدبلوماسي بين بريطانيا والولايات المتحدة حول نفط الموصل^(١٣) .

ان المتصفح لاعداد جريدة الموصل في مرحلتها الثالثة الممتدة من الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٨ وحتى سنة ١٩٣٤ ، يجد انها لا تخرج ، وخاصة في بداية امرها ، عن نشرة أصدرها الانكليز لخدمة مصالحهم في العراق .. لكن ممثلي الانجاء القومي العربي من المثقفين والكتاب والصحفيين الموصلين .. لم يتوانوا عن رفدها بمقالات عكست الى حد كبير اوضاعهم العامة ، وآمالهم في الحياة الجديدة التي ناضلوا من اجلها ابان العهد العثماني ومن ذلك انهم كثيراً ما كانوا يذكرون المستعمرين الانكليز بعودهم للعرب قبل الحرب العالمية الاولى .. ويؤكدون حقهم في اقامة كيانهم السياسي الحديث^(١٤) . ومن هنا نجد ان المسؤولين عن الجريدة سرعان ما أدركوا أن البساط يسحب من تحت اقدامهم ، وان البعض يذهب في مطالبه بالحرية والديمقراطية اكثر مما ينبغي .. فبدأوا يحذرون ، في مقالات افتتاحية ، من ماسمونه بـ (بعض الافكار .. المفسودة والمبادئ العقيمة) ، وان حرية الفكر حدوداً اذا تعداها الانسان يقع تحت مسؤولية عظمى ، واثم عظيم ... فالحكومة هي مسؤولة عن النظام الاجتماعي ولها الحق في التضييق والتنكيل بالاراء المفسودة والمبادئ العقيمة التي تسرى كالوباء في المجتمع^(١٥) .

لقد تخصص عدد من الكتاب والمثقفين الموصلين في الكتابة لجريدة الموصل ... فيونان عبو اليونان عالج القضايا السياسية وكانت المسائل الادبية من نصيب الشاعر فاضل الصبيدي .. وتولت كتابات رشيد الخطيب ومحمود نديم متابعة قضايا النهضة والتقدم .. وكان للدكتور حنا خياط وهو طبيب موصل اصبح اول وزير للصحة بعد

تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ مقالات في امور الصحة والتغذية^(١٦).

ان اية متابعة للمقالات التي نشرتها جريدة الموصل، ووجد باسماء كتابتها، تدل على ان المسؤولين عن الجريدة.. اضطروا بسبب الجو الثقافي والوطني الذي كانت تعيشه الموصل انذاك، الى فتح الباب على مصراعيه امام اقلام المثقفين للكتابة فيها، خاصة بعد ان اعلنت انها تروم بعث الفكرة العربية القومية وخدمة اللغة العربية وتوعية الشعب وتنوير الاذهان وانتشال المجتمع من وهدة الجهل والتخلف.. لذلك فقد أصبح تأثيرها في المجتمع الموصل كبيراً.. وبات الناس يحرصون على اقتنائها وقراءتها والاستفادة من مقالاتها في تحديث حياتهم اليومية^(١٧).

لقد شعر قادة الاتجاه القومي ان الضرورة تقتضي إصدار مجلة تعبر عن اهدافهم ومراميمهم، فاصدروا مجلة «النادي العلمي» التي صدر عددها الاول في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩.. وجاء في ترويساتها: «النادي» «علمية» «فنية» «ادبية» «آخلاقية» «تاريخية»، تصدر كل خمسة عشرة يوم مرة واحدة في الموصل.. إلا انهم لم يصدرها منها سوى ثمانية اعداد، فقد توقفت عن الصدور في ٣٠ نيسان ١٩١٩ بعد ان شعرت السلطات المحتلة ان قادة جمعية العلم السرية (تأسست سنة ١٩١٤) اخذوا يحاولون توجيهها بما يحقق الاهداف الوطنية.. لذلك قامت هذه السلطات بايقافها عن الصدور^(١٨)..

لقد أسهم في تحرير مجلة النادي العلمي عدد كبير من ابناء الموصل ومثقفيه.. ومن ابرزهم صديق الدلموحي وعلي الجميل وفتح الله سرسم، وحنا خياط، ورشيد الخطيب، وروفايل بطي وفاضل الصيدلي، واحمد الفخري وتوفيق آل حسين اغوان^(١٩) وقد عالجت المجلة موضوعات ثقافية واجتماعية، واهتمت بقضية المرأة، وأكدت اهمية الزواج في حفظ كيان الامة. كما تبنت المجلة، فكرة احياء الآثار الادبية لرجال الموصل امثال محمد امين



رشيد الخطيب

العربي، وعثمان الحياثي الجليلي وصالح السعدي وعلي الغلامي وغيرهم من الذين «لهم اثار عدة ما بين منظوم ومنشور، مبعثرة لم تدون في كتاب أو ديوان. ولم تتحرج المجلة من الاقتباس من الصحف العراقية الاخرى^(٢٠)».

الصحافة الموصلية والحركة الوطنية حتى ١٩٢٦ :
تأسست الحكومة العراقية المؤقتة في بغداد في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠، واصبح فيصل ملكاً على العراق في اب ١٩٢١.. وكان وطنيو الموصل على اتصال وثيق باخوانهم قادة الحركة الوطنية في بغداد.. لذلك فقد حرص الوطنيون الموصليون على استخدام الصحافة كاداة من ادوات النهوض والنضال من اجل التخلص من الاحتلال والانتداب البريطانيين.. فأسسوا بعض الصحف، منها جريدتنا الجزيرة ١٩٢٢ والعهد ١٩٢٥.

صدر العدد الاول من جريدة الجزيرة في ٢٤ اذار ١٩٢٢ وجاء في ترويسها انها «جريدة يومية وطنية حرة» تصدر مرتين في الاسبوع مؤقتاً وقد تولى رئاسة تحريرها محمد مكي صديقي الشربتي وهو من ابرز العاملين في الحركة الوطنية.. وقد عمل سكرتيراً للمركز العام لجمعية العهد العراقي ومديراً مسؤولاً لجريدة العقاب. اما ادارة الجريدة فكانت في شارع النجفي. وقد صدرت الجريدة باربع صفحات وبثلاثة اعمدة لكل صفحة وكان مقياس

الجريدة (٢٦ × ١٩) سم^(٢١) .

لقد عبرت جريدة الجزيرة منذ صدورها عن اتجاهات الرأي العام الموصلية عامة وسجاعة حزب العهد العراقي الذي تأسس سنة ١٩١٩ بقصد النضال ضد السلطات المحتلة^(٢٢) .. وقد عرضت في مقالها الافتتاحي لعددها الاول سياستها .. مشيرة الى انها «لم تخرج لعالم الوجود الا لخدمة الامة العربية والوطن العربي .. ان مبدأ الجزيرة الوحيد هو مبدأ الحرية الكاملة للعراق العزيز...»^(٢٣) كذلك فقد كرست صفحاتها لتوضيح رغبة العراقيين في حكم انفسهم بانفسهم .. وكشفت عن الاخطار التي تنجم عن معارضة هذه الرغبة . وقالت : «ان العراقيين يريدون ان يكونوا اسياداً في بلادهم احراراً في عقر دارهم ... مضى زمان الغش وقلب الحقائق وحلفاؤنا الانكليز يقدرون اكثر منا الاضرار التي لحقت الطرفين من جراء تلك السياسة»^(٢٤) .

وفي عددها الصادر في ٤ نيسان ١٩٢٢ قالت جريدة الجزيرة : «ليس من الحكمة الزكون الى الهدوء عند هضم الحقوق» وفي هذا اشارة الى استمرار التذكير بالحقوق المهضومة ، والافالقاومة للمستعمرين هي الحل . وقد ساهمت الجريدة في حركة رفض الانتداب البريطاني وقالت : «ان العراقيين يريدون ان يكونوا اسياداً في بلادهم احراراً في عقر دارهم ، يريدون ان يشغلوا المكان اللائق بهم ويتأنهمهم المجيد»^(٢٥) لذلك فقد اهتمت الجريدة بالشباب واستنهاض همهم واث روح التضحية والوطنية فيهم^(٢٦) . وكتبت تحت باب «مارق وراق» كلمات تقول : «لايكني ان تهتم الحكومة بمنافع الامة المادية بل لابد من العناية ايضاً بآمالها .. العراق يريد ان يبقى الى الابد صديق الانكليز... ولكنه يريد ايضاً استقلاله التام»^(٢٧) . ونقلت الجريدة اخبار المطالب الشعبية ، ومنها عدم القبول باية معاهدة لها مساس باستقلال العراق ، وضرورة اعطاء رخصة لتشكيل الاحزاب السياسية . وطالبت الجريدة في كثير من مقالاتها

بضمان حقوق العراق المشروعة بالاستقلال^(٢٨) .

احتجبت جريدة الجزيرة بعد صدور (٢٦) عدداً منها ولادة سبعة اشهر تقريباً . لكنها استأنفت الصدور في ٢٢ شباط ١٩٢٣ وبمقياس صغير (١٧ × $\frac{1}{4}$ ١٤) سم وحجم (مجلة) .. وقد جاء في ترويساتها : «جريدة يومية وطنية عامة ، تصدر بعشرين صفحة مرتين في الشهر وبصفحة واحدة مرتين في الاسبوع مؤقتاً» . كما جاء في ترويسة العدد الذي صدر بعشرين صفحة : «الجزيرة جريدة يومية سياسية اخبارية ادبية جامعة»^(٢٩) . وقد اوضحت الجزيرة خطتها الجديدة وهدفها في مقال افتتاحي بعنوان : «الى القارئ الكريم» جاء فيه : «نقدم الجزيرة بثوبها الجديد ، بعد ان احتجبت زهاء السبعة شهور .. بادرننا الى اصدارها .. اجابة لنداء الواجب ، ولأنه يعز علينا وايم الحق ان لا يكون في ام الربيعين جريدة واحدة اهلية ، ونحن لم نقدم على ذلك إلا اعتياداً على مناصرة محبي الادب ومريدي الحقيقة ... ان الجزيرة ... لم تزل هي هي بروحها ومبدؤها ...»^(٣٠) .

استمرت الجزيرة بالصدور على هذه الصورة نحو ثلاثة اشهر ، ثم عادت بعدها تصدر بشكل جريدة بصفتين وميتين في الاسبوع ، الى ان احتجبت عن الصدور نهائياً بعد سنتين .. وخلال مدة صدورها ، قامت الجريدة بدور مهم في ترسيخ قيم الوطنية ، والتوعية بأهمية الاستقلال للعراق ، والوقوف الى جانب القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين . وقد كان لكتابتها المعروفين بحسهم الوطني والقومسي اثر كبير في ان تكون للجريدة مكانها اللائق في الصحافة العربية . وكان من ابرز كتابها مكسي الشربتي وفاضل الصيدلي واسماعيل حتي فرج وسعد الدين آل الخطيب ومحمد حبيب العبيدي^(٣١) .

اما جريدة العهد فقد اصدرها حزب الاستقلال الذي تأسس إبان مشكلة الموصل ومطالبة الاتراك بها . وقد صدر عددها الاول في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥ وجاء في ترويساتها «جريدة

حول مطالبته بالموصل (٣٨) كما نهضت الجريدة بدور فعال في توعية الجماعات المؤيدة لتركيا في الموصل، واسهمت في تغيير موقفهم ليكون بصف من الحكم الوطني (٣٩).

ونشرت الجريدة اخبار النشاطات الوطنية في الموصل لتأييد حق العراق المشروع في الحفاظ على عروبة الموصل (٤٠). وقد علفت على تظاهرة طلابية طافت شوارع الموصل بقولها «حيا الله صديراً نجيش بالعاطفة الوطنية.. قوتكم تذلل كل عقبة...» (٤١).

وقد استخدمت جريدة العهد «الكاريكاتير» في تأييد الحقوق العربية في الموصل.. وكثيراً ما أوقفت صفحاتها لنشر المقالات التي تصف اوضاع الموصل خلال حكم الاتحاديين واعادت الى الازهان كيف رفض الاتراك اعتبار اللغة العربية رسمية في المدارس والمحاكم (٤٢).

واهتمت جريدة العهد بالقضايا الاقتصادية، وناقشت في بعض مقالاتها الانتاحية الاطامع الاجنبية في نفط الموصل (٤٣) ففي مقال بعنوان «قضية النفط» بتوقيع موصلي، قالت فيه: «وما لحاجتهم والحاحهم (الترك) في تصحيح الحدود... الا تدرعاً منهم الى الاستفادة من عيون النفط» (٤٤).

وتطرق الجريدة الى امور الزراعة وناقشت سوء احوال الفلاح.. ودعت الى تشكيل لجنة.. تأخذ على عاتقها تحسين اوضاع الفلاحين «وانشاء مصرف زراعي.. يكون تحت اشراف الحكومة ورعايتها» وذلك بهدف تنشيط الزراعة وجلب انواع الحبوب ودفع الآفات وحل مشاكل الزراعة (٤٥).

واسهمت الجريدة في التوعية الانتخابية لاول مجلس نيابي يعقد في العراق (٤٦). وأكدت ضرورة التأني في اختيار الاشخاص الذين ستنلق بين ايديهم مقدرات البلاد التي ستكون تحت رحمتهم، فان شاءوا خدموها بما جيلوا عليه من الاخلاص والحكمة، وأن أبوا/ ألغوا بها الى

سياسية يومية عربية، تصدر في كل يوم ثلاثاء مؤقناً، وهي لسان حال حزب الاستقلال». كتب فوق اسم الجريدة شعار الحزب «ليس للانسان الا ماسعى» وتحتته «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً» (٣٢). وقد صدرت جريدة العهد باربع صفحات، واحتوت الصفحة الواحدة على اربعة اعمدة وبمقياس $(\frac{1}{4} \times 29)$ سم (٣٣).

عرضت الجريدة في عددها الاول سياستها العامة وبمعنوان «استقلال العهد» كتبت مقالاً جاء فيه: «... ان الحزب قد عاهد المولى على ان يدافع عن حقوق البلاد... مادام في عروقه دم عربي... وقد اوقف هذه الجريدة وجعلها عهداً عليه في الصدق والاخلاص والسعي وراء خدمة البلاد، وهي لسان حاله، واحدى طرقه الشريفة التي يتخذها لاسعاد الأمة... ان الحق رائدنا والاخلاص درعنا، والخدمة الصادقة قبلتنا والاستقلال الحقيقي ضالتنا...» (٣٤).

أسند حزب الاستقلال ادارة جريدته الى محمد صديقي سليمان وتولى تحريرها عثمان قاسم (وهو سوري)... وكتب فيها عدد كبير من مثققي الموصل امثال مكى الشربتي، وجميل دلال، ومحمد حبيب العبيدي وفتح الله سرسم واحمد الفخري وغيرهم من اعضاء الحزب (٣٥).

تركزت معظم مقالات جريدة العهد على قضية الموصل وتأكيد عرويتها ازاء مطامع الترك فيها. وكثيراً ما ذكرت القراء بالتضحيات التي قدمها الموصليون في سبيل الاستقلال (٣٦).

وقد اعتادت نشر بيانات حزب الاستقلال في هذا الخصوص.. ومعظم هذه البيانات، تدور حول مساوئ الحكم التركي، وعنصرية الاتحاديين (٣٧).

كما ركزت مقالات الجريدة على الجوانب التاريخية والاقتصادية والجغرافية لمشكلة الموصل منها على سبيل المثال المقال الذي كتبه بعنوان «رغبة الاتراك في نفط الموصل» في عددها الصادر في ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٥ وذلك تنفيذاً للحجج التركية

كما صدرت مجلة باسم «النجم». وكانت جريدة «صدى الجمهور» جريدة يومية سياسية أدبية اخلاقية عامة، صاحب امتيازها عيسى محفوظ ومديرها المسؤول المحامي عبد الله فائق. اما رئيس تحريرها فكان علي الجميل، وقد صدر عددها الاول في ٢١ شباط ١٩٢٧ وظلت تصدر حتى ٣١ كانون الاول ١٩٢٩. ولقد اكدت الجريدة منذ صدورها على ضرورة الحرية الفكرية وحاجة البلاد الى حرية ابداء الرأي^(٥٣). وبما قالته في هذا الصدد: «ان حرية ابداء الرأي لا تقدر ان تستغني عنها امة من الامة، فنحن في وقتنا هذا بحاجة شديدة الى هذه الحرية ازيد من اي امة، نظراً الى وضع البلاد، والمشاكل التي هي واقعة فيها. وفي نظرنا ان الحرية الفكرية في جميع مناحيها هي الارادة القوية والواسعة الفعالة لتخليص البلاد من مأزقها الحرج»^(٥٤).

وبعد الانذار الذي وجهته الى الجريدة مديرية المطبوعات لنشرها بعض الانتقادات للحكومة نشرت مقالاً بعنوان: «حاجتنا لفكر حر» دعت فيه الى ضرورة احترام الدستور وصيانه من عبث العابثين. وقالت بان الصحفي الذي يدعى خدمة البلاد لا يمكن ان يسكت عن الحق وان المسؤولين ليسوا إلا خدام الوطن»^(٥٥).

اما جريدة «فتى العراق» فقد صدر عددها الأول في ١٥ اذار ١٩٣٠ وجاء في ترويسها انها «جريدة يومية سياسية اجتماعية عامة» صاحب امتيازها مكي سرسم ورئيس تحريرها عبد الحميد ججاري ومديرها المسؤول احمد سعد الدين زيادة



احمد سعد الدين زيادة

الحفيض»^(٥٦). وانتقدت الجريدة بشدة، التقاليد المعمول بها في أثناء الانتخابات والمرتكزة على المحسوبة والجاه ودعت الى تحكم العقل ووضع مصلحة البلد فوق اية مصلحة^(٥٨). ورحبت الجريدة باعلان الدستور العراقي يوم ٢١ اذار ١٩٢٥، وعدته حدثاً تاريخياً كبيراً، وأبرز خطورة يخطوها العراق في سبيل الارتفاع.. فالدستور مظهر من مظاهر الحياة الحرة ومن رموز استقلال البلد^(٥٩). ودعت الى العمل الجدي لتأكيد استقلال العراق بمحدوده الطبيعية ووضع قول الملك فيصل «العراق المستقل لا يتجزأ» قاعدة للسياسيين الداخلية والخارجية^(٦٠).

ونقلت جريدة العهد نشاطات لجنة الدفاع الوطني التي تأسست بين ٢٥ - ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ للدفاع عن عروبة الموصل. وقد هاجمت الجريدة تصديق معاهدة ١٩٢٦ ونشرت البيانات الكثيرة ضدها ونتيجة لمواقفها هذه اصدرت وزارة الداخلية قراراً بتعطيلها فاصدر الحزب بدلاً منها جريدته الجديدة «فتى العراق»^(٦١).

لقد عكست جريدة العهد موقف الرأي العام في الموصل من قضية مهمة، تلك هي قضية مطالبة الأتراك بالموصل.. واسهمت الى حد كبير في تنفيذ حجج الأتراك والتوعية بالوقوف ضد المطالب التركية وتأكيد استقلال العراق ووحدته باعتبار ان الموصل هي (رأس العراق) وإن كل من يفكر بفصلها عن بغداد والبصرة خائن لوطنه ولقومه ويستحق الموت ولعنة الشعب. كما كان للجريدة اهتمام بالقضايا القومية، وخاصة قضية فلسطين.. ومن ذلك حرصها على التنبيه المبكر لاختطار الحركة الصهيونية، والدعوة الى النضال من اجل الحفاظ على عروبة فلسطين^(٦٢).

الصحافة الموصلية منذ تسوية مشكلة الموصل وحتى

نهاية الثلاثينات :

صدرت في الموصل خلال العشرينات، كذلك جريدتا «صدى الجمهور» و«فتى العراق».

المراسلة والمراجعات مع رئيس التحرير عبر الخي فاضل الحماسي في الموصل — — —	المجلة مجلة أدبية ثقافية عامة نصف شهرية	يرسل المراسلة والمراجعات في الموصل ٥٠٠ ٦٠٠ ١٥
---	--	---

العدد — ١ — ١٣٥٧ — ١ تشرين الأول ١٩٣٨ السنة الأولى

مجلة المجلة

مركزة على نشاط حزب الاخاء في هذا المجال .
واهتمت الجريدة بالادب العربي والتاريخ
الاسلامي وتبنت الدعوة الى حياة المصنوعات
الوطنية ورفعت شعار صيانة حقوق المرأة (٧٠) .

وصدرت في الموصل صحف ادبية ابرزها في
فترة الثلاثينات مجلة (المجلة) التي اصدرها نادي
الجزيرة وهو ناد ثقافي رياضي تأسس في الموصل في
١٨ نيسان ١٩٣٦ وكان ذو توجه قومي عربي شبيه

والفلسفية (٧٥) . ومن ابرز مقالاتها «الفلسفة عند
العرب» ، «تاريخ كلد وآشور» ، «ملوك المغول
النصاري» ، «من حقول التاريخ» ، «الجوابون في
البلاد العربية» ، «تاريخ الطب في العراق» ،
«البلاد العربية في مطلع القرن السابع عشر» ،
«اريل عند رأي الاثاري فكتور بلاس» ، «ماذا
تريد الاطاع الشيوعية» وغير ذلك من المقالات
التي كتب معظمها سليمان الصايغ نفسه (٧٦) .

لقد تعددت انماط الصحف التي صدرت في
الموصل ابان العشرينات والثلاثينات .. فضلاً عن
الصحف والمجلات التي اشراها اليها .. صدرت في
الموصل صحف حزبية ابرزها جريدة (البلاغ) التي
عبرت عن سياسة حزب الاخاء الوطني (افتتح

(تشرين الثاني - هجري)

يرسل المراسلة والمراجعات

المرسل ٨٥٠ نقلاً عن المراجع ٩٥٠

مدير الادارة: محمود فوزي الكاظمي

(١٩٣٨) والاصحاحات: رجب با ابراهيم في الموصل في تاريخه

(رقم المجلد ١٢) (سنة المجلد رقم ١٠)

(مجلدات مطبوعة في الموصل)

البلاغ

«جريدة يومية سياسية تصدرها مجلة البلاغ»

(تشرين الثاني - هجري)

الجمعة

١ رجب ١٣٦٠

٢٤ تشرين الثاني ١٩٤١

رقم العدد ٩٩٦

سنة في تاريخه رقم ٣١

صاحب البلاغ: عيسى عيسى

جريدة البلاغ

بتوجه نادي المثني بن حارثة الشيباني في
بغداد (٧١) . وكان يوسف الحاج الياس الحماسي
صاحب امتياز المجلة .. اما رئيس تحريرها فهو عبد
الحق فاضل . وقد جاء في ترويساتها مجلة ادبية
ثقافية عامة . وكانت نصف شهرية تصدر في اليوم
الاول والسادس عشر من كل شهر .. وقد صدر
العدد الاول في تشرين الاول ١٩٣٨ .. واثرا انتقال
رئيس تحريرها الى بغداد ، بعد انتهاء السنة الثانية ،
توقفت عن الصدور في الموصل ، وظهر العدد
الجديد منها في بغداد يوم ١٦ اذار ١٩٤١ (٧٢) .

عرضت المجلة خطتها في افتتاحية العدد
الاول .. وما جاء فيها ان المجلة تسعى لان «تغدو
مجال الاقلام المستأزرة ، وملقى العقول
المفكرة» (٧٣) . وهكذا نجد ان المجلة اتجهت انجهاً
ادبياً قديماً .. وامتلاّت صفحاتها بالوان من الثقافة
الانسانية ، وفنون الادب الحديث ورائع القصص

رسمياً في ١٠ كانون الاول ١٩٣٠ وكان له فرع في
الموصل) . وقد صدر العدد الاول من البلاغ في ٢٦
تشرين الثاني ١٩٣١ وكان صاحب امتيازها متي
سرس ، ومديرها المسؤول أحمد سامي الدبوني
الحماسي . وجاء في ترويساتها جريدة يومية سياسية
عامة تصدر ثلاث مرات في الاسبوع (٧٧) . وشارك
في تحريرها عدد من الكتاب والادباء منهم اكرم
فاضل وحازم المقتي وعبد الجبار الجمرد وسعيد
الديوه جي ومحمد رزق الله اوغسطين وعبد
الرحمن الجليلي (٧٨) .

واهتمت البلاغ بنشر نشاطات حزب الاخاء
الوطني ، وكرست صفحاتها لمهاجمة سياسة نوري
السعيد المعروف بميله الى التعاون مع بريطانيا .
ودعت الى صيانة الحريات العامة والحيولة دون
تدخل الحكومة في الانتخابات النيابية (٧٩) .

وتابعت «المجلة» مجريات القضية الفلسطينية ،

تأريخ الصحافة العراقية ، والفكر السياسي -
الادبي العراقي . كانت مجلة ذات صدى ، وذات
قراء ومريدين . ولم تكن الحكومة مرتاحة منها أو من
القائمين عليها والكتابيين فيها ... » ويضيف الى ذلك
قوله : ان مجلة المجلة هي من نوادر الصحافة
العراقية لما بين سطورها من جهد واخلاص ومعاناة
وطنية وطموح » (٧٨) .

الصحافة الموصلية والحياة الحزبية :

بعد ظهور الحياة الحزبية العلنية ، اثر تشكيل الاحزاب السياسية الخمسة في العراق وهي حزب الاستقلال ، والحزب الوطني الديمقراطي ، وحزب الشعب ، وحزب الاحرار وحزب الاتحاد الوطني ، في نيسان سنة ١٩٤٦ وسمح لها باصدار جرائد يومية سياسية ، اصبح لها فروع في الموصل (٥) وقد اصدرت هذه الفروع بعض الصحف الحزبية .. كانت جريدة النضال لسان حال حزب الاستقلال ابرزها على الاطلاق (٧٩) . وقد صدرت النضال في ٢٩

الغزاة

لسانه حزب محمد بن قنول (فرع الموصل)

الحبيب
٢٠٠٠ هـ - ١٣٧٠
٧ ص ١٩٠١
—
العدد ١٩
الطبعة الأولى
في نسخة ١٩٠١

النضال
حربه جديده سياسي
اصدر صاحب الميثاق بالاربعاء
وتمس تحريرها
اعدها القاصد وال
الحامض فري الى امم

جريدة النضال

آذار ١٩٤٨ وكان صاحبها عبد القادر العبيدي
المحامي ومديرها المسؤول حازم المقتي المحامي
ورئيس التحرير غربي الحاج أحمد المحامي . وجاء
في ترويساتها جريدة يومية سياسية تصدر يومي
الاثنين والجمعة (٨٠) .

وفي عددها الاول اوضحت التضال سياستها وهي السعي « في سبيل تحقيق امانى البلاد ومعالجة شؤونه معالجة صريحة سافرة »^(٨١) وقد اهتمت بنشر مبادئ حزب الاستقلال . كما افسحت مجالاً واسعاً من صفحاتها للدفاع عن عروبة فلسطين وكتابة المقالات الناقدة لموقف نظام الحكم في العراق

أخبار نشاطات الحزب في بغداد والموصل . وكان من أبرز كتابها محمد حديد وعبد الغني الملاح ويوسف الحاج الياس من الموصل وقاسم حسن وفاضل مهدي من بغداد . وما أكدته في مقالاتها مسائل تتعلق بمبادئ الحزب ، وإبرازها الدعوة الى حياة ديمقراطية نياية ، وتأييد الحريات العامة واصلاح

وجامعة الدول العربية تجاه هذه القضية^(٨٢) . وكان من أبرز كتابها غربي الحاج أحمد . كما اسهم في تحريرها عدنان الراوي ، وعبد القادر العبيدي ومحمد صديق شنشل وشاذل طاقة^(٨٣) .
وصدرت في الموصل جريدة (صدى الاحرار) لتكون لسان حال حزب الاحرار الذي تأسس في



جريدة صدئ الاحرار

بغداد سنة ١٩٤٦ واصبح له فرع في الموصل . وقد صدر العدد الاول من صدئ الاحرار في ٧ أيلول ١٩٤٨ وكان صاحب الامتياز محمد رؤوف الغلامي ومديرها المسؤول محمد سعيد محضر باشي . وساهم في الكتابة لها عدد من مثقفي الموصل امثال عبد المنعم الغلامي وعامر سامي الدبوبي وفاضل الصيدي ، وسالم الدباغ^(٨٤) . وكانت صدئ

بغداد سنة ١٩٤٦ واصبح له فرع في الموصل . وقد صدر العدد الاول من صدئ الاحرار في ٧ أيلول ١٩٤٨ وكان صاحب الامتياز محمد رؤوف الغلامي ومديرها المسؤول محمد سعيد محضر باشي . وساهم في الكتابة لها عدد من مثقفي الموصل امثال عبد المنعم الغلامي وعامر سامي الدبوبي وفاضل الصيدي ، وسالم الدباغ^(٨٤) . وكانت صدئ



جريدة الهدى

سامي الخطيب مديرها المسؤول^(٨٨) . وانصرفت الهدى لمتابعة نشاط الحزب ونشر مبادئه الاساسية في تحرير العراق من كل نفوذ اجني ، والذود عن مصالح العرب وصيانة عروبة فلسطين ، وابعاد العراق عن اي نزاع دولي بالعمل على ضمان حياده ودعم وحدته الوطنية وتأمين استقلال القضاء وفسح المجال للعمل الحزبي والنقابي واتباع سياسة الاقتصاد الموجه^(٨٩) . وقد عرضت جريدة الهدى في احد اعدادها خطتها بعنوان «رسالة الهدى» وما جاء فيها ان الجريدة تعمل على ترسيخ قيم الحياة الحزبية السليمة في العراق وتأييدها مهامها في سبيل تقدم العراق وبقية^(٩٠) .

الاحرار جريدة حزبية اخبارية بالدرجة الاولى ، إلا أنها نشرت سلسلة من المقالات في نقد بعض الظواهر الاجتماعية كالتفافق والجموع . وعالجت كذلك مشاكل اقتصادية وسياسية من وجهة نظر حزب الاحرار . وقد الغي امتيازها في ١٧ كانون الاول سنة ١٩٥٤^(٨٥) .

وكان للحزب الوطني الديمقراطي جريدة باسم (المستقبل) وقد جاء في ترويسة العدد الاول الذي صدر في ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٨ انها «جريدة يومية سياسية» صاحب الامتياز والمدير المسؤول المحامي حسن زكريا ، وسكرتير التحرير عبد الغني الملاح^(٨٦) . وخصصت الجريدة معظم صفحاتها لنشر

حزب الاستقلال والرّد على صحافته وتوجيه الطعنات الى كل من يعارض سياسة نوري السعيد⁽⁴¹⁾. وتصدت جريدة النضال لجريدة نصير الحق وللمتممين لحزب الاتحاد الدستوري في الموصل، ومعظمهم من الملاكين ورؤساء العشائر وما نشرته المقال الذي حملت فيه نوري السعيد،

[illegible]

مسؤولية ضياع فلسطين وانتشار البطالة والجهل في العراق وقد كتب المقال غربي الحاج احمد وكان بعنوان «وزير ذو ماضي» ونشر في يوم زيارة نوري السعيد للموصل في ٢٣ ايلول ١٩٥٠ (٩٥).

أنماط أخرى من الصحف الموصلية :

حالم». وقد اوقفت صفحاتها لنشر شكاوى العمال ضد الدوائر الرسمية ومحاربة البؤس والشقاء، وصبت جام غضبها على سياسة الانكليز الاستعمارية في العراق لاعتقادها بان الواقع المؤلم الذي يعيشه العمال في العراق مرتبط بالواقع السياسي الذي

يتمثل بالطبقة الحاكمة المرتبطة بشكل أو بآخر بالاستعمار البريطاني^(٩٧).

كان للجريدة أبواب رئيسة عدة منها : المقال الافتتاحي ، حوادث ومحليات الاسبوع ، حوار ، اخبار العالم ، شؤون العمال في العراق ، قصة العدد وغالباً ماتكون عن واقع العمال وحالتهم المعاشية المزرية^(٩٨) . وقد حرصت المجلة لتكون لسان حال الاصناف والتنظييات المهنية في الموصل ، خاصة وان صاحبها ومديرها المسؤول احمد سعد الدين زيادة كان معتمد هذه الاصناف ومنها صنف القضاة وصنف العلافين^(٩٩) . وقد تبنت الجريدة الدعوة الى تأسيس نقابات عالية وتحديد ساعات العمل ومحاربة الامية والبطالة . وناشدت الحكومة بسن تشريع خاص بالعمال وتحسين احوالهم المعاشية والصحية^(١٠٠) . كما نشرت كذلك اخبار العمال واحوالهم في الاقطار العربية . وكان من ابرز الذين أسهموا في تحريرها احمد سعيد الخياط ، وبشير الصقال ، وعبد المنعم الغلامي واحمد سعد الدين زيادة ، وظاهر حامد وبشير الصقال^(١٠١) . وقد صدر من الجريدة منذ بروز عددها الاول في ٥ ايلول ١٩٣١ حتى صدور آخر عدد منها في ١٧ شباط ١٩٣٤ (١٧٣) عدداً^(١٠٢) .

اما المخط الثاني من الصحافة التي صدرت في الموصل ، خلال هذه الفترة ، فكانت «الصحافة المدرسية» . ومن أبرزها مجلة النهضة التي اصدرتها لجنة الخطابة العربية في اعدادية الموصل سنة ١٩٢٦^(١٣) . ونشرة «الاهام» التي صدر عددها الاول في كانون الاول ١٩٤٥ . وقد جاء في ترويسها «الاهام نشرة اعدادية الموصل بنين» ، «الاهام ادب ، علم ، فن» يشرف على تحريرها ذو

الثاني المتوسط . وكانت دهشته كبيرة حين وجد مقالته وقد نشرت في المجلة المذكورة (١٠٨) .

عاد الى الموصل ، سنة ١٩٤٥ حين أحيل والده على التقاعد ، واكمّل دراسته في المتوسطة الشرقية ، ثم انتقل الى الاعدادية المركزية ، وكانت الاعدادية الوحيدة في الموصل آنذاك ، وتشغل بناية المدرسة الخضرية (الاعدادية الشرقية حالياً) . وفي هذه المدرسة أسهم في اصدار نشرة «الهام» . كما أخذ يكتب مقالات في الصحف الموصلية بأسماء مستعارة منها : (صفوت) و (الهي الدرداء) و «الشعبي» و «عبدالتعالى البدراي» . كما نشرت له صحافة بغداد بعض المقالات بإسمه تارة ، وبأسماء مستعارة تارة أخرى . ومن الصحف التي نشر فيها جريدة السجل (البغدادية) وجريدة الجامعة الموصلية ومجلة الجزيرة الموصلية (١٠٩) .

وخلال هذه الحقبة من حياته ، اتجه الى تركيز قراءاته في أمهات الكتب والمصادر ودواوين الشعر حتى انه بات يمتلك مكتبة تعد من اضمخم المكتبات الخاصة في الموصل (١١٠) .

وعندما انفجرت وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسموث ، واندلعت التظاهرات الشعبية ضدها في المدن العراقية ، ومنها الموصل ، أسهم عبدالباسط يونس فيها .. وكان معروفاً بقدرته الخطائية . وكان من نتائج ذلك ان عوقب بالاعراج الموقت من المدرسة . وجاءت احداث فلسطين سنة ١٩٤٨ ليقود اعتصاماً طلابياً في الاعدادية المركزية ، وكان آنذاك طالباً في الصف الخامس ، الفرع الأدبي . وقد حملته السلطة مسؤولية الاضراب عن الطعام الذي سرعان ما انتشرت اخباره في المدينة ، وفي اليوم الثاني اتسع الاضراب حتى شمل طلاب بقية المدارس . وعبثاً حاول المسؤولون ايقاف الاضراب الذي استمر اربعة ايام ، ثم رفع تلقائياً من قبل الطلاب اثر اعلان الحكومة ارسال الجيش الى فلسطين . ومع



عبدالباسط يونس

ولد عبدالباسط يونس رجب في محلة باب لكش بمدينة الموصل سنة ١٩٢٨ (١١٦) . وقد تلقى دراسته الأولى في كتاب شعبي يديره (الملا علي) والذي عرف بشدته وصلاحه وتقواه حتى انه ترك في نفوس تلاميذه أثراً لا ينسى . ثم انتقل الى المدرسة العراقية الابتدائية وخلال دراسته في المدرسة الابتدائية تفتح ذهنه على الأحداث السياسية التي كان يمر بها العراق والأمة العربية آنذاك وخاصة احداث ثورة ١٩٣٦ في فلسطين وانقلاب بكر صديقي في العراق ومقتل الملك غازي سنة ١٩٣٩ . وكان لوالده ، الضابط الموصلية الذي عاد مع رفاقه الضباط العرب المنتحقين بالثورة العربية الى العراق ، اثر كبير في تنمية وعيه (١١٧) .

وفي سنة ١٩٤١ أنهى دراسته الابتدائية في بغداد بعد أن انتقل اليها مع والده وفي متوسطة الأعظمية ، كان يتابع احداث ثورة مايس ١٩٤١ وأنحيار الحرب العالمية الثانية . وفي تلك المرحلة ، والتي تلتها برزت مجلتي الرسالة والثقافة الاسبوعيتان ، وكانت مجلة الهلال المصرية تصل الى العراق بانتظام ، وهي تحمل على صفحاتها ما كان يكتبه رواد الثقافة العربية الأوائل من مقالات تاريخية وفلسفية وفكرية وسياسية .. وقد تركت تلك المجلات اثرها لدى عبدالباسط ، حتى انه ارسل مقالة الى مجلة الرسالة المصرية لصاحبها احمد حسن الزيات ، وذلك عندما كان طالباً في الصف

مع صدور جريدة «المثال» في ٦ حزيران ١٩٥١ بدأت المسيرة الصحفية الحقيقية لعبدالباسط يونس وكانت جريدة يومية سياسية ، مديرها المسؤول شاكرا العناز المحامي^(١١٥) . وقد عرفت «المثال» بمواقفها القومية ، ودعوتها الى الحرية والوحدة كما اهتمت بالمرأة ولم تهمل وضع الفلاح ودعت الى تحرره من الاقطاع . وصدر عنها (٨٧) عدداً للفترة ما بين ٦ حزيران ١٩٥١ و ٨ تموز ١٩٥٤^(١١٦) .

وتعد الافتتاحيات التي كان يكتبها عبدالباسط يونس ، وتحتل (٣) أعمدة من الجريدة ، أكثر

اعلان الأحكام العرفية وانصراف الطلاب الى دروسهم وامتحاناتهم ، أستدعي عبدالباسط يونس أمام مجلس المدرسين ، وصدر قرار بفصله من المدرسة وحرمانه من المشاركة في الامتحان النهائي . ثم ابعد الى بغداد ، ووضع تحت المراقبة لمدة تتجاوز السنة ، سمح له بعدها بالعودة الى الموصل^(١١٧) .

بدأت فكرة التوجه نحو العمل الصحفي عند عبدالباسط يونس ، سنة ١٩٥٠ . وكانت تجربته مع جريدة «الفجر» الأدبية التي صدرت في الموصل في ٧ كانون الثاني ١٩٥٠ . وما جاء في ترويسها انها : جريدة ادبية علمية اسبوعية



جريدة الفجر

الافتتاحيات في تاريخ الصحافة العراقية جراً وصدقاً . ويتضح ذلك من خلال عناوينها . فثمة عناوين كثيرة منها : «شعب يحترق» ، «رئيس الوزراء ينتحر سياسياً» ، «بيضة الوزارة متى

صاحبها سليم نعمان العطار ومديرها المسؤول المحامي شاكرا العناز . وقد تولى عبدالباسط يونس مسؤولية الاشراف على تحريرها^(١١٨) . وفي عددها (٣٩) كتب مقالاً بعنوان «أدباء للبيع»^(١١٩) أثار في حينه

الافتتاحيات	العدد
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١

المثال
صحيفة سياسية يومية

الافتتاحيات	العدد
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١
في دار الفجر	١٩٥١

جريدة المثال

تضعها» ، «الى رئيس الوزراء إني اتهمك» ، «وزارة الفشل» و«الى الوزراء انتم في واد والشعب في واد»^(١٢٠) . وكان من الطبيعي ان تعرض الجريدة الى التعتيل ، عدة مرات . فعلى سبيل المثال وجهت وزارة الداخلية انذارها الى جريدة المثال للمرة الثالثة ، لنشرها مقالاً افتتاحياً بعنوان : «بيضة الوزارة» . متى تضعها» وذلك في عددها الصادر في ٤ شباط ١٩٥٤ . وعطلت لمدة شهر لنشرها مقالاً بعنوان «الأمن ذلك المظلوم» في عددها الصادر في

جداً كبيراً في اوساط الأدباء والمثقفين الموصليين . وفي هذا المقال هاجم عبدالباسط يونس «أدباء الأدب» الذين أفسدوا آذواق قرائهم . وقد امتازت جريدة الفجر ، بتأكيدها على اهمية «بعث حركة ثقافية تليق بمكانة الموصل» . وكان من ابرز من ساهم فيها : اكرم فاضل وحسين علي ومحمد عزة العبيدي وعبد الوهاب البياتي ، وشاذل طاقة ، وفاضل الطائي ، وذوانون الشهاب وفخري الدباغ ، وعمود مفتي الشافعية وعبدالرزاق عبدالواحد^(١٢١) .

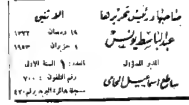
الشاعر ابا القاسم الشابي، واحمد الصافي النجفي
ومعروف الرصافي وغيرهم. وفي الأدب العالمي
كُتبت عن شكسبير وهيجو وشوبنهاور. كما تولى
الترجمة فيها عدد من الشباب انذاك امثال اكرم
فاضل وعبدالواحد لؤلؤة وعبدالرزاق الشماخ. وكان
من ابرز أبوابها باب «رواد ادب الحياة» وبحرته عدد

١٤ آذار ١٩٥٤ وكان تعليقاً على محاولة إعتداء
تعرض لها عبدالباسط يونس في ٢٢ شباط ١٩٥٤
من عناصر الشرطة السرية، وهو في طريقه الى
مكتبه في شارع النجفي^(١١٨) وعمل عبدالباسط
يونس، بعد تعطيل جريدة «المثال» رئيساً لتحرير
جريدة «وحي القلم» في ١١ حزيران ١٩٥٤ والتي

جريدة (العاصفة)



العاصفة



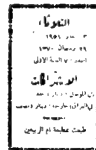
من مثقفي الموصل امثال شاذل طاقة وغانم الدباغ
وهاشم الطعان، ومحمود المحروق^(١٢٠).

وفي الأول من حزيران ١٩٥٣ اصدر
عبدالباسط يونس، جريدة العاصفة، وكانت
جريدة يومية ثقافية عامة، والغني امتيازها في ١٧
كانون الأول ١٩٥٤^(١٢١). ولم تكن جريدة
«العاصفة» أقل قوة واندفاعاً من جريدة
«المثال»^(١٢٢). وفي «العاصفة» بشر عبدالباسط
يونس بالثورة على النظام الملكي، من خلال
الافتتاحيات التي كان يكتبها، ففي عددها الصادر
في ٧ أيلول ١٩٥٣ كتب مقالاً بعنوان «لمن هذه
الدماء» جاء فيه: «الثورة قائمة في كل بقعة من
المعمورة على الاستعمار... والشعوب التي رضخت
للقيد والاذلال قروناً واعواناً سلكت طريق
الثورة»^(١٢٣). ومع انها تعرضت للتعطيل، ونالت
مانات من قبلها «الفجر» و«المثال» لكنها أسهمت
في تأجيج الروح الوطنية وتحريك الرأي العام
الموصلي ضد السلطة^(١٢٤).

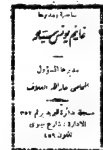
وقبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بقليل، أسهم في
اصدار جريدة «الواقع» التي كانت تطبع في
مطبعته الخاصة المعروفة بأسم «مطبعة الهدف». كما
اشرف على تحرير جريدة «وحي القلم» وكان يحمرها

صدرت تعويضاً لمشتركي جريدة المثال. وهذا
التصميم على مزاوله العمل الصحفي، برغم
التعطيل، يُعطي صورة واضحة على حيوية الرواد
الأوائل للصحافة الموصلية واصرارهم على اثبات
وجودهم ونشر رسالتهم في مجال التوعية وتنبيه
الأذهان^(١١٩).

وعندما صدرت في الموصل جريدة «الرأية»
الأدبية في ١١ نيسان ١٩٥١، وكان صاحبها غانم
>مسيلة، تولى عبدالباسط يونس الاشراف على تحريرها.
وقد أصبحت «الرأية» شقيقة «المثال» يحمرها قلم واحد
باسلووين، فالرأية ادبية والمثال سياسية والقلم واحد



الرأية



جريدة الرأية

يحمله عبدالباسط يونس يصدر كل اسبوع جريدتين
كل واحدة لها يوم معين. ومن عناوين المقالات التي
كتبها في الرأية «الافلاس الأدبي»، «الأخلاق
المريضة»، «الصحافة المارقة».. وقد اتسعت
صفحات الرأية لتضم مقالات العديد من كتاب
الموصل ومتقفيها انذاك. وقد تولت الرأية نشر
الدراسات الأدبية، ففي مجال الأدب العربي قدمت



العدد ١٢٠
الطبعة الأولى
الطبعة الثانية
الطبعة الثالثة
الطبعة الرابعة
الطبعة الخامسة
الطبعة السادسة
الطبعة السابعة
الطبعة الثامنة
الطبعة التاسعة
الطبعة العاشرة
الطبعة الحادية عشرة
الطبعة الثانية عشرة
الطبعة الثالثة عشرة
الطبعة الرابعة عشرة
الطبعة الخامسة عشرة
الطبعة السادسة عشرة
الطبعة السابعة عشرة
الطبعة الثامنة عشرة
الطبعة التاسعة عشرة
الطبعة العشرون

العدد ١٢٠
الطبعة الأولى
الطبعة الثانية
الطبعة الثالثة
الطبعة الرابعة
الطبعة الخامسة
الطبعة السادسة
الطبعة السابعة
الطبعة الثامنة
الطبعة التاسعة
الطبعة العاشرة
الطبعة الحادية عشرة
الطبعة الثانية عشرة
الطبعة الثالثة عشرة
الطبعة الرابعة عشرة
الطبعة الخامسة عشرة
الطبعة السادسة عشرة
الطبعة السابعة عشرة
الطبعة الثامنة عشرة
الطبعة التاسعة عشرة
الطبعة العشرون

رئيس التحرير: د. عبد الباقى بركات

الحلية، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل كان يصحح الأخطاء المطبعية ويقوم بتغليف نسخ المشتركين وكتابة الأسماء والعناوين عليها^(١٢٧). وما ساعده على ذلك امتلاكه مطبعة ومكتبة زاخرة بالمهمات الكتب والمصادر ولعلاقته الواسعة بالصحفيين والكتاب العراقيين والعرب. وكان يضيق بالقيود ويحاول باستمرار «إطلاق قلمه». ومع انه كان ينتقل في أجواء الأدب والثقافة، لكنه لم يفارق السياسة. وكان يؤمن بأن «القلم الحر لا يمكن ان

من الفها الى يانها ويكتب افتتاحيتها ولم تستمر الجريدة بالصدور، فبعد ستة اعداد عطلت كذلك^(١٢٨).

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، أعاد اصدار جريدته «المال»، ولكنه اعتقل اثر فشل ثورة الموصل سنة ١٩٥٩ واخرج عنه لينصرف الى إصدار جريدته «الهدف» في ٢٧ أيار ١٩٦٣ لتبدأ في حياته الصحفية، حقبة جديدة إنسمت باسماته في مجال تطوير الصحافة الموصلية^(١٢٩).

العلوم في خدمة الانسان

يبنى قنادي اصطدام الافكار الصناعية في الفضاء الكوني

تتحدث عن العلوم في مختلف جوانبها... (المقالة الأولى في سلسلة من المقالات...)

العدد ١٢٠

الهدف

جريدة أسبوعية

العدد ١٢٠

نظرات ندى

العدد ١٢٠

العدد ١٢٠

جريدة الهدف

يسقط من يد كاتب تتسم كتاباته بالصدق والجراءة والصراحة والواقعية. ويرى بأن الصحفي يحتاج الى «نفس جياشة» و«قلب صاحب». «فالقلم لا عهد له بالسكوت اذا مادعاه الواجب»^(١٢٨).

لقد اتسمت كتابات عبد الباقى بركات الصحفية بقوة الاسلوب والصدق والجراءة والصراحة. فقلمه كان ناصعاً ايضاً، لم تلونه ذنابة ولم يئسسه سوء. كما انه معروف بدأبه وحيويته. فكان يتولى كتابة الافتتاحيات والتعليقات والأخبار

الهوامش

- (٤) روائيل بطي، الصحافة في العراق، (القاهرة، ١٩٥٥)، ص ٤٩.
- (٥) وائل علي أحمد النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب جامعة الموصل ١٩٨٨، ص ص ٣٣-٤٠.
- (٦) انظر: سنان سعيد ومطالبة في الجريدة العراقية الثانية الموصل بعد ١٠٠ عام على صدورها، جريدة الجمهورية ٢٦ حزيران ١٩٨٥.
- (٧) انظر على سبيل المثال جريدة الموصل ١٤ كانون الثاني ١٩٢١.
- (٨) جريدة الموصل ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٠.
- (٩) جريدة الموصل ١٢ كانون الثاني ١٩٢١.

- (١) للتفاصيل انظر: زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، (بغداد، ١٩٥٣)، ص ص ١٠-١٢ وكذلك ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، (الموصل، ١٩٨٩)، ص ص ٩-١٥.
- (٢) انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها ١٨٨٥-١٩٨٥، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ١٣.
- (٣) انظر على سبيل المثال العدد الاول الذي صدر في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ واقتصر على نشر وقائع اجتماع عقده الجزار (فاناشي) القائد العام للقوات البريطانية في الموصل في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ وحضره الاشراف ورجوه الموصل والموظفون المعمرين فيها.

- (١٠) انظر: جريدة الموصل، ١٧ كانون الثاني ١٩٢١.
- (١١) جريدة الموصل ٣ كانون الثاني ١٩٢١.
- (١٢) جريدة الموصل ٢١ شباط ١٩٢٤.
- (١٣) للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل ١٩٨٢)، ص ص ٦٦-٦٧.
- (١٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٦٤.
- (١٥) انظر: جريدة الموصل ٥ كانون الاول ١٩٢١.
- (١٦) انظر: ذنون بونس حسين الطائي، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الاداب- جامعة الموصل ١٩٩٠ ص ص ١٨٠، ٢٥٧-٢٦٢.
- (١٧) انظر: الطائي، المصدر السابق، ص ص ١٧٩-١٨٠.
- (١٨) انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل ص ص ٧٦-٨٤.
- (١٩) انظر: ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢، رسالة ماجستير قدمت لكلية الاداب/ جامعة بغداد سنة ١٩٧٥، وهي غير منشورة، ص ٣٣١.
- (٢٠) انظر على سبيل المثال مجلة النادي العلمي السنة (١)، العدد (١)، ١٥ كانون الثاني ١٩١٩، السنة (١)، العدد (٢)، ٣٠ كانون الثاني، السنة (١)، العدد (٥)، ١٥ آذار ١٩١٩، السنة (١)، العدد (٣) ١٥ شباط ١٩١٩.
- (٢١) النحاس، المصدر السابق، ص ص ٤٩-٥٠.
- (٢٢) انظر احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٨٩.
- (٢٣) جريدة الجزيرة ٢٤ آذار ١٩٢٤.
- (٢٤) جريدة الجزيرة ١ نيسان ١٩٢٢.
- (٢٥) المصدر نفسه.
- (٢٦) المصدر نفسه.
- (٢٧) المصدر نفسه.
- (٢٨) جريدة الجزيرة ٢٨ آذار ١٩٢٢.
- (٢٩) جريدة الجزيرة ٢٢ شباط ١٩٢٣ وكذلك: النحاس، المصدر السابق، ص ٥٥.
- (٣٠) جريدة الجزيرة ٢٢ شباط ١٩٢٣.
- (٣١) النحاس، المصدر السابق، ص ٥٩.
- (٣٢) المصدر والصفحة نفسها.
- (٣٣) جريدة العهد ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥.
- (٣٤) المصدر نفسه.
- (٣٥) انظر: احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٩٥.
- (٣٦) انظر النحاس، المصدر السابق، ص ٦٠.
- (٣٧) للتفاصيل انظر: نوري أحمد عبد القادر، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠-١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الاداب/ جامعة الموصل ١٩٨٨ ص ص ١٣٣-١٣٥.
- (٣٨) جريدة العهد ٢١ كانون الثاني ١٩٢٥، ٣ شباط ١٩٢٥.
- (٣٩) للتفاصيل انظر: فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٢٢، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ص
- ١٤٢-١٤١.
- (٤٠) النحاس، المصدر السابق، ص ٦٣.
- (٤١) جريدة العهد، ٥ شباط ١٩٢٥.
- (٤٢) احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٢١٦.
- (٤٣) النحاس، المصدر السابق، ص ٦٣.
- (٤٤) جريدة العهد ١٧ شباط ١٩٢٥.
- (٤٥) جريدة العهد ٣١ مابيس ١٩٢٥.
- (٤٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٦٥.
- (٤٧) جريدة العهد ١٩ آذار ١٩٢٥.
- (٤٨) النحاس، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (٤٩) جريدة العهد ٢٣ آذار ١٩٢٥.
- (٥٠) انظر: ابراهيم خليل احمد، الصحافة العراقية ١٩١٤-١٩٥٨، في تحية من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١٣ (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٢٣٦.
- (٥١) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٢٢٧.
- (٥٢) للتفاصيل انظر: فاضل حسين، مشكلة الموصل، دراسة في الدبلوماسية العراقية- الانكليزية- التركية في الرأي العام، ط ٢، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ٢٢٧ وكذلك جريدة العهد ١٩ آذار ١٩٢٥، ٢٢ نيسان ١٩٢٥.
- (٥٣) انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها ١٨٨٥-١٩٨٥، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ١٦.
- (٥٤) جريدة صدى الجمهور ٢ تشرين الاول ١٩٢٨.
- (٥٥) المصدر نفسه.
- (٥٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٧١.
- (٥٧) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ١٩.
- (٥٨) جريدة فتي العراق، ١٥ آذار ١٩٣٠.
- (٥٩) انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ص ٧٢، ٧٨.
- (٦٠) انظر: جريدة فتي العراق، ٢٠، آذار ١٩٣٠، ٢٢ آذار ١٩٣٠، ٥ نيسان ١٩٣٠.
- (٦١) النحاس، المصدر السابق، ص ٧٣.
- (٦٢) المصدر نفسه، ص ص ٧٣-٧٥.
- (٦٣) جريدة فتي العراق ٤ شباط ١٩٣٦.
- (٦٤) للتفاصيل انظر: عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ١٦٠-١٦٤.
- (٦٥) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ١٧.
- (٦٦) انظر على سبيل المثال الاعداد ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٩، ١١، من السنة الاولى (١٩٢٨) من مجلة النجم وكذلك العدد (٥) من السنة (١١) (١٩٥١) والعدد (١) من السنة (١٢)، ١٩٥١.
- (٦٧) النحاس، المصدر السابق، ص ٨٧.
- (٦٨) المصدر نفسه، ص ٨٩.
- (٦٩) انظر: جريدة البلاغ، ٤ تشرين الثاني ١٩٣٢، ٩ كانون الاول ١٩٣٢.
- (٧٠) للتفاصيل انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ص ٨٨-٨٩.
- (٧١) للتفاصيل عن نادي الجزيرة ودوره في الحركة العربية القومية

- انظر: عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٤١ - ١٥٨.
- (٧٢) انظر: احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢٠.
- (٧٣) مجلة المجله، السنة (١)، العدد (١)، ١ تشرين الثاني ١٩٣٩.
- (٧٤) النحاس، المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (٧٥) انظر على سبيل المثال، مجلة المجله السنة (١)، العدد (١٧)، ١٨، ١٦ حزيران ١٩٣٩، السنة (١)، العدد ٢٣، ٢٤، ١ أيلول ١٩٣٩، السنة (٢)، العدد (٦)، ٣١ كانون الثاني، العدد (٧)، العدد (٨)، ١١ آذار ١٩٤٠، السنة (١)، العدد (١٩)، ١ تموز ١٩٣٩.
- (٧٦) انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ١١٨ - ١١٩.
- (٧٧) انظر: ذوالنون ايوب، قصة حياته بقلمه، ج ٤، (فينا، ١٩٨٣)، ص ٥٠ وكذلك احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢١.
- (٧٨) جريدة الجمهورية ١٣ نيسان ١٩٨٥.
- (٧٩) للتفاصيل انظر: عبد الامير الكاظم، تاريخ حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٩ - ١٩٥٤، (بغداد، ١٩٨٦).
- (٨٠) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢٣.
- (٨١) انظر: جريدة النضال، ١٩ آذار ١٩٤٨.
- (٨٢) انظر: جريدة النضال، ١٩ نيسان ١٩٤٨، ٧ حزيران ١٩٤٨.
- (٨٣) النحاس، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٨٤) المصدر نفسه، ص ٩٦ - ١٠٠.
- (٨٥) المصدر نفسه، ص ٩٩ - ١٠٠.
- (٨٦) انظر جريدة المستقبل، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٨.
- (٨٧) النحاس، المصدر السابق، ص ١٠١ - ١٠٣.
- (٨٨) للتفاصيل عن هذا الفرع انظر: عبد الفتاح علي يحيى، الحياة الخيرية في الموصل ١٩٢٦ - ١٩٥٨، رسالة ماجستير قدمت لكلية الاداب - جامعة الموصل، ١٩٩٠ (غير منشورة)، ص ١٨٥ - ١٩٦.
- (٨٩) للتفاصيل انظر: حزب الجبهة الشعبية المتحدة، الميثاق والنظام الداخلي، (بغداد، ١٩٥١).
- (٩٠) جريدة الهدى، ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٢.
- (٩١) احمد، نشأة الصحافة في الموصل، ص ٢٦.
- (٩٢) جريدة الهدى ١٢ حزيران ١٩٥٢ ولتفاصيل الموضوع انظر: يحيى، المصدر السابق، ص ١٩٥.
- (٩٣) النحاس، المصدر السابق، ص ١١٣.
- (٩٤) يحيى، المصدر السابق، ص ٢٠١.
- (٩٥) انظر: جريدة النضال، ٢٣ أيلول ١٩٥٠.
- (٩٦) النحاس، المصدر السابق، ص ١٢٩ - ١٣٠.
- (٩٧) جريدة المال ٥ أيلول ١٩٣١.
- (٩٨) النحاس، المصدر السابق، ص ١٣١.
- (٩٩) يحيى، المصدر السابق، ص ٨١.
- (١٠٠) انظر على سبيل المثال: جريدة المال ١١ تشرين الثاني

- ١٩٣١، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣١، ١٢ كانون الاول ١٩٣١.
- (١٠١) النحاس، المصدر السابق، ص ١٣٣.
- (١٠٢) المصدر والصفحة نفسها.
- (١٠٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨.
- (١٠٤) انظر: الانعام، ١ كانون الاول ١٩٤٥ وكذلك النحاس، المصدر السابق، ص ١٣٩.
- (١٠٥) النحاس، المصدر السابق، ص ١٤١.
- (١٠٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٣.
- (١٠٧) سليم راضي سلمان، عبد الباسط يونس ودوره في نهضة الصحافة الموصلية، بحث غير منشور قدم الى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٠، ص ١٢.
- (١٠٨) حرم الساطي، عبد الباسط يونس رجب: رائد من رواد صحافة الخمسينات، جريدة الجمهورية ١٩ آب ١٩٩١.
- (١٠٩) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٣.
- (١١٠) تضم مكتبته قراءة (٣٠) الف كتاب. انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ٢٣.
- (١١١) سلمان، المصدر السابق، ص ١٩ - ٢١.
- (١١٢) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢٥.
- (١١٣) جريدة الفجر، ٢٧ آب ١٩٥٠.
- (١١٤) النحاس، المصدر السابق، ص ١٢٦.
- (١١٥) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢٦.
- (١١٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (١١٧) انظر أعداد جريدة المثال، وخاصة الاعداد الصادرة في ٣ تشرين الاول، ٧ تشرين الثاني، ٢٧ تشرين الثاني، ١٩٥٢ وكذلك النحاس، المصدر السابق، ص ٨١.
- (١١٨) النحاس، المصدر السابق، ص ٨٢، ١٨١.
- (١١٩) احمد، نشأة الصحافة في الموصل، ص ٢٧، النحاس، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (١٢٠) النحاس، المصدر السابق، ص ١٢٧، سلمان، المصدر السابق، ص ٣٩.
- (١٢١) احمد، نشأة الصحافة في الموصل، ص ٢٦.
- (١٢٢) سلمان، المصدر السابق، ص ٢٧.
- (١٢٣) جريدة العاصفة، ١ حزيران ١٩٥٣.
- (١٢٤) الساطي، المصدر السابق.
- (١٢٥) المصدر نفسه.
- (١٢٦) اصدر عبد الباسط يونس جريدة الهدف، بعد ان منع امتيازها في ٢٧ ايار ١٩٦٣ وهي جريدة اسبوعية غير سياسية، ثم اصبحت يومية وقد استمرت في الصدور حتى سنة ١٩٦٩ حين صدر القانون الجديد للمطبوعات وبترفعها، تفرغ عبد الباسط يونس الى ادارة مطبعته (الهدف) ومكتبته (المكتبة).
- (١٢٧) الساطي، المصدر السابق.
- (١٢٨) انظر مقالته الافتتاحية التي نشرها بعنوان: «في العراق شعب جريح» في جريدة المال ٦ حزيران ١٩٥٠ وكذلك تقديمه للعدد الاول من جريدة العاصفة. ١ حزيران ١٩٥٣.

التأريخ والمؤرخون الموصليون المعاصرون

د. ابراهيم خليل احمد

مقدمة :

صدر عدددها الاول في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٠ ، على توجيهه الانظار الى التاريخ العربي ، ودعت الشباب الى قراءته والنظر فيه نظرة تدقيق وامعان . ولم يقتصر الأمر على الصحف الموصلية ، بل كان للصحف البغدادية والمصرية والشامية واطلاع المثقفين الموصليين عليها أثر في زيادة الاتصال الثقافي ، وتعميق الوعي باهمية التاريخ عاملاً من عوامل النهضة القومية ^(١) .

وخلال القرن التاسع عشر غدت الموصل مركز استقطاب مهم لعلماء الآثار والرحالة الاوربيين وللمبشرين وللقناصل والدبلوماسيين ، وذلك لاهميتها الجغرافية والاقتصادية وكان من نتائج هذا الاهتمام تطور الدراسات التاريخية وبرز علم جديد باسم « علم الآشوريات » . وقد كانت التواريخ والآثار الآشورية التي اكتشفت قرب مدينة الموصل ، موضوعاً لهذا العلم ^(٢) .

واستخدم المثقفون الموصليون المسرح أداة لنشر الوعي التاريخي ، وابقاظ الفكر وتبنيه الاذهان . وبعد سليمان صايغ الموصلي (١٨٨٦ - ١٩٦١) من ابرز كتاب المسرحية التاريخية في العراق واكثرهم إنتاجاً . وكان لمعرفته اللغتين الانكليزية والفرنسية واطلاعه على آدابها أثر كبير في توسيع مداركه ، وتزويده بخبرة مسرحية جيدة . ومن اوائل مسرحياته مسرحية « الزباء » التي مثلت سنة ١٩٣٣ على مسرح مدرسة شمعون الصفا في الموصل ^(٣) .

وبعد موافقة الحكومة العثمانية على بعض مطالب المؤتمر العربي الاول في باريس سنة ١٩١٣ ، ومنها ان يكون التدريس في المدارس الابتدائية باللغة العربية ، فضلاً عن اللغة التركية ، لجأ عدد من العاملين في الحركة القومية العربية في الموصل الى طبع مجموعة من الأناشيد العربية الحماسية التي تغنى بمجد العرب وتأريخهم الزاهر في

أسهمت الموصل منذ زمن مبكر في تطوير الكتابة التاريخية العربية ، وقدمت أنماطاً مختلفة من هذه الكتابات . كما جادت بعدد وفير من المؤرخين الذين لا يزالون يتمتعون بشهرة فائقة بين المؤرخين العرب . وحينما قامت النهضة العربية المعاصرة في القرن التاسع عشر ، وترددت أصداؤها في الموصل كان الاهتمام بالتاريخ واحداً من أبرز مظاهرها . وكان لتأسيس المدارس الحديثة في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، وادخال مادة (التاريخ) ضمن المناهج الدراسية لها أثر كبير في زيادة الاهتمام بالدراسات التاريخية . وقد ادى هذا التطور الى ان تولد حاجتان اساسيتان اولاهما : ضرورة وجود ملاك متخصص بتدريس هذه المادة . وثانيها ظهور الحاجة الى تأليف كتب منهجية تناسب مراحل الدراسة . وقد نص قانون اصلاح النظام التعليمي في الدولة العثمانية الصادر في اب ١٨٤٦ على أن يدرس (التاريخ العثماني) الى جانب (التاريخ الاسلامي) و (التاريخ العام) و (التاريخ الاوربي) ^(٤) .

كما أسهمت المدارس التبشيرية في الموصل ، فضلاً عن المدارس الرسمية ، في تدريس مادة التاريخ . وانصرف عدد من مدرسيها الى تأليف كتب منهجية . ويُعد اغناطيوس افرام رجائي (١٨٤٩ - ١٩٢٩) من اوائل الذين ألفوا الكتب المنهجية ، ومن كتبه : « التواريخ القديمة » ، و « تواريخ القرون الوسطى » و « تاريخ القرون الحديثة » ^(٥) .

وبعد الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ ، تبلور الوعي القومي العربي في الموصل ، وكان لذلك تأثير كبير في حركة الاهتمام بالتاريخ وشاركت الصحافة الموصلية بذلك منذ نشأتها ، فعلى سبيل المثال حرصت جريدة النجاح بعد

كتاب بعنوان «الأنشيد الموصلية للمدارس العربية». كما انصرف عدد من قادة الحركة الى التبرع بآلهااء دروس التاريخ العربي الاسلامي في بعض المدارس التي اتخذها القوميون مركزاً لنشاطهم السري ضد العثمانيين، ومن هؤلاء محمود الملاح، وهو من ابرز علماء ومثقي الموصل آنذاك^(٦).

ولقد شهدت دراسة التاريخ نمواً ملحوظاً بعد تشكيل الحكومة العراقية سنة ١٩٢٠ وفي عهد ادارة المفكر القومي ساطع الحصري (١٨٨٠ - ١٩٦٨) للتعليم الوطني في العراق والممتدة من سنة ١٩٢٢ حتى سنة ١٩٢٧، اصبح «التاريخ» في مقدمة الأمور التي تم التأكيد على أهمية التوصل بها لتقوية الشعور الوطني والقومي في نفوس ابناء العراق وتحفيزهم لمواجهة سلطات الانتداب البريطاني، وبث الايمان بوحدة الامة العربية بينهم^(٧). وكان من أبرز مايلحظ على منهج الحصري التعليمي اهتمامه بالتاريخ واللغة العربية. ومن هنا فقد كان لساطع الحصري تأثير كبير ليس على النظام التعليمي في العراق وحسب، وانما على الاتجاه القومي العربي في العراق كله^(٨).

عوامل تطور الكتابة التاريخية المعاصرة في الموصل :

حظيت الموصل بعد الحرب العالمية الاولى وائر تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ وتعاظم الحركة الوطنية بنخبة طيبة من المؤرخين الذين اتخذوا من التاريخ وسيلة من وسائل التوعية الوطنية والقومية. وفي الوقت نفسه اخذ هؤلاء المؤرخون على عاتقهم تحقيق التواصل مع المؤرخين الموصليين الذين سبقوهم وخاصة في مجال التأريخ لمدينتهم وحفظ اسمها عبر العصور، وابرار دورها الحضاري. وكان من نتائج هذا التوجه صدور كتابات تاريخية متنوعة والتطرق الى موضوعات دقيقة ومهمة لم نشهدها في المؤلفات التاريخية السابقة^(٩). وقد وقفت وراء هذه النهضة التاريخية عوامل عدة أبرزها :

١- وجود تنظيمات سياسية وثقافية، أهتمت بالتاريخ واحتضنت المؤرخين وشجعتهم على

تأليف الكتب ونشر الدراسات التاريخية، ومن هذه التنظيمات جمعية العلم، وجمعية العهد، والنادي العلمي، والنادي الادبي، ونادي الجزيرة^(١٠).

٢- صدور مجلات أدبية متعددة وخاصة خلال الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى ١٩٥٨، كان من ابرزها مجلة (المجلة) التي صدر عددها الاول في الاول من تشرين الاول ١٩٣٨. وقد وضعت هذه المجلة «التاريخ» في مقدمة اهتماماتها، حتى انها خصصت صفحات خاصة بعنوان: «صحيفة التاريخ» قدمت فيها دراسات تاريخية مختلفة، وأسهم في تحريرها عدد من مؤرخي الموصل امثال سعيد الديوبه جمي وعبد المنعم الغلامي^(١١).

٣- وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية، ومع تنامي الافكار الديمقراطية، وازدياد اهتمام الدولة بارسال بعثات دراسية الى الجامعات الالوية والامريكية للتخصص في مجال دراسة وتدریس التاريخ وتنامي دور بعض المعاهد والكلیات الجامعية العراقية، ومنها دار المعلمين العالية وكلية الآداب والعلوم بجامعة بغداد، ووصول طلائع المتخصصين بالتاريخ الى العراق بعد انجاز دراساتهم العليا في اوربا والولايات المتحدة الاميركية وتأسيس اقسام متخصصة بالتاريخ، تطور البحث العلمي التاريخي، وخاصة في مجال استخدام (التقنية) والسعي للحصول على الوثائق والمصادر الاساسية ودراستها وتحليلها وتقديم دراسات علمية تهتم بتدقيق الحادثة التاريخية وتفسيرها وعرضها دون الالتزام بنظرية معينة^(١٢).

٣- رواد الكتابة التاريخية المعاصرة في الموصل :

ظهرت في الموصل مجموعتان من المؤرخين المعاصرين، تمثلت المجموعة الاولى منها بالمؤرخين

من غير الاكاديميين من الذين اعتمدوا الكتابة التاريخية وسيلة من وسائل التثقيف والتوعية القومية دون التركيز كثيراً على المنهجية العلمية. أما المجموعة الثانية التي تمثلت بالمؤرخين الاكاديميين المتخصصين، فقد ركزت على تطبيق اسس البحث العلمي التاريخي وتقديم دراسات متخصصة مع مراعاة حقيقة ان فهم الماضي مهم لأدراك الحاضر، وان تكوين الوعي التاريخي ضروري اذا اردنا فهم مشاكلنا الحاضرة والتخطيط لمستقبل أفضل.

أ - مجموعة المؤرخين من غير الاكاديميين :

ارتبطت المجموعة الأولى التي تضم المؤرخين من غير الاكاديميين بالحركة الوطنية في العراق. وقد اهتم هؤلاء من خلال كتاباتهم التاريخية بأبرز ما تجاهله المؤرخون الغربيون، ولاسيما الانكليز الذين درسوا تاريخ العراق الحديث من منطلقات ومفاهيم استعمارية كان من ابرز اهدافها طمس تراث العرب، وغمط نضال العراقيين واغفال حيوياتهم وقدرتهم على البناء ومواجهة التحديات^(١٣). وقد تبنى هذا الاتجاه الوطني نوعاً من المنهج لا يكاد يخرج عن التركيز على حركة الاستقلال وابرار دور التنظيمات السياسية الوطنية والقومية ضد المحتلين، وتأكيد مبدأ الوحدة والتآلف الاجتماعي، والتعريف بتاريخ الموصل وتراثها وربط الأحداث بالشخصيات ومحاولة الوصول الى دلالات ومعان تفيد في بناء المجتمع وتسهم في شحذ الهمم وتنمية الثقافة ونشر الوعي الوطني والقومي.

ومع ان المؤرخين الذين مثلوا هذا الاتجاه من غير العاملين في الجامعات او المتخصصين بالتاريخ قدموا دراسات مهمة أغنت البحث التاريخي، الا انهم لم يلتزموا بما عرف فيما بعد بـ «المنهج التاريخي» العلمي وخاصة من حيث مسح المصادر الاساسية واستخدامها ومحاولة تحليل المادة العلمية وتفسيرها. لذلك اقتصر كتاباتهم على الجوانب السجلية للعملية التاريخية، وافتقدت السياق

الفكري الموحد. لكن هذا لا يمنعنا من القول بأن ماكتبه يمثل هذه الاتجاه لا يخلو من رؤية متميزة. هذا فضلاً عن ان الحقائق التي أوردها هؤلاء تشكل بحق مجموعة قيمة من المعطيات المتعلقة بجوانب واسعة من الموضوعات التاريخية التي دارت حول تاريخ الموصل، وتراثها ومؤسستها القضائية والادارية والبلدية والمعارية والتعليمية وكذلك تركيبها الاجتماعية ودورها في الحركة الوطنية العراقية، واسهاماتها في النشاط السياسي القومي العربي. اما ابرز رواد هذا الاتجاه فهم: محمد امين العمري وسليمان صايغ وعبد المنعم الغلامي وصديق الدموجي وداؤد الجليلي، واحمد علي الصوفي ومحمد صديق الجليلي وسعيد الديوبه جني وخيري امين العمري.

محمد أمين العمري (١٨٨٩ - ١٩٤٦) :

ولد محمد أمين العمري في الموصل في ٧ تشرين الاول ١٨٨٩، واكمل دراسته الاولى في الموصل، ودخل المدرسة العسكرية ببغداد، وتخرج من



محمد امين العمري

مدرسة المدفعية العالية في استانبول وعمل ضابطاً في الجيش العثماني. وبعد تشكيل الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ كان العمري من ابرز قادته. وبعد من مؤسسي كلية الازكان العراقية، وعمل معلماً فيها سنة ١٩٢٨. وفي سنة ١٩٣٥ عين معاوناً لرئيس اركان الجيش وانيطت به قيادة منطقة الموصل العسكرية سنة ١٩٣٧ وكان برتبة امير لواء.. وقد قاد العمري في الموصل خلال هذه السنة حركة مضادة للحكومة التي جاءت بعد

انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦، وكان له دور في اسقاطها. وفي سنة ١٩٤١ أصبح رئيساً لأركان الجيش وفي ١٧ حزيران ١٩٤٦ توفي اثر مرض عضال الم به ودفن في جامع العمريه بالموصل^(١٤).

أسهم محمد أمين العمري في الحركة الوطنية الموصلية في اعقاب الحرب العالمية الاولى، فبعد انتهاء الحرب، عاد العمري الى مسقط رأسه، وفي ايار ١٩١٩ انضم الى العاملين في جمعية العهد العراقي فرع الموصل واصبح احد اعضاء الهيئة الادارية للجمعية الى جانب محمد رؤوف الغلامي وضياء بونس وابراهيم عطار باشي ومصطفى ذهني الجليلي وسعيد ثابت وياسين العريبي وعبد الله باشعالم العمري. وقد قامت هذه الجمعية بدور كبير في النشاط السياسي والثقافي المعادي لسلطات الاحتلال البريطاني^(١٥).

الف العمري مجموعة من الكتب التاريخية العسكرية، ويعد كتابه «تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤ - ١٩١٨» من أبرزها. وهذا الكتاب، مكمل لكتاب «حرب العراق» الذي ألفه طه الهاشمي بجزئين يتناولان «الوقائع الحربية منذ اعلان النفير في اول آب ١٩١٤ حتى معركة ام الطويل في الاول من كانون الاول ١٩١٥». ويذكر العمري انه استأذن الهاشمي في اكمال الكتاب وملاحقة سلسلة الوقائع الحربية منذ سنة ١٩١٥ حتى ١٩١٨. وبما يجعل لكتابه هذا قيمة علمية أن مؤلفه كان ضابطاً في الجيش العثماني، هذا فضلاً عن قيامه بتدريس مادة «حرب العراق» في كلية الأركان العراقية خلال السنوات من ١٩٣٠ وحتى ١٩٣٢.. كما انه اعتمد وثائق رسمية عثمانية وبريطانية والمالية^(١٦).

وكان لنشاطه السياسي الوطني خلال فترة الاحتلال البريطاني أثر كبير في حصوله على وثائق مهمة، ساعدته في تأليف كتابه الموسوم «تاريخ مقدرات العراق السياسية» والذي نشره باسم اخيه محمد طاهر العمري ببغداد سنة ١٩٢٥. وقد اخبرني بذلك المرحوم الدكتور فاضل حسين^(١٧)

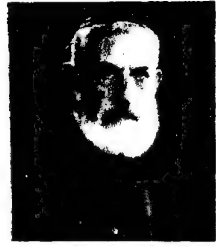
وقال ان السبب يرجع الى ان ظروفه بوصفه عسكرياً انثذ لم تكن تسمح باصدار كتاب ذي طابع سياسي^(١٨). ويقع هذا الكتاب في ثلاثة اجزاء. وقد اشار المؤلف الى أن الكتاب ماهو إلا «تاريخ سياسي يبحث عن تطور علاقات الدول اللاربية في العراق وعن سرالقضية العربية والثورة الحجازية والقضية العراقية، وعن ثورات العراق عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ مفصلاً ومستنداً الى وثائق رسمية وخصوصية».

وبما يؤخذ عليه انه مر بالثورة العراقية سنة ١٩٢٠ مر الكرام «في حين كتب تفصيلات كثيرة عن حوادث دير الزور وتلعفر وغيرها. وانه «في الوقت الذي نجاهه يطب في ذكر جهود جمعية العهد في سوريا والعراق، فانه يورد معلومات مقتضبة عن الثورة العراقية، يضاف الى ذلك ان العمري خصص اكثر من نصف كتابه الذي هو عن العراق، للبحث في شؤون البلاد العربية المجاورة»^(١٩).

ان تاريخ مقدرات العراق السياسية^(٢٠) يعد المصدر الاساس للنشاطات القومية العربية في الموصل خلال الاحتلال البريطاني وما اورده عن اوضاع الموصل السياسية والاقتصادية خلال الستين اللتين اعقبت الاحتلال البريطاني، بعد مادة أساسية لمن يتصدى لكتابة تاريخ الموصل المعاصر. ومع ان العمري اعتمد «التدقيق والتحليل واستنباط الخلاصات» كما يقول^(٢١) فان ماكتبه لم يكن يخلو من حساسة^(٢٢)، وبما يزيد في قيمة ماكتبه انه شاهد عيان له مشاركة فعلية في كثير من الاحداث. كما ان الوثائق التي استخدمها جعلت من الكتاب، مصدراً وثائقياً من الطراز الاول^(٢٣).

سليمان صايغ (١٨٨٦ - ١٩٦١) :

لم تشهد الموصل منذ ان فرغ المؤرخان العمريان محمد امين وياسين من كتابة مؤلفاتها في اواخر القرن التاسع عشر من اهتم بتدوين اخبارها حتى مطلع القرن العشرين، حين ظهر سليمان صايغ واصدر كتابه الشهير «تاريخ الموصل» في ثلاثة اجزاء^(٢٤)



سليمان صايغ

مصورة بهام حباة

لقد ترك سليمان صايغ مجموعة كبيرة من المقالات وخاصة في مجلة النجم^(٢٩)، ومن مقالاته: الفلسفة عند العرب، وتاريخ الطب في العراق، والبلاد العربية في مطلع القرن السابع عشر وتاريخ اكد وآشور.

إن سليمان صايغ يعد من اوائل المثقفين العرب الذين نهوا الى مخاطر الصهيونية. وقد ربط من خلال دراسة له نشرت سنة ١٩٣٣ بين مخاطر الصهيونية والشيوعية والماسونية على الفكر والوجود العربيين^(٣٠).

وسليمان صايغ يبرز من بين الكتاب الرواد للمسرحية التاريخية في العراق. وقد حاول تقديم التاريخ بأسلوب قصصي. لكنه ظل ملتزماً بتصوير الواقع، مما جعل مسرحياته تخرج من بين يديه وكأنها عرض تاريخي جاف^(٣١).

والسبب في ذلك يرجع الى انه اراد من وراء مسرحياته تحقيق امرين اهما الغرض الديني والحرص على نشر فكرة الإصلاح الاخلاقي والاجتماعي وثانيها جذب القارئ الى التاريخ وتقديم الحقائق اليه بأسلوب بسيط خال من التعقيد. وقد جاءت كتاباته شبيهة بكتابات الكاتب المصري جرجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤) وخاصة رواياته التاريخية التي استهدف من وراءها العمل على احياء وعي العرب لماضيهم^(٣٢). وقد بدا صايغ في اكثر اعماله، مؤرخاً يهتم بالحقائق من جهة، ويحرص على تأكيد مبدأ العبرة واستخلاص الدروس من الماضي من جهة اخرى^(٣٣).

وبين صايغ اسباب اهتمامه بتاريخ مدينته الموصل فيقول: «وعلى هذا نجد اليوم تواريخ مسطرة لكل مدينة، اشتهرت بآثارها، واخبار دولها ومشاهير رجالها. إلا اننا لسوء الحظ لم نجد للموصل الخضراء تاريخاً خاصاً بها يوقفنا على قديميتها، وينطوي على اخبارها... على الرغم من ان الاقدمين من فحول علماء الموصل عنوا بتدوين تاريخها واستيعاب الطارف والتالد من اخبارها^(٣٤).

ويضيف صايغ الى ذلك ان رغبته في خدمة

وسليمان صايغ رجل دين مسيحي ولد في الموصل سنة ١٨٨٦ وأتم دراسته اللاهوتية في مدارسها الدينية ثم اشتغل بالتعليم، وإدارة المدارس وصار عضواً في لجنة فحص المدارس الاجنبية، وترأس تحرير جريدة الموصل بعد معاودة صدورها عقب الاحتلال البريطاني. وعندما برزت مشكلة الموصل كان عضواً نشيطاً في جمعية الدفاع الوطني التي قامت بدور كبير في تأكيد عروبة الموصل ازاء مطالبة الأتراك بها^(٣٥).

أصدر سليمان صايغ مجلة (النجم) وهي مجلة شهرية دينية تاريخية اجتماعية وذلك سنة ١٩٢٨. وقد اهتمت المجلة منذ صدورها وحتى توقفها في اذار ١٩٥٥ بالدراسات الدينية والتاريخية^(٣٦).

ويرجع ذلك الى ان صايغ، كان يرى أن «التاريخ من العلوم الجليلة الفائدة، ومن الفنون الجزيلة العائدة لطبقات الهيئة الاجتماعية جمعاء، من علماء اعلام، وسوقة طغام»^(٣٧).

وقد اعتمد صايغ في تأليف كتابه: تاريخ الموصل، مصادر عديدة، بعضها منشور وبعضها مخطوط. كما وقف على كمية جيدة من الاوراق الخاصة بالمحفظة في بعض مكاتب الاسر الموصلية، كالأسرة الجليلة والأسرة العمرية^(٣٨) ويتناول الجزء الاول، التاريخ السياسي. اما الجزء الثاني فقد كرسه لدراسة الحركة الادبية والعلمية في الموصل وخصص الجزء الثالث لفنائس الآثار وتاريخ التفتيات.

ابناء وطنه «من العامة الذين لا يستطيعون مطالعة مجلدات ضخمة للوقوف على احوال الموصل» هي التي دفعته لكتابة تاريخ لام الربيعةين «قسمت التصنيف وأنا المفلس، وتعتيت أمراً ليس من شأني ولا أنا من رجاله رجاء نفع العامة ونيل رضا الخاصة.. وما قصدى من هذا العمل إلا إمحاض الخدمة لوطني». ويوضح منهجه من التأليف فيقول انه بعد مثابة متواصلة على المطالعة مدة سنة ونيف «توفقت بعونه تعالى الى وضع هذا الكتاب، وقد سعت جهدي في احكام الرصف ونقل الحقائق التاريخية المحصنة من مواردها ومآخذها معتمداً على اشهر المؤرخين الذين هم النبراس المهتدي والعمدة المنتدب اليهم كالطبري وابن الاثير وابن خلكان... وغيرهم من المؤرخين الحداث، وطينين وغرباء. هذا عدا ماتلقيته من اقوال مأثورة ونقلته من اوراق خطية قديمة» (٣٥).

عبد المنعم الغلامي ١٩٠٤ - ١٩٦٧ :

ينتمي عبد المنعم الغلامي الى اسرة السادة الغلامية التغلبية الموصلية. وهي اسرة معروفة بالعلم والادب، وقد برز فيها شعراء وادباء ومؤرخون منهم الشيخ محمد بن مصطفى الغلامي (ت ١٧٧٢)



عبد المنعم الغلامي

صاحب كتاب «شامة العنبر والزهر المعنبر» والذي يترجم لخمسين شاعراً واديباً من رجال القرن الثامن عشر، اربعين منهم من اهل الموصل (٣٦).

ولد عبد المنعم الغلامي في الموصل سنة ١٩٠٤ وقد اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة

والاعدادية فيها، ودخل دار المعلمين في الموصل خلال السنة الدراسية ١٩١٥ - ١٩١٦ وبعد تخرجه منها عمل في مهنة التعليم حتى تقاعده سنة ١٩٥٨ (٣٧). وكان لأسرته، وخاصة اخاه محمد رؤوف الغلامي اثر كبير في توجيهه نحو التاريخ والعمل السياسي القومي والوطني.. ذلك ان محمد رؤوف كان من ابرز المؤسسين لجمعية العلم السرية والعهد العراقي فرع الموصل وللتين قامتا بدور سياسي خلال الاحتلالين العثماني والبريطاني (٣٨). وقد اسهم عبد المنعم الغلامي مع اخيه في العمل السياسي والصحفي. وكان ينشر في الصحف الموصلية والبغدادية باسمه الصريح او بأسماء مستعارة المقالات التاريخية والسياسية في جريدة صدى الاحرار الموصلية كانت يكتب باسم «مؤرخ» وفي جريدة العراق البغدادية باسم «تغلي». اما في جريدة نصير الحق الموصلية فكان يكتب باسم «ابو وائل». توفي عبد المنعم الغلامي في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٦٧ (٣٩).

الف عبد المنعم الغلامي كثيراً من الكتب التي تتناول تاريخ الموصل المعاصر ومن اوائل كتبه: «السوانح في الاحداث الوطنية» الذي اصدره سنة ١٩٣٢، وهو مقالات موثقة عن الحركة العربية القومية في الموصل قبيل الحرب العالمية الاولى وبعدها. أما كتابه الثاني، فهو «اسرار الكفاح الوطني في الموصل» ١٩٠٨ - ١٩٢٥. وقد نشر جزءه الاول ببغداد سنة ١٩٥٨، وفيه يتناول تاريخ التنظيمات السياسية الموصلية السرية والعلنية منذ الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ حتى تسوية مشكلة الموصل.

وأخ الغلامي، لاحداث الانتفاضات التي اندلعت في شمال العراق خلال الستين ١٩١٩ و ١٩٢٠ ضد سلطات الاحتلال البريطاني. وقد ابرز في هذا الكتاب دور جمعية العهد العراقي فرع الموصل في تفجير ودعم هذه الانتفاضات (٤٠).

وللغلامي كتب أخرى منشورة تتناول موضوعات تاريخية واجتماعية، وتنطلق من رؤية

وهناك الجزء الثاني من كتابه «الانساب والأسر الموصلية»، وكذلك الجزء الثاني من كتابه «ثورتنا في شمال العراق» والذي يتضمن عرضاً للحركات الثورية التي اندلعت ضد المحتلين الانكليزي في تلعفر ودير الزور والجزيرة وجنوبي غربي الموصل.

كان عبد المنعم الغلامي في مقدمة الذين عملوا في النشاط السياسي في الموصل، لذلك انعكس توجهه الوطني والقومي في كتاباته، وبما ساعد على ذلك احتفاظه بوثائق ومنشورات وبيانات تتعلق بنشاط الاحزاب والجمعيات السياسية الموصلية، ومعظمها يعود الى اخيه محمد رؤوف الغلامي الذي تسلم مسؤولية بعض هذه الاحزاب والجمعيات^(١٣).

يقوم اسلوب عبد المنعم الغلامي في كتابة التاريخ على اساس ضبط الاحداث التاريخية، وتوثيقها واحكام الربط بينها وبين الاشخاص الذين لعبوا دوراً في صنع هذه الاحداث، لكنه كثيراً ما كان «يتجاوب مع الحوادث، ويتبادل مع عقول العاملين فيها بفكر عربي اسلامي»^(١٤) وبما يؤخذ على المؤرخ الغلامي، مبالغته في دور اسرته، وخاصة اخاه محمد رؤوف الغلامي في الحركة الوطنية في الموصل. كما انه كرر نشر الوثائق والاحاديث في اماكن متعددة، ولستين مختلفة. ويتضح هذا في معظم كتبه التي هي بالاصل مقالات سبق نشرها في الصحف والمجلات^(١٥) ومع هذا فان الامر يمكن تفسيره على اساس ان الغلامي عند نشره تلك الصفحات الطولية من تاريخ الحركة الوطنية في الموصل كان ينطلق من حقيقة وضع المعلومات امام الآخرين، وخاصة من الذين اسهموا في صنع بعضها، وحين تشر في الصحف والمجلات فانها تكسب الحكم القطعي، وعندئذ يصبح في حالة عدم الاعتراض على مضامينها حراً فيقوم بنشرها في كتاب مستقل مع ملاحظة تثبيت ماورد اليه من ايضاحات^(١٦).

لقد حرص الغلامي على تدوين التاريخ المحلي لبلدته: الموصل. وكان من ابرز ما أكد عليه قدرة

وطنية وقومية في سنة ١٩٣٩ اصدر كتاب «خروج العرب من الاندلس» وبعد ذلك بسنة اصدر كتابه «مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى». وفي ١٩٥٠ نشر كتابه «بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل» وفي ١٩٥٥ صدر كتابه «الضحايا الثلاث»^(١٧) الذي يروي احداث ثلاث قضايا شهدتها تاريخ العراق الحديث، وهي قضية الشيخ عبد السلام البارزاني وقضية الشيخ ضاري الزويجي وقضية الشيخ سعيد البرزنجي وكان لهذه القضايا الثلاث تأثيرات اجتماعية ايجابية وسلبية في التاريخ العراقي والموصلي الحديث وخاصة من حيث انعكاساتها على وحدة نضال العراقيين ضد المحتلين الاجانب.

وفي سنة ١٩٦٢ نشر الغلامي كتاباً بعنوان «جغرافية جزيرة العرب» وقد اشار في مقدمته الى الدافع الحقيقي وراء تأليفه هذا الكتاب وهو ان هناك «من يعرف جغرافية انكلترا أو فرنسا أو اميركا أو الاتحاد السوفيتي، اكثر بكثير مما يعرفونه عن الاقطار العربية» لذلك انتقد الغلامي مثل هؤلاء وقال انه اخذ على عاتقه وضع هذا الكتاب بين القراء كمحاولة منه للاسهام في التعريف باقطار الجزيرة العربية والخليج العربي^(١٨).

وللغلامي كعب غير منشورة منها كتاب «التأمر على وحدة العراق ما بين ١٩١٨ - ١٩٣٣» وكتاب «الموصل ابان الحرب العالمية الاولى وفي ايام الاحتلال البريطاني» وكتاب «معارف الموصل في زمن الاحتلال وما بعده» وكتاب «تغلب في التاريخ» وكتاب «صور واحاديث» وهو مجموعة خطب ومقالات في التاريخ والسياسة والاجتماع سبق له نشرها في الصحف والمجلات العراقية والعربية خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٥٨ وكتاب «تراجم معاصرة» وكتاب «الشيخ ضاري».

وفوق هذا فان الغلامي قد ترك اجزاءاً أخرى من كتب سبق له ان اصدرها، فهناك عدة اجزاء من كتابه «اسرار الكفاح الوطني في الموصل».

والمترسطة والاعدادية في مدارسها واتجه نحو الوظيفة بعد ذلك اذ عين بوظيفة كاتب ومحصل للضرائب ثم مديراً لنادية المزورية (اتروش) سنة ١٩٠٥ وبعد



صديق الملوحي

تشكيل الدولة العراقية عمل قائماً في بعض الأفضية ومنها تلغراف والقرنة وفي سنة ١٩٢٧ اصطدم بأحد المفتشين الاداريين الانكليز، حيناً كان قائماً على القرنة فزل من الوظيفة، وعاش حتى وفاته في ١٥ نيسان ١٩٥٨ بعيداً عنها متفرغاً لانجاز كتبه التاريخية^(٥١).

كان صديق الملوحي محباً للعلم والبحث، ويبدو أن لأسرته الدينية دوراً في توجهه هذا.. فنذ فترة مبكرة من حياته انكب على قراءة الكتب، وبدأ بتقريب نفسه، وخلال فترة قصيرة اتقن لغات عدة، منها الفارسية والكردية فضلاً عن اجادته اللغة التركية. وقد اتجه نحو الصحافة، فعمل محرراً دائماً في جريدة النجاة الموصلية التي صدر عددها الاول في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٠ باللغتين العربية والتركية وكانت لسان حال حزب الحرية والائتلاف المعارض للاتحاديين، وقد لاقى الملوحي الكثير من العنت والاضطهاد بسبب مقالاته المناوئة للاتحاديين، لذلك احيل الى الديوان العرفي العسكري في الموصل سنة ١٩١٤ وطرد من الوظيفة، فاضطر الى الاختفاء اثر ذلك ولم يعد الى الموصل الا بعد سقوطها بيد الانكليز سنة ١٩١٨^(٥٢).

هذه المدينة على مواجهة المحن والنكبات والمخاطر الشعبية التي تعرضت اليها وأخرها محنة الموصل ابان سيطرة الشيوعيين عليها اثرفضل ثورتها في آذار ١٩٥٩ ضد الدكتاتورية القاسية. ولذلك فان كتاباته التي تناول فيها اسرار الكفاح الوطني في الموصل اصطبغت بالصبغة الوطنية والقومية^(٥٣). وفي هذا الاطار نفسه تصدى الغلامي لكتابات المس بل، السكرتيرة الشرقية لدار المندوب السامي البريطاني، والتي ترجمها جعفر خياط في كتاب «فصول في تاريخ العراق القريب». وتمثل مقالات الغلامي ال (٢٠) التي نشرها تعقياً على الكتاب صورة واضحة للجهود العلمية التي دحض فيها الغلامي ادعاءات المس بل ومغالطاتها بشأن الحركة الوطنية وقادتها في العراق^(٥٤).

لقد كان الغلامي، فوق ذلك من المؤرخين العراقيين الرواد الذين عرفوا فضل «الوثيقة» واهتموا بجمعها والحرص على استخدامها والاحاطة بمضامينها. ومكتبة أسرته ببغداد لاتزال تحتفظ بمجموعة كبيرة من رسائل ومعلومات ووثائق سياسية يتعذر وجودها لدى اي كان، وجميعها تتجلى فيها النشاطات والاعمال والحركات الوطنية والقومية التي شهدها تاريخ العراق السياسي الحديث^(٥٥).

ولم تقتصر كتابات الغلامي على التاريخ المحلي، وانما نجده يهتم بالتاريخ العربي الاسلامي ويكتب عن حضارة العرب ودورهم في تكوين الحضارة الانسانية^(٥٦) كما ابرز الغلامي دور الرجال في صنع التاريخ، ومن هنا كان تأليفه كتابي: «الانساب والأسره»^(٥٧) و«تراجم معاصرة»^(٥٨). وتدل كتابات الغلامي ومقالاته التي انجزها خلال اربعين سنة من حياته الثقافية على مدى حيوية هذا المؤرخ وتأثيره في حياة مدينته السياسية والثقافية^(٥٩).

صديق الملوحي ١٨٨٠ - ١٩٥٨ :

ولد صديق سعيد عبدالرحمن الملوحي في الموصل سنة ١٨٨٠ وأكمل دراسته الابتدائية

حركة الاصلاحات التي شهدتها الدولة العثمانية منذ
اواخر القرن التاسع عشر^(٥٨).

وللدملوجي كتاب يتضمن خواطر ومقالات في
التاريخ والاجتماع والادب، ويمط فيه اللام عن
بعض الحقائق المتصلة بالاوزاع السياسية
والاقتصادية والاجتماعية السائدة في عصره^(٥٩).

ومنهج للدملوجي في كتابة التاريخ، يقترب
كثيراً من المنهج العلمي المعروف لدى المؤرخين،
فضلاً عن الحرص على الرجوع الى المصادر
الاصيلة، فإنه لا يتوانى وعن ان يتنقل من بلدة الى
اخرى، ومن قرية الى قرية ويجمع بهذا وذلك،
وإذا ما طرق سمعه خبراً او حادثة شد الرجال غير
مبالٍ بجميع العقبات التي تقف امامه، وكم من مرة
تعرض... للموت في سبيل تحقيق أمنيته هذه، وقد
توصل اليها، غير مكترث، ولا مبال بما لاقاه من
أتعاب، وما بذله من مال^(٦٠) وكتابه عن الزيدية
والأكرد خير دليل على ذلك. كما كان الدملوجي
يتقن المصادر والروايات التي يطلع عليها، ويحاول
مقابلتها واستقراءها للوصول الى الحقيقة ويقدم بعد
ذلك مادته للقراء بأسلوب لغوي سلس. وكان
يحرص على ان يضع بين يدي قرائه الاسباب التي
دعته الى تأليف كتبه ويردد باستمرار انه يروم من
خلال التأليف حل بعض المشكلات والمسائل
التاريخية والاجتماعية التي يعاني منها بلده، لذلك
اكتسبت مؤلفاته شهرة شعبية.. اذ تداولها
الشعراء، وفي الوقت نفسه، جلبت مؤلفاته له
الكثير من المشكلات، بسبب الموقف السلبي
الذي وقفته السلطات الحكومية من هذه
المؤلفات.. اذ ان معظم كتبه منع من التداول
وتعرض للمصادرة، وقد حدث هذا بالنسبة
لكتابه: الزيدية والأقماض^(٦١).

وكان الدملوجي، سواء في مقالاته التي نشرها
باسم الصريح أو بأسماء مستعارة من قبيل «مؤرخ
فاضل» و«الناشر المنى»، يبحث الشباب على التوجه

قضى الدملوجي جانباً من فترة اختفائه بين
اليزيديين وكانت له علاقات مع زعمائهم، وقد
ساعده ذلك على تأليف كتابه «اليزيدية» الذي
اصدره سنة ١٩٤٩. وقيمة هذا الكتاب تنبع من
الاسلوب الذي استخدمه في تأليفه، حيث انه لم
يقتصر على ما حصل عليه من مصادر ومعلومات
مدونة، وانما صرف مدة تتجاوز العشرين سنة
بينهم^(٦٢).

وفي سنة ١٩٥٢، اصدر الدملوجي كتابه
الثاني الذي يتعلق بتاريخ الاكراد، وحياتهم
السياسية والاجتماعية وقد اختار «امارة بهديتان
الكرديّة» في العبادية لتكون مدخلاً يدرس من
خلالها الاكراد وما يتعلق بهم من اخبار وحوادث.
وفي الكتاب معلومات قيمة عن تاريخ الموصل
الحديث، وعلاقة ولاية الموصل الجليليين بحكام
امارة بهديتان.

وفي الكتاب كذلك معلومات مهمة عن
«الضرائب» العثمانية وانواعها ووسائل جبايتها. ومنها
يبحث عن سوء الادارة العثمانية للعراق وسعي
الموظفين انذاك لنهب وسرقة اموال الناس^(٦٣).

ويبدو ان التزعة الحرة التي كان يتميز بها
الدملوجي قادته الى الإهتمام بمدحت باشا، والي
العثماني المستنير الذي تولى ولاية بغداد خلال الفترة
الواقعة بين سنتي ١٨٦٩ و١٨٧٢ وكانت له فيما بعد
مواقف مشهودة في مجال الدعوة الى الحكم
الدمستوري في الدولة العثمانية، وإجبار السلطان
عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) الى اصدار
الدمستور سنة ١٨٧٦. وفي سنة ١٩٥٢ اصدر
الدملوجي كتابه «مدحت باشا». ويبحث الكتاب
في تاريخ الدولة العثمانية، وحياتة مدحت باشا
وعلاقته بالسلطان عبد الحميد. وفي الكتاب كذلك
معلومات جمة عن وضع الاقليات القومية والدينية
في الدولة العثمانية.. وكتاب مدحت باشا، ليس
عرضاً لسيرة رجل مصلح، وانما دراسة موقفة عن

وقد انتخب الجلبي رئيساً للنادي الذي اسس ليكون مركزاً من مراكز النشاط القومي المعادي للبريطانيين^(٦٥).

وبعد اجراء الانتخابات لأول مجلس نيابي انتخب داؤد الجلبي نائباً عن الموصل في المجلس التأسيسي العراقي الذي اجتمع سنة ١٩٢٥ ليقرر الدستور. وبعد ذلك عاد الى طبابة الجيش وعين مديراً بالامور الطبية في الجيش العراقي في ١٧ تموز سنة ١٩٣٠ وفي ١٩٣٣ احيل على التقاعد. وتقديراً لخدماته عين عضواً في مجلس الاعيان (الشيوخ) سنة ١٩٣٧ لدورة واحدة امدها اربع سنوات. وخلال هذه الفترة ظل مداوماً على البحث والكتابة فضلاً عن ممارسته لمهته في عيادته الخاصة الواقعة في شارع نينوى قرب السرجخانة حتى وفاته يوم الاحد ٢٩ ايار ١٩٦٠^(٦٦).

يعد داؤد الجلبي من ابرز ممثلي التيار القومي العربي في الموصل والذي بدأ بالظهور منذ الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ وقد اسهم الجلبي في الجمعيات القومية التي برزت في الموصل، وخاصة جمعية العهد وكان من اعضائها النشيطين. وبعد تشكيل الدولة العراقية، وجد الجلبي ان بلده بحاجة الى نهضة شاملة، وان هذه النهضة لا يمكن ان تتحقق إلا بالعلم والقوة. لذلك اصبح من دعاة الاصلاح والتجديد وقد تجلّى ذلك من خلال المحاضرات التي كان يلقيها في بعض مدارس الموصل، وكان التاريخ فيها محوراً أساسياً، لانه كان يعتقد بان التاريخ وسيلة مهمة من وسائل النهضة وقد انكب على دراسة مصادر التاريخ، واولع بمعرفة اسباب نمو الحضارات وعوامل تدهورها^(٦٧).

ومن اجل بعث التراث العربي، واستخلاص مخزونه الثقافي ووضعه بين ايدي القراء قدم الجلبي دعوة لجمع الكتب الموقوفة في المدارس الدينية والمساجد والجمامع الموصلية وتسجيلها، لتكون اساساً لداركتب عامة منظمة ومنسقة على نمط دور الكتب في البلاد المتقدمة. كما اهتم بجمع

نحو طريق العلم والتحرر من القيم والتقاليد البالية، وكان حسه التقدي واضحاً، لذلك دخل في حوار ونقاشات حادة مع بعض معاصريه من الكتاب والمؤرخين أمثال سليمان صائغ ومصطفى جواد، حول بعض القضايا التاريخية والفكرية والاجتماعية.. وقد دلت تلك النشاطات على مقدرة هذا المؤرخ، وحيويته، وأكدت ريادته لفرع من فروع التاريخ، ذلك هو التأريخ للأقليات القومية والدينية التي سكنت العراق منذ عصور سحيقة^(٦٨).

داؤد الجلبي ١٨٧٩ - ١٩٦٠ :

ينتمي داؤد الجلبي الى أسرة اشتهت الطب في الموصل منذ فترة مبكرة من تاريخها الحديث^(٦٩). ولد في ١٦ كانون الاول سنة ١٨٧٩ ودخل كتاتيب الموصل ثم التحق بمدرسة الآباء الدومنيكان، ثم في المدرسة الاعدادية الملكية بالموصل وبعدها سافر الى استانبول سنة ١٨٩٩ ليدخل المدرسة الطبية العسكرية ويتخرج منها طبيباً عسكرياً سنة ١٩٠٩ وقد عاد بعدها الى الموصل ليعمل في احدى الوحدات العسكرية الطبية^(٧٠).

اهتم داؤد الجلبي بالتاريخ منذ وقت مبكر في حياته العلمية، وقد قاده الى ذلك اتجاهه القومي العربي وحفده على السياسة العثمانية التي يعزى اليها تأخر العرب. وقد تلقى الجلبي بنخبة من زملائه العسكريين الموصليين في منطقة الشعيبة سنة ١٩١٥، وابان المعارك التي دارت بين البريطانيين الغزاة والجيش العثماني. وكان في مقدمة هؤلاء مولود مخلص وقد كان الاثنان مندفعين نحو التيار القومي العربي ويسميان من اجل الاستقلال عن الدولة العثمانية. وقد وقع داؤد الجلبي في أسر البريطانيين ولم يطلق سراحه حتى سنة ١٩١٦، وخلال هذه السنة حاول الالتحاق بالثورة العربية في الحجاز، إلا انه لم يوفق فعاد الى الموصل بعد وقوعها تحت الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٨ ليعمل مع مثقفيها القوميين في تأسيس النادي العلمي سنة ١٩١٩

يدور في الموصل من احداث سياسية واجتماعية وثقافية اتركيب في تنمية ولعه بالتاريخ وتسجيله لجوانب مهمة من تاريخ العراق عامة وتاريخ الموصل الحديث خاصة (٧٠).

لقد ارجح الصوفي للآثار والمباني والمؤسسات والدوائر العدلية والبلدية في الموصل ، وبذلك ادرك ، قبل غيره من المؤرخين المعاصرين اهمية دراسة الجوانب الحضارية من العملية التاريخية ، وبراهاها على حساب الجوانب السياسية .. فاستحق بذلك صفة الريادة في هذا الميدان . واية نظرة الى تراثه التأليني المنشور وغير المنشور تكشف حقيقة توجهاته التاريخية . ويعد كتاب « الآثار والمباني العربية والاسلامية في الموصل » من بواكير انتاجه اذ نشر في الموصل سنة ١٩٤٠ . وبعد ذلك بتسع سنين نشر كتابه « المحاكم والنظم الادارية في الموصل » . وفي سنة ١٩٥١ نشر « خريطة مدينة الموصل في عهد الاتابكيين » . ثم وضع دليلاً لخارطته في سنة ١٩٥٣ وذلك في كتابه « خطط الموصل » . وقد ألف الصوفي كتاباً نشرته بلدية الموصل سنة ١٩٧٠ بعنوان « تاريخ بلدية مدينة الموصل » .

وللصوفي مؤلفات غير منشورة منها كتابه « تاريخ وعبر » وكتابه « الموصل في أواخر العهد العثماني واولائل الاحتلال الانكليزي » وقد وجدته عنده سنة ١٩٧٣ مطبوعاً على الآلة الكاتبة وفيه يكشف جوانب خفية من تاريخ الموصل الحديث . كما ان له كتاباً مخطوطاً آخر عنوانه : « لمحات من تاريخ القومية العربية » .

كان الصوفي ملماً بتاريخ الموصل ، حريصاً على ابراز دورها الحضاري عبر العصور (٧١) . لذلك استأثرت كتاباته ولا تزال باهتمام الباحثين والقراء عموماً . لما تنطوي عليه من جهد وملاحظة للحقائق واماطة اللثام عن كثير من « المبهات والمبتسات » المتعلقة بتاريخ الموصل . فكتابه خطط الموصل ، ماهو إلا تاريخ شامل ورسين لمدينة الموصل اما كتابه « المحاكم والنظم الادارية في

المخطوطات ودعا الى الاعناء بها . وكان اول من عرف بمخطوطات الموصل ووثقها في كتابه القيم « مخطوطات الموصل » (٧٢) .

وكان لاجادة داؤد الجليبي لبعض اللغات الاجنبية كالفرنسية والالمانية التركيب في زيادة تأثيره الثقافي في حياة مدينته : الموصل . وقد دعا الى رفد مكتبة الموصل المركزية العامة ، بما انجزه الفكر الانساني من كتب تتعلق بآثار العرب وحضارتهم وباللغات الاوربية المختلفة حتى انه اقتنى مكتبة كبيرة احتوت على مئات الكتب ، وكانت فيما بعد نواة لمكتبة خاصة به ، وهي مكتبة داؤد الجليبي التي ألحقت فيها بعد بمكتبة الاوقاف في الموصل .

أحمد علي الصوفي ١٨٩٧ - ١٩٨٢ :

ولد أحمد علي سليمان الصوفي في الموصل سنة ١٨٩٧ وقد تلقى علومه الدينية في جامع الرابعة ، ثم اتجه نحو المدارس الرسمية فخرج من المدرسة الاعدادية . وفي سنة ١٩٢٠ اتجه الى التعليم بتوجيه من قادة الحركة الوطنية في الموصل ، وذلك في اطار حملة واسعة لبث الروح الوطنية والقومية بين النشء



أحمد علي الصوفي

الجديد وترسيخ المفاهيم المعادية للاستعمار البريطاني . وقد عمل الصوفي مدرساً للتاريخ والجغرافية ثم معاوناً لمدير متوسطة المثنى حتى سنة ١٩٥٦ حين احيل على التقاعد (٧٣) .

وخلال فترة قصيرة امتدت بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٧ عمل الصوفي في مفتشية الآثار القديمة ، لك سرعان ما عاد الى التدريس . وكان لتدريسه التاريخ ، وعمله في الآثار ، ولعرفته الوثيقة بما كان



عبد صديق الجليلي

عاد الجليلي الى الموصل ، وأثر عدم الدخول في الوظيفة الحكومية ، متجها الى ادارة املاك أسرته والانصراف الى النشاط الاجتماعي والثقافي لذلك اختير في سنة ١٩٣١ عضواً في المجلس البلدي في الموصل . وحينما تأسست جمعية التراث العربي في الموصل سنة ١٩٧٣ انتخب رئيساً لها حتى سنة ١٩٧٧ . وكان فضلاً عن ذلك عضواً في اتحاد الكتاب والمؤلفين العراقيين . وقد شارك الجليلي في مؤتمرات علمية كثيرة داخل العراق وخارجه وكان يرتبط بصلات علمية مع مستشرقين وكتاب عرب واجانب (٧٥) .

انصرف الجليلي الى البحث والتأليف والتحقيق . وقد حرص في كل عمل قام به على ابراز شخصية الموصل الحضارية ودورها الفاعل عبر التاريخ ويتضح هذا من خلال نشر وتحقيق كثير من الكتب منها :

- ١- الحجة على من زاد على ابن حجة تأليف الحاج عثمان الحياثي الجليلي ، وهو كتاب في علم البديع ، حققه ونشره في الموصل سنة ١٩٣٧ .
- ٢- غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر ، لياسين العمري ، وقد عنى بطبعه ونشره في الموصل سنة ١٩٤٠ وهو كتاب في التاريخ .
- ٣- الف كتاب والمقامات الموسيقية في الموصل طبع سنة ١٩٤١ .

الموصل : فيعد محاولة لدراسة اصول القضاء المدني والشرعي في الموصل خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٥٣٤ و ١٩١٨ . وفي كتابه « تاريخ بلدية الموصل » الذي ألفه لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس البلدية في الموصل ، تتبع الصوفي نشوء فكرة البلدية منذ ظهور الاسلام وحتى سنة ١٩٥٨ . ويبدو انه أراد الابعاء بان البلدية ، ليست كما يقال من انها مؤسسة ادخلتها الدولة العثمانية الى ولاياتها مقتنية بذلك بالأنظمة الاوربية ، وانما هي مؤسسة عربية اسلامية ترتبط بنظام الحسبة المعروف . وتضمن الكتاب معلومات مهمة حول تأسيس بلدية الموصل سنة ١٨٦٩ ولجنها وتشكيلاتها . كما احتوى الكتاب على جرد مفصل برؤساء بلدية الموصل وما انجزوه من آثار اجتماعية وعمرانية .

وللصوفي مؤلفات اخرى ذات شهرة تاريخية كبيرة منها كتابه : « ارض السواد » وحكايات الموصل الشعبية ، وتأتي اهمية الكتاب الاول في انه اراد التدليل على عظم الحضارة العراقية وقدرتها على مواجهة النكبات والكوارث والتحديات (٧٢) . اما كتابه الثاني فقد جمع فيه (٢١) حكاية شعبية من الحكايات المتداولة في زمنه ، وقد راعى فيها ابعادها التربوية والاخلاقية وكذلك معالجتها لمشاكل الحياة المختلفة (٧٣) .

حقاً ، ان الصوفي من المؤرخين الذين استخدموا التاريخ ، وحرصوا على استلهم رموزه واحداثه بهدف تربوي واضح ، ودون الاخلال بشروط ومواصفات الكتابة التاريخية الرصينة .

محمد صديق الجليلي ١٩٠٣ - ١٩٨٠ :

ولد محمد صديق في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٠٣ وتخرج من المدرسة الثانوية سنة ١٩٢٢ والتحق بدائرة البحث والتنقيب في كلية بيلس بمدينة كنساس بالولايات المتحدة وهناك اكمل دراسته الجامعية ، وحصل على البكالوريوس والمجستير في العلوم ، ثم منحه الجامعة درجة دكتوراه فلسفة (٧٤) .

- ٤- الف كتاب ب « التراث الموسيقي في الموصل »
وطبع سنة ١٩٤١ .
- ٥- الف كتاب « الاصطياف في حمام العليل »
وطبع سنة ١٩٦٥ .
- ٦- حقق ونشر كتاب حسن عبد الباقي الموصلي
١١٠٠ - ١١٥٧ هـ وطبع في الموصل سنة
١٩٦٦ (٧٦) .

كما ترك عشرات المقالات والبحوث في التاريخ والفلك والتراث الموسيقي نشر معظمها في مجلات عراقية وعربية. وكان الجليلي معروفاً بجبرته في وضع سمت القبلة .. وقد فعل ذلك لكثير من مساجد وجوامع الموصل. كما صنع بضعة مزاوِل لانتزاع قائمة في بعض ميادين مدينة الموصل. وساهم في حل رموز مزاوِل اخرى اكتشفت في سامراء والقيروان ودمشق، وكان يمتلك مكتبة كبيرة آلت الى المكتبة الوطنية ببغداد بعد وفاته ولم يكن يبخل على احد من الباحثين وطلبة الدراسات العليا، بما يتوفر لديه من مصادر ووثائق ومخطوطات وصحف (٧٧) .

انشغل الجليلي فترة من الزمن في تأليف كتاب عن العائلة الجليلية وحكمها للموصل خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٧٢٦ و ١٨٣٤ إلا ان الكتاب لم ير النور. وعلى هامش تأليفه هذا الكتاب، اتجه الى نشر وتحقيق كتاب غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر لياسين العمري، الذي يتعرض لتاريخ الموصل خلال العهد العثماني وخاصة الاحداث بين ١٧٨٥ و ١٨١٠ (٧٨) .

وبرع الجليلي في فن السيرة والتراجم، ويظهر هذا واضحاً في ترجمته لعدد من المؤرخين والادباء الموصليين امثال الحاج قاسم اغا الروني وحسن عبد الباقي الموصلي. وفي هذا المجال نجد ان الجليلي لا يقف عند حدود ملاحقة السير والتراجم، وانما يعمل على الربط بين حياتهم ونتائجهم من جهة واحداث الموصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وانعكاساتها عليهم بشكل او بآخر. كما انه لا يغفل ملاحظة ورصد من كتب عنهم، ويخلل تلك الكتابات ويوظفها في رسم الصورة الحقيقية لمن

يكتب عنهم .

وتعد دراسته التي الحقها بكتاب « ديوان حسن عبد الباقي الموصلي » ونشرها سنة ١٩٦٦ من أفضل وادق الدراسات التي تناولت سيرة وحياة الحاج حسين باشا الجليلي (ت ١٧٥٨) قائد المقاومة الموصلية ضد الغزاة الفرس سنة ١٧٤٣ وتتألف هذه الدراسة من (٣٣) صفحة. وفيها تتضح مقدرة الجليلي في البحث التاريخي. ويتناول في هذه الدراسة: اصول الاسرة الجليلية، وسبب توليها حكم الموصل، واثارها العمرانية والعلمية وسياستها تجاه العلماء والوجهاء واعيان المدينة وقادة الجيش وعلاقتها بالولاة في بغداد وحلب وتسلمها الحكم في ولايات عثمانية اخرى مثل بغداد وطرابلس الشام وديار بكر وكوتاهية وسيواس ووقائع الحروب التي خاضها القادة الجليليون الى جانب الحكومة المركزية العثمانية، والخلافات بين اغوات فرق الانكشارية وانعكاساتها على الاهالي وعادات الموصليين وتقاليدهم والصراع بين القوى المحلية والقوى الانكشارية (٧٩) .

وفي الدراسة معلومات قيمة عن الجيش الانكشاري في الموصل، والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الموصل خلال العهد العثماني، كالجاعات والامراض والابوة وتأثير ذلك على المجتمع الموصلي. كما ان هناك اخباراً عن تجارة الموصل وادارتها (٨٠) .

واهم ما في هذه الدراسة الصورة التاريخية الحية التي رسمها الجليلي لحصار الموصل الشهير سنة ١٧٤٣ والذي ابتدأ في ١٠ أيلول ١٧٤٣ حين ظهرت طلائع الجيوش الفارسية بقيادة نادرشاه في سهل قرية ياربجة جنوب الموصل حتى يوم ٢٢ تشرين الاول سنة ١٧٤٣، وهو يوم انتهاء الحصار وانسحاب المعتدين الغزاة وعودة الحياة الى مجاريها الطبيعية والاحتفال بيوم النصر. وقد اعتمد الجليلي في هذه الدراسة على وثائق رسمية عثمانية ومخطوطات ودواوين شعروكتب رحالة، ومذكرات لشهود عيان، مما يعطي لدراسته قيمة كبيرة

لا يمكن لأي باحث في تاريخ الموصل الحديث تجاهلها^(٨١).

سعيد الديوبه جي - ١٩١٢:-

ولد سعيد الديوبه جي في الموصل سنة ١٩١٢، وتلقى دراسته فيها ثم سافر الى بغداد ليلتحق بدار المعلمين العالية سنة ١٩٣٠ وبعد تخرجه اشتغل في التعليم، وعين سنة ١٩٤٤ مديراً لمعارف (تربية) الموصل. وفي سنة ١٩٥١ نقل الى



سعيد الديوبه جي

مديرية الآثار العامة ليعمل مديراً لدائرة الأبحاث الإسلامية الفنية. وقد كلف بالتحضير لفتح متحف حضاري في الموصل وتم فتح المتحف وأصبح الديوبه جي مديراً له منذ سنة ١٩٥٢ حتى تقاعده سنة ١٩٦٨^(٨٢).

اولع الديوبه جي بالتاريخ منذ صغره وساعده على ذلك الجو العلمي الذي عاش فيه، حيث ان والده الشيخ احمد افندي الديوبه جي (١٨٧٢ - ١٩٤٤) وعمه الشيخ عثمان الديوبه جي (١٨٧١ - ١٩٤١) كانا معروفين باهتمامهما الفقهية واللغوية والرياضية، وكذلك استفاد الديوبه جي من دراسته ببغداد، فن الاساتذة الذين اثروا فيه احمد حسن الزيات وساطع الحصري ودرويش المقدادي وسليم النعيمي وطه الهاشمي وهؤلاء كانوا يدرسون في دار المعلمين العالية. وقد توجه نحو البحث والتأليف بعد فترة قصيرة من تخرجه وتعد مقالاته التي كتبها في مجلة (المجلة) الموصلية بعد صدورها في سنة ١٩٣٨

عن الموصل من اقدم ما كتب^(٨٣).

اما كتابه «الفتوة في الاسلام» فيعد من بواكير انتاجه وقد نشره سنة ١٩٤٠ وأهداه الى فتوة العراق، وواكب فيه الديوبه جي ظاهرة التوجه القومي العربي في العراق انذاك^(٨٤) ثم اصدر سنة ١٩٥٢ كتابه عن الامير خالد بن يزيد الاموي المعروف باهتمامه بعلوم الحكمة. وفي سنة ١٩٥٥ نشر كتابه «بيت الحكمة» وخلال السنة ذاتها اصدر كتابين اولها «الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الاسلام» وثانيها «عقائل قرش». وبين سنتي ١٩٥٨ و ١٩٨٢ اصدر كتاباً عدة ابرزها: الموصل في العهد الاتابكي وجوامع الموصل ومدارس الموصل، وتاريخ الموصل الذي نشر الجزء الاول منه سنة ١٩٨٢.

وفضلاً عن الكتب التي ألفها الديوبه جي عن جوامع الموصل ومدارسها وصنائعها ومساجدها، وتراثها وتقاليد الزواج فيها فإنه كتب سلسلة طويلة من البحوث والمقالات عن خطط الموصل، وسور الموصل، وجسر الموصل في مختلف العصور، وقلعة الموصل، والزخارف الرخامية في الموصل، واهتم بتأليف دراسة موثقة عن «اليزيدية» قال عنها المؤرخ الاجتماعي الفرنسي المعروف (جاك بورك) انها خير ما ألف في هذا الميدان^(٨٥).

وانصرف الديوبه جي الى تحقيق كتب تتناول تاريخ الموصل، ولعل من ابرزها تحقيقه ونشره كتاب «منية الأبناء في تاريخ الموصل الحدياء» لياسين العمري^(٨٦). وكتاب «منهل الاولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدياء» لمحمد امين العمري^(٨٧). وكتاب «ترجمة الاولياء في الموصل الحدياء» لاحمد بن الخياط الموصل^(٨٨). وكتاب «مجموع الكتابات المحررة في ابنة مدينة الموصل» لنيقولا سيوفي^(٨٩) وكان الديوبه جي باهتمامه بتاريخ الموصل يحرص باستمرار على التأكيد بأنه يسير على منهج المؤرخين الموصليين الذين عوا

الحضارة العربية الاسلامية عبر العصور^(٩١).

خيري أمين العمري - ١٩٢٦ :

وهو ابن محمد امين العمري ، المؤرخ الموصل
المعروف بكتاباته عن «تاريخ مقدرات العراق
السياسية» و «تاريخ حرب العراق». ولد خيري
العمري في بغداد سنة ١٩٢٦ وتخرج من كلية
الحقوق (القانون) سنة ١٩٥٠ وعمل في المحاماة
وشغل بعد ذلك مناصب عديدة ، لعل من ابرزها
انتدابه للتدوين القانوني . وكان للجو العلمي الذي
عاش فيه ، ولكون والده من العسكريين والمؤرخين
المعروفين ، اثر كبير في توجهه نحو التأليف التاريخي
وولعه بتدوين احداث العراق السياسية ومتابعة سير
شخصياته . وقد نشر خيري العمري الجزء الاول من
كتابه «شخصيات عراقية» سنة ١٩٥٥ . واحتوى
الكتاب على ترجمة لاحدى عشرة شخصية عراقية
برزت في ادوار مختلفة من تاريخ العراق
الحديث^(٩٢).

وفي ١٩٦٦ أصدر العمري كتابه «حكايات
سياسية من تاريخ العراق الحديث». وقد تناول فيه
بعض الاحداث البارزة التي وقعت في العراق
الحديث وشغلت الرأي العام واثارت اهتمامه رداً
من الزمن^(٩٣).

كما اصدر سنة ١٩٧٨ كتابه الشهير «يونس
السباعوي سيرة سياسي عصامي» وفي ١٩٧٩ نشر
كتابه «الخلافة بين البلاط الملكي ونوري
السعيد» وهو بالاصل مجموعة محاضرات القاها في
قسم التاريخ بكلية الاداب - جامعة البصرة في
كانون الاول ١٩٧٧ . ويعد هذا الموضوع من
الموضوعات البكر في تاريخ العراق المعاصر . وقد
كشف العمري في هذا الكتاب القاب عن جنود
كثير من الاحداث السياسية التي كانت صورتها
الظاهرة للعيان تختلف عن خلفياتها او صورتها
الحقيقية التي كانت تختفي وراء الستار . وقد اعتمد
في دراسته هذه على بعض الوثائق البريطانية
والعراقية وبعض مذكرات الساسة العراقيين سواء

بتاريخ مدينتهم وألفوا فيها كتباً متعددة ومنهم
الأردني وابن الأثير وياسين العمري . وقد حاول في
معظم كتاباته ان ينسج على منوال اولئك
المؤرخين ، وأن يجعل التاريخ علماً شعبياً ، يترجمه
الى جمهور الناس وبأسلوب سلس وواضح ، ومن
هنا فقد اكتسبت كتاباته سمعة طيبة بين القراء ،
حتى ان الناس في الموصل يعرفونه ويحرصون على
قراءة مؤلفاته بكل دقة واهتمام . وقد حققت له
كتاباته سمعة طيبة بين الموصلين وغيرهم . ويعتقد
الديوه جي ان الاسلوب وسيلة ، وليس غاية ، وما
دام الاسلوب وسيلة في عرض وقائع التاريخ فينبغي
ان يجعلها المؤرخ وسيلة عامة ، فالتاريخ يكتب
للناس . وقد تميزت كتابات الديوه جي التاريخية
بأنها ذات اسلوب غير معقد «فباراته سهلة لا
تزويق فيها ، المعلومة اكثر من مضمونها الفني -
اللغوي ، وجعله تنقاد الى مضامين الاخبار
بتلقائية ، وشيئاً فشيئاً تحول الى اسلوب الرواية او
كأن كلامه صار هو ذاته ، رواية من روايات
التاريخ^(٩٤).

اما سرائها بتاريخ مدينة الموصل فيرجع الى
حبه لها واعتزازه بدورها فهي كما يقول قلعة العروبة
والاسلام ، وخاصة في العصور التي تسلط فيها
الدخلاء على مقدرات الدولة العربية الاسلامية .
كما ان للموصل فضل جمع وتوحيد العرب تحت
راية واحدة ابان الغزو الصليبي . وقد صمدت امام
غزو الفرس عدة مرات آخرها سنة ١٧٤٣
واستعصت على العثمانيين وحكمت نفسها بنفسها
طيلة قرن من الزمان ، حينما تولى الجليليون حكمها
بين ١٧٢٦ - ١٨٣٤ ، ومن هنا فان كتابات
الديوه جي عن الموصل تعد مصدراً مهماً لمن يبحث
في تاريخ هذه المدينة وتراثها وما فيها من صناعة وعلم
وفن واثار تاريخي ومنشآت معمارية ومؤسسات
ثقافية .. والديوه جي يعد من المؤرخين العراقيين
الرواد الذين لم يقفوا عند التاريخ السياسي
وحسب ، بل كتبوا مؤلفات تتعلق بالنظم ومظاهر

المطبوع منها او المخطوط والتي اتيج له الوقوف عليها ، وعلى احاديث بعض الرجال الذين كانت لهم ادواراً يبعث الحوادث ذات الصلة بموضوع الدراسة ، وعلى رسائل كتبها نوري السعيد خلال سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ في اعقاب انقلاب سنة ١٩٣٦ ، حين لجأ الى القاهرة ووجه معظمها الى سيدة بغدادية كان لها صالونها الذي يتردد عليه بعض الساسة والادباء العراقيين آنذاك^(٩١) .

ولخيري العمري مقالات عدة نشرها في الصحف والمجلات العراقية والعربية منها مقالته «عندما جاء موند الى بغداد»^(٩٢) ومقالته «ذكريات عن كامل الجادرجي»^(٩٣) ومقالته عن «جريدة الاهالي من ١٩٣٢ الى ١٩٣٧»^(٩٤) ، ومقالته عن «كامل الجادرجي في الثلاثينات»^(٩٥) وجميع مقالاته تكشف جوانب خفية من تاريخ العراق المعاصر ، لذلك فان طلبة الدراسات العليا في اقسام التاريخ يجلدون فيها مادة خاماً لما يكتبونه من رسائل تخص العراق .

لقد اهتم خيرى العمري بتقديم نط من الدراسة التاريخية بعد جديداً في العراق . ويقوم هذا النط على ربط دراسة الشخصيات بالاحداث التي لها اهمية في تاريخ العراق الحديث .. وهو حين يدرس هذه الشخصيات يحاول ان يكون موضوعياً ومحايداً جهد امكانه فيذكر ماها وما عليها دون ان يظهر عليه أي تحيز^(٩٦) . ويعد العمري من ابرز المؤرخين الذين اعتمدوا طريقة «المقابلات الشخصية» مع الذين لهم صلة بما يكتبه وكان يعتمد تقديم اسئلة مكتوبة ، ويطلب من تلك الشخصية الاجابة عنها وكثيراً ماكان يستخدم المذكرات الشخصية غير المنشورة لمن يكتب عنهم^(٩٧) . ومنهج العمري في دراسة بعض الاحداث يستهدف «التوصل الى حقيقة العوامل المؤثرة بها والاسباب التي ادت اليها والنتائج التي اسفرت عنها»^(٩٨) ومنهجه هذا يعتمد الى حد كبير على ثقافته القانونية التي تستند الى الأدلة والبراهين قبل اصدار الاحكام وكتاباته هنا تشبه الى

حد كبير كتابات المستشار المصري الاستاذ طارق البشري عن تاريخ الحركة السياسية في مصر المعاصرة^(٩٩) .

ولاشك في ان دراسات خيرى العمري تلقي اضواءً على بعض حلقات التاريخ العراقي المعاصر ، وكل حادث يتطرق اليه ، ويعرض جوانبه يعكس دلالة ويبرز مغزى . فعلى سبيل المثال ان اهتمامه مثلاً بحادثة العلاقة بين ناظم باشا والي بغداد سنة ١٩١٠ والفتاة الارمنية سارة يعكس الصراع الحزبي الذي كان دائراً بين حزب الاتحاد والترقي الحاكم آنذاك وحزب الحرية والاتلاف المعارض . كما ان دراسته حول العرش العراقي تبرز طبيعة التيارات السياسية والفكرية التي ظهرت في العراق في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وتنازعت الرأي العام وسلطات الاحتلال البريطاني^(١٠٠) .

لقد انتقد العمري اولئك المؤرخين الذين ركزوا في كتاباتهم على جمع «المناهج الوزارية» و«تدوين مراسم تأليف الوزارات» . واغلب الظن انه يقصد كتابات المؤرخ عبد الرزاق الحسيني ، مؤلف كتاب تاريخ الوزارات العراقية ويقول ان مثل تلك الدراسات جاءت أقرب الى «التقويم» المعتمد على الحوليات ، منها الى التأريخ الذي يستهدف التحليل للوصول الى الحقيقة . وهنا فان العمري يرى أن قيمة المؤرخ «لاتقف عند حد الجمع والتدوين بل تتجاوزه الى محاولة استنتاج تلك الوثائق بعد تحقيقها والتثبت من سلامة نصوصها بحيث يلعب المؤرخ دور القاضي ، فيأتي بالشهود والرواة ويستجوبهم ويدقق فيما يرد من أقوالهم ، ومايأتي من افادتهم وبعد ذلك يقابل تلك الروايات ويعرضها على القارئ بأسلوب سلس واضح»^(١٠١) .

وفي منهجه في كتابة السير وتراجم الشخصيات ابتعد العمري عن الاسلوب الذي كان ينتهجه بعض كتاب السير من قصر العناية على بيان ميلاد البطل وسنة وفاته والوظائف التي شغلها والمراكز التي تولاها ، واسرته ونسبه واصله ، والتركيز على الجوانب اللامعة والابجائية وتحاشي الخوض في

والتراجم.

ب. مجموعة المؤرخين الاكاديميين :

برزت اهمية هذه المجموعة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، خاصة على اثر عودة طلائع البعثات العراقية التي ذهبت الى الغرب وهي تحمل درجة علمية متخصصة في التاريخ والاداب . وكأي حرفة لايد من ان يمتلك صاحبها ادوات البحث فيها ، بدأت هذه المجموعة ، من خلال الكتب والدراسات التي انجزتها في تكريس اسس الدراسة المنهجية في التاريخ ، ومن ذلك التأكيد على العودة الى الأصول الأولية واستخدام قواعد علمية دقيقة لتجميع اثار الحدث التاريخي وتقده واعادة تشكيله كما وقع او قريباً مما حدث دون الالتزام بتفسير او نظرية جاهزة من تلك النظريات التي كانت سائدة انذاك^(١١٧) . وقد كان لهذه المجموعة فضل كبير في تطوير الكتابة التاريخية المعاصرة في العراق . كما ارتبطت بسعيها الدؤوب في مجال تأسيس وتطوير أقسام التاريخ في الجامعات العراقية^(١١٨)

ونذكر من بين رواد هذه المجموعة المؤرخون الموصليون :

الدكتور عبد الجبار الجومرد والدكتور صالح احمد العلي والدكتور ياسين عبد الكريم آل عباس .

عبد الجبار الجومرد ١٩٠٩ - ١٩٧١ :

ولد عبد الجبار الجومرد في الموصل سنة ١٩٠٩ واكمل دراسته الاولى في مدارسها . ثم التحق بدار المعلمين الابتدائية ببغداد وتخرج منها سنة ١٩٢٩ . وواصل دراسته في المعهد العربي للحقوق في دمشق وتخرج سنة ١٩٣٥ وعاد الى الموصل لممارسة المحاماة . وفي سنة ١٩٣٦ التحق بالبعثة العلمية العراقية في باريس وحصل على الدكتوراه عن رسالته الموسومة : « الدستور العراقي عام ١٩٢٥ بين النظرية والتطبيق » وذلك سنة ١٩٤٠ وقد حالت ظروف الحرب العالمية الثانية دون عودته لبلده ، فحصل على دكتوراه في الاداب سنة ١٩٤٤ من

الجوانب الدائنة السلبية والتهرب من القضايا الخاصة ، مما يجعل تلك السيرة جافة ؛ لانتفض بروح الحياة ولا تصور صاحبها إنساناً له (ضعفه) و (قوته) و (نزوانه) و (أهواؤه) ، بل تصوره ملاكاً يسمو على البشر وخطائهم ، ويرتفع عن الآدميين وأهوائهم ، وإنما حاول ان يقترب مما يسمى بـ (الاسلوب الواقعي) في كتابة السيرة ، وهو الاسلوب الذي يقوم على اساس كشف الحقائق المتعلقة بحياة (البطل) سواء تلك التي تتعلق بحياته الخاصة ، او حياته العامة ، خلافاً لاسلوب إزجاء الثناء الذي يتحاشى فيه بعض كتاب السير من التطرق الى الحياة الخاصة للعطاء ، وكشف النقاب عنها ، ورفع الاستار عن خفاياها^(١١٩) .

ويرفض العمري مثل هذه النظرة ، ويقول «انها لم تعد مقبولة ، لانه اصبح من الصعب ان ترسم خطوطاً فاصلة بين ماهو خاص وماهو عام» . ويضيف «انه اذا كانت تلك الخطوط تبدو واضحة المعالم قبل عصر التحليل النفسي فانها لم تعد كذلك في ظل هذا العصر ، إذ أصبح كل شيء عن حياة البطل يتصل بأعاليه من قريب أو بعيد ، يمكن الاستعانة به لفهم مواقفه ولعرفه تصرفاته وتقوم ادواره^(١٢٠) .

وإذا أردنا أن نجد معياراً رئيساً لتقويمنا اعمال خيرى العمري الخاصة بالسير والتراجم فلا نجد الا معياراً واحداً وهو مدى اقترابه ، وهو يؤرخ سير بعض الشخصيات العراقية ، من المهدف التربوي والتثقيفي الذي ننشده عندما تقدم مآثره العمري في هذا المجال الى القراء . والحق ان العمري نجح نجاحاً كبيراً ، وهذا ليس بغريب عليه ، وهو الذي قدم «شخصيات عراقية» و«حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث» و«يونس السبعوي» و«كامل الجادرجي» و«ياسين الهاشمي» وغيرهم . وتكشف كتاباته عن ان العمري يتمتع بميزتين اثنتين اولها : ثقافة تاريخية وقانونية واسعة يرفدها جهد علمي جاد ودؤوب وثانيها معرفة وثيقة بفن السير



الدكتور عبد الهادي الجومرد

في اول حكومة تشكلت في العراق الجمهوري. لكنه استقال في شباط ١٩٥٩ احتجاجاً على توجهات رئيس الوزراء آنذاك عبد الكريم قاسم الاقليمية والدكتاتورية. وعاد الى الموصل ليكمل مؤلفاته ويعيد تنظيم مذكراته الشخصية وبقي كذلك حتى وفاته في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٧١.

عرف الجومرد، حيناً كان في باريس، بنشاطه القومي العربي، ودفاعه عن قضية فلسطين والتعريف بها من خلال محاضراته وكان كتابه «مأساة فلسطين العربية» الذي نشره بالفرنسية سنة ١٩٤٥، قد نال شهرة واسعة بين الرأي العام وخاصة في مجال الوقوف ضد الدعاية الصهيونية في فرنسا^(١١٢).

والجومرد يعد رائداً من رواد كتابة السير والتراجم في العراق. وقد اتجه في محاولة منه للتعريف بمواقف بعض الشخصيات التاريخية المعادية للشعبوية الى وضع مجموعة من الكتب ابرزها كتابه عن «هارون الرشيد» و«يزيد بن يزيد الشيباني» و«ابو جعفر المنصور». وكان منهج الجومرد في كتبه هذه يعتمد الاسس العلمية في الوصول الى الحقيقة التاريخية مع ملاحظة ابراز الدروس المستنبطة في تناول هذه الشخصيات والاحداث والوقائع، وبما يساعد القارئ على استلهام التاريخ واستحضار رموزه وعناصر البطولة فيه، وغرس قيم الخير وخدمة الانسانية^(١١٣) ولم ينس الجومرد ان يقوي حجته بالعودة الى المصادر الاساسية والمراجع الحديثة «ويتبع منهجية البحث التاريخي، حيث حرص على تحري الموضوعية قدر الامكان في خضم الروايات المتناقضة والصور المتنوعة^(١١٤)». والجومرد لم يبحث عصر الرشيد أو عصر أبي جعفر المنصور فحسب، بل مهد لها عن الفترة التي سبقت عصرها «إلا ان الجومرد مثله مثل اي مؤرخ يتأثر بالاضاع السائدة في عصره في العراق، كان حذراً في بعض احكامه، وربما حمل نصوصه اكثر مما تحتل، او بالغ بعض الشيء في التفسير». ومع هذا فان لموقفه مايسوغه، ولا تزال

جامعة باريس وكتب رسالته عن «الاصمعي»^(١١٥).

عاش الجومرد أحداث الموصل وتأثر بما كان يسود فيها من اجواء قومية بتأثير مطالبة تركيا بها. لذلك أسهم في الحملة الوطنية لتأكيد عربيتها مع مدرسيه وزملائه. ثم سعى لتأسيس ناد قومي في الموصل باسم «نادي الجزيرة». وقد انتخب الجومرد رئيساً له سنة ١٩٣٥ واستطاع من خلال نشاطاته الثقافية والسياسية ان يجعل النادي واجهة للعمل السياسي القومي شأنه في ذلك شأن نادي المثني ابن حارثة الشيباني في بغداد^(١١٦). وبعد اكماله الدكتوراه اتجه نحو الصحافة، فكتب سلسلة من المقالات ناقش فيها مسائل حيوية تمس حياة الشعب. وقد تميزت هذه المقالات بالرصانة والدقة وبراعة الاسلوب. وفي سنة ١٩٤٦ رشح للعمل في جامعة الدولة العربية، فسافر الى القاهرة، لكنه استقال من عمله بعد سنتين وعاد الى الموصل ليرشح نفسه نائباً عنها في انتخابات اول ايار ١٩٤٨. وكان للجومرد دور متميز في البرلمان، وذلك من خلال تركيزه على مطالب الشعب الحيوية، وانتقاده للسلطة الحاكمة لتجاهلها العمل على تحقيق سعادة الشعب ورفاهيته والاستجابة لمطالبه في الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفي ١٩٥٠ استقال من البرلمان ليسهم في تأسيس حزب الجبهة الشعبية المتحدة، ويكون مسؤول فرع الموصل. كما رشح لانتخابات سنة ١٩٥٢ و ١٩٥٤ واسهم في تكوين جبهة وطنية انتخابية شعبية واسعة^(١١٧).

واثر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اختير وزيراً للخارجية

كتبه في السير والتراجم أفضل ما ألفه العراقيون في هذا المجال^(١١٥).

وللجوهر كتاب مهم في تاريخ الموصل، لا يزال مخطوطاً وهو بعنوان: «الموصل والتاريخ منذ أقدم العصور حتى اليوم»^(١١٦) ويتألف من (٢٠) فصلاً. وقد قدم له بما أسماه «تعريف» بقوله: «تاريخ مدينة الموصل قصة من أروع ما كتب الزمن فصولاً طوالاً، ومن أمتعها خبراً، وأغناها حدثاً، وأغزرها فجاءة وتناقضاً. فهي من أعرق مدن الشرق الأوسط وأمنعها قدماً، عاشت أكثر من ثلاث آلاف سنة، ذاقَت خلالها حلول العيش ومره، وسعادة الحياة ويوسها»^(١١٧).

ويتطرق الجوهر الى الهدف من وضعه تاريخاً مفصلاً للموصل بقوله: إن عمله هذا ليس إلا مجهوداً أراد منه «خدمة لمن يهيم معرفة أمر الموصل، وحقيقة تاريخها، كمدينة أثرية ثمينة، ساهمت في موكب الانسانية على مختلف العصور، وقدمت في أيام عزاها نماذج رائعة من ابنائها في ميادين العلم والأدب والفن والفروسية، وبعثت في مواهبهم اشعة نحو طرق الحضارة قديمها وحديثها، وصمدت امام نكبات الزمن حتى اليوم»^(١١٨).

وكتاب تاريخ الموصل، ليس كتاباً تسجيلياً لاحداث مرت بالموصل عبر العصور، وانما هو كتاب علمي يعتمد التحليل والنقد لذلك، فان للجوهر اراء مبثوثة في صفحاته، فعلى سبيل المثال هناك رأي في نشوء الموصل، ومناقشة لاختطائ المؤرخين القدامى في بعض الفترات الغامضة في تاريخ الموصل ورأي في اسباب سوء اوضاع الموصل خلال العهد العثماني، ورأي في سلوك الولاة العثمانيين، ورأي في سياسة الملك فيصل الرامية لاقامة «دولة عربية ذات سيادة» في العراق ورأي في انقلاب بكر صدقي ورأي في اسباب صمود الموصل بوجه التحديات، ورأي في مواجهة مجتمع الموصل المحافظ للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية منذ اواخر القرن التاسع عشر.

ويخلص الجوهر الى تأكيد أمرين يستلفتان

النظر في تاريخ الموصل، اولها صمودها وعدم تلاشيها امام كل التيارات الجارفة من الاحداث الجسام، وتمسكها باهداب الحياة امام تلك النزوات المهلكة، والأمر الثاني، وهو أكثر غرابة من سابقه، كما يقول الجوهر، ذلك ان الموصل حكمت من قبل شعوب واقوام ودول غريبة اصلاً ولغة وعادات وتقاليد زهاء ثمانمائة سنة، لكنها بقيت محافظة على عروبته ولغتها العربية حتى اليوم.

ويرجع الجوهر صمود الموصل واحتفاظها بعروبته الى عدة اسباب منها موقعها الجغرافي واتصالها من الجنوب الغربي بخط عربي عريض يمر بالعراق طولاً وينتهي بشبه الجزيرة العربية^(١١٩).

والجوهر الذي عرف عنه اهتمامه بالسير والتراجم وما قدمه في هذا المجال، يؤكد مقدرة على التحليل ورسم صورة واضحة لمن يكتب عنه، نراه في تاريخ الموصل مولعاً بمتابعة الأسر والشخصيات الموصلية عبر العصور. فعلى سبيل المثال كتب عن الاسرة العمريه والاسرة الجليلية والاسرة العلوية، واسرة الغلامي، واسرة ياسين المفتي واسرة آل شويخ. كما ارجح لصفوة واسعة من علماء الموصل وادبائها امثال: الشيخ محمد الرضواني، والحاج احمد الجواودي، والحاج عبد الله النعمة، وعثمان الديوه جي، والملا عثمان الموصل، والشيخ محمد الصوفي، والحاج محمد شيت الجوهر، والشيخ يوسف الرضواني والسيد احمد الفخري، والشيخ محمد ضياء الدين الشعار، والحاج مصطفى البكري وسليمان بن مراد الجليلي، ومحمد حبيب العبيدي، وفاق الدوبني، ومحمود الملاح، والشيخ محمد نوري الفخري والدكتور داود الجليلي^(١٢٠).

ان كتابات الجوهر التاريخية تتميز بسماتها القومية وبمحورها على التصدي لمحاولات الشعوبيين للانتقاص منها. فالجوهر يهدف الى كشف حقائق الاحداث، بأسلوب علمي تحليلي، لذلك فانه يدافع في كل صفحة من كتبه عن العرب والعروبة، ويسعى لبعث الوعي في الحاضر، ولرسم مستقبل الامة الحضاري، وفي الوقت نفسه

التاريخ عدة مرات ، وهو الآن رئيس للمجمع العلمي العراقي . ويعد العلي من ابرز المؤرخين العراقيين المعروفين في الاوساط العلمية في العالم . فخلال السنة ١٩٥٦ - ١٩٥٧ قضى فترة تدريس في جامعة هارفرد . كما حضر خلال السنوات السابقة معظم مؤتمرات الاستشراق التي عقدت في العالم ، ومنها على سبيل المثال مؤتمر المستشرقين الاميركيين في برنستون ١٩٤٧ ومؤتمر المستشرقين في ميونيخ ١٩٥٧ ، هذا فضلاً عن مؤتمرات علمية عدة داخل العراق وخارجه (١٢٣) .

للعلي مؤلفات كثيرة ، وقد عرف عنه اهتمامه بتاريخ صدر الاسلام والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي العربي ، وهو نمط من التاريخ ، لم ينل ما يستحقه من اهتمام حتى يومنا هذا . وقد ظهر ولع العلي بهذا النقط منذ ان كان طالباً في دار المعلمين العالية ، ومقالاته وترجماته عن تراث الاسلام وانتقال العلوم العربية الى اوربا في مجلة (المجلة) الموصلية في سنة ١٩٣٩ تدل على ذلك (١٢٤) .

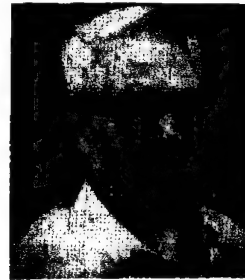
وفي سنة ١٩٥٤ نشر رسالته للدكتوراه . كما اصدر كتابه «محاضرات في تاريخ العرب» في السنة ذاتها . وهذا الكتاب ، هو بالاصل مجموعة محاضرات القاها على طلبة قسم التاريخ بكلية الاداب والعلوم ، بعد تعيينه فيها . ويتطرق في هذا الكتاب الذي لا يزال يحتفظ بقيمته العلمية على الرغم من مضي قرابة اربعين سنة على صدوره ، الى المحاولات التي قام بها سكان الجزيرة العربية قبيل الاسلام لانشاء دول ذات نظام سياسي . كما يتبع اثار المحاضرات السابقة لظهور الاسلام على مجرى تاريخ الجزيرة العربية بصورة خاصة ، وتاريخ الانسانية بصورة عامة . ويتعرض الكتاب الى محاولات المؤرخين العرب والاجانب السابقة ويركز على الجوانب الحضارية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية اكثر من تأكيده على النواحي السياسية (١٢٥) .

ويبحث الكتاب في تاريخ ظهور الاسلام ، وخطوات الدعوة الاسلامية وانتشارها بتفصيل وافٍ

يطالب الاجيال الصاعدة بالمزيد من دراسة تاريخ العراق والامة العربية ، ومن خلال اهتمامه بالسير والتراجم ، فانه رمى الى تقديم النموذج الحي ، والقُدوة الصالحة ، وبذلك عبر في دراساته عن مبادئه القومية العربية ، وانهائه الوطنية الصادقة التي جعلت منه رائداً حياً من رواد حركة كتابة التاريخ المعاصرة ليس في الموصل وحسب ، وانما في الوطن العربي كله (١٢٦) .

صالح احمد العلي - ١٩١٨ :

ولد صالح احمد العلي في الموصل سنة ١٩١٨ ، وأتم دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها ثم تابع دراسته في بغداد وذلك في دار المعلمين الابتدائية ثم في دار المعلمين العالية وفي سنة ١٩٤١ نال شهادة الليسانس من قسم العلوم الاجتماعية بدرجة الشرف . وعين مدرساً في متوسطة البصرة وبعدها نقل الى بغداد ، حيث عمل في المتوسطة



د. صالح احمد العلي

الغربية . وقد رشح ليكون عضواً في البعثة العلمية العراقية الى جامعة فؤاد الاول في القاهرة ١٩٤٣ - ١٩٤٥ . ثم سافر الى انكلترا والتحق بجامعة اكسفورد وحصل منها على درجة الدكتوراه بين سنتي ١٩٤٥ - ١٩٤٩ عن رسالته الموسومة «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري» واشرف المستشرق الانكليزي المعروف السرهملتون غب (١٢٧) .

عاد صالح احمد العلي الى بغداد ، وعين مدرساً في كلية الآداب ، وقد تسلم رئاسة قسم

نسبياً نظراً لأهميتها الكبرى ، كما يقول في «كياننا الذاتي وفي تاريخ العالم». ويلزم الدكتور صالح احمد العلي نفسه بعدم الدخول في تحليل العقيدة الاسلامية ويقول ان ذلك من اختصاص علم العقائد ، أما كتب التاريخ فهي التي تتولى دراسة تاريخ نشوء العقائد وتطورها وانتشارها فحسب. ويسلك العلي منهجاً علمياً منطوقاً في بحثه حين يقول انه حاول اعطاء الصورة التي اعتقد ان المصادر تصورها لتلك الفترة واضاف انه قصر عمله على «تنظيم المادة وعرضها ثم تحليلها ، ومحاولة ايجاد الصلة بينها ، وابرار ارتباطاتها مع الحوادث والمؤسسات الاخرى» (١٢٦).

ويرفض العلي ماسمي انذاك بالافكار المسبقة ، وانتقد المؤرخين المتأثرين بالمنهج الماركسي الذي يعتمد القوالب الجاهزة في التفسير والتي تؤدي بالباحث الى الاعتقاد بأن كل المجتمعات تمر بمراحل تؤول الى المصير المحتوم وهو انهيار الرأسمالية وقيام الاشتراكية وكتاتورية العمال !! (١٢٧)

كانت فلسفة العلي في تفسير التاريخ تقوم على أساس ان لكل حادثة تاريخية اسباباً متعددة ، ودوافع معقدة . كما ان نتائج كل حادثة قد تبين نتائج غيرها ، فقد تكون نتائجها متعددة او محدودة ، كبيرة او بعيدة المدى ، بعضها ظاهر سهل ادراكه ، وبعضها خفي يتطلب ذكاء وفطنة لكشفه واظهاره . فعرفة العلل والاسباب والنتائج والاثار عملية مهمة ، ولكنها شاقة ، تعتمد على تفكير المؤلف وفطنته . ثم ان لكل حادثة عدة اسباب وعدة نتائج ، وهذه الاسباب والنتائج تختلف في اهميتها ، ومن واجب المؤرخ ان لا يكتفي بتعداد الاسباب ، بل ان يقدر مدى اهمية كل سبب ، ويبين السبب التافه من المهم ، وكذلك النتائج وتقدير الاسباب والنتائج ومدى اهمية كل منها . تتطلب ذكاءً وفطنة وعقلاً واسعاً كما تتطلب اطلاعاً واسعاً على مجرى تاريخ الفترة او الأمر الذي يدرسه ، وكذلك تتطلب اطلاعاً على روح العصر الذي يدرسه والمقاييس السائدة فيه (١٢٨).

ولا ينبغي العلي ان يكون لكل مؤرخ نظرة او فلسفة محددة ، فمن لانظرة له يكون فاقداً اهم مظاهر الانسانية وطابعها المميز ولكنه يقول انه ينبغي ان تكون نظرة المؤرخ واسعة وأفقه رحيباً وعقليته مرنة ، تقلب الامور ، وتختار ماتراه صحيحاً ، لا ماتريده ان يكون صحيحاً ، وهذه الرحابة والمرونة وجب الحق ينبغي ان تكون المعيار في تفضيل دارسي التاريخ (١٢٩).

ومع ان العلي يؤمن بان العلوم الطبيعية والعلوم التاريخية تهدف كلها الى غاية واحدة هي الوصول الى الحقيقة ، وعرضها عرضاً منظماً مترابطاً ، فانه يرى أن طريقة دراسة العلوم الطبيعية لا يمكن تطبيقها بمخافيرها في دراسة التاريخ وذلك لعدة اسباب (١٣٠).

١- ان الاشياء موضوع الدراسة في التاريخ ليست اماننا لنستطيع لمسها أو مشاهدتها شأن الاشياء التي تدرسها الكيمياء والفيزياء مثلاً .

٢- ان الاشياء التي تدرس في العلوم الطبيعية هي اجزاء دقيقة ، كالميتة ، فنحن عند دراستها لانحسب لبواطنها ودخائلها اي حساب ، ونقتصر في دراستها على مشاهدتها ومراقبتها من الناحية الخارجية ، فدراستها تتطلب بالدرجة الاولى الادراك دون البصيرة . اما الاشياء التي يدرسها التاريخ فهي كائنات حية ذات احساس وشعور وادراك باطني وتفكير ، ولا يمكن عزلها عند محاولة دراستها شأن العلوم الطبيعية ، فلا بد من عدم الاكتفاء بظواهر الاعمال ، بل التوغل الى الاعماق ومحاولة فهم العوامل المؤثرة التي يلعب الانسان او موضوع الدراسة دوراً في تكيفه .

٣- في الدراسة الطبيعية يمكن التجرد التام ، وتجنب التأثير الشخصي للدارس في موضوع الدرس ، اما في التاريخ فن الصعب التجرد التام (١٣١).

ان الدكتور صالح أحمد العلي يؤمن بأن الأزمة الحديثة او العقود الأخيرة من زماننا على وجه التخصص قد شهدت بروز العناية بدراسة التاريخ، مع ان اهتمام الانسان بماضيه قديم، ودراسته وتداوله ربما كانا يرجعان الى الزمن الذي وجدت فيه للانسان ذاكرة تعمي وتحفظ، ولسان ينطق وينقل ما في الفكر.. إلا ان الحاجة الراهنة قد ظهرت لاصدار كتب عامة تبحث في جوانب متعددة من التاريخ، وعبر حقبة طويلة. لذلك قاد الدكتور العلي، في السنوات العشر الماضية، فريقاً من المؤرخين العراقيين لاصدار سلسلة من المؤلفات العامة التي تبحث في تاريخ العراق وحضارته وصراعاته ومواجهاته للتحديات عبر العصور المختلفة. ويرى الدكتور العلي ان طبيعة مثل هذه المؤلفات تقتضي من المؤرخ، فضلاً عن المعرفة الواسعة، مزيداً من الفطنة والذكاء الذي يمكنه من وضع هيكل عام سليم، يظهر فيه المجرى الصحيح للتاريخ، وان يختار من الحقائق الكثيرة التي يعرفها، فيثبت منها ما يراه اهم من غيره، وأقوى اثرًا في مجرى الامور في عصره او في زماننا، ثم ان عليه ان يقدر مقدار ما يكتب عن كل حادث، فيفصل في المبهم، ويختصر او يحذف غير المهم، او بعبارة أخرى ان يكون مؤتمناً بفلسفة سليمة تستوعب عقله، وتنظم فكره، وتعبر عن نفسها بما يعرضه، وهو امر غير يسير في هذا الزمن الذي تنوعت فيه الوجهات، وتعددت فيه النظرات ومد كل منها اذرعها الى ميادين الحياة السياسية والعقائدية. وأخيراً فإن مثل هذا الكتاب يتطلب ان يكتب بدقة علمية وبأسلوب يسمو على البساطة المسفة، ويتجنب التعقيد ويراعي العمومية الشاملة، ويرتفع على الاقليمية الضيقة (١٣٣).

والدكتور العلي شغوف بتاريخ العراق، يدعو المؤرخين الى الاهتمام به، ولكن وفق اطار قومي وفي مجرى السيرة الانسانية. ويضيف ان ثمة خصائص احتفظ بها أهل العراق طوال تاريخهم المديد، ولعل في مقدمتها السمة الانسانية التي تتجلى باهتمامهم

بالانسان وحرصهم على العناية بدراسته وتيسير الحياة له. اما السمة الاخرى فهي نظرتهم الواسعة، وأفقهم الرحب الذي يتجاوز الانانية المقتبة، والعنصرية الضيقة والاقليمية المحدودة، كل ذلك مع ثقة بالذات، واعتداد بالخصائص المميزة قائم على الادراك الفطن للمفيد لأبناء الامة والانسانية (١٣٣).

ويرى الدكتور العلي ان تاريخ العراق كان موضع اهتمام واسع منذ اقدم الأزمنة، وان كثيراً من الامم والشعوب قد اقتبست من حضارته، وافادت من ابداعاته، وتناقلت اخباره، وهم بين معجب مبالغ، في المدح أو حاقد مندفع في القذح والتشويه. لذلك جاءت عن تاريخه، وخاصة في عهود الحرية التي تميز بها الحكم العربي الاسلامي، معلومات تفوق ما جاء عن تاريخ اية امة أخرى، غير انها معلومات اختلط فيها الفث بالسمين، والصدق بالكذب والصحيح بالفساد مما كان له اثر في تشويش الافكار.. الأمر الذي وضع على عاتق المؤرخين المنصفين، وخاصة من ابنائه، مسؤولية كبيرة في مجال اظهار مكانته في التاريخ دون تمييز أو تشويه (١٣٤).

انجز الدكتور العلي مؤلفات عدة. خلال السنوات الاربعين الماضية، كما ترجم كتباً وإبحاثاً مهمة. فن الكتب التي ألفها: الدولة في عهد الرسول محمد ﷺ (١٣٥)، ودراسات في الادارة في العهود الاسلامية الاولى (١٣٦)، والعالم العمرانية في مكة المكرمة في القرنين الاول والثاني الهجريين، وامتداد العرب في صدر الاسلام والخروج في العراق في العهود الاسلامية الاولى، وبغداد مدينة السلام، وخطط البصرة ومنطقتها (١٣٧)، والاحواز في العهود الاسلامية الاولى. كما اسهم مع الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور جعفر حضايب والدكتور ياسين عبد الكريم في اصدار كراس مهم بعنوان «تفسير التاريخ»، اصدرته جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين سنة ١٩٥٩، وذلك محاولة للتصدي للتفسير الماركسي الذي شاع آنذاك بين



الدكتور ياسين عبد الكريم

سنتين (١٩٤٠ - ١٩٥١) وفي سنة ١٩٥١ التحق بالبعثة العراقية الى جامعة مينسوتا بالولايات المتحدة الاميركية. وقد احرز شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث سنة ١٩٥٦ عن رسالته الموسومة: «علاقات الجمهورية التركية الخارجية بين سنتي ١٩٣٩ - ١٩٤٢» (١٤٢).

ثم عاد الى العراق في اب ١٩٥٦، وعين مدرسا في قسم التاريخ بكلية الاداب بجامعة بغداد فاستاذاً مساعداً واستاذاً يدرس مادة «تاريخ اوربا الحديث» و «تاريخ الشرق الادنى الحديث» توفي في ٢٤ حزيران ١٩٨٨ (١٤٣).

وقد ساعدته معرفته للغة التركية والانكليزية في ترجمة بعض الكتب، منها الجزء الثالث من كتاب «تاريخ العالم الحديث» للتؤرخ الاميركي بالمر. كما انه كتب بحثاً عدة باللغة الانكليزية منها «الاستعمار الانكليزي في بورما» و «الاستعمار الاميركي في الفلبين» (١٤١).

واسهم الدكتور ياسين عبد الكريم مع عدد من زملائه وفي مقدمتهم الدكتور عبد العزيز الدوري باصدار كراس «تفسير التاريخ» سنة ١٩٥٩ وذلك بفصل عنوانه: «التفسير الاقتصادي». وقد دعا في هذا الفصل الى الاهتمام بالتاريخ الاقتصادي الذي يركز على دراسة الانتاج، وتاريخ الزراعة، والصناعة والتجارة والبنوك والاستثمار والاستهلاك وغير ذلك من نشاط الانسان. ويعد ياسين عبد الكريم من اوائل المؤرخين العراقيين الذين تصدوا للتفسير الماركسي وتبنوا التفسير الاقتصادي محاولة

بعض المؤرخين العراقيين وتعبيراً عن التوجه القومي في تفسير التاريخ العربي (١٣٨).

وللعللي بحوث كثيرة في مجلات عراقية وعربية وعالمية تدور حول خطط البصرة واحكام الرسول في الاراضي المفتوحة واستيطان العرب في خراسان. كما اسهم في دائرة المعارف الاسلامية بعدة مقالات عن «عوان بن الحكم» و «البطائح» و «دير الجاجم» و «دير قره» و «عريف» (١٣٩).

وترجم العلي كتباً كثيرة عن اللغة الانكليزية، منها على سبيل المثال كتاب جفري باركلو عن «الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية» وكتاب «المدنية البيزنطية» لستيفن رونسيان وتركيا الفتاة لرامزاو وعلم التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنتال و «اطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول دياي» لادامز (١٩٨٤) (١٤٠).

ويعد العلي من المؤرخين العراقيين الرواد الذين اهتموا بالتنظيم والحضارة العربية والاسلامية. لذلك قال عنه الناقد والمؤرخ هشام جعيط انه من المؤرخين العرب القلائل الذين انتجوا بحثاً معترفاً بها عالمياً كبحوث جدية احاط بمادتها: ويضيف ان مآنتجه العلي من دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والحضاري يجعل منه مؤرخاً اصيلاً يحق للعرب ان يفخروا به خاصة «وانها تجاوزت بكثير مما كتب في السابق، كما انها تتجاوز الكثير مما يكتب الان من تاريخ مبتذل ضعيف حتى في الاوساط الجامعية» (١٤١).

ياسين عبد الكريم آل عباس (١٩١٤ - ١٩٨٨):

ولد ياسين عبد الكريم آل عباس في تلعفرنة ١٩١٤ ودخل المدرسة الابتدائية في تلعفر وتخرج فيها سنة ١٩٣٠ اما الدراسة المتوسطة فقد اكملها في الموصل سنة ١٩٣٣ ودخل دار المعلمين الابتدائية ببغداد وتخرج منها سنة ١٩٣٥ وعين معلماً في طوزخرماتو وحصل على اجازة دراسية وانتمى الى دار المعلمين العالية ببغداد وتخرج منه ١٩٤٠ وعمل بعد ذلك مدرساً ثم مفتشاً (مشرفاً تربوياً) قرابة عشر

للوقوف بوجه التفسير الماركسي للتاريخ الذي قال عنه بأنه تفسير مثالي فلسفي لم يأت نتيجة لدراسة الاحداث التاريخية، بل افترض سلفاً تسويق آراء سياسية لم تثبت صحتها علمياً^(١٢٥).

وضمن فصله آراء قيمة عن التاريخ وفهمه وتفسيره، وأشار الى ان العراقيين القدماء من سومريين واكديين وبابليين واشوريين انشأوا حضارة اصيلة، واسهموا في تكوين الحضارة العالمية. وكان لسكان العراق القدماء معرفة واسعة بالزراعة والصناعة والتجارة وتنظيم المجتمع والدولة. كما انهم عرفوا بعض انواع العلوم. وبعد ظهور الاسلام ونشوء الدولة العربية الاسلامية اصبحت بغداد مركزاً للسياسة والثقافة والحضارة^(١٢٦).

وتطرق الى اختلاف المؤرخين على غاية التاريخ وانتقد اولئك الذين يرون بان غاية التاريخ هي الوصول الى الحقائق وعرضها بطريقة موضوعية وقال انه اذا كانت هذه هي غاية التاريخ فلا حاجة اذن للبحث في تفسيره، اذ أن عرض الحوادث لا يمكن ان يكون غاية بذاته، حيث لا يمكن للتاريخ ان يكون غاية في نفسه، فلا بُدّ للباحث من اثاره اسئلة كثيرة حول تلك الحوادث^(١٢٧).

وناقش الدكتور ياسين عبد الكريم اسباب الاختلافات بين المؤرخين في كتابة التاريخ وتفسيره وقال ان ذلك يرجع الى تأثير المذاهب الفلسفية والاراء الحزبية والنظريات العلمية، وما يمكن ان يحصل عليه المؤرخ من وثائق ومعلومات جديدة. واكد بان التفسير الاقتصادي يؤمن بأن عوامل التاريخ معقدة ومتفاعلة اما التفسير الماركسي فهو تفسير ميكانيكي يؤكد اهمية العنصر الآلي، في حين يؤكد التفسير الاقتصادي على نشوء المجتمعات والمؤسسات فان التفسير الماركسي يؤمن بالجبرية الاقتصادية حيث يسير الانسان بموجبها الى مصيره المحتوم الذي فسره ماركس بانهار الرأسمالية وقيام دكتاتورية العمال. وعلى هذا عدت الماركسية الفرد آلة في المجتمع، بينما يعد التفسير الاقتصادي الفرد انساناً له قابلية للابداع والاختراع والتكيف وبعد

التملك غريزة، ومن ضروريات المحافظة على الحياة، وبذلك يمكن من دراسة الماضي فهم الحاضر ووضع الخطط للمستقبل^(١٢٨).

وكان المؤرخ ياسين عبد الكريم، في مقدمة المؤرخين العراقيين الذين دعوا الى الاهتمام بالوثائق والوثائق العثمانية بخاصة، لما لها من اهمية في فهم تكوين المجتمع العربي خلال القرون الاربعة التي حكم فيها العثمانيون الوطن العربي والتي امتدت من اوائل القرن السادس عشر حتى اوائل القرن العشرين. وقد كان له دور كبير في تأسيس دار الكتب والوثائق ببغداد (المركز الوطني لحفظ الوثائق سابقاً) سنة ١٩٦٣. كما سعى لرغد مكتبة المركز بما ابتاعه من مكنتات اهلية تركية. وقد قاد فريق العمل المؤلف من بعض الاساتذة والمؤرخين وذلك لفهرسة الوثائق وتصنيفها وتسهيل مهمة الباحثين في الوصول اليها^(١٢٩).

ولم يكتف الدكتور ياسين عبد الكريم بنشاطه في مجال البحث، وانما كان له طلبته الكثيرون وخاصة في جامعتي بغداد والبيكر والمعهد الدبلوماسي في وزارة الخارجية، والذين عرفوه باحثاً ومؤرخاً يعتمد الدقة والموضوعية وكان يحث طلبته باستمرار على العودة الى الاصول ومناقشتها وتحليلها. وقد اشرف على رسائل عدة للماجستير والدكتوراه، دار معظمها عن تاريخ العراق الحديث^(١٣٠).

وقد اسهم الدكتور ياسين عبد الكريم مع زملاء له في مشاريع وزارة الثقافة والاعلام الخاصة بوضع كتب تاريخية عامة، وفي تقدم المعرفة التاريخية المتخصصة بأسلوب سهل وواضح الى عموم القراء. ومن ذلك اسهامه في كتابه فصل في كتاب حضارة العراق عن «دور العراقيين في المؤسسة العسكرية العثمانية»^(١٣١). اما في موسوعة «الجيش والاسلح» فقد كتب فصلاً ضافياً وموسعاً عن «تاريخ الجيش العثماني في العراق منذ ١٨٣١ وحتى ١٩١٤»^(١٣٢). كما أسهم في تنظيم وثائق وزارة الدفاع وفي تأليف كتاب تاريخ القوات المسلحة العراقية الذي صدر الجزء الاول سنة ١٩٨٦ بفصل

عنوانه « المؤسسة العسكرية في العراق في عهد الحكم العثماني المباشر ١٨٣١ - ١٩١٨ » (١٥٣) .
خلاصة :

ارتبطت حركة التاريخ المعاصرة في الموصل خلال الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى وظهور العراق ككيان سياسي حديث سنة ١٩٢١ ، بتنامي الوعي القومي العربي وتطور الحركة الوطنية . وقد اتضح هذا في كتابات ابنائها من المؤرخين المعاصرين ، سواء أكانوا أكاديميين ام غير أكاديميين ، إذ ادركوا اهمية (التاريخ) وسيلة من وسائل تنمية الوعي وشحن الازدهان واثارة الحماسة الوطنية والقومية .

وقد دارت الموضوعات التي تطرق اليها المؤرخون الموصليون على تأريخ النضال القومي العربي والكفاح الوطني ليس في الموصل وحسب ، وانما في العراق والاقطار العربية المجاورة . كما نالت التراجم وسير الشخصيات حيزاً كبيراً من اهتمامات المؤرخين الموصلين وذلك بقصد تحقيق هدفين : أولاً لقاء الأضواء على أولئك الذين كان لهم دور في بناء العراق والامة العربية . وثانياً السعي لخلق « قدوة » امام الاجيال الصاعدة وبما يُغرس قيم الخير والعروبة الصادقة في نفوسهم .

وحرص المؤرخون الموصليون على التواصل مع زملائهم المؤرخين القدامى في التاريخ لمدينتهم ، وابرار تراثها وتأكيد شخصيتها الحضارية ودورها الفاعل في مجرى التاريخ الانساني وقدرتها على تحدي الغزاة والطامعين .

ولم يقتصر الاهتمام بتاريخ الموصل ، وانما ظهرت دراسات عدة انتجها المؤرخون الموصليون تتناول « تاريخ العرب » ونظمهم السياسية ومؤسساتهم الادارية والعسكرية واطرافهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سواء أكانوا في المشرق العربي ام في المغرب العربي .

وبما يلحظ على اهتمامات المؤرخين الموصلين انها تأثرت بطبيعة المجتمع الموصل المكون بتعدد قومياته واديانه والتي عاشت في الموصل منذ عصور

سحيقة ، فانعكس هذا في وجود دراسات علمية قيمة تناولت على سبيل المثال تاريخ الاكراد واليزيديين والاقليات القومية والدينية الاخرى .

واعتنى المؤرخون الموصليون بمناهج البحث التاريخي ومسائل تفسير التاريخ ، فكتبوا بحوثاً متميزة في هذا الميدان ، دون ان يلتزموا بنظرية واحدة او تفسير واحد وانما اكدوا على تعددية الأسباب ، وتعدد الدوافع . وانتقدوا الدراسات التي تعتمد السبب الواحد والنظريات المسبقة واكدوا ان مثل هذه الدراسات لا تعتمد الاسلوب العلمي التاريخي في الوصول الى الحقيقة وانما تفرض سلفاً تسويغ آراء سياسية لم تثبت صحتها .

كما اتسمت دراسات المؤرخين الموصلين بأنها لم تقتصر على تسجيل الجوانب السياسية من العملية التاريخية ، وانما اتسعت لكي تشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، الأمر الذي جعل النتاجات التاريخية الموصلية المعاصرة تحتل مكانة متقدمة ، وتصبح موضع تقدير واعتراف العديد من الباحثين والمؤرخين ، سواء في داخل العراق أو خارجه .

المواهب

- (١) انظر : عماد عبد السلام رؤوف ، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٥٢ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ص ٥٤ ، ٢٩٧ - ٢٩٨ .
- (٣) انظر : ابراهيم خليل احمد ، نشأة الصحافة العربية في الموصل ، (الموصل ، ١٩٨٢) ص ٤٨ .
- (٤) انظر : ذنون يونس حسين الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٣ .
- (٥) عمر محمد الطالب « سليمان صايغ : ادبه الروائي والمسرحي » ، مجلة بين النهرين ، الموصل ، العدد (١٩) ، ١٩٧٥ ، ص ص ٢١٣ - ٢٢١ .
- (٦) انظر : ابراهيم خليل احمد ، ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩٢٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد ١٩٧٥ ، ص ص ١٢٠ - ١٢١ .
- (٧) ابراهيم خليل احمد ، تطوير التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ - ٣٥٧

- (١٧) استاذ التاريخ الحديث بكلية الاداب، جامعة بغداد وكان ذلك سنة ١٩٧٨ وقد اضاف ان (خيرى) ابن امين العمري هو الذي افاده بذلك، وانه يخطط لاعادة طبع الكتاب في بيروت باسم والده (محمد امين العمري) وقد اكد خيرى العمري ذلك بنفسه حين قال: «ولدتى رغبة في إعادة طبع كتاب (مقدرات العراق السياسية) للمرحوم والدي». انظر: محاضرة ابراهيم القبسي له في جريدة العراق، ١٦ تشرين الاول ١٩٨٣.
- (١٨) انظر: ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، (الموصل، ١٩٨٩)، ص ٢٧٩.
- (١٩) انظر: عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، (بغداد، ١٩٦٣)، ص ٩.
- (٢٠) طبع الجزء الاول في الطبعة المصرية ببغداد سنة ١٩٢٥ وطبع الجزء الثاني في مطبعة الفلاح، ببغداد سنة ١٩٢٤ في حين طبع الجزء الثالث في مطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٩٢٥ ويدلل طبع الكتاب في مطابع ثلاث الى الصعوبات التي واجهها المؤلف من اجل اخراج الكتاب ونشره وقد ظهر هذا واضحا في ملاحظة اوردها في خاتمة الجزء الثالث، أشار فيها الى ظاهرة ماحصاء بـ (خفوت) اصوات الوطنيين بتأثير المورفين السياسي الذي خدر الاعصاب وتؤم روح الحماسة الوطنية. انظر: العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، ص ٣٧٢.
- (٢١) العمري، تاريخ حرب العراق، ص ٤.
- (٢٢) العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، ص ٣٧٢.
- (٢٣) انظر على سبيل المثال، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٦-٥٦.
- (٢٤) ورد هذا التقويم في: عبد الجبار الجوردي، الموصل والتاريخ منذ اقدم العصور حتى اليوم، مخطوط، الفصل الاول، الورقة (٨).
- (٢٥) الياهو دندكرو ومحمد فهمي درويش، الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، (بغداد، ١٩٣٣)، ص ٨٩١.
- (٢٦) ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها ١٨٨٥-١٩٨٥، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ١٧.
- (٢٧) انظر: سليمان صايغ، تاريخ الموصل، ج ١، (القاهرة، ١٩٢٣)، ص ٥.
- (٢٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧.
- (٢٩) انظر على سبيل المثال: السنة (١)، العدد (١)، ١٩٢٨، ص ١١-١٤ والسنة (١٢) العدد (١)، كانون الاول ١٩٥١، ص ٣-٨ والسنة (١٣)، الاعداد (٧-١٠)، ١٩٥٣.
- (٣٠) انظر: سليمان صايغ، الصهيونية، هبة تاريخية في نشوء الصهيونية، مستلة من مجلة النجم، العدد ١٩١، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٣، (الموصل، ١٩٣٣)، ص ١-١٤.
- (٣١) انظر: المصادر السابقة، ص ٢١٥.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ٢١٣-٢١٤ وكذلك انظر عن جرجي زيدان: احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ص ٣٨.
- (٨) ١٩٣٢، (البصرة، ١٩٨٢) ص ١٥٩-١٧٦.
- (٩) المصدر نفسه، ص ١٧٦-١٧٧.
- (٩) ظهر هذا التوجه لدى مفتي الموصل على نحو واضح إذ عبر عنه الدكتور عبد الجبار الجوردي في مقدمة كتابه المخطوط عن تاريخ الموصل والمشار اليه انفاً وذلك من خلال مبحث عنوانه «حديث المصادر، الورقة ٧-٩».
- (١٠) حول هذه التنظيمات انظر: عبد الممنم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨-١٩٢٥، ج ١، (بغداد، ١٩٥٨) وكذلك نوري احمد عبد القادر، الموصل والحركة القومية العربية، ١٩٢٠-١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة الموصل ١٩٨٨، ص ١٤١-١٥٨.
- (١١) انظر على سبيل المثال، مجلد السنة الاولى من مجلة الهجلة، العدد ١-١٢، ١ تشرين الاول ١٩٣٨ حتى ١٦ آذار ١٩٣٩.
- (١٢) انظر: ابراهيم خليل احمد «واقع دراسات تاريخ العرب الحديث ومستقبلها»، بحث قدم الى الندوة القومية لكتابة التاريخ ببغداد ٢٧ كانون الاول ١٩٨٧، مطبوع بالربويز، ص ٤-٨.
- (١٣) يظهر هذا الاتجاه واضحاً في الكتابات التالية:
- 1- Stephen Hemsley Longrigg, Iraq 1900 - to 1950: A political, Social and Economic History, (London, 1953).
 - ترجمة سليم طه التكريتي ونشره ببغداد بجزئين سنة ١٩٨٨.
 - 2- Gertrude Bell, Review of the civil Administration of Mesopotamia, 1914 - 1920, (London, 1920).
 - ترجمة جعفر خياط بعنوان: فصول من تاريخ العراق القريب ونشره بيروت سنة ١٩٤٩ وطبع عدة مرات اخرها ببيروت سنة ١٩٧١.
 - 3- Aylmer Haldane, Insurrection in Mesopotamia. 1920, (Edinburgh, 1922).
 - ترجمة فؤاد جميل بعنوان «ثورة العراق سنة ١٩٢٠» ونشره ببغداد سنة ١٩٦٥.
 - 4- Arnold T. Wilson, Loyalties Mesopotamia 1914 - 1917, (London, 1930) and Mesopotamia, 1917 - 1920 A clash of Loyalties, (London, 1931).
- وترجم جعفر خياط ماتفق بالثورة العراقية ونشره في بيروت بكتاب مستقل سنة ١٩٧١. وقام فؤاد جميل بترجمة الكتابين بعنوان «بلاد ما بين النهرين بين ولايتين» ونشر بجزئين ببغداد سنة ١٩٦٢.
- (١٤) للتفاصيل انظر: جريدة فتي العراق ٢ آب ١٩٣٧، جريدة فتي العراق ٢٠ حزيران ١٩٤٦ وكذلك وثائق محمد علي النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة الموصل، ١٩٨٨، ص ٢٨٢ وكذلك عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢٠٠.
- (١٥) انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ٥٩٢.
- (١٦) للتفاصيل انظر: محمد امين العمري، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤-١٩١٨، ج ١،

- (٣٣) انظر: صايغ، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٥.
- (٣٤) صايغ، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٥-٦.
- (٣٥) المصدر نفسه، ص ٦-٧.
- (٣٦) حققه الدكتور سليم التميمي، عضو المجمع العلمي العراقي ونشره المجمع، ببغداد سنة ١٩٧٧.
- (٣٧) النحاس، المصدر السابق، ص ١٨.
- (٣٨) انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ١٥٢، ١٥٨، ٢٠٢، ٥٨٧.
- (٣٩) النحاس، المصدر السابق، ص ١٨.
- (٤٠) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب، بعنوان: «ثورتنا في شمال العراق ١٩١٩-١٩٢٠» وطبع بمطبعة شفيق ببغداد سنة ١٩٦٦.
- (٤١) الكتاب بالاصل مجموعة ومقالات تاريخية سياسية لحوادث دامية كان لها صلتها حين حدوثها وبقيت اسبابا ولايسانها غامضة على الكثيرين و نشرها عبد المنعم الغلامي في جريدة صدى الاحرار في بعض الاعداد الصادرة خلال سنة ١٩٥١ وجمعها خادري الناهي ونشرها في كتاب طبع بمطبعة الهدف بالموصل، انظر عبد المنعم الغلامي، الضحايا الثلاث، (الموصل ١٩٥٥)، ص ٣-٤.
- (٤٢) عبد المنعم الغلامي، جغرافية جزيرة العرب، (بغداد، ١٩٧٢)، ص ٣.
- (٤٣) انظر: مقدمة كتاب عبد المنعم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨-١٩٢٥، (بغداد، ١٩٥٨)، ص (أ).
- (٤٤) انظر تقديم من المجلد، لكتاب عبد المنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ج ١، ص ٥-١٧.
- (٤٥) انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ٧.
- (٤٦) انظر: مقدمة كتاب الغلامي، اسرار الكفاح الوطني، ص (ج).
- (٤٧) انظر: الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ج ١، ص ٧.
- (٤٨) نشرت هذه المقالات في جريدة «صدى الاحرار الموصلية» التي اصدرها اخوه محمد رؤوف الغلامي معتمد فرع حزب الاحرار المؤسس سنة ١٩٤٦ وذلك في ٧ ايلول ١٩٤٨ وقد انفي امتيازها في ١٧ كانون الاول ١٩٥٤ انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ٩٧-١٠٠.
- (٤٩) الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص ١٤.
- (٥٠) انظر كتابه: «خروج العرب من الاندلس» (الموصل ١٩٤٠) و «مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى» (الموصل ١٩٤٠).
- (٥١) نشر الجزء الاول من هذا الكتاب في بغداد سنة ١٩٦٥.
- (٥٢) لايزال كتاب تراجم معاصرة لبعض الشخصيات السياسية والادبية مخطوطاً، وهو محفوظ لدى أسرة آل الغلامي ببغداد.
- (٥٣) لقد اتسمت مقالاته بوضوح الرؤية واصابة الهدف، وقد دار معظمها حول موضوع ابراز الدور النضالي للموصل في مواجهة المحتلين والفتنة الاجانب وشخاصه العنانيين والانكليزي. انظر على سبيل المثال سلسلة مقالاته التي نشرها في مجلة المعرفة البغدادية
- بنوتان واعمال الانكليز وحكمهم في الموصل ١ تموز ١٩٦٢، ١٤ تموز ١٩٦٢.
- (٥٤) للتفاصيل: انظر عبدالفتاح علي يحيى و صديق الدملوجي ١٨٨٠-١٩٥٨: دراسة في حياته وكتابه التاريخية مجلة كاربون، اربيل، السنة (٧)، العدد (٧٣)، آذار ١٩٨٩، ص ١٥٥-١٦٠ وكذلك العدد (٧٤)، نيسان ١٩٨٩، ص ١٤٧-١٥٥.
- (٥٥) انظر: احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٤٧-٥٣ وكذلك، يحيى، المصدر السابق، ص ١٥٦.
- (٥٦) للتفاصيل انظر: صديق الدملوجي، الزيدية، (الموصل، ١٩٤٩)، ص ١٧ (د) و (ق).
- (٥٧) انظر: صديق الدملوجي، اماره بديتان او اماره العاديه (الموصل، ١٩٥٢)، ص ٥-١٦١.
- (٥٨) انظر: صديق الدملوجي، محدث باشا، (بغداد، ١٩٥٢).
- (٥٩) انظر: صديق الدملوجي، الانقراض، (الموصل، ١٩٥٤) ص ٦٧-٧٠.
- (٦٠) انظر: تقرير لثلاثه ابراهيم الواعظ لكتاب الزيدية في: الدملوجي، الزيدية، ص (هـ).
- (٦١) انظر: يحيى، صديق الدملوجي ١٨٨٠-١٩٥٨، مجلة كاربون، السنة (٧)، العدد (٧٤)، نيسان ١٩٨٩، ص ١٤٧.
- (٦٢) انظر: المصدر نفسه، ص ١٥١.
- (٦٣) كان الطبيب محمد الجلي ١٧٧٦-١٨٤٦) جد داؤد الجلي من ابرز افراد أسرة آل الجلي. انظر: ابراهيم خليل احمد، العلوم الطبية والرياضية والطبيعية، في تحية من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١١، (بغداد، ١٩٨٥).
- ص ٢٠١-٢٠٤
- (٦٤) تذكر ودرويش، المصدر السابق، ص ٨٨٢ وكذلك انظر: فيصل دبديب و الدكتور داؤد الجلي الموصل ١٨٧٩-١٩٦٠ من مجلة بين النهرين، العددان ٥٣-٥٤، ١٩٨٦ ص ٩٥.
- (٦٥) الطائي، المصدر السابق، ص ٢٤٠-٢٤١.
- (٦٦) بنجام سليم حيايه «الدكتور داؤد الجلي الموصل ١٨٧٩-١٩٦٠»، مجلة بين النهرين، الموصل، العددان ٥٣ و ٥٤، ١٩٨٦، ص ٩٥.
- (٦٧) الطائي، المصدر السابق، ص ٢٤٠.
- (٦٨) أنظر: داؤد الجلي، مخطوطات الموصل، (بغداد، ١٩٧٧).
- (٦٩) المعلومات مستقاة من مقابلة شخصية معه، رحمه الله، في ٢٣ تشرين الاول ١٩٧٣.
- (٧٠) ابراهيم خليل احمد، احمد الصوفي وحكايات الموصل الشعبية، جريدة الحداثة ١٧ آذار ١٩٨٥.
- (٧١) كان الصوفي من ابرز مؤسسي جمعية التراث العربي بالموصل والتي تأسست في ١٦ حزيران ١٩٧٣ وكان من اهدافها تشجيع الدراسات المتعلقة بتاريخ الموصل وتراثها. انظر: نظام جمعية التراث العربي بالموصل، (الموصل، ١٩٧٣)، ص ٢٠.
- (٧٢) انظر: احمد الصوفي، ارض السواد (الموصل، ١٩٥٥)، ص ١١-١٢.

والترقي، ومركزة السفور في العراق، وكتاب وأزمة، ومأساة
الحسن السعديون. انظر: خيرى العمري، حكايات سياسية
من تاريخ العراق الحديث، (القاهرة، ١٩٦٩).
(٩٤) خيرى امين العمري، الخلاف بين البلاط الملكي ونوري
السعيد، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ١٠٧ - ١٣٦.
(٩٥) نشرت في مجلة الاقلام، بغداد، السنة (٢)، الجزء (٦)،
شباط ١٩٦٦.
(٩٦) نشرت في مجلة الهلال، القاهرة، السنة (٧٦)، العدد ٧ و
٤، اول ابريل، نيسان ١٩٩٨.
(٩٧) نشرت في مجلة الاقلام، السنة (١٦)، الجزء (١)، تشرين
الاول ١٩٩٩.
(٩٨) نشرت في مجلة دراسات عربية، بيروت، السنة (٦)، العدد
(٤)، ١ شباط ١٩٧٠.
(٩٩) علي الوردي، تقديم لكتاب العمري، حكايات سياسية، ص
٥.
(١٠٠) انظر: سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي ودوره في
السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٣٦، ج ١،
(البحر، ١٩٧٥)، ص ١٨.
(١٠١) العمري، حكايات سياسية، ص ١٠.
(١٠٢) انظر: شمس الدين موسى «أزمة الدراسات التاريخية»، مجلة
قضايا عربية، بيروت، السنة (٥)، العدد (٣)، ايار-
حزيران ١٩٧٨ ص ٦٢ - ٦٤.
(١٠٣) العمري، حكايات سياسية، ص ١٠ - ١٠.
(١٠٤) المصدر نفسه، ص ١٢.
(١٠٥) خيرى العمري، يونس السبعاوي، سيرة سياسي عصامي،
(بغداد، ١٩٧٨)، ص ١٠ - ١١.
(١٠٦) المصدر نفسه، ص ١١.
(١٠٧) لتفاصيل هذه الاجامعات انظر: احمد، واقع دراسات تاريخ
العرب الحديث، ص ٨٧-٨.
(١٠٨) شهدت الدراسات التاريخية في العراق ازدهاراً واضحاً في
اعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وتكاملت اقسام التاريخ في
جامعات بغداد والموصل والبصرة والقادسية والابزار وصلاح
الدين والمستنصرية وغيرها. ويسهم اساتذة التاريخ في هذه
الاقسام في رفد المكتبة التاريخية بالعديد من الكتب والبحوث.
كما يحملون مسؤولية الاشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه
في التاريخ القديم والاسلامي والحديث. هذا فضلاً عن
دورهم في اعداد وتدريب الاعداد الكبيرة من طلبتهم على
اساليب البحث التاريخي ومناهجه. ويمكن الرجوع الى
نتاجاتهم المنشورة في المجلات العلمية المختلفة، كمجلة الاستاذ
ومجلة كلية الاداب، جامعة بغداد ومجلة الجامعة المستنصرية
ومجلة التربية، بلطيم التي تصدرها كلية التربية بجامعة الموصل
ومجلة التاريخ الحديث التي يصدرها اتحاد المؤرخين العرب ومجلة
اداب الرافدين التي تصدرها كلية الاداب بجامعة الموصل وغيرها
من المجلات.
(١٠٩) لتفاصيل انظر: عدنان سامي نذير، عبد الجبار حمودي:
نشاطه الثقافي ودوره السياسي، (بغداد، ١٩٩١)، ص ص
٨ - ٣٢.

(٧٣) انظر: احمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية، (بغداد،
١٩٦٢) وكذلك ابراهيم خليل احمد، واحمد الصوفي
وحكايات الموصل الشعبية، جريدة الهدباء ١٧ آذار ١٩٨٥.
(٧٤) ذكور ودوريش، المصدر السابق، ص ٩٢٨.
(٧٥) سهيل قاشا «الدكتور محمد صديق الجليلي في ذكرى رحيله
الثالثة»، جريدة الهدباء ١١ تشرين الاول ١٩٨٣.
(٧٦) قدم الدكتور محمد صديق الجليلي خدمة جليلة للباحثين في
التاريخ العثماني، حيناً باهر بحساب وتنظيم جدول بالسنين
المالية الرومية من سنة ١٢٥٦ مالية رومية (١٨٤٠م) وحتى
١٣٩١ مالية رومية (١٩٧٥)، وما يقابلها من التواريخ في
التقويم الميلادي والمجري. وتتضح اهمية هذا العمل اذا
ما علمنا بان التقويم (المالي الرومي العثماني) كان لا يستعمل في
الامور المالية وحسب وانما استعمل في سائر شؤون الدولة
العثمانية، وأرخت بموجبه سائر المحاربات الرسمية والوثائق وقيد
الطابو وسجلات النفوس والحوادث التاريخية والسالنامات
(الكتاب السنوي) التي كانت تصدر في الولايات العثمانية،
ومنها سالنامات الموصل وبغداد والبصرة وغيرها. انظر: محمد
صديق الجليلي «التقويم الشمسي العثماني المسمس بالسنين المالية
الرومية»، مستل من المجلد الثالث والعشرين من مجلة المجمع
العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٣، ص ٢٢٧ - ٢٣٩.
(٧٧) قاشا، المصدر السابق.
(٧٨) انظر: ياسين العمري الموصل، غرائب الاثر في حوادث ربيع
القرن الثالث عشر، (الموصل، ١٩٤٠)، ص ٣.
(٧٩) انظر: محمد صديق الجليلي (محقق وناشر)، ديوان حسن عبد
الباقى الموصل، (الموصل، ١٩٦٦)، ص ص ١٠٣ - ١٣٦.
(٨٠) المصدر نفسه، ص ص ١١٨ - ١١٩، ١٣٦.
(٨١) المصدر نفسه، ص ص ١١٢ - ١١٥.
(٨٢) انظر: سعيد الديوه جي يتحدث عن حياته ومؤلفاته ونشاطاته
وجهوده العلمية (بالروزي) ص ١ - ١٥ وتوجد لدى الباحث
نسخة منها.
(٨٣) انظر: سعيد الديوه جي «مدينة الموصل، موقعها، نشأتها،
توسعها» ومجلة المهلة، الموصل، السنة (١)، العدد (١)،
تشرين الاول ١٩٣٨، ص ٢٧ - ٣٢.
(٨٤) انظر: سعيد الديوه جي، الفترة في الاسلام، (الموصل،
١٩٤٠)، ص ٣.
(٨٥) سعيد الديوه جي، سيرته ونتاجه العلمي بخط قلمه،
(بالروزي) توجد نسخة منها لدى الباحث، ص ٥.
(٨٦) نشره سنة ١٩٥٥.
(٨٧) نشره بمجلدين سنتي ١٩٦٧ و ١٩٦٨.
(٨٨) نشره سنة ١٩٦٦.
(٨٩) نشره سنة ١٩٥٦.
(٩٠) حيد الطمعي، سعيد الديوه جي، موسوعة المفكرين والادباء
العراقيين، ج ٩، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ص ١٣٣.
(٩١) الديوه جي يتحدث، ص ص ١٧ - ١٨، الطمعي، المصدر
السابق، ص ص ١٨ - ٢٥.
(٩٢) اما الجزء الثاني (سير هراقة) فلا يزال مخطوطاً.
(٩٣) ومن ابرز هذه الحكايات: ناظم باشا وسارة وحزب الاتحاد

- ١٢٠) عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٤١ - ١٥٨.
- (١١١) نذير، المصدر السابق، ص ٢٧ - ١٢٥.
- (١١٢) أحمد سامي الجلي، أول كتاب وضعه الجوردي في باريس ومعلومات عن جمعية اصدقاء فلسطين العربية، جريدة الاتحاد، بغداد، ٢٣ تموز ١٩٩٠.
- (١١٣) للتفاصيل انظر: نذير، المصدر السابق، ص ٥٤ - ٥٨.
- (١١٤) انظر: فاروق سمرغزي، دور المدرسة التاريخية العراقية الحديثة في كتابة التاريخ العباسي، بحث قدم الى الندوة القومية لكتابة التاريخ ببغداد المتعددة في ٢٧ كانون الأول ١٩٨٧، مطبوع بالبرنيز، ص ٢١ - ٢٢.
- (١١٥) المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (١١٦) الكتاب بحوزة تجلده الدكتور جزييل الجوردي الاستاذ المساعد في قسم التاريخ بكلية التربية - جامعة الموصل.
- (١١٧) عبد الجبار الجوردي، الموصل والتاريخ منذ اقدم العصور حتى اليوم، منطوط، الفصل الاول، الورقة (١).
- (١١٨) المصدر نفسه، الفصل الاول، الورقة (٩).
- (١١٩) الجوردي، الموصل والتاريخ، الفصل (٢٠)، الورقة (٤ - ٥).
- (١٢٠) المصدر نفسه، الفصل (١٦)، الورقة (١٦).
- (١٢١) انظر على سبيل المثال دعوته الى المزيد من الدراسات في تاريخ العرب في: عبد الجبار الجوردي، ابو جعفر المصور، مؤسس دولة بني العباس، (بيروت، ١٩٦٣)، ص ٨ - ٩.
- (١٢٢) للتفاصيل انظر: عبد العزيز الدوري وآخرون، تفسير التاريخ، (بغداد، لا: ت)، ص ٥٦.
- (١٢٣) المصدر نفسه، ص ٥٦ - ٥٧.
- (١٢٤) كان يوقع مقالاته بـ (صالح أحمد) انظر: صالح أحمد وانتقال العلوم الاسلامية الى اوربا، للمستشرق الدكتور ماكس مايرهوف، مجلة المجلة، الموصل، العدد (١٢)، ١٦ آذار ١٩٣٩، ص ١٨ - ٢٣.
- (١٢٥) انظر: صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، (بغداد، ١٩٥٤)، ص ٣ - ٤.
- (١٢٦) المصدر نفسه، ص ٥.
- (١٢٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (١٢٨) انظر: صالح أحمد العلي، تفسير التاريخ، في الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص ٢٧ - ٢٨.
- (١٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٨.
- (١٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (١٣١) المصدر نفسه، ص ٢٤ - ٢٥.
- (١٣٢) انظر مقدمة الدكتور صالح احمد العلي في: نخبة من الباحثين العراقيين، العراق في التاريخ، (بغداد، ١٩٨٣)، ص ١١ -
- (١٣٣) المصدر نفسه، ص ٨ - ٩.
- (١٣٤) المصدر نفسه، ص ١٢ - ١٣.
- (١٣٥) طبعه المجمع العلمي العراقي بجزئين، (بغداد، ١٩٨٨).
- (١٣٦) (بغداد، ١٩٨٩).
- (١٣٧) (بغداد، ١٩٨٦).
- (١٣٨) انظر: الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص ١٧ - ٣٣.
- (١٣٩) المصدر نفسه، ص ٥٧.
- (١٤٠) المصدر والصفحة نفسها.
- (١٤١) حسونة الصباحي وحارم المفكر العربي هشام جعيط، مجلة الوطن العربي، العدد (٣٩٨)، ٢٨ أيلول ١٩٨٤، ص ٦٩.
- (١٤٢) المعلومات مستقاة من أوراق غير مطبوعة كتبها عنه ابن عمه السيد عبد الله محمود وحصل عليها الباحث في ٣ تشرين الاول ١٩٩١ وانظر كذلك الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص ٦١.
- (١٤٣) الدوري وآخرون، المصدر نفسه، ص ٦١.
- (١٤٤) المصدر نفسه، ص ٦١.
- (١٤٥) انظر: ياسين عبد الكريم، التفسير الاقتصادي للتاريخ، في الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص ٥٤.
- (١٤٦) المصدر نفسه، ص ٤٨.
- (١٤٧) المصدر والصفحة نفسها.
- (١٤٨) المصدر نفسه، ص ٥٠ - ٥٤.
- (١٤٩) كان من ابرز الذين عملوا معه في تنظيم واثاق المركز: الدكتور عبد الامير محمد امين (جامعة بغداد) والدكتور عبد النعم رشاد (جامعة الموصل).
- (١٥٠) من الرسائل التي اشرف عليها رسالة الدكتور رجاء حسين حسني الخطاب الموسومة: «العراق بين ١٩٢١ - ١٩٢٧» قدمت لثليل الماجستير من كلية الاداب بجامعة بغداد ثم نشرت ببغداد سنة ١٩٧٦ وكذلك رسالة الماجستير غير المنشورة التي قدمها جاسم محمد حسن العلول بعنوان «العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦ - ١٩٠٩» قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٥.
- (١٥١) انظر: نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١٠، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٥٣ - ٧٠.
- (١٥٢) انظر: نخبة من الباحثين العراقيين، الجيش والسلاح، ج ٥، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ١٠٩ - ١٧٠.
- (١٥٣) وزارة الدفاع، مديرية التطوير القتالي، تاريخ القوات العراقية المسلحة، ج ١، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ١٤٣ - ١٥٩.

الشعر

ذواتون الأتربي

مقدمة :

ويستخدم داؤد الملاح آل زيادة (١٨٦٣-١٩١٤) المصطلح بمعناه العثماني . وأن كان نصيب المآثر والشواخص العربية فيه راجحاً :

هوا بني وطني واستلفتوا الأنظار

ويكرر استخدام (الوطن) و (الأوطان) بمعنى سياسي جديد أو يستخدم مصطلح (بلاد) مرادفاً للوطن ، ويقصد «الأقطار العربية» . ويتكرر لديه مصطلح (البلاد) و (الوطن) بمعنى الوطن العراقي

أو العربي ويستعمل توفيق آل حسين أغا أغوان هذا المصطلح أيضاً بل أننا قد نجد (الوطن) وطناً محلياً يعني المدينة حيناً لدى محمد حبيب العبيدي^(٢) (١٨٨٢-١٩٦٣) ، أو يعني غربي دجلة ، أو وادي دجلة ، وقد يتوسع في معنى الوطن مبتدئاً بالموصل ليشمل وادي دجلة ويعني العراق هذا في العهد العثماني ، لكن الوطن يصبح لديه في سنة ١٩١٩ هو «جزيرة العرب» .

لست أرضى الجنان لي وطناً
بدلاً من جزيرة العرب

ويستخدم - بعد الاستقلال - أسم (العراق) في قصيدته «أبي الضم» ويرد لديه مصطلح (الشعب) معنياً به (الشعب العراقي) و (البلاد) مقصوداً بها العراق وتبيلور هذه المصطلحات لديه في بداية الثلاثينات كما في قصيدته (محكمة التاريخ الكبرى) سنة ١٩٣٢ . ويبدو فيها معتزلاً بالإنسان (المواطن) وبالمواطنة صفة بشرية ، وهو في العقد العشرين يراوح بين مفهومين للوطن : وطن العرب ووطن العراقيين ، وهو حين يحن إلى الوطن حين الطير فهو مسبوق في هذا بارث عريض من الشعر العربي (قصيدة أنا والطير) سنة ١٩٢٤ . ويكثر منذ

شهدت الموصل في النصف الأول من القرن العشرين ازدهاراً في حركة الشعر؛ فبرز شعراء كثيرون نشروا قصائدهم في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في الموصل آنذاك ، أو ألقوا قصائدهم في مناسبات ومهرجانات نظمت لهذا الغرض أو ذلك ، وقد اعتمد الباحث مبدأ الاختيار ، تسهيلاً للدراسة والتزاماً بالفترة الزمنية للموضوع لذلك اقتصر البحث على جيل الرواد .

أما بالنسبة للاتجاهات الشعرية ، فقد حددها الباحث بخمسة اتجاهات . كما وجد كذلك أن هناك خصوصية وأبداعاً لدى أولئك الرواد الذين أصاب بعضهم قدر من النسيان . وبدون شك فإن هذا المبحث يحاول أن يفهم شيئاً من حقهم . وعذراً لمن لم يتناولهم المبحث وخاصة جيل الشباب الذين مازال عدد منهم قيد التطور الأبداعي من جهة ، ولأنهم يمكن أن يستقروا بدراسة خاصة مستقبلية ذات منهج مختلف من جهة أخرى .

أولاً - الاتجاه الوطني :

عنيت بهذا الاتجاه الشعر الذي يتحدث عن الأتباء إلى الوطن ، والأعتزاز بماضيه وتراثه ، أو نقد الأوضاع السياسية والهجوم على المستعمر وأعدائه ، أو تأييد الثورات والأنفاضات الوطنية وما جرى هذا المجري .

١ - الأتباء إلى الوطن :

نجد أن مصطلح «الوطن» كان شائعاً لدى الشعراء المواصل قبل انعقاد مؤتمر باريس^(١) وأن كان مصطلحاً غير محدد آنذاك ، فقد يمتد ليشمل (الدولة العثمانية) أو الوطن العربي ، أو يتفصل ليخص العراق ، أو سكان وادي دجلة فحسب

الشعراء ، وكما رأينا لدى العبيدي^(٤) فإن اسماعيل حتي فرج (١٨٩٢-١٩٤٨) يعبر عن انتباه الموصل الى العراق وارتباطها العضوي به ، وعن رفض انفصالها عنه رفضاً قاطعاً ، عند نشوء ما يسمى بمشكلة الموصل :

لست ياموصل الا

دار عز وكرامة

أنت فردوس العراق

حبذا فيك الإقامة

أنت منه خير جزء

خاب من رام انقسامه^(٥)

ويؤكد وحدة التراب العراقي وعلى رفض فصل

(رأس العراق عن جسده).

ويبدو أن تأسيس الفكرة الوطنية وتعميقها في النفوس كان ديوان هذه الطائفة من شعراء مطلع القرن العشرين ، اذ كانت الفكرة الوطنية لم ترسخ في القلوب والعقول بعد ، وقد وجد هؤلاء الشعراء أن تعميق المشاعر الوطنية يشكل سبباً من أسباب رقي البلدان ، مقتدين بالدول المتقدمة ، مما دعاهم الى تناول موضوع الوطن بولٍ يقرب من وله العشاق ، ووجد يشبه وجد الصوفية^(٦).

ويعبر قاسم الشعار (توفي ١٩٥٥) في مطولته اللامية «سفر الكاسينجول المصقول» عن نزعة وطنية عراقية واضحة^(٧).



قاسم الشعار

الثلاثينات من استخدام مصطلحات (الشعب) و (النظام) و (العراقي) و (الوطن المحبوب) و (البلاد) و (العراق) مبرزاً قيمة جديدة هي قيمة (الشعب) يتوعد بها المستعمرين وأذنانهم وكلها مصطلحات تتجه الى تكريس الهوية الوطنية العراقية الجديدة في معرض مهاجمة الاحتلال وأذنانها وهو يهاجم السياسة الاستعمارية الأنكليزية والاستقلال المزيف والحكام الأذنان في العراق والبلاد العربية هجوماً لا هوادة فيه .

ويتلاقى لدى فاضل حامد الصيدلي

(١٨٨٢-١٩٤٩) قطبا الوطن ، والقومية العربية

(ذات المحتوى الأخلاقي الاسلامي) ، وأن كان



فاضل الصيدلي

أهتمامه بالوطن وقضاياها قد أخذ يحتل الحيز الأكبر من قصائده تدريجياً ، سواء في ديوانه «هدية الأحرار»^(٨) أم في القصائد الكثيرة التي نشرها في الصحف فيما بعد . وما أن ينتهي العهد العثماني ، ويبدأ عهد الانتداب البريطاني حتى تعلو النبرة الوطنية ، ويظهر أسم العراق مرادفاً للوطن في العديد من قصائد الشعراء المواصله ، الذين كانوا ذوي اتجاه عربي واضح . وقد طالبوا باللامركزية ثم بالاستقلال عن جسم الدولة العثمانية خلاصاً من سياسة التتريك لكنهم أبطلوا بما عده بعضهم ظلماً أبشع من ظلم الترك . . ولبتني في هذا الاتجاه محمود الملاح وفاضل الصيدلي .

وكما يبدو الحب للوطن الصغير أمراً مشتركاً بين

ومن الشعراء الذين برز لديهم الاتجاه الوطني قوياً مقترناً بالحس القومي العربي والعاطفة الدينية «بشير الصقال» (١٩٠٦-١٩٨٦م) وقد كان يستخدم مصطلح (الشرق) وقد كانت نبرة الصقال قاسية في نقدها الأوضاع الفاسدة، واضحة جريئة في دعوتها الإصلاحية :
تضاع برافديه حقوق بعض

كما ضاعت بساحته اليتامى
وقد أضحت مصانعه يبابا
كما أمسست مصائبه ركاما
فياليت العراق له شعور .

يخس وليته بلغ القطاماً^(٨)
ويتضخ لدى عبد العزيز الجادرجي
(١٩٠٤-١٩٤٦م) الاتجاهان، الوطني والقومي متكاملين شأنه شأن شعراء هذا الجيل، والجيل السابق، فهو ينقد أبناء البلاد لانشغالهم باللهو عن الأمور الجادة التي ترفع من شأن الوطن وينقد عزلة الحكام عن مطالب شعبهم^(٩)
والقوم في سنة لا يسمعون ندا

كأنما الشعب عنهم بات معزلاً^(١٠)
ومدح رشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي لاتجاهها الوطني، الذي يراه عاملاً في تقدم العراق ويدعو الى الوحدة الوطنية، كما يدعو الى الوحدة العربية، وإلى التقدم والنهوض^(١١) وتبدور روح عبد الجبار الجومرد (١٩٠٩-١٩٧١) الوطنية في نقده الإصلاحية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية :
بلد يهلك فيه أهله

وبه كل غريب يحترم^(١٢)
وقد تناول في قصائد أخرى بالنقد حال الفلاح^(١٣) و (الانتخابات)^(١٤) وسخر من الأوضاع الاجتماعية والسياسية^(١٥)
ويبدو الاتجاه الوطني لدى محمد وجدي الشربتي في سياق مدح الملك فيصل الأول^(١٦)

ويحيي أكرم فاضل روح الفتوة التي شاعت بين الشباب دفاعاً عن الوطن^(١٧) ونلمس حرصه على سلامة الوطن في قصيدته «هذا بذاك»^(١٨) لكننا سنلمس تغيراً في أسلوب أكرم فاضل في تناول الموضوعات في الأربعينات وما بعدها. حيث سيقترب من البساطة والواقعية المترجمة بطابع كاريكاتيري ساخر.

ومثلت حادثة مصرع الملك غازي لدى عدد من الشعراء صدمة وطنية جزعوا لها وبكوا الملك الوطني الذي عقدوا عليه الآمال، الى درجة أن راتحة شك بحقيقته مصرعه قد تسرب من بعض أشعارهم. وإذا تقدمنا الى الأربعينات وجدنا فاضل الصيدلي، يصعد من هجومه على رجال الحكم :
بعم الشعب والبلاد بمال
في جيوب منزل تنزيلا
واستكنتم للأخرين مطايا

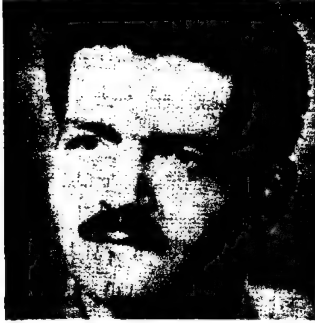
مقودا ريضاً وظهراً ذلولاً^(١٩)
ويفخر أسماعيل حتي فرج بماضي العراق، داعياً الى بعث هذا التراث واستعادة مجده :
وذلك عهد قد علونا به العلا

وأنا لنبغي اليوم أرجاع ذا العهد^(٢٠)
ويعبر أكرم فاضل عن شوق الى الوطن وهو خارج^(٢١) ويربط عبد الغني الملاح في وقت مبكر بين حب الوطن وحب الحبيبة. فيجد هذين اللونين من الحب متكاملين :

وأنا انا صب في هوى وطن
وغادة أشبهتني في أمانها
كلاهما وحدة لافرق بينهما
ففي يفرط طيراً اذ يسميا^(٢٢)

ونجد صدى دعوة اسماعيل فرج وفاضل الصيدلي وعمود الملاح وغيرهم من الرعيل المخضرم الى بعث مجد الوطن، لدى الشعراء الشباب أمثال عدنان الراوي وحازم سعيد، فتابعوهم في نبرتهم

الثورة^(٢٩). وصدى الثورة لديه تعدى العرب الى العالم الثالث ، بل شغل العالم وأن بقي الرجح العربي متميزاً^(٣٠). ويشارك فاضل الصيدلي عدد من الشعراء في الهجوم على الحليفة - العدو أنكلترا ، وعلى الاستعمار ، مثل (ذنون الشهاب)^(٣١) . كما هاجم عدنان الراوي في عدد من مقطوعاته الوطنية الاستعمار البريطاني وعملاءه ضمها فيما بعد



عدنان الراوي

ديوانه «النشيد الأحمر»^(٣٢) وقد عبر عن أيمانه الوطني هذا في ديوانيه (هذا الوطن ، ومن العراق) المنشورة كثير من قصائدها في الصحافة الموصلية^(٣٣) ولئن كنا نعد ديوانيه هذه استمراراً للمرحلة الموصلية فلأن عدداً منها نظم في الموصل ، وعدداً آخر من قصائدها نشر في صحافة الموصل وليس غريباً أن يستجيب الشعراء لأحداث وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ ، كما فعل محمود المحروق بل استغرب خروج ذنون الشهاب عن هذوته^(٣٤) ويستنهض غربي الحاج أحمد الرجال الأحرار ضد الحكم الظالم :

تأله أن لم يشاروا لبلادهم
لم يخطبوا أملاً ولا استقلالاً^(٣٥)
ويعرض بالانتخابات الزيفة ، ويندب حال الأحرار لكنه لا يفقد الثقة بالشعب في قصيدته «قل للطغاة»^(٣٦) وفي قصيدته «ليل الطغاة» يهجو عصابة الطغيان والعمالة هجاء مرأ^(٣٧) ويتذكر بطولات الشعب المناضل في وثبة كانون الثاني

الناقدة ، فنههم فئة بدأت ناقدة نقداً أصحاحياً تصاعد حتى أوشك يشني على الثورة بتقده اللاذع وعلى رأس هذه الفئة فاضل الصيدلي الذي سبق له أن ايد ثورة ١٩٤١ ، لكنه بات يخشى أن يؤدي سوء الأحوال الشامل الى (ثورة مستوردة) من الخارج لذا نراه يدعو الى العلاج الشامل (ذاتياً) ولكن دون مهادة الأوضاع الفاسدة^(٣٨)

ولعل الشعراء كانوا أكثر حساسة في تقديم للأوضاع السائدة ، وكان بعضهم من ذوي الفكر السياسي الواضح الذي لا يكتفي بالنقد ، بل يلمح أو يصرح بالبديل القادم - حسب تصوره - من حنايا المستقبل ، أو يكتفي بأشارة أو نظرة تقدمية ، مستقبلية ، أو بنظرة تجمع الأصيل الى الجديد ، وهم على اختلاف منازعهم الفكرية يشتركون في الأرضية الوطنية الثورية التي تؤمن بقلب الأوضاع الفاسدة فهذا أحدهم عدنان الراوي (١٩٢٥-١٩٦٧ م) يدعو الجراح الى بتر (عقدة) الحكام بعد استفحال فسادهم وخيانتهم :
هم عقدة الداء الدفين قفل لهم
ماذا تكون جريمة الجراح^(٣٩)

ب- الثورات والانتفاضات :

تابع الشعراء انتفاضات الشعب وثوراته مؤيدين ، فعبد العزيز الجادرجي يشيد بقيم الحرية والأصالة في ثورة مايس ١٩٤١ مستبشراً بالتفاف العرب حولها وأسراعهم لأسانداها^(٤٠) . ويرى فاضل الصيدلي في الثورة على الاستعمار ثاراً للوطن وللرب وللقدس المهانة في فلسطين ، ويستنفر في المواطن العراقي كل مشاعره الوطنية والقومية والدينية من أجل نصرة ثورة العراق على المستعمر^(٤١) وتتساند معاني الوطن والعروبة والدين في معظم قصائده^(٤٢) حيث استنهض العروبة لنصرة العراق^(٤٣) بل أنه ليتوغل من المعاني القومية الشاملة ، الى الوطنية العراقية ، الى استنهض المشاعر المحلية لدى أبناء الموصل لنصرة

(المولود سنة ١٩٤٠) يدعو زعماءها الى الوحدة العربية^(١٢) وعبدالله حسن (المولود سنة ١٩٤٠) يدعو الى ازالة الحدود واكمال عملية الوحدة^(١٣) كما يحكي صالح خليل العارف الثورة جيشاً وشعباً^(١٤) وهلل لها محمود الحروق مستذكراً مآسي الماضي وعذاب الظالمين^(١٥)

لكننا مانلبث أن نقرأ قصائد الشعراء الموصلة في رثاء شهدائهم في ثورة الموصل سنة ١٩٥٩ ومن أعدم منهم في ام الطبول . فيرثي وعداالله أبراهيم ؛ (المولود سنة ١٩٤١) الشهداء في الدملاجية^(١٦) ويؤنن عبدالمحسن عقراوي الشهيد هاشم عبدالسلام^(١٧) ومحمد محمد عبدالله الحسوشهداء



هاشم عبد السلام

الجدباء الذين سقطوا في المعركة ضد الشعبية والحكم الفردي^(١٨) وفي القصائد الثلاث لشاذل طاقة : بعد ساعات يموت الليل ، ورسالة حزينة ، وبطاقة عيد الى الموصل ، ثورة على الطغيان الفردي من أجل الحرية ، وتمجيد لتضحية الموصل من أجل غد العراق العربي^(١٩) .

ثانياً- الاتجاه القومي :

لو نظرنا بالمنظور القومي الشامل فإن معظم شعر الاتجاه الوطني يدخل في شعر الاتجاه القومي . لذا سيقصر الحديث على ثلاثة محاور هي :

- أيقاظ الشعور القومي ، والتعني بأجداد الماضي وتراثه .
- الدعوة الى الوحدة العربية .

مؤشراً الصراع بين الشعب المطالب بحريته وبين قيود الطغيان^(٢٠) ويكاد شعره كله يشكل نشيداً وطنياً حماسياً متشابه الايقاع والصور والمعاني^(٢١) وهذا اللون من الشعر الحاسي يلائمه الشعر (العمودي) الصالح للألقاء في المناسبات والأحتفالات . وتختفي عيوب المباشرة والتكرار في هذا الجيشان العاطفي .

ولانجده موفقاً في شعر التفعيلة (الحر) لأنه ينحدر الى صعيد النثر في بعض مقاطع قصيدة «عرقوف» و«رسالة الى شاذل» و«ليلة في معتقل الدبابات» . وقيمة شعر غرني الحاج أحمد الآن تكمن في كونه أضحي سجلاً تاريخياً ووثيقة لمشاهد وأحداث وطنية من تاريخ العراق المعاصر؛ كمهاجمة اتفاقية النفط لعام ١٩٥٢ بقصيدة : (عبث الجراد) واستذكار ثورة العشرين قدوة فضالية (سوح الذات) وأنتفاضات الشعب العراقي بوجه النظام الملكي . وغير بعيد عن هذا الأفق ، يشير مصطفى الذي يتغنى بطاقة الشعب الثورية^(٢٢) والملاحظ أن شعراء الخمسينات على اختلاف أنماجاتهم الفكرية والسياسية قد ربطتهم رابطة الوحدة الوطنية ضد عدو مشترك هو الحكم الملكي ، فهاجمه معظمهم : فأحمد محمد المختار يعلن أنتباهه للكادحين ، ناقداً الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية^(٢٣) .



أحمد محمد المختار

كما حيا الشعراء ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . ويشارك في تحية الثورة أكثر من شاعر، فسالم الخباز

– الدعوة الى نصرة الأقطار العربية المستعمرة .

١ – بقطة الشعور القومي :

أبتدأ الاتجاه القومي لدى عدد من الشعراء الموصلة عروبياً إسلامياً يدعو الى تعاون العنصرين العربي والتركي في أطار الدولة العثمانية حتى لنحس لونا من التمجيد بالعرب وماضيهم ، وبالتعاطف الذي تمتاز فيه الحمية العربية بالعاطفة الدينية في الأحداث التي تصيبهم ، لدى محمد حبيب العبيدي ذي الاتجاه العثماني الإسلامي ، كما في العدوان الإيطالي على ليبيا سنة ١٩١١ الذي أثار مشاعر عدد من الشعراء^(٥٠) فبدعو ملا شريف الموصلي (أمة الإسلام) الى نصرة (عرب ليبيا) أخوانهم في الدين والوطن^(٥١).

ونقرأ لعل الجميل (١٨٨٩ – ١٩٢٨) قصيدة «نخب الأعلام» بتوقيع (عربي) ضمن الاتجاه نفسه وسنجد الشعور القومي العربي يتبلور لديه منطلقاً من الحزن لما أصاب العرب في محاولة لاستنهاض المهمل لبعث أمجاد العروبة وأستعادتها ، فيقول :

فما ذرفت عينايا الا لنكبة

المث بمجد العرب أمتي التعسا
هم العرب هم آل الرقي ذوو العلا
بنو المجد من عاداهم أهلك النفسا
وفاء وأقدام وحزم وسؤدد

من الشيم اللاني غرسن بهم غرسا^(٥٢)

ويكرر الدعوة الى بعث مجد العرب ومآثر ماضيهم المجيد وحضارتهم العريقة^(٥٣) بل أن العبيدي يدعو الترك الى أنصاف العرب ويدعو أبناء قومه العرب الى النهضة لأخذ حقوقهم :

أنصفوا القوم ايها القوم ماهم

نعم في وسط الفلاة وشاء
يابني الضاد أن للضاد حقاً

ناطحت دون هضمه الآباء
أن رنسينا غير الكرامة ورداً

غصص منا بشاربيه الماء^(٥٤)

ولم يكن الفكر القومي متبلوراً في نهايات القرن التاسع عشر، لكن أحساساً قومياً عفوياً بدأ يتطور الى نوع من الوعي القومي ، كامن تحت الأيمان الديني ، عبر عن نفسه في التعاطف مع الحركات الإصلاحية ، والأعتزاز بالتراث والتفخي بأجاد العرب والشكوى من الفساد والدعوة الى الإصلاح والتخلص من الظلم^(٥٥) لكن هذا التكامل بين (الوطنية والعروبة والإسلام) بدأ يفسح المجال بالتدرج لبروز تيار عربي مضاد لتيار التتريك . ولعل كتاب الأناشيد الموصلية للمدارس العربية ، الذي نشره محمد سعيد الجليلي سنة ١٩١٤ يشكل دليلاً على وقوف عدد من مثقفي المدينة «أعضاء جمعية العلم السرية» والمتعاطفين معها ضد نزعة التتريك^(٥٦) ، ويتفاوت شعراء هذه الأناشيد في وضوح رؤيتهم القومية ، الا أنهم يلتقون عند الحد الأدنى منها ، وقد تمتاز لدى بعضهم العروبة بالوطنية بالإسلام في غير انفصال بين هذه الأعمدة الثلاثة^(٥٧) .

وبعد قيام حبال باشا بحملته ضد المتتمين الى الجمعيات العربية انحاز المثقفون والمتنورون ذوو الفكرة العربية أنحيازاً كلياً ضد سياسة التتريك العنصري وقد عبر الشعراء عن هذا الموقف ، أستذكراً وفي ذلك الوقت ، يقول فاضل الصبيدي في شهاداء القضية العربية :

لو تعلم العرب ماهالوا المتراب على
أجساده حزب فدوهم نفس محتسب
قاموا لتحرير أنفاس أضر بها
بغبي البغاة بمشروع من الطلب^(٥٨)

ولما كانت الدعوة الى بعث الأمجاد والتفخي بالماضي إحدى ركائز الفكر القومي ، فقد استغل الشعراء المسرحيات والتثيليات التاريخية ، فقدموا من خلالها مقاطع تجسد بعض شخصيات هذه المسرحيات (ذات الطابع الوطني والقومي) أو أنهم نظموا قصائد أو مقاطع توظف أحداث المسرحيات

هدفاً معلناً، يتلور في المشاعر والأفكار:
هدم الله حدوداً وضعت

بين أقطار تضم العرباً^(٦٣)

ويدعو محمود الملاح العرب الى الاتحاد ويهاجم
الشعوبيين الذين يريدون سلخ مصر عن جسد



محمود الملاح

العروبة^(٦٤) وبهيب محمد حبيب العبيدي لحرصه
على تحقق النهوض والوحدة، بالمسؤولين أن يجمعوا
شمل العرب^(٦٥) ويدعو بشير الصقال الى وحدة
قومه^(٦٦)، ويدعو الجومرد الى الأنبعاث القومي
والوحدة العربية غير مفرق بين فرات أو نيل
أو بردي^(٦٧).

اما عدنان الراوي فان خطابه موجه الى الامة
العربية جمعاء^(٦٨) - دائماً - وهو رجل قومي وحدوي
عبر عن ايمانه العميق بالوحدة العربية في عديد من
قصاصده^(٦٩) يشاركه في هذا الايمان شاذل
طاقة^(٧٠) وغربي الحاج احمد^(٧١) واحمد قاسم
الفخري^(٧٢). وعبد الحليم اللاوند^(٧٣) واحمد
محمد المختار^(٧٤)

ويأتي عبد المحسن عقراوي في طليعة جيل غنى
معظم شعرائه للوحدة، وحملوا فكرة البعث
العربي، واستمرت اغنية عبد المحسن عقراوي
القومية اكثر من ثلاثين عاماً كانت سجلاً
للاحداث العربية، بغزارة لم تعهد عن شاعر موصلي
من قبل. ولعل هذه الغزارة كانت سلاحاً ذا

لخدمة الأهداف القومية المعاصرة^(٥٩) ويندد
اسماعيل حتي فرج بالترك ومظالمهم التي أوقعوها
بالعرب رامزا الى الترك بالخرق (تاء) والى العرب
بحرق (الضاد):

ايها (التاء) هل جنى الضاد ذنباً
به سيم العذاب قتلاً وصلباً
وأستبيحت دياره منك غصباً
واستهينت كباراه الغرسبا
وغدا يشتكي الهوان الصغير^(٦٠)

ويؤكد الشعراء على الطابع العربي للمدينة
هوية، وراثاً وتطلعاً، ويكررون ذلك عند نشوء
مشكلة الموصل ويؤكد اسماعيل حتي فرج انها بلدة
عربية بأرادتها ولسانها وسكانها ومليكها وأنها جزء
من دولة العرب ويكرر لفظة (عربية) أربع مرات
في ثلاثة ابیات:

هي بلدة عربية رامت بأن
تحيا بكم عربية الاحياء
عربية بمليكها العربي بل
بامامها ذي العزة القعساء
وكتابنا المهدي، يؤيد انها
عربية السكان والانحاء^(٦١)

٢ - الدعوة الى الوحدة العربية:
عبر الشعراء بصورة عفوية عن امانتهم
الوحدوية، هاهو اسماعيل حتي فرج يعبر عن نزعة
وحدوية قوية عند ترحيبه بالوفد السوري عام
١٩٢٧:

وبين فيحاء سوريا اذا انتسبت
وبين بغداد مايدنو به النسب
فالفخر بالضاد بين الناس يجمعنا
وفي العروبة منا يشمخ الحسب
لم لا وقد وحد التوحيد كلمتنا
وأنا كلنا - لم نفرق - عرب^(٦٢)

ويكرر الدعوة الى الوحدة العربية التي ظلت

ويستنض محمد وجدي الشربتي^(٧٩) ، بلغته الرقيقة وقوافيه المنوعة ، قومه العرب لنصرة فلسطين الجريحة ، مهاجماً الحلفاء الخونة :
يابني قومي فلسطين غدت
بقعة حمراء من سفك الدماء
باعها (جون بول) بيعاً فانبرت
تشتري بالروح مئوى الانبياء

فأعيدوها بذيالك الشراء
ويتابع شعراء هذا الجيل ومن بعدهم الاحداث والانفاضات في فلسطين فينبه عبد الجبار الجومرد الى الخطر الصهيوني في قصيدته التي ألقاها في الجامع النوري الكبير بالموصل سنة (١٩٣٣) (٨٠)
ويتفاعل مع الاحداث في فلسطين المحتلة كما في قصيدته «ذكرى ودموع» التي يرثي بها ثلاثة من الشهداء الفلسطينيين اعدمتهم عصابة صهيونية في القدس سنة ١٩٣٠. (٨١) ويتابع اكرم فاضل احداث فلسطين في ١٩٣٦ ، و١٩٣٨ شاجباً وعد بلفور متقدماً (نضال العرب الكلامي الذي لا يرتفع الى صعيد نضالها الدامي) ، داعياً العرب الى نصرة ثورتها الشعبية. (٨٢)

واستمرت نبرة الشعراء الشباب في الاربعينات في التصاعد غضباً وحاساً متراوحة بين الحاس الجرد وبين التشاؤم ، كما في قصائد عديدة لعديان الراوي ومنها قصيدته التي مطلعها :

قومي نناشد امة وطلولا
عل المناحة تستفز الجيلا^(٨٣)
داعياً الى القوة لاسترداد الحق^(٨٤) ويربط عبد الحق فاضل بين ثورة مايس ١٩٤١ وفلسطين^(٨٥) .

وبينما كان عدنان الراوي متفائلاً بمقدرة الجيش العراقي على تحرير فلسطين^(٨٦) وذواتون الشهاب محرّضاً على الجهاد مستبشراً بالنصر^(٨٧) اذ بالنكبة تحدث ، فيقترب عدد من الشعراء بغضهم وحزנם من حافة اليأس يقول عدنان الراوي :

حدين ، فهي قد زادت تمرساً ودربة من جهة ، وواقعته في السهولة والمحدودية والتكرار من جهة ثانية بحيث اضحت قصائده نشيداً واحداً متصلاً لا تكاد تختلف مقاطعه (اعني قصائده المختلفة) .
اما الامثلة على شعره الوجداني فكثيرة لاداعي لذكرها ومن شاء فليرجع الى (حصار الليالي ، وهشم الغربة وفيب الدم) .

وسالم الخياط منذ (جراح المدينة) تدور معظم قصائده حول قيم قومية بعثة ، حتى عندما يكون الموضوع وطنياً . فهو داعية وحدوي منذ شبابه الاول عدا ديوان (حقول الصمت) الذي تقع معظم قصائده في ظل التأمل الحزين والانكسار الحزيراني^(٧٥) .

ويعلم ذواتون الاطرحي في «مهاجر في اقاليم الحضور والغياب» بالوحدة بين جناحي الامة (المشرق والمغرب)^(٧٦) .

٣- قضية فلسطين والافطار العربية المستعمرة :
يرصد محمود الملاح احداث الافطار الشقيقة منذ ان وطأها اقدام المستعمرين وحين شبت فيها الثورات . ابتداءً من فلسطين- الجرح الكبير :

فلك فلسطين تفيض جروحها
وسورية دام يسيل ودامع^(٧٧)
ومصر على جمر المطال كأنها
من اليأس بحر موجه متدافع

ويكي فاضل الصيدلي فلسطين : شهداء واطفالاً وبنائى ومشردين ، ويستنض مواطنيه لنجدتهم في عدد من القصائد ويلقي محمود الملاح قصيدته (لاعرب بغير فلسطين ولافلسطين بغير عرب) امام المؤتمر البرلاني المنعقد في مصر لمعالجة قضية فلسطين ، وهي قصيدة طويلة نشرت (الزمان) منها نحو خمسين بيتاً ، وفيها يستصرخ العرب لفلسطين الدامية :

غدت فلسطين مرآة لاندلس
لا تطاير في انحائها الشرر^(٧٨)

الاخلاق والتقاليد والعلم، والدعوة الى التماسك الاجتماعي، ونقد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدعوة الى تغييرها.

١- الاخلاق والتقاليد والعلم:

لعل الحديث عن الاخلاق، يؤخر احياناً، ويوازي ويقترب احياناً أخرى، بالحديث عن العلم والتقدم لدى الشعراء المحضرمين، ولعل (التخلخل) الذي اصاب القيم الاجتماعية والظواهر السلوكية بعد الحرب الاولى، وازداد بعد الحرب الثانية، كان اكبر من قدرة هؤلاء الشعراء على الاستيعاب والقتل سبب انهم قد نشأوا نشأة دينية، فترى شاعر (الفضيلة) فاضل الصيدلي يشن هجوماً متواصلًا على الفساد الخلقي بشتى مظاهره، ويدعو الى مكارم الاخلاق، وفق النموذج المحافظ الذي نشأ عليه، ونادراً ما نقرأ قصيدة له تخلو من التوكيد على الاخلاق الرفيعة او مهاجمة الرذيلة، سواء في ديوانه (هدية الاحرار) ام في قصائده الكثيرة التي نشرها بعد صدور الديوان.

ونظرة فاضل الصيدلي وشعراء جيله الاخلاقية تمثل نظرة أكثرية ابناء المجتمع، وتنطلق من معتقده الديني وفلسفته الحياتية، وهي فلسفة محافظة بصورة عامة، وان كانت تدعو الى الإصلاح والتجديد، وتعتمد العقلانية اسساً عامة للعقيدة الدينية والقيم المتوارثة، والملاحظ ان الاخلاق لديه مفردة اجتماعية (لا فردية) اذ يرتبط بها الهم الوطني والقومي^(٩٥) كما انه يرى - شأن المحافظين - ان الدهر قد قلب لنا ظهر المحن لاننا انحرفنا عن النهج السوي وانسقمنا وراء أهوائنا وتمسكنا بالقشور بدل اللباب فاضطربت افكارنا وأذواقنا وعقائدنا وخسرنا كل شي.

ومحمود الملاح غير بعيد عن هذا التوجه، وان كان اقل انشغالاً بهذه المعركة من فاضل الصيدلي، فهو لا يرى نفعاً من علم بلا خلق^(٩٦) فهو يهاجم الظواهر الاجتماعية والسلوكية المأخوذة عن

ووجدتني عبداً وقو
مسي في المصيبة كالعبيد
ووجدت اوطاني تضيق
وفوقها علم اليهود^(٩٨)

ولعل عدنان الراوي كان أكثر شعراء جيله انشغالاً بقضايا الامة العربية، لاسيما قضية فلسطين. كما في ديوان (من العراق)^(٩٩).

ويدعو حازم سعيد- ايضاً- الى استخدام القوة والالتزام بمنطقها لاسترداد الحق السليب:
تقسم الارض انها لم تملك
بسوى النار والدم المصوب^(١٠٠)

ويتفجع احمد قاسم الفخري، في مطولته الرائية الباكية- في عيد الفطر- لفلسطين التي باعها الطامعون، ناقداً الانظمة العربية على لسان شيخ فلسطيني يحكي قصصاً مؤلمة عن بؤس الفلسطينيين وحالمهم داخل الارض المحتلة وخارجها^(١٠١).

ولازتيد شيئاً اذا قلنا ان هناك نظرة متحمسة متفائلة قبل النكبة وبعدها تؤكد على الذات القومية، ماضياً وحاضراً، وتتوعد الصهاينة بسوء المصير، ولا تفقد الأمل في جولة او جولات قادمة تسترد الحق السليب، نجد هذه النظرة لدى «ذوالنون الشهاب»^(١٠٢) وليس بعيداً عن هذه المعاني التحريضية التي لم تسقط في البأس قصائد كل من غرني الحاج احمد^(١٠٣) وشاذل طاقة^(١٠٤).

تستمر متابعة الشعراء في الخمسينات وما بعدها لقضية فلسطين سيما ان جراحها مازالت غصة تنزف كل يوم، فيتابع غرني الحاج احمد مذبحة قبية ودير ياسين. وتبقى فلسطين ملاصقة لاية قضية عربية بل سابقة فحين يذكر غرني الحاج احمد الجزائر مثلاً فانه يسبق الى ذكر فلسطين بحيث اضحى هذا الأمر لونا من التقليد لدى الشعراء.

ثالثاً- الاتجاه الاجتماعي:

يشتمل هذا البحث على ثلاثة محاور هي:

الغرب^(١٧) كما يهاجم النفاق والبخل والمظاهرة^(١٨) وفي قصيدته (وأما الأمم الاخلاق) ^(١٩) يدعو الى التمسك بكل المفراد الاخلاقية الحميدة .

ويهاجم عبدالعزيز الجادرجي «التكبر» والنفاق^(٢٠) وفي الوقت الذي يدعو فيه اسماعيل حتي فرج وفاضل الصيدلي^(٢١) الى تعلم البنات دعوة حارة . تدخل ضمن اطار مفهومهما للاصلاح الاجتماعي ، فانها يهاجمان السفور والاختلاط هجوماً لا هوادة فيه ، على انه مثار للمفاسد . وهذه الازدواجية لايعدها تناقضاً (اقصد الدعوة الى التقدم في المجالات العلمية والعمرائية والصناعية والابقاء على وضع المرأة كما هو مع منحها فرصة التعلم) .

ولعل في مقدمة المتعصين ضد السفور من منطلق ديني وعرفي هو عبدالمجيد شوقي البكري حيث يقص - في احدى قصائده - حواراً بينه وبين سافرة في السوق يقنعها فيه بضرورة الحجاب^(٢٢) .

ويهاجم عبدالجبار الجومرد بعض تقاليدنا الاجتماعية البالية عن طريق السخرية منها ، فيسخر من غلاء المهور وتعقيدات الزواج بلغة مطعنة بالعامية الموصلية ، عازياً الى هذه التعقيدات الفساد الخلقي^(٢٣) ويهاجم محمود الملاح^(٢٤) وعبدالجبار الجومرد^(٢٥) الفساد الاداري وامراض الوساطة والرشوة فيه . ونجد بين الشباب الشعراء من ينتقد الشباب السطحيين المغرورين المنساقين وراء نزواتهم ، ويعدون الاسرة المسؤول الاول عن انحذارهم الخلقي .

ويتفق الشعراء على اهمية التعليم لنهضة الوطن ، سواء اكان هذا العلم دينياً (كما في قصيدة العبيدي العلم والعلماء في الموصل الحدياء) التي يري فيها مدارس العلم وهي تندثر ، ويستنهض الناس من اجل دعمها^(٢٦) او علماً دنيوياً نافعا كما في تعريض احمد عزة آل قاسم أعما

(١٨٦٩-١٩٤٢م) بمن يكتفي بدراسة التراث غافلاً عن نهضة الامم المعاصرة وتلمس دعوته الى الاقتداء العلمي بالغرب .

ومنذ تأسيس النادي العلمي عام ١٩١٩م تبارى الشعراء في عقدالآمال عليه في بعث النهضة الثقافية والاجتماعية في البلد^(٢٧)

ويدعو عبد العزيز الجادرجي الشباب الى العلم والاختراع^(٢٨) وتتصادى دعوات فاضل الصيدلي ومحمود الملاح وعلي ياسين النعيمي وبشير الصقال وغيرهم في الدعوة الى التقدم العلمي والصناعي باقامة المعامل ، والاكتفاء الذاتي بالتاج الوطني ، ويدعو النعيمي الى احتذاء النموذج الصناعي الغربي وتشغيل رؤوس الاموال الوطنية في مجالات منتجة واقامة التوازن بين الصادرات والواردات وارسال البعثات العلمية^(٢٩)

ويدعو فاضل الصيدلي الى الاكتفاء الذاتي ، والى المهن الحرة واقامة مدارس الصنائع^(٣٠) ويواصل الشعر في الاربينات والخمسينات يواصل الدعوة الى العلم والتعلم ، والى اللحاق بالامم المتحضرة ، والى انشاء المدارس والمستشفيات ونشر الوعي الصحي . ويشكو أحمد قاسم الفخري حال المعلم الاقتصادية التي انعكست سلباً على الوضع العلمي للعراق .

التقاليد :

لن نتحدث هنا عن التقاليد الاجتماعية ، بل عن شيء من التقاليد الادبية التي لها صلة بالوضع الاجتماعي السائدة . فلو أخذنا العلاقات الاخوانية ، والمجالس الادبية مظهراً من مظاهر النشاط الاجتماعي فأنتنا نلاحظ ارتباطها بالوان من الشعر كانت شائعة في مطلع القرن وبدأ شيء منها بالاختفاء التدريجي . واعني التأريخ الشعري ، والتقارظ ، والتهاني ، والتعازي الشعرية (وهي غير الرثاء) من انواع الشعر التي كانت سائدة في

القرن التاسع عشر وما قبله من القرون المتأخرة ،
ولعل معظم مساجلات الندوة العمرية من هذا
القبيل .

أ- الدعوة الى التماسك الاجتماعي :

يستخدم شعراء هذا الاتجاه الوسائل المتاحة
امامهم لاثارة العطف والشفقة على الفقراء ، ولعل
من افضلهم اسماعيل حتي فرج الذي يعدد المزايا
الدنيوية والاخروية للعتاء فهو نجدة وشجاعة
وشهامة وانسانية وفخار بين الناس وهو اجر وجنان
الرحمن يوم القيامة .

وقد يستثير عواطف السامعين بقصة يتم فقير
يخاطب امه ويعرض من خلال الخطاب الوان
البؤس التي يقاسيها ، ويرجع عبد العزيز
المجاذجي بين هذا الاتجاه وبين الاتجاه النقدي ،
فهو يبالغ في مديح الكرم والكرماء على عادة شعراء
الاحسان . وان كان ينفرد بين زملائه بدم بخلاء
الاغنياء ذماً يقره- لولا ما اسلف من مديح - من
الاتجاه النقدي^(١١١) وهو احياناً اقرب الى هذا
الاتجاه الأخير حين ينتقد المحتكرين من منطلق
الدين والانسانية ويهاجم اساليبهم في نهب قوت
الفقراء فيقترب كثيراً من روحية فاضل
الصيدلي^(١١٢) بل ان فاضل الصيدلي في بداياته
كان مترجماً بين مدح شهم اعطى (اربعين
طغراً) من الخنطة لجياع القرى والزراع وقد
اجتاحهم الجراد . وبين ان يهاجم الاغنياء (اكثر
الاحيان) لانهم لا يؤدون ما عليهم من حق للفقراء .

ب- نقد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدعوة الى تغييرها :

وباشتداد الازمات الاقتصادية ، وانتشار
الوعي بين الشعراء ، ظهر اتجاه الى اصلاح ينحو
منحى نقدياً ، يؤثر الظواهر السلبية وينتقد
مسببها ، ويدعوا الى علاجها علاجاً حقيقياً . فرى
شاعراً ساخراً كعبد الجبار الجومرد ينتقد التفاوت

الطبق في المجتمع رابطاً المسألة الاجتماعية بالمسألة
السياسية^(١١٣) .

ويهاجم محمود الملاح المستغلين الذين يمتصون
دماء البائسين ليفرقوا ما جمعوا على الموقات :

ما جمعوه من دموع بوائس
في كل مويقة له تفرق^(١١٤)

ويرثي الجومرد لبؤس الفلاح في عام شح فيه
الطروجف الزرع ولم ترحمه الضرائب^(١١٥) وتستمر
الازمات في الاربعينات^(١١٦) ويستمر المستغلون في
مص الدماء فيصب عليهم فاضل الصيدلي جام
غضبه^(١١٧) ، ويتابعه في ذلك مجموعة من الشعراء
الشباب الذين قد نجد في اشعارهم رؤية طبقية او
ثورية .. اما فاضل الصيدلي فانه لا يخرج عن حيز
الاتجاه الاصلاحى النقدي (بحكم ثقافته العربية
الاسلامية وسنه) فيواصل شن حملته العنيفة على
المستغلين والمحتكرين من ولادة الامور واشياعهم .
وهو مدرك لمساندة المحتكرين والمتلاعبين بقوت
الناس لبعضهم ، لان في اضطراهم ضعفاً لهم
جميعاً .

وينذر اثرىاء الحرب بسوء العاقبة^(١١٨) ويؤثر
استغلال المناصب لسلب قوت الناس واحتكار
(النفع المشاع) لهم ولاشياعهم .

ويعد محمود الملاح من شعراء الاصلاح النقدي
الواضحين ، فهو يصور بؤس الفقراء محملاً موقدي
الحرب المسؤولية^(١١٩) :

كم يجرم في الارض كم من سارق
يمشي اميناً في حمى القانون^(١٢٠)

فاذا تقدمنا في خمسينات القرن وجدنا معظم
الشعراء يتبنون فكراً اجتماعياً واضحاً يؤثر التباين
الطبقى الذي قد يصل لدى بعضهم الى درجة
الامان بالصرع ، ويؤمنون بوجود التغيير الثوري
للبنى الاجتماعية والاقتصادية ، بكل وسائل الثورة
الاجتماعية والسياسية المتاحة . ونحس في (قصائد غير
صالحة للنشر) ان شاذل طاقة يسقط على رمزه

روح العصر وان كان لا يخرج خروجاً كبيراً على اسس القصيدة (النوبة) العامة فنجد في قصيدته (البشرى بالولادة ومديح الصفات النبوية، وان كان مديحاً متسماً بالواقعية على غير عادة المداحين



محمد علي الياس العلواني

الصوفية، ثم يذكر انتصاره وصحابته، وتنتج لديه القيم الدينية بالقيم القومية العربية، (ولم يكن هذا الجيل من الشعراء ليفرق بينها والشاعر يطل على عصره من هذه النافذة) ويمجد الذكرى ويدعوننا الى احياء هذا التراث بالعودة اليه.

ب- قصيدة الاصلاحيين النوبة :

ومن الشعراء الذين نهجوا نهجاً (اصلاحياً)، وطوروا في قصيدة المولد النبوي من هم من رجال العلم الديني-اصلا- محمود الملاح وبشير الصقال، لكن معظمهم من ذوي الثقافة (المدنية الرسمية) على اختلاف في مستويات ثقافتهم، ومنهم ذوات اللون الشهاب.. الذي تبدأ احدي قصائده- في المولد- بهجاء الحرب ودعاتها، الذين تركوا القيم الروحية واستعبدتهم انانيتهم. ويدافع في محورتال من القصيدة عن الاسلام ضد اتهامات المستشرقين، ويذكر جهاد النبي في صياغة (بدو) الجزيرة صياغة جديدة (١٢٧).

ويدعو محمود الملاح الى جوهر الدين النبي مهاجماً مستغلبه ذوي المصالح المختلفة، والخرافيين، داعياً الى الاصلاح الديني، مهاجماً الجامعيين وذوي الشعارات الزائفة، معلنا ان العرب هم جوهر الاسلام. (١٢٧)

التاريخي بعد التفاوت الطبقي واستغلال الحاكمين للاكثرية المحرومة «كان ياما كان» (١٢١) كما يظهر التفاوت الطبقي لدى هاشم الطعان. (١٢٢) ولدى يوسف الصائغ (١٢٣)



هاشم الطعان

رابعا: الاتجاه الديني :

أ- قصائد المديح النبوي التقليدية والاصلاحية :

يمكننا ان نعد قصيدة عبد المجيد شوقي البكري نموذجاً لقصيدة المديح النبوي التقليدية. وهو وان كان لا يلتزم (خطة) ثابتة في بناء قصيدته من حيث تسلسل (موضوعاتها) الا ان هناك خطوطاً عرضية لاتكاد قصيدته تخرج عنها. (١٢٤)

ومن الشعراء الذين يمكن اعتبار قصائدهم قصائد ذات نهج تقليدي وان تضمنت احيانا شيئا من الالتفات الى احوال العصر والمجتمع. لكن هذا الالتفات (الوجيز) لا يخرجها عن طابعها الاساس ومهمتها التقليدية الشعراء اسماعيل حتي فرج ومؤيد رؤوف الغلامي ونعمة الله النعمة ومحمد علي الياس العلواني على تفاوت بينهم في الحفاظ على (تقليدية) القصيدة النبوية، بما لا يكاد يخرجها عن معاني الاقدمين- ولعل مؤيد رؤوف الغلامي الذي والى النظم في المناسبة اقرب الشعراء التقليديين الى مضامين قصائد عبد المجيد شوقي البكري. (١٢٥) وقد يكون اسماعيل حتي فرج افضلهم صياغة لجملة المعاني الشائعة في قصيدة المولد النبوي واقرهم الى

ويركز فاضل الصيدلي في قصيدته النبوية، وخاصة في شطرها الثاني على معالجة اوضاع المجتمع المعاصر، مهاجماً مظاهر الفساد والتفسيخ مستنهضاً الهمم للنهضة والإصلاح او لنجدة فلسطين، شأنه دائماً في ربط الماضي بالحاضر، والنظر في اوضاع الناس وهمومهم. (١٢٨)

وغير بعيد عن هذا التوجه، قصيدة عبدالعزيز الجادرجي، في ربطها الماضي بالحاضر ودعوتها الى الإصلاح الديني والدنيوي والى وحدة الامة العربية، ثم الاستجداد به لاصلاح مافسد منها الى قيمة الدرس الذي تعطيه الذكرى: والذكريات وهن كثر خيرها ذكرى تنبه في الشعوب شعوراً (١٢٩)

ج- قصيدة المناسبات الدينية :

استغل الشعراء عدداً من المناسبات الاسلامية لكي يعبروا عن مشاعرهم كمناسبة الحج (١٣٠) يعبرون فيها عن شوقهم لزيارة النبي ومكة المكرمة، مهتين من ادى الفريضة.

وينتزهون مناسبة حلول رمضان المبارك للتعبير عن عواطفهم ولیدعوا الناس الى التمسك بشعائر دينهم (١٣١). او يفتنمون مناسبة العام الهجري ليتذكروا ويستوحوا قيم الاسلام في تحولها الى تشريع اويستوحون قيم القوة والتصدي للاعداء في ذكرى موقعة بدر. كما ان عدداً من الشعراء قد وسعوا من دائرة (موضوعهم) فلم يقصروا شعرهم على المناسبات الدينية فحسب، فينظم محمد علي الياس العدواني قصيدة على لسان (امهات المدن الاسلامية) و (حديث مع المنارة الخدباء) او عن «المسجد»، او يكتب قصيدة «النور في الشريعة» داعياً الى احيائها (١٣٢).

خامساً- الاتجاه الوجداني :

ان الشعر لدى احمد بن محمود الفخري (١٨٦٢-١٩٦٢) «انين الوجد» ضاق به الصدر، يقول :

فما الشعر إلا خاطرات متم
يضيق بها صدراً فينفثها سحرًا (١٣٣)
وهو مفهوم للشعر حاول خليل مطران، وجهدت مدرسة الديوان من بعده ان توضحه. والشعر لدى احمد الفخري تجربة شخصية تفيض عنها مشاعر وخواطر، هو «تفيس عن نفس صاحبه»، وهذا ما قالت به الرومانتيكية (١٣٤) بل ان لنا ما نهدي به من تأريخ النقد العربي في هذا المجال. (١٣٥) وفي قصيدته النونية المعروفة نجد الصنعة البديعية فيها تقرب من العقوبة وتساهم في صعيد الإيقاع الداخلي للقصيدة كاحكام المقابلة والمجانسة بين الالفاظ والجمل في (حشو) الايات، وتتابع (الالقات المقصورة) والملمات في البيتين الاول والثاني مما يتيح إيقاعاً داخلياً متأنلاً، ويتيح لصوت المعنى ان يمتد، بل انه ليهتم ايضا بالتقفية الداخلية احياناً مما يجعل الموسيقى والإيقاع الداخلي والخارجي، تحتل الصدارة في شعر احمد الفخري، وهو معني بها اكثر- ربما من عناية بارتياذ اصقاع اخيلة او معان جديدة، اما عاطفة الحب فوجودة ساعد التناغم بين المشاعر والإيقاع على ابقائها حية متوهجة (على الرغم من تعبير الشاعر عنها بصورة تقليدية) الا انه استطاع ان (يفيضها) على الطبيعة والاشياء وجعلها تتناغم معه (وكادت الارض تبكي من تشاكبتا) (ونسيم الصبارق لنا) (والورق تصدح شجوا من تناجينا) فان هبطت المشاعر لاغراق الشاعر في مبالغة (بالدما تجري مآقبتا) او بصورة تقليدية (لاح كالبدن) او المستعارة من آخرين (نسبا يحينا فيحينا) الا ان ذلك لا يطنى احساسنا بالعاطفة الرقيقة الجائشة في انشاء القصيدة بل ربما طور الشاعر صورة من الصور القديمة وقدمها لنا وقد طبعها بطابعه الشخصي:

صرنا ننادم تمثالاً نجسمه

خيالكم فيظنوننا مجانينا (١٣٦)

واخيراً فالقصيدة - على الرغم من تذكرها ابن زيدون - الا انها تنتمي الى صاحبها وتطبع بطابعه

الخاص ومع هذا فان احمد الفخري شاعر مظلوم واقع في الظل ومن حقه على احد الدارسين ان يسلط على شعره الضوء .

أ- الغزل التقليدي :

قد نحس بعاطفة حب حقيقية لدى الشاعر، لكنه يعبر عنها بوسائله التقليدية بحكم ثقافته وطابع عصره . كما نجد في شعر علي الجميل ، على الرغم من ان صوره الكلية وجزيئات الصور (التشبيبات والاستعارات) مما هو شائع في شعر القرن التاسع عشر، الا ان بعد الشاعر عن بلده (يندوانه كان في اسطنبول) هو الذي منح شيئا من شعره هذا الزخم العاطفي الذي يتجلى في تكرار «سلام» ثماني مرات في مقطوعة تتألف من اثني عشر بيتا :

سلام على شمس بقلبي اشرفت

وهيأت تمحوها يد الغرب من قلبي

سلام عليكم والديار بعيدة

وهيأت من لي بالوصال وبالقرب (١٣٧)

ولعلي الجميل (قطع) أخرى في الغزل، تدور في معاني

الوجد والفراق والمواعيد والوصال مداراوصاف الحبيب

منها مدارحسي معبر عنه بصور تقليدية ولعل اصدقها

عاطفة وارقتها مقطوعة (انا والنسيم) (١٣٨) لكنه في

قصائده ومقطوعاته الأخرى (ومعظم ماوجده له

مقطوعات) ماكان منها مستقلا بموضوعه ، او موزنا

في مطالع قصائد المديح والتهاني لا يخرج في لغته ومعانيه

وصوره عن آفاق شعر الغزل والنسب التقليديين ، ومنه

مقطوعته التي مطلعها :

افدي حبيبا قد غدوت بحبه

صبا كنييا لا افيق ولا اعني

والتي مطلعها

حرام على عيني الرقاد حرام

ومن كان مثلي في الهوى أيلام

او

حلو الشائل يامن لا اسميه

وكلما قلت شعرا كنت اعنيه

او

سجعت بوادي الاثل من نعانه

طير بروض حف بالريحان (١٣٩)

ولغته في القصيدة الأخيرة مثلاً تستخدم الالفاظ

التي اصبحت مشاعا بين الصوفية واهل الغزل

التقليدي «النقا، العذيب، حاجر، الوراق،

الآرام والغزلان، العقيق، عالج الخ» وقد يكون

عذر شعراء هذه الفترة انهم ابناء عصرهم

وبيئاتهم ، وان رياح التجديد لم تكن قد وصلتهم

بعد .

وفاضل الصيدي-على قلعة ما نظم من شعروجداني -

لم يخل قلبه من هواجس وعواطف نظيفة ظهرت

على استحياء مطوقة برقابة خلقية (داخلية)

صارمة ، لكنه لم يسمح لقلبه ان يتوغل في تجربة

عميقة خاصة لكي لا يخرج على حدود (الحلال

والمعروف) ممارسة او خيالا ، فبني في نطاق يشبه

نطاق شعر شعراء بني عذرة العفيف ، يتسامى

بعاطفة الشباب المكبوتة فيرى في المرأة ذكاءها

وشخصيتها ويقرأ فضلاً عن جمال العيون روحها

ونفسها فقائسه للجمال روحية :

ياعيون الملاح مهلا وعذرا

لاتسائي مني فذلكت عيوني

انك الترجان للروح والقلب

واكرم بالترجان الأمين (١٤٠)

الا أننا لانقرأ له تطبيقاً لهذا (التنظير) الغرامسي ،

وظلت عواطف شبابه حيصة اطارها النظري .

ويشبهه في هذا الصيام عن الحب والغزل - الا

ماندر- مجالده اسماعيل حتي فرج الذي لم نقرأ من

(مخزون) عاطفته سوى ماباح به (لصورة) اغراه

بوصفها ابراهيم الواعظ - رئيس محاكم الاستئناف

آنذاك ورئيس الندوة العربية - لكنه سرعان

مانذكر- وهو ينساح مع الصورة - واجابه

الاخلاقية والاجتماعية (فينهى النفس عن الهوى)

فكيف اذن لم استجب داعي الهوى

وأن الهوى الزاكي لازكي واطهر

وان امراً لم يستجب لدعائه

فدعه فذاك الجماد المتحجر

ولكن لهذا الحب (حد) معين

فن جاوز المحدود في الحب يقبر^(١٤١)

وقد نقرأ في رحلة قاسم الشعار ابياتا تم عن لون من العاطفة او ابياتا هي الى السرد الوصفي اقرب تعبر عن مشاعر (سائح) عارضة :

عقدت طرفها ذهابا ايابا

حيث تخطو بموضع التحجيل

لاتؤمل تعليق عينيك في انسان

عينها فهو كالمستحيل^(١٤٢)

ب- الكلاسيكية الجديدة :

نلتقي في الثلاثينات باتجاه تجديد في شعر الحب يحاول ان يتخلص من لغة الغزل التقليدي الى لغة تقرب من الواقع في السرد والوصف وتبقى بحكم التطور التدريجي الذي حققته (الكلاسيكية الجديدة ومن شاعرها في العراق) على شيء من الصور القديمة والقوالب (المطورة) مع التخلص من المبالغة والصور المستهلكة ونحس بأن الشاعر يعبر عن تجربة معاشة يجاور فيها صدقه الشعوري الصدوق الفني - قدر الامكان - كما نجد لدى عبد العزيز الجادرجي في عدد من قصائد الحب والغزل^(١٤٣) .

ويرتفع الجادرجي أو يهبط ، في التعبير عن تجربة الحب لكنه يحاول شق طريق التحسس الشعري الجديد وشيء من هذه التجارب يحاول التسامي والاقتراب من تجارب (العذريين) ، او لربما من نفحات الرومانتيكية المبكرة ، ولعل للطبيعة المحافظة للمدينة اثرا في تأجيج عواطف الحبين بما تخلق من عواطف امام علاقاتهم . ان عبد العزيز الجادرجي يشكل حلقة وصل بين الكلاسيكية الجديدة «قول اشياء جديدة بقوالب قديمة» او شبه قديمة، وبين الرومانتيكية .

ج- طلائع الرومانتيكية :

لربما كان محمد وجدي الشريفي الشاعر المقل

اسبق من غيره في التأثر برياح الرومانتيكية ، بل

لعله من اسبق الشعراء العراقيين في هذا التوجه .
اننا نلمح هذه الملامح في رهاقة الحس . والانكفاء على الذات داخل اطار الآثبة ، والجنوح الى الخيال ، ومناجاة الطبيعة لاسقاط المشاعر والمهموم على مجالها ، كما نجد بلون في الازوان والقوافي شأن المجددين من شعراء المهاجر والديوان وابوللو .

ايها الطائر في ظل الفن

غن لي فالقلب أضناه الحزن

غن لي اني غريب في الوطن

بين قومي وذوي القربا ورفاقي^(١٤٤)

ونقرأ للحب معاني جديدة لم تكن معروفة لا عند التقليديين ولا عند الكلاسيكيين الجدد بلغة ليست بعيدة عن لغة الرومانتيكيين ، فالحب هبة الله ، وهو من روحه وفي الحب والحسن آيات الله يعرفها من يعرف الحب ، وشهد الحب خالد لايفنى .

قل هو الله حباك الحب من

روحه والله ذو فضل عظيم

ان روح الله ان حلت بقلب

حزين حل جنات النعم^(١٤٥)

واللغة - كما نرى - بسيطة خالية من الصنعة البديعة - والتراكيب متناغمة ، والقوافي متنوعة ، فضلا عن هذه الحساسية الحزينة التي نلمسها في معظم اشعاره ، وان موضوعاته لاتبتعد غالبا عن موضوعات الرومانتيكيين ، وهو وان عاصر الجادرجي - وبدأ بالنشر قبله ، الا انه اقرب منه الى الرومانتيكية لغة ومشاعر وصورا ومضامين^(١٤٦) .

ان آثارا رومانتيكية - عبر مدرسة الديوان والمهاجر وابوللو- قد أثرت بنسب متفاوتة في شعراء العقدين الثالث والرابع ، كما نرى لدى أكرم فاضل وعبد الحق فاضل وذو النون الشهاب وعبد الخالق طه الشعار ومجايلهم .. ويبدو ان بدايات الشعر الوجداني ذي الطابع الرومانتيكي كانت تتألف من تأثيري الشعر التجديدي الوافد متفاعلاً مع موروث شعر الحب العربي سيما لدى العذريين والصوفية .

بل ان (عواطف) من شعر الغزل الحسي التحقيقي ظلت في شيء من هذا الشعر الذي اطلقت عليه

صفة الرومانتيكية من باب التغليب (وانا استخدم المصطلحات للتقريب).

يمثل ذوالنون الشهاب ترجحاً بين عالمي الكلاسيكية الجديدة والرومانتيكية صوراً ولغة وتراكيب (وفي جملة المواقف الشعري) وقد بقي يرجح بينها طويلاً الى ان غلبت كفة الكلاسيكية الجديدة لتقلص مساحة الاخيلة الرومانتيكية التي ظلت يقاتل عليها في الاربعينيات والخمسينات، بعيداً عن التجارب المثرية، ولأن محاولته الطويلة للتوفيق بين التجديد، وبين شعر المناسبات (حتى الاخواني منها) انتهى بالنصر للاتجاه الأخير المتاح بصورة تدريجية وإن ظلت انفاس رومانتيكية تعبق من شعره بين الحين والحين كما في عدد من القطع التي نشرها في (الحدهاء) في السنوات الأخيرة (وان كنا لانعلم تاريخ نظمها).

وحب ذو النون الشهاب حب مثالي لا يكاد يلمس صفات حب حسية للحبيبة الا نادراً بل نحسها عبر خياله وعاطفته، فهي مثال للجمال واللقاء وجبه لها يجسد الطهر.

قد تنشقت من شذاك وان لم

ارتدد على حاك المصون^(١١٧)
والمرأة قصيدة ربابية يحتاج حبها الى السموفهي نور، وهي تجل الهي في الطبيعة كلما اعنت في ملاحظها ازدادت اعجاباً، وهي الخصب والخير العميم

نظم الآلة قصيدة فوعيتها
في لحظة تسمو على الملاحظات
تلك القصيدة وثبة فكرية
سطعت كبدر مشرق البسات^(١١٨)

ولعل من الوان الحب الرومانتيكي لدى الشعراء الموصلة في اربعينيات وخمسينيات هذا القرن، الحب المنعكس على (مرآة الطبيعة)، او المتحد بها توحداً قريباً من الحلول الصوفي، والمصطدم بالعوائق الاجتماعية التي تولد الاسى والحزن ومحاولات التسامي بالمشاعر (الحسية) الى (مثال)

اعلى للحب . والتكيف به وفق قيمة مثلى^(١١٩) .
فالكون يرق وتجمل الطبيعة التي يشق محمد عزة العبيدي لحبيته صفات من صفاتها، يغفل هذا الجمال لطيف حزين يوشع الطبيعة، وتشاطر النجوم والقمر الحبيب المخزون حزنه ويرسم خياله (عالم حبه البيوتوني) الخاص فيضرب موعداً للقاء في (وادي الجمال) يشرب فيه وحبيته شراب الهوى العاطر حبيبي اذا ما التقينا غدا

على مسرح الامل المنتظر
جرعنا شراب الهوى عاطرا
وهنا يوادي الجمال الاغر^(١٢٠)

ويتأثر الشاعر - محمد عزة العبيدي (بالبيوتيات) فيحاول إيجاد عالمه السعيد بعيداً عن هموم هذا العالم - في دنيا الخيال الرحبة، لا يشبه الجنة ولا النار، يدخله نديماً بين الندمان اذا اكتوى فبتار الشعر والسحر، يتعاطف معه الشياطين ويعلمون انهاء عصر القطيعة بين الانسان والشيطان ويهاجرون معا الى دارهم الاخرى حيث الخلود فيلتي الشاعر بالخيام ويكون مريده الخ :
يقولون هذا مثلنا عاش في الدنى

وها نحن وافينا في وهدة الفكر
الى العيش في دنيا ترتق صفوها
فتاه مع الاحلام في ريق العمر
فن بلد الاحزان قم نرتعل معا
في دارنا الاخرى خلود مدى الدهر^(١٢١)

وهو حين يصف الجمال الحسي يقيمه تنالاً من الجمال متفاعلاً مع جزئيات الطبيعة (البحر) بحيث تتعاطف الامواج الهائجة مع الجسد الرقيق، أو لنقل يطوع الجمال بسحره عفوان الموج^(١٢٢) ويتخيل الزهور تنقل رسالة من حبيته واصفاً الطبيعة الجميلة مسرح حبه^(١٢٣) .

ولعل من ابرز الشباب الذين اقتضوا خطى الرومانتيكيين المثالية الحاملة، هو الشاعر محمود فتحي المحروق، الذي يشنق الى عالم الروح والمثال، ويرتفع عن عالم الطين معتبلاً صهوة (بساط الريح، الى حيث (اهل السماء) وتسيح

او لجوءاً الى عالم الابدية ، او تحرراً من قيود الطين
وتسامياً عليه :

احورية الفجر لاتندمي

على حفنة من تراب السنين

افسقي في لفة للرحيل

وفي ظمأ لرحيق المنون

ونجد اصدقاء مما ذكرنا يتردد في كل قصيدة من

قصائد الديوان بقوة او بخفوت ويأس الشاعر

الرومانتيكي الى الصور التي تحفت حسيتها او

ترجع بين الحس والمعنى في اطار الضباب والليل

والفجر، ونادراً ما يؤثر الضوء الساطع بل يفضل جو

الاسرار والغموض والضباب المتناغم مع طابع

الحزن. ولعل من حق محمود المحروق علينا ان

نسجل انه كان اسبق زملائه الموصليين الى تمثل

تجربة شعر التفعيلة (الحز) الجديدة اذ نظم قصيدة

«ظلام» عام ١٩٤٨ ونوع فيها القوافي ووزع فيها في

التفعيلات توزيعاً جديداً وان ظلت الصور واللغة

والتركيب ضمن موقفه الرومانتيكي الطاعغي

وشاذل طاقة شاعر رومانتيكي منذ بدايات نضجه

القني، يجتمع لديه الحب والموت^(١٠٠) وقصائده في

(المساء الاخير) متائلة في رسم عالم الحزن

والاحلام والفرق والجنون والموت، في مشاركة

للطبيعة في هذه المشاعر، ولغة الديوان تحاول ان

تأنتق وان تنتق من الغريب والخشن من الالفاظ

والتركيب فهي--على غناها--لصلة شاذل طاقة

الجيدة بالتراث، مؤطرة باطار المعجم الرومانتيكي.

وتكون حبيسته--على عادة الرومانتيكيين والصوفية--

مثالا خارج الزمان والمكان وتتحول قصائده في

ديوان (ثم مات الليل) وما بعده الى ما يمكن تسميته

بالرومانتيكية الثورية، لتصبح أكثر انضباطاً من

الناحية العاطفية و(الخيالية) وأكثر قدرة على البناء

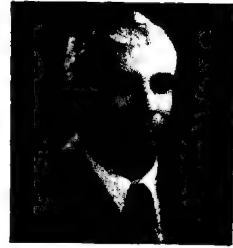
المحكم وتوظيف الرمز كما في قصيدته (وعاد

الرجال)^(١٠١) ويكاد الامر ينطبق على معظم

قصائد المجموعة الشعرية الكاملة مع تفاوت سببه

طبيعة بناء القصائد حيث يكون لتعدد الاصوات

واللوحات وتوظيف الرمز والانشغال بالهم السياسي



محمود ضحى المحروق

الملائك والانوار والنظام الالهي المستتب. ومجموعة

«قيثارة الريح»^(١٠٢) تمثله في طليعة الشعراء

الرومانتيكيين. بل لعله أكثر زملائه الرومانتيكيين

رومانتيكية--ان صح التعبير، شكلاً ومضموناً،

فن موضوعاته الاثيرة «الحب الطاهر» الذي يشيع

الحياة والجمال في محراب عباده، في محراب

الطبيعة، والاحلام والاخيلة تنوج الجبين وتغني

الحب فتكله وتقرب به من آفاق الخلود ويفصح

عن تأثره بالرومانتيكيين الفرنسيين حين يثبت في

ديوانه قصيدة (المساء) معلناً انها عن لامتري

(والعذراء) هي رمز مثالي للحب فهي نغمة الهوى

وروح الشعر وهمسة غيبية فاتنة اما هوفحياته هيام

وبحث وراء الاسرار وتكاد قصيدته «احورية الفجر»

تحدد (بصورة عامة مرنة) ابعاد القصيدة

الرومانتيكية لديه ولدى عدد من ابناء جيله :

فالحبيب صورة مشكلة من جزئيات جمال الطبيعة

ومن خيال الشاعر وهو أقرب الى الروح وال حلم وهذه

(الجماليات) الطبيعة الروحية موشحة بوشاح الالم

والحزن الذي يكون شفيفاً او كثيفاً، وعالم الحب هو

الملاذ من عالم الشقاء وهذا الحب الحلمى الطاهر

اقرب الى اجواء الاساطير، والمحبة قريبة من

الكيان الحلمى الاسطوري او الخيال الشعري

(احورية) وقد ترد بصورة ملاك او طيف

والشاعر لحن ودمعة وذهل وهروب الى الحب المثالي

ملجأ من دنيا الهوان وهو معنى يتكرر لدى

الرومانتيكيين كثيراً وهم يستعذبون--غالباً--عوالم

(المتافيزيقا) المثالية، وربما استعذبوا الموت هرباً،

الواقعي دخل في تقليص مساحة الذات الرومانتيكية المفردة ، وان ظلت الرومانتيكية تشكل ارضية لقصائده حتى النهاية .

وعبد الحلیم اللاوند ، رومانتيكي منذ بداياته حيث كان « يستقطب ذاته ويناجي فثاته مناجاة الليل والهوى .. حزين مترف الحزن »^(١٠٧) وقاموس عبد الحلیم اللاوند لم يكن يخرج تلك الايام عن قاموس الرومانتيكين المألوف حيث تشكل الطبيعة معظم مفرداته .

والملاحظ على شعراء هذه المرحلة ومن تلاهم - ممن هم على صلة جيدة بالتراث - انهم على شيء من الازدواج اللغوي ، مفردات وتراكيب (واكاد أقول مخيلة وتصويرا وحساسية) عندما يكتبون بالنوعين (العمودي او الحر) كشاذل طاقة وعبد الحلیم اللاوند وهاشم الطعان وحازم سعيد وغيرهم .. فهم الصق بالصيغ التراثية في قصائدهم العمودية وامتن تراكيب^(١٠٨) بينما يحاولون لغة بسيطة دقيقة .. وتراكيب مكثفة ، او ذات نكهة شعبية قريبة من الواقع ، في قصائدهم (الحر) .

ولا بد ان نلتفت قبل مغادرة هذه المرحلة الى عدد من الأسماء كعبد الخالق طه الشعار (البصري الموصل) الذي يمثل ارث شعر الحب العربي الذي يحاول التجدد متأثراً بشيء من اخيلة الرومانتيكين ولغتهم احيانا وبالكلاسيكيين الجدد غالباً ، وانت تحس انه يعبر عن تجربة حب صادقة وانه يمتلك ادوات تعبير موصلة^(١٠٩) ولغته متينة التراكيب على سلاستها وخلوها من الوعورة اما صوره فألوفة والمبتكر فيها قليل^(١١٠) .

ويمكن ان نضم احمد قاسم الفخري الى هذا الاتجاه الذي يمتلك العاطفة الصادقة التي لا يشط بها الخيال ، وتمتلك التصوير المنضبط العقلاني ، ويستفيد من معطيات الرومانتيكية لكنه يبقى مشدوداً الى ارضيته الثقافية العربية فهو الى الكلاسيكيين الجدد اقرب منه الى الرومانتيكيين يظهر ذلك بمتانة اللغة وفي استفادته من موروث الشعر العربي^(١١١) في شعر الحب وغيره ، وهو اقرب

الى مثالية العذريين في حبه^(١١٢) .

اما وجدانيات محمد علي الياس العدواني الرقيقة فهو فيها وريث امين لشعراء الحب العذريين في صدق عاطفتهم وتساهمهم^(١١٣) .

اما عبد المحسن عقراوي في قصائد حبه الحقيقية - ومن الصعب ان نفرزها - والمتخيلة - وما اكثرها - فهو شاعر رومانتيكي في الاطار العام ولكنه لم يعمق عناصر التجربة الرومانتيكية لديه ولم يطور حساسيته وادواته لربما بسبب ترجمه بينها وبين مقتضيات الالتزام الذي جعله ينحاز الى لون من (الرومانتيكية الثورية) . ويبقى السؤال : لِمَ لَمْ تكتمل القصيدة (رومانتيكية) لديه ؟ اهي محدودة القدرة على التحليق ؟ اهو طابع الخماس الثوري الذي التزم به ووزع طاقته الشعرية في اتجاهين (ذاتي) و (خارجي) .. وعوّد الشاعر على نمط من (التفكير) الشعري لغة وتصويراً تقوّل في داخله فلا تنوع ولا خروج من اطاره الا نادراً .. ام هو تحول الشعر الى احتراف تجعل التحسس الشعري آلياً ؟ ام هو نقص التفاعل بين التجربة والادوات الشعرية ؟

وسالم الخياز ، شاعر حسي واقعي لا يتعد عن مساحة الكلاسيكية الجديدة ، فهو يحاول التجويد والتجديد داخلها ، فهو في « جراح المدينة » حسي تقليدي في حبه^(١١٤) . ومهما يكن من أمر فان اللغة الرومانتيكية ، تلف القصيدة الوطنية والقومية .

واخيراً ، فان الموصل قدمت منذ الستينات اضافات مهمة الى خارطة الشعر العراقي الحديث ، أسهم فيها مجموعة طيبة من الشعراء امثال معد الجبوري وكامل النعيمي ، وبشرى البستاني وعبد الوهاب العدواني ، وحيدر محمود عبد الرزاق وعبد الوهاب اسماعيل واجمد محمد سعيد .. إلا اننا نوقفنا في المبحث عند الخمسينات لضرورات تاريخية وموضوعية .

الهوامش

(١) انظر: محمد سعيد الجليلي (جمع ونشر وتعليق) ، الاناشيد الموالية للمدارس العربية ، (الموصل ، ١٩٥٣) ص ٣١ - ١٥ .

- ١٣.
- (٣٥) ديوانه المخطوط.
- (٣٦) المصدر نفسه.
- (٣٧) المصدر نفسه، القيت في مهرجان حزب الاستقلال في بغداد بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٣.
- (٣٨) المصدر نفسه، القيت سنة ١٩٥٤ في مهرجان انتخابي.
- (٣٩) المصدر نفسه، ونظرت قصيدته: كفتك دموعك.
- (٤٠) سعد البراز (جمع) المجموعة الشعرية الكاملة، بغداد ١٩٧٧، ص ٢٦٣.
- (٤١) جريدة المثل ٦ مارس ١٩٥٤، جريدة المثل، ٢٤ حزيران ١٩٥٤ قصيدة ومع الكادحين.
- (٤٢) جريدة فتي العراق، ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٨.
- (٤٣) المصدر نفسه، قصيدة: نداء الاطلاح.
- (٤٤) جريدة فتي العراق، العدد ٢١٨٢، ١٩٥٨.
- (٤٥) جريدة فتي العراق ٧ آب ١٩٥٨.
- (٤٦) جريدة فتي العراق ٢ أيلول ١٩٦٠.
- (٤٧) جريدة فتي العراق ١٣ كانون الأول ١٩٦٠.
- (٤٨) ديوانه المخطوط، زودني بعدد من قصائده الدكتور احمد الحسو مشكوراً.
- (٤٩) انظر: المجموعة الشعرية الكاملة، الصفحات ٣٢٥-٣٢٩.
- (٥٠) ذكرى حبيب، ص ٩، ٣٣-٣٧.
- (٥١) ديوانه المخطوط: «شفت المسلوب في حياة القلوب» بحوذة حفيده احمد عبد الملا شريف.
- (٥٢) جريدة النجاح، العدد ٧٢ في جدي الأول ١٣٣٠هـ.
- (٥٣) ديوانه المخطوط بحوذة حفيده الدكتور سيار الجميل.
- (٥٤) ذكرى حبيب، ص ٥-٨.
- (٥٥) يوسف عز الدين، الشعر العراقي، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ١٣٢-١٤٦.
- (٥٦) ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل، ص ١٠.
- (٥٧) الجليلي، المصدر السابق: كالفارق بين «تشيد العرب سادات الاسم» لاسماعيل حتي فرج وبين بعض الاناشيد الأخرى.
- (٥٨) مجلة النادي العلمي، العدد ٧ في ١٥ نيسان ١٩١٩ وهي من قصائده القديمة.
- (٥٩) نظرت على سبيل المثال: ديوان اسماعيل حتي فرج (المخطوط) وكذلك ينظر: عمر الطالب، المسرحية التائية في الموصل، مجلة الجامعة، العدد (١٣)، ١ نيسان ١٩٧٣.
- (٦٠) ديوانه المخطوط.
- (٦١) المصدر نفسه.
- (٦٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.
- (٦٣) المصدر نفسه.
- (٦٤) ديوانه المخطوط.
- (٦٥) ذكرى حبيب، ص ٢٣٠-٢٣١.
- (٦٦) جريدة المال، ١٩ تشرين الأول ١٩٣٣.
- (٦٧) عدنان سامي نذير، عبد الجبار الجوردي: نشاطه الثقافي ودوره السياسي، (بغداد، ١٩٩١)، ص ٥٩.
- (٦٨) عدنان الراوي، حياته وأدبه، ص ١٦٢.
- (٦٩) تنظر قصائده في جريدة فتي العراق ٢١ تموز ١٩٤٩.
- (٢) احمد قاسم الفخري (جمع وتحقيق وتقديم)، ذكرى حبيب، (الموصل، ١٩٦٦)، ص ٣، ٢٤، ٤١-٢٢١.
- (٣) الجليلي، المصدر السابق، مقدمة الناشر، ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطورنا السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ص ٨٢، ٨٤، ١٤٧-١٤٨.
- (٤) الفخري، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (٥) الجليلي، المصدر السابق، ص ٤٩.
- (٦) انظر: ديوان اسماعيل حتي فرج، مخطوط لدى حفيده قصي آل فرج، وكذلك نسخة ديوانه لدى ابن اخيه عاهد الملاح «قصيدة الحنين الى الوطن» وقصائده الأخرى منها: «في طلاب دار المعلمين العالية»، «والدستور والأخلاق».
- (٧) جريدة فتي العراق ٢١ آب ١٩٣٥.
- (٨) جريدة فتي العراق، مارس ١٩٣٠ العدد (٢).
- (٩) جريدة صدى الجمهور ٢٩ تشرين الأول ١٩٣١.
- (١٠) جريدة صدى الجمهور ٣ تشرين الثاني ١٩٣١.
- (١١) جريدة البلاغ ٨ أيلول ١٩٣٣.
- (١٢) جريدة صدى الجمهور ٣ تشرين الثاني ١٩٣١.
- (١٣) جريدة البلاغ ١٠ شباط ١٩٣٣.
- (١٤) جريدة فتي العراق ١٠ تشرين الأول ١٩٣٤.
- (١٥) جريدة صدى الجمهور ٢٧ آب ١٩٣١.
- (١٦) جريدة المال ٢٤ آب ١٩٣٢.
- (١٧) جريدة البلاغ ١٥ ايار ١٩٣٦.
- (١٨) جريدة البلاغ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٥.
- (١٩) جريدة فتي العراق ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٨.
- (٢٠) جريدة فتي العراق ١٣ أيار ١٩٤٣.
- (٢١) مجلة الجزيرة، العدد (١)، ١ مارس ١٩٤٦.
- (٢٢) جريدة فتي العراق، ٣ أيار ١٩٤٣.
- (٢٣) ينظر على سبيل المثال: جريدة الهدى ٢٧ تموز ١٩٤٧، جريدة فتي العراق ٢٣ حزيران ١٩٤٧.
- (٢٤) جريدة العراق، ١٠ تموز، ١٧ تموز، ١١ آب ١٩٤٩، جريدة صدى الاحرار ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٠، «هذا الوطن»، (بغداد، ١٩٤٧)، ص ٢٠، ٢٥.
- (٢٥) جريدة فتي العراق ٣٠ نيسان ١٩٤١.
- (٢٦) جريدة فتي العراق ٧ أيار ١٩٤١.
- (٢٧) جريدة فتي العراق ١٠ أيار ١٩٤١.
- (٢٨) جريدة فتي العراق ١٤ أيار ١٩٤١.
- (٢٩) جريدة فتي العراق ٢١ أيار، ٢٤ أيار، ٢٨ أيار ١٩٤١.
- (٣٠) جريدة فتي العراق ٣١ أيار ١٩٤١.
- (٣١) جريدة فتي العراق ١٧ أيار ١٩٤١.
- (٣٢) «النشيد الأحمر» بغداد ١٩٥١، ص ١٤، ١٥، ١٨، ٢٦، ٤٨.
- (٣٣) ينظر: «هذا الوطن»، ص ٧، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٥ و«مَنَ الوطن» بيروت، ١٩٤٩، ص ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٧٤، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٨٥، ٩٣.
- (٣٤) الايام، نشرة الاعدادية، العدد (١٠)، نيسان ١٩٤٨، ص

- (٧٠) المجموعة الشعرية الكاملة، ص ص ١٣٣ - ١٣٤.
- (٧١) ديوانه المخطوط، ص ١٥.
- (٧٢) ديوانه المخطوط، قصيدة «حبيبي الوحدة».
- (٧٣) «مناقب الظل» ديوانه المخطوط، وجريدة في العراق ١٥ آذار ١٩٦٣.
- (٧٤) «ول تنب النبأ» مطبعة الجامعة، الموصل ١٩٨٣، مجموعة مشتركة، قصيدة احمد محمد احنات.
- (٧٥) «جراح المدينة» قصيدة اعراس تموز، ص ٥٧.
- (٧٦) «الترحل عن صهوة البراق» ص ص ١٣٣ - ١٣٨.
- (٧٧) ديوانه المخطوط: ٨.
- (٧٨) بنظر: جريدة في العراق ٨ نيسان، ١٥ نيسان، ٢٢ نيسان، ٢٨ نيسان ١٩٣٨ وكذلك ١٤ أيار ١٩٤١، الملاح الشاعر: ٢٢.
- (٧٩) جريدة في العراق ١٧ أيلول ١٩٣٦.
- (٨٠) جريدة البلاغ، ١ آب ١٩٣٣.
- (٨١) جريدة في العراق ٦ تموز ١٩٣٠.
- (٨٢) جريدة البلاغ ٢٤ تموز ١٩٣٦، وجريدة في العراق ٢٠ تموز ١٩٣٧، ومجلة (المجلة)، العدد (١)، ١ تشرين الأول ١٩٣٨.
- (٨٣) جريدة في العراق ١٣ كانون الثاني ١٩٤٧.
- (٨٤) هذا الوطن: ٤٥، «من العراق»: ٧٣، ٧٦.
- (٨٥) مجلة المجلة، العدد (٥)، ١٦ أيار ١٩٤١.
- (٨٦) جريدة في العراق ٥ حزيران ١٩٤٨.
- (٨٧) جريدة الهدى ١٦ مايس ١٩٤٨.
- (٨٨) جريدة في العراق ١٠ تموز ١٩٤٩.
- (٨٩) ديوانه (من العراق) ص ص ٧٣، ٧٦، ٧٩ - ٨٠، ٩١.
- (٩٠) صوت من الحياة: ٩٢.
- (٩١) ديوانه المخطوط: قصيدة «في عيد القطر».
- (٩٢) مجلة الجزيرة ١ مايس ١٩٤٦ العدد (١)، والمعدد (٢٩) في ١٩٤٨.
- (٩٣) جريدة نصير الحق ٣ أيلول ١٩٤٧، جريدة في العراق ١١ أيلول ١٩٤٧.
- (٩٤) جريدة النضال ٦ أيلول ١٩٤٨.
- (٩٥) جريدة في العراق ١٧ تموز ١٩٤٧.
- (٩٦) مجلة المعرفة ج ٢٩ السنة (٢)، ١٥ آذار ١٩٦٢ مقال: «جولة في شعر الملاح للشهيد جلال الحنفي».
- (٩٧) ديوانه المخطوط.
- (٩٨) مجلة المعرفة، العدد السابق.
- (٩٩) جريدة الحال ١٤ تشرين الأول ١٩٣١.
- (١٠٠) جريدة الرقيب ١٨ أيلول ١٩٣٨، ٢ تشرين الأول ١٩٣٨.
- (١٠١) جريدة البلاغ ٣١ كانون الثاني ١٩٣٦ وينظر ديوان اسماعيل حني فرج المخطوط: ٤٨، جريدة في العراق العدد ٣٩٠ في كانون الأول ١٩٣٧ قصيدة فاضل الصيدلي.
- (١٠٢) جريدة في العراق ٧ تشرين الأول ١٩٤٦ قصيدة الفاتنة المفتونة.
- (١٠٣) جريدة في العراق ١٠ نيسان ١٩٣٠.
- (١٠٤) ديوانه المخطوط، قصيدة «الوظائف عندنا» منشورة في جريدة البلاد العدد (٢٦)، سنة ١٩٢٩.
- (١٠٥) جريدة البلاغ ٢٨ كانون الأول ١٩٣٢ قصيدة: «الجمعة».
- (١٠٦) الديوان: ١٠١.
- (١٠٧) تنظر: مجلة النادي العلمي، العدد (١)، في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩ قصائد توفيق آل حسن آغا وفاضل الصيدلي، وفي العدد (٣)، ١٥ شباط ١٩١٩ والعدد (٤)، ٢٨ شباط ١٩١٩ قصيدتان لأحمد الفخري يمجّد فيها العلم وطلبه وفي العدد (٥)، ١٥ آذار ١٩١٩ يتاجى فاضل الصيدلي، طرول العلم داعياً إلى بعث عهد الازدهار العلمي والحضاري.
- (١٠٨) جريدة الرقيب، ٢٠ آب ١٩٣٩.
- (١٠٩) جريدة الحال ١ أيلول، ٢٣ أيلول ١٩٣١.
- (١١٠) جريدة في العراق ٢٦ شباط ١٩٣٥.
- (١١١) جريدة في العراق ٣٠ كانون الأول ١٩٤٢.
- (١١٢) جريدة الهلال ٢١ أيلول ١٩٤١.
- (١١٣) جريدة صدى الجمهور ٣ تشرين الثاني ١٩٣١.
- (١١٤) مجلة المعرفة، ١٥ آذار ١٩٦٢ مقال الشيخ جلال الحنفي.
- (١١٥) جريدة البلاغ ١٠ شباط ١٩٣٣.
- (١١٦) جريدة الهدى ١٥ شباط ١٩٤٨، ٣١ آذار ١٩٤٨ خيرٌ عن اجتماعين لمجلس الوزراء ولممثلي الاحزاب السياسية لمناقشة الازمة العيشية.
- (١١٧) انظر على سبيل المثال: جريدة في العراق ١٩ كانون الأول ١٩٤٦، جريدة الهدى ٦ تموز ١٩٤٧، جريدة في العراق ١٧ نيسان ١٩٤٧، جريدة في العراق ١١ تشرين الثاني ١٩٤٦، جريدة في العراق ١١ آب ١٩٤٧، جريدة الهدى ١٦ تموز ١٩٤٧.
- (١١٨) جريدة الهدى ١٦ تموز ١٩٤٧.
- (١١٩) مجلة المجلة، العدد (١٨) آذار ١٩٤٢.
- (١٢٠) مجلة المجلة، العدد (١٧) شباط ١٩٤٢.
- (١٢١) المجموعة الشعرية الكاملة: ٢٥٤.
- (١٢٢) وقصائد غير صالحة للنشر مجموعة مشتركة، مطبعة الهدف، للموصل، ١٩٥٦، ص ص ١٨، ٧، ٨٦.
- (١٢٣) المصدر نفسه، ص ١١٦.
- (١٢٤) جريدة صدى الاحرار، ٤ كانون الأول ١٩٥٠.
- (١٢٥) تنظر: قصائده في جريدة نصير الحق ١٧ آذار ١٩٤٤، جريدة الهلال ٢٩ آذار ١٩٤٢.
- (١٢٦) جريدة في العراق، العدد ٦٧، نيسان ١٩٤١.
- (١٢٧) ديوانه المخطوط. وتنظر قصيدته: «الرسول الاعظم» و«السيد الاعظم». وانظر: جريدة السجل، ١ تشرين الأول ١٩٥٠ قصيدة في رثاء الشيخ عبد الله النعمة.
- (١٢٨) جريدة في العراق ١٧ حزيران ١٩٣٨.
- (١٢٩) جريدة البلاغ ٢٠ حزيران ١٩٣٥ وينظر كذلك: جريدة الحال، ٦ تموز ١٩٣٣.
- (١٣٠) جريدة في العراق ١٣ كانون الأول ١٩٤٦. قصيدة عبد المجيد شوقي البكري «عاد الجميع». جريدة في العراق ١٦ حزيران ١٩٦٠ قصيدة عبد المحسن عقراوي «عودة النور». جريدة في

العراق ١٥ نيسان ١٩٦٦ وفي الشوق لزيارة النبي ء قصيدة محمد علي الياس المدلاني ، جريدة فتي العراق ٧ نيسان ١٩٦٦ وفي الشوق الى مكة المكرمة ء قصيدة محمد علي الياس المدلاني .

(١٣١) ينظر على سبيل المثال : جريدة فتي العراق ٢٥ آذار ١٩٦٠ قصيدة ذوالنورين يونس مصطفى ، وجريدة فتي العراق ١٧ شباط ١٩٦١ قصيدة احمد محمد اختار وقصيدة محمد الحسو وفي رمضانء من اوراقه المخطوطة .

(١٣٢) ينظر على سبيل المثال : جريدة فتي العرب ١٦ أيلول ١٩٦٥ ، جريدة فتي العراق ١٨ أيلول ١٩٦١ جريدة فتي العراق ٣ تموز ١٩٦١ .

(١٣٣) منيف موسى ، نظرية الشعر عند الشعراء القاد في الادب العربي الحديث ، من خليل مطران الى بدر شاكر السياب ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٨٤ .

(١٣٤) محمود الريسي ، في نقد الشعر ، ط ٤ ، دار للمعارف بمصر ، (القاهرة ، ١٩٧٧) ، ص ص ٩٦-٩٧ .

(١٣٥) احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار الامانة ونوثة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ١٧٠ .

(١٣٦) الايات المستشهد بها من القصائد التي زودني بها مشكوراً الدكتور سيار الجميل .

(١٣٧) ديوانه المخطوط .

(١٣٨) مجلة النادي العلمي بالموصل ، العدد (٤) ، ٢٨ شباط ١٩١٩ .

(١٣٩) ديوانه المخطوط .

(١٤٠) وهدية الاحرارء ص ص ٥٩ ، ١٧٧ .

(١٤١) ديوانه المخطوط .

(١٤٢) جريدة فتي العراق ٣١ آب ١٩٣٥ .

(١٤٣) انظر : جريدة الرقيب ١٤ آب ١٩٣٨ ، ١٠ ايلول ١٩٣٩ وجريدة الرقيب ٢٨ كانون الاول ١٩٣٨ وتنظر قصائده في جريدة الرقيب العدد (٩٠) ، سنة ١٩٣٩ والعدد (٨٢) سنة ١٩٣٩ والعدد (٧) سنة ١٩٣٩ .

(١٤٤) جريدة فتي العراق ٢٢ حزيران ١٩٣٠ .

(١٤٥) جريدة العال ١١ آذار ١٩٣٢ .

(١٤٦) للمزيد تنظر : قصائده في جريدة العال ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ ، ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٣ ، جريدة فتي العراق ٩ تموز ٢٧ تموز ، ٣١ آب ١٩٣٦ .

(١٤٧) جريدة فتي العراق ٢٦ كانون الاول ١٩٥٧ .

القصّة

أ. د عمر محمد الطالب

الموصل سابقاً وماضيه اللواء من أفضية ونواح ، بالنسبة لكُتّاب القصّة الذين ولدوا قبل تحديد محافظة نينوى الحالية .

أقمتُ مبحث القصّة في الموصل على الأسس الآتية :

(١) حددتُ الموصل بالتقسيم الجغرافي للواء ٣٨٢

(١٤٨) احمد فياض المقرجي ، المرأة في الشعر العراقي الحديث ، مطبعة الجامعة ، (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص ٧٦ .

(١٤٩) محمد غنيبي هلال ، الرومانتيكية ، دار الثقافة والعودة ، (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ص ٧٨ ، ١٧٩-١٨٩ وينظر : البريس ، الانجاعات الادبية في القرن العشرين ، ترجمة جوزيف طرايش ، دار عويدات ، (بيروت ، ١٩٦٥) ص ص ١٤٠-١٤٥ .

(١٥٠) من اوراق الشاعر محمود المرقوق نقلاً عن الفجر ، العدد (٤) في ٣٠ آذار ١٩٤٩ .

(١٥١) من اوراق الشاعر محمود المرقوق نقلاً عن مجلة الدنيا ، دمشق ، العدد (٩٩) في ١١ آذار ١٩٤٩ .

(١٥٢) من اوراق الشاعر محمود المرقوق ، عن مجلة الفجر ، السنة (١) ، ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

(١٥٣) المصدر نفسه ، عن مجلة الفجر العدد (٢) ، ١٥ كانون الاول ١٩٤٨ .

(١٥٤) مطبعة الاتحاد الجديدة في الموصل ١٩٥٤ .

(١٥٥) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ص ١٤٢ ، ١٦١-١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٩٤ وغيرها .

(١٥٦) ينظر : الشعر العراقي الحديث • حزيران ٦٧- تشرين الاول ١٩٧٣ ، مبحث البناء ، ص ص ٤٩٥-٤٩٩ .

(١٥٧) وقصائد غير صالحة للنشرء مقدمة شاذل طاقة لقصائد عبد الحليم اللاوند ، ص ص ٣١-٣٢ .

(١٥٨) جريدة فتي العراق ٨ كانون الثاني ١٩٦٣ وينظر المجموعة الشعرية لشاذل طاقة .. قصيدته في مؤتمر الادباء العرب القاهرة .

(١٥٩) ينظر : عدد من قصائده في جريدة فتي العرب ١٩ تشرين الثاني ، ٢٦ تشرين الثاني ، ١٧ كانون الاول ، ٣١ كانون الاول ١٩٥١ ، جريدة فتي العراق ٢٢ نيسان ١٩٥٣ .

(١٦٠) كذلك .

(١٦١) ديوانه المخطوط .

(١٦٢) المصدر نفسه ، قصيدة «طفولة حب» .

(١٦٣) جريدة الهدباء ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٤ .

(١٦٤) الصبا والشقاء القرزيةء : ١١٨ ، دواة ١٢٦-١٢٧ ، ميمد القلب ١٣٣ وغيرها . والفصول : ظمأ ص ٧٧ ، جحد ٧٩ ، سمراء وبيل ٨٤ . حذاء الراكب : متى صباحي : ٨٩ احبك ٩٣ .

(٢) عددتُ كل من ولد في الموصل موصلياً. وأن قضى ردحاً كبيراً من عمره في محافظة أخرى.

(٣) عنيت بكتاب القصة الذين جمعوا قصصهم في كتب منشورة.

(٤) لم أفق عند عدد كبير ممن نشروا قصصهم في الصحف والمجلات لأن الدراسة لم تستوعبهم تمثلاً بعدد الصفحات التي حددت لهذا الفن في الموسوعة.

(٥) توقف عدد كبير ممن نشروا قصصاً في الصحف والمجلات عن كتابة القصة.

أما الشباب فلم تكتمل أدواتهم الفنية بعد. لذا أرجأت الكتابة عنهم الى فرصة أخرى.

العوامل التي ساعدت على نشأة القصة في الموصل :

حدث التغيير في الموصل منذ القرن التاسع عشر. فقد حكم العراق بعض الولاة العثمانيين الذين وضعوا نصب أعينهم إصلاح الأوضاع المتردية فداود باشا ومدحت باشا مثلاً عملاً على تحسين الإدارة والري والأمن ثم أنهى الأمر بإعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ ، ومع هذا التغيير الأصلاحي فتفتحت عقول الموصلين ، فقد كانت العلاقات السياسية والتجارية وثيقة بين الموصل وبغداد واسطنبول وحلب ، فقد ذهب الموصليون الى استنبول للدراسة وعادوا متأثرين بما شاهدوه هناك من عوالم الحضارة والتقدم. كما كانت العلاقات الثقافية والدينية قوية بين الكنائس المسيحية في الموصل وبين الأوساط الدينية في لبنان وروما وباريس وظهرت الجمعيات السياسية القومية في الموصل تدعو الى الاستقلال بروح عربية وثابة ، ومارست أعمالها في الموصل بين عامي ١٩٠٨-١٩٢١ ، وأثرت هذه العوامل في تعلم اللغات الأجنبية الى جانب اللغة العربية . ومحاولة تقليد الأنواع الأدبية ولاسيما فن القص في أطاره

التمثيلي . فقد كتبت أول مسرحية عراقية في الموصل من قبل (القس حنا حبش) عام ١٨٨٠ المتوفي عام ١٨٨٢ وهي (كوميديّة آدم وحواء ، وكوميديّة يوسف الحسن ، وكوميديّة طوبيا) وأنتزع المؤلف موضوعي مسرحياته الثلاث من الكتاب المقدس . وقد أمثلت بالخطب والتعاليم الدينية وجدت شخصوها رذائل وفضائل مجردة لنشر المثل الدينية . وفي هذه المسرحيات قصص متقن ، فيه شخصيات رسمت رسماً محدداً.

وقدم الآباء الدومنيكان على مسرح مدرستهم في الموصل عام ١٨٨٩ مسرحية (نبوخذ نصر) للخوري هرمز نورس وكان مدرساً في المدرسة ذاتها ، ومثلت مسرحيته (لطيف وخوشابا) التريوية الاجتماعية على مسرح المدرسة ذاتها عام ١٨٩٣ لعلم آخر في المدرسة هو نعم فتح الله سحار المتوفي عام ١٩٠٠ ، وتوالت المسرحيات التي ألفها المعلمون في المدرسة أو التي ترجموها^(١) . وقد ساعد الفن التمثيلي كتاب القصة بعد ذلك على تفهم طبيعة الحدث الذي يشترك فيه كل من فني المسرحية والقصة . وعلى إدارة الحوار ورسم الشخصيات.

على الرغم من الاختلاف البين لهذين العنصرين المهمين بين فني القصة والمسرحية فقد ذكر كتاب المقامة في الأقطار العربية في القرن التاسع عشر ، مقلدين فيها مقامات بديع الزمان والحريري ، وقد ألفتوا الى ما فيها من عنصر قصصي ولاسيما في (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي في مصر و (مجمع البحرين) لناصر اليازجي في لبنان ، و (سجع القمرية في ربيع العمريّة) لأبي الشاء الآلوسي . وكانت محاولاتهم تتراوح بين التقليد والسلاسة البدعة .

ومن المقامات التي ظهرت في الموصل مقامة (السيد خليل البصير) عام ١٧٨١ ومقامة (ملحمة الموصل) للسيد فتح الله القادري المتوفي عام

١٧٨٩ وهما تصفان حصار (نادر شاه) للموصل عام ١٧٤٣ وأستيسال أهل الموصل وتضحيتهم في سبيل الحفاظ على مدينتهم وخضوع نادرشاه وطلبه الصلح من والي المدينة. ومقامة حسن عبد الباقي المتوفى عام ١٧٤٤ والتي تدور حول الموضوع ذاته وتصف المجاعة التي حلت في مدينة الموصل وذهب ضحيتها الآلاف من السكان ومقامة خليل يكتاش المتوفى عام ١٨٢٠ والتي تصور ما وصل اليه العلم من تدهور في مدينة الموصل على أيدي المشعوذين من طلبة العلم.^(٢١)

ولا ينكر أن للترجمة الأثر الكبير في توجيه فن القص في الموصل، فقد تعرف المثقفون الموصليون على آثار القصصيين الغربيين أمثال (فكتور هيجو وتولستوي وألكسندر دumas والفريدي موسىه) عن طريق الترجمة أكثر مما عرفوهم عن طريق قراءتهم بلغتهم الأصلية، وقد كانت الترجمة عن الفرنسية الأوسع انتشاراً لأن وزارة المعارف العثمانية، جعلت اللغة الفرنسية إجبارية في جميع المدارس الرشدية والأعدادية وفي المدارس العليا. وأصبحت الأوسع انتشاراً في أرجاء الدولة العثمانية. للعلاقات الدبلوماسية القوية بين الدولة العثمانية وفرنسا، هذا فضلاً عن تقارب التيارات الثقافية بين الشعوب في حوض البحر المتوسط، كما أن بعض كتاب فرنسا لعبوا أدواراً أساسية مهمة في حياة بلادهم وأصبح أهمهم رمزاً للحرركات التحريرية وذاع صيتهم مثل فكتور هيجو على سبيل المثال لا الحصر.

وساعدت الصحف والمجلات اللبنانية والمصرية التي دخلت الموصل، على فتح أعين الموصليين على فن القص، الجديد عليهم كل الجدة، بعد أن كانت فكرة أحياء الأدب العربي القديم والأهتمام بالشعر قد سيطرا على الجو الأدبي فيها، ومن المجلات العربية التي عنت بالفن القصصي ونشرته على صفحاتها، وقرأها مثقفوا الموصل، (البشير) ١٨٧٠، (الجنان) ١٨٧٠، (الأهرام) ١٨٧٦،

(لسان الحال) ١٨٧٧، (الصفاء) ١٨٨٦، (جريدة لبنان) ١٨٩١، (الكشفة) ١٨٩٥، (المقتطف) ١٨٨٧، (الهلل) ١٨٩٢، (المشرق) ١٨٩٨، (فتاة الشرق) ١٩٠٦، (البرق) ١٩١٠، (الفائس) ١٩١٢.^(٢٢)

وذكرت لفظة (رواية) لأول مرة في العراق في جريدة (صدى بابل) عام ١٩٠٨، حيث أوردت «فنشر لهم المقالات السياسية والخطب الأدبية والأخبار الخيالية والروايات الفكاهية مما يلذ سمعه وتلذذ مطالعته» (العدد الأول) ونشر في العدد ذاته رواية ملخصة عن الأدب الغربي تحت عنوان (رواية العدل أساس الملك) وهي حكاية من نوع المغامرات التي تستهدف العبث والعظة، وقد نشرت مسلسلّة في سبعة أعداد.

وتبعت جريدة (الرقب) عام ١٩٠٩ جريدة صدى بابل حين نشرت رواية مترجمة عن الفرنسية بقلم الأب أنستاس الكرملّي بعنوان (الأصعبي). ووضح الدافع الذي دفعه لترجمتها في مقدمة طويلة يجتزئ منها قوله: «عزما أن نتحف قراء الرقيب ببعض هذه الروايات أطلاعاً على آداب الأفرنج وأقوالهم في هذا الصدد وتسليّة القارئ وحثاً لأبناء المطالعة على تشرب حب الأدب والمناقب والمآثر من خلال تلك السطور» (العددان ١٧١، ١٧٢)، وترجم الأب أنستاس الكرملّي في مجلته (لغة العرب) عام ١٩١١ قصة (ينبوع الشقاء) ل (كزافيه ميريه) وأطلق عليها اسم (الأحدثة)، ونشر قصة مترجمة أخرى بعنوان (مريم) في المجلة ذاتها عام ١٩١٢.

وتتماز هذه الروايات المترجمة بأسلوب تعليمي وعظمي يدعو الى التمسك بالفضائل والخصال الحميدة في إطار رومانتيكي يستند على التوضيحية في سبيل الغير والعمل من أجل الآخرين ومن أوائل المترجمين عن الفرنسية (دروفايل بطي) الذي ترجم رواية (يوم زلزلت الأرض زلزالها) ونشرها في

الصحف التي أصدرها عام ١٩٢٩. وترجم عبد المسيح وزير عام ١٩٢١ رواية (القصيرة في مقصورتها) للبارونة زيتيدانكوف، وترجم ذنون أيوب عن الأنكليزية (المطف) لكوكول عام ١٩٣٢ ورواية (المكفول) لجيركوف عام ١٩٣٣ و (الأم) لغوركسي عام ١٩٣٤، وأشترك مع أكرم فاضل في ترجمة رواية (الآباء والأبناء) لترجنيف عام ١٩٥٠ ورواية (أسد الفلاندرز) لهايريج كونيس ترجمها عن الألمانية، كما ترجم غانم الدباغ قصصاً عن الأنكليزية بعنوان (قصص من الغرب) عام ١٩٥٠. هذا بالإضافة الى الترجمات العربية الكثيرة للقصص والروايات.

وبعد انتشار القصص عن طريق الترجمة والصحافة تغيرت نظرة الأدباء الى الفن القصصي وفهموا نظره وبخاصة أولئك الذين يجهدون اللغات الأوربية. وأقبلوا على كتابة هذا اللون من الأدب، وكان هؤلاء المترجمين أثر آخر، هو أنهم ذللوا اللغة العربية وأساليها حتى أستلانت، مما سهل الأمر على كتاب القصة ومهد لهم السبيل للخلق والأبداع.

وكان لظهور الأفكار الاجتماعية الجديدة أثر مباشر في ظهور الفن القصصي. فقد كان (الحب) خطيئة فوجد من يدافع عنه، وكانت (الحرية) مجرد كلمة تقال فوجدت من يضحي بنفسه من أجلها، وكانت (الطبقات الاجتماعية) قدراً مقبولاً، والأقطاع سمة العصر فبدأ التفسخ في هذا الكيان الاجتماعي مع ظهور طلائع الطبقة الجديدة طبقة المثقفين وصغار الموظفين والعمال، وتغير الكثير من المفاهيم والتقاليد وأساليب الحياة، وتغيرت الملابس، وحل السروال الغربي محل الثياب المرسلة السابقة. ولكن الجهد الحقيقي لهذا العصر يتمثل في محاولات الإصلاح الاجتماعي التي مهدت للفن القصصي لما أتسمت به هذه المحاولات من واقعية في النظرة ومحاولة تحرير شخصية الفرد من ناحية،

وأبراز الشخصية العربية من الناحية الأخرى، ومن هذه المحاولات التي تستهدف تحرير الفرد والمجتمع، محاولة تحرير ثقافة الفرد وتحليصه من الحصار الذي ضربه نظام التعليم القديم حوله، فأنشئت في العراق كليات الحقوق والطب ودار المعلمين العالية الى جانب دور المعلمين الابتدائية وطبقت المناهج الغربية المتحررة، ودفع المقتدرون اقتصادياً بأبنائهم الى أوربا ليستفيدوا من ثقافتها المتطورة. ودعا بعض الكتاب العرب المناثرين بالفكر الأوربي (الطني السيد) مثلاً الى احترام العقل والتفكير وتغليب اعتبارات المصلحة القومية والنظرة الواقعية على العاطفية والخماس الخطائي، والى دراسة علاقة الفرد بالمجتمع، وتفسير السلوك البشري تفسيراً علمياً يخضع للتطور ويتأثر بمناهج المفكرين الغربيين، وتنصح محاولات الإصلاح الاجتماعي في محاولة (قاسم أمين) وأمله في تحرير المرأة، ودعوته لمشاركتها الرجل في العمل والحياة العامة، وقد لاقت هذه الدعوات صدى في الموصل، فن الناحية الاجتماعية ظهرت المرأة من خدرها، ودخلت المدرسة لتتعلّم وتتشف. بعد أن كان ينظر الى تعليم المرأة نظرة احتقار وأسئهان، كما دخلت الجامعة جنباً الى جنب مع الرجل ونجرت للعمل معه وخاصة في مجالي التعليم والطب. ونشطت الأقلام في الكتابة عن المرأة وزخرت القصة في الموصل بموضوعات الحب، بل أستغرقت أكثر قصص الرواد من كتاب القصة في الموصل مثل (سليم بطي). وتطرق القاص في الموصل الى مشكلات المرأة في المجتمع العراقي وأهم بمشكلة الزواج والطلاق والبغاء والخيانة الزوجية والقتل غسلاً للعار كما في قصص (يوسف متي وذنون أيوب وعبد الحق فاضل).

وقد تفاعلت الموصل مع الأولوية العراقية الأخرى ومع الأفكار العربية تفاعلاً فكرياً واجتماعياً وسياسياً، وكانت فكرة القومية هي الفكرة التي

تبلورت في نفس المواطن الموصل كما تبلورت في نفس المواطن العربي على حد سواء. وليست ثورة العشرين في العراق. والتي أمتد أثرها الى الموصل - وثورة ١٩١٩ في مصر إلا انتصاراً للفكرة القومية في المجال السياسي، وبعث قيام هاتين الثورتين في نفوس المثقفين أملاً بتحقيق الشخصية العربية وأستقلال هذه الشخصية في شتى المجالات الفكرية والأدبية.

وقد أهتمت القصة في الموصل اهتماماً كبيراً بالقضايا السياسية. وعزّت بصورة مباشرة أو غير مباشرة فساد الأجهزة الإدارية وتأثير ذلك على الشعب الفقير، والفقران والنقمة والثورة التي كانت تحتاج صدور المتعلمين العارفين ببواطن الأمور. ونتج عن مواجهة الموصليين لواقعهم مواجهة أيجابية أن أصبحوا صادقين في التعبير عن أزماتهم ومشكلاتهم والأحداث التي يمرون بها والواقع الذي يعيشونه، كما أن الثورة قوت فيهم دقة الملاحظة لكي يستوعبوا هذا الواقع بتفاصيله وجزئياته، وأنعكس كل ذلك على فن كتابة القصة في الموصل فأهم كتاب القصة اهتماماً كبيراً بالجزئيات، ورأوا

العربي الجزل الخالي من التصنع. وتعد جريدة (نينوى) الصادرة عام ١٩٠٩ أول جريدة أهلية تصدر في الموصل وتلتها جريدة (التجاح) عام ١٩١٠ ورأس تحريرها (خير الدين العمري) أحد مثقفي الموصل. وصدرت في أوائل الحكم الوطني جريدة (الجزيرة) عام ١٩٢٢ وجريدة (العهد) عام ١٩٢٥ وجريدة (العمال) عام ١٩٣١، ونشطت الصحافة الموصلية في الثلاثينات حيث صدرت ست عشر صحيفة منها: الرقيب، المعارف، الأخلاص، الحق، فتى العراق، صدى الجمهور، البلاغ، وصدرت في الأربعينات صحف أخرى منها: نصير الحق، الأديب، صوت الأمة، الهلال، النضال، الهدى، الراافدين، الأبتكار، صوت الأحرار، وصدر في الخمسينات عدد كبير من الصحف في الموصل منها: المثال، الهدف، اللواء، الرابة، الحدياء، الكشكول، الفنار، الأساس، المستقبل، صدى الأهالي، لواء الحق، الروافد، صدى الاشتراكية، الأنشاء، الجداول، الحقيقة، الشبيبة، الأخبار التجارية.

<p>العدد ٥ سنة الأولى</p> <p>١٩٣٥ ١٩٣٤ ١٩٣٣ ١٩٣٢ ١٩٣١ ١٩٣٠ ١٩٢٩ ١٩٢٨ ١٩٢٧ ١٩٢٦ ١٩٢٥ ١٩٢٤ ١٩٢٣ ١٩٢٢ ١٩٢١ ١٩٢٠ ١٩١٩ ١٩١٨ ١٩١٧ ١٩١٦ ١٩١٥ ١٩١٤ ١٩١٣ ١٩١٢ ١٩١١ ١٩١٠ ١٩٠٩ ١٩٠٨ ١٩٠٧ ١٩٠٦ ١٩٠٥ ١٩٠٤ ١٩٠٣ ١٩٠٢ ١٩٠١ ١٩٠٠ ١٨٩٩ ١٨٩٨ ١٨٩٧ ١٨٩٦ ١٨٩٥ ١٨٩٤ ١٨٩٣ ١٨٩٢ ١٨٩١ ١٨٩٠ ١٨٨٩ ١٨٨٨ ١٨٨٧ ١٨٨٦ ١٨٨٥ ١٨٨٤ ١٨٨٣ ١٨٨٢ ١٨٨١ ١٨٨٠ ١٨٧٩ ١٨٧٨ ١٨٧٧ ١٨٧٦ ١٨٧٥ ١٨٧٤ ١٨٧٣ ١٨٧٢ ١٨٧١ ١٨٧٠ ١٨٦٩ ١٨٦٨ ١٨٦٧ ١٨٦٦ ١٨٦٥ ١٨٦٤ ١٨٦٣ ١٨٦٢ ١٨٦١ ١٨٦٠ ١٨٥٩ ١٨٥٨ ١٨٥٧ ١٨٥٦ ١٨٥٥ ١٨٥٤ ١٨٥٣ ١٨٥٢ ١٨٥١ ١٨٥٠ ١٨٤٩ ١٨٤٨ ١٨٤٧ ١٨٤٦ ١٨٤٥ ١٨٤٤ ١٨٤٣ ١٨٤٢ ١٨٤١ ١٨٤٠ ١٨٣٩ ١٨٣٨ ١٨٣٧ ١٨٣٦ ١٨٣٥ ١٨٣٤ ١٨٣٣ ١٨٣٢ ١٨٣١ ١٨٣٠ ١٨٢٩ ١٨٢٨ ١٨٢٧ ١٨٢٦ ١٨٢٥ ١٨٢٤ ١٨٢٣ ١٨٢٢ ١٨٢١ ١٨٢٠ ١٨١٩ ١٨١٨ ١٨١٧ ١٨١٦ ١٨١٥ ١٨١٤ ١٨١٣ ١٨١٢ ١٨١١ ١٨١٠ ١٨٠٩ ١٨٠٨ ١٨٠٧ ١٨٠٦ ١٨٠٥ ١٨٠٤ ١٨٠٣ ١٨٠٢ ١٨٠١ ١٨٠٠ ١٧٩٩ ١٧٩٨ ١٧٩٧ ١٧٩٦ ١٧٩٥ ١٧٩٤ ١٧٩٣ ١٧٩٢ ١٧٩١ ١٧٩٠ ١٧٨٩ ١٧٨٨ ١٧٨٧ ١٧٨٦ ١٧٨٥ ١٧٨٤ ١٧٨٣ ١٧٨٢ ١٧٨١ ١٧٨٠ ١٧٧٩ ١٧٧٨ ١٧٧٧ ١٧٧٦ ١٧٧٥ ١٧٧٤ ١٧٧٣ ١٧٧٢ ١٧٧١ ١٧٧٠ ١٧٦٩ ١٧٦٨ ١٧٦٧ ١٧٦٦ ١٧٦٥ ١٧٦٤ ١٧٦٣ ١٧٦٢ ١٧٦١ ١٧٦٠ ١٧٥٩ ١٧٥٨ ١٧٥٧ ١٧٥٦ ١٧٥٥ ١٧٥٤ ١٧٥٣ ١٧٥٢ ١٧٥١ ١٧٥٠ ١٧٤٩ ١٧٤٨ ١٧٤٧ ١٧٤٦ ١٧٤٥ ١٧٤٤ ١٧٤٣ ١٧٤٢ ١٧٤١ ١٧٤٠ ١٧٣٩ ١٧٣٨ ١٧٣٧ ١٧٣٦ ١٧٣٥ ١٧٣٤ ١٧٣٣ ١٧٣٢ ١٧٣١ ١٧٣٠ ١٧٢٩ ١٧٢٨ ١٧٢٧ ١٧٢٦ ١٧٢٥ ١٧٢٤ ١٧٢٣ ١٧٢٢ ١٧٢١ ١٧٢٠ ١٧١٩ ١٧١٨ ١٧١٧ ١٧١٦ ١٧١٥ ١٧١٤ ١٧١٣ ١٧١٢ ١٧١١ ١٧١٠ ١٧٠٩ ١٧٠٨ ١٧٠٧ ١٧٠٦ ١٧٠٥ ١٧٠٤ ١٧٠٣ ١٧٠٢ ١٧٠١ ١٧٠٠ ١٦٩٩ ١٦٩٨ ١٦٩٧ ١٦٩٦ ١٦٩٥ ١٦٩٤ ١٦٩٣ ١٦٩٢ ١٦٩١ ١٦٩٠ ١٦٨٩ ١٦٨٨ ١٦٨٧ ١٦٨٦ ١٦٨٥ ١٦٨٤ ١٦٨٣ ١٦٨٢ ١٦٨١ ١٦٨٠ ١٦٧٩ ١٦٧٨ ١٦٧٧ ١٦٧٦ ١٦٧٥ ١٦٧٤ ١٦٧٣ ١٦٧٢ ١٦٧١ ١٦٧٠ ١٦٦٩ ١٦٦٨ ١٦٦٧ ١٦٦٦ ١٦٦٥ ١٦٦٤ ١٦٦٣ ١٦٦٢ ١٦٦١ ١٦٦٠ ١٦٥٩ ١٦٥٨ ١٦٥٧ ١٦٥٦ ١٦٥٥ ١٦٥٤ ١٦٥٣ ١٦٥٢ ١٦٥١ ١٦٥٠ ١٦٤٩ ١٦٤٨ ١٦٤٧ ١٦٤٦ ١٦٤٥ ١٦٤٤ ١٦٤٣ ١٦٤٢ ١٦٤١ ١٦٤٠ ١٦٣٩ ١٦٣٨ ١٦٣٧ ١٦٣٦ ١٦٣٥ ١٦٣٤ ١٦٣٣ ١٦٣٢ ١٦٣١ ١٦٣٠ ١٦٢٩ ١٦٢٨ ١٦٢٧ ١٦٢٦ ١٦٢٥ ١٦٢٤ ١٦٢٣ ١٦٢٢ ١٦٢١ ١٦٢٠ ١٦١٩ ١٦١٨ ١٦١٧ ١٦١٦ ١٦١٥ ١٦١٤ ١٦١٣ ١٦١٢ ١٦١١ ١٦١٠ ١٦٠٩ ١٦٠٨ ١٦٠٧ ١٦٠٦ ١٦٠٥ ١٦٠٤ ١٦٠٣ ١٦٠٢ ١٦٠١ ١٦٠٠ ١٥٩٩ ١٥٩٨ ١٥٩٧ ١٥٩٦ ١٥٩٥ ١٥٩٤ ١٥٩٣ ١٥٩٢ ١٥٩١ ١٥٩٠ ١٥٨٩ ١٥٨٨ ١٥٨٧ ١٥٨٦ ١٥٨٥ ١٥٨٤ ١٥٨٣ ١٥٨٢ ١٥٨١ ١٥٨٠ ١٥٧٩ ١٥٧٨ ١٥٧٧ ١٥٧٦ ١٥٧٥ ١٥٧٤ ١٥٧٣ ١٥٧٢ ١٥٧١ ١٥٧٠ ١٥٦٩ ١٥٦٨ ١٥٦٧ ١٥٦٦ ١٥٦٥ ١٥٦٤ ١٥٦٣ ١٥٦٢ ١٥٦١ ١٥٦٠ ١٥٥٩ ١٥٥٨ ١٥٥٧ ١٥٥٦ ١٥٥٥ ١٥٥٤ ١٥٥٣ ١٥٥٢ ١٥٥١ ١٥٥٠ ١٥٤٩ ١٥٤٨ ١٥٤٧ ١٥٤٦ ١٥٤٥ ١٥٤٤ ١٥٤٣ ١٥٤٢ ١٥٤١ ١٥٤٠ ١٥٣٩ ١٥٣٨ ١٥٣٧ ١٥٣٦ ١٥٣٥ ١٥٣٤ ١٥٣٣ ١٥٣٢ ١٥٣١ ١٥٣٠ ١٥٢٩ ١٥٢٨ ١٥٢٧ ١٥٢٦ ١٥٢٥ ١٥٢٤ ١٥٢٣ ١٥٢٢ ١٥٢١ ١٥٢٠ ١٥١٩ ١٥١٨ ١٥١٧ ١٥١٦ ١٥١٥ ١٥١٤ ١٥١٣ ١٥١٢ ١٥١١ ١٥١٠ ١٥٠٩ ١٥٠٨ ١٥٠٧ ١٥٠٦ ١٥٠٥ ١٥٠٤ ١٥٠٣ ١٥٠٢ ١٥٠١ ١٥٠٠ ١٤٩٩ ١٤٩٨ ١٤٩٧ ١٤٩٦ ١٤٩٥ ١٤٩٤ ١٤٩٣ ١٤٩٢ ١٤٩١ ١٤٩٠ ١٤٨٩ ١٤٨٨ ١٤٨٧ ١٤٨٦ ١٤٨٥ ١٤٨٤ ١٤٨٣ ١٤٨٢ ١٤٨١ ١٤٨٠ ١٤٧٩ ١٤٧٨ ١٤٧٧ ١٤٧٦ ١٤٧٥ ١٤٧٤ ١٤٧٣ ١٤٧٢ ١٤٧١ ١٤٧٠ ١٤٦٩ ١٤٦٨ ١٤٦٧ ١٤٦٦ ١٤٦٥ ١٤٦٤ ١٤٦٣ ١٤٦٢ ١٤٦١ ١٤٦٠ ١٤٥٩ ١٤٥٨ ١٤٥٧ ١٤٥٦ ١٤٥٥ ١٤٥٤ ١٤٥٣ ١٤٥٢ ١٤٥١ ١٤٥٠ ١٤٤٩ ١٤٤٨ ١٤٤٧ ١٤٤٦ ١٤٤٥ ١٤٤٤ ١٤٤٣ ١٤٤٢ ١٤٤١ ١٤٤٠ ١٤٣٩ ١٤٣٨ ١٤٣٧ ١٤٣٦ ١٤٣٥ ١٤٣٤ ١٤٣٣ ١٤٣٢ ١٤٣١ ١٤٣٠ ١٤٢٩ ١٤٢٨ ١٤٢٧ ١٤٢٦ ١٤٢٥ ١٤٢٤ ١٤٢٣ ١٤٢٢ ١٤٢١ ١٤٢٠ ١٤١٩ ١٤١٨ ١٤١٧ ١٤١٦ ١٤١٥ ١٤١٤ ١٤١٣ ١٤١٢ ١٤١١ ١٤١٠ ١٤٠٩ ١٤٠٨ ١٤٠٧ ١٤٠٦ ١٤٠٥ ١٤٠٤ ١٤٠٣ ١٤٠٢ ١٤٠١ ١٤٠٠ ١٣٩٩ ١٣٩٨ ١٣٩٧ ١٣٩٦ ١٣٩٥ ١٣٩٤ ١٣٩٣ ١٣٩٢ ١٣٩١ ١٣٩٠ ١٣٨٩ ١٣٨٨ ١٣٨٧ ١٣٨٦ ١٣٨٥ ١٣٨٤ ١٣٨٣ ١٣٨٢ ١٣٨١ ١٣٨٠ ١٣٧٩ ١٣٧٨ ١٣٧٧ ١٣٧٦ ١٣٧٥ ١٣٧٤ ١٣٧٣ ١٣٧٢ ١٣٧١ ١٣٧٠ ١٣٦٩ ١٣٦٨ ١٣٦٧ ١٣٦٦ ١٣٦٥ ١٣٦٤ ١٣٦٣ ١٣٦٢ ١٣٦١ ١٣٦٠ ١٣٥٩ ١٣٥٨ ١٣٥٧ ١٣٥٦ ١٣٥٥ ١٣٥٤ ١٣٥٣ ١٣٥٢ ١٣٥١ ١٣٥٠ ١٣٤٩ ١٣٤٨ ١٣٤٧ ١٣٤٦ ١٣٤٥ ١٣٤٤ ١٣٤٣ ١٣٤٢ ١٣٤١ ١٣٤٠ ١٣٣٩ ١٣٣٨ ١٣٣٧ ١٣٣٦ ١٣٣٥ ١٣٣٤ ١٣٣٣ ١٣٣٢ ١٣٣١ ١٣٣٠ ١٣٢٩ ١٣٢٨ ١٣٢٧ ١٣٢٦ ١٣٢٥ ١٣٢٤ ١٣٢٣ ١٣٢٢ ١٣٢١ ١٣٢٠ ١٣١٩ ١٣١٨ ١٣١٧ ١٣١٦ ١٣١٥ ١٣١٤ ١٣١٣ ١٣١٢ ١٣١١ ١٣١٠ ١٣٠٩ ١٣٠٨ ١٣٠٧ ١٣٠٦ ١٣٠٥ ١٣٠٤ ١٣٠٣ ١٣٠٢ ١٣٠١ ١٣٠٠ ١٢٩٩ ١٢٩٨ ١٢٩٧ ١٢٩٦ ١٢٩٥ ١٢٩٤ ١٢٩٣ ١٢٩٢ ١٢٩١ ١٢٩٠ ١٢٨٩ ١٢٨٨ ١٢٨٧ ١٢٨٦ ١٢٨٥ ١٢٨٤ ١٢٨٣ ١٢٨٢ ١٢٨١ ١٢٨٠ ١٢٧٩ ١٢٧٨ ١٢٧٧ ١٢٧٦ ١٢٧٥ ١٢٧٤ ١٢٧٣ ١٢٧٢ ١٢٧١ ١٢٧٠ ١٢٦٩ ١٢٦٨ ١٢٦٧ ١٢٦٦ ١٢٦٥ ١٢٦٤ ١٢٦٣ ١٢٦٢ ١٢٦١ ١٢٦٠ ١٢٥٩ ١٢٥٨ ١٢٥٧ ١٢٥٦ ١٢٥٥ ١٢٥٤ ١٢٥٣ ١٢٥٢ ١٢٥١ ١٢٥٠ ١٢٤٩ ١٢٤٨ ١٢٤٧ ١٢٤٦ ١٢٤٥ ١٢٤٤ ١٢٤٣ ١٢٤٢ ١٢٤١ ١٢٤٠ ١٢٣٩ ١٢٣٨ ١٢٣٧ ١٢٣٦ ١٢٣٥ ١٢٣٤ ١٢٣٣ ١٢٣٢ ١٢٣١ ١٢٣٠ ١٢٢٩ ١٢٢٨ ١٢٢٧ ١٢٢٦ ١٢٢٥ ١٢٢٤ ١٢٢٣ ١٢٢٢ ١٢٢١ ١٢٢٠ ١٢١٩ ١٢١٨ ١٢١٧ ١٢١٦ ١٢١٥ ١٢١٤ ١٢١٣ ١٢١٢ ١٢١١ ١٢١٠ ١٢٠٩ ١٢٠٨ ١٢٠٧ ١٢٠٦ ١٢٠٥ ١٢٠٤ ١٢٠٣ ١٢٠٢ ١٢٠١ ١٢٠٠ ١١٩٩ ١١٩٨ ١١٩٧ ١١٩٦ ١١٩٥ ١١٩٤ ١١٩٣ ١١٩٢ ١١٩١ ١١٩٠ ١١٨٩ ١١٨٨ ١١٨٧ ١١٨٦ ١١٨٥ ١١٨٤ ١١٨٣ ١١٨٢ ١١٨١ ١١٨٠ ١١٧٩ ١١٧٨ ١١٧٧ ١١٧٦ ١١٧٥ ١١٧٤ ١١٧٣ ١١٧٢ ١١٧١ ١١٧٠ ١١٦٩ ١١٦٨ ١١٦٧ ١١٦٦ ١١٦٥ ١١٦٤ ١١٦٣ ١١٦٢ ١١٦١ ١١٦٠ ١١٥٩ ١١٥٨ ١١٥٧ ١١٥٦ ١١٥٥ ١١٥٤ ١١٥٣ ١١٥٢ ١١٥١ ١١٥٠ ١١٤٩ ١١٤٨ ١١٤٧ ١١٤٦ ١١٤٥ ١١٤٤ ١١٤٣ ١١٤٢ ١١٤١ ١١٤٠ ١١٣٩ ١١٣٨ ١١٣٧ ١١٣٦ ١١٣٥ ١١٣٤ ١١٣٣ ١١٣٢ ١١٣١ ١١٣٠ ١١٢٩ ١١٢٨ ١١٢٧ ١١٢٦ ١١٢٥ ١١٢٤ ١١٢٣ ١١٢٢ ١١٢١ ١١٢٠ ١١١٩ ١١١٨ ١١١٧ ١١١٦ ١١١٥ ١١١٤ ١١١٣ ١١١٢ ١١١١ ١١١٠ ١١٠٩ ١١٠٨ ١١٠٧ ١١٠٦ ١١٠٥ ١١٠٤ ١١٠٣ ١١٠٢ ١١٠١ ١١٠٠ ١٠٩٩ ١٠٩٨ ١٠٩٧ ١٠٩٦ ١٠٩٥ ١٠٩٤ ١٠٩٣ ١٠٩٢ ١٠٩١ ١٠٩٠ ١٠٨٩ ١٠٨٨ ١٠٨٧ ١٠٨٦ ١٠٨٥ ١٠٨٤ ١٠٨٣ ١٠٨٢ ١٠٨١ ١٠٨٠ ١٠٧٩ ١٠٧٨ ١٠٧٧ ١٠٧٦ ١٠٧٥ ١٠٧٤ ١٠٧٣ ١٠٧٢ ١٠٧١ ١٠٧٠ ١٠٦٩ ١٠٦٨ ١٠٦٧ ١٠٦٦ ١٠٦٥ ١٠٦٤ ١٠٦٣ ١٠٦٢ ١٠٦١ ١٠٦٠ ١٠٥٩ ١٠٥٨ ١٠٥٧ ١٠٥٦ ١٠٥٥ ١٠٥٤ ١٠٥٣ ١٠٥٢ ١٠٥١ ١٠٥٠ ١٠٤٩ ١٠٤٨ ١٠٤٧ ١٠٤٦ ١٠٤٥ ١٠٤٤ ١٠٤٣ ١٠٤٢ ١٠٤١ ١٠٤٠ ١٠٣٩ ١٠٣٨ ١٠٣٧ ١٠٣٦ ١٠٣٥ ١٠٣٤ ١٠٣٣ ١٠٣٢ ١٠٣١ ١٠٣٠ ١٠٢٩ ١٠٢٨ ١٠٢٧ ١٠٢٦ ١٠٢٥ ١٠٢٤ ١٠٢٣ ١٠٢٢ ١٠٢١ ١٠٢٠ ١٠١٩ ١٠١٨ ١٠١٧ ١٠١٦ ١٠١٥ ١٠١٤ ١٠١٣ ١٠١٢ ١٠١١ ١٠١٠ ١٠٠٩ ١٠٠٨ ١٠٠٧ ١٠٠٦ ١٠٠٥ ١٠٠٤ ١٠٠٣ ١٠٠٢ ١٠٠١ ١٠٠٠ ٩٩٩ ٩٩٨ ٩٩٧ ٩٩٦ ٩٩٥ ٩٩٤ ٩٩٣ ٩٩٢ ٩٩١ ٩٩٠ ٩٨٩ ٩٨٨ ٩٨٧ ٩٨٦ ٩٨٥ ٩٨٤ ٩٨٣ ٩٨٢ ٩٨١ ٩٨٠ ٩٧٩ ٩٧٨ ٩٧٧ ٩٧٦ ٩٧٥ ٩٧٤ ٩٧٣ ٩٧٢ ٩٧١ ٩٧٠ ٩٦٩ ٩٦٨ ٩٦٧ ٩٦٦ ٩٦٥ ٩٦٤ ٩٦٣ ٩٦٢ ٩٦١ ٩٦٠ ٩٥٩ ٩٥٨ ٩٥٧ ٩٥٦ ٩٥٥ ٩٥٤ ٩٥٣ ٩٥٢ ٩٥١ ٩٥٠ ٩٤٩ ٩٤٨ ٩٤٧ ٩٤٦ ٩٤٥ ٩٤٤ ٩٤٣ ٩٤٢ ٩٤١ ٩٤٠ ٩٣٩ ٩٣٨ ٩٣٧ ٩٣٦ ٩٣٥ ٩٣٤ ٩٣٣ ٩٣٢ ٩٣١ ٩٣٠ ٩٢٩ ٩٢٨ ٩٢٧ ٩٢٦ ٩٢٥ ٩٢٤ ٩٢٣ ٩٢٢ ٩٢١ ٩٢٠ ٩١٩ ٩١٨ ٩١٧ ٩١٦ ٩١٥ ٩١٤ ٩١٣ ٩١٢ ٩١١ ٩١٠ ٩٠٩ ٩٠٨ ٩٠٧ ٩٠٦ ٩٠٥ ٩٠٤ ٩٠٣ ٩٠٢ ٩٠١ ٩٠٠ ٨٩٩ ٨٩٨ ٨٩٧ ٨٩٦ ٨٩٥ ٨٩٤ ٨٩٣ ٨٩٢ ٨٩١ ٨٩٠ ٨٨٩ ٨٨٨ ٨٨٧ ٨٨٦ ٨٨٥ ٨٨٤ ٨٨٣ ٨٨٢ ٨٨١ ٨٨٠ ٨٧٩ ٨٧٨ ٨٧٧ ٨٧٦ ٨٧٥ ٨٧٤ ٨٧٣ ٨٧٢ ٨٧١ ٨٧٠ ٨٦٩ ٨٦٨ ٨٦٧ ٨٦٦ ٨٦٥ ٨٦٤ ٨٦٣ ٨٦٢ ٨٦١ ٨٦٠ ٨٥٩ ٨٥٨ ٨٥٧ ٨٥٦ ٨٥٥ ٨٥٤ ٨٥٣ ٨٥٢ ٨٥١ ٨٥٠ ٨٤٩ ٨٤٨ ٨٤٧ ٨٤٦ ٨٤٥ ٨٤٤ ٨٤٣ ٨٤٢ ٨٤١ ٨٤٠ ٨٣٩ ٨٣٨ ٨٣٧ ٨٣٦ ٨٣٥ ٨٣٤ ٨٣٣ ٨٣٢ ٨٣١ ٨٣٠ ٨٢٩ ٨٢٨ ٨٢٧ ٨٢٦ ٨٢٥ ٨٢٤ ٨٢٣ ٨٢٢ ٨٢١ ٨٢٠ ٨١٩ ٨١٨ ٨١٧ ٨١٦ ٨١٥ ٨١٤ ٨١٣ ٨١٢ ٨١١ ٨١٠ ٨٠٩ ٨٠٨ ٨٠٧ ٨٠٦ ٨٠٥ ٨٠٤ ٨٠٣ ٨٠٢ ٨٠١ ٨٠٠ ٧٩٩ ٧٩٨ ٧٩٧ ٧٩٦ ٧٩٥ ٧٩٤ ٧٩٣ ٧٩٢ ٧٩١ ٧٩٠ ٧٨٩ ٧٨٨ ٧٨٧ ٧٨٦ ٧٨٥ ٧٨٤ ٧٨٣ ٧٨٢ ٧٨١ ٧٨٠ ٧٧٩ ٧٧٨ ٧٧٧ ٧٧٦ ٧٧٥ ٧٧٤ ٧٧٣ ٧٧٢ ٧٧١ ٧٧٠ ٧٦٩ ٧٦٨ ٧٦٧ ٧٦٦ ٧٦٥ ٧٦٤ ٧٦٣ ٧٦٢ ٧٦١ ٧٦٠ ٧٥٩ ٧٥٨ ٧٥٧ ٧٥٦ ٧٥٥ ٧٥٤ ٧٥٣ ٧٥٢ ٧٥١ ٧٥٠ ٧٤٩ ٧٤٨ ٧٤٧ ٧٤٦ ٧٤٥ ٧٤٤ ٧٤٣ ٧٤٢ ٧٤١ ٧٤٠ ٧٣٩ ٧٣٨ ٧٣٧ ٧٣٦ ٧٣٥ ٧٣٤ ٧٣٣ ٧٣٢ ٧٣١ ٧٣٠ ٧٢٩ ٧٢٨ ٧٢٧ ٧٢٦ ٧٢٥ ٧٢٤ ٧٢٣ ٧٢٢ ٧٢١ ٧٢٠ ٧١٩ ٧١٨ ٧١٧ ٧١٦ ٧١٥ ٧١٤ ٧١٣ ٧١٢ ٧١١ ٧١٠ ٧٠٩ ٧٠٨ ٧٠٧ ٧٠٦ ٧٠٥ ٧٠٤ ٧٠٣ ٧٠٢ ٧٠١ ٧٠٠ ٦٩٩ ٦٩٨ ٦٩٧ ٦٩٦ ٦٩٥ ٦٩٤ ٦٩٣ ٦٩٢ ٦٩١ ٦٩٠ ٦٨٩ ٦٨٨ ٦٨٧ ٦٨٦ ٦٨٥ ٦٨٤ ٦٨٣ ٦٨٢ ٦٨١ ٦٨٠ ٦٧٩ ٦٧٨ ٦٧٧ ٦٧٦ ٦٧٥ ٦٧٤ ٦٧٣ ٦٧٢ ٦٧١ ٦٧٠ ٦٦٩ ٦٦٨ ٦٦٧ ٦٦٦ ٦٦٥ ٦٦٤ ٦٦٣ ٦٦٢ ٦٦١ ٦٦٠ ٦٥٩ ٦٥٨ ٦٥٧ ٦٥٦ ٦٥٥ ٦٥٤ ٦٥٣ ٦٥٢ ٦٥١ ٦٥٠ ٦٤٩ ٦٤٨ ٦٤٧ ٦٤٦ ٦٤٥ ٦٤٤ ٦٤٣ ٦٤٢ ٦٤١ ٦٤٠ ٦٣٩ ٦٣٨ ٦٣٧ ٦٣٦ ٦٣٥ ٦٣٤ ٦٣٣ ٦٣٢ ٦٣١ ٦٣٠ ٦٢٩ ٦٢٨ </p>

المسكرات وتعاطي المخدرات وتعدد الشخصيات غير أنها تتصل بمحور القصة وحيكها. وأعطى المؤلف للشخصية أهمية أكبر مما أعطى للحدث، فالصفات التي تتصف بها الشخصيات تحدد نوع الحدث وليس العكس.

والعقدة الأساسية التي أثارها الرواية الأيقاظية، هي مشكلة التعليم وبيان أثره على مستقبل التعلم، وما يضيفه العلم على أخلاقه وسلوكه، وقارنه بالجاهل، ورسم للجهل مصائر سيئة أودت بهم إلى الهلكة، ويبطن المؤلف روايته بالآراء الاجتماعية والأخلاقية متأثراً بدراسته العلمية والاجتماعية، غير أنه لم ينس عنصر التشويق في القسم الثاني من الرواية الأيقاظية، حيث اعتمد أساساً على عنصري المغامرة والحركة.

وقدم سليمان فيضي صوراً حية نابضة تكشف لنا عما في المجتمع الموصل آنذاك من مظاهر الجهل والتخلف والتناق والفوضى والاستغلال، وهي صور تشعر القارئ بالمتعة عند قراءتها. ومن الملاحظ أن هذه الصور التي يقدمها سليمان فيضي عبر التماذج البشرية الثانوية من روايته الأيقاظية، أكثر حيوية من شخصية (يقطان) التي اتخذها سلباً للتعبير عن أفكاره الإصلاحية، مما جعل وظيفتها تقتصر على المراقبة والتعليق مما أفقدها الحيوية المتمثلة في الشخصيات الأخرى.

وقد مهدت لهذه الصور للحية المتزعة من البيئة الموصلية السبيل لاستغلال الحوار استغلالاً طيباً فقد أجرى الحوار بما يناسب شخصياته حيث اتخذ العامية للشخصية الجاهلة، والفصحى للشخصية المتعلمة، وهو يسعى من خلالها للكشف عن مظاهر التخلف والأحلال في المجتمع.^(١)

ولم يقتصر التيار التعليمي على الرواية الأيقاظية، وإنما برز بروزاً واضحاً بعد ذلك في رواية (عجائب الزمان في صرح عروس البلدان) ١٩٣٨ لأكوب كبرائيل والفن القصصي في هذه الرواية

أصدرها أصحابها الذين هم من أصل موصل مثل: داود صليوا الذي أصدر جريدة (صدى بابل) ١٩٠٩. وقد نشرت قصتين حواريتين الأولى (رسالة من كربلاء) (العددان ٢٨ و ٢٩، ١٠ / ١٩٠٩)، والثانية (الباحث عن الحقيقة والخبر الصادق). ومجلة (الحرية) التي تولى تحريرها الأديب الموصل (روفاثيل بطي) وأهتم بنشر القصص فيها وجريدة (البلاد) التي أصدرها بطي بعد ذلك وأفردت حقلاً خاصاً لنشر القصص كما فسحت المجال للقصصيين الناشئين.

سليمان فيضي الموصل (١٨٨٥-١٩٥١) وظهور الفن القصصي في العراق:

تعد (الرواية الأيقاظية) التي ألفها سليمان فيضي الموصل ونشرها عام ١٩١٩ أول عمل قصصي متكامل ظهر في العراق، وجاءت الرواية الأيقاظية على نمط الروايات التعليمية لعدم اهتمامها بالعناصر الفنية القصصية، وأختفاء العنصر الغرامي الذي ساد القصة العربية في تلك الفترة، حرصاً على هدفها التعليمي، ونتيجة مباشرة لأحتياجات البيئة وظروفها، وقد قصد مؤلفها التعليم والنقد الاجتماعي، ويغلب في القسم الأول من الرواية الأيقاظية عنصر الحوار على عنصر السرد، في حين يغلب عنصر السرد والبناء الروائي على عنصر الحوار في القسم الثاني منها، وتتسع رقعتا الزمان والمكان، وتتوالى الأحداث سريعة عنيفة وتكثر مغامرات (سعيد) بطل الرواية الأيقاظية، ومحاولاته المستبينة لأفقاد صديقه خضر من الموت. يطغى الحوار في القسم الأول من الرواية الأيقاظية ويتميز بالسرد القصصي غير أن عنصر الحركة يكاد يكون مفقوداً- يعكس القسم الثاني منها - بسبب دعوته الإصلاحية الوعظية، والأفكار التي يطرحها المؤلف بسيطة تدعو إلى التعلم وإلى تجنب العادات القبيحة كلعب الميسر وتناول

أقرب الى المحاولة البدائية منه الى الإنتاج الفني
فقوام الرواية سلسلة من الأحداث والأشادات
التعليمية، وليست دراسة الشخصية وتطورها.
ورود فعلها في الحياة، والشخصية فيها فكرة
وليست كائناتاً حياً، تحمل أحياناً الاسم الذي يدل
على نموذجها الإنساني وقد أمتح الشخصية أمام
الظلال الأخلاقية والاجتماعية والتعليمية.

وتعتمد هذه الرواية في محورها الأساس على
وصف مظاهر الحياة الأوربية ومابلغته من تقدم
حضاري في جميع مجالات الحياة وعرض لما يجب
أن تكون عليه المرأة العراقية والمجتمع العراقي بشكل
عام. ومقارنة ذلك كله بما عليه الحال في العراق الى
جانب الدعوة الى الاتحاد والتآخي بين القوميات
والأديان للتمكن من استئثار ثروة البلاد. وتعبئة
جهود الشعب لمقاومة شبح الاستعمار الخفي.

وتتفق الرواية مع القصص التعليمي في شكلها
الظاهري، فهي على شكل رحلة يقوم بها (سعيد)
الذي يؤمن بأن الشرق مصدر الحضارة والألهام
والمثل العليا مع صديقه (بهلول) الى الغرب،
يبحثان فيه ويدرسان ويتقنان ويشاهدان مانوصل
اليه الغرب من التقدم والتطور، وتتغير نظرة سعيد
نحو الحياة ويحس بأن الشرق الأوسط متخلف عن
الغرب بأشواط بعيدة، يعود الى العراق ويعمل مع
صديقه بهلول على نشر حضارة الغرب وعلومه
وآدابه، ويبدآن معاً ثورتها ضد التخلف والجمود.

ولاترجع أهمية هذه الرواية الى العنصر الفني فيها
بل الى خطورة الآراء التي قدمتها وعرضتها بأسلوب
قصصي يدفع القراء الى الأقبال على قراءتها، وهي
ليست أكثر من دعوة تعليمية كتبت بأسلوب
قصصي خطائي، والرواية غاية اجتماعية، لذا فهي
تشرذ على طولها هنا وهناك وراء اللقطات الاجتماعية
نقداً أوبئاء. فن حملة على الجهل، الى دفاع عن
المرأة، ومن عناية بالصحة العامة الى توجيه البناء
الاقتصادي الوطني، ومحاولة الى بيان الأسس

العامة للعدل والقضاء، الى غير ذلك من الأمور
الأصلحية.

ونستطيع أن نتبين من خلال الاستطرادات
الكثيرة والمقالات العديدة دعوة الكاتب الى عصر
جديد، فهو يحمل روايته أفكاراً معاصرة وينقد
التقاليد القديمة ويدافع عن الجديد بحجرات وإيمان
ويسمي أفكاره الأصلحية (بالتقدم) في مقابل
القديم الذي يطلق عليه أسم (العادات القديمة)
ويضع كل ما يصبو اليه على لسان شخصياته،
ينطقهم بما يريد، ويمزق جو الرواية فيطيل نفسه
من بين السطور وهو يتحدث حديثاً مباشراً الى
قارئه.

القصة القصيرة :

القصة القصيرة: بناء سردي نثري يتخذ
أسلوباً حكاياً معتمداً على حدث واحد محدد بزمان
خارجي، ونفسي ومحدد بمكان. معبر عن فكرة،
تلعب فيه شخصية واحدة أو عدد قليل من
الشخصيات دوراً أساساً في تحريك الحدث مطورة
اياه الى أمام. تقع في صفحات قليلة لانقل عن
ألف وخمسمائة لكلمة ولاتزيد على العشرة آلاف
لكلمة حسب تقدير (موزلي)، أو لاتزيد مدة قراءتها
عن نصف ساعة، الى الساعتين قراءة دقيقة
حسب تقدير (ادجارألن بو) وذهب (هـ، ج،
ويلز) الى أنها تقرأ في أقل من ساعة، وتمتاز القصة
القصيرة بوحدة الأنطباع.

يعد التركيز صفة أساسية في القصة القصيرة
من حيث الموضوع والحدث وطريقة السرد والموقف
وأسلوب التصوير أي في لغتها. ويبلغ التركيز حد أن
لا تستخدم لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها أو
يمكن استبدالها بغيرها فكل لفظة موحية ولها دورها
في القصة.

وتعد مجموعة (الضعفاء) ١٩٢٧ لبوسف همرز
أول مجموعة قصصية لكاتب موصل، في حين
ظهرت أول مجموعة قصصية لكاتب عراقي عام

١٩٢٢ محمود أحمد السيد باسم (النكبات)
طبع في مصر.

يقدم يوسف هرمز لمجموعة الضعفاء بقوله (وقد
جلى هذا الكتاب صوراً تمثل الشقاء وتبدي البلاء
الذي قدر على المظلومين الأذلاء فهو امرأة البؤس
ولمرارة في ثالثة الكؤوس) وتلمس هذا الاتجاه في
أسماء القصص التي تضمنتها المجموعة مثل (مرم)
اليتيمة، سليمان الجميل، قلب المرأة) الى آخره.
وتحدثنا القصة الأخيرة عن شاب يتزوج فتاة تحبه
ولكنه مايلبث أن يفارق الحياة. فتضي زوجته الى
قبره كل يوم منتحبة باكية، يراها رجل يعجب بها
ويقنعها بأن الحياة أجمل من الدموع فتزوجها. وفي
قصة (اللقيط) يعثر أحد الأغنياء على لقيط، يريه
ويعني به، فينشأ اللقيط نشأة صالحة وتبدو عليه
مخايل الذكاء، ينتجح في حياته العملية غير أنه
سرعان ما يكتشف ككالب الناس على الحياة فيزهده
بالدنيا ويعتزل في دير يسمع فيه صوتاً يعلمه. كيف
يحل مشكلات الناس، ويتنحر (إبراهيم) في
القصة التي تحمل الاسم ذاته بعد أن يتبين له زيف
العالم. وتمضي قصص يوسف هرمز في هذا النوال،
وهي مليئة بالأنشائية والتقريرية والتضمين مثل
«فتذهب الى حيث القت رحلها أم قشعم»
(ص ٢١) أو الاستعانة بالأمثلة العامة «واذا
أعترمت بالفضيلة فبعد خراب البصرة» (ص ٦٥)
أو يحتمذي أسلوب ألف ليلة وليلة «هذا ماصار اليه
حال مريم المسكينة، وكان من حوادث الزمان
وماجريات الحدائن ان ماتت» (ص ١٣، ٣٨)

وكانت مجموعة (ضحايا الآمال) ١٩٢٨
ليوسف حناني اسحق وجوري عيسى قلاب نهاية
العنفود للقصص التي صدرت في العشرينات. ولم
تخرج موضوعاتها عن الاطار ذاته للمجموعة
السابقة، حيث يرى الراوي امرأة تستجدي الاكف
في قصة (منبتان) ويعلم منها أنها تحاول الحصول
على كسرة خبز لولدها المحتضر، يصطحبها الى دارها

ليجد ولدها قد مات، فسقط على الأرض مغشياً
عليها وتفاقر الحياة.

ومثلها قصصه الأخرى (ليلة مقمرة، تحت
شجرة السرو، شقاء امرأة، خواطر سائحة)
ولا يختلف عنه زميله جوري عيسى قلاب إلا بكثرة
مواظته وتعالجه التي يفهمها في حيكات قصصه،
وتدور جميعها حول أناس إنجرفوا في طريق الرذيلة
والفسق فقادهم شرورهم الى الهلاك، كما في
قصصه (غرور الدنيا، شهيد المقامرة، في عالم
الأحلام، الذل بعد العز) وهي مليئة بالخطب
والمواعظ.

ولا يجيد الدارس للقصة القصيرة في الموصل
نضجاً فنياً قبل عقد الثلاثينات فقد بدت القصة
أقرب الى الموضوعات الأنشائية التي يكتبها طلاب
المدارس أو هي تجمع لأحداث عدة بعيدة كل
البعد عن واقع الحياة وقد اتخذها كاتبها وسيلة
للهرب من مشكلاته المجتمعية لذا دار معظمها
حول الحب والزواج والأخفاف، ولم ينس كتابها
الوقوف موقف الناصح الواعظ سواء سنحت لهم
الفرصة لذلك أم لم تسنح، ويعود السبب في ذلك
الى أن كتابها كانوا من الشباب الذين لم تحتمر
ملكهم الأدبية بعد. أما الأدباء الكبار فقد كانوا
يتعالون على فن القص باعتبارها فناً شعبياً مسفهاً في
كثير من الأحيان وقد أربط لديهم بالاحتقار المشيع
الذي كان يلقي قصص (الف ليلة وليلة) والتي يأتي
الأنسان المحترم قراءتها آنذاك. فكيف ينظر اليه
بأحترام وهو يكتب القصة ١٩

أما الأدباء الشباب فلم يجدوا فرصتهم أيضاً
فحركة الترجمة لم تكن واعية بعد، والقصص
العربي الذي يصلهم لم يبلغ بعد نضجه الفني
الكامل. غير أن نهضة واضحة بدأت في
الثلاثينات وخاصة عند نشر قصص ذنون أبوب
وعيد الحق فاضل وإذا تفحصنا القصة في الموصل
نجدها أخذت الاتجاهات التالية :

١- الاتجاه العاطفي (الرومانتيكي) :

ظهر هذا الاتجاه في القصة القصيرة العراقية بصورة عامة وشمل القصة القصيرة في الموصل وذلك بتأثير ادباء المهجر الذين حملوا لواء الثورة على الادب القديم ، واستطاعوا ان يلائموا تلك الالوان الزاهية المستمدة من نعم الطبيعة في موطنهم الاصلي والذوق الجميل والروح المرهفة التي استمدوها من عالمهم الجديد. فكان ذلك حصيلة أدب جديد. وقد أثر الكاتب اللبناني (جبران خليل جبران) بالذات ونظرائه المنشأمة للحياة وعاطفته المفرقة في عدد من كتاب القصة في الموصل ، ولم يقل تأثير الكاتب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي على وجه الخصوص ، فقد تمكن اسلوبه في القلوب وأمسى أكثر الكتاب قراء ، وسر الذبوع في ادب المنفلوطي ، قصصه التي تصف الألم وتمثل العيوب الاجتماعية بأسلوب طلي وسباق مطرد ولفظ مختار. يضاف الى ذلك ما ترجم احمد حسن الزيات من روائع الادب الرومانتيكي مثل (آلام فرتر) لجوته و (روفاثيل) للامرتين وغيرهما من القصص الرومانتيكي.

هذا بالاضافة الى تغير مناحي الحياة نتيجة التأثير الغربي فيها ، فوقف كتاب القصة الرومانتيكية من ظلم المجتمع موقف الشكوى ووقف بعضهم موقف التمرد على المجتمع لضمان الرضا الفردي والاجتماعي ، وكانوا نقلة من الاعتدال الى التطرف الخيالي والعاطفي وساقوا على ألسنة ابطالهم صرخاتهم في سبيل التغيير دون الاقدام الفعلي حتى تلذذوا بصرخاتهم وتاهوا في أهام اصواتهم وضاعوا في تلافيها الحزونية ، وقد كانت رومانتيكيتهم مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة لارتباط الكاتب الموصل بواقعه الاجتماعي ارتباطا كبيرا ، وهو السبب في قلة القصص التي تحدثت عن الحب والهيام وكثرة القصص التي تناول مآسي الحياة ومسراتها ، ونلمح هذه الابعاد واضحة في

قصص (سليم بطي) الذي لم يتسن له جمعها في مجموعة قصصية خاصة ، وخير مثال على اتجاهه هذا قصة (بنت الطحان)^(٥).

وتؤكد مجموعة (فؤاد بطي) القصصية (صباحات الفؤاد) على التصاق الكاتب الموصل بالواقع مهما حوّم في الخيال ، ولم يستطع الكاتب التخلص من العيوب الشائعة في القصة العراقية آنذاك من ركافة الاسلوب ، وشيوع الاخطاء اللغوية ، والتعليمية والمباشرة ، واطلالات الرأس لبيان رأي او قول او موعظة ، غير انه يمتاز بقدرة على التقاط الزوايا ويمكنه حبك القصة احيانا بشكل فني .

ونحنا (يعقوب بلبلول) في مجموعته القصصية (الجمرة الأولى) ١٩٣٨ المنحى نفسه ، وخير مثال على الاغراق في الاحزان المفتعلة ، القصة الأولى من مجموعته وهي باسم (الخطاط) ، ويدور حدثها حول الخادم اليتيم (قاسم) الذي يعمل لدى اسرة غنية ويحب ابنة سيده التي تعامله بشفقة ولطف ، فيظن انها تحبه مثلما يحبها ، يقاتحها في الامر ، ثور في وجهه وتطرده فيصاب قاسم بحمية امل شديدة ، ويتنقل للعمل في دار موسر آخر ، تحبه ابنة سيده ايضا الاّ انه يغلق قلبه دونها ويترك العمل الى دار ثالثة حيث يبادل الحب ابنة سيده ، تنهش الغيرة قلب الفتاة الثانية التي احبته ولم يبادلها الحب فتسعى الى الوشاية به عند اهل الفتاة الثالثة غير انها تصاب بسكتة قلبية فجأة وتموت لشدة انفعالها ، قبل ان تبلغ غايتها . فيحزن عليها قاسم اشد الحزن لرقته وطيبة قلبه .

وقد تضمن الاتجاه العاطفي قصصا تحليلية لم ترض بالانفعال السطحي السريع وفي مقدمتهم (يوسف متي) الذي نشر قصصه منذ مطلع الثلاثينات في الصحف والمجلات العراقية ، فقد نشر في جريدة (الحاصد) بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٣٢ قصصا مثل (ضحية العهد) ، في القرية ، الرسالة ، جاعحة ، سخرية الموت) ونشر في مجلة

عطار قصته (حطام) عام ١٩٣٤، قبل ان يجمعها سليم عبدالقادر السامرائي في كتاب صدر ببغداد عام ١٩٧٩ تحت عنوان (يوسف متي: مقدمة ومختارات).

امتاز يوسف متي عن كُتّاب تلك الفترة باهتمامه بفنية القصة والعناية بالاسلوب ودقة التعبير وتحليل العواطف مما يشف عن تفهم مبكر للفن القصصي، وبشرت بتطوره الاحير في كتابة القصة القصيرة. يصور يوسف متي في قصة (عاطفة جائعة) الحرمان الذي تعاني منه امرأة محرومة من الحب والحنان تحاول اشباع حرماتها عن طريق صبي. وقد نجح الكاتب في تحليل عواطف (سعاد) وصراعاها وردود فعلها، وقد تمكن الكاتب في قصة (حطام) من تصوير مشاعر الشخصية التي دارت حولها القصة ببراعة مستخدماً كل الادوات التعبيرية في الفن القصصي من اتقان السرد وحركة الحوار والكشف عن شخصياته ومحاولة رصد الحركة والفعل واستخدام اسلوب التداعي والذكريات ليسلط انوار التحليل الساطعة في الكشف عن بواطن الشخصيات.

ويتزج في قصة (سخرية الموت) الى تحليل عواطف اب يتألم لمرض ابنه، وهو لا يكتفي بالآلم العاطفي، وانما يحلل عواطفه تجاه ابنه، مرضه وموته وعلاقته به، وقد اجاد الكاتب في هذا التحليل وخاصة في تشكيل ظلال الحدث المشحون بالتوتر، واستخدام المطركرمز حزنه واضطرابه، والاستعانة بالرموز الخارجية ليعمق الاحساس بالأساة، وقد ظهر اثره التحليلي في بعض قصص ذنون ايوب وعبدالحق فاضل ولاسبا في قصص غانم الدباغ، بعد ذلك.

وقد اتجه (يوسف مكمل) الى العناية بالوصف الخارجي للحدث ومشاركة الشخصية نوازعها النفسية. ففي قصة (القطرات الأولى) يصور لنا القاص عن عواطف رجل احب فتاة فرنسية - وهو

في فرنسا - فعزم زيارتها. وحينما يصل باب دارها يسمعها تغني تلك الاغنية التي كانت قد غنتها له فيما مضى من الزمن، تغنيها لزوجها وقد اكتفتها السعادة، وقد عني الكاتب برسم العوالم النفسية لشخصياته معتمداً على التصوير الخارجي المباشر. ونلمس في قصص يوسف مكمل فنية متقدمة بالنسبة لفترة - الثلاثينات - وجاءت قصصه جيدة ساعية الى انتشال القصة العراقية من براثن السرد التقليدي والزرعة التعليمية التي طغت عليها. الآن هذا الاتجاه لم يتبلور الا في نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات على يد غانم الدباغ وفي الستينات على يد محمود جنداري.

ولم تبلغ القصة في الموصل شأنها كبيراً في اتجاهها العاطفي هذا، فقد هبط (محمود مفتي الشافعية) في قصتيه الطويلتين (القصة القصيرة الطويلة)، (فوزية) عام ١٩٤١ و (نعمان) عام ١٩٥٣ الى مهاوي الركافة والخطأ في تركيب الجمل والميلودراما التي تؤثر في السذج وتُقرب ذوي الوعي لبعدها عن المنطق. «في تلك المكان التي قل ان صادفت وجود احد فيها، اسمعني يا اخي فسأقص اليك حكايتي، كأنهم فرحين مسرورين»^(١).

وقد امعن المؤلف في التدخل بين السطور للتبشير بتعاليم ساذجة «ولابد لنا بعد ختام هذه القصة من مناشدة اولئك الذين يرتكبون تجاه اولادهم امثال هذه الامور التي تنخر في جسم المجتمع ان يعدلوا عن امثال هذه التقاليد البالية ليهدوا السبيل الى الشباب الحاضر ليختار شريكة حياته ويتأكد من طيب ارومتها»^(٢).

وتشارك قصته الثانية (نعمان) بجميع العيوب الفنية في قصته الأولى (فوزية) وفيها لمحات من (قصة الرواية المكثفة)^(٣). يحاول فيها المؤلف ارشاد الشباب للاقلاع عن الزواج بالاجنبيات، وقد كتبت القصة بأسلوب ركيك واحداث مفتعلة مضحكة. يسافر نعمان الى الخارج ويتزوج من فتاة

في مجموعته (عيون الليل) ١٩٥٣ ، ومحمود سعيد في مجموعته (بور سعيد وقصص اخرى) ١٩٥٧ ،
عدنان عبدالمجيد في مجموعته (من الحياة) ١٩٥٨ في ذكريات عاطفية وافكار ساذجة ، واسلوب تقريرى انشائي بجانب للحبكة القصصية الفنية ذات التوتر الأخاذ.

٢- الاتجاه الواقعي :

تطورت القصة في الموصل في مطلع الثلاثينات وتشتبث بفن القص شأنها شأن القصة في العراق عامة ، نتيجة لتوسع حركة الترجمة وتطور القصة العربية ولاسيما في مصر ولبنان . وبعد ان تشرب القاص مشكلات مجتمعه وتعرف على عيوبه ، وآمن ايماناً راسخاً بالتغيير ، وقويت الاحزاب السياسية ، ونشطت الصحافة واقبل الناس على قراءة الصحف اقبالا شديداً ، وظهرت مفاهيم ودعوات جديدة كالديمقراطية والاشتراكية والتحرر واستنثار ثروات البلاد والخلاص من المعاهدات الجائرة مع الدول الاستعمارية والقضية الفلسطينية ، وما الى ذلك .

ظهرت عندئذ القصة الناقدة الداعية الى الاصلاح السياسي والاجتماعي بنبرة مادة عالية اطلق عليها قصة المقال ، وهي قصة اصلاحية اكثر منها قصة فنية ، وهي دعوة للاصلاح اكثر من كونها فناً مؤثراً ، وهي مثيرة للحاس اكثر من اثارها للتأمل والتفكير .

ويعد ذنون ايوب عالماً لهذا الاتجاه لافي القصة القصيرة في الموصل فقط بل في العراق كله ، وهو اغزر كتاب القصة القصيرة انتاجاً في العراق فقد اصدر بين عامي ١٩٣٧ - ١٩٥٧ اربع عشرة مجموعة قصصية ، ويعد اكثر القصصين قراء لما في قصصه من نبرة حادة وكشف للواقع المهرتي .

انتزع ذنون ايوب موضوعاته من البيئة العراقية عامة ومن البيئة الموصلية خاصة . فهو لا يكتب عن الماضي ولا يهتم به لأنه متعلق بالواقع ، وبعد عشرين

اجنبية ، تعمل جاسوسة لصالح وطنها ، تتصل بالساسة الكبار عن طريق زوجها الذي يتمتع بمنزلة اجتماعية عالية ، وفي حادث مفتعل يقتل نعان في دار احد الساسة اثناء اجتماع سري يقام لصالح دولة اجنبية ، تهرب زوجته الى بلادها بعد تأديبه مهمتها على الوجه الاكمل .

وتطلع علينا الخمسينات بعدد غير قليل من المجموعات القصصية : (آلم وآمال) ١٩٥٣ لجعفر الشيخ علي ، ولاترقى هذه القصص في مستواها عن المستوى الانشائي ، و(الحان الشقاء) ١٩٥٣ لرمضان احمد البكر . وهي لاترقى عن مستوى سابقتها ، ولم يرتفع استراتيجيان في مجموعته (آلم واحلام) ١٩٥٧ الى المستوى الفني للقصة القصيرة . ويعد سامي طه الحافظ في مجموعته القصصية (قطار الظلام) ١٩٥٥ ان خلاص



سامي طه الحافظ

البغايا من محتنتن خلاص للمجتمع . ويفرق في العاطفية كما في قصته (صراع مع القدر) على سبيل المثال لا الحصر ، يصاب بطل القصة بمرض السل ويذهب الى لبنان للاستشفاء وعند ما يعود يجد ان حبيبته قد ماتت بالمرض ذاته فينتحر . واكثر شخصياته فتيات بريئات ساقهن القدر الى الرذيلة كما في قصص (قطار الظلام ، نداء آخر الليل ، الحضيض) .

ويفرق كل من سامي امين ، في قصته القصيرة الطويلة (حمدي) ١٩٥١ وفؤاد ميخائيل

سنة من إنفجاره في الكتابة لم يغير موضوعاته، ولم يطرأ عليه أي تغيير في نزوعه الى الواقع المجرد، وان حدث في قصصه نوع من التغيير فذلك قاصر على اسلوبه فقط. فقد صفا وعمق وارتفع عن الاسلوب الصحفي الذي شاع في كتاباته الأولى.

نادى ذنون ايوب بتحرير المرأة. كما نادى بالحرية كاملة للانسان، وتغرد على جملة من التقاليد والموضعات الاجتماعية والشرائع، ومع ان ايوباً لم يكن عالماً اجتماعياً ولا طبيباً نفسياً ولا باحثاً اقتصادياً، الا انه بوصفه متمرداً كان يعوزه سلاح ضروري لكي يحتفظ بايمانه وفاعليته الثورية، ذلك هو سلاح الفهم الصحيح لمنشأ الاوضاع والردائل التي يحاربها ويطمح الى إزالتها، والفهم الصحيح لطرق الازالة هذه. ان التأثير الذي يجتدم صدره بعاطفة الثورة وهو لاي فهم منشأ الردائل التي يثور عليها ولا طرق ازالتها لجدير بان يغني نفسه في صراخ الاحتجاج.

وقد دفعه تمردُه على التقاليد والشرائع، لأن يقف من ضحايا المجتمع وطرائده، موقف الذي يعذرهم فيها بيجترحون من آثام، كما في قصة (ساقطة) - على سبيل المثال لا الحصر - من مجموعته القصصية الثانية (ضحايا)، ويرى فيهم طائفة من الضعفاء سدت دونهم طرق الفضيلة، وجرى عليهم القدر بما لاحيلة لهم فيه، ويبين ايوب في أكثر من مناسبة طبيعة هؤلاء الضحايا الذين اندفعوا الى الشر، لفسوة ما يحيط بهم من نظم اجتماعية فاسدة.

وتتسم معظم قصصه بميسم الفجعية، وتطبع بطابع المأساة، ولا يرى ايوب في المجتمع غير هذه الفواجع والآسفي.

ومال ايوب في قصصه الأولى - قبل الحرب العالمية الثانية - الى تلقين آرائه وعرض افكاره وإبرازها في قالب تقريرى جاف واثارتها اثارة مباشرة، وامتثلت قصصه الأولى بصوته هو لا

بأصوات شخصياته، وازدحمت بالخطب والمواظع والنصائح والاستطرادات، وشحنت بتدخلاته واطلالات رأسه، ليبين رأياً او يسوق دليلاً، او يرضي نفسه المتمردة ضد التقاليد البالية، او ليوحي لنا بما يجب ان نؤمن به، ومع ان تدخله يجعله أحياناً وسيطاً مسلياً وباعثاً على التشويق والحفاصة لما حوى من تمرد وانسانية، فان تقاريراته العديدة وتدخلاته المستمرة تعوق سير الحادثة، ويقطع خيوط القصة ويشكل في جبكتها نقصاً فنياً.

وبناء القصة القصيرة عند ايوب قبل الحرب العالمية الثانية، بناء التقرير الصحفي (الريپورتاج)، فلا حبكة لقصته ولا تصميم ولا تخطيط بل انسياب دائم في عفوية، وذهاب وراء مسارب جانبية وحوادث هامشية، قد يكون لها مساس بهيكل القصة، وقد لا يكون، غير انها تفاصيل لا فضل للكاتب فيها الا انه نقلها. واسلوبه اللغوي بسيط بساطة التقرير الصحفي، ونعثر فيه على بعض الاخطاء اللغوية، وقد دفعه نزوعه لتقد تقاليد المجتمع الى العناية بالسرد أكثر من عنايته بالحوار. وبهت الحوار في آثاره الأولى، وتقوم مقامه حركة استطرادية، ويبرز في هذه الحركة اهتمام خاص بالشخصية، شخصية المؤلف نفسه، وشخصيات قصصه. وكثيرا ما يحس ذاته، ويجعلها بؤرة التجربة، ولم يكتف بذلك بل ذهب الى تلمص العديد من شخصياته، وفي هذه الحقيقة تكن ميزات مخلوقاته، فهو يخلق نفسه فيها، ويصورها كما تراها عيناه.

ذنون ايوب كاتب ذاتي كما هو كاتب اجتماعي وسياسي، يلتقط موضوعاته، مما يحيط به من احداث، وما يكتنف حياته من تجارب، ويمكننا التعرف على حياته الخاصة من خلال قصصه، ففي حياته احداث كثيرة، منها حبه لفتاة اجنبية تعرف عليها في احدى سفرائه، وقد جاءت معه الى

العراق، ولكنه سرعان ما ملّها، وعزم الزواج من فتاة أخرى، طلب إليها ان تعود الى بلدها، غير انها كانت متعلقة به، وصور هذه المأساة في قصته (الجريمة والعقاب) من مجموعته الثانية (الضحايا)، كما صور فشل في زواجه الأول في قصته (زوجة)، وصور فشله في زواجه الثاني في قصته (التردد).

وترتبط كل مجموعة من مجموعات ايوب القصصية بلون موحد من الافكار يربط بين مختلف موضوعات قصص المجموعة، ففي مجموعته الأولى (رسل الثقافة) ١٩٣٧ يصور كفاح الطبقة المتعلمة من معلمين ومدرسين مع مدير المدرسة والطلاب، وصلة المدرسة باولياء امور الطلبة.

وهو يتحدثنا حديث العارف الخبير - وهو مدرس ايضا - في قصته (بقلاوة) يعرض صورا من عبث التلاميذ ويمتد هذا التشخيص الى قصص المجموعة الاخرى مثل (الدرجات النهائية، سيرة وسيرة، السيد عبيد في لهوه).

وتقدم لنا المجموعة الثانية (ضحايا) ١٩٣٨، نماذج من هؤلاء الذين يسقطون صرعى التقاليد والادوار التي تطفئ على المجتمع فتفسده، فتاة تتحرل لأن ذويها يفرضون عليها الزواج بشيخ مسن الا انها تسلك (طريق الخلاص)، وتلك الفتاة التي لا يتردد اخوها في قتلها اذ يراها تتحدث الى جار لها في قصة (شرف). الا ان لهجة القدر الاجتماعي تبدو اكثر ضمورا في مجموعته الثالثة (صدقي) ١٩٣٨، تضم صورا لابطال ثائرين على التقاليد والقيود الاجتماعية، حيث تقدم لنا قصة (عندما تثور العاصفة) موظفا بزم بقبود وظيفته ومتطلباتها، حتى اذا صرف من الخدمة - وهذا ما كان ينتظره بفاغ الصبر - انخرط في العمل الحر، ولم يتردد عن العمل سائقا في سيارة اجرة، ليكسب قوت يومه بشرف ونبيل، ويعيل خمسة من العاطلين عن العمل، وفي القصة حس

فكاهي دقيق يحملها طعماً خاصاً. اما قصتنا (النهاية) و(التردد) فتضاهان اراءه في فلسفة الثورة. وفي مجموعته الرابعة (وحي الفن) الصادرة عام ١٩٣٨ نلتقي بشخصيات غريبة، هي شخصيات اتعبها الفساد وملأها المجتمع بالزيف، تبرأ بالحياة فسعت الى التماس السلوى والهرب من الواقع والانغمار في دنيا الفن، ونقرأ فيها احدي قصص ايوب الجيدة (حلم على نغم) التي تروي قصة تكون حلم على نغمات مقطوعة (ريميسكي كورساكوف) (شهرزاد)، حيث تعبر حركات الموسيقى في ذلك الحلم عن مختلف مظاهر الفساد في السياسة الحكومية حتى تبلغ نهاية المقطوعة في غرق باخرة السندباد. وهي ذات مغزى بعيد: «وشعرت فجأة بان الجوق قد تليد بغيوم الفوضى، سمعت مهمة عاصفة التردد، وماهي الا هنية حتى تحول المجتمع الى كتلة هائلة مرعبة تنذر بالويل والثبور، وصرخ احد الحاضرين: موتا للطغاة، فلنحطم صاحب الشخصية البارزة! وانطلق الجميع كالعاصفة الهوجاء يصحبها بريق يعمي الابصار ورعد يصم الآذان. حتى اذا اقتربوا من البناية ذات الابراج، وقف في وجوههم صف متراس من الحرس يصبوب نحو صدورهم الموت الزؤام. وكان صاحب الشخصية العظيمة واقفاً قرب النافذة لا يمحس حتى على اخراج رأسه، مصفر الوجه يرتجف فرقا ويتصب عرقاً بارداً، ويصور لنا في قصة (عظيم) كاتباً يؤمن بمثله العليا ولا ينحدر الى حماة الخيانة على الرغم من المغريات التي تحيط به، وكأن الكاتب يصف نفسه: «وهو مغرم بالحلمة على العرف والتقاليد ينتقد المفايس الخلفية الشائعة والعادات المرعية، كذلك كان غير ماهو في الضرب على الاوتار الحساسة والنغاث المألوفة. وكان يطرد شياطين الغواية صارخاً: اليكم عني فليس هذا طريق المجد».

ويتحدث عن نفسه ايضا في قصته (مؤامرة

الاغبياء) على لسان (نوح) بطل القصة الذي احب سماع القصص منذ صغره ، ثم هوى المطالعة واحبها ، وحينما بدأ حياته العملية وضع هدفه الذي استمدته من مثله العليا في الدفاع عن الوطن والقيم التي يؤمن بها على الرغم من فساد المجتمع وكثرة العراقيل التي توضع امامه : «علم ان مقياس المرء ما عملك من حنكة ودهاء وان الاخلاق لامفهوم لها وان الاخلاص يدل على السذاجة والحمق ، والشرف شيء مكروه ، والصدق معناه الجنون ، وخيانة الواجب اول شروط النجاح ، والشعوذة رأس مال من يبغى التقدم ، والخدمة الصحيحة تأتي بأسوأ العواقب ، والوطنية اسم بلا مسمى ... وحدث تبدل اساس في نفسيته وطباعه فقد انقلب من شخص رضي هادئ ، الى متمرد على تلك الأوضاع السيئة التي اصبح امرها غير خافٍ على العام والخاص» .

وفي قصة (النبي) هجوم على الدكتاتورية والفاشية . ويصور في قصة (اخيراً) موت شاعر فقير ، وكيف بعث موته الاطمئنان في نفوس الحاقدين والام والحسرة في نفوس الشعب وكأنه يصف وفاة الشاعر (الرصافي) .

وبهاجم ذنون ايوب ، في مجموعته الخامسة (برج بابل) الصادرة عام ١٩٣٩ نظام الحكم في العراق والاجهزة الادارية هجوماً عنيفاً ، حيث يحدثنا في قصة (قاعدة البرج) عن (قاسم) الذي بدد ثروته ليحصل على النيابة ، و(عارف) الذي امتهن الصحافة لأنها آخر ما يستطيع به الاحتيال لكسب العيش ، و(الشيخ حسن) الذي ادرك ان السهر في طلب العلم لا يفيد شيئاً . وتدور بين الثلاثة احاديث في السياسة والحياة ، في مقهى اعتادوا الجلوس فيه يحيط بهم المخبرون ، ينقلون اخبارهم الى الحكومة التي تحشى مثل هذه الاحاديث ، وتطالعنا قصة (انتقام) بعقارب الحسد تنهش قلب (حامد) لأن صديقه (اسماعيل) أصدر كتاباً يدعو

الى اصلاح اللغة وتيسيرها ، واعتمد ايوب على التحليل في تصوير شخصية حامد : «حتى اذا ماقلب الصفحة الاخيرة منه باصابعه المرتجفة ، احدث الورق حفيفاً كان وقعه في نفسه كوقع فحيح ثعبان مهلك ، وماكاد ينتهي من قراءة الكلمة الاخيرة حتى قذف بالكتاب الى نهاية الغرفة ، قرب حذائه وانكش على الديوان ، واغمض عينيه قليلاً كمن يبعد شيئاً مرعباً او يستريح من عمل متعب . لقد ألم حامد ان ينتج اسماعيل وتذبح سيرته في الآفاق ، ان بلابل حامد لم يقرأها قرار حتى ينطلق الى مجلس (سيف الدين) استاذ اللغة الكبير حيث يجتمع ابناء البلد وعلماؤه ، ويجر الحديث عن الكتاب جراً ، فسمع من المثالب في شخص اسماعيل وكتابه ما أثلج صدره ، فبارح ندي القوم وهو شاعر أن تقلأ قد ازيع عن صدره» . ويصور ايوب في قصة (عاصفة وصداها) نوازع نفس تصافرت عليها عوامل الفساد فقد وفق المؤلف في تصوير شخصية (توما) واجاد في تحليل الدوافع التي تضطر الانسان في الاوقات العصيبة ، الى تغيير نظراته للحياة ، وبدأ اسلوبه مؤثراً في هذه القصة خالياً من الرعظ والارشاد .

ويستأثر ايوب في مجموعته السادسة (الكادحون) ١٩٣٩ بطبقة العمال والفلاحين ويختارهم جميعاً من الريف ، او من سكان شواطئ النهر ، مثل صاحب المراكب الذي يعصى على اشد الاخطار ويقهرها لحوت اخر الامراته ميتة في قصة (التوفدة) : «ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي ركب بها (يغور) سفينة لم يسحبها ، لقد رأيت في اليوم الثاني في تابوت مصنوع من سعف النخل ، ممدداً بجانب زوجته واحد اولاده وقد تشبث بعضهم ببعض وعليهم أسماهم البالية التي غسلتها الحياة فظهرت أكثر نصاعة وبياضاً ، وقد تكرم عليهم السدنة وعلى غيرهم من الغرقى الذين قذفت الامواج بجثثهم الى الشاطئ بالطواف حول ضريح

الامام زيد ليمتوا زيارتهم وهم محمولون على الاعواد». ويعيش وحيد في قصته (الثائر) على صيد السمك ويهجم (بفalte) على جيش الانكليز ويفعل الافاعيل، ثم يقتله ابن عمه بغدادته، وسبب ذلك ان القبيلة اعلنت عصيانها على الحكومة لأن شيخها لم يفز بكرسي النيابة. ويدافع وحيد عن شيخه بينما يدافع ابن عمه الجندي عن الحكومة.

يطرق ايوب في قصته (عالم المعيدي) اسلوباً جديداً في الكتابة متأثراً بكتاب غربي (انساه الشيطان اسمه) وتصور القصة عاملاً زراعياً اتاه (عزرائيل) بعد اكله نعمة لسمك متفسخ، اخذه الى العالم الآخر. وساربه على الصراط، ومثل امام محكمة لمحاكمته، وفاز بالجنة بعد دفاع مستميت.

وتقلنا مجموعة ايوب القصصية (العقل في محنته) ١٩٤٠ باسلوبها الرمزي الى عالم غريب لم يعودنا عليه المؤلف، ومن اليسير ان ندرك السبب الذي من اجله اكثر ايوب هذا الاسلوب لانتقاد الوضع القائم آنذاك، فهو يورد اساطير وحكايات تدلل على عبث العيش في بلاد بعيدة، وفي مثل هذه القصص يخضع العمل دائماً للتقاليد البالية والاحكام المسبقة الشائعة، ولكن هناك دائماً رجلاً شاذاً يصارع ويكافح الا انه ينتهي بالاختفاق لأن مفهومه يختلف عن مفاهيم الناس جميعاً غير ان الفساد ينتصر في نهاية الأمر. ومثال ذلك قصة (مصرع العقل) وتدور احداثها في الهند وقد كتبها ايوب باسلوب الحكاية، وفيها يسمع (الراجا) نصائح الانكليز بتعيين (كالا صاحب) وزيراً للثقافة والتعليم والصحافة، وهو رجل مصاب بالصرع وسلوكه شاذ غريب، فيعمل بطريقته الخاصة للقضاء على كل عمل فكري، ينهار المفكرون المتخاذلون، وترتد فرائضهم، ومن هنا تبدأ محنة العقل. وتشابه هذه القصة قصته الاخرى (غريب في القطيع) وقد اختارها الهنود الحمر اطاراً، ومثل

ذلك القصص الاخرى في المجموعة (رقص المقابر، شيوعي في الملايو، مساومة) وتدور احداث هذه القصة الاخيرة، بين ملك يحاول شراء شاعر، الا ان الشاعر يفضل السجن على ان يكون بوقاً للملك، ويخاطب ملكه قائلاً: «مانت الا سجين الكرسي فقد اخترت لنفسك أصغر السجن ضيقاً، لايسع سواك ولا يشاركك فيه من يستمع لبلوك»، وبين على لسان شخصياته فلسفته في الحياة، وازدراؤه للتقاليد والعادات.

يقول ايوب في مقدمة مجموعته القصصية الثامنة (حميات) ١٩٤١ «ان مثل من يتوهم ان الامراض الخلقية والنفسية اقل فتكا بالبشر من الامراض الجسمية كمثّل رجل أطرش أعمى وسط غرفة مسدودة النوافذ مغلقة الابواب وقد حالت الجدران بينه وبين العالم تكتسحه عواصف هوج وزوايع مدمرة، ليت شعري كيف يسوغ له العقل والمنطق ان يسحب وافادات الملايا والكوليرا خطراً لاخطر بعده، وهو يرى سيول الدماء الجارية ويسمع باذنيه هدير المدافع المهلكة ويشاهد الالوف والملايين من بني البشر اصحاء اقوياء يدخلون ابواب الفناء زمرا كل ذلك بسبب نوبة جشع قد اصاب مجتمعات من المجتمعات او وافدة غرور انتابت عدداً من الناس»، وكان ايوبا يريد اشعار القارئ بانه لم ينحرف عن خطته التي سلكها من قبل، وتبدو قصص المجموعة الأكثر قرباً الى المقال القصصي. ولم يوفق الكاتب في كتابتها من الناحية الفنية، ومثلها مجموعته القصصية التاسعة (الكارثة الشاملة) ١٩٤٤. وهي آخر مجموعاته القصصية الصادرة قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية. وقد صور فيها مآسي الحرب وويلاتها، وقد اهداها الى «الابطال الميامين الذين يقدمون ارواحهم بكرم وسخاء للقضاء على اخطر مآبكرته الرجعية من الشرور والآثام، الى المحاربين في مختلف الجبهات ضد قوى الطغيان». يقول ايوب

في قصة (حمى الحرب) / بأسلوب تقرير صحفي: «تنبأ علماء الاجتماع بالحروب العالمية العامة نتيجة دراسة الاوضاع الاقتصادية المقلقة المرتبطة بنظم سياسية واجتماعية اشد قلقاً فلتحم بعضهم ببعض في صراع جهنمي هائل يضعفهم وينهب عبيدهم الى الانتفاض عليهم للتخلص منهم، فيرفع العبيد السلاح الذي اعطوه لذيبح رفاقهم من العبيد في اسم اخرى في وجه غاصبي حريتهم فتحى الفوارق بين السيد والمسود ويتنى التناحر ليحل محله التعاون».

ويصور لنا ايوب في قصة (بوق الحرب) المجاعة التي حلت بالموصل في نهاية الحرب العالمية الأولى، وفي قصة (العبء العظيم) حوار بين (رجب) المؤمن بفلسفة معينة و (حامد) العامل المتذمر من ظروف عمله.

يهب ذنون ايوب لشخصياته بعض لمحات قشرتها الخارجية دون ان يتعمق او يحلل عواطفها او نفسياتها، ولم تكن للشخصية التي يرسمها خصائص فردية تميزها من غيرها بل هي مواقف عامة وانماط بشرية عديدة لأفراد الشعب، لم يصور قلق الشخصية وتناقضاتها وردود فعلها. وصراعاتها، وانما يعرضها لمواقف متضاربة ولجملة من المفارقات المتكاملة يرجح فيها تغليب احد المواقف التي تقفها الشخصية، او يجعلها تنهزم من الحياة عموماً. وتبدو هذه الشخصية التي تتسم بطابع المأساة، في شخصياته النسائية، وشخصياته دمس خلقها الكاتب لتحقيق هدف معين او فكرة معينة، ونظراتهم الى الحياة خاصة بهم هي ذات النظرة التي يرى فيها الكاتب الحياة، بعضهم يميل الى العزلة والانعزالية وآخرون يعيشون في بؤرة الحياة، يكافحون من اجل وجودهم، وهم محبوبون لأنهم صريحون لا يخافون في الحق لومة لائم، وينحصر القسم الآخر من عالم ايوب في فريق رجال السياسة يحصي عليهم تصرفاتهم ويسجل مثالبهم، ويتعمق

احياناً في سبر اغوارهم لكشف عنصر الشر فيهم، والتي تطبع اعمالهم بطابع الانانية والخداع واغفال المصلحة العامة التي فرض عليهم ان يسهروا عليها: وينجح ايوب في اثارة القارئ وياغرا صدره عليهم، كما ينجح في اثارة الرثاء المشوب بالازدراء لشخصيات اخرى تجري في اعقاب اولئك الساسة، تنكر ما اصابته من مفاهيم بعد الدرس والتحصيل العالي وتجاهل المثل الاخلاقية العليا، ويخلع على الابطال الذين يحجم صفات تقربهم من القلوب وتحيطهم بهالة من الاعجاب والاحترام، وان بدوا احياناً غربي الاطوار لا يستطيعون التلازم مع الحياة.

ويستمد ايوب واقعيته في قصصه من تجاربه الشخصية الثرة، وعن مشاهداته وقراءاته، ولا يلعب الخيال الا دوراً ضئيلاً في قصصه، ويدين باقبال الناس على قراءتها الى لقطات قلমে المتورد لا الى وثبة خياله.

يؤمن ايوب بالادب الهادف. وبأن القصة لا تكتب ولا تقرأ لذاتها وانما لابرار عيوب المجتمع ونقده، فلا بد ان تكون ملتصقة بالمجتمع، والالوان المحلية التي تظهر في قصصه هي المسر الذي يضعه بين الواقع الذي يكره والمستقبل الذي يرجو، وهو متفائل ويعتقد في قراءته ان النضال لا بد ان يثمر وان الانسانية لا بد ان تنتصر، لغة الكاتب معبرة بصورة عامة، وان كانت لا ترتفع الا قليلاً عن الاسلوب الصحفي البسيط، وقد استخدم عبارات اقتبسها من قراءاته العديدة وباحفظه من شعر ونثر، وقد تغير اسلوب ايوب وازداد اشراقاً وجمالاً في مجموعاته القصصية الاخيرة (قلوب ظمأى) ١٩٥٠ و (صور شتى) ١٩٥٤ و (قصص من فينا) ١٩٥٥، وتشيع السخرية في اسلوبه، يستعين بها للنيل ممن يضعه هدفاً لنقده، ويعتمد الى السجع ساخراً متندراً: «والسيد افضل موظف في ديوان، له خادم واعوان، وله عقل يتسم بالرجحان، حتى

انفسهم بانفسهم ، ولو تقدمت الزراعة العصرية لارتقى الفلاح حتماً ودخل دوراً جديداً لا اثر فيه لتلك العادات والتقاليد البالية ، الحرية تلك الكلمة المقدسة التي يحاربون من اجل تصفيتها وتجريدها من سوء الاغراض والمقاصد الفاسدة ، ليحصلوا عليها باكمل شكل وابهى صورة .

ويلجأ عبد المسيح وزير في قصصه التي نشرها في الصحف بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٣٩ وجمعت بعد ذلك في مجموعة (الصنم المخطوم) ١٩٧٢ ، الى النهج نفسه الا انه اكثر ميلا الى السخرية مثل قصة (عجوز تصاقي) وهي قصة عجوز تتمسك باذيال الشباب وترتدي احدث الازياء الا انها لا تجيد تنسيق الالوان فتبدو أشد قبحا .

ظهرت القصة الواقعية في الموصل صوراً تسجيلية عن الواقع ثم تطورت الى خلق جديد أعمق من الواقع المباشر بالتزامها بطريق الصنعة والاختيار. لأن الحكبة القصصية ماهي إلا عملية اختيار وتقديم وتأخير ، فالقاص الذي لا يختار بحيث يحكي السياق والتتابع موفياً بالغرض المقصود ، تفقد قصته حيكها ، ولا تعد بالتالي قصة فنية ، وأما نقل مباشر عن الواقع نطلق عليه القصة الصورة : حيث يصور الكاتب عادات وتقاليد المدينة وأحوال الناس فيها ، والشخصيات في مثل هذه القصص غير ناضجة ، ولم تستكمل لمحاتها الأساسية المفردة ، ولم تخلص من التوждية الاصطلاحية المسطحة ، وفيها الى جانب بعض السمات المميزة تناقضات في التصرف وأنشطار عنيف بين الخير المطلق والشر المطلق ، والعديد منها شخصيات (بيوجرافية) تناوذا الكتاب في أتساع ورحابة ، وحينما تتطور الشخصية جزئياً من الداخل فإنها لا تنحصر للتطور الكلي منذ بداية القصة وحتى نهايتها ، لأن القصة الفنية لا ترسم لنا شخصية كاملة ولا تمنطقنا أمتداداً لحياتها وأما ترسم شريحة من هذه الحياة أول لحظة من لحظاتها ، والقصة الصورة تحت تأثير ارتباطها

اصبح يشار له بالبنان ، من ذوي الكلمة عند الاقران» (عظمة فارغة ص ٢٩) ، واشد سخريته ايلا ما تلك الصور والمفارقات التي يوفق الكاتب في رسمها احياناً : «وسهر الليالي مكباً على الكتب الصفراء حتى شحب وجهه وكل بصره وضعفت بنبته فاصبح يشبه بقامته النحيلة ووجهه الصغيرة وعمايته البيضاء وملابسه العصرية تحت الحجة السوداء قلماً من الرصاص في رأسه ممحاة» (برج بابل ص ١٦) ، وفي هذه العبارات الساخرة تكن المأساة ، فسخرته نابعة من الألم الذي يعيشه الشعب العراقي مقيدا بقيود اجتماعية وسياسية ثقيلة .

واستعمل ايوب في مجموعته القصصية (صور شتى) الامثلة العلمية وكأنه مدرس في فصل ، ولابد ان لعمله مدرساً الأثر الاكبر في ذلك : «عناصر الحياة في الحجيرة ثمانية فنية نشيطة قوية بعضها موجب وبعضها سالب ، وفي زاوية شريان صغير يتفرع من شريان المدينة الاكبر» .

ولعل ما يؤكد رؤيتنا في اتجاه ايوب نحو القصة المقال ماورد في مقدمة مجموعته الأولى (رسل الثقافة) حيث قال «في يقيني ان اعظم مهمة يجب على الادباء والقصصيين منهم على الاخص ان يضطلعوا بها ، هي اعطاء صور صادقة لما يقع تحت ابصارهم من حوادث عجيبة وشخصيات وانظمة وقوانين حكومية وشعبية ، ويدخل ضمن ذلك تلك القوانين غير المكتوبة التي يقع تحت تأثيرها المجتمع ، تلك الانظمة المتعارضة والتقاليد المرعية التي تسرب احترامها في دمه ، والتي يتعصب لها فيعمى عا فيها من حسن وقبح . لهذه الصور قيمة كلما اختلطت بشيء من التحليل يجمع بين نواحيها المتباعدة ومظاهرها المرتبكة ، فيفسر ما غمض من اسبابها وعللها» ونجد الكاتب ملتزماً بما قال في سرده القصصي مثلاً ورد في (اليد والارض والماء) : «فاذا كانت الدولة لا تحمي رعاياها فعلى الرعايا ان يحموا

التسجيلي بالواقع المباشر تصور الأخبار وماحول الأخبار، وتكتفي من الأوقات بعرض الحادثة، وقد لا تجد ارتباطاً بين بداية القصة ونهايتها، في حين يرتبط الشكل الفني في القصة بالبداية والنهاية. ويأتي الخبر في القصة الصورة منفصلاً عما حوله ولا يتركز بما قبله أو بعده، والحادثة أن وجدت ليست مقصودة لذاتها بل لدلالاتها أو معناها، ولا يبنى الشكل بناء محكماً بعلاقات سليمة بين أجزائه ولا يتم تركيبه بنسب معينة، في حين تمتاز القصة الفنية بوحدة عضوية يسهم كل عضو فيها بقسط كامل في سبيل الوصول الى التأثير النهائي، فالحدث أو الموضوع أو الفكرة أو الأسلوب وغيرها من الأخبار الجزئية لا توجد لذاتها وإنما لتتفاعل مع غيرها وترتبط ببعضها بعلاقة تؤدي معنى واحداً وتشكل كلاً متميزاً وتخلق الأثر الكامل. المفروض في كاتب القصة الفنية أن يترك أثراً في نفوسنا نحس معه واقعية الحياة، إلا أنه يجب عدم تركه نفس الاثر الذي تركه الحياة وأتما على القارئ أن يشعر ويدرك أما في الحياة فتحس بأنعكاساتها أحساساً مبهماً غامضاً ونافساً لأنه يعتمد على المصادفة العمياء، وواجب القصة أن تقدم لنا الحياة بصورة نشعرنا بها شعوراً كاملاً، ومن واجب القاص أن يخلق من فوضى الحياة نظاماً منسقاً في قصته.

أن الفن القصصي مع اختلافه مع عالم الحياة يتغذى منه ويتزاج وإياه في الشخصيات ويستمد منه مطلع الطريق وينتهي بعد ذلك الى خلق الأثر الذي هو في الظاهر يمثل الواقع، ولكنه في الخفاء يفصل عنه انفصلاً تاماً، أي ينتهي الفن القصصي الى قوانين عامة للإنسانية تعني أحوال الواقع لا ماوقع فعلاً، ولكي يصل الفنان الى غايته في أحياء الممكن أو أحوال الوقوع لابد أن يخضع العمل لعملية الاختيار وأن يتسم بنشاط الملاحظة والتأمل ونشاط التحليل والتقييم بحيث يشكل لنا في النهاية كلا محدوداً يتجه وجهة معينة.

يقف آدمون صبري في الصفوف الأمامية من كتاب القصة لا في الموصل فحسب وإنما على نطاق العراق كله. فأن عدسته اللاقطة أكثر دقة وأوسع مدى من غيره، ولا تلمس تطوراً في كتاباته عبر قصصه الجمّة فهي على نخط واحد من الرتبة في الشكل والمضمون، فالعرض السردى هو الشكل الغالب على قصصه، وتتحرك شخصياته بميكانيكية ملتقطة من الحياة كما هي من دون أي اختيار أو تركيز وهو مكثّر في نتاجه القصصي مثل ذنون أيوب، فقد أصدر ثلاث عشرة مجموعة قصصية بدأها بمجموعة (مصادر الدموع) عام ١٩٥٢ وأنهى بمجموعة (أقاصيص من الحياة) عام ١٩٧٠ ونحن اذا لسنا تطوراً في قصص ذنون أيوب، وخاصة في عقد الخمسينات، فنحن لا نجد أي تطوراً في فن آدمون صبري القصصي، يفيق العامل من نومه في قصة (عامل قبر) من مجموعته الأولى، بعد عمل مرهق في تبليط الشوارع، وبينما هو يسير في العتمة تعوص رجله في القارحتى يفرق فيه، وما هذه النهاية الّا مصادفة لإنهاء الحياة البائسة للعامل ويختم القصة أيضاً.

وشخصيات قصصه طليقة الملامح، تحكمها أقدار من الحياة، وهي مستسلمة للضرورة التي تمرقها وللأحداث التي تسحقها دون أن يكون في مقدورها الوقوف دونها، شخصيات سلبية غير قادرة على المقاومة، فلا يستطيع الحبيبان الزواج لفقرهما في قصة (في الحديقة)، ولا يتمكن (صبيح المكداش) أن يجابه أزمة مقره وطلب أخيه منه دفع ثمن سكنه وطعامه، فيفرق في الحشيش ورفع رأسه قليلاً ونظر حوله بتبلد وحيرة، أحس بالراحة والاسترخاء ولكنه لا يستطيع أن يقيم مطمئناً، لقد فعل فيه المخدر فعلاً عجباً وسيفعل كل ليلة، وليذهب أخوه وزوجة أخيه وأولاده الى الشيطان الذي هو أرحم به وهم.

وجاءت مجموعته الأخيرة (أقاصيص من

الحياة) أكثر التصاقاً بحرفية الواقع وهي صور التقطها من هنا وهناك ، فهو تارة يصور الخيانة الزوجية في قصة (مايكل شوزوفرينيا) ، ومسألة النسل في قصة (عندما يلتقي الأضداد) ، أو يصور الانتهازية تارة أخرى كما في قصة (وراء سياج المرقص) ، الى آخر ذلك من صور حياتية التقطها من مجتمعه ، دون تقدم تبين في المعالجة القصصية .

لقد أعطت البيئة العراقية منذ الثلاثينات من هذا القرن ، والموصل التي تعد اللواء الثاني وهو الأكثر نمواً وأزدهاراً بين الألوية الأخرى ، أرضاً ملائمة لكتابة القصة الواقعية الفنية ، فقد ظهر التلازم مع الأوضاع الاقتصادية الجديدة ووظف أصحاب الأموال ، أموالهم لغرض الحصول على الربح ، وغت الطبقة العاملة وتجمعت في تنظيمات نقابية تنتعش حيناً وتضمحل أحياناً نتيجة للضغط الحكومي عليها ، وحدثت صراعات عدة بين العمال والسلطة حول قانون العمل والأجور وساعات العمل ، وبانت البطالة تهدد الحكومات سياسياً وأجتماعياً ، وبدا الصراع بين الجديد والقديم محتوماً ، ومزق القلق نفوس الشباب نتيجة للتطور السريع ، فهو أحياناً صراع ضد الأجنبي أو صراع ضد الحكام ، وهو في حين آخر صراع ضد التخلف ، وتبلورت الحركة الوطنية ، وقامت انتفاضات ضد المعاهدات المجاعة ، وجاءت القضية الفلسطينية لتغرس سكيناً في كرامة كل عراقي ، وتبلور الفكر القومي تبلوراً جديداً ظهر أثره في الأحداث التي اجتاحت العراق ومنها الموصل عام ١٩٥٦ ابان الاعتداء الثلاثي على مصر كل ذلك قاد الشعب الى ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ .

خلال هذه المسيرة الطويلة من النضال ، عبر القاص في الموصل عن هذه الصراعات بأشكال متباينة وقد أرسى عبد الحق فاضل دعائم القصة الواقعية عبر قصص مجموعته (مزاح وما اشبه) ١٩٣٦ ثم أصدر مجموعته (طواغيت) ١٩٥٨ و

(حاثرون) ١٩٥٩ وفيها قصص كتبها قبل نشرها بكثير غير أنه أثر السلامة وأحتفظ بها في درجه . وأتم عبد الحق فاضل اللوحة الرائعة التي رسمها للمجتمع العراقي ، وأختلف في منحاه عن المنحى الذي سلكه دنون أيوب ، فهو يلائم بين المضمون والشكل ، وينسى أفرازاته النفسية ، ولا يجتهد ويغضب ويدع شخصياته تسير في مسارها الطبيعي دون تدخل منه . ولأنهم ملامح شخصياته الخارجية الآ بقدر ماتساعده على فهم طبيعة الشخصية وتبرير سلوكها ، وأكثر شخصياته فردية وأنسانية في طبيعتها ورسمها ، ولا يتخذ المؤلف موقفاً واحداً في عرض شخصياته فهو يعرضها في موضوعية تامة حيناً ، ويكون الراوي لأفعالها حيناً آخر ، فمحمود في قصة (مزاح) شديد الغيرة على زوجته ، لا يريد أن يخرج كسي لا يراها أحد ، وقد وفق عبد الحق فاضل في تحليل غيرة الرجل ، غير أنه اسرف في الوصف في تلك المحاضرة الطويلة عن الاعتراف بالأخطاء وطلب المغفرة .

و (ايلا) في القصة التي تحمل الاسم ذاته ، طفلة صغيرة . لم تتحمل وجود أخيها الى جانبها ، فقتلتها الغيرة ، وقد وصفها القاص وصفاً رائعاً على لسان أمها ، ويؤخذ على الكاتب اسرافه في وصف الطفلة ، وخلع صفات الكبار عليها ، وجاءت مناقشاتها في مستوى أعلى من المستوى العقلي لمثيلاتها ، وهو مجيد في أكثر قصصه القصيرة من الناحية الفنية ، فقد خلق شخصياته خلقاً موضوعياً فأكسبت طابع التبرير والأفئاع الفني الى جانب سعيه لحل مشكلات مجتمعه ، فلجأ الى التعليل والتفسير ووصف الدواعي الدافعة لتصرف الشخصيات . وحرك أحداثه وشخصياته في جو مقنع وأسلوب مشرق ، أكسب قصصه طعماً خاصاً .

وقد أستعار عبد الحق فاضل جو الأساطير في قصة (اله الحكمة) بطلها (جانيس) وهو شاب دميم

عوضته الآلهة مقداراً كبيراً من المعرفة والحكمة وحسن الخلق، ضاق جانيس بكرة النساء له، فذهب الى مجلس الآلهة يطلب اليهم أن يسووه مخلوقاً جميلاً، فأحسنت الاله الجبال تسويته رجلاً جميلاً حتى وقعت صانعته بحبه، ففقد جانيس نصف حكمته، وطفق وراء الغواني الحسان يستزف وقته مما جعله يضيق بجياته فطلب الى الآلهة أن تمسخه حماراً فأستجابت له، وكان الاله الحكمة قد ضاق ذرعاً بالألوهية. فسعى اليها جانيس ونصب الها للحكمة بدلاً منه.

وهكذا يقع عبد الحق فاضل على الرق الكبير الذي كان يعاني منه الإنسان الذكي في مجتمع تعقد أولوية الحكمة فيه للحمير. وهو مصدر القلق الذي عانى منه شباب ما قبل الحرب العالمية الثانية، والمواجهة التي وقفوا فيها أمام السلطة التي قدمت العراق لقمة سائفة للاستغلال الاستعماري، وقد أفاد المؤلف أفادة بيّنة في أستعانه بالرمز للأمعان في السخرية من الحكام، وبدت الأبعاد الأسطورية في القصة أكثر قوة مما لو أستلهم الكاتب الأنجاه الواقعي لعرض المشكلة وإذا رجعنا الى قصص عبد الحق فاضل نتبين أنه يصدرها عن تجربة يعانها ويعيشها فتكون رؤيته أكثر عمقاً، لأنه وشخصياته يعيشون في مجرى الشعور بوعي أكثر، ويكونون تجرته الفنية، على أن هذا الأمر له خطورته، لأن التجربة الشخصية وحدها قد تحدد الطاقة البشرية، مما يؤدي الى عدم قيام حياة نفسية غنية واسعة ومنوعة، وأنما على الفنان أن يتحول بها الى تجربة تضع الإنسان مكان الفرد وتهم بالعام بدلاً من الخاص. وشخصياته من البرجوازية الصغيرة، يعطف عليها ويصورها بنبل وطهارة، ولاهمه صراعاتها إلا بقدر بناء ملامحها الخارجية، وفي هذا القدر الضئيل من الصفات المادية يستخدم اللامحات التي تساق على فهم طبيعة الشخصية وتبرير سلوكها، وهو يبينها بتتابع من نحو القصة

وتطورها. وأكثر شخصياته فردية أنسانية في طبيعتها وسلوكها: هشام في قصة (زواج عصري) وإسماعيل في قصة (مشروع طلاق) وأم ميخائيل في قصة (حسرة أم ميخائيل)، وهو لا يتخذ موقفاً واحداً في عرض شخصياته، فتارة يعرضها بموضوعية تامة كما في قصص (نصيب، اليك، لقمان الحكيم، مشروع طلاق)، وتارة يحملها أراءه الخاصة كما في قصتي (زواج عصري والرائد) وتارة نحس بأنه شخصيته في القصة كما في (أبراهيم وسندبة ونيذ) ورابعة يكون هو الراوي لبعض أفعاله كما في قصة (حسرة أم ميخائيل).

ويعتمد عبد الحق فاضل على الفنية القصصية وعناصرها الأساسية في الحوار والسرد والشخصية، ويعبر بأسلوب مرح بشيع فيه جو من الألفة والحرارة.

ويعد غانم الدباغ امتداداً واعياً لعبد الحق فاضل في تحليله لشخصياته وعنايته بفنية القصة، وملاءمته بين الشكل والمضمون، ويستقي مضامينه من الغرائز المكبوتة وفوران الشباب والحومان من لذاذات الحياة، كما في قصتيه المتميزتين (الماء العذب، والظلام المغمور) من مجموعته الأولى (الماء العذب) ١٩٦٩ وقد كتبت جميعها في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات ولم تجمع في كتاب الا في وقت لاحق، وتعكس قصصه ذلك القلق الفخي الذي أنتشى به المثقفون بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يقدم المؤلف فلسفة معينة في قصصه ولاشرت سطورهم من ذلك الحنين الأنساني الذي يصبي ويوجه، إلا أنه عبّر فيها عن تلك النظرة الفنية القلقة التي كانت الطبقة الجديدة من المثقفين تهرب اليها، من الواقع النضالي، وقد تمثل غانم الدباغ معنى التجربة القصصية الفنية، وأستطاع يتمكّن من الخلق الفني أن يفرغ تجاربه في قوالب فنية جديدة، فجاءت متحررة من كل ما يقيد فنيهاً. ولا تفرض شخصياته على القصة من ٤٠١

لتسقط الوزارة، أمتلأت الشوارع، شباب، فتيات، نريد الجلاء، يسقط الوزير، فلسطين، الموت للأتكليز، للمصهاينة، خوذ فولاذية، أضرابات، رشاشات، دماء، جرحى، قتلى، مواضيع دسمة للجرائد... أنصرفوا الى دروسكم، الحكومة أدرى بواجبها، أضراب، تأجيل الدراسة، أحكام عسكرية، سجون، ألم نقل لكم أن أعطاء الحريات لهذا الشعب ليست من صالحه، صرح الوزير، أيده المجلس، أكثرية، تصفيق... أن سيادة الجنس في قصص غام الدباغ لايتأتى عن أفعال أو أقحام، وأنما يأتي الجنس معادلاً موضوعاً للخية التي تمسها الشخصية في داخلها، أنه نوع من الهروب من الواقع، فرغبته بالماء العذب يعني رغبته بترقة، وما رغبته هذه إلا بديل عن تأزمه النفسي والاجتماعي في تلك القرية التي تحترم القوة ولاتحترم العلم، وموقف الكاتب من الجنس موقف ايجابي وغير سلبي، فهو يدين الشباب الهاربين من الصراع مع السلطة، ويدين الأنفاس في الجنس بدلاً من النضال ضد التسلط وقع الحريات، وتعاني شخصياته من السلبية على الرغم من تقدميتها، فالفكر يملئ عليهم الكثير ويدفعهم الى الصراع مع كل ماهوبال وعتيق إلا أن سلاسل قوية تقيد حركتهم وتربطهم بواقعهم وتدفعهم أما الى الرثرة كما لاحظنا في قصة (الظلام المحمور) أو الى الفعل السلبي وأغراق الذات في الخطيئة كما فعل بطل قصة (سوناتا في ضوء القمر) أو الى الحلم كما فعل بطل قصة (الأعمدة)، وقد أختارت القصص الثلاث من مجموعاته القصصية الثلاث على سبيل المثال لا الحصر، وإذ يجد غام الدباغ البديل الذي يهرب اليه من مجابهة الواقع في موضوعات قصصه الثلاث يختار أشكالاً جديدة لاستيعاب هذه الموضوعات الجديدة بديلة عن الأسلوب التقليدي الموباساني أو التشيخوفي، فهو لايتحمل المسؤولية في فن القص التقليدي كما

خارجها، وأنما ترسم لمحة من خلالها، فلا نجد لشخصياته ملامح أو أوصافاً خارجية، إلا أننا نعرف كلا منها شيئاً فشيئاً من خلال تصرفاتها الانسانية التي تبرز في القصة وتملأها بالحياة، وهو مجيد في تحليل رغبات شخصياته والكشف عن غرائزهم وآمالهم، إلا أنه يهصر الشخصية في نطاق الذات، فهي خاضعة لرغباتها المكبوتة، وتنتظر الى الحياة من خلال هذه الرغبات. فالراوي يكره العيش في القرية التي يشتغل فيها معلماً، في قصة (الماء العذب)، لايسبب أن أهل القرية لايمحرمون المعلمين كما يحرمون الموظفين الإداريين فحسب، ولايسبب حرمانه من الماء العذب ولذات الحياة التي ينعم بها زملاؤه في المدينة، بل لأنه محروم من المتعة، ينظر الى فتيات القرية عن بعد ولايستطيع الاقتراب منهن خوفاً من تقاليد القرية التي لاترحم، وعند ماتأنيته (ترقة) بالماء العذب وتستسلم له يتبدل كل شيء في نظره ويحب القرية ولايهم للماء العذب المراق، غير أن هذه الذاتية المتصلبة ماتلبث أن تنفجر عن منابع أنسانية في نفس بطل قصة (الظلام المحمور) الذي يفرق نفسه في الحانة العاجية بشتات مختلفة من البشر: سكارى، باعة متجولون، باعة صحف ومذاياع يقذف بأغانيه وأنيابه، يلتقط البطل كل ذلك بحس مستفز تتجسد صوراً في عقله وتنبعث الكلمات متداعية مضطربة حيناً ومنسقة حيناً آخر على لسانه: «الراتب ضئيل، الحكومة وعدت بتعديل القانون، تكلم النواب في المجلس، وخطبوا بالعامية ونشرت أقوالهم بالفصحى، حذفت من المحضر فقرات جريئة أرادوها حصيلة للانتخابات القابلة، رثرة لا يؤمنون بها، مسكينة طلقها زوجها قبل ربيعها الثلاثين، أبي لم أعرفه إلا زمن الطفولة، ذكريات سحيقة، له لحية كثة، رأيت مثله في الأفلام المصرية... العالم يضطرب وزير صرح بهذا، الوزير واقعي، مذكرات، أزمة وزارية

لاتتحمل شخصياته المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهم، فبطل قصة الظلام المحمور يثرثر بكلام لا رابط له يستنزف وعيه عبر الأزمة الضيقة الشبيهة بأنفاق الموت والوحول والقذارة، ولم يصارع غير كلب ذليل وقع عليه نظره ليقيم نفسه في سجن داره، وكان أسلوب التداعي هو الأسلوب الأنسب لهذه القصة الجيدة التي فازت بالجائزة الثالثة في مسابقة مجلة الآداب للقصة عام ١٩٥٤، وهل يجد الإنسان المهزوم وسيلة أفضل لاستنزاف كل طاقاته غير الثرثرة؟! ويدور الحدث في (سوناتا في ضوء القمر) حول نزوة مرت بالراوي في ليلة قراء من ليالي الصيف، ويتوسل بجميع الوسائل حتى يظفر بغيته وبينما هو في أقصى نشوته يستيقظ أهل الدار غير أنهم لا يلتفتون إليه وإنما ينشغلون بالقطعة الجائعة التي تحرشت بالطفل وجعلته يبكي، وقد أحسن الكاتب في استخدام القطعة رمزاً للشبق الذي أرقه، وكانت الخيبة حليفة بطل القصة على الرغم من حصوله على بغيته لأن الهدف المنشود لم يكن إلا وسيلة للهروب من الواقع. ولم يستطع الصمود أمامه فأضحي كل شيء بالنسبة إليه عبثاً وقبض الريح، وشاركه القمر كآبته، وفعلت الطبيعة في نفسه ما تفعله في نفوس الرومانتيكيين، فأضى قوامته وحزنه عليها، وبدت هاربة مثله من وجه الصعاب، كل ما في القصة يدل على الهروب: الخوف، الحلم، الخطيئة، الطبيعة الحزينة، التلصص، الخجل، الخيانة الزوجية) والخيبة التي تنتهي بها القصة. وقد أختار غانم الدباغ لقصته ثوباً جديداً كل الجدة على القصة العربية، تكونت القصة من ثماني عشرة مقطعاً، كل مقطع يتكون من فقرتين، الأولى تمثل حدث القصة، والفقرة الثانية تعليق على الفقرة الأولى وأحداثها، تعليق أقتبسه من قراءاته وحاول جهده أن يأتي مناسباً لما تورده الفقرة في المقطع، وقد أستغل الكاتب ثقافته في هذا التعليق الذي

أقتبسه من قراءاته، وحاول جهده أن يأتي مناسباً للجزئية التي يوردها في الحدث الأصلي في المقطع الخامس مثلاً يصور الحالة النفسية التي كانت عليها (سعاد) من خلال نزوتها، يعلق على هذه الفقرة مشبهاً إياها بنواح موسيقى (جايكوفسكي) وعذاب (بودلير) ورغبة (بايرون باوغستا)، ويسير على هذا النمط في جميع المقاطع.

ويحدثنا غانم الدباغ في قصة (الأعمدة) من مجموعته الأخيرة (حكاية من المدينة القديمة) ١٩٧٤ عن أنسان محبط في جميع تصرفاته. ويشرح لنا عبر سقطة المختزنة وركام الجمل الموحية عن علاقة هذا الإنسان المضادة للعالم، حتى أبعده هذا التضاد عن كل ماحوله، عن مشاعره وجهه.

أما السمة الثالثة لقصص غانم الدباغ فهي رصد الأحداث التي مرت بها مدينة الموصل ورصد العادات والتقاليد والمعتقدات، وهو في هذه السمة قاص واقعي أحتياعي، ينحدر أحياناً إلى مستوى التسمجيلية كما في قصة (السكون)، أو يرتفع إلى مستوى عال من الفن كما في قصتي (السوق الكبيرة، وحكاية من المدينة القديمة).

وسار غانم الدباغ وراء الأشكال الجديدة في كتابة القصة. فأتبع أسلوب تيار الوعي في الظلام المحمور. واسلوب همنغواي في الماء العذب، وكتاب الرواية الجديدة في قصتي (مثلث الرغبة والشلال). وأعطى لقصته (سوناتا في ضوء القمر) شكلاً جديداً كل الجدة على القصة العربية القصيرة في السبعينات، وفقدت قصص المجموعة التي تحمل الاسم ذاته، خطى القصة الموباسانية ذات البداية والذروة والنهاية. وأتبع الأسلوب السريالي في قصة (رجال بدون ملامح) واسلوب المذكرات في قصة (من أسبوعيات فتاة نصف متعلمة). ويظهر تأثير كافكا وأجواء الخائفة في العديد من قصصه (الموت والضجر، الخيوط

الهوامش

- (١) ينظر عمر الطالب ، «القصة في الأدب العربي» ، مجلة آداب الزافدين ، العدد الأول ، ١٩٧١ .
- (٢) أنظر : عمر الطالب ، «المرسجة العربية في العراق ١٩٧١ ، بدايات المرسجة العربية في العراق» ، مجلة المسرح المصرية ، العدد ٤٤ ، ١٩٦٧ .
- (٣) ينظر : عمر الطالب ، الرواية العربية في العراق ١٩٧١ ، القصة القصيرة الحديثة في العراق ١٩٧٩ ، ورسالة الماجستير (القصة القصيرة بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٦٥ ، ورسالة الدكتوراة (القرن القصصي في العراق) ١٩٦٧ .
- (٤) للاستزادة ينظر : عمر الطالب ، الرواية العربية في العراق ١٩٧١ ، القصة القصيرة الحديثة في العراق ١٩٧٩ وكذلك عمر الطالب «فن القص عند سلمان فيضي» ، مجلة الجامعة ، ٩ ، ١٩٧٣ .
- (٥) مجلة الادب اللبنانية ، العدد ١٠ ، ١٩٤٦ ، والجريدة العراقية عام ١٩٤٣ .
- (٦) محمود مفتي الشافعية ، فوزية ص ١٣ ، ١٦ ، ١٩ .
- (٧) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .
- (٨) ينظر : عمر الطالب ، القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ص ٣٩ - ٤٦ .

والشيخ ، الطولم ، السكون) .

وأسلوب غائم الدباغ جميل ومشرق ويحسن استخدام الحوار الخارجي (الديالوج) والداخلي (المونولوج) بشكل مترابط أخذ مليء بالحركة . وقد يأتي الحوار بالفصحى أو بلغة فصيحة محلاة بكلمات عامية ، أو بالعامية فقط ، وذلك حسب مستوى الشخصية الاجتماعية والفكري .

ومها يكن من أمر ، فقد شهدت القصة في الموصل تطوراً وازدهاراً إبان الفترة اللاحقة لحقبة الخمسينات ، وبرز قصاصون مجيدون أغنوا عالم القصة الموصلية ، وهم جديرون بأن تكتب عنهم دراسات مستقلة تالية نذكر منهم عمر محمد الطالب ، ومحمود جنداري وحمد صالح وأنور عبد العزيز وحسب الله يحیی وسالم الغزوي ونجمان ياسين وثامر معيوف .

المسترح

أ. د. عمر محمد الطالب

مقدمة :

خيال الظل ، اثنان على الايقاع ، واحد على الزمار وواحد على الطبل .

واستمد ابن دانيال مسرحيات خيال الظل من احداث واقعية صورت شخصيات معاصرة لتلك الفترة ، فقد جسدت مسرحية (غريب وعجيب) ثلاثين شخصية لأصحاب الحرف الذين زحرت بهم الاسواق ، وجسد كل منهم مهنته بأسلوب فكاهي ساخر .

ودارت مسرحيته (طيف الخيال) حول الأمير (وصال) وتابعه طيف الخيال الاحدب ، قصير القامة ، ويحلل ابن دانيال هاتين الشخصيتين تحليلاً طريفاً مبنياً جوانب الضعف في شخصية الأمير ، والشذوذ المستحكم في شخصية طيف الخيال . في اطار اجتماعي مستمد من البيئة التي عاش فيها .

بعد خيال الظل^(١) من ابرز الظواهر التشخيصية التي ظهرت في الموصل والمعتمدة على الحركة والفعل في اطار حكايات يستند الى الحوار المكون من الشعر والزجل والسجع . ويعد ابن دانيال الموصلية اهم من كتب مسرحيات خيال الظل في الأدب العربي .

ولد الشيخ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف الحارثي الموصلية في الموصل عام ١٨٣٣م وتوفي عام ١٨٩٣م عرف باسم ابن دانيال الموصلية وكان طبيباً كحلاً وشاعراً والمبدع الأول لخيال الظل ، واشهر مسرحياته (طيف الخيال) وعجيب وغريب ، والتميم وتودر المسرحية الاخيرة حول حادثة عاطفية ، اشتملت على مشاهد متممة مثل تحرش الدبوك على القتال ، ونطاح الكباش والثيران بقصد الفرجة والتسلية ، وكان يرافق مسرح

واصبحت باباته المدونة ادنى الى المسرحيات المكتوبة.

وظهر (القرقوز) في الموصل أيضاً، وهو اقرب الى التهرج الشعبي من خيال الظل، وتمثيلاته مرتجلة وليست مدونة كما في خيال الظل، لاثارة الضحك والتسلية، ولم يسع مثل خيال الظل الى تحريك المشاعر وتنبيه الأفكار.^(٣)

بدايات النشاطات المسرحية في الموصل :

لقد كانت العلاقات السياسية والتجارية والفنية وثيقة الصلة بين الموصل وبغداد من جهة وحلب ودمشق من جهة أخرى، وقد عرفت بلاد الشام التمثيل في منتصف القرن التاسع عشر^(٤). وكانت ترد من بلاد الشام الى الموصل وبغداد فرق تقوم بالرقص والغناء وتقدم المشاهد التمثيلية^(٥). وكانت مثل هذه العلاقات قوية ايضا بين الموصل وتركيا. وكان الرقص والغناء يتم في المقاهي والملاهي. وكان رواد المقاهي سثموا الرقص والغناء فأدخل اصحاب المقاهي المشاهد التمثيلية القصيرة بين فقرات الرقص والغناء من أجل التنويع وضمان زيادة الرواد على نحو ما يحدث في مقاهي تركيا وملاهيها والاقطار العربية التي كانت خاضعة للاحتلال العثماني.

وقد قامت هذه التمثيلات على الحوار الهزلي وتبادل الكلمات الساخرة والملح، وهي لا تعتمد على موضوع معين بل هدفها الأساس هو الاضحاك والامتع، وكانوا يعمدون الى الملابس المضحكة والازياء الساخرة التي تناسب الموقف الذي يقومون بعرضه، وقد سمي هذا النوع من المشاهد التمثيلية (بالاخباري)، وهو لا يعتمد على نص مكتوب او حركات موجهة مدروسة، بل يقف المشخصون امام الجمهور من دون اعداد سابق، ويتكلمون حسب هواهم من دون مراقبة او تنبيه. فيكثر الكلام العامي المقذع، وتتم السطحية والضحالة مثل هذه المشاهد التمثيلية. وقد

وتتلخص المسرحية في خداع الخاطبة للامير وصال حول عروس ذات جبال وهال، وبعد ان يتزوجها الامير يجدها شوها قبيحة.^(٦)

وتعد هذه المسرحيات ذخيرة شعبية في موضوعها، بسيطة في تشخيصها، طريفة في حوارها، لتلائم الذوق الشعبي حيث اقبل الجمهور اقبالا شديداً على مشاهدة خيال الظل آنذاك.

وقد هدفت (بابات) خيال الظل - وهو الاسم الذي كان يطلق عليها آنذاك بدلاً من كلمة مسرحية - من حيث المبدأ الى الاضحاك والتسلية. غير ان هذا الهدف لم يمنحها من التعرض للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. والحياة اليومية المعاشة، تعرضاً مباشراً، تعرض كل ذلك بشكل مباشر وصريح لا يغفل عن جرأة شديدة. وأكثر ما تعرضت له بابات خيال الظل، النقد الاجتماعي والمشكلات والعيوب التي يتعرض لها بأسلوب فكاهي ساخر.

واذا كانت السياسة والنقد الاجتماعي هدفين من اهداف خيال الظل فانها لم يكونا هدفين مجردين موضوعين في قالب نصح ووعظ مجموعين، وانما في قالب من الهزل والنكتة والسخرية والموسيقى والغناء، مع نحو في الحدث وتطور له حتى النهاية.

واصطنع ابن دانيال لغة بين الفصحى والعامية، مستغلاً التورية والجناس والمقابلة وسائر انواع الزخارف اللفظية والمعنوية، فحقق بذلك شاعريته وسابغ في الوقت نفسه أمزجة الاوساط الراقية والعامية معاً، وكان يترخص في قوانين الاشتقاق والتصريف، ويتحرر الى حد ما من قواعد النحو واصول النظم، ولعله جرب المزاجية بين الأطر الفصيحة وبين الاشكال العامية الغالبة في عصره.

ونجد في المقدمات التي وضعها ابن دانيال الموصل ما ينبيء بأنه لم يغفل عن التدوين أي ان باباته يمكن ان تقرأ وأن تمثل في آن واحد،

في اواخر القرن التاسع عشر وكن في الغالب من غير العراقيات .

وقد أطلق العراقيون على الشخص الذي يقوم بتقديم هذه المشاهد الهزلية في المقاهي والملاهي اسم (الشانق) وهو محرف عن التركية ومأخوذ من اللفظة الفرنسية Scene بمعنى مشهد^(٦) . والاختباري في الاصل شكل شعبي محض فحواه ان شاعراً أو فناناً يأتي مع زميل له ، فيقفان في ساحة القرية أو المدينة فيجتمع حولهما الناس ويسردان خبراً ثم يبدآن بالتعليق عليه شعراً او نثراً مقلدين اصحاب الخبر وأبطاله .

وقد استمر تقديم الاختباري في المقاهي والملاهي العراقية الى ما بعد الحرب العالمية الأولى ثم أخذ في الاندثار .

ظهر الى جانب هذا النوع من النشاط التمثيلي في الموصل ، المسرحيات التعليمية التي كان يقدمها المعلمون في المدارس الدينية المسيحية ، في العطل والمناسبات الدينية والمدرسية ويقوم بتمثيلها طلبة هذه المدارس ، والغرض منها بثّ التعاليم الدينية والاخلاقية بين رعاياهم ، وقد استمدوا أحداث مسرحياتهم من العهدين القديم والجديد لغرس الايمان في نفوس هؤلاء الرعايا وتنويرهم بالتعاليم المسيحية . وقد كانت العلاقات الثقافية والدينية قوية بين الكنائس والمدارس المسيحية في الموصل وبغداد وبين الأوساط الدينية المسيحية في لبنان وروما وباريس^(٧) .

وكانت المدارس المسيحية ترسل بعض رعاياها من المتفوقين والناهبين في اوربا للدراسة هناك ، ثم يعودون للتدريس في المدارس المسيحية في الموصل وبغداد ، يضاف الى ذلك ان العراق كان تحت السيطرة العثمانية ، وكان العثمانيون قد عرفوا المسرح ومارسوا التمثيل منذ أواخر القرن الثامن عشر ، كما شهدت استنبول في القرن التاسع عشر نشاطاً مسرحياً ملحوظاً . وكان العراقيون يذهبون للدراسة

هناك ثم يعودون وقد تأثروا بمشاهداتهم وضاع معظم هذا النتاج المسرحي لعدم اهتمام الكنائس بطبعه في كتب ، وربما يعود ذلك الى عدم توفر وسائل الطباعة في الموصل آنذاك على نطاق تستطيع معه الكنائس طبع نتاج رعاياها .

وقد ظهر أول عمل مسرحي في الموصل عام ١٨٨٠ م للأب حنا حبش^(٨) ، ثم طبع في كتاب يضم ثلاث مسرحيات قصيرة (كوميديا آدم وحواء ، كوميديا يوسف الحسن ، كوميديا طوبيا) ، والمسرحيات الثلاث ليست كوميديا بالمفهوم الحديث بل هي مسرحيات مأساوية ، ويبدو ان المؤلف قصد بالكوميديا معنى المسرحية لجهله بالمصطلحات الفنية للمسرح .

وتوالى المسرحيات التي ألفها القسس والمعلمون في العراق في هذه المدارس الدينية منذ ذلك التاريخ ، وتعد هذه المسرحيات البذرة الأولى في التأليف المسرحي والعمل المسرحي في العراق ، ولكنها لم تخرج عن نطاق التمثيل في المدارس الدينية .

وتعد مسرحيات حنا حبش مسرحيات أخلاقية . وشخصياتها عبارة عن نماذج تمثل الرذائل والفضائل المجردة وحوارها طبيعي انساني شبيه بالحوار المعاصر ، ويتجلى ذلك في العرض الحبي لزوج العزير في مسرحية (يوسف الحسن) التي تظهر كأمراة شبيقة لا يوقفها شيء عن تحقيق رغباتها . وقد أظهر الكاتب براعة وتوازنا في فقرات الحوار بين يوسف وشخصيات المسرحية ، ومهارة في استخدامه للمقاطع الشعرية . وقد راعى فيها مقتضيات المسرح آنذاك . فقد خلت من المناظر الكثيرة وامتألت بنصوص من الكتاب المقدس ، وتناول في هذه المسرحية قصة يوسف كما وردت في الكتاب المقدس ، واختار منها الحوادث التي تعينه على اقامة هيكل المسرحية كما وردت فيه . واخذ موضوع مسرحية (آدم وحواء) من سفر التكوين ،

وهي من نوع مسرحيات الأسرار التي انتشرت في أوروبا في القرون الوسطى ، وقد بناها على حدث بدء الخليقة ، وادخل ابليس كي يبعث فيها الحياة ويربّزها للنظارة واضحة المعالم قوة الملامح بحيث تستبان العظلة ويتضح المغزى الذي رمى إليه الكاتب ، في مسرحيته .

أمّا المسرحية الثالثة (طوبيا) فقد تمسك فيها المؤلف بالتقاليد الدينية التي لم تكن تسمح للكاتب آنذاك بالاختراع أو الخروج على النصوص الأصلية . ولم ينجح المؤلف في اشاعة الحياة في الجو التأريخي بل اكتفى بإيراد الحوادث كما وردت في الكتاب المقدس ، ولم يحاول احياء شخصيات وتقديمها لنا على انها شخصيات حية لا مجرد اسماء تأريخية مندثرة ، وكان هدفه نشر تعاليم المسيح الداعية الى التسامح وترك الاحقاد . وقد عرف الموصليون ثقافة الغرب عامة ومسرحه خاصة عن طريق الترجمة الى العربية او التركية وكانت المصادر التركية تعد من اهم المصادر نتيجة لارتباط العراق بالدولة العثمانية ، واتقان المتعلمين للغة التركية . حيث كانت التركية لغة المدارس آنذاك ولغة الصحافة ودواوين الدولة . وكان عدد لا بأس به من العراقيين يدرسون آنذاك في أستانبول .^(٩)

وقد ظهر لنا من تتبع حركة الترجمة انهم لم ينقلوا لنا مدرسة مسرحية بعينها ، حيث كان رائدهم في الاختيار شهرة الكاتب أو شهرة المسرحية أو ملاءمتها للذوق العربي في تلك الفترة^(١٠) .

وقد تابنت اساليب الكتاب في الترجمات ففهم من كان يحاول تقريبها الى الذوق الشعبي ، فيعنى بابرار حوادثها الرئيسية ويتناول الحوار بالتلخيص أو الحذف أو يغير النهاية أحيانا لكي تلائم ذوق الجمهور الذي كان يطلب في المسرحية صفات خاصة تنفق وتجاربه وثقافته ، وكان بعضهم يتحلل المسرحيات التي يترجمها بعد التغيير فيها ويدعيها لنفسه^(١١) . ومن الكتاب من كان يعنى بالناحية

الأدبية في هذه المسرحيات ولا يهتم بالشروط التي تقيد بها طبيعة المسرح العربي . لذا كان يبدل الجهد في سبيل المحافظة على الأصل ونقله نقلاً أميناً دون حذف أو تشويه .

وبفضل الترجمة على اختلاف انواعها ومراحلها ذلت العربية ومرت على أداء الأغراض المسرحية الحديثة ، فنشأت فيها تعبيرات جديدة ، وقد ظهر النشاط المسرحي في كنيستي الآباء الدومنيكان والكلدان والمدارس التابعة لها .

لقد عنيت المدارس المسيحية في الموصل واسيا المدارس التابعة للآباء الدومنيكان ، ومنها المدرسة الكليركية التي أنشئت في الموصل عام ١٧٥٠م ، بالفن المسرحي في نطاق الاطار الديني اول الامر ثم التربوي والتعليمي . وأول عمل مسرحي قدم في هذا المجال مسرحية (نبوخذنصر) التي ألفها الخوري هرمز نورسلي^(١٢) ألكلداني المارديني عام ١٨٨٦ ، ومثلت على مسرح المدرسة الكليركية في الموصل عام ١٨٨٨ . وقد تمخضت هذه الحركة المسرحية الناشئة عن ظهور رواد المسرحية في العراق^(١٣) وهم : نعم فتح الله سحار (توفي في الموصل ١٩٠٠) وتلميذه سليم حسون (١٨٧٣-١٩٤٧) وتلميذهما حنا رسام (١٨٩٠-١٩٥٨) ، وقد درس الثلاثة في المدرسة الكليركية ثم أصبحوا مدرسين فيها . وقد مثلت مسرحية (لطيف وخوشايا) لنعم فتح الله سحار على مسرح الآباء الدومنيكان عام ١٨٩٠م ، وطبعت في كتاب عام ١٨٩٣م ، وهي مترجمة بتصرف عن أصل فرنسي بعنوان Fam Fam Et Colas لمدام دي بوفوار ، وتقع مسرحية لطيف وخوشايا في فصل واحد مقسم الى اربعة وعشرين مشهداً ، وتبدأ بمقدمة قصيرة يحدد فيها سحار هدف المسرحية وهو ذوق شقين : الأول انها مسرحية تربوية ، والثاني اللغة التي أستخدمها في الحوار وهي اللغة العامية السائدة في القرى المسيحية القريبة من الموصل .^(١٤) وقد عالج سحار مشكلة

الذهبي) ١٩٢٩ و (فلسطين المجاهدة) ١٩٣٦ و (احدوة الباميا) ١٩٣٠ و (العواطف) ١٩٢٩. وقدم ستاً وعشرين مسرحية تربوية ذات فصل واحد، كما قدم أربع عشرة مسرحية دينية أهمها: (ـ عيديات الميلاد) ١٩٣٠ و (شعلة عيد الميلاد) ١٩٥٢. وقدم عدداً من المسرحيات التاريخية أهمها (ثمن الكلمة) ١٩٢٥ و (مثال الوفاء والوطنية) ١٩٢٦ و (الرجل التوذجي) ١٩٣٠ و (ماوراء السنار) ١٩٣٠ و (الزباء) ١٩٣٧ و (أسامة) ١٩٣٧.

اعتمد حنا رسام في جميع مسرحياته على الصراع الذي يولد الحركة المسرحية، وهو أصل من أصول الكلاسيكية الثابتة، حيث يلاحظ أن المسرحية ليست عرضاً لحياة الشخصيات أو تحليلاً لها أو نقداً، بل هي قطاع محدود من تلك الحياة، فالستار يرفع عن المسرحية وعناصر المسرحية قد تجمعت وتاهت للأشتباك، وما تلبث أن تشتبك وتصل الى القمة ثم تأخذ بالانفراج أو التطور نحو نهايتها المحتومة. وهو يوفر لها وحدتها ويولد فيها الحركة المسرحية. ولا يجد القارئ أو المشاهد غموضاً في مسرحيات حنا رسام لأنه أهتم بالجانب التوجيهي وحرك شخصياته نحو الأهداف السامية وطعم الحوادث بالنصائح التوجيهية، مما أضعف الجانب الفني فيها، وهذا هو السبب في جفافها وأرتفاع نبرتها الخطابية. كما ترجم حنا رسام ثلاث عشرة مسرحية عن اللغتين الأنكليزية والفرنسية ذكر أسماء مؤلفي القليل منها وأغفل ذكر أسماء الكثير من المؤلفين.

ظهرت مسرحيات شعرية الى جانب المسرحيات النثرية المؤلفة والمترجمة وأول من جرب المسرحية الشعرية في العراق (سليمان غزالة ١٨٥٣-١٩٢٩ م) في مسرحيته (لهجة الأبطال) ١٩١١ و (علي خوجة) ١٩١٣. ثم قدم مسرحيته الشعرية الثالثة عام ١٩٢٩ بأسم (رواية الحق

الحوار بطريقة ماثلة لمعالجة رائد المسرح العربي (مارون النقاش) الذي لجأ الى العامية اللبنانية لتمييز بعض شخصيات مسرحيته (البخيل) التي قدمت على المسرح في لبنان لأول مرة عام ١٨٤٧.

وقدم نعوم فتح الله سحار مسرحيته الثانية (الأمير الاسير) على مسرح الآباء الدومنيكان في الموصل عام ١٨٩٥. وقد لجأ سحار الى أسلوب الترجمة بتصرف كامل للنص الاصيل لكي يلائم الزمكان بالنسبة للعرض والمشاهدين وكأنه يكتب مسرحية جديدة ولا يقوم بعملية الترجمة فقط. وهذا لا يقلل من جهده الكبير ويبقى الرائد الحقيقي للمسرحية العراقية الحديثة.

وبينا كان نعوم فتح الله سحار يقدم مسرحياته النثرية على مسرح الآباء الدومنيكان، قدم (اسكندر زغي) مسرحيات غنائية في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر، وجاءت مسرحياته الغنائية شبيهة بالأوبريت الغربي ولاقت اقبالاً جاهرياً كبيراً وحفظتها الصدور مثل: (يزوتي، ببالي وزوجها، البناء، الخردة فروشي) وقد كتبها باللهجة العامية الموصلية. ويلعب الكورس دوراً مهماً في العرض، وقام بتمثيلها طلبة المدرسة الاكليريكية^(١١).

وقد سار حنا رسام في مسرحياته الكثيرة،^(١٥) على نهج استاذة نعوم فتح الله سحار ومثلت أولى مسرحياته (البرئ المقتول) على مسرح المدرسة الاكليريكية عام ١٩١١ واعيد تمثيلها بعد سنة بأسم (لوجه الله الكريم) بعد أن أجري عليها بعض التعديلات. وقد نوع رسام في شخصياته وجعل كل شخصية تتكلم لهجتا العامية المحلية المتأثرة بالبيئة وعاداتها، فجمع بين لغة عربية فصحي مبسطة استخدمها على ألسنة المتعلمين من شخصيات المسرحية، ولهجة عامية موصلية أجراها على السنة غير المتعلمين.

وقدم حنا رسام عددا من المسرحيات التربوية مثل (رسول الاكواخ) عام ١٩٢٥ و (والقرط

منذ منتصف القرن التاسع عشر، تنصب على مايقع بين يدي المترجم من نصوص مسرحية تروق له وتناسب ذوق العصر، وكان الاتجاه نحو الترجمة عن الفرنسية، الاتجاه الغالب، والسبب الذي أعان اللغة الفرنسية على الانتشار بالإضافة الى البعثات التبشيرية ومدارسها التي فتحتها في الأقطار العربية ومنها العراق ومدينة الموصل بالذات، أن وزارة المعارف العثمانية جعلت اللغة الفرنسية إجبارية في جميع المدارس الرشدية والأعدادية وفي كثير من المدارس العالية، وأصبحت تقارب التيارات الثقافية بين شعوب البحر المتوسط، وجاءت الترجمة عن الفرنسية في بادئ الأمر في الموصل بتأثير الآباء الدومنيكان الذين عنوا بالمسرح عناية خاصة. وأول مسرحية ترجمت في العراق صدرت في الموصل عام ١٨٩٣ هي مسرحية (لطيف وخوشابا) لنعوم فتح الله سحار والتي سبق ذكرها، ترجمها عن مسرحية فرنسية بعنوان Fam Et Colas لدام دي بفوار، ومسرحية (الأمير الأسير) عام ١٨٩٥ للمؤلف فرنسي لم يذكر اسمه.

وقد تدرب (سلم حسون ١٨٧٣-١٩٤٧) في ترجمة المسرحية على يد أستاذه سحار في مدرسة الآباء الدومنيكان فقدم مسرحيتي (أستشهاد مارتريسيوس) عام ١٩٠٢ ومسرحية (شعق) عام ١٩٠٥ على مسرح مدرسة الآباء الدومنيكان في الموصل. وقد طبعت المسرحيتان في مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل. وتقع المسرحية الأولى في ثماني عشرة ومائة صفحة من الحجم المتوسط وهي من المسرحيات الدينية الفرنسية. وتدور المسرحية حول محاولة ترسيبوس أنقاذ المسيحيين من الموت في العصر الروماني والقاء القبض عليه وتعرضه للتعذيب، وقد تحمّل كل ذلك بشجاعة من دون أن يبوح بأسراره حتى قطع إربا من قبل جلاديه. أما مسرحية (شعق) فتدور حول الصياد شعق الذي

٤٠٩

والعدالة). ويعلن غزالة في مقدمة مسرحيته لهجة الأبطال بأنه كتب هذه المسرحية ليؤكد بزوغ العدالة أثناء حكم محمد رشاد السلطان العثماني. وعندما نقرأ مسرحياته الثلاث ندرك بأننا أمام ناظم لا يهتم كثيراً بالفتن الشعري والمسرحي، بل يسعى الى أبرز فكرتي الديمقراطية والعدالة بالدرجة الأولى ففجاء الحدث في المسرحيات الثلاث مبعثراً مفككاً خالياً من الوحدة الموضوعية، فهو يتشعب ويتفرع ويتزلزل في مهاوٍ وجانية لا تخدّمه بقدر ماتبعثره وتنشسته، كما فقدت مسرحياته وحدة المصلحة التي تعد أساساً في المسرح الكلاسيكي، ولا تتمكن شخصياته لكثرتها وتسطحها من خلق الصراع، فخلت مسرحياته من وحدات الحدث (البداية والذروة والنهاية)، وبدت وكأنها حدث واحد ينتهي عادة بمفاجأة يتكلفها كوسيلة لأنها مسرحيته، ونتيجة لذلك أصبح من العسير تقديم مسرحياته على المسرح لذا لم تمثل مطلقاً، ولورفعنا الأسماء برمتها من مسرحياته لما أثر ذلك على المنظومة في شيء، لأن البناء في مسرحياته لا يتعدى النظم التقليدي. وقد سعى بعد نظمها الى تقسيمها بين الشخصيات التي أراد إدارة الحوار على لسانها، ويميل المؤلف الى المبالغة المفرطة والخطابية^(١٧) بالإضافة الى التعليمية والتقريرية عند عرضه لحالة يريد أبرزها، فهو يميل الى أقحام الكلام على لسان الشخصية لتخدم غرضه من دون مراعاة لطبيعة الشخصية ومستواها مع تكسر في الأوزان الشعرية وركاكة في النظم وأنعدام الجزالة. ولا تخلو مسرحياته من رؤية ثورية اذا قسناها بالنسبة لفترة ظهورها، فهو يدعو الى الثورة ضد الاستبداد والظلم والقهر. وتظهر فيها دعوة قومية للأتحاد والاستقلال بجمع شمل الأمة للوقوف ضد الطغيان، وهي دعوة تناسب روح العصر الذي عاش فيه.

بدأت الترجمة في الأقطار العربية جهداً فردياً

عثر على خاتم الأمير في جوف سمكة فأراد الأمير أن يجزل العطاء للصيد ولكن الصيد إلى العطاء ، ودعا الأمير إلى اعتناق المسيحية بعد أن تكشفت أمامه المعجزة .

ولم يلتزم سليم حسون الترجمة الدقيقة بل تصرف كثيراً في الحوار، يغلب على حوار الوعظ والأرشاد ، ولا يناسب أحياناً روح العصر الذي دارت أحداث المسرحية فيه . وهو ينهي كل فصل من الفصول بشعر تردده الجوقة ، وهو شعر ردي لا يقل رداءة عن شعر أستاذه نعم فتح الله سحار . وقد جاءت الترجمة غير دقيقة ، وكتب سليم حسون المسرحيتين بأسلوب متعثر ، تقرب تراكيبه من التراكيب العامية . وقد قصد من ترجمة المسرحيتين غرضاً تعليمياً دينياً من أجل عرضها على طلبة المدرسة الأكليزيكية . وهذا الهدف المحدد صبا إليه معظم مترجمي المسرحيات في المدارس الدينية في الموصل .

وقد أتمه (القس يوليوس جرجس) قندلا ١٨٨٩-١٩٧٨) إلى الترجمة عن المسرح الكلاسيكي الفرنسي ، فترجم مسرحيتي مولير (المثري المتبل) و (الطيب رغماً عنه) بين عامي ١٩١٤-١٩١٨ وترجم مسرحيتي (ماركاسان بائع الخنزير والطيور الصغيرة) وألف مسرحية (الأميران الشهيدان) التي عرضت على مسرح مدرسة الأرمن عام ١٩٣٧ وتدلّ حول شهادة ماربهنام وسارة . كما قام بإدارة عرض مسرحيات مترجمة عن الفرنسية مثل (جنيفاف والزهور) على مسرح مدرسة مارتوما في الموصل .

وتمتاز ترجمة قندلا بشكل عام بالجودة بالنسبة للفترة التي ترجمت فيها ، وتمكن من ترجمة الأغاني في المسرحية الأصلية بأسلوب شعري مقبول . وهو بلجاً أحياناً في ترجمته إلى المبالغة والحذقة ، ولا تخلو جملة أحياناً من الركاكة . ويستخدم في بعض الأحيان ألفاظاً وتراكيب عامة

يبثها هنا وهناك في حنايا الترجمة ، وقد تأني الترجمة أحياناً غير دقيقة حيث يعدد إلى الاختصار والحذف وقد يلجأ إلى الأضافة للنص الأصلي ولكن في حدود ضيقة ويرد في حنايا النص أحياناً ترجمة غريبة وغير مفهومة للقارئ ولا يقصدها المؤلف في نص المسرحية . وتعد مسرحيات قندلا المترجمة نموذجاً جيداً للمسرحيات المترجمة في الموصل منذ بداية الحرب العالمية الأولى وحتى مطالع الحرب العالمية الثانية .

وترجم حنا رسام عدة مسرحيات قدمت على مسارح المدارس المسيحية في الموصل مثل (الكونت سيلونسكي) ١٩٢٥ و (الرجل النموذجي) ١٩٣٠ و (ثمن الكلمة) ١٩٢٥ و (الغرياء) ١٩٣٦ وكذلك (موريس الجندي ، المحامي باتلان ، الأمير هيريكلد أو التاجان ، البخيل ، في سبيل التاج ، ضحية سر الاعتراف ، البر في السر ، يوم الصدف ، المدعي بالشرف أو النصابون ، المرسل ، صاحب زورق الموت ، اليتيم المتقم) .

وقدمت على المسارح المدرسية والعامية في الموصل عدد من المسرحيات المترجمة التي ترجمها مترجمون عرب مثل مسرحيات مولير (الطيب رغماً عنه ، المثري المتبل ، مدرسة الأزواج ، دون جوان ، عدو البشر) ومسرحيات شكسبير (هاملت ، ماكبث ، عطيل ، روميو وجوليت ، تاجر البندقية ، ومسرحية سوفوكلس (أوديب ملكا) ومسرحيات تشيخوف (أغنية الثم ، الدخان ، الخال فافيا ، بستان الكرز ، الدب) ومسرحية (حلاق اشبيليا) لبومارشيه ، ومسرحية (ايولف الصغير) لأبنسن ، ومسرحية (الرسالة المفقودة) لكارجياله ومسرحية (بيت برنارد ألبا) للوركا ومسرحية (وراء الأفق) ليوجين أونيل ومسرحية (في انتظار اليسار) ليكليفورد أودتيس ومسرحيتي (جوهر القضية ، وهل كان لايفان ايفانوفيتش وجود) لناظم حكمت ومسرحية

(الساعة الأخيرة) لميخائيل سيبيستان ، ومسرحية (في انتظار كودو) لسموئيل بيكت و(فثران ورجال وأقول القمر) لجون شتاينبك و (الأيدي القذرة ، وموتى بلا قبور) لسارتر. (كوربولان ، حياة غاليلو غاليلي) لبريخت وغيرها من المسرحيات. وقد خففت حركة الترجمة في الموصل بعد الحرب العالمية الثانية فترجم القس كوركيس كرمو مسرحية (اراحون الملك) التي أصدرتها مجلة النجم الموصلية ضمن منشوراتها عام ١٩٥٥ وتقع المسرحية في تسعين صفحة من الحجم المتوسط وهي في ثلاثة فصول ولم يذكر المترجم اسم مؤلفها وكتب على غلافها (تعريب وتعليق وترتيب) بدلاً من ترجمة ، وحسناً فعل لأنه تصرف في تعريبها تصرفاً تاماً كما يبدو عند قراءة المسرحية ، وكتب عنها بأنها «مأساة تمثيلية تأريخية عن فوز الكتلثة في المكسيك ، جرت حوادثها في مدينة المكسيك في ١٢-٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٧ من ٥. وتتلخص أحداث المسرحية في تقلد (إيليا كالليس) رئاسة جمهورية المكسيك وهو يساري الأنحاء يسعى الى اضطهاد الكاثوليك وأستصالح شأفتهم ، وتعرض شرطته الى مجابهة قوية من الكاثوليك الذين يقودهم القس (ميخائيل برو اليسوعي) ، ويمضي الصراع قوياً حتى يقبض على القس ويعدم في النهاية. ويبدو الأفتعال واضحاً في المسرحية من خلال المواقف الدرامية التي تعج بها ، والتعليمية والدعائية والمباشرة والخطابية. وضع التراكيب اللغوية. وتمثل هذه المسرحية اتحاداً في الترجمة اذا ما قارناها بترجمة جرجس قندلا لمسرحيتي مولير آتقي الذكر على الرغم من البعد الزمني بين الترجمتين.

أختلف الباحثون في طبيعة الجنس الأدبي (للوابة الأيقاظية) ١٩١٩ لسليمان فيضي الموصلية (١٨٨٥-١٩٥١) فمنهم من عدّها أول مسرحية عراقية وأنها كتبت لتقرأ لا لتمثل لتعدد فصولها مثل

جميل سعيد في كتابة (نظرات في التيارات الأدبية في العراق) وقد جاره في ذلك علي الزبيدي في كتابه (المسرحية العربية في العراق) وجعفر الخلي في كتابه (القصة العراقية قديماً وحديثاً) وعدّها حسين الرحال رواية في المقدمة التي كتبها لرواية (في سبيل الزواج) لمحمود أحمد السيد وذهب محمود أحمد السيد هذا المذهب في كتابه (السهام المتقابلة). ونحن نخالف السادة الباحثين من أن الرواية الأيقاظية مسرحية ، ونرى فيها مزيجاً من الفنون الروائي والمسرحي مع غلبة السرد على الحوار في القسم الثاني منها^(١٧) ، وبذا تكون الرواية الأيقاظية أول (مسرواية) كتبت في الأدب العربي على الرغم من ادعاء توفيق الحكيم بأنه أول من كتب في هذا الجنس الأدبي في الأدب العربي في مسروايته (بنك القلق). ولاأريد الحديث عن الرواية الأيقاظية لأنها في نظرنا ليست عملاً مسرحياً على الرغم من أن مؤلفها ذكر في المقدمة أنه كتب (رواية) ويقصد بها مسرحية فقد كان يطلق على المسرحية أسم الرواية في بدايات القرن العشرين.

الحكم الملكي والمسرح في الموصل :

أن أول مسرحية أنشئت بشكل رسمي في العراق أنبثت من (نادي الأتباء العربي) في الموصل عام ١٩٢١ الذي أسسه محمد رؤوف الغلامي ، والمنبثق عن (مقهى الحمراء) الذي أسسه الأدباء الموصليون بعد الاحتلال الأنكليزي للعراق والذي أصبح بصفة رسمية المنهل السائغ لرواد الأدب ومأوى للوطنيين ومعهداً عاماً لسائر أفراد الأمة من مختلف الطبقات^(١٨) . وتشكلت اللجنة الإدارية للتمثيل من السادة : رؤوف الغلامي وحسب السعدي وفاضل الصيدلي وأسما عيل حتي فرج وعبد المجيد شوقي البكري. وقررت لجنة إدارة التمثيل ، تقديم مسرحية (فتح عمورية) أولاً وعهد الى عبد المجيد شوقي البكري وضع هذه المسرحية والى فاضل الصيدلي نظم

الأشعار. وعرضت في الموصل عام ١٩٢٢ ، كما مثل أعضاء نادي الانتباه العربي مسرحيتي (فتح الأندلس وشهداء الوطنية الهولنديين) بعد تغيير طابعها الى طابع عربي وعهد الى فاضل الصبدي وضع الأشعار اللازمة لها .

وتمخضت هذه الحركة عن مسرح وليد أستمند موضوعاته من التراث القومي بحيث تناسب الوعي العربي الجديد محاكية بذلك المسرح العربي في مصر وبلاد الشام ، وقدمت مسرحيات ذات موضوعات مقتبسة من التاريخ الأسلامي ومن حياة العرب ومثلهم العليا ، وعينت بأبراز الهدف الأخلاقي عناية خاصة . وقد غلب الاتجاه التاريخي على المسرحيات التي قدمها نادي الانتباه العربي لبعث روح اليقظة القومية في نفوس الشباب ولتطعيمهم على سير أجدادهم . وموافقهم البطولية ومساهماتهم الحضارية العظيمة لتحفيز الهمم وأشعال الشعور القومي للوقوف ضد الاستعمار الأنكليزي ، وضد التبعية التي أنتهجها الحكم الملكي تجاه الاستعمار البريطاني .

تدور أحداث المسرحية الأولى (فتح عمورية)^(١٩) حول فتاة عربية تقع في أسرقائد روماني يحبها ويعرض عليها الزواج لكنها ترفض الزواج منه لأنها لا تحس بأعجاب اليه ولا تبادل الحب ، وإنما تكرهه وتمقته لأنه عدو مغتصب ، تغلظ له القول فيسجنها في بلدة عمورية ويأخذ في تعذيبها ولا يتورع عن قتل طفلها أمام عينيها نكالا بها فتستغيث بالخليفة المعتصم صانحة (وامعتصاه) فيسخر منها القائد الروماني ويشمت بها قائلاً : سوف يأتيك المعتصم على جواده الأبلق وينقذك من يدي يا مجنونة .

وعندما يبلغ خبرها المعتصم ينهض من ساعته غاضباً وملياً . يأمر بأن يجلب له كل حصان أبلق من نواحي البلاد ، ويسير في جيش لجب على خيول بلق الى بلاد الروم ، وتتسع الثغور ويتوغل في

البلاد حتى يصل الى عمورية فيحاصرها حصاراً شديداً حتى يتم له النصر وينقذ الفتاة من أسرها ، ويعود جيش المعتصم مثقلاً بالغنائم ومكلاً بالنصر . والموضوع هو الحرب والمؤامرات والنصر ، موضوع حماسي وطني ، وقد جاء الحوار قوياً سلساً معبراً وهو يتراوح بين الحاسية والتقريرية ، وتضم المسرحية الى جانب ذلك أشعاراً وأناشيد حربية . وقد أستخدم الشاعر الذي وضعه فاضل الصبدي على شكل مقطوعات صغيرة وبأسلوب تقليدي يعج بالأنفاظ الرنانة والنبرة الخطابية ، يقول المعتصم بعد أن يصله خبر المرأة :

ليك يامن دعتنا وهي تنتحب
تذري الدموع أسى والقلب يضطرب
ليك يارب العون التي جرحت
به حشا ملك لم يدرك ما الرعب
ليك يامن دهاها الأسر في بلد
ساعت مقاما وقوم ماهم العرب
هاقد أتينا على بلق مطهمة
نحري مع الريح للبيداء تنتب
ويقول بعد أن يتحقق له النصر :
أبى العدل إلا أن يكون لنا النصر
وللمعتدي الباغي المذلة والقهر
وينهي المقطوعة الشعرية بقوله :

فترى فتاة العرب عيناً ومهجة
فقد زال عنك اليأس وأنكشف الضر
وتقع المسرحية في ستة فصول ، وينقسم الفصل الى مشاهد : يدور الفصل الأول في عمورية عندما يأخذ القائد الروماني الأسرى ومعهم المرأة وأبنها وعنوانه (حب غير متبادل) .

وسمى الفصل الثاني (العفاف درع حصين) وفيه يحاول القائد الروماني استمالة المرأة بعد أن وقعت في نفسه موقفاً حسناً ، ويعرض عليها أن تكون جاريته فترفض ، ويهددها بقتل ولدها فلا تستجيب له وترده رداً شديداً ، فيقتل ولدها أمام

عبد المجيد شوقي حريصاً على أن يضع أمام المخرج والممثلين كل ما يلزمهم من معارف لأداء المسرحية إداءً أميناً ناجحاً داخل أطوارها الزماني والمكاني فوصف في كل فصل من مسرحيته المكان والزمان والأطوار (الديكور) والأثاث والملابس وما إليها وصفاً دقيقاً مفصلاً عن جهد صادق في دراسة الفترة التاريخية والمكانية التي تجري فيها أحداث مسرحيته .

وقدم نادي الأتباء العربي بعد ذلك مسرحيتي (ابو مسلم الخراساني وهارون الرشيد والبرامكة) وقد شجع نجاح مسرحية فتح عمورية شباب الموصل على السعي لتنمية هذا الفن ، فقام بجي ق العبد الواحد عام ١٩٢٢ متعاوناً مع بعض الشباب بتقديم مسرحية (وفود النعمان الى كسرى) لمنفعة (المعهد العلمي) الذي أنشأه في بغداد (ثابت عبد النور الموصل).

أنشأ بجي ق العبد الواحد (دار التمثيل العربي) في الموصل بالأشتراك مع بعض الهواة ، ولابدل في إن هذه الدار هي أول دار تمثيل ظهرت في العراق ، لأن الحركة التمثيلية في بغداد كانت في هذه الفترة بالذات ضعيفة ومقتصرة على نشاط موسمي في مدرستي (التفويض والجمعية) الأهلتيين .

وقد قدمت على مسرح دار التمثيل عدة مسرحيات تاريخية لاقت نجاحاً كبيراً منها : (العفو عند المقدرة) عام ١٩٢٣ . وتدور حول عفو أمير عربي عن قاتل أبيه ، وجرت أحداثها في الحيرة عاصمة المازدة قبل الهجرة بنحو ثمانين عاماً ، وهي حادثة الأسود بن المنذر ملك الحيرة مع النعمان بن الحارث ملك الغساسنة . وقدمت على هذا المسرح كذلك مسرحية (شهداء الوطنية) في العام ذاته ، وهي مسرحية ملخصة عن مسرحية (ضحايا الوطنية الهولنديين) والتي ترجمها سلامة حجازي . ومثلت كذلك مسرحية (وفاء العرب) عام ١٩٢٤ .

وقد أطلق على الفصل الثالث أسم (فجر الأمل) ويدور في السجن وقد أشفق حارس السجن على المرأة وقدم لها المساعدة لأنه كان يميل للعرب ، وفيه يسمع الخليفة المعتصم بأستغاثة المرأة الهاشمية فيقرر أنقاذها . ويقد العدة لحصار عمورية على خيول بلق .

وبحاصر المعتصم عمورية في الفصل الخامس الذي أسماه (صدق العزيمة) ويستمر الحصار بضعة أشهر ويسمع الخليفة غلام حداد يقول : (لو كنت مكان المعتصم لفتحت هذا السور في يوم واحد) ، يسأله المعتصم عن الأمر ، فيدله الغلام على طريقة يحرق بها ألواح الخشب التي بنى عليها السور . ويطبق المعتصم الخطة ويفتح المدينة .

ويدور الفصل السادس والمسعى (العفو عند المقدرة) حول محاكمة الروم في داخل القصر التابع للقائد الروماني ، ويقف ابو تمام بين يدي المعتصم ليلقي قصيدته المشهورة .

ويؤخذ على المسرحية ضعف بنائها ، ويرجع الى ضعف الخيال فيها ، وعدم العناية بأصول البناء المسرحي وقد تسبب ضعف البناء في أضعاف القيم الفكرية والعاطفية التي تضمنتها المسرحية فالبناء المتعل خليك بأن يضعف من قوة القيم الإنسانية التي تنطق بها الأحداث .

أما الأحداث التي اختارها المؤلف تاريخية كانت أم مخترعة تبرز أماناً كأنها مواد أولية تحتاج الى يد صناع تهذبها وتنقيها مما علق بها من شوائب ، وقد أرى المؤلف أن يبيع لنفسه حق الاختيار الذي يباح لكل كاتب ، ثم يتبعه بعملية التصفية والتنسيق ، وعندما تقدم الى تخطيط المسرحية لم يحاول عرض الأحداث التي اختارها عن الحوادث التي عاشتها المسرحية ووقعت من حولها ، ثم عكف على هذه الحوادث وركزها بطريقة منطقية متسلسلة في الجو التاريخي الذي عاشت فيه . وكان

وتدور حول أمرَي القيس والسموأل .

وقدم يحيى ق العبد الواحد (١٩٠٠-١٩٦٦) ثلاث مسرحيات من تأليفه (فتح مصر) عام ١٩٢٤ ، (فتح الشام) عام ١٩٢٦ و (القادسية) عام ١٩٣٥ .

تقع مسرحية فتح مصر في أربعة فصول، ينقسم كل فصل فيها إلى عدة مشاهد تختلف طولاً وقصراً باختلاف المشاهد . يدور موضوع المسرحية حول فتح المسلمين لمصر بقيادة عمرو بن العاص وتعاون الأقباط مع المسلمين في إجلاء الرومانيين عن مصر، وضعف الرومان على الرغم من قوتهم أمام العرب .

يدور الفصل الأول في مخيم العرب وعمرو بن العاص حائر بين السير إلى مصر لفتحها أو الانتظار وحين يأتيه رسول (بنيامين) يخبره على فتح مصر ويقدم له كل مساعدة ممكنة، ويأتيه رسول الخليفة عمر بن الخطاب ويسلمه رسالة منه يطلب إليه فيها السير إلى مصر لفتحها، ويظهر القادة العرب فرحتهم بفتح مصر وتتحد الكلمة للقيام بالعمل الجليل .

وتدور أحداث الفصل الثاني في قصر (المقوقس) الحاكم الروماني، وتظهر (أرمانوسة) قلقة حزينة لأن أباهما يعدّها للسفر إلى القسطنطينية لتتزوج من (قسطنطين) ابن الإمبراطور الروماني . في حين تفضل عليه القائد الروماني (اركاديوس) الذي يبادلها الحب .

تصل الأنباء بتقدم العرب نحو الأسكندرية ومحاصرتهم لها فيضطرب المقوقس ويشاور قواده مما يفسح المجال أمام ارمانوسة للقاء حبيبها، ويهتم الكاتب بأبرز المواقف العاطفية بينها وبين حبيبها، ويستعين المؤلف بالشعر الذي وضعه فاضل الصيدلي في الحوار لتأجيج العواطف وأعطائها مجالاً أكبر للأثارة .

ويعود المؤلف في الفصل الثالث إلى مضارب

المسلمين وهم يحاصرون الأسكندرية ويعرض لنا القادة العرب (حذيفة وقيسا ومسلمة والمقداد والزبير وشريكا) ومادارت عليه المارك وماأبداه العرب من شجاعة نادرة في ميدان القتال . ثم أتى الجند العرب القبض على أرمانوسة وأعادوها إلى أبيها بأمر من القائد عمرو بن العاص . وأرسل من قبله وفداً إلى المقوقس يعرض عليه شروط الصلح . وتجري أحداث الفصل الرابع والأخير في قصر المقوقس ، وقد مني الجيش الروماني بالهزيمة وأنهارت عزائم قواده بعد أن رفضوا الشروط التي تقدم بها العرب وأنهزموا شر هزيمة في معركةهم الأخيرة . ويحاول اركاديوس أن يلتم شعث الجيش ويعود للقتال ثانية ولكن أرمانوسة تتوصل إليه لا يفعل . ولكن توسلاتها تذهب هباء ، فتخرج معه لقتال المسلمين عندما يسمعون صوته مكرمين وقد أستولوا على المدينة . وبعد أن يستتب الأمر للمسلمين يعفو القائد عمرو بن العاص عن الرومان ويكافيء الأقباط على مساعدتهم للعرب وينصب بنيامين القبطي حاكماً على مدينة الأسكندرية . وتستمد مسرحية (فتح الشام) موضوعها من التاريخ العربي الإسلامي البطولي، وهو فتح بلاد الشام على يد خالد بن الوليد وماداري اليرموك ، وكيف تنازل خالد عن قيادة الجيش إلى عبيد الله بن الجراح بعد أن جاءت رسالة الخليفة عمر بن الخطاب تطلب إليه ذلك ، وماداري في حصار دمشق وفتح العرب لها .

ودارت مسرحية (القادسية) ١٩٣٥ في نفس الأطار العربي الإسلامي البطولي، يستند موضوعها على فتح سعد بن أبي وقاص للعراق، وأستعداد العرب لذلك الفتح بعد مقتل المنذر بن حارثة الشيباني، يستعين الفرس بالمكائد لكسر شوكة العرب لتأخير الفتح، فيرسلون العيون والجواسيس لوضع السم في المياه والطعام، ولكن هذه الدسائس تكشف عن نفسها وتحاول

(شيرين) حبيبة (بيريام) القائد الفارسي واخت (يزدجرد) أن تستميل قابوسا أمير الحيرة للوقوف الى جانب الفرس ضد العرب وتعهده بالملك على بلاد المناذرة فيقابل مكرها بمكر مثله، ويظهر للفرس بأنه حليفهم بينما يرسل قومه لمساندة العرب ضد الفرس. وبعد أن يدخل سعد الى المدائن يهرب الملك يزدجرد ويخرج بيريام لقتال العرب الى جانبه حبيته شيرين، وعندما يدخل الجيش العربي الى (المدائن) يعفوسعد عن الفرس بعد أن يقدموا الطاعة والخضوع ويأمر بقتل (هرمز) المعتمد السياسي الفارسي وزوجته (بانو) لدسها السم في طعام القادة ومياه الشرب.

وقد عنيت مسرحيات يحيى قى العبدالواحد بالتأريخ عناية كبرى حتى أنها قصرت العمل المسرحي على عملية الفتح، ويوضح المؤلف عملية الفتح يفساد المجال في البلاد المفتوحة وأنقسام أهلها ومحاربتهم بعضهم لبعض ليرينا أثر الزحف العربي على بلاد الروم في مسرحيتي فتح مصر وفتح الشام وعلى العراق في مسرحية القادسية. وقد وصف المؤلف عدة مشاهد وأحداث عن فساد الروم والفرس وأضطهادهم لغيرهم من عرب وأقباط في البلاد المفتوحة، ثم عزم العرب على الفتح والقتال فمشاهد الغزو والقتال فالنصر. وقد وفق الكاتب في تنسيق الأحداث وبسطها على رقعة مسرحياته بدقة ونظام، يؤخر ويقدم ماشاء له فنه ويعزل الأحداث الرئيسية عما كان يشوبها من الحوادث النافهة التي لم يكن لها فائدة ملحة في رسم الجوا أو أنتمام السيرة العامة للأحداث والشخصيات. وقد أنسابت الأحداث أنسياً طبيعياً وتطورت تطوراً متصلاً، كما يتبين أن المؤلف قد ألم بأصول صناعته وعرف كيف يختار من أحداث التأريخ ما يلائمه ويخدم هدفه، كما عرف أنه لا يصير عليه في أن يضيف الى التأريخ ما لا يتنافى مع منطق وروحه كما لا يتنافى مع منطق الحياة، وفي

الوقت نفسه يعينه على خلق الحركة الدرامية في مسرحه، وإن يستخدم عنصر التشويق والمفاجأة ويوفر الصراع الداخلي والخارجي فيها على نحو بالغ المهارة والتوفيق. وأوجد الكاتب بين الأحداث حياً ثانوياً كان له أثر في تطوير مسرحياته الثلاث، حب أرماتوسة وأركاديبوس في مسرحية فتح مصر، حب شيرين وبيريام في مسرحية القادسية.

وقد أجاد الكاتب في تصوير الأنفعالات العاطفية وأستخدم الشعر لأبرز هذه الأنفعالات والعواطف، كما بنى مسرحياته على طريقة تعدد المناظر فيقلنا من منظر الى آخر من دون تمهيد أو حرص على الأطارين الزماني والمكاني في بعض الأحيان. وقد أحسن الكاتب رسم الشخصيات في مسرحه رسماً دقيقاً، وحلل أخلاقها وعكس دواخلها وأنفعالاتها عن طريق الحوار أو عن طريق المونولوج فظهرت الشخصية الإنسانية بكل أبعادها وعبرت التعبير الحر المنطلق عن خبيثة نفسها ومكون عواطفها، وإبرزت الشخصية الإنسانية الحية التي تتحرك وتتفاعل وتقدم وتحمج وتتردد بدوافع خفية أو ظاهرة ولأسباب واضحة أو مبهمه. ويؤخذ على الكاتب انزلاقه في بعض المواقف الخطائية والمونولوجات الطويلة التي كانت تضعف من تأثير الحوادث وتلقي برشاش من الكلام الفث القاتر على الجو الحماسي، كما يؤخذ عليه أسلوبه التعليمي الواعظ في بعض المواقف المسرحية. وعلى الرغم من هذه المحفوات وملاساتها فأن أسلوب مسرحه يشفع بقوته ورشاقه حواراه وجميل شعره. وكانت لديه حاسة مسرحية دقيقة فأحس باهية الأخراج وطريقة فهم المخرج للمسرحية، ونفث الحياة فيها وأبرزها في الأطار الصحيح الذي يقربها للجمهور من دون أن يحزن النص أو يعث به أو يحو طابعه، خاص. وهذه حاسة بالغة الأهمية لكل مؤلف مسرحي لأنه لا يكتفي المؤلف أن يتصور الأحداث والشخصيات وأن يدون الحوار الذي

تقتضيه طبيعة تلك الأحداث والشخصيات بل يجب أن يتصور أيضاً أطار تلك الأحداث الزماني والمكاني وأن يحدد أمام بصره كافة الأبعاد الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية لشخصياته في داخلها وخارجها ويبدو أن السلطات الرسمية قد ضاقت بنشاط دار التمثيل وبالروح القومية والوطنية العالية التي كانت تضطرم في نفوس أعضائه وتظهر واضحة في نشاطهم المسرحي، فبادرت الى تجميد نشاطه عن طريق نقل أعضائه النشطين ومعظمهم من المعلمين والموظفين، الى المدن الأخرى البعيدة عن الموصل.

ولكن شباب الموصل سرعان ما أندفعوا لإقالة عثرة دار التمثيل فقام (عبد العزيز القصاب) عام ١٩٢٦ بتشكيل فرقة جديدة مثلت عدة مسرحيات منها: (حرب السوس) تأليف محمد عبد المطلب ومحمد عبد المعطي، و (أبو عبدالله الصغير، وعثرة العسي) تأليف سليمان القرطاجي، ولكن أعضاء هذه الفرقة نقلوا الى وظائف في مراكز بعيدة وخمدت الحركة المسرحية في الموصل لتنشط في بغداد وتعطي ثماراً يانعة. (٢١)

انتشر تأليف المسرحية في العراق، والموصل خاصة في الربع الأول من القرن العشرين فاستحووا المواقف القومية التي تدعو الى الفخر والأعتزاز من التاريخ العربي الإسلامي، والتي تثير في النفوس الحمية والحماس كرد فعل لدعاة الأخذ بالحضارة الغربية، وأخذت الحضارة العربية المتوارثة تبعث ما كان قد ضعف منها، وقاومت الحضارة الغربية الوافدة ونشأ بينها صراع عنيف انعكس على الحركة الأدبية والثقافية فولد التيار التاريخي الذي دفع أدباءنا الى البحث عن الموضوعات التاريخية سعياً وراء أمجاد العرب المسلمين وبطلانهم ليجلبوا بها دعاء الأخذ بالحضارة الغربية لأسباب قومية وسياسية واجتماعية، ورغبة في استنهاض الهمم وتحفيف الشعور بالخذلان على اثر استبدال السيطرة

العثمانية بالاستعمار الأنكليزي السافر أو المقتنع.

والعودة الى الماضي نزعاً رومانتيكية بمس فيها الكاتب الواقع مساً خفيفاً ليتجاوز به الى الحلم بالماضي الذي يربط الحلم بالمستقبل المثالي هرباً من الواقع المجهد. أو هي حركة نفسية تعود على الواقع بالنقد والتقوم نشداناً لمستقبل متحرر، ذلك أن التاريخ يدعم الحاضر ويساعد على الأفئاع بما يثار فيه من قضايا.

وتختلف المسرحيات التأثيرية قوة وضعفاً حسب قدرة كتابها وتمكنهم من الفن المسرحي فقد قدم حنا رحاني مسرحية (غفران الأمير) عام ١٩٢٧. وقدم القس سليمان صائغ مسرحياته (مشاهد الفضيلة) عام ١٩٣١ و (الأمير الحمداني) عام ١٩٣٧ و (الزباء) عام ١٩٣٣ و (بميمة نينوى) عام ١٩٤٨. وقدم عامر الدبوني مسرحية (متى استعبدتم الناس) عام ١٩٥٣ وقدم عمر ليث الخفاف مسرحية (كلكاش) عام ١٩٦٢ وقدم يوسف امين قصير مسرحيته (عامر وأسماء) عام ١٩٥٠ ومسرحية (كلكاش في العالم السفلي) عام ١٩٧٣. وهما مسرحيتان شعريتان. وقدم المطران بولص بهنام مسرحية (تيدورا) عام ١٩٥٦، وقدم كوركيس كرمو (أراجون الملك) عام ١٩٥٥. وقدم بولص بهنام مسرحية (مارن أشموني) عام ١٩٤٥ وقدم نديم الأطرقيجي (الحاجب المنصور ووضاح الفن عام ١٩٣٧) وقد أولى الكتاب المسرحيون في الموصل المسرحية التاريخية عناية خاصة فنهج من أختار لمسرحياته أبطالاً يتسمون بالجرأة والشجاعة مثل عمرو بن العاص في مسرحية فتح مصر وخالد بن الوليد في مسرحية فتح الشام وسعد بن ابى وقاص في القادسية والزباء في المسرحية التي تحمل هذا الاسم وحمدان في مسرحية الأمير الحمداني وسيمر أميس في مسرحية بميمة نينوى وأبوذر الغفاري في مسرحية (متى استعبدتم الناس) وكلكاش وانكيدو في مسرحيتي كلكاش وكلكاش في العالم

السفلي والنعمان بن المنذر في مسرحية (غفران الأمير). ويختارون لقطات مهمة في سيرتهم يمتزج فيها الواقع التاريخي بمحن وأعاصير تحتاح حياتهم الاجتماعية والسياسية، ومن خلال صراعهم مع الأحداث والأعداء تعمر المسرحيات بالحركة وتنبض بالحياة. ولا يترك سليمان صانع ابطاله يسيرون ببساطة في الطريق الذي اختاروه لأنفسهم ويكتفي بموقف التسجيل التاريخي لأنه لو فعل ذلك لخرجت المسرحيات من نطاق الفن والأدب الى مجال التاريخ كما في مسرحيات ليث الخفاف وعامر الديوبني وبولص بهنام وكوركيس كرمو.

ومنهم من اوجد شخصيات ليس لها أثر في كتب التاريخ كما فعل نديم الأطرقيجي وحنا رسام وسليمان الصانع وعامر الديوبني، فوجدت هذه الشخصيات مجالها في سير الأحداث بحيث يحيل للقارئ أن هذه الشخصيات قد وجدت وعاشت فعلاً هذه الأحداث.

وشخصيات هذه المسرحيات كثيرة مما يصعب تمثيلها على المسرح في تلك الفترة في مسرحية الزباء مثلاً عشرين شخصية وفي مسرحية متى أستعبدتم الناس اثنتان وعشرون شخصية على سبيل المثال لا الحصر، وهذه الشخصيات أقرب الى التماذج لاختلافها في الحلق والخلق وطرز التفكير إلا أن بعض المؤلفين لم يبذل الجهد الكافي في سبيل بناء النموذج وتركيبه، ومنهم من لم يستطع سبك هذا الاختلاف والاستفادة منه في أحكام الصراع الذي كان ضعفه واضحاً في مسرحياتهم وتوارت الشخصيات وراء ستار الحوادث الكثيفة والمونولوجات الطويلة مما أضعف الحركة المسرحية في مسرحياتهم، فخرجت الشخصيات من بين أيديهم دمي تتحرك وفي أيديها خيوط الحوادث تمضي في حبكها وتعقدها حتى تجعل منها نسيجاً متشابك الخيوط مختلف الألوان إلا أنه ملتحم فيحترق المؤلف في جمعه وتنسيقه ويضطر الى أصطناع

المفاجآت. ويكثر من صور الصراع الحسي وهو صراع سطحي ضعيف بينما يكتفي من صور الصراع النفسي بالقليل وتمضي الحوادث متعثرة مضطربة حتى تبلغ نهايتها المؤلة كما في المسرحيات التالية: (مشاهد الفضيلة، متى أستعبدتم الناس، كلكامش، كلكامش في العالم السفلي، اراجون الملك، تيودورا، وضاح الثمن). ويحافظ الكتاب على جلال شخصيات الأمراء والحكام والقادة في مسرحياتهم.

وهي مقسمة الى فصول ومشاهد، معظمها ينسجم مع أمكانتي الزمان والمكان للمسرح ولا يستغرق زمن عرضها أكثر من ثلاث ساعات ومناظرها قليلة لا تتغير بسرعة وخاصة في مسرحيات يحيي ق العبد الواحد وسليمان صانع ونديم الأطرقيجي وقد عرضت جميع مسرحياتهم على المسرح في الموصل وبغداد. أما المسرحيات التاريخية الأخرى فلم تعرض على المسرح لا في الموصل ولا في بغداد فيما عدا مسرحية (تيودورا) لبولص حنا التي عرضت على مسارح المدارس الدينية في الموصل ملخصة.

وقد بسط بعض هؤلاء الكتاب العقدة شأن الكلاسيكيين وعمدوا الى تصفية الحوادث من الحشو والشواثب ومن كل ما من شأنه أن يضعف وحدة التأثير فيها، معتمدين على القصص والأخبار متجنبين تصوير الحوادث بصورة مباشرة شأن الرومانتيكيين. كما زحموا لوحات مسرحياتهم بالحوادث المؤثرة والحروب المظاحية وحافظوا على وحدة التأثير. ومن معالم ضعف هذه المسرحيات اعتمادها على السرد في مواطن كثيرة، وكثرة الوعظ والارشاد فيها، والحشو الذي ظهر في إقحام الأشعار في مناسبات كثيرة. وأدخلوا عنصر الحب مجازين العرف المسرحي والقصصي الذي يفرض على الكاتب المبتدي أن يتعرف على الحقائق الرئيسية في حياة الإنسان وأن يقدم الحب على هذه جليماً.

لأنه مخرج لطيف للمسرحية يستطيع الكاتب أن ينفذ منه الى أحيائها وتطورها على خير الوجوه وأغلقها بالنفس الإنسانية. ولكن عنصر الحب لم يطف في اية مسرحية من هذه المسرحيات على الألوان الغنية الأخرى. وبقيت عناصر التاريخ وحقائقه صامدة أمام هذه الحادثة بالرغم من عنايتهم بوصف الإرادات المتعاكسة والعواطف المتنافرة فيها، وأضفوا على الحوادث مسحة رومانتيكية بأدخال حادثة الحب وما يحيط بها من حوادث التنكر والدسائس والخطف وما قيل فيها من الشعر العاطفي والبطولي، وكان سليمان صانع أول رجل دين يقحم الحب في مسرحياته بعد أن ضرب الآباء المسيحيون حوله سوراً منيعاً في مسرحياتهم، فجعل الحب بين زليخا ويوسف يستغرق جزءاً ليس بالقليل من مسرحية (مشاهد الفضيلة) عام ١٩٣١. وأستعانوا بالشعر لصبغ المأساة بالصبغة البلاغية التي تلائم العصر وتتفق وروح المأساة، فمنهم من أستخدم شعر شعراء محدثين لأضفاء القوة الى المواقف في مسرحيته كما فعل عبد المجيد شوقي في مسرحية فتح عمورية ويحيى ق العبد الواحد في مسرحياته الثلاث حيث أستعانوا بشعر فاضل الصيدلي في المواقف التي تحتاج قوة وتأثيراً على الجمهور كمواقف القتال والأنتصار والهزيمة والمواقف العاطفية. وقد أقتبس سليمان صانع وحنا رحجاني من دواني الشعر العربي وأدخلوه في مسرحياتها ونظم سليمان صانع وعامر الدبوني بعض هذه الاشعار. وتتم سليمان صانع مسرحياته بنشيد اسماء نشيد الختام تنشده جوقة مستترة وهو من جملة مانتظمة من شعر في مسرحياته كما أنهى فصوله بمثل هذا النشيد في مسرحيته (الزباء). ومنهم من أمتاز حواراه بالخفة والتركيز وحسن التوزيع ومجانبة الاطالة والأستطراد في المونولوج كما فعل يحيى ق وسليمان صانع ونديم الاطرقجي. ومنهم من لم يبدل كبير جهد في اختيار الفاظه وعباراته ولم يحاول

المحافظة على الزبي اللغوي للعصر التاريخي. وشاعت فيها الزكة والأخطاء اللغوية. ومنهم من أستخدم العامية وسط الحوار الفصيح كما فعل سليمان صانع في بعض الأحيان في مسرحيته مشاهد الفضيلة والزباء. ومنهم من أجرى على لسان شخصياته حواراً لا يناسب الشخصية أو لا يناسب الموقف كما فعل حنا رحجاني وعامر الدبوني. وتتكلم الشخصيات أحياناً بلسان المؤلف كما فعلت الخنساء في مسرحية (متى استعبدتم الناس). وقد ترجم سليمان صانع مسرحية هوراس لكورني ومثلت على مسارح الموصل وخاصة مسرح مدرسة الصفا عام ١٩٤٥، وطبعت مسرحية (الحجرة الأولى) للأب يوسف سعيد عام ١٩٥٧ وهي مسرحية تاريخية دينية تدور حول الصراع بين هابيل وقابيل وقد مثلت على المسارح المدرسية في الموصل^(٢٢)

لقد اكتسحت المسرحيات الاجتماعية ذات البناء الميلودرامي خشبات المسارح في العراق وكان من أبرز كتاب هذه المسرحيات (سلم بطي) المولود في الموصل عام ١٩١١ والذي بدأ التمثيل عام ١٩٢٧ عندما شارك فرقة جورج ابيض التي زارت العراق في مسرحية لويس الحادي عشر ثم أصبح عضواً في الفرقة التمثيلية الوطنية التي أسسها حتى الشلي ومارس الكتابة للمسرح فقدم مسرحيته (تقريع الضمير) عام ١٩٣١ و (المساكين) عام ١٩٣٣ ومسرحية (الأقدار) عام ١٩٣٤ و (خدمة الشرف) عام ١٩٣٥ و (طعنة في القلب) عام ١٩٣٦.

وقد عاصر (نديم الاطرقجي) المولود في الموصل عام ١٩١٥. سلم بطي وشغف بالتمثيل المسرحي وقدم للمسرح عدة مسرحيات (العائلة المنكوبة) عام ١٩٣٢، (الثورة العربية) ١٩٣٥، (أفندي من جذب) ١٩٣٦، (الاعتراف) ١٩٣٨، (الحاجب المنصور) ١٩٣٧ و (وضاح الثمن) ١٩٣٧، والأخيرتان مسرحيتان شعريتان،

وقد مثلت مسرحيات نديم الاطرقجي وسليم بطي على مسارج بغداد بعد ان انتقلا للعمل في الفرق التمثيلية ببغداد وتوفيا هناك وهما في ريعان الشباب . وتتضمن هذه المسرحيات نقداً لاذعاً للعادات الاجتماعية الفاسدة وتكشف ضحايا هذه العادات وتشير الى استمرار الصراع بين الحضارة الغربية الوافدة والحضارة العربية الاسلامية المتوارثة . هذا بالاضافة الى تأثرهم بالمسرحيات المصرية التي قدمتها الفرق العربية والعراقية منذ بداية الحكم الملكي في العراق . وجلها من النوع الاجتماعي الميلودرامي . والغرض من هذه المسرحيات الميلودرامية الكشف عن الامراض الاجتماعية وإيجاد العلاج الناجع لها ، وهم في سبيل هذا الالتزام الاخلاقي يصحّون بالمثل الفنية ولا يلقون بالألشروط كتابة المسرحية ، وقد قصدوا في كتاباتهم المسرحية تصوير الفساد الذي عمّ المجتمع العراقي وما كان للتقاليد البالية وللبد الأجنبية من اثر في خلق هذا الفساد فاقترنت هذه المسرحيات جانب الشر والضعف الانساني فصورت النواحي المظلمة في الشخصية البشرية . وبلذ لها ان يؤكدوا على واقعية مسرحياتها وانها حدثت فعلاً وانها انتزعها من الحياة ، ودفعها لمسكها الحرفي بالواقع الى تصوير البيئة العراقية تصويراً فوتوغرافياً بنقل صور الحياة في المسرحية كما هي في الواقع . ويبدو انها وقعا تحت تأثير الحركة الاجتماعية القوية التي شهدتها الوطن العربي في اوائل القرن العشرين ، فطغى الاتجاه الوعظي وجاءت اكثر المواقف المسرحية عبارة عن مقالات وعظية أو خطب اجتماعية تقطع السياق والحبكة المسرحية وتزيد اجزاءها تفككاً وانحلالاً ، كما تنكرا لشخصياتها في سبيل تحقيق هذه الغاية الاجتماعية واهملا رسمها وعرضها عرضاً خارجياً اكثر منه تحليلياً موضوعياً وذلك بحسب قربها من مزاجها وتمثيلها لنظريتها الاجتماعيةتين ، تركاها تمثل الدور الذي ارادها لها ولم

يشعران بأنها تحيا على المسرح . وقد اثر كل من سليم بطي ونديم الاطرقجي في تبلور الاتجاه الاجتماعي الميلودرامي في المسرح العراقي حتى قيام ثورة ١٤ تموز .

وكتب الموصليون مسرحيات اجتماعية من نوع الملهاء ، وهو النوع الذي يستخدم عادة في نقد العيوب والاخلاق الاجتماعية بواسطة اثاره الضحك والسخرية من العيوب الاجتماعية واهم هذه المسرحيات مسرحية (المعلم عبدالقدوس) ١٩٤٨ لعبدالغني الملاح وكتب ايضا مسرحيات تعليمية شعرية قصيرة اسمها (عبد الزهور) ١٩٤٩ . ومسرحية (حمودي يتزوج) ١٩٤٨ لعبد المسيح بلايا . وهي تعالج مشكلة الزواج بين فردين من طبقتين مختلفتين بأسلوب يثير النعمة والشفقة والضحك معاً .

ضعفت الحركة المسرحية في الموصل بعد غلق دار التمثيل العربي في أواخر العشرينات ، ولم تقدم غير مسرحيات قليلة في المدارس الموصلية (حتى تشكلت عام ١٩٣٧ (جمعية التهذيب التمثيلية) التي ترأسها سليم عبد العزيز داود السليم ، وقدمت هذه الجمعية عدداً من المسرحيات المترجمة منها ، (فران البندقية) و (زوال الحب والملك) لبيرون . وأُنحلت هذه الجمعية عام ١٩٤٣ لأسباب سياسية وتشكلت على أثرها عام ١٩٤٣ (جمعية اليقظة التمثيلية) التي تشكلت من (جسيل رزو ، سيف الدين شوكت ، أنور حسن الأمام ، عز الدين ذنون ، عبد القادر الحللو ، عباس الحللو وغيرهم . وقدمت عدة مسرحيات منها (الفندق المسحور ، الزباء ، في سبيل التاج ، هاملت) واعدت الجمعية مسرحية (حمدان) عن مسرحية الاستعباد ليويسف وهي وأخرجها عز الدين ذنون . وأُنحصر نشاط هذه الجمعية بين عامي ١٩٤٧-١٩٥١ ، وأُنحلت جمعية اليقظة للتمثيل عام ١٩٥٤ . وأُنحصر النشاط المسرحي في المدارس



إذ قدم على مسرح المدرسة الاعدادية مسرحية (المروءة المقتعة) سنة ١٩٥٠ والتي شارك في تمثيلها المدرسون والطلبة منهم هاشم سليم وذو النون الشهاب. وقدم على مسرح الاعدادية الشرقية مسرحيتا مولير (المثري النيل) عام ١٩٥٥ و (البخيل) عام ١٩٥٧ وقدمت المدرسة القحطانية مسرحية (بلر الكبرى) لأحمد زيتون عام ١٩٥٢^(٢٣) هذا على سبيل المثال لا الحصر.

حقاً، لقد شهدت الموصل منذ أواخر الخمسينات، حركة مسرحية نشيطة، سواء كان ذلك على صعيد الفرق المدرسية والجامعية أم على صعيد الفرق العاملة في المدينة. وقد كان لهذه

المشاركون في مسرحية المروءة المقتعة في المدرسة الاعدادية (لجنة احياء الفن ١٥ نيسان ١٩٥٠)

الحركة اثرها في تطوير مسرح الموصل وبرز من خلالها كتاب مسرحيون جيدون ودون شك، فان هذه الحركة بحاجة الى دراسات مستقلة لاحقة.

الهوامش

- (١) للاستزادة ينظر/ عمر الطالب، ملاح المسرحية العربية الاسلامية، ص ١١٧-٢٢٤، دار آفاق الجديدة، المغرب، ١٩٨٧.
- (٢) ينظر/ عمر الطالب، نشأة المسرحية العربية، مجلة آداب الرافدين، العدد الثاني ١٩٧١.
- (٣) ينظر/ ملاح المسرحية العربية الاسلامية/ المصدر الآنف ذكره.
- (٤) محمد يوسف نجم المسرحية في الأدب العربي الحديث، ص ١٩٥، بلا، بيروت، ١٩٦٠.
- (٥) عبدالكريم الملاف، بغداد القديمة، ص ١٢٠، م. المعارف، بغداد، ١٩٦٠.
- (٦) علي الزبيدي، المسرحية العربية في العراق، ص ٢٥-٢٩، معهد الدراسات العربية العليا، القاهرة، ١٩٦٧.
- (٧) علي الزبيدي، المسرحية العربية في العراق، مجلة الاقلام، العدد ٩، ١٩٦٥.
- (٨) ولد حنا حيش في قروه قرش، ولم تعرف سنة ولادته، ودخل منذ طفولته في سلك رجال الدين، وتدرج فيه حتى أصبح قساً، وبقى يعمل في الموصل وضواحيها حتى توفي في ٢٨ نيسان عام ١٨٨٢ في زاخو حيث كان يعمل في كنيسة الكلدانية.
- للاستزادة ينظر: عمر الطالب المسرحية العربية في العراق، حنا حيش رائد المسرحية في العراق، مجلة الفكر المسيحي، العدد ٢٥، ١٩٧٣.
- (٩) ينظر: عبدالرزاق الماللي، تأريخ التعليم في العراق، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٥٩ ص ١٧.
- (١٠) محمد يوسف نجم، المسرحية في الأدب العربي الحديث، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٦، ص ١٦٥.
- (١١) المصدر نفسه، ص ١٦٥.
- (١٢) ينظر: عمر الطالب، المسرحية العربية في العراق، م. النعمان، النجف ١٩٧١.
- (١٣) ينظر عمر الطالب، ظلال فوق الخشبة، دار عكاظ، المغرب ١٩٨٧.
- (١٤) للاستزادة ينظر: عمر الطالب، المسرحية العربية في العراق.
- (١٥) د. عمر الطالب الرائد المنسي حنا رسام، مجلة بين النهرين، العدد ٣، ١٩٧٣.
- (١٦) للاستزادة ينظر عمر الطالب سليمان غزالة والمسرح الشعري، مجلة بين النهرين العدد ٢٠، ١٩٧٨ وعمر الطالب سليمان غزالة وديابات المسرح الشعري في العراق، مجلة فنون، العدد ١٦٠، ١٩٨١.
- (١٧) للاستزادة ينظر عمر الطالب الرواية العربية في العراق م. النعمان، النجف، ١٩٧١، عمر الطالب، بدايات المسرحية في العراق، مجلة السبيل والمسرح، القاهرة، ١٩٦٨، عمر الطالب، فن القصة عند سليمان فيضي الموصل، مجلة الجامعة، العدد ٩، الموصل، ١٩٧٣.
- (١٨) للاستزادة ينظر عبد المنعم الغلامي أسرار الكفاح الوطني في الموصل م. شفيق، بغداد، ١٩٥٨ ص ١٤٩-١٥٠.
- (١٩) قال لي عبد الحيد شوقي في أثناء مقابلاتي له عام ١٩٦٦: قمت بتأليف مسرحية فتح عمورية عام ١٩٢٠ وأعتمدت على تأريخ ابن الأثير ومعجم البلدان وأخبار الدول وآثار الأول وكتب أخرى ولقيت برسم ستار الديكور وجاء تمثيلها رائعاً متفناً وقد أعدنا تمثيلها أربع مرات.
- (٢٠) قال لي المؤلف: أن القائد لم يكن غير المستعمر الأنكليزي، وأنه

كان رمزاً لعلو ذلك المصير

(٢١) للأستاذة ينظر عبد المنعم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل، وكذلك، عمر الطالب: المسرحية التأريخية في الموصل، مجلة الجامعة العددان ١٣، ١٥ لعامسي ١٩٧٣-١٩٧٤.

(٢٢) للأستاذة ينظر/ المسرحية العربية في العراق، وكذلك: عمر الطالب، (المسرحية الاجتماعية في العراق، عمر الطالب، مجلة الثقافة العربي، العدد الأول، ١٩٧١ وكذلك: خضر جمعة حسن، (حصار المسرح في نينوى، م. الجمهور، ١٩٧٢، الموصل ص ٣٤-٣٥.

(٢٣) للأستاذة ينظر: المسرحية العربية في العراق، عمر الطالب، بدايات المسرحية العربية في العراق، مجلة المسرح، (القاهرة)، العدد ٤٤، ١٩٦٦، عمر الطالب، سليمان صايغ، ادبه الروائي والمسرحي، مجلة الجامعة العدد ٩، ١٩٧٥، عمر

الأمثال

سعد علي الجميل

تمهيد:

ومصدر تراثها ومتنفس احزانها، تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح.^(٣)

وهي من بعد: بلاغة ترسم الصورة المعبرة للحياة والسلوك والتقاليد ومنها نستخلص الحكم والتجارب والنزعات، وتستوضح الظواهر الاجتماعية للبيئة والعلاقات.. مكوناتها وانعكاساتها سلباً كانت أم ايجاباً، انها الفلسفة الشعبية المنطلقة عن افرازات التفكير الشعبي المثير عن واقع المجتمع. وبذلك تكون أحد مكونات وحدة التراث الداخلة في الأدب والفكر والفلسفة، لأنها نشأت وتطورت عبر احقاب طويلة لاتعرف بدايتها ضمن اطار المجتمع الانساني الطبقى التكويني والتفكير والتجارب حيث تمكس صور الحياة الاجتماعية التي واكبت كافة المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مر بها الانسان وهو يعيش في كيان شعبي واسع على الرغم من أنها قد جاءت من منطلق فردي.

الأمثال والشعر:

ومن المعلوم أن الشعر كان، وكما هو اليوم، انطلاقة فردية تصدر من الشاعر الى المجموع الذي يسوده تذوق واحساس موحّد، فالشاعر ينظره

المثل: الشيء يُضربُ للشيء فيجعل مثله والمثل: الحديث نفسه وأكثر ما جاء في القرآن الكريم نحو قوله - جَلَّ وعزَّ - ومثل الجفَّة التي وعَدَ المثقون.. فمثلا هو الخبر عنها وكذلك قوله تعالى: «ضُربَ مثلُ فاستمعوا له»، ثم أخبر: أن الذين تدعون من دون الله، فصار خبره عن ذلك مثلاً، ولم تكن هذه الكلمات ونحوها مثلاً ضُربَ لشيء آخر كقوله تعالى: «كمثل الجار يحمل أسفاراً»، و«كمثل الكلب».

والمثل: شبه الشيء في المثال والقدر ونحوه حتى في المعنى ويقال: مال هذا مثيل. والمثال: ما جعل مقداراً لغيره، وجمعه مُثَلٌّ، وثلاثة امثلة^(١) وذهب الرازي في الصحاح: مثل كلمة تسوية يقال: هذا (مِثْلُهُ) و (مَثَلُهُ) كما يقال: شِبْهُهُ وَشَبْهُهُ. و (المثل) ما يضرب به من (الامثال). و (مثل الشيء صفته).^(٢)

وجاء ذكر (المثل) في القرآن الكريم في تسع وستين موضعاً و (الامثال) في أحد عشر موضعاً. والامثال: كلام موجز اللفظ واضح المعنى، حسن التشبيه، لطيف الكتابة، وهي خلاصة تجارب الأمم ومستودع خبراتها وثمار حكمتها وذكرياتها، ورجع عاداتها ووقائعها وترجمان أحوالها

الفاحصة وقدرته الحسية يكشف بشعره عن الصورة التي تمثل المستقبل وذلك بأدراكه العميق للمعاناة الحقيقية التي تصارع النفوس بالنوازع البشرية.. وهو بهذا كالمثل في ولادته، ودلالته الصادقة في توضيح آراء المجتمع وتجديد أعرافه وقيمه السلوكية، كما كان من المثل والأمثال ما هو موزون ومُقفى أو مسجوع أو مشحون بالكتابة والتورية.

فقد اعتمد بعض الشعراء طرح الأمثال المُرددة والشائعة من خلال تضمين وتلميع أشعارهم بها لتوكيد مضامينهم الفكرية المودعة في تلك الأمثال وتلميح هذا، على سبيل المثال عند شعراء ما قبل الاسلام والشعراء الآخرين كالشافعي وإبي تمام والبحتري والمتنبي ومن المعاصرين: الرصافي والزهاوي والكاظمي وغيرهم.

كما دخلت الأمثال الأغاني الشعبية والأهازيج والموال.^(٤) ولما كانت الأمثال مستخلصة من العادات والتقاليد والقيم والتزعات والتجارب التي يحياها الناس فهي نتاج شعوري ولده الحاجة الجماعية التي تتجلى فيها أيضاً آثار الرواسب القديمة وترجم علاقات الناس وتناقضات الأحداث التي مرت بها، وبذلك تحكي إنفعالات الإنسان اليومية بأزاء التجارب والأحداث والتزعات والأعراف والقيم الأخلاقية للمجتمع.

وليس من بدّ انجاه تناسخ الاجيال وتطور مجتمعاتها في مسار الحضارة الانسانية أن ترك بعض العادات والتقاليد لتحل مكانها تقاليد وعادات اخرى مضافة أو متزعة من عادات الجيل الجديد وفق تقاليده وعاداته المتطورة حيث تنطلق أمثال جديدة على وفق ذلك التطور. وتهمل حتى النسيان اخرى لأنها لا تلبي حاجة التوكيد لغياب مثلها في مجتمع الجيل الجديد فيبدو الفارق الحضاري بين امثال الجيل الاول والجيل الجديد، والجيل الذي سيليه بالتتابع.^(٥)

عناية معاجم الأمثال بالأمثال العامة :

لقد بدأ العرب القدماء بتسجيل أمثالهم في بداية القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد)، وكثر المعينون بجمعها وتنسيقها وشرحها على مرّ الزمن، وكانت هذه المجموعات أمثالاً فصيحاً روعيت فيها قواعد اللغة.. ومن يطلق على مدوناتهم يلمس دقة التفصي وعمق البحث. وربما كان هذا الاهتمام من منطلقات المحافظة على اللغة وقواعدها عندما اختلط العرب بغيرهم من الاقوام وظهرت (لغة المولدين) ثم (كلام العامة) الذي إبتعد عن قواعد اللغة الفصحى فكانت امثال المولدين ثم امثال العوام التي لم يشجع العرب على العناية بها في حينه حذراً من نساء الذوق ايضاً.^(٦) ورغم ذلك فقد وردت امثال العوام في مجاميع عديدة^(٧). دلت على ان الأمثال تمثل تراثاً إضافياً لترجمة الحقائق التاريخية والاجتماعية والأدبية والقيم السائدة في بيئتهم ومجتمعاتهم يومئذ وطبيعة العلاقات الانسانية باعتبارها عملة يومية تعبر عن موقف في زمن محدد.

هذا وقد اتبع المعينون بجمع الأمثال (الفصحى والعامة) في تبويبها بالشكل التقليدي المعجمي «الفباء»، فكانت المعاجم اللغوية التي أُمست أغلب مفرداتها اليوم (حوشية) غير معتمدة في الأسلوب والحس الذوقي السائد عدا ما تقتضيه الضرورة عند الكتابة والبحث في الأدب القديم والوقائع التاريخية الثابتة.. وكان نصيبها أن تنضد مع المعاجم مادة، لغة موروثه حسب خالية من الدلالات التحليلية التي تكشف عن الاعراف والقيم والمواقف الاجتماعية التي تعكس واقع الصراعات في مسارات التطور الحضاري للمجتمع الذي انطلقت عنه تلك الأمثال بمجاميعها العامة منها والمقارنة من دون الإشارة أو الأخذ بعامل الزمن او التسلسل التأريخي الذي يساعد الباحث من خلاله على معرفة العصر الذي نشأت فيه والبيئة

والمجتمع الذي ولدت فيه أيضاً.

صغيرة الى ابناء جلدتنا. ولذلك نؤمل منهم ان يقبلوها منا بفرح.

مجاميع امثال الموصل الشعبية وأصحابها :

انها كغيرها من المجاميع التي اعتمدت اللهجة في تشخيصها فكانت البغدادية والبصرية ومنها الموصلية التي تحمل بوجه عام معالم البيئة والعادات والقيم والتقاليد وتتقارب في مضامينها ومعانيها إلا في لهجتها التي ميزتها. وجميعها تتجاوز قواعد الفصحى والأعراب والقبض. واعتمدت الجهد الفردي بدافع الهواية لا التخصص، وكانت واحدة في تبويبها. العجمي التقليدي أسوة بمعاجم الامثال الفصحى، خالية من الدراسات التحليلية وهي :

جميل شوريز ومجموعة امثال الموصل :

وكان قد تصدى في مسهل هذا القرن جماعة من الأدباء لجمع الامثال العامة الموصلية فلم يوفقوا، عدا «مجموعة» صغيرة الحجم ألفها جميل شوريز وطبعها في بغداد سنة ١٩٣٧ فقد حوت ما ينوف على مائة ألف من الأمثال، مجردة من غير شرح أو تعليق مَرَجَ فيها بين الامثال الفصحى والعامية غير أنه ابتعد عن الأصل الذي تصدى له، فهاجم العامة وأراد صهرها في الفصحى فضاء عليه القصد، ومع ذلك كان له في هذا فضل سبق.

لقد استهل شوريز (مجموعة امثال الموصل) المنسقة حسب الأبجدية بالأهداء الى (الشاب العصري) قائلاً : أقدم كتيبى هذا راجياً منه أن يهتم به اهتمام ما يقتضيه منه المثل القائل : «علقها شعرة بشاربك».

وجاء في مقدمة المجموعة . ولما أصبح الزمن يتفتنه وتجده يكر الحملة على العادات والتقاليد ، ونحن على بعد من بلدتنا العزيزة خشنا أن نفقد نحن ابناء الموصل «امثالنا» وحكمنا فاسرعنا الى جمعها وتدوينها. معتقدين اننا نقوم بخدمة ولو

وبعد مغادرته العراق الى اميركا أعاد طبع مجموعته ثانية سنة ١٩٧٧ وحمل غلافها اسمه القس الدكتور الفونس جميل شوريز، طبعت في مطبعة جريدة (الأصلاح) في نيويورك وقدم لها قائلاً : يوم رأيته في بغداد بعيداً عن مدينة الموصل مسقط رأسي شعرت بمرارة في حلقى لم أتمكن من التغلب عليها الا بمضغ «حبوب حكم» الموصل الحذباء فكانت مراجعي الوحيدة امي وابي واخوتي وجيران بيتي ورفاق مدرستي والشوارع وبكلمة كل المجتمع الموصل ف جاء هذا الشهيق وهذا الزفير متجسماً في ما أسميته «امثال الموصل» غير عالم انني أقوم بخدمة وطنية اذ ابقي - منها لها - أرثاً لجيل يعقبني واليوم - وانا بعيد ليس عن الموصل وبغداد بل عن العراق كله - أراني أزداد حنيناً وشوقاً الى بلادي ، ولهذا اجبى بطبعة ثانية لتلك الامثال ذاتها راجياً قبولها مني ذكرى صادقة لوطن أحببته قريباً وبعداً.

وذُيِّلَت هذه المقدمة بكلمة (المؤلف) في نيويورك وتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٧٩ وقد وقعت المجموعة ب (٨٩) صفحة، قياس ١٥ × ١١ سم ، تضمنت (١١٣٨) مثلاً بترتيب معجمي وكان من بينها الكثير من الامثال الفصحى والحكم كما جاءت الامثال العامة خالية من الحس والذوق الشعبي الا القليل منها التي دونت كما هي متداولة ومرددة في التعامل اليومي بغية أن يصهر العامة بالفصحى هذا ما يتعارض والأمانة العلمية التي تلزم بالمحافظة على النص وتدوينه كما هو متداول دون أي صقل او تغيير فيه بإجتهاد شخصي يلغي كونه نتاجاً جاعياً كان قد أقره وأرضاه بحسه وذوقه ، وتعمل مخاض ولادته جيل هو غير هذا الجيل وفي مجتمع غير هذا المجتمع .

فالمتداول : كل شيء لؤا نالي حتى الطحين لؤا



عبد الخالق خليل الدباغ

يقع المعجم في ست وستائة صفحة، مستدركة بملحق يقع في مائة صفحة وبما جاء في مقدمتها «وصلاتي بعض الأمثال الموصلية العامة وقد قطعنا شوطاً في طبع الكتاب، فما وسعني إلا أن أجعلها ملحقاً به وقد رتبناها على حسب المعجم أيضاً. وإني لا أتوقع أن أجد امثلاً أخرى قد فاتتني، لأن الأحاطة بها كلها غير ممكن ولا متيسر وسأحتفظ بها وأسجلها في طبعة أخرى».

وفي بداية الجزء الأول من الكتاب وضع جدولاً بما تضمنه من تقديم للدكتور داود الجلي ثم ما كتبه محمود الملاح «نظرة عابرة في الأمثال السائرة والكنائيات»، وبعدها مقدمة للناسخ. وما جاء في تقديم الدكتور داود الجلي قوله: بعد أن عرّف المثل «ان لكل قوم وقطر وبلدة امثالها... وقد قام عندنا قبل سنوات أحد أبناء الموصل بجمع شيء من امثالنا، [يريد بذلك مجموعة أمثال الموصل لجليل شوريز] لكنه كان جمعاً مقتضباً وبلا شرح...» ثم يعود ليضمن الجهد الذي بذل في المعجم الذي استغرق سنين عدة كان تربيته معجماً فسرت فيه كل مفردة غريبة جاءت في المثل او كانت نتيجة حادثة، والقصد منها أو أنها وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف او في الاشعار المشهورة والحكم الماثورة او الامثال القديمة. كما أشار الى أنه قلبها

انخالي/ كَبَّ الشَّعْبِيَّ عَلَى ثَمًا تَطْلَعُ الْبِنْتُ عَلَى إِمَّا أوردته على الصفحة ٦٦: كل شيء له تالي حتى الدقيق له نخالي/ كَبَّ الشَّرة على فمها تطلع البنت على أمها وكذلك:

ثُمَّ يَسْبَحُ وَيَدُ تَذِيحُ وَتَقْبَحُ/ خذا القال من ثم لطفال فم يسبح ويد تذيب وتنبح/ خذ المال من فم الاطفال الغوزني الجيك متاً ربح سداً وأستريح أوردته على الصفحة ٢٤: الروزنة الجيك منها الهواء، اشلع حواسك وسدها.

وجميل شوريز من مواليد ١٨٩٧ ولد في سعد ودرس في الموصل واكمل الابتدائية فيها سنة ١٩٠٨ ثم التحق بالمعهد الكهنوتي ورسم كاهناً وسافر الى باريس حيث التحق بمعهد سان سولفين للدراسة الفلسفية وبعد إنهاء دراسته اللاهوتية الفلسفية عاد الى الموصل بداية ١٩١٩م وعمل في مجالي الكهنوت والموسيقى، كان احد دعاة التجديد في كل شيء.. ترك الكهنوت وتزوج من سيدة اجنبية تعمل في احدى الارشاليات التبشيرية البروتستانتية ثم سافر معها الى سوريا فتركها حتى استقر في نيويورك وانشأ مطبعة وجريدة الاصلاح التي كانت تصدر برين آونة واخرى وفق ما تسمح له ظروفه المالية وفي المناسبات. وتميزت صحيفته بخدمة الجالية العراقية في نيويورك وغيرها من المدن الامريكية وهو اديب متمكن كان يعلم اللغات الفرنسية واليونانية والعربية والسريانية.. حقيقى الانتهاء الى تربة وطنه الذي زاره مرات عدة توفي سنة ١٩٩١. (٨)

عبد الخالق خليل الدباغ ومعجم امثال الموصل العامة:

وفي سنة ١٩٥٦ أصدر عبد الخالق خليل الدباغ الهذلي «معجم أمثال الموصل العامة» بجزئين عن مطبعة الهدف في الموصل وكان الناشر لها عبد الرحمن الكركجي صاحب المكتبة العربية في الموصل وهي أقدم وأوسع مكتبة فيها تأسست سنة

يقتبس قطر أو بلدة أمثالها من بلدة أو قطر آخر.. وبذلك لا يفتق مع محمود الملاح الذي قال في نظريته العابرة في الأمثال السائرة والكنايات... منها ما يكون مشتركاً بين عدة بلاد ومنها ما هو سائر لا يصده صاد كالأمثال الفصيحة بين المثقفين في اللغة الفصحى المنتشرة في العالم مجاوزة حدود الاقطار العربية.

وهنا لابد من الإشارة الى أن محمود الملاح يرى وجوب التساهل في مسألة إملاء اللهجة الموصلية في كتابة أمثالها لأن إملاء العامية لا يشبه إملاء الفصحى لما بينها من التباين، ولأن الأملاء الصوتي يُضيع أصل الحرف، فهو بذلك يقصر في أعطاء المعنى. ويتساءل عن الحروف والأشارات التي تني بالمرام وعن كيفية معالجة الأمالة وهي غير قياسية وإذا وقعت في الألف مثل (على نيس ونيس) = (على ناس وناس) والواو مثل: (عوقو نجس) أي (عرقه) وهو تصرف غريب. ومثل: (مثل كلب الفجلو محنوقه) = (الكلب الذي رجليه محروقة) وهكذا في الرأء المقلوبة الى غين وهي غير قياسية أيضاً. وكذلك عن تاء التأنيث المقلوبة ياء مثل: (البزوني والشحاني) والضمير الذي تقلبه اللهجة وأو مثل: (مايسوى لو فلس) وفي المؤنث (مايسوى لافلس) بواو وألف غير مقرومين بل كتباً للدلالة على الحركة. واسكان أوائل الكلمات مثل: (أحمد تعال) وهذه تحتاج الى النطق بهزة وصل تثبت في الأبتداء وتسقط في الدرج، وأبتلاع لام التعريف لألف تأتي بعدها مثل: (غوج فهم لغا) أصلها (الأغا) نقلت حركة الهزة الى اللام الساكنة فسقطت الألفان المكتنفتان للام وهو مما ورد في القراءات السبع. ومنه (مثل لودام) أصلها (الأودام) جمع آدمي كتليفاً عن الاجادة و (يلبعيد) وأصلها (ياالبعيد) كناية عن (الحاشاة).

وفيعدنا الناشر عبد الرحمن الكركجي بكلمته

أن الأفعال ركن مهم من أركان الأدب، يقف القارئ فيها على مختلف نواحي الثقافة والحضارة وعادات القوم وأخلاقهم لا يستغني عنها كل متابع ثم يثني على جهد المؤلف ويبارك عمله.

وقبل الفصل التمهيدي الذي كتبه المؤلف أهدى كتابه الى أبيه ثم استفتح بقوله تعالى: «أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما، بعوضة فما فوقها». ويحدث للرسول الأعظم محمد المثل الأمثل والرسول الأكمل صلى الله تعالى عليه وسلم: (مثل المجلس الصالح مثل العطار أن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه).

وبين ما للأمثال من الأثر العميق في تربية الناس على الأحساس والشعور الرقيق وأسلوب الحياة وطرق التعامل وماتكلف به من جهد في استقصاء الأمثال التي تضمها كتابه هذا ومطابقتها بما تيسر له من أمثال العرب وحكمهم وأقوالهم من نظم ونثر ومن أي من الذكر الحكيم أو حديث شريف. وذهب الى أن المثل إما أن يكون حقيقياً وهو المحكي عن أصل معروف ينقل عنه.. أو يكون فرضياً وهو الذي يمثل على السنة الحيوانات والجمادات والنباتات كما استعرض ما قاله الأدباء والبلغاء والمهتمون ومن القوا فيها المجاميع والمعاجم. وبنه المؤلف على اختلاف الأمثال باختلاف أخلاق الشعوب وعاداتها وأمزجتها وفلسفة الحياة فيها وضرب لنا مثلاً على ذلك الترك واليابان والروس والأنكليز والفرنسيين والألمان والبلغار. وخلص الى أن أمثال الموصل العامية من الأدب اليومي المتداول وقد نجد فيها من المفردات الأعجبية التي دخلتها بعامل المجاورة أو المهاجرة أو الغزوات أو الفتوحات وأنهى الى أن خصائص اللهجة العامية الموصلية كثيرة منها:

١- الأمالة، عقي، الأصل عقرب: مثل العقي تلدغ وتنجع غاسا.

٢- دخول (ال): الذي: يعمل مليح يلتني

قيح وهذا يشبه دخول (ال) على أسم
الفاعل في الفصح: كالقاتل وأسم المفعول :
كالمقتول .

٣- صيغة فاعول مثل : شاغول وحاصود
وسارود .

٤- ابويا ، أخويا عوض أبي وأخي هي اثر من
لغة بلادنا القديمة خاص باللغة الأكديّة .

٥- التصغير المختلف عما في الفصحى : عبد
القادر = قدو، مصطفى = صفو،
جرجيس = ججو .

٦- الأبدال كما هو في الفصح، فن المضعف
يقولون : (حكيت غاسي، شमित ربحه
طيه) من حككت وشممت . ومثل (وُجو
مايتنق) أي وجهه لايتنق . وعلى السماع
يقال : (جربة) بدلاً من (قرية) ، وصام
بدلاً من سام ، وفخذ بدلاً من فخذ وسمار
بدلاً من مسمار... الخ .

٧- القلب مثل الفصح يقال (فشاحة بدلاً من
فحاشة) و(مهتم بدلاً من مرهم) و(ملققة
بدلاً من ملققة) و(دحق بدلاً من دحق) و
(هص بدلاً من صه) الى غيرها من الألفاظ
الكثيرة ، كما أن المواصلة في الأغلب يقلبون
الهمزة ياء اذا كانت في الوسط فيقولون :
(بدائي وقرائي) بدلاً من (بداة وقراءة) أو
يحدفونها أن كانت في الأخير فيقولون : (قرا
ويدا) بدلاً من قرأ ويدا .

٨- وفي لهجة الموصل اتباع كما في الفصحى
للأشباع والتوكيد وهي أن تتبع الكلمة كلمة
على وزنها وروها كقولهم : شكر مكر، خبز
ميز، حاصود ماصود صاموط لاموط ، عبد
جبد دون التقييد أن كانت المفردة التي أتبع
تدل على معنى أو بدونه .

٩- وكما هو موجود في الفصح والقلب في
القصة ، مثل (أدخلت الخاتم في إصبعي)

وأما هو أدخل الأصبغ في الخاتم ، كذلك
في العامية يقولون : (عصي البيغ بالذل)
وأما الدلو يعصى في البشر .

١٠- هناك أمالة واضحة في لهجة بعض أحياء
الموصل حيث يقلبون الألف الى ياء
(واحد = ويحد) (واقف = ويقف) و
(قاعد = قيعد) (ويحد يعمل واللاخ ييتلي)
= (واحد يفعل والآخر ييتلي) من البلوى .

١١- ومن خلال بحثه في هذا المجال تبين له أن في
لهجة الموصل الكثير من مفردات لهجات
القبائل التي كانت قد نزلت الموصل .

١٢- وهناك أفراد الكلمة بالألف والياء الظاهرة
الكسرة فيقولون : تمنائي وعجواني بدل تمر
وعجوة .

وتعود الى ماأوردته محمود الملاح في وجوب
التساهل في مسألة الأملاء حسب بل في أمر تفسير
الأمثال ؛ لأننا نجهل كثيراً من أصول الأمثال
ودواعيها ومناسباتها وأن كنا نستعملها في مواضعها
المناسبة بالقطرة ولكننا نعجز عن تشرحها كما كان
أسلافنا يفعلون بالأمثال الفصيحة .. ويمكن عمل
المؤلف الشاق الشوط الأول ككل شيء مبتكر ،
بعد أن كان قد أستكثر عليه جمع الأمثال بالنسبة
الى سنة ونوع تحصيله وعلى الرغم من بذله مجهوداً
في اقتناص الأمثال ومهما كان ذلك الجهد فإنه
لايوفي الموضوع حقّه ويوم صدر المعجم كان المؤلف
عبد الخالق خليل الدباغ قد بلغ الثامنة والأربعين
من عمره حيث ولد في الموصل سنة ١٩٠٨ وأنهى
دراسته الابتدائية في مدرسة الوطن (الخضرية)
سنة ١٩٢٥ وتخرج في دار المعلمين في بغداد سنة
١٩٢٩ وكان أول تعيينه في ابتدائية سنجاريقي فيها
ستين ثم انتقل بعدها الى المدرسة القحطانية في
الموصل ١٩٣١ ومنها الى مدرسة باب البيض
الابتدائية ومنها نفي الى حمام العليل ليضفي فيها
ستين أثر ثورة ١٩٤١ بعدها أنتدب للعمل مدرساً

في متوسطة المثني. وفي سنة ١٩٦٥ أنتدب للعمل في الحجاز وبنى سنة واحدة.. ورحل عن الدنيا عام ١٩٦٧.^(٩)

لقد شرع الدباغ في استقصاء الأمثال وتسجيلها منذ كان شاباً.. وكثيراً ما كان يجلس في المقاهي الشعبية التي يؤمها أرباب الحرف والأصناف.. ليستمع أو يلتقط مثلاً يهرع الى تسجيله.. وقد تضمن كتابه (المعجم) (٢٩٠١) مثلاً بضمنها (٤٧٢) مثلاً أحتواها الملحق وبذلك يكون هذا المعجم من أوسع وأكبر المعاجم التي صدرت للأمثال العامية الموصلية لحد الآن. وجاءت الأمثال مشكلة بمحركات بارزة وكثيراً ما ربط بين المثل العامي والفصحى اللفظ وفسره وأوضح الغرض منه إلا أنه لم يعتمد التسلسل الزمني للمثل وذلك من الصعوبة بمكان لعدم وجود المصادر فضلاً عن عامل التناسخ في العادات والوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيره التي ينطلق عنها المثل. أي لم يعتمد مبدأ الشوئ والتطور الزمني، كما أستبعد بعض الكتابات والمفردات من الأدب المكتشف واستعاض عنها بنقط ذاكراً أحرف بداية المفردة للتعرف على معناها والتي لا يعرفها إلا الموصلة.

أما في الملحق فقد أورد مثلاً واحداً في حرف الكاف الناشئ عن محاصرة نادرشاه للموصل. سنة ١٧٤٣م ولزيادة كره أهل الموصل للغزاة وقذائف مدافعهم من القنابر التي رموا بها الموصل نشأ المثل: كنيكي قنبرة طهاز=كأنك قنبرة طهازب وطهازب هو نادرشاه ويضرب المثل لدمية الخلفة التي لا يرتاح اليها كما كانت المدينة يوم الحصار وما خلفته الحملة من دمار للأسوار والقلاع والأبراج ودور السكن حيث عاشت زمناً صعباً ومعاناة شديدة الوطأة فشوهت منظر المدينة وجعلته دميماً لا يجلب المسرة لناظره كالوجه الذي شبه به المثل فضلاً عن ثقل القنابر التي كانت ترمى

بها البلدة والتي أدركتنا بعضها التي لم تنفجر في حينه حتى نهاية الثلاثينيات.

محمد رؤوف الغلامي والمُردد من الأمثال العامية الموصلية :

وفي سنة ١٩٦٤ صدر كتاب المردد من الأمثال العامية الموصلية، التي جمعها وبين مقاصدها محمد رؤوف الغلامي الذي ساعدت وزارة التربية على نشره وطبع على مطبعة شفيق في بغداد وكان قد عني بطبعه ونشره مؤيد الغلامي أكبر أنجاله قدمه بمقدمة تصدرت الكتاب أشار فيها الى أن الأمثال التي تضمنها الكتاب مازالت حاضرة ترد على السنة الموصلة. أن والده كان قد بدأ يجمعها منذ أكثر من عشرين سنة ثم بوبها وبين أغراضها وحفظها في خزنة مخطوطاته. وكان أن أطلع عليها بعض المعنيين والخوا على وجوب طبعها ونشرها وفي مقدمتهم الشيخ جلال الحنني الذي اشار اليها في مقدمة كتابه (الأمثال البغدادية) الذي أصدره سنة ١٩٦٢. مشيراً الى أن هذا الكتاب كان بالأمكان أن يكون أكبر حجماً وبأجزاء متعددة لو اعتمدت طريقة التوليف بالرجوع الى المصادر في تفسير المقاصد لكن مؤلفه حرص على أن يكون أنتاجه هذا خالصاً لما حفظته الذاكرة مما يتردد على السامع وتنطق به الأفواه في أحياء مدينة الموصل ولهجتها العامية المخذقة. وكان جهده الحفاظ على واقعه الذي قيل فيه وتلفظ به دون أي تغيير يُخرجه عن طابعه المحلي الخاص. كما أشار الى نمطه الخاص في التنسيق والتبويب مستهدفاً الأيضاح الموجز قدر المستطاع في توريد المقاصد، وشرح ماغض من العامي.

ثم تطرق الى ما يميز اللهجة العامية الموصلية باعتبارها غير قياسية متمثلاً ببعض الشواهد كما فعل صاحب معجم أمثال الموصل العامية عبد الخالق خليل الدباغ الهذلي :

١- فيما يتعلّق بقلب (الراء الى غين)

رماد = غماد . حجر = حجج ولا ينطبق ذلك على اسماء الله الحسنى (جل وعز) ولا على انبياء ورسول الله (عليهم الصلاة والسلام) وبقاء الراء كما هي أيضا في مفردات أخرى مثل : بقرا ، يرجع ، نور ، بعر ، يشكر . ومن الراء ما يقلب الى واو مثل عُوق من عرق وخوقه من خرقه .

٢- قلب (تاء) المؤنث الى (ياء) فاطمة = فاطمي ، دابة = دابي ، سنه = سني . وفي مفردات أخرى يكتفي بقلب (الراء الى غين) والابقاء على (التاء) مثل بقعة = بقرة ، قصيعة = قصيرة . وفي جميلة ومليحة وفصيحة تبقى من غير ابدال لا في (الراء ولا في (الياء) .

٣- إبدال الذال بالضاد مثل : يضوقو = يذوقه ، يضغ = يذر ولا تستبدل في يذبح ويذم ويذوب .

٤- وفي الإمالة قلب الالف الى ياء مثل : كتيب : كتاب ، جميل = جهال ومنها لا تستبدل مثل : قلام ، عظام .

٥- قلب السين الى صاد مثل : حصعة = حصرة ، قوس = قوس ، ناقوس = ناقوس ولا تقلب في : نفس ، جاموس ، ناموس كما تقلب أحيانا الصاد الى سين في : يسفق = يصفق .

٦- وقلب (ها الضمير للغائبة) الى (الالف) و (ها الضمير الغائب) الى (واو) فكاد ان يكون قاعدة مطردة على ما في بعضها من تحوير مثل : إلسينا بدلا من لسانها وقلمو بدلا من قلمه وفي (معه) يقولون (معانو) .

٧- الإمالة في لفظ الواو والياء اذا جاءتا ساكتين وما قبلها مفتوح مثل : عون وحول وقول ولون . وعند ضم ما قبل الواو وكسر ما قبل الياء تلفظان كما هما مثل : طول وعجول

وايقول وقوم (من القيام) وفي الياء نقول : غَفِيعٌ (رفيع) وسمين وغنيغ (ربيع) وحشيش وطويل وقصينغ (قصير) بيد ان على ذلك شذوذاً أيضا مثل : غوج وسوق وايوق (يسرق) قبل الواو مضموم وتقرأ بالامالة وضو وعوجي (ضوء وعوجة) قبل الواو مفتوح وتقرأ بدون امالة . والياء تقرأ بدون امالة وما قبلها مفتوح مثل : جيني ونيمي وقيمي واصلها (جائفة ونائمة وقائمة) .

٨- الهزة تدخل على الفعل المضارع مثل : (ايغيد وايغوج وانقول وانخط وانشيل وكلها اولها متحرك . ولا تدخل على الأفعال المضارعة التي اولها ساكن مثل يكتب ويأخذ ويعطي ونقبل ونذفع وندرس ونقرأ وغيرها . وتدخل على الاسماء مثل : السين (لسان) واجميل (جال) واحصان واكتيغين (كثيرين) وغيرها ولا تدخل على الاسماء التي اولها حركة مثل : تفاح وباب وقفل وحجل وغيرها .

٩- وتدخل الهزة على الاسماء المجرورة بحرف الباء مثل : ايجيو واذا كانت الاسماء المجردة لم تدخل عليها الهزة . اما اذا دخلت فتحذف عند جرها بالباء مثل : بعيونو ، بحصانو ، بستانو ، وغيرها . ويجوز أحيانا أن تظهر الهزة المضافة في اول الكلمة اذا كان فيها همزة اصلية وعندئذ تدخل عليها همزة أخرى مع ياء الجر مثل : بيدو ، ابايدو ، بعيونو ، باعيونو ، بجزمو ، وباجزمو ، وبغاسو ، ابغاسو .

١٠- اما المفردات الشاذة عن كل ما تقدم والتي يصعب ربطها بقاعدة او مقياس فكثيرة الى حد لا يمكن فيه احصاؤها . فتظهر بعض الحروف الاصلية . كأخوي وابوي في أخي وائي . واداة الجر (على) تدخل على الاسماء كاملة مثل : على كيفك وعلى حظك وعلى جسمو وقد تحذف الالف المقصورة واللام

منها وتتصل بالكلمة مباشرة اذا كانت معرفة بأل مع حذف الف التعريف ايضاً مثل : علييت (على البيت) وعلجفامي (على الحرامي) وعلجسغ (على الجسر) ... الخ.

ثم يشير الى ان في الامثال العامة الدارجة الفاظاً نابية او طابعاً مبتذلاً رأى بعض المؤلفين وجوب إدراجها في مواضعها باعتبارها من التراث الحي منها سادت عباراتها او تبدلت !

لذلك فقد نحاش المؤلف ادراج تلك الامثال وان كانت تعد بالثلاث الا بعضها التي لانتجاوز الثلاثة والاربعة التي وردت على صفحات ذلك الكتاب وبضيف : ومع انها ليست بمجموعة او مبتذلة بدرجة غير مقبولة .. فان مقاصدها لاتمت الى الفاظها بصلة !!

ويصف المؤلف الامثال العامة في الموصل بأنها اكثر من الكثير يتداولها أهل النبلدة رجالاً ونساء ويتمثلون بها في الكثير من المناسبات ، ويذكر ان لكل حي من أحياء المدينة أمثلاً خاصة به حسب لهجة ساكنيه وأحواهم وعاداتهم . كما اقتبس الموصلة أمثلاً من غير لغتهم ايضاً وبضيف الى أن مجموعته التي اصدرها في كتابه الذي أسماه المردد من الامثال العامة الموصلية . قد حوت الانواع الثلاثة من الامثال : من التعريض ، والكناية ، والتشبيه ... واعتبرت كلها (حسب العرف) امثلاً وسميت بها دون تمايز او تفريق كما احتوت من الامثال الفصحى والامثال غير العربية كالتركية والاعجمية لم يشأ ان يباعداها عن المجموعة لكثرة استعمالها وترديدها ، وحيث إن المحادثات لاتخلو عن ضرب الامثال التي إما ان تأتي عفوية دون ان يشعر المتكلم انه يورد في حديثه مثلاً ، أو تأتي به المناسبة او الفكاهة أو التندر الأمر الذي يصعب معه استقصاء كل ما يتردد على السنة اهل البلد من الامثال . وهكذا تبقى الامثال العامة الموصلية كغيرها طريدة الحصر والاحصاء .

يقع الكتاب باربوع وثمانين ومائة صفحة وحوى الكتاب (٢٣٤٧) مثلاً وجاءت فهرست الكتاب تختلف عن فهرس معجم الامثال حيث ذكر الامثال المبدوءة بالهمزة وبعدها الهمزة الداخلة عليها «أل» المعرفة ثم الهمزة الداخلة على الباء حتى الهمزة الداخلة على الياء ، ثم حرف الباء ، والياء الداخلة عليها «أل» المعرفة ثم حرف التاء وهكذا حتى حرف (الميم) حيث اورد امثالها ثم اتبعها بالامثال التي اولها (ما) ثم (من) ثم (مين) والتشبيه بكلمة (مثل) اما في حرف الياء فبعد ان اورد الباء الداخلة عليها «أل» المعرفة اورد «أل» الداخلة على المضارع موصولة بمعنى الذي ، ثم «يا» كأداة تعجب يليها «يا» كأداة للتخيير بمعنى «اما» ثم «يا» كأداة للنداء .

كما تميزت المجموعة بورود امثال لم ترد في المجموعتين السابقتين ويفسر بسعة اطلاع المؤلف الذي ادرك ما لم يدركه كل من شوريز والدباغ .^(١٠) ومن الجدير ان نذكر في محاولة كل من الدباغ والغلامي بيان ما تميزت به لهجة اهل الموصل وما اخصت به وذلك ليستسنى لقراء الامثال من غير الموصلة التعرف على ان هذه اللهجة ليست قياسية ولاتطبق عليها قواعد معينة في ابدال بعض الاحرف بغيرها عن أصلها الموضوع في كما هو واقع في بلاد العرب وسواها من الامصار . وفيها من القلب والاببدال والاعلال والتغيير الذي يحصل بتأثير مخارج الحروف او تجاوزها فضلاً عن بعض المفردات الفصيحة التي لاكتها اللسان فتغير لفظها ولكنها بقيت واضحة في صورها ومدلولاتها عند الناس وقد ورد في الصفحة الثامنة من الجزء الاول من كتاب معجم امثال الموصل للدباغ قوله : الذي يلاحظ في اللغة العامة الموصلية : انها ترد على انها من خصائص لغة اهل الموصل . والصحيح ان يقال اللهجة الموصلية لان اللهجة كما جاءت في معجم لسان العرب لابن منظور وغيرها

من المعاجم كتاج العروس في شرح القاموس للزبيدي والقاموس المحيط للفيروز أبادي هي طرف اللسان وجرس الكلام. ويقال فلان فصيح اللهجة، واللهجة: وهي لغة التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. اما كلمة اللغة: فتعني اللغة العربية الفصحى بلفظ حروفها وقواعدها واشتقاقاتها. كما ورد ذلك في عنوان كتاب داود الجلي الذي اشار اليه مصدراً لبحثه (الاثار الآرامية في لغة الموصل العامة) وترددت كثيراً بين سطور الفصل التمهدي. (١١)

ان المجموعات الثلاث جاءت نتيجة جهد جمع ميداني دون شك استغرق فترات طويلة وذهب الدباغ الى تقصي مصادرها واصولها وظروفها من كبار السن من الناس واعتمد أيضاً على المصادر العربية القديمة. كما بين الغلامي مقاصد أمثاله بشرح مقتضب لا يخلو من فائدة.. فكان لهذين العجمين قيمة علمية كبيرة. ولا يفوتنا ان نذكر ان الاب انستاس ماري الكرملّي (١٨٦٦-١٩٤٧م) ألف كتاباً في الامثال الشعبية اسماء (امثال بغداد والموصل العامة النصرانية مع حكايات عامية ايضاً) وقد حافظ الكرملّي كما اورد في المقدمة على لهجة الامثال دون تبديل واثار ايضاً في المقدمة الى انه بدأ بجمع امثال كتابه وقصصها منذ سنة ١٨٩٥ وانتهى منها سنة ١٩٣٢ وهو مرتب على حروف المعجم ولازال مخطوطاً وهو محفوظ في مكتبة المتحف العراقي ببغداد (١٢).

كما جمع سليمان فيضي الموسلي (١٨٨٥-١٩٥١م) أمثالاً بلهجة الموصل وضمها كتاباً اسماء الف كلمة وكلمة في المواعظ والامثال والحكمة طبعه في البصرة سنة ١٩١٨. (١٣)

ولكوركييس عواد معجم اسماء (امثال الموصل العامة) لم ينشر لحد الان. (١٤)

وتبين من المجموعات التي صدرت ان الاهتمام اقتصر على الجمع حسب، دون اية دراسات

تحليلية. ويبدو ان المثل الشعبي دون اهتمام الدارسين لألوان الماثورات الشعبية الاخرى كالحكاية والاغنية مثلاً حيث نجد وفرة كبيرة فيها. أما الأمثال الشعبية فلم تلق اي اهتمام دراسي علمي تحليلي لكي تكشف القيم والمواقف الاجتماعية التي ترميها الامثال الشعبية الموصلية... ودون شك انها كالامثال البغداية والبصرية ومثلها في الوطن العربي الكبير، وكانت العناية منصبة على المثل الفصيح وحده دون النظر الى لهجة العامة التي كانت في اعتقاد العلماء مجرد انحراف فاسد يجب القضاء عليه. (١٥)

ولنا بعد ذلك وطيد الأمل ان تلقى امثال الموصل الشعبية-اهتمامات جدية في بحوث اكااديمية علمية كأحد فروع التراث، واهتمام الادباء وكتاب القصة والشعراء باعتبار اللهجة الموصلية خالية من معظم العيوب اللفظية التي يعيها علماء اللغة ولا يزال بعضها موجوداً في بعض اللهجات المعروفة.. وانها من افصح اللهجات، ولاغربة في ذلك اذا ما علمنا حرص المواصل على لغتهم العربية وعنايتهم بها منذ استيطانهم هذه المدينة. ونعني بذلك سكان المدينة نفسها.. حيث يقول ابن جني «غير ان كلام اهل الحضر مضاه لكلام فصحاء العرب في حروفهم وتأليفهم، إلا أنهم اخلوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح». (١٦)

الهوامش

- (١) خليل بن احمد القراييدي: كتاب العين، دار الحرية. بغداد: ١٩٨٥ ج ٨، ص ٢٢٨.
- (٢) محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٨١، ص ٦١٤.
- (٣) عبد الرحمن التكريتي: الامثال البغدادية، القاهرة، مطبعة العاني، بغداد: ١٩٦٦، ج ١، المقدمة ص ٩.
- (٤) ابن خلدون: المقدمة، بغداد: اوفسيت، ص ٨. وكذلك: ابن حجة الحموي.
- (٥) خزائن الادب، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٣٨ هـ، ص ١٠٣.
- (٦) ابن خلدون: المصدر السابق.
- (٧) التكريتي: المصدر السابق.

- (٧) انظر على سبيل المثال المصادر الآتية :
 أ- ابر حلال العسكري : جمهرة الامثال ، يومي : ١٣٠٤ هـ . ج ١ .
 ب- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، القاهرة : ١٩٤٠ .
 ج- حمزة الاصماني : الدرر القاهرة ، القاهرة : ١٩٧١ .
 د- ابرحان التوحيدي : البصائر والذخائر : تحقيق : د . ابراهيم الكيلاني ، دمشق : ج ١ ، ١٩٦٤ ، ج ٢ ، ١٩٦٦ .
 هـ- الميداني : جمع الامثال ، القاهرة : ١٩٥٩ .
 و- الايشي : المستطرف من كل فن مستظرف ، القاهرة : ١٩٥٧ .
 (٨) مقابلة شخصية مع الدكتور لويس ساكو في يوم ١٨/كانون الثاني/١٩٩٢ .
- (٩) د. عمر محمد الطالب : عبدالحق خليل الدباغ ، جريدة الحدياء : ٢٦/ايلول/١٩٨٩ .
 (١٠) احمد محمد مختار : تاريخ علماء الموصل ، ط ٢ ، مطبعة الزهراء الحديثة . الموصل : ١٩٨٤ .
 (١١) عمود الجوردي : اللهجة الموصلية . مطبعة الجامعة . الموصل : ١٩٨٨ .
 (١٢) د. مزهر الدوري : اهمية دراسة الامثال . مجلة التراث الشعبي . بغداد . العدد (١١) و (١٢) ، ١٩٨٤ .
 (١٣) الدوري : المصدر السابق .
 (١٤) المصدر نفسه .
 (١٥) ابراهيم ابرسة : غسقة المثل الشعبي ، القاهرة : ١٩٦٨ ، ص ٤ ، ٣ .
 (١٦) الجوردي : المصدر السابق ، ص ٢٢-٢٤ .

الشَّعْرُ الشَّعْبِيُّ

عبدالحليم عبدالمجيد اللاوندي

مقدمة :

من الزبيب والدهن والحمص والعفس واللوبياء ومشتقات الحنطة والحنطة والرز . يُعبأ هذا كله بالبراني والسدود المصنوعة من الخرف . أما مشتقات الحنطة والحنطة فتفرغ بالكواثر جمع كَوَاثِر مصنوعة من الطين غير المفخور كل ذلك يرصف بالسراديپ رصفاً منتظماً ، فاذا احتاجوا الى شيء من هذا أخذوه من الرواج وهو فتحة مستديرة أسفل الكوارة تسد بكرات من الخرق . هذا الانزال طبع المدينة بطابع الثبات او الحركة البطيئة ، ووسم أهلها بشيء من التحفظ والاحتراز فلم تتفتح الا بعد الهجرة من والى بغداد في الخمسينيات من هذا القرن والاتصال بالفكر المستحدث في الغرب والشرق على نحو مكثف وجدي ، إذ بدت المدينة وكأنها هاجرت كلها الى بغداد . فقد كان هناك قبل هذا تبادل تجاري مع مدينة حلب وبغداد وغيرها من الأمصار ، ولكن ذلك كان على نطاق ضيق لصعوبة المواصلات فيما كان يذهب الى التجارة الرجال الأشداء والأقوياء . وعلى المرأة ان تلتزم البيت التزاماً فلا تخرج منه الا

الموصل إحدى المدن الكبرى في الجزيرة المنعزلة بعيداً عن خطوط التماس ، فهي وان كانت تقع على مسار القوافل من الشمال الجبلي والغرب البدوي فإن اتصالها ظل محدداً بالبدو القادمين من الجزيرة في اوائل الربيع وأواسط الخريف يبادلون نتاج الاغنام من صوف ودهن بما يحتاجه البدوي من متاع قليل كالقصب والتمر والحلو والطحين ، وما يلبسه البدوي من عباءة وأثواب ، وما لا بد منه من حبال وأوتاد وشعريصنع للخيام المنصوبة أو المطوية في الحُلّ والترحال . كما ظل اتصالها محدداً أيضاً بالشمال والشمال الشرقي بالأكراد يتزلون إليها بعد انحسار الثلج ونضج الثمار يبادلون نتاج الجبال من فاكهة كثيرة وأعناب وعسل وثلج - يسمونه ثلج القدرة - وأخشاب وفحم للدفئة والوقود ، ثم يخلد الجميع الى سبات عميق ما أن ينزل المطر أو تطرز السماء يَبْقُعُ الغيوم فتقع السكين ، فلا يذبح القصاب لأن أهل المدينة قد ذبحوا ربائطهم وكبسوا اللحم أو صنعوا منه قلية تكني لهزيمة الشتاء مدّخرين ايضاً الجوز والزبيب والتمر والحلو المصنوع

الى بيت أهلها او الى الحمام او الى نُزهات قصيرة ومتباعدة فهي تكرر نفسها لأعمال البيت الكثيرة.

لهجة أهل الموصل :

إن لهجة الموصل تعتمد على الإمالة بقلب الألف الى صوت الباء يقولون : (وبعد) بدلاً من واحد. و(نيس) بدلاً من ناس و(فيس) بدلاً من فاس. ويقولون الرائ عينا فيقولون : (غاخ) بدلاً من راخ. و(غاذ) بدلاً من رماذ. و(غاسن) بدلاً من رأس. كما تلفظ القاف بصوتها قافاً فلا تبدل بحرف آخر فيقولون (قَلَي) بدلاً من قال لي. و(قلول) بدلاً من قلْتُ له وذلك بأشباع الضمة وتحويلها الى واو^(١). هذه اللهجة القديمة تبدو وسط لهجات العرب المحطة بالمدينة غابة في الاثارة ومدعاة الى التندر. يتكلم بهذه اللهجة جميع النصارى وهم يمثلون القبائل العربية التي كانت مستقرة في الموصل والجزيرة قبل الفتح وهي قبائل تغلب وآباد والنمر والشاهرجة. والموصل كغيرها من أراضي وادي الرافدين سكنها العرب قبل الفتح العربي الاسلامي وكانت ديارهم تسمى بديار ربيعة. ويبدو أن تأثير هؤلاء كان كبيراً في تغليب لهجتهم على لهجات القبائل الاخرى بدخول كثير منهم في الاسلام فاللهجة الموصلية وهي أقدم لهجة عربية معروفة قبل الاسلام خارج الجزيرة العربية ، لم تتطور عما كانت عليه إلا قليلاً. يتكلم بلهجة الموصل الحضرية المحلات القديمة كراس الكور والمكاوي وباب النبي وعمو البقال وباب العراق وسوق الصنغير وشهر سوق وباب السراي و «باب لكش» وباب المسجد في حين تختلف لهجة الحزام الخارجي للمدينة عنها. وهي لهجات محلات المشاهدة وخزرج والمياسة ودكة بركة والجوية بفرعيها البقارة (البكاره) وجوية النبي شيت وهم يتكلمون بلهجتين مزدوجتين : لهجتهم الأصلية ولهجة الموصل الحضرية على أن هذه المحلات تخصصت بمفردات لغوية تختلف من محلة الى أخرى. هذه اللهجات

المتعددة كانت لقبائل سكنت الى جوار بعضها في المدينة فبنت مساجدها وعبدت طرقها وأقامت اسواقها ، فكان كل محلة وحدة اقتصادية وثقافية وبشرية واحدة يعزز هذا الانفصال الليل المظلم الطويل والخوف من اللصوص وقطاع الطرق والغارات المتبادلة بين المحلات بعضها ضد بعض ، لا ينهض بها الأطفال حسب بل يشارك فيها الرجال ايضاً بالرمي بالحجارة باليد او بالقلع ، يسمون هذا دَغْشاً * . كانوا يهزجون في هذه المواجهة «هذي إملحتكم دسناها» والدوس : هو الوطء الشديد كما تقول المعاجم فإذا تراجع المهاجمون هزج المتصورون «عليهم دقت النوبا» * أي عليهم دارت الدائرة. لذلك كانت تبني البيوت متساندة متلاصقة على دروب ضيقة يحس المسار بها مقدار الخوف المتأصل والمتربص من شيء مجهول هو قادم حتماً ؛ ليس هو الخوف من الغارات العدوانية بين محلاتها حسب بل الخوف من غارات الأقوام الأخرى ضد المدينة القابعة داخل السور والخندق المحيط بها.

الشعر الشعبي وأغراضه :

لم يكن الشعر إلا زاد العربي في جلّه وترحاله وهو كثر حكمته يلجأ اليه إما حَزْبه كَرْبُ أو استخفه طرب فإذا نظم الشعر الفصيح وبته على ألسنة الرواة بقصد الشهرة والمجد فهو ينظم الشعر ايضاً بلهجة قبيلته ليكون أكثر التصاقاً بجاتها وأدق تعبيراً عن نزوعه الروحي لها. اذ اكتسب لغته او لهجته من محيطه طفلاً بعدما ورث مفاتيح اللغة إراثاً فطرياً مبرمجاً يبدأ بها حياته وهو يدرج بين أبويه واخوته او بين لداته واترايه في ملاعب طفولته الاولى.. هذا الأثر اللغوي الفطري يُعمق خطه المكتسب التكرار المصقول والتهديب المحكي لبنية الكلمة وجرسها الموسيقي. فهذه الكلمة بنغمها الصوتي هي أجمل لديه من كلمة أخرى ذات دلالة واحدة على معنى واحد ، هو ايقاع الكلمة

وتأكيد معناها مغروساً في الذات عبر اهتزازها صوتاً مُدَوياً في الهواء وهي تنتقل في ذبذباتها الى الأذن فتَهْتَزُّ الطبلة لتضرب المطرقة السندان. فيكون الإيقاع حُفْراً متواصلاً يأخذ مجراه في المصب العام للكلام. فتمتزج الكلمة بطرب الألفه وحنان الطفولة ونقاها وسلطان العادة المتحكمة التي تحافظ على سلطان المجتمع وسطوته. هذا الإيقاع المحفور في أعماق الذات هو الذي يمنح الاصوات معناها في توصيل الفكر أو توصيل الارادة الانسانية من شخص الى آخر. فجهاز الارسال هو نفسه جهاز الاستقبال - الانسان - ولما كان الانسان لا يعيش الا وسط جماعة فتكون لغته تعبيراً عن حاجة نفسية هي فك الحصار عنه ووصله بالمجتمع. فهي ظاهرة اجتماعية تتم وجوده الفردي وتمتد به بين الجماعة المحيطة به ليكون منتظماً فيها معنياً بآمالها وافرأحها واحزانها لانه جزء منها لا يستغني عنها. ولأن جهاز النطق مصمم لهذا الانسان ليتكلم به فهو جزء مبرمج فيه يرثه من أبويه ويطوره فيه إيقاع المجتمع اللغوي. ماذا لو كان الانسان أحرس؟ وكانت المجتمعات الانسانية خرساً كلها؟ إذن لفقدت الحياة كثيراً من معانيها ومباهجها على حد سواء. لغلف الصمت انتظام ضوءاتها. والصخب كما يترامى لي حاجة انسانية ايضاً، فالبيت دون ضجيج الأولاد بيت أبكم. من هنا كان الكلام المنطوق تأكيداً للوجود الانساني، اذ كان قبل الكلام المكتوب يؤتى به الانسان وجوده ويسجله والتسجيل نظم المبعثر وترتيبه وتحسينه، لذلك كان الشعر هو الأداة الأكثر تحسناً لثبات الكلمات ومعانيها. وإيقاعه هو الذي يحفز الذاكرة على استرجاع مخزونها منه. وما كان الإنسان الا أمياً وان الكتابة شأن الكهنة تحتكر أسرارها وتمارس بها طقوس السحر ليبقى سلطانها قائماً على أكتاف الجاهل. ولان الكتابة جهد منظم يحتاج الى الوقت والتفرغ والمال، لذلك كانت المجتمعات الانسانية

أمية وسبق فيها كثير من الاميين يسمعون ولا يقرأون ويتحدثون ولا يكتبون. إذن ليس غريباً ان ينشأ الى جوار اللغة الفصيحة لغة شعبية اولغة العامة من الناس يكرسها الجهل والعزلة والبعد عن الأصول المكتوبة يتضح ذلك في الفترات المظلمة من تاريخ الامة. كل مدينة استقلت بلهجة بل كل محلة في المدينة الواحدة انفردت بتعابير معينة، ولا عبرة بمن يقول بأن اللغة العامية فقيرة المفردات. ان غنى اللهجات العربية يتأق من اتكاء بعضها على بعض وعلى تراث عريض من أساليب العربية الفصيحة. ومن الامتداد المتطاوّل في الزمن وهي تصارع المتغير الحضاري في الحياة وتبقى قادرة على الاستيعاب، ولذلك تُحسّ البلاغة في التعابير الشعبية، كما تحس ذلك في الفصحى منها، بل إنّ فيها من البلاغة ما يدهش المتأمل ولكن أي الاغراض أدى الشعر الشعبي؟

والشعر الشعبي ادى كل اغراض الشعر الغنائي، اذ هو شعر غنائي قبل كل شيء، هو مُعَدُّ للغناء أولاً وللرقص مع الغناء ثم تأتي بقية الاغراض بعد الغناء والرقص، فأوزان الشعر فيه كل الأوزان الراقصة، التدارك، الرجز، البسيط، الوافر. والكلمات لاتعني شيئاً كبيراً إزاء اللحن والإيقاع. لذلك تجذ الكلمات في الأغاني بسيطة خالية من التعابير البلاغية تختصر ماتريد بأسرع زمن لتدخل الى الموضوع، فاذا أرادوا جلوة الختن وصفوه بأبسط ما يمدل على الترف والغنى والرفعة - الأمانة - (يا بن الاميع محمد). واذا أرادوا جلوة العروس وصفوها فوراً بالحسن والجمال وذكروا اسمها مقروناً بالصفة (بلغاليا صفيا بلغاليا) وضربوا على آلات الإيقاع ما كان منها ميسوراً عندهم ليس شرطاً ان تكون آلة موسيقية ايقاعية، فأني طشت نحاسي او قدر او قعّادة^(٣) هو آلة إيقاعية لافرق بينها وبين الرق والدف والنقارة والطبل مادام يؤدي الغرض وهو الإيقاع لضبط اللحن وإيرازه. والإيقاع لا يعدو

إيقاع الجورجينا^(٤) وهو الأغلب في الأغاني الموصلية أو إيقاع الوحدة الصغيرة وهو القليل، وإيقاع الوحدة البسيطة وهو الأقل وهذا يكفي لأغاني النساء المحدودة في الأفراح. ويأتي في مقدمة اغراض الشعر الشعبي معاني الطفولة لدى المرأة وهي تحمل طفلها أمينة حلوة قبل الزواج وحينها بعده تتلف لمرفة شكله. وطفلاً مقمطاً تضعه في السلة وطفلاً تهزه بالمهد لينام وطفلاً زاحفاً وطفلاً ماشياً ويكبر الطفل ويشب كل طور من اطوار حياته تتابعه المرأة بحب وشغف واعجاب وتغني له غناء متصلاً حتى يشيب ويهرم ويموت وهي تغني له حتى في الموت المرأة تغني ولا تفتر عن الغناء والرقص للطفولة والحياة، اما الرجال فلهم معه مواقف اخرى هي كل مواقف الحياة بكل تناقضاتها وابعادها.

المرأة والطفولة والشعر: هي محور الفكر الانساني وهي الدوحة التي استظل بها الانسان طوال وجوده، فليس غريباً لذلك ان يقرن هبوطه على الارض باغوائها. ذلك التفسير القديم لعله الوجود وليبدأ الخطيئة الذي شاء ان يركز على شفاء الانسان، وان يحمل المرأة بالذات كل عذابات البشرية، وان تتحمل هي نفسها آلام الحمل والولادة جزاءً وفاقاً لما فعلت جدتها حواء فيكون وزر جدتها هو وزرها ذاته ويظل عذابها إرثاً متصلاً لا ينقطع حتى يوم الدينونة، فلا مهرب لها منه، لذلك ايضاً يتصل الأعواء فيتصل العذاب، فحين آدم الى حواء وحينها اليه حينئذٍ أبدي ليكون الثمر دائماً من الجنس ذاته أشجار التفاح تحمل تفاحاً والنخيل أوطاباً والعرائش أعناباً، ولان الأنثى هي الأصل في ديمومة الحياة كان الأنجاب هو الثمر الحلو والمر والسبب الأساسي في وجودها فلا معنى لها دونه كالشجرة ان لم تثمر ينفى جنسها ويموت، فالطفولة فيها هي الحياة المتصلة في أعماق الزمن

ماضياً والممتدة فيه حاضراً ومستقبلاً فإذا كانت إحداهن عاقراً وتنتظر بانها منجبة تهز المهد كأن ابنها نائم فيه والمهد فارغ الا من الخرق البالية رقت بالترفيف والكذب لان عيونهن أقدر على اكتشاف الحقيقة فيبهت ذلك الحلم الذي تريد تحقيقه في الواقع فلا يتحقق الا أمانياً كاذبة وأوهاماً: اتهمز بالمهد وتكون نائم

أو مامش بالمهد غير الجليل^(٥)
وإذا رأت امرأة متصاية رمت شفتيها وامتعضت من سلوكها إذ عليها أن تكون أكثر تهذيباً وحكمة فلا تخلط العجوز الفانية نفسها بالصبايا فتعلي بطنها زهواً وتتصور انها في مثل أعمارهن قدرة على الحب والانجاب وليس في بطنها المعللة سوى الحشية الفارغة، والنسوة إذ يفخرن بصغرهن يفخرن بقدرتهن على الانجاب:

عجوزُ لما بگى بيها بگيا
تخلطُ نفسها ويا الصبيا^(٦)
إتعلّي ابطنها وتكون حلي
أو مامش بالبطن غير الحشيا
فإذا حملت فعلاً شعرت بالزهو يهز وجودها
وفاض على غيرها من النساء فغرر منها وحسدتها،
ورأين في سلوكها المثير واللافت للنظر ضعفاً
لا ينسجم وما يجب ان تتحلى به المرأة من جهل
الصبر وطول البال ومكابدة أثقال الحمل في كتمان
وتجميل بقلن عنها:
حبلتْ إيسوم أوليلي

أوغادت من ألال الفرج^(٧)
فإذا وضعته أعجبت به ورأته قرأ أو غزالاً لأنه
جزء منها فن لارتاه جميلاً لارتاه هي جميلة
ايضاً. فإذا داعبته لتعبر عن حبها واعجابها به
صرخت بصوت ممدود وملحن، تمد وتلحن كل
حروف المد فيه:

وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَيْنِي

تَعْمَى مِنَ الشَّنِيتِينَ ^(٨)

وَمَمُوتَ رَجُلٍ إصْبَاهَا

أَوْعِلَى عَلَيْهَا الدِّينَ

هي صرخة فرحة تعبر عن حب مفرط فالتى

لاتقول لطفها يا عيني تعمى عينها الاثنان لانها

لاحتاج اليها ، هي لاتقدر ان ترى بها موطن

السحر والفتنة وأن يموت زوج صباها لأنها فتحت

عينها على الاثنان بقوته وشبابه . وان يعلوها الدين

فتبيت في هم وغم ، وعلى الرغم مما في هذه

الدعوات من الأذى البالغ فاننا لانحس بها سوى

المداخلة المرحية ، اذ أن المعنى بالمداخلة هو الطفل

وأولاً وأخيراً فهو يُحسُّ بالزهو لهذا الثناء الكبير وأن

أمه هي التي توجه له هذا الثناء وأن الاخريات غير

معنيات به الا من باب المشاركة الوجدانية لما تحسُّ

به إزاءه .

فاذا داعبت بنتها قفز الى ذهنها البيع والشراء فهي

غالية غير رخيصة راجعة في تداعي ذكرياتها الى

البنات بصورة عامة وما يتحلين به من حنو وحذب

على أهلين في شبابههم وكبرهم وشيخوختهم

ويتداعى الى ذهنها فوراً أم الابن وفرحها بابنها فتغار

منها ثم تهدأ من غيبتها باختصار الزمن فتتخيل

الأبن قد كبر وشبَّ وتزوج وان بنتها هذه او بنات

الأخريات سيسرقن هذا الابن ومن بعد فان يد أم

الأبن ستصبح خالية منه فيما ستظل البنت خيمة

حانية على أهلها:

يَمَّا أَكْبَنِيَا غَالِيَا

خِيَا أَوْعِلِيْنَا حَانِيَا ^(٩)

لاتفرحين يام الأبن

إيدج من اينج خاليا

ويلاحظ اللحن في حروف المدِّ

وتصف جبال بنتها وما تتحلى به ، شعرها

المنسرح وراء ظهرها المصفور جدائل كالقصب لونا

وطولا ، خطبها لهذه الأوصاف شيخ العرب فمزت

على أبيها فما أعطاها له :

بَنَيْنَا مِنْ حَلَاهَا

كُصَابِيهَا وَرَاهَا ^(١٠)

شيخ العرب خطبها

وبوها ماعطاها

ثم يكبر الطفل ويمشي فتفرح اذ يمشي وتسجل

فرحها هذا اذ تشتري له حذاء صغيرا كانوا يسمونه

«زغبول» ولكن الزغبول اذ يمشي ينقطع فتأتي أمه

تشد له حذاءه الصغير فتري الريحان قد شب كطول

ابنها فهو كشتل الريحان فتنة وطيباً.

يَا أَوْلَادَ وَقِفُوا لَو

كُنْ أَنْقَطَعَ زَغْبُولُو

جئتُ أُمُّو دَتَشَدُو

شبَّ الفيحان ابطولو ^(١١)

ويتوجه اليها ماشياً فتسأل بتعجب هذا

امين؟ ثم تكرر السؤال هذا من أين ؟ وكأنها لاتعرفه

ثم تتذكر . هو من عرب الحسين . ساقاه الطويلتان

وهو يمشي تسحقان لها شتلات اللوبياء - العوين .

هذا امين؟ هذا امين؟

هذا من عرب الحسين

ساگاتو هل الطولان

دَتَسَحَّكَ النَّا الْعُوَيْنَ ^(١٢)

هاهو الان قد اشتدت ساقاه وأصبح قادراً على

المشاركة في اللعب وتري الأولاد يلعبون فتناديهم

«يا أولاد الملعب» وكأنما تسمعهم يستجيبون للنداء

فتطلب منهم ان يصيحوا على ولدهما ليلعب معهم .

واذا لم يلاعبوه وهو افتراض لا يجوز لأنه محبوب

وصغير فانها ستخرب لهم ملعبهم :

يَا أَوْلَادَ الْمَلْعَبِ

صِيحُوا وَلَدُنَا يَلْعَبُ

ولكان ماتلعبونو

دَتَخَرَبُوا لِلْمَلْعَبِ

وتزالمهد هزاً ويبدأ اذ ييكي يريد أن ينام وهي

تغني مقطعة أبيات المديحة الصوفية الى تفعيلاتها

المنتظمة والموقعة فينام :

لا إله إلا الله

بالملك أو مالوثناني

دَ أمدخ لك ياسيد أحمد

ياباز ياسلطان

شيلوني ابعباتي

ودوني لي سساداتي

ساداتي هل صوفيا

بلغني يحضر عليا

ياقتديل التوراني

شفت النبي بالحضرا

لابس لوجبا حضرا

بيدو القران اويقرا

ياقتديّل النوراني

فاذا ظل الطفل يقظاً باكياً ولم ينم بالحر الرئيب

وبالصوت الموقع غنت له بصوت شجي وبالـ

وهزت مهده هزا بطيئاً منسجماً مع صوت الترنيمة

الحزينة المليئة بالشجا والشجن:

دلّل لوي عيني الولد بابني دلّل لوي

عدوك عليل او ساچن الجول^(١٣)

مدري زماني ضم لي هاي بما

بما صيقت مدري اشتاي بما^(١٤)

تريده أن ينام وتدعو على عدوه بالعة والسكن

في القبور. هي لاتدري بأن زمانها ضم لها هذا

الحزن وهي في الصيف ولا تدري أين سيكون

مشتاها. ويغيب القمر ويظلم عليها الليل يكتنف

المهد والطفل والبيت فلا يتسرب اليها قطرات من

نور فتحس بالوحشة وهي مازالت ساهرة تريد أن

ينام طفلها كنوم القط أو كإغفاءة الحمام لتنام هي

ايضاً وليهدأ هولتها هي معه وتغريه بالنوم العاجل

وكانها تخاطب فيه بشراً سوياً، إنها جللت له المهد

بجلال منسوج من ابريسم هندي هو أحسن

مالديها. ولكن أتى يهدأ وكيف ينام؟ ومن يدري

ماذا يكابد من آلام وأوجاع وقد عز الطبيب ولا

طبيب:

دلّل لبّا دلّل لبّا

غاب الغمر وظلم عليا

دَنيمك ونا دَنام

نوم الغطا وغوث الحام

دَنيمك وتنّام تهدي

وجلك بجليل هندي^(١٥)

دَنيمك نومتسين

وحدي دلّال

أو وحدي نومة العين

هذا الحب الغامر للأطفال هو امتداد المرأة

واستقرارها في بيت الزوجية، فكل ولد يوتد كما

يقول النسوة والمرأة التي لاتجد لها أوتاداً سرعان

ماتهب عليها الرياح العاصفة فتقتلعها من الجذور.

والزواج أسرع عصفاً بالأزواج الذين لم تنقلهم بعد

الأفواه الأكلة ومتطلباتهم على قلبها آنذاك. وما

تنسج لهم عاطفة الأبوة من حبال تربطهم بأوتاد

أمهاتهم دون العصف والسف. لذلك يكون الابن

مطلب المرأة أكثر من البنت ليكون لها محامياً ضد

أيه الذي قد ينقلب حبه لها الى بغض وكره وضد

الآخرين الذين يشاركونها في البيت والزوج. ولكن

الموت كان ينتظر الأطفال للجهل بقواعد الصحة

وقلة او انعدام النظافات وهو ما كان يشمل العالم

بأسره. ومشكلة المياه وتلوثها ايضاً وهو مارسخ

الاعتقاد بأن على المرأة ان لاتسقي طفلها المولود ماء

حتى يمرض فإذا مرض أعطي الماء لأن الماء سبب

في موت الاطفال وهو استقراء صحيح وأكد، لأن

الماء كانوا يغرفونه من النهر غرقاً ثم يضعونه في مزملة

منحوتة من الحجر، فتتمر فيه الطحالب والديدان

والعلق فيكون مرتعاً خصباً لكل الجراثيم. وهذا

ماكان يجمله هؤلاء اذ لم يكن الماء قد صُنع وسُيّل

الى الدور فكان يصل اليهم على ظهور السقاة

يحملونه بالراوية او الغاوي، ولذلك كانت ظهور

هؤلاء موصوفة بالبرودة ولقلة الاطفال وموتهم يكون

الأحتفاء بهم والخوف عليهم من المرض والموت

كبيراً، ولأن الأولاد حاجة حياتية مادية يصبحون أمافي تمناهم الأمهات ليسعوا في البراري وراء الابقار بجولون. اذ كان في كل بيت من اطراف المدينة تقريباً بقرة يأتي الجوال صباحاً بجول بالابقار ويعود بها مساء لتعود هي وحدها الى البيت. فالاطفال مطلوبون لأدامة الحياة بكل معانيها ولكن اذا ضاق البيت بهم فلم يتسع لألف أو مئة منهم ماذا تفعل الأمهات؟ تبني لهم أمهاتهم علالي في السطح أو يجلسهم على رؤوسهن على القناع واللفة - العمامة:

ياريت منكم ميا

يسعون بالبريا

ول ماوسعكم بيتي

دبني إلكم عليا

ياريت منكم ألف

عل الجول لمن يلني

ول ماوسعكم بيتي

عل المقنعا واللي^(١٦)

أو يأتي الأبن وقد ذهب الى السوق طائماً مختاراً دون عتاء منها. يبين عليه التعب والجهد، شعفة شعره تنكث مطراً قد تحزم على ثوبه وملأ عيوبه بما اشتراه لأمه من كده وتحصيل يده فتقرن له ياقربانوكن جاني

جاني أو ماعناني

شعفتو تنكث مطغ

واعبويو ملياني^(١٧)

فاذا شارف البلوغ حذرت بنات المحلة منه فهو أنيق ثري دراغته حشوها ريش النعام. ويظهر أن النعام كان موجوداً بكثرة وهو ينام تحت حائط بيتهم دون أن تنام عيناه:

دراغتو غيشن القطا

أوجوا حايطننا لطا

يلاً احفظوا بناتكم

أوعين ابنا مبلطا^(١٨)

دراغتو غيشن النعام

أوجوا حايطننا ينام

يلاً احفظوا بناتكم

أو عين ولدنا ماتنام

فاذا أحست المرأة بالأحباط صرخت بيأس مستغلة حروف المد الى أقصاها والطاقة الصوتية للكلمات ووقفت فجأة على الدال والميم الساكنة الذي يتكون منها لفظ دم فكانها تقطعت أنفاسها ولم يبق بها من طول الترف بقية سوى الدردمة بإطباق الشفتين الساكنتين:

إنعينا أوحفينا الجدم

أو ماصابنا غير الندم

تقول انها تعبت ولكي تركض مسرعة أكثر فأكثر خلعت حذاءها ومشت حافية القدمين ولكن لم يصبها من الركض كله سوى الندم. ان الحزن والفرح واليقظة والنوم والاعتراب والأحباط واللعب ينتظمه الايقاع والموسيقى الراقصة يوزن الكلام وزناً راقصاً ملحناً ويؤدي باللحن الراقص تعبيراً وأداءً ويمكن ان نلاحظ الكم الغزير من الشعر المعبر عن الطفولة تدليلاً وتصويراً لخلجات الأمهات وهن يتابعن مراحل طفولة ابنائهن وبناتهن حتى اذا كبروا وتزوجوا بدأت رنة الأسى تعبر عن الأحباط شعراً. كأن تدين كنتها أو حتى بنتها بالاستعلاء الكاذب أو بالغباء فتصورها بأنها اذ تمشي الى الامام ترجع الى الوراء وهي تمسح الأرض بذيلها اهمالاً يتسم بقله الذوق وعلى غباء لا يحتمل.

تمشي أو ترجع لي ورا

والذييل يسحل بالشري

فاذا رأت بيتاً مهملاً وسخاً صرخت بامتعاض وما يشبه المناحة:

هيلن ياغوالي من تراب الدار

تطلب منهن أن يهلن ترب الدار على رؤوسهن مما حل بهن من أسى وشجن. اذ كانت معظم الدوروالى وقت قريب غير مرصوفة فاذا هب الهواء

دَوَّمت الأثرية في صحن الدور، ولا أدري لماذا
 خصت المرأة بالمناحة والتراب تُهيلة على رأسها.
 المرأة اذن شاعرة بها من رهافة الحس ماتحيل به
 الكلمات جملًا راقصة ذات تنغم موسيقي عالي
 وليست المرأة وحدها تفعل هذا بل تفعله الصبايا
 ويفعله الصبيان وهنَّ أو هم يمارسون ألعابهم كأن
 اللعب دون إيقاع الكلمات الموزونة خروج على قانون
 الحياة ، تأمل ترقيص الاطفال وان كان ماقدمنا
 سابقا يدخلنا تحت باب الترقيص ولكن هنا تبدأ
 الكلمات بالأمر بفعل الرقص اي هي ارادتها تحليها
 على الطفل استجابة لما تراه منه من رغبة باللهر
 واللعب :

گوم ارگص گوم ارگص (١٩)
 عُمرک زاید لاینگص (٢٠)
 حب اللولو اسناتو (٢١)
 حَبَّة السودا اعويناتو (٢٢)
 قرع اسلاحي ازینداتو (٢٣)
 گوم ارگص گوم ارگص

الألعاب والشعر: ولكن هل كل النساء نظمن هذا
 الشعر أو هن قادرات على نظم مثله أم هو حصيلة
 تراث عريض من التجارب المشتركة بينهن أم لته
 واحدة منهن وعبرت به عن تلك التجارب المشتركة
 والمتكررة عبر مئات السنين ذلك بأنهن يتزوجن
 وينجن ويسهرن على أطفالهن منهن في تجارب
 مشتركة واحدة ، اذن هي قوالب شعرية جاهزة
 انحدرت اليهن عبر حقب متطاولة ، وهذا ينطبق
 ايضاً على ألعاب الاطفال فهي شعر موقع يبدأ
 بالموسيقى وينتهي بها إيقاعاً ورقصاً وتمثيلاً ففي
 لعبة الخيل : يتحلق الأولاد في دائرة ويقف خلف
 كل لاعب لاعب آخر وكأن الجالس حصان
 والواقف فارس وبعد أن يعطى كل حصان اسماً
 رمزياً كأن يكون الاسم الرمز مثلاً حزام الذهب
 يتنادي اللاعب الأول :

هابت الهبابا

سدوا عيون الخيل ياركابا (٢٤)

فيضع الفرسان أيديهم على عيون الخيل حتى لا يروا
 شيئاً مما يدور حولهم. ثم يتابع اللاعب الأول
 ويقول :

أُمي عَجَزْ وَمَكْ عَجَزْ
 امركبا على الجاموس (٢٥).

قوم قوم يا حزام الذهب

امشي مشيتك واخطي خطوتك أو دك دگتك
 لا يحس عليك الواوي ترى ها. فيمشي حزام
 الذهب ويخطو ويدق على الأرض بمجرة مرة أو
 مرتين ويرجع الى مكانه ثم يقول اللاعب الاول
 اسرجوا خيلكم بالملقوب فيقف الفرسان امام
 الأحصنة. فن يجر من هو حزام الذهب يكون
 هو اللاعب الأول.

ولعبة السير: فيها نجد التعبير الشعري الملحن ،
 والرقص التمثيلي بعده. واللعبة للبنات. تبدأ اللعبة
 بالتماثل بالايدي والتباعد بالسير خطوات قليلة ثم
 تقول عريفة اللعبة وهي من نغم العشيران وإيقاع
 الوحدة الصغيرة :

مَدْ أَوْ مَدْ أَوْ مَدْ

والعصالي بالديغ (٢٦)

ثم تقول الاخرى:

سَكِين الحادا

تقطع المادا (٢٧)

ثم تقول عريفة اللعبة :

امينن افوت العروس ؟

فيجب اللاعبون بصوت واحد:

من هينا

تدخل لاعبة من بين الايدي المتماسكة حتى
 يصحن خطأ واحداً ، الواحدة وراء الاخرى.

ولعبة القمر: فيها يتشكل خطان من اللاعبين
 يحشون في رتلين متقابلين وهم يتأبلون مترنمين على
 إيقاع الوزن الراقص :

جيب أبوي ديجي

ياقرْ يادحلجي

جيب الناسلة عنب دِنقسما على النبي
ويبدوان هذه اللعبة قديمة يلعبها الاطفال اذ
أشار اليها صاحب لسان العرب وقال : الدعلج
بالعين الشاب الحسن. وهي لعبة الاطفال يذهبون
ويحيثون بمشون مشية الجرذ يجي ويذهب. وفي
الموصل يلفظونها دحلج والاطفال بمشون كما ذكر
صاحب اللسان مشية الجرذ.

ولعبة العدس : لعبة البنات يتحلقن في دائرة ويدرن
في خفة وهن ينشدن من نغم الليات وإيقاع
الجورجينا :

كشك أو عدس ماأحبر^(٢٨)

الأخريات وهن يدرن :

يوبا

المنشدة : يغلي غلوي وصبو^(٢٩)

الأخريات : يوبا

المنشدة : أصبو بالبواطي^(٣٠)

الأخريات : يوبا

المنشدة : أطعموا لخواتي^(٣١)

الأخريات : يوبا

المنشدة : خواتي مايعيدونو

الأخريات : يوبا

المنشدة : أصبو بالسواقي

الأخريات : يوبا^(٣٢)

وهكذا تتكرر الأدوار حتى يتعبن فيما يكون
العدس غير المحبوب قد صببه في السواقي وتخلصن
منه.

وأم الغيث : اللعبة الساحرة حين ينحبس المطر
فيصنع أهل الصبية لهم لعبة كبيرة من قاش
يمسكها طفلان احدهما يمسكها من يدها اليمن
والاخر من يدها الشمال وكلهم يصرخ مناشداً
اللعبة - الدمية :

أم الغيث غيشنا

لوما المطغ ماجينا

صبوا لنا بالطبشا

صَبَّغْ وَلَدَكُمْ بِمِشَا

فيخرج النسوة من بيوتن وبأيدين آنية الماء
يصبونها على اللعبة صباً حتى يسيل الماء منها كأن
صب الماء على رمز الألهة تذكير للأله ذاتها بمهمتها
في صناعة الماء وسكبه من السماء وهي العلاقة
الرمزية السحرية بين الفعلين لدى الشعوب
القديمة.

الزواج والشعر والغناء : حين يصعد الفرح هلاهل
ويغض البيت عنه الصمت ليستقبل حدثاً جميلاً
فإن النسوة يبحثن عن أغنيات يعبرن بها عن
ابتهاجهن في تعب اخر لذيد يتوج الآمنه عبر سنين
مضت في كفاح آتى ثماره بصيرورة طفل الأمس
رجل اليوم فتكون كلمات الاغنيات إما بلهجة أهل
الموصل أو بلهجات اطرافها. هاهي الليلة ليلة
الحناء. الليلة التي تجبل فيها الحناء لتوضع على
أكف واصابع العروس بل واقدامها ايضاً. توضع
الحناء داخل نقشات العجين وتشد الأقدام
والأيدي المنقوشة بقطع الحرير الملونة لكي تظل
ملفوفة حتى صباح اليوم التالي فاذا غُسلت الحناء
صباحاً بأن مقدار الفن الجميل للبارعات من
النسوة اللائي نقشن الأكف والأقدام هكذا يغنين
ويصوت عال لكي يسمعن أبعد من في الكون
ماهن فيه من فرح عارم ينادين من يحبن ليشاركنهن
يجبل الحناء فيغنين من نغم الليات وإيقاع الجورجينا :

الحنا الحنا ماأجمل الحنا

وطلّع ولالي ابروس العلالى

زكيا تعالي دنجيل الحنا

ثم ينادين أمه لتبهاى به وبجلوته فغدا يدخل
على عروسه الجميلة فيغنين بإيقاع الجورجينا وينغم
الليات :

دقومي ياميمتو

وتبهاى ايجلوتو

هذا محمد المدللُ

ليلةً غدا دخلتو

فتنرف الام دموع الفرح وتغني معهم من نغم

اليات وإيقاع الجورجينا:

ألاً معو ألاً معو

أو يا نجمة أم سهيل سيري معو

وتزف العروس على حصان او حساوي جميل وتزج

أقرباء زوجها بأهزوجة من نغم السيكاك وإيقاع

الجورجينا:

يا جمال الحملك بأن الننا

شوف الزود المهم لو الننا

فيكون الجبال هو الحكم فيها يرون أنه حق بان لهم

وأنتهم في المطاولة أقدر من اعدادهم واشد مراسا

ولانهم كذلك فتعتقد العروس بان حمايتها من رجال

زوجها كثر فتطلب منهم بصيغة الامر ان يحملوها

لأنها دمية من دمي الأفرنج تخاف ان يلمسها احد

الغرياء ، وإمعاناً في تدليل ذاتها تريد أن يرفعوا ذيل

دواخها فإنه طويل لثلا يتسخ بالماء فيغنون على

لسانها من نغم السيكاك وعلى إيقاع الوحدة

الصغيرة:

شيلو في بابيت إحماي

ونا لعبي افرنجي

ودواخي لاينوش المائي

ويغني في أفراح العرس هذه ألوان الأغاني

ويسمون هذا سماعاً ، والأغاني لا تختلف في إيقاعها

إلا قليلاً لأن الذي يغني هن النساء فلا يحتاج

إلا للإيقاع يضبط اللحن السهل. على أن التلوين

يصحب الكلمات وهي تدور في شتى المعاني

وأكثرها يصب في المنحى الضاحك الساخر وتجد

في بعضها الملامح الشخصية :

اتغيدين بطرس !

ماغيد

لفتو تنظر

ماغيد (٣٣)

أو ياسماق ياسماق

أكلي دهيني أو خبز إفاق

طبخنا الشوندغي

وخذناها للبغبي

والعفوص عاقل أوحبي

والختن يرقص بصفاق

الاغنية تدور حول الساق الحامض في أكلة دمية

دهينة مع خبز الرقاق إذ طبخوا الشوندندر وأخذوا

ماطبخوا الى البرية. كانت العروس عاقلة مؤدبة

ذات حياء أما الختن فيرقص في الرقاق. وهي من

نغم اليات وإيقاع الجورجينا:

أو بلا لوم بلا لوم

خلّي الحلوي تشبع نوم

شال ايدو حط ايدو

على شعفا حط ايدو (٣٤)

شال ايدو وحط ايدو

مشط الذهب جابيدو

زعلت منو أو عافا النوم

وهكذا تسير يده صاعدة نازلة تنقل فوق

جسدها وهي في كل مرة تغز وتزعل :

أو لاخ لخلحي ونا لخلحتو

داغ دغدغني ونا دغدغتو

داغ دغدغني الفلاخ

وهذه دغدغة ولحلة أخرى تشبه اليد الصاعدة

النازلة:

أو ببالي ماعبالي ياببالي

حيفن على شباني ضيعتو بيالي

واذا أضاعت بيالي شباب هذا الشاب اليكد

فان نغمة هذه الأغنية من اليات وإيقاع

الجورجينا. تحدث الاغنية الاخرى عن الطريقة

التي احتالت بها بيالي أو غيرها من الماكرات في

سرقة الأبن المدلل من أحضان أمه دون تعب وجهد

فضاع التعب به والشقاء أدراج الرياح :

عفاك عفاك على فند العملتينو

أنا تعبت ونا أشقيت على الحاضغ أخذتينو (٣٥)

وتحظى ضابطة الأيقاع بما تستحق من التكريم
فتخصص بأغنية تطالبها ان يكون دُفُّها مليحاً وتدعو
المغنيات لها بعطاءٍ سخّيٍّ من الله وحتى ترضي بذلك
العطاء ، وأنّ الايقاع الجيد الذي توقع به سيكون
ديناً في أعناقهن فهو واجب الوفاء

فاذا انتهى الحفل ليلاً وهو بالرحيل طلبوا من
هذا القوي الأمير الذي هو شيخ العشائر ان يحمي
الظعن المسافرين من النسوة المغادرات يوصلهن الى
اهلين.

دشيلوا ظعننا

دنرحلْ لهلنا (٣٧)

يامنهو هلْ شايِلْ

بمحمد هلْ شايِلْ

ياشيخ العشابير

وصلنا هلنا

ويظل الأثر البدوي في التنقل والرحيل
مسيطرًا ومهيمنًا على حياة المدينة ولا يزال كذلك.

ان الشعر الشعبي بلهجة الموصل الدارجة
يقتصر في كثير من نغمه على الأصحاح والنقد
الاجتماعي اذ أن لهجة الموصل المتحضرة تنتقد نقداً
مراً ممن يتزح إليها من القبائل العربية فتضيق بها
السبل ويأخذ المتحضرون كثيراً من أهائهم
وغنائهم من هؤلاء النازحين إليها المزاحمين
لسكانها.

وما هو جدير بالملاحظة ان المواطنين المسيحيين
في مدينة الموصل يعتمدون اللهجة الموصلية
الدارجة ، بشكل واضح في اغانيهم الشعبية ومن
قبيل ذلك :

علْ الجنجلي الجنجلي

«سكفان» أو عقلوگري (٣٨)

ولانعرف معنى كلمة «جنجلي» . وقد تكون ،
لفظة افتتاح لطاقتها الصوتية المعبرة عن شيء يأتي
مضحكاً من انسان فقد صوابه من فرط ماعب من
الخمير.

دقي مليخْ ألا إيعافيك
يعطيك ألا يوم الأوفيك
ويجل الختن فيغني له
هذا المنسف مالْ من؟
يلعب على طاغو
هذا مالْ أبو محمد
ياهلا انخطاغو

لمن المنسف النحاسي سمي به لانه ينسف
الطعام من القدر الكبير فكان الطعام تلى أو جبل اما
إطار المنسف فريض واسع يلعب أي يرقص عليه
ومحمد ابن الامير ورث الإمارة عن أبيه فاذا احتفى
بضيوفه ضرب لهم خيمة واسعة في صحن داره
الكبيرة على عادة العرب في نصب الخيام في
الأفراح والأحزان. ومحمد يلبس عقلاً ميالاً ينكسه
فوق رأسه كبيراً ويتهاً ويتحزم على خنجر. يلبسه
ويتزعه. وهو واحد ولكنه بألف رجل شجاعة وقوة.

ياهلْ العگلْ الميالا

جتلتوني (٣٩)

عليكمْ دمعي سالا

بعد اعيوني

يامنهو لابسْ خنجرْ

نازغْ خنجرْ

بمحمد لابسْ خنجرْ

نازغْ خنجرْ

واحدكمْ بلفْ أو اكشُرْ

بعد اعيوني

ويذهب الأمر الى أكثر من ذلك .. حين تصبح الاغنية الشعبية نقداً لبعض العيوب الممارسات الخاطئة في المجتمع .

وثمة اغانٍ شعبية تسود في الافراح المناسبات وخاصة «حفلات الزفاف» التي غالباً ماتم يوم الاحد .

ومن قبيل ذلك الاغنية الشعبية التالية التي تمتلأ بالصور والتخيلات وتتطوي على اشياء مضحكة .

اليوم السبت أوغدا الأحد
أشقد اكوسي مفت ابحد^(٣٩)
جابلا الحب أو قلاً دلبي
وتعشي بالحوش أو ما كس أحد^(٤٠)
جابلا الحب أو قلاً دلبي
وتعشي بالبيعا أو ما كس أحد^(٤١)

ويغنون للعروس
سبع ليالي او ليلتين أوليلي
لِمَنْ أوصلن داغ أبوك العيلي^(٤٢)
سبع ليالي وليلتين اخرى احتاجوا للوصول الى دار أبيها العالمي ويغنون

يامرحبا بالساعتين أو ساعا
ويج الصيخ أو كصت اللعا
يامرحبا امحنا لمن يغكب
طبخ السعد من فوق غاسو يلعب
صلوا على مريم أو كل من يسمع

عميت اعيونا التبغضا هل الساعا
مرحبا بأجمل الساعات تلك التي تحمل بها اجمل
الفتيات وجهاً صيحياً وجيناً لامعاً ثم انتقالة الى
الختن والترجيب به عندما يركب فرسه طير السعد

يلعب فوق رأسه ثم الصلاة على مريم من كل من
يسمع اسمها والدعاء بالعمى لمن تبغض ساعة
الفرح هذه .

ولما كانت معظم مهتهم فنية وبخاصة فن البناء
فكانوا يغنون ايضاً من نغم البيات وايقاع الوحدة
الصغيرة .

طاف البنا بالشط طاف
والمعبع بلا مجذاف^(٤٣)
وعندما يفرغ البناء من بناء الغرفة يغنون من نغم
البيات وايقاع الجورجينا
بنيناك يا أودا
بنيناك بالعز^(٤٤)
بناك أبو حنا
أبو محزّم الجزري

أما الأهازيج فتنحو منحى البناء فهو نقار
للحجر مهندم لما عيون كبيرة وصدره منقب بفعل
البارود لانهم كانوا يفجرون مقالع الحجر بالبارود
نقاع وعيونو كباغ

أو صدغو امن الباغوذ امنق^(٤٥)
حتى في الأهازيج نلاحظ روح السخرية فكان
لهجة الموصل وقف على الاضحك والسخرية . وهذا
كما أرى سلوك منعكس عن حدة أهل الموصل
وجديتهم وبعد أيام الفرج هذه تأتي ايام مليئة
بالأحباط وكأنهم سعوا بأيديهم سعياً الى الحرب
وتفجير معاني الحقد والكراهية ، فيحل مع العروس داء
النحس منها والتوجس مما تفعل ولما كان الأمن
الغذائي الذي تمارسه الأسرة مجتمعة لعام كامل وقد
يمتد عامين لا يعطى الزوجين استقلالاً وإنما هو
استقلال بزوجته واولاده داخل غرفته لان قدر
الطعام ييسط سلطانه عليه الاقوى وفي العادة تكون
السيطرة للحمة وتمارس من خلاله سلطاناً لاحد له .
ومن هنا تبدأ متاعب المرأة في بيت زوجها فتبدأ

الكرهية والبغضاء بين المرأة الجديدة وسكنة الدار القداسي، فأما الحياة فتفقد مجيئ القادمة الجديدة سلطانها على الابن فيقلب فرحها الى حزن وقهر. وتكتشف في كتبها من العيوب مالا يعد ولا يحصى فتمتم مع نفسها او تصرخ بصوت عالٍ .
اتعبنا أوضاع التعب كلو

وصفنا مثل شَيَالْ جلو^(٤٦) .
أو اتعبنا أو غاغ التعب ضايغ

وطلعنا مثل خيل الودايغ^(٤٧)
كل التعب راح سدى وضاع كالوديعه من الخيل يأخذها اصحابها بعد حين ، أو كالذي لا يملك الا جلّه يحمله على ظهره ويمطي به . ثم تندب الحظ العائر فن لم يكن محظياً بصباه الأول ينكسر منجله ويفوته الوقت وكذلك من لم يحظ بما يطلب والشمس في أول شروقها يبقى مظلوما الى يوم القيامة .

الما حظلي بَسُولْ إصباتو
انكسر منجلو والوكت فاتوا^(٤٨)

والما حظلي والشمس قاما
مظلوم لي يوم القياما
ويبدوان الظلم الأشد تعاني منه امرأة الحائك لانها سجلت تعاسة هذا الظلم وحدها دون غيرها من النساء . وقد علل هذا الظلم الفادح لها بما تعانيه من زوجها المرهق بالعمل اذ يُفَسّ عن تعب وارهاقه بضرب امرأته التي تعمل معه خلف جومته بدولابا . ففضلاً عن تعبها هي بمعاونتها اياه بعمله وعمل البيت ايضاً فهو يجعلها هدفاً ومتفصلاً لالامه وأتاعبه . متناسياً أتعابها هي .

مرث الحايك مظلومي
دولابا خلف الجومي
كلما يسدي أم يلحم
يضرّب مغتو قدومي

وقد نقص بالآلم او يفضصن بالآلام فيندبن حظهن صامتات مقلات بالحزن فيكيكن ولكن دون

عويل إذ هن مسيات مملوءات ضيماً لَمَهَن الحزن واضطربن الى الصمت الساكت . تلك العزلة والاعتراب المفروض عليهن فرضاً كما هو مفروض على الانسان بحكم تكوينه الشخصي المتفرد فلا يستطيع قهر عزله فيتجرع أساه صامتاً يائساً . ذلك ان تحقيق طموحاته تصطدم بجدار المجتمع فيتراجع تحت ضغطه متخناً بالجراح نادياً حظه فيُصعد جراحه بتجارة رائجة أو رسم جميل ونغم بديع او نواح حزين منتظراً يوم الخلاص يوم يحقق الانسان ما يريد .

لاتشوفينا ياخيتي ساچنات ايوت
سبانا الضم أو للمنا الحزن بسكوت
الفرح والحزن : الملهال والنواح : الحق ان المرأة تختص بتصعيد الفرح وتصعيد الحزن ولها من طبيعة صوتها ذي الطبقات عالية التردد ما يجعلها قادرة على تفرغ مشاعر الفرح والحزن بطاقة صوتية متفردة لا يعرفها الرجال ، فالملهال أصوات نسائية لاتتفارق الفرح اي فرح تهلّل المرأة الموصلة اذا حضرت عرساً او جاءها خبر سار أو رأت منظرًا مفرحاً وهن يتبارزين في أبهن اندى صوتاً وأبعد مدى وأطول نفساً من الاخرى ، إنك ان كنت هنا فانت تستطيع ان تسمع الملهال في ايام الصيف تأتيك من أبعد بيت في المدينة وكأنما هو مصعد الى السماء او كأنه يصل بسبب من الاسباب ما بين الارض والسماء كما تستطيع في الوقت ذاته سماع صوت الحربي أو صوت الحزن ، فالصوتان متجاوران ومتناغمان يعبران عن وجهي الحياة . والمرأة الموصلة بسبب من عراققتها في الحضارة كانت تضع على رأسها الاكليل عروساً يقولون للعروس : كلوك وفي لغة تميم وأسد يقلبون الكاف الى شين فتصير كلوش . اذ أن الاكليل هو نوع من التاج تشبيهاً للمرأة بالملكة ونسوة الموصل حين يبدأن بالملهال يقلن لكل لوش حيث يعطى حرف اللام التكرار المناسب للمباراة في الترجيع المستمر وعند الروا التي هي حرف مد تتبارى المهلهلات بتمويج أصواتهم

ومدها ليقوم حرف الشين الساكن مقام عتلة
التوقيف لهذا الهدير المستمر والمتدفق. والأكليل عصابة
مزينة بالجواهر قال حسان بن ثابت بمدح الفساسة.

قد دنا الفصح فالولاد

ينظم من سراعاً أكلة المرجان
والاكليل منزل من منازل القمر وهي أربعة نجوم
مصطفة. وانكل الرجل ضحك وسحاب مُكَلَّل
ملمع بالبرق. يشترك اللفظ الشعبي واللغوي في أن
الكل تعني الأحاطة والرقعة والتبسم والزينة والأزهار
المتورة المرصوفة ولذلك يرتبط الاكليل بلباس
العرس المرصع باحجار براقه والاكليل تتخذ
عرائس الأسس واليوم. ويبدو ان هذا التقليد ظل
متبعاً وظلت الاخريات ينظرون الى من تكلل وتلبس
تاج العرس نظرة ملؤها الغبطة والبهجة والغيرة
والرجاء فتطلق اصواتهن حادة صارخة : كلوك !
أصبح هذا ؟ احقاً كلوك ؟ وتشترك الغيرة والغبطة
والحسد والبهجة والرجاء اشتراكاً وجدانياً وتألفاً كل
واحدة تعبر وبصوتها المديد الطويل عما يخرج في
نفسها من معان ، ولكنها كلها تصب في معنى واحد
هو الاحساس بأن الاكليل حلم جميل يستحق
الاستهلال وعلى ذلك فان (كلوك وش) ابداع
موصلي فريد. فيما تكون الزغردة لدى المصريات
صوتاً فيه معنى التوجع اذ ينتهي بصوت «أوى»
ويسمونها زغردة ، والزغردة هو صوت ترجيع
الأبل. (٤٩)

وتعدد المرأة في الحزن وتصعد الحزن بالتوايح
يقول أهل الموصل ناحت اذا هي غنت بصوت
حزين تسيل له دموعها ، وما أكثر ماتيكبي النساء
اذا احسنن بالضيق وما أكثر ما يضحكن من
خلال الدموع غير ان النوايح يلازم عادة التعدد
والتعدد هو ذكر مناقب الميت ، والمعدة : امرأة
تحترق إيكاء النساء في الغزاء وتذكي مواجدهن ،
والمعدة حلقة تنظم النسوة الباقيات وهن واقفات
يضررن وجوههن ضرباً متظماً وموقعاً على ايقاع

المعدة المثير للشجي والبكاء. وتضبط المعدة
الايقاع بالتصفيق بيديها وبحركات موقعة هي
بالرقص أشبه حيث تقف النسوة في دائرة شبه
مغلقة ويدرن دورات متتابعة ويراهن الرائي وكأنما
يؤذن رقصة من هذه الرقصات الجماعية ذات
الايقاع المنتظم لولا ذلك الصوت الباكي «وَي».
وَي» ولا عجب فالطرب لفظ مشترك المعنى للحزن
والفرح ، ولا تستطيع كل النساء القيام بهذا الجهد
الشاق بل تندب اليه من كان وجهها معلماً على
اللطم. والتي تعطى المعادة بعداً متوتراً وحزيناً
يقولون عنها «شدت المعادة» وتقف المعدة وسط
حلقة المعادة تشدها وكانت أحسن معدة بنت
جربوع وهي شاعرة ترغبل الشعر بدهاء في الاحزان
ماتت منتصف هذا القرن او قبل ذلك بقليل.
وتعطى المعدة عطاء سخياً. كنموذج على ماغنى
في المعادة من شعر

حسرتي على شكر الشوارب حسرتي (٥٠)
جيت أدور عل عجب أد مالغيتو (٥١)
الدست وجسي والذلول امعكل (٥٢)
الدلا امهيلة والفحم غاشيبا (٥٣)
هلايا غبت اكروكي هلايا
عرت وشوام لي باب السرايا (٥٤)
ابساطهم أحمر أوشامي
هريان من دوس الاجدام (٥٥)

هل يعد الزهيري شعراً شعبياً؟ المتعارف عليه ان
الآداب الشعبية نتاج جماعي ، والفرد ينطوي تحت
جناح الجماعة طياً فلا يعرف من صاغ المثل او نظم
الزجل او حكى الحكاية. ولكن هذا يختلف تماماً
في مالدينا من زهريات إذ دون كثير منها باسم
ناظمه وسجل في كراريس او كتب. وتباهى شعراء
الفصحى في نظم الزهيري. حتى ان المتأخرين من
الشعراء عدوا الزهيري او الموال غرضاً سامياً من
اغراض الشعر فأعملوا فيه اقلامهم وكتبوه في دفاتر
اشعارهم. وكان الدكتور عبد الجبار الجومرد من

الجليل المعاصر آخر من نظمه. وقد روى للباحث عدة زهيريات من نظمه. والحق ان الموال فن شعبي على الرغم من تدوينه ومعرفة قائله. ذلك ان قراء المقام ظلوا في حاجة اليه في غنائهم وإذا عرفنا ان المقامات الاصلية اثنا عشر مقاماً: راست. عراق. أصفهان. زيرافكند. بزرک. زنگوله. راهوي. حسيني. حجازي. بوسليك. نوي. عشاق^(٥٦). وأن مايقراً من المقامات الفرعية بالزهوري يزيد على ضعف هذا العدد بكثير، وان المناقب النبوية لاتتلى الا بالمقامات الى جانب غناء المقام في المقاهي والمجالس الخاصة، عرفنا مقدار شعبية الزهوري وتساميه ايضاً وعدد هواته. والذين يتبارون في حل جناسه فهو بهذا الاعتبار من اكثر الفنون شعبية وعراق، ولكنه تخلى عن مكانته بفقدان اهم مركزاته وهو المقام الذي إنحسر ظله ليحل محله هواة الاغاني الخفيفة ذات الكلمات والصياغات السهلة، وبقي المقام مقصوراً على القرآن الكريم ومجوديه. وما دمتا في المقام والغناء فان مدرسة الموصل الغنائية الأدائية ذات وضوح نغمي خاص بها فهي ليست متأثرة بالفرس او الترك والسبب هو التخصص في اداء المقامات. فكل قارئ مقام في حرفة من الحرف يختص باداء مقام يجيد غناؤه اجادة تامة، وهذا يدل على المباهات في تجويد الفن ومن بعد على ما يتمتع به القارئ من ذوق فني رفيع. وقد اثرت هذه الخواص النغمية في قراء المقام البغدادية وبخاصة بعد عودة الملا عثمان الموصل الى المقرئ والموسيقار والشرطي والمغني المعروف من استنبول وسكنه في بغداد حتى وفاته^(٥٧) سنة ١٩٢٣. وكان حضور الملا عثمان واضحاً في محافلها الفنية ومناقبها الدينية وانتقل الى قراء بغداد فيما انتقل مقام الناري الذي كان يغنيه الحاككة عند أداء اعمالهم اليومية الرتيبة والمملة. اذ كانت الموصل مصنع نسيج تعمل فيه طاقة بشرية كبيرة رجالاً ونساءً. ومعروف ماتعانيه امرأة الحائك من عنت.

وما بقي من المقام الموصل مسجلاً في اشرطة قليلة اشهرها ماغناه من مقامات سيد أحمد بن سيد عبدالقادر الموصل وأخيه سيد أمين عبدالقادر وللأخير مقام مشهور يؤديه هو مقام الناري. ويعرف سيد أحمد بأنه اشهر قارئ مقام في الموصل وقد سجل في بيروت اكثر من ستين اسطوانة وقد سجلت اسطواناته على اشرطة تسجيل ولا تزال ماثلة لدى محبي المقام توفي في ٦ أيلول سنة ١٩٤١. وكان العازف على الكنجا في ماسجل العازف الشهير سامي الشوا^(٥٨). ومن أراد ان يعرف الاداء النغمي الموصل فعليه ان ينصت الى بعض قراء القرآن الكريم من الذين لم يتأثروا بالقراء المصريين او البغداديين. وفي أدناه نماذج من الموالات - الزهيريات - لشعراء موصلين :

- ١- مدح ابو محمد علي الملا عثمان الموصل
فقال: عثمان ينبع لسانك ماي عذبن يجز^(٥٩)
بلفاظ حسنات يريح من شراهن يجز^(٦٠)
لوجان مطلوب من رام الأمامي يجز^(٦١)
جنت اندعي لاثحول إعن الهنا وصفاك^(٦٢)
واصير إلک عون نيل اموالك وصفاك^(٦٣)
يامونس الأنس وطبور السما وصفاك^(٦٤)
جوهر عزيز الي اضيعلک ألف حسرا يجز^(٦٥)
- ٢- ملا حسن البزاز (١٨٤٥ - ١٨٨٧ م) وكما هو معروف فإن ملا حسن البزاز تخصص في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وله ديوان شعر مطبوع.^(٦٦)
على باب جودك الهي نوقت راحلي^(٦٧)
مهموم دهري أبد ماشفت أنا راحلي^(٦٨)
کم أجمع الصبر مرن وصفکن راحلي^(٦٩)
واصیح من لوعتي ياعون يابن الحسن^(٧٠)
معلوم أصلک اوفعلک دوم دايم حسن^(٧١)
إن چان اسمي أوفعلي في هواکم حسن^(٧٢)
مداح طه النبي إيش الذي راح لي^(٧٣)

٣- علي الصفوفي ذم الزمان: (٧٩) توفي في حدود سنة ١٨٩٥ وكان علي الصفوفي قراء ومنشد في التكية القادرية في الموصل واشتهر بنظم الزهيري إنزوم حلو الليالي بالزمان أو نخب (٧٥) ليا يزول العمر ويا المنيا أو نخب (٧٦) م نهايا لو مشينا بالثلاثا أو نخب (٧٧) ذي دينك غادرا جُم شيبث كَمَا هي والدهر جُم فَلَّت للخلق لَمَّا (٧٨) جتتا ليالي بيميننا مِنها لَمَّا (٨٠) صرنا بغيرها عليا عاد نبجي أو نخب (٨١)

الهوامش

- (٥) الدَفْعُ: الاختلاط في حرب أو صخب. ودغش عليهم: هجم وأهل الموصل يقبلون الفين جيساً مصرية وكثراً.
- (٥٥) وقد شُجَّ برأسي وأنا خارج من باب البيت إذ كنت صغيراً بحجر طائش من المهاجرين هُلتنا شيخ أبي الملا
- (١) للتفاصيل انظر: الطائي - غالب قاضل، في الاصوات اللغوية ص ١٦٣.
- (٢) وحول الخصائص الأخرى للهجة الموصل انظر: اللاوند، عبد الحليم، نظرات في الأدب والزجل الشعبي الموصل ص ٤٣ حول صيغ التحجيب في اللهجة الموصلية.
- (٣) قعادة: إناة نحاسي تجلس عليه المرأة في الحام
- (٤) إبراهيم - زكي، الأغاني الشعبية الموصلية - نشرة غرفة تجارة الموصل السنة الرابعة سنة ١٩٧٨.
- (٥) ترمز المهد وتقول: نايم. ماش. لا يوجد (الجلال) الخرق البالية.
- (٦) مابق فيها بقية، إملي: إملي. وتقول حلي. غير الحشا
- (٧) يوم ولبلة وأرادت من الله الفرج.
- (٨) والتي لا تقول لك يا عني تمسي عيناها وموت زوجها وعلموها الدين.
- (٩) يأمام: الثنية غالية هي حمية حانية علينا. لاتفرحين بأمر الأبن فيلك خالية من ابنك.
- (١٠) بنتا حلينا القصاب وراه. عطلها شيخ العرب ولم يعطها له أبوها.
- (١١) الفيحان: الزمان
- (١٢) اسنين: من أين. ساكاتو: ساقاه. دتسحك: تسحق. النا: لنا. العوين: اللوباء.
- (١٣) الجول: القبر ويلفظه أهل الموصل بجم مثلة.
- (١٤) سَيِّئَن: اصطافات. غنت هذه الأغنية جلية أم سامي وهي مئة موصلة ماتت سنة ١٩٢٤ ولما تسجل بصوتها لهذه الأغنية بالك وحزين.
- (١٥) بجيلي: بجلال هندي: صناعة الهند

- (١٦) الثَّيْلِي: الفرقة الصغيرة فوق السطح. الجول: البقر يجرل به الجوال. لقي ياني حفر: جاء. المقنا: القناع. اللني: العامة.
- (١٧) الشفعة: مقدمة شعر الرأس. العجب: زيق الثوب بملا بدل الجيب بما يشترى.
- (١٨) الدَّرَامَة: مالايس فوق الثوب أشبه بالسترة بخوا: تحت لَمَّا: كَيْد المكان. وعين بليطة: وقعة. حادة.
- (١٩) قوم. أرقص.
- (٢٠) لايقص
- (٢١) أسناته حب اللؤلؤ
- (٢٢) عينه حبة السوداء.
- (٢٣) زنده: قرع سلاخي. وهو القرع الطويل ويمتاز بالطول والياض.
- (٢٤) شدوا عين الغيل ياراكين
- (٢٥) راكية على الجاموس
- (٢٦) امتد وصر الصبا بالدير.
- (٢٧) للمادة: القيق: السكين الحادة تقطع القيق.
- (٢٨) الكشك: شلخ يكبس مع الحية فيصير حامضاً ثم يطبخ. والشلخ: خضار الشلغم يترج بأوراقه إبان إنباته لتكون كثافة الباقى منه ملاحة تمام نضجه.
- (٢٩) يظلي غلوة وتصبه.
- (٣٠) البواطي جمع باطية تصنع من الخزف ليكامل بها الحليب وتكون وحدة قياس للبن.
- (٣١) تعلمه لأخواتها.
- (٣٢) بوا: تأتي يو بمعنى لويقولون: نجى يوما نجى وسياق الجملة بعدها معنى أم أي نجى أم لا نجى. وتأتي (يا) بمعنى لا يقبل الياء لَمْ يَكُنْ المعنى أم لا
- (٥) الحساوي: حار أبيض سريع نشيط ينسب إلى الأحساء
- (٣٣) أتريدني بطرس؟ لفتو تنظر: عامته تقفر. هي ماتريده.
- (٣٤) حط يده على شعرها ولكن المشط جاء بيده ففرت من الزم وعافها.
- (٣٥) القند: الكذب والاحتيال وفي التنزيل (إني لأجدُ ربح يوسف لولا أن تفندون)
- (٣٦) يأهل الثقل المائلة قتلتموني
- (٣٧) شال: حمل. الظن: النسوة
- (٣٨) انظر على سبيل المثال: اللاوند، نظرات في الادب والزجل الشعبي، المشار إليه آنفاً.
- (٣٩) اليوم هو السبت وغد هو الأحد. أش: قد. كم: كويس: جميلة زوجة أبلحد.
- (٤٠) جاب الحب: جلب لها اللؤلؤ قال لها: البسي تمشي بالحوش فلا يوجد فيه أحد.
- (٤١) البيعة: بيعة النصارى.
- (٤٢) سح ليالي. دار أبك المال
- (٤٣) المعص: المعمر.
- (٤٤) أودا: الفرقة. أبو عزم الحزبي: أبو حزام الصوف المصنوع من جزء كاملة من الصوف
- (٤٥) تقاق: نقار صدغو: صدره. الباغود: البارود. انقب: منحجب.

- (٤٦) صتنا: صرنا. جَلَوْ: جَلَّه: الخلق من الثياب
(٤٧) طلعتنا صرنا.
(٤٨) الذي لم يحظ بأول صباه ينكسر منجله وطفوته الوقت.
(٤٩) زغرد: الزفرقة: هدير يردد الفحل في حلقه لسان العرب
ج٣.
(٥٠) حربي على شفر الشوارب حربي.
(٥١) جشَّتْ أَفْش عن العقيد ولم أجده.
(٥٢) القدر متروك والجمل معقول.
(٥٣) دلة القهوة فيها الهال والقحم قد غشيبا.
(٥٤) الكرك: فرد الواوي. ويسمى الصنصنار تصنع منه معاطف
رجالية ونسائية. ويسمى سابقاً. سَقُور وهو ضرب من الثياب
يتخذ من جلد حيوان يشبه البشور وهو فراء ثمين يتخذ للبه
ونخفته وإدافته. هلايا: صوت نداء وتنبه. هيت رجال تليس
السُّورهم عرب ومن أهل الشام توجهوا الى محلة باب السراي
حيث يوجد نقش الميت.
(٥٥) يوصف البساط بأنه أحمر من صناعة الشام تبرا من دوس
الأقدام كما توصف المرأة بالعلقة والحياء فيكون رأس أهلها مرفوعاً
بها وهي وردة والحواء قد حنى رأسها.
(٥٦) محفوظ - حسين علي. معجم الموسيقى العربية ص ١٣٧.
(٥٧) اللانود - عبدالحليم نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصل
ص ١٥٨.
(٥٨) اللانود - عبدالحليم نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصل
ص ١٥٥.
(٥٩) لسانك ينبوع ماء عذب يجري.
- (٦٠) بألفاظ حسان يريح أهداً من اشتراها.
(٦١) لو يجاب من رام الأمانى ويحار.
(٦٢) كنت أصدون أن لا يمول صفائك عن الفناء.
(٦٣) واصبر لك غلاً متأنفاً وصفاً لك.
(٦٤) يامؤنس الأسس وطيور السها تصفك.
(٦٥) من أضاك أضاغ جومراً عزيزاً فيجر حشرات على ماضاغ.
(٦٦) اللانود عبدالحليم نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصل
ص ١٦٤.
(٦٧) على باب جودك إليّ أنتت راحلي.
(٦٨) قضيت دهرى مهموماً لأجد يوماً راحة لي.
(٦٩) كم أجزع الصبر مرأ وأصفى راحاً براح.
(٧٠) وأصبح من لوعتي بالين الحسن أعني.
(٧١) أصلك وفعلك دائماً أبداً حسن.
(٧٢) فاذا كان اسمي حسن وفعلي كاسمي.
(٧٣) فن يمدح طه النبي ماذا يروح له.
(٧٤) السامرائي عامر رشيد، مؤالات بغدادية ص ٣١٩.
(٧٥) نروم حلو اللبالي بالزمان كله ونحبها.
(٧٦) لا تقض نحبنا بالنبة ويزول العمر.
(٧٧) لانتاب الحياة بل نحبها ولومشينا على عكاز اوحيونا حيواً.
(٧٨) هذه الدنيا غادرة كم أشتات الشعر - اللمة - .
(٧٩) هي والزمن كم مرقت الشمل.
(٨٠) جامتنا ليالي بكتينا منها.
(٨١) فلها صرنا بنهرها عدنا نتسب ونبكي عليها.

حَرَكَةُ نَفْدِ الشَّعْرِ فِي الْمَوْصِلِ مُنْطَلَقَاتُهَا وَتَجَاهَاتُهَا

د. عبد الرضا علي

مقدمة :

يبحثوا على كاتب هذا المبحث بمصادرهم ومراجعهم أو بما يملكونه من صحف ومجلات^(٥).

لقد صحبت العملية النقدية الشعر قبل غيره من الفنون، فارتبط بها وجودياً. وإن بدا قبلها ولادة..، فهي بداءة صاحبت الإبداع، وارتبطت به، قبل أن تفصل عنه نهاية. وتوضيحاً نقول: إذا كان صانع الشعر هو نفسه صانع النقد حين تولى بنفسه تقوم الإبداع راضياً، أم سائحاً من غير تعليل^(٦) في مرحلة طفولة النقد، فإن صانع النقد في مرحلة نضجه قد انفصل عن الشاعر حين علل رأيه، ودلل عليه بالشرح

النقد الأدبي جهد انساني، يرقى الى مصاف الإبداع إن كان يصدر عن نفس تتجلى فيها الموهبة والاكتساب دربة وممارسة. وقد حاول هذا المبحث تأصيل القول في الجهد النقدي الذي أسهم فيه أناس عابثوا اهم النقدي في مدينة الموصل، لاسيما في حركة نقد الشعر في الحقبة المعاصرة من خلال استقراء معظم مانشر من كتابات نقدية في الصحف والمجلات في مرحلة البداءات.

وهذه المحاولة لم تكن خلواً من المعاناة التي عايشته اهم النقدي حقيقة، واجتهدت في دراسته وتوصيفه، وعرض نتائجه. غير أن تلك المعاناة كان يذللها أصحاب المواقف العلمية الكريمة الذين لم

والتحليل. ولم يكن ذلك ممكناً من غير ان يرتقي
سلام الثقافة والخبرة، وما كان في دائرتها.
ولما كانت مهمة النقد تكن في خدمة أطراف
العملية النقدية برمتها المتمثلة بالقارئ، والمبدع،
والأثر الأدبائي، فإن نقد الشعر يعد أكثر التصاقاً
بهذه المهمة من غيره، لذلك فإن مبحثنا هذا
سيحاول أن يؤصل القول في حركة نقد الشعر في
الموصل على وجه عام، ويبين أثرها على أطراف
العملية النقدية، سواء أكانت منصبة على
المناقشات التي أفرزتها كتب خصصت لنقد الشعر
والشعراء من القدامى والمحدثين؛ وهو ما يدخل
ضمن باب نقد النقد أحياناً، أم كانت منصبة على
نقد النص الإبداعي (الشعر) وتقويمه معيارياً، أم
كانت تدور في التنظير النقدي الذي يعرض الفكر
النقدي للناقد، أو جهده المتميز، أو منهجه الذي
يصدره في الحقبة المعاصرة، وصولاً الى تثبيت
ملاحظاتها عبر مراحل تكوينها: ولادة ونضجاً، رأينا
أن يكون منهجنا على وفق التفرعات الآتية:

البدايات: حركة نقد الشعر في الصحافة الموصلية وغيرها

كانت بداية حركة نقد الشعر في الموصل في
العصر الحديث قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بنشوء
الصحف والمجلات التي صدرت في المدينة،
وأسهمت إسهاماً فاعلاً في تكوين ملامح عامة
لحركة نقدية في جميع مجالات الإبداع الفني،
والدراسات الإنسانية المختلفة. ولما كنا بصدد نقد
الشعر ليس غير، فإن هذا المبحث سيحاول
الوصول الى تلك الملامح من خلال استقراء
الأفكار النقدية لما نشر في تلك الصحف والمجلات
من مناقشات جادة، أو دراسات حصيفة، أو
عروض ناقدة لدواوين شعرية عديدة، سواء
أكانت لشعراء من العراق، أم من الأقطار العربية
الأخرى.

ان مهمة الوصول الى تلك الملامح ليست
سهلة إذا ما عرفنا كثرة المجلات والصحف التي
شاركت في تكوين الوعي النقدي، ثم بشرت
بتلك الاسماء التي رسمت تلك الملامح. ولعل احداً
لا يجادل في أن مدينة فيها مجلات مثل: «المجلة»
و«الجزيرة» وصحف عديدة مثل: «الجدول»
و«الوميض» و«فني العرب» و«الرافد» و«الراية»
و«العاصفة» و«المثال» و«المساء» و«صوت
الأمة» و«وحي القلم» و«الفنار» و«المثال» و
«صدى الروافد» و«الأساس» و«الواقع»
وغيرها لا تسهم فقط على نحو أكيد في بناء الانسان
ثقافياً، ومعرفياً، وحضارياً. بل انها ستجعل من
اشعاعها الثقافي مناراً لا للقرّيين اليها حسب، إنما
للبعيدين أيضاً، فكيف الحال إذن في جانب واحد
هو من صميم الأدب الوصني؟!

لقد وجد الباحث بعد الفحص ان تلك
البدايات النقدية تمثلت بالآتي:

(١) المناقشات:

ونعني بها المقالات النقدية التي خصصت
لنقاشه كتب، او دراسات تناولت شعر شاعر، او
تجربته، او سيرته الادبية بالنقد والتقييم. وهي
ما يمكن وصفها أحياناً بـ «نقد النقد». ولعل ما كتبه
(عبدالحق فاضل) بعنوان «طه حسين.. مع المتنبي»
خير ما يمثل هذا اللون^(٢).

فقد لاحظ (عبدالحق فاضل) في كتاب (طه
حسين) مع المتنبي على وفق ما يقول: «كثيراً من
الخلط الفني... وكثيراً من التلاعب بالحقائق،
والاستهتار بمبدولات الألفاظ، مما يدل على حذق
موهوب، ومقدرة فائقة»^(٣). كما وجد «غير قليل
من التحامل على المتنبي، ومحاولة هدمه في رفق
وبراعة وإنسجام»^(٤). فكان أن سجل ملاحظته
تلك التي كوّنت كتاباً في نقد كتاب طه حسين نقداً
منهجياً لا يخلو من قسوة، او شدة في الطرح.
أما أهم المآخذ التي رآها حرية بالنقد فتتلخص

بالآتي :

١- ان كتاب طه حسين لم يكن كتاباً علمياً بقدر ما كان كتاباً اصطنعه طلباً للراحة وإيثاراً للفراغ الذي يخلو فيه الى نفسه .

٢- إن المؤلف لم يرجع فيه الى المصادر الكثيرة التي يركن الى صحتها وسدادها «التي ألفها في المثني المتقدمون والمتأخرون، والمستشرقون، والشرقيون، ولا رجوع فيه الى شيء من كتب التاريخ، ولا احتاج حتى الى هذه الشروح التي كتبها القدماء والمحدثون يفسرون بها شعره، ويعملونه، وانما اكتفى بديوان المثني... وبأيسر طبعة من طبعاته»^(٥).

٣- لم يستعن كذلك بالمراجع التي يستعين بها من يتوخى الحقيقة^(٦).

٤- اطلب كثيراً، وتوسع في اماكن ما كان عليه أن يطيل فيها، فضلاً عما في كتابه من استطرادات، وما فيه من استدراقات، وجمل اعتراضية^(٧).

٥- إن المؤلف سعى للنيل من شعر المثني الذي كان يتكلف نظمهُ تكلفاً حين تدعوهُ المناسبات وضرورات الحياة، تاركاً شعره الذي يبرأ من العيوب البلاغية والبليانية، ويسمو الى الذروة من الفن والجمال، والعمق في التفكير والسداد جانباً^(٨).

٦- إنه حاول ما استطاع أن يأتي بكل طريق جديد من أخبار المثني وأشعاره، لالشيء إلا لكي يفند هذه الاخبار، ويضحك من اعجاب الناس بتلك الاشعار.

٧- إن طريقة المؤلف طريقة وعرة، خطيرة الوعورة، ملتوية شديدة الالتواء، لكثرة ما فيها من مغالطات^(٩).

٨- إن المؤلف لا يعمد للأفكار، ولا يقرها حيث ينبغي تقريرها من سياق الموضوع، ولكنه يوزعها في كل مقالة، ويشيعها في اثائه من أوله الى اخره^(١٠).

٩- إن طريقة المؤلف في ايراد الشك ليست للوصول الى اليقين، بقدر ما هي طريقة للالتواء «ليقرر ما يشاء، ويختار ما يشاء ووسيلته الى هذا التكرار الذي يحدقه، والسحر الذي ينفثه فيعيد عليك ما يروم في صيغ جذابة متنوعة، وانغام لذيذة مختلفة تلذ الاذن، وتطرب النفس، وتخدع البصر، وأعني البصيرة، فيطبع في ذهنك بالاحياء ما أراد من غير ان تريد أو تشعر، وبذلك يفرض عليك رأيه فرضاً وانت تحسبه إنما يعرضه عرضاً»^(١١).

١٠- وإذا أراد المؤلف أن ينقض رأياً عمداً أحياناً إلى أوهى الأدلة، وأضعفها عن الدفاع عنه، فيدونومه في حيلة ورقق... ثم يضربه ضربة كافرة يطير لها قلب الادلة الشجاعة^(١٢).

١١- إن المؤلف قد تمحل كثيراً في نسب المثني، وهذا يناقض الدراسة العلمية التي تتعد عن التحلل، لذلك يحاجج آراءه محاججة دقيقة في شكِّهِ في نسبه، وامه، وأبيه^(١٣).

١٢- إن طه حسين يعجب بأبيات للمثني يراها من أروع ما قال من الشعر، في حين ليست هي في رأي الناقد من أبيات المثني التي تقبل في اعجاب «لأحد له» ولا هي من «أروع» ما قال من الشعر، ثم يورد تلك الابيات التي يمدح فيها أبا العشائر لبيين بعد ذلك أن بعض الناس قد لا يقبلها في شيء من الاعجاب، سواء أكان ذلك كثيراً، أم قليلاً، وإن لم تكن من أسوأ شعره^(١٤).

وعلى وفق هذا يقف مناقشاً تحليل المؤلف لبعض شعر المثني، لاسيما ما يخص تغزبه :

تغزب لا مستعظماً غير نفسه
ولا قابلاً إلا لخالفه حكماً
ورثائه لجدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد
لكان أبائك الضخم كوني لي أمّا
وفخره :

واني لمن قوم كأن نفوسهم
بها أنف أن تسكن اللحم والعظم

جانب ، وتؤكد حضور المنطلقات الناقدة للكتاب من جانب ثان ، فعبد الحق فاضل لم يكتف بنقد النقد ، إنما كان يسهم في نقد النصوص الشعرية ، وتوصيف شاعر العصر الراهن موقفاً ، واسلوباً .



عبد الحق فاضل

في مقالته النقدية « شاعر عراقي » عني بموقف الشاعر (أحمد الصافي التجني) من المغريات التي أحاطت به ، فأثنى على إياه ، وبقائه نظيفاً لا يتقبل مئة أحد ، ولا يدين بمعروف مخلوق « وفضله مع هذا على العراق كثير بما أضافه الى ثروته الأدبية من شعره المبتكر المطبوع ، ومنته عليه كبيرة بما أضافه على سمعة العراق من سمعته في الشعر والكرامة والإباء » (١٦) .

أما عن أسلوب الشاعر ، فإن الدراسة وقفت عند النصوص الساخرة التي أثارها الشاعر في ديوانه مستقداً حالات اجتماعية عديدة ، فضلاً عن مواقف الشاعر الكثيرة التي تتسم بالمفارقات الشعرية ، مثل قوله :

أنتم نظرتُم ظاهري فضحكتمُ
ونظرتُم باطنكمُ فعدتُم ضحوكا

وقوله :

وأعجب للحيوان إن كان بائساً
أناني كأتني كنتُ أعرفهُ قبلا

فكم جاءني قطُّ ينوءُ ببؤسِهِ
فشاطرتهُ هما وشاطرنِي أَكْلا

وقوله :

وسائلٍ قال لي : هبني لتسعدني

وقوله :

لا بقومي شرفتُ بل شرفوا لي
وبنفسِي فخرتُ لا بمجدودي

وبهم فخرُ كل من نطقَ الضا

د وعودُ الجاني وغوثُ الطريد

فيخالفه فيما ذهب إليه من زعم في نسب المتنبي ومعرفة لأمه وأبيه ، مخالفةً فيها شدة وقسوة في المناقشة الى حد السخرية والاستهجان (١٧) .

تلك كانت أهم الملاحظات النقدية التي وجهها عبد الحق فاضل الى مؤلف طه حسين (مع المتنبي) وواضح أن تلك الملاحظات كانت تصدر عن رؤية نقدية تمتلك كل مسوغات الاعلان عنها منهجياً ، فلنلاحظ الاحاطة بمصادر الموضوع الواحد ، واستقراء جميع الدراسات التي تناولته شرط اساس في منهج البحث الأدبي اليوم . كما أن انتقاء الامثلة بما يناسب الموقف الذي يسعى اليه الباحث سلفاً ، ويترك ماعداها لكونها تتقاطع مع موقفه يبعد الباحث عن العلمية ، ويفرغ بحثه من الموضوعية ، وبذلك يصلح البحث مجرداً من الحيدة . وهو شرط آخر من شروط الناقد أو الباحث العلمي .

أما اتخاذ طرق الالتواء في العرض ، وإيراد أوهي الأدلة ، وترك ماسواها ، والاسراف في التحل في حاججة الآراء ، فلعلها أيضاً تنضوي تحت شرط الموضوعية في النقد .

إن مثل هذه الملاحظات النقدية التي يأخذها ناقد شاب على أحد عالقة الأدب العربي تعدّ ملاحظات نقدية كبيرة آنذاك ، تستحقّ الاشادة ، أو التنويه ، وإن تقاطعنا معها في بعض مواقفها رأياً ، لأن مفرداتها تدل على ملكة نقدية ناضجة ، وانجاو حصيف .

٢) نقد النص :

كثيراً ما يتصدى الدارسون لنصوص شعرية ، أو دواوين محققة ، أو حديثة بالمراجعة ، والتقويم ، أو بالعرض والتحية ، فيثيرون جملةً من الملاحظات النقدية التي تفيد أطراف العملية النقدية من

فلساً من المال يُنجيني وينجيكا
فقلتُ : لآمال عندي كي أجود به
فقلّ لربك يُعطيني لأعطيك
أنا المفارقة الكبرى فهي اتخاذه الأدب مهنة !
للعيش المر الذي لم يَحَقِّقْ لهُ شيعاً ، ولا دفئاً ، ولا
سكناً .. وهو بهذا يريد أن يشير الى أهمية موقف
الشاعر في الحياة :

يا صاحبي اثاراً لي واحرقا كتبي
أوحضلاً ديتي من مهنة الأدب
بنيتُ للشعر أبياتاً مشيدةً
وما بنيتُ بها بيتاً من القصص
ويستشهد الدارس بعدة أبيات تصوّر بؤس
الشاعر ، لكنها تقف في الوقت ذاته معلنة انتصاب
قامته :

أنا حسبي ثروة من أدب
قد كففتني من طلاب الذهب
فليعيش جببي فقيراً إنما
فسخر جببي ثروة للأدب

منتبهاً الى تحديد موقف الناقد من الشاعر اسلوبياً ،
وفكراً قائلاً : « فلا نجد في شعره جلجلة ، ولا
جمعجة ، ولا بهلوانيات في التعبير ولا عناية ولو
ضئيلة بالمحسنات اللفظية ، ولا نجد عنده قوالب
مسبوكة محفوظة كالتواييت ، ولا بهارج مزخرفة
كالزهور المصنوعة من الورق » (١٧) . ثم يحدد موقفه
ناقداً من الشعر قائلاً : « أنا من الذين لا يرون
للشعر - الحديث على الأخص - معنى مالم يكن
منظوياً على فكرة جديدة أو قديمة معروضة عرضاً
جديداً ، والآ فإني لا أحب الوجوه المتشابهة
تشابه .. فلا أميز بين واحدة وأخرى ، المتحججة
بالاصباغ والمسايق ، فلا أتبين من وراء ملامحها
نفوس أصحابها وخفايا اسرارها ونواياها » (١٨) .

ويشارك عبد الحق فاضل ، في تمجيد موقف
الشاعر الذي يأبى الانحناء للمغريات ، الباحث
(وصفي البني) في مقاله « حديث عن الصافي »
مفيداً أنه كثيراً ما كان قد صحب الشاعر في

سورية ، ولبنان ، ووقف على حقيقة موقفه شاعراً
وانساناً (١٩) .

على أنّ الدارس لا يعدم وجود صورة من صور
النقد اللغوي في المجلات آنذاك ، وإن صمّ ذلك
النقد بين جوانحه بعضاً من الملاحظ العروضية ،
وبناء التقفية ، والوقوف على المفردات الشعبية كما
في الملاحظ التي قدمها « محمود الملاح » على ديوانه
« ابن عُنين » الذي حقّقهُ ونشرهُ (خليل
مردم) (٢٠) .

إنّ مراجعة محمود الملاح تلك اتسمت
بالشمول ، والاتساع ، والقراءة الفاحصة ، إلا أنها
لم تصل الى نتائج نقدية بقدر ما أشارت الى الخلل
أو الخطأ اللغوي ، أو الضبط بالشكل ، فهي خلو
من المنطلقات الناقدة .

وعلى وفق هذا فإنّ معظم التحيات التي كانت
تكتب على أنها عروض نقدية هي من هذا اللون
الذي لا يثير ملاحظة يمكن عدّها في محصلتها
النائية منطلقات نقدية ، مثل عرض ذي النون
الشهاب لـ « ديوان التيممي » (٢١) الذي حقّقهُ
ونشره علي الخاقاني ومحمد رضا السيد سلمان
الحامسي ، فهو تحية أدبية يزجها أدب لناشرين
ليس غيرا . وليس معنى هذا أنّ الشهاب لم يكن
يكتب نقداً جاداً ، إنما أردنا أن نشير الى أنّ بعض
العروض كانت بمثابة تحميات للمؤلفين لا للأثر
الأدبي الابداعي .

أما النقلة الكبيرة في نقد النص الشعري التي
وقفنا عليها في الصحافة الموصلية وغيرها ، فهي
ما لهم بها (محمود فتحي المحروق) وزملاؤه من
الشعراء المجددين ، فقد كانوا يؤسسون لتجديدهم
الشعري (حدثهم) تنظيراً ، سواء أكان ذلك في
مقالاتهم التي ينشرونها في الصحافة الأدبية ، أم في
مقدماتهم للدواوين أو مجموعاتهم الشعرية ، أم في
نقدهم لتلك الدواوين والمجموعات نقداً فنياً لا يخلو
من منطلقات واضحة .

ففي نقد محمود المحروق لديوان شاذل طاقة
« المساء الأخير » (٢٢) الصادر سنة ١٩٥٠م عرض



شاذل طاعة

لكثير من الأفكار الجديدة التي يراها الناقد حرية بالتصدي للأفكار العقيمة التي لا تؤمن بالتطور، والحدائق. فنذ البداية يرفض تعريف القدامى للشعر بأنه «الكلام الموزون المقفى» لأنه يجد أن هذا التعريف يقود الى «ان الكلام ما دام يخضع لدائرة الأوزان والقوافي فهو شعر.. حتى لو كان لغوا» (٢٣). في هذه المقالة النقدية يدلل المحرق على وعي نقدي مبكر بدور الشعر في الحياة، وقدرته على تجاوز حالات التردى والعقم الى حالات إبداعية تقود الأدب الى مدارج الرقي والتقدم، وتجعله قادراً على التعبير عن هموم العصر؛ ومشكلاته. وفيما يأتي أهم الملاحظات النقدية التي يثيرها المحرق، وأبرز منطلقاته فيها:

١- إن الحدائق في الشعر ثورة صاخبة على الأساليب القديمة، والأخيلة العادية، والآفاق الضيقة. لذلك فإن إصرار بعضهم على تقديس الأسلوب القديم في استيحاء الأطلال، وبكاء الأجداث يجعلهم يعيشون في عقلية القرون الوسطى (٢٤).

٢- ليس كل من هبّ ودبّ يقال له شاعر.. فما يخرج من القلوب يدخل إليها، ويتغلغل في دماثها، وما يخرج من اللسان لا يتعدى الآذان. ٣- لا يمكن للشعر في أية حال من الأحوال أن يكون بوقاً للنهريج، والتلاعب بالعواطف.. ومتى لبي الشعر رغائب الناس وسار في ركبه هو الى الحضيض، وكان نظماً، بل لغواً لا يمت الى الشعر

بأي سبب.. وحينذاك يكون خلواً من العواطف التي تميش بقلب الشاعر الصادق التعبير.. بل تكون في بعد شاسع عن روحية الشعر الذي هو لغة انسانية صافية.

أما نقده التطبيقي لشعر شاذل طاعة فقد دّلّ فيه على أن أفكاره، التنظيرية في العملية الإبداعية كانت تصدر عن ملكة شاعرة، ومن شأن هذه الملكة أن تتفق مع عواطف نص وأخيلته وأفكاره، ثم تتقاطع مع غيره، على وفق المعيارية التي تؤمن بها تلك الملكة.

لهذا وجدناه قد تقاطع كثيراً مع نصوص الديوان في الملاحظ الآتية:

١- وجد في بعض الأبيات مفردات زائدة كان يجب حذفها، لأن الصورة الشعرية توحى بالحدوف.. ويلاحظ هنا اهتمام المحرق بالصورة اهتماماً واضحاً (٢٥).

٢- وجد أن الشاعر لم يوفق في بعض تجاربه الشعرية، إذ كانت مضطربة، مثل قصيدة «لقاء» و«ليل الصب»، أما الاضطراب في قول شاذل: نتحاشى اللقاء خوفاً اقتضاح.

وعلى الوجه ألف ألف دليل لأنّ المحرق وجد في «هذه الآلاف الزاخرة من الأدلة قد أضفت على البيت صورة سمجة نافهة» (٢٦).

أما «ليل الصب» التي يعارض بها قصيدة الحصري القيرواني:

بالبيل الصب متى غده

أقيام الساعة موعده؟ فقد رفضها الناقد، لكونها ليست تجربة حقيقية، إنما تقوم على التقليد، فقال: «إن زمن المعارضات قد مات كما مات أهله.. كما أنّ فكرة المعارضة أصبحت أمراً نافهاً غير ذي قيمة أدبية وفنية.. إن لم نقل هي تقليد وتشويه للصور الرثة التي فاضت بها مخيلة الشاعر القديم» (٢٧).

٣- إن بعض أبيات شاذل كانت بمثابة إعادة

صياغة لأبيات سابقة في قصائد أخرى «وهذا مما لا يستحب أبداً» (٢٨).

٤- إنَّ الشعر السياسي على وفق ما يرى المحروق «شعر مناسبات يموت مع موت الحوادث الطارئة التي نظم بمناسبةها»، بخلاف الشعر الوجداني الخالد مع الدهر، المنشق من أعماق النفس.

٥- لم يجد في الديوان صورة صادقة واضحة المعالم عن حياة الشاعر كما ذكر في المقدمة، فقد وجده مختلف الأغراض والمقاصد، متباين الاتجاهات، فن قديم الى حديث، ومن اسفاف الى سمو.. ويرجع ذلك الى السرعة التي كانت ترافق الشاعر بالحاح في اخراج ديوانه الأول (٢٩).

إنَّ نقد المحروق لشعر شاذل وإن كان نقداً لاذعاً في بعض جوانبه، إلا أنه كان يصدر عن نفس صادقة، فهو صديق حميم لشاذل، لكن وجهة نظره النقدية لم تتأثر بتلك الصداقة، فكانت موضوعية فيما تؤمن به، وإن تقاطع المثلقي معها. لأنَّ أول شرط في النقد الجاد هو قول الحقيقة، والابتعاد عن الضغينة، واللوم، والحباب والمداينة. وليس هذا غريباً على المحروق، فهو شاعر قبل أن يكون ناقداً، وهو من جيل الرواد الأوائل الذين بشروا بالشعر الحر، وإن نسبته النقد، فقد كان مع زميله شاذل يسهان في حركة الحداثة منذ نهاية الاربعينات (٣٠).

إنَّ منطلقات المحروق النقدية منطلقات جريئة، قال فيها ما يؤمن به على نحو من الصراحة والوضوح، من غير أن يخشى في نقده احداً، فكان أن سار على نهجه هذا في كل ما كتبه من نقد بعدئذ، وهو كثير، إلا أنه لا يخرج عن هذه المنطلقات التي تدعو الى الحداثة، والابتعاد عن التقديرية، واجترار الصور القديمة، وتقليد الاقدمين، لأن الشعر الجيد هو ما كان صورة صادقة لهموم العصر الذي يعيشه الشاعر، واشكالاته الراهنة، بعد أن يكون تعبيراً عن تجربة صادقة تحمل عواطف قائلها وأخيلته، وأفكاره، بأيقاع مناسب، ومن تلك المقالات: «أعاني

الريح» (٣١) و «اجنحة النور» (٣٢) و «رياح وشموع» (٣٣) و «زمار الحمي.. لا يطرب» (٣٤) و «لحظات قلقة» (٣٥) وغيرها.

أما زملاء المحروق، ومجايله فقد شاركوا في نقد النص الشعري الحديث على مستويات. فالشاعر منهم ينظر الى النص الذي يتصدى له على وفق أفكاره هو، وموقفه الذاتي من الموضوع المطروح، والناقد اللغوي يقف عند مفردات أو عبارات يراها تزري بالنص، في حين يغلّب بعض دارسي النصوص الشعرية انطباعاتهم النقدية الخاصة على عموم التجارب، وإن تقاطعت منطلقاتهم مع منطلقاتها في حقيقة الأمر.

فأحمد محمد المختار (وهو شاعر ملتزم) كان يريد من الشعراء أن يقتربوا من مجتمعهم، والآن يستغفروا في الحشرات، والآهات، لأن تلك الاتجاهات مرغوب عنها، لذلك دعا في نقده لديوان «قبتارة الريح» الشاعر الى الالتفات الى أهمية الشعر الاجتماعي الذي «يعكس صورة الحياة وواقع الانسانية المتردية.. تحت صخور العذاب والهلاك، والمتقلبة على الشقاء والعناء» كما دعا الى الابتعاد عن التشاؤم والحيرة (٣٦).

أما «جلال الخياط» فحين تصدى للديوان نفسه حاول أن يجعل من النصوص الشعرية دليلاً له في منطلقاته. ومثل هذا النقد يخدم جميع أطراف العملية النقدية، لأنه لا يرسل الكلام جزافاً، لكونه يستفري النصوص وصولاً الى الملاحظ النقدية، فكانت ملاحظة تشير الى أنَّ حياة الشاعر كانت مليئة بالألم، لذلك كانت صورة هذه الحياة في الشعر سوداء قائمة مرعبة، وخلص الى أنَّ الشاعر كان متأثراً بشعراء المهاجر، ودفع عنه التهمة القائلة «شعره ذاتي لا يعبر عن روح العصر» بقوله: «إنَّ الأدب الصحيح الصادق سيحيا ويخلد سواء أكان ذاتياً أم معبراً عن الحياة، ولكن على الآ يكون الأديب منطوقاً مغالياً في تطرفه» (٣٧) وخلص أحمد قاسم الفخري حين تصدى لـ «قبتارة الريح» ناقداً الى النتائج الآتية:

٢- رفض فكرة «الفن للفن» ورآها قد ماتت، لأنه يعيش في عصر يسعى الى التحرر والانطلاق والحرية، ولا يكون ذلك على وفق ما يرى إلا إذا قدمنا أرواحنا ومواهبنا فداءً في سبيله. ثم رأى في تراجم الشاعر نزار قباني والشاعر عبد الوهاب البياتي [٢١] عن شعرهما الذاتي نحو تصوير المجتمع مذهباً إليه من منحنى.

٣- إن الشاعر كان متأثراً بعمر أبي ريشة، لكن هذا التأثير كان الى حد الوقوع تحت طائلته صوراً وقوافي، كما أنه كان قد تأثر تأثراً واضحاً بالشاعر «فؤاد بلبل» في ديوانه «أغاريد الربيع» الى حد التشابه أحياناً.

٤- عاب على الشاعر تركه الوطن نحو الحب، والجمال (٣٩).

ولما كان هاشم الطعان قد خصّ «قيثارة الريح» بملاحظ نقدية لاثخلة من احتفاء ببعض صوره الشعرية، وفي فحص النص، ودراسته، وتبيين ماله، وما عليه (٤٠)، فقد رأى في نقد الحافظ تجنياً على الشعر، فكتب ردّاً على نقد الحافظ رجاء فيه الأقضي باعدام البلبل (كتابة عن الشاعر) لأن الحياة تصبح جافة دون أغاريد (٤١).

على أن التلوي يجد في مقالة الطعان النقدية الأولى ما ينم على موضوعية علمية واضحة. فهو بعد أن حيا الديوان، وأسهم في عرضه، وتبين مؤثرات الشاعر، وقف على بعض صوره مناقشاً، رافضاً ما لا ينم على براعة في البناء، فضلاً عن أنه رأى في قبول الشاعر للسناد في «روح ونوح» و«الموج والهوج». في قوله:

بل أننا روح

مفعم الأسرار

وأنا نوح

رجم أعصار

وقوله:

خافي المسمور

كهدير الموج (٤٢)



أحمد قاسم القصري

١- قدرة الشاعر الفنية في التصوير.
٢- تألى مخيلة الشاعر أن تكرر الصور، أو تعيدها.

٣- جدد الشاعر في الأساليب، وانطلق في الأوزان.

٤- عاب على صور الشاعر ما يكتنفها من ضبابية ورمزية.

٥- خلص الى أن حرمان الشاعر من السعادة هو الذي قاده الى اليأس.

وكل تلك الملاحظ النقدية كانت حصيلة نقده التطبيقي، واختصاص شعر الشاعر الى التحليل والتفسير. غير أن ما يستحق الإشارة في تلك الملاحظ ما ذكره في قضية الصورة الفنية، الى جانب اشارته الواضحة الى التجديد في الشكل، والايقاع، لكون الشاعر كان قد نظم قصيدتين من الشعر الحر، وإن لم يصرح بذلك، فضلاً عن أن الناقد كان يرى ذلك (انطلاقاً)، أي هو أقرب الى مصطلح الشعر المنطلق منه الى الحر في قوله «وستجد فيه تجدداً في الأساليب وانطلاقاً في الأوزان، واختياراً دقيقاً للألفاظ الموسيقية الملائمة» (٣٨). لأن المصطلح لم يكن آنذاك قد استقر.

أمّا سامي طه الحافظ في مقاله النقدية «مع المحروق في قيثارة» فقد اختلف مع الجميع، منطلقات ونتائج، يمكن أن تلخص فيما يأتي:

١- حكم على الشاعر بالذاتية المجردة، أو بالأنانية.

هل وعى المقدور

صرخ _____ اني الموح؟
مايعيبه في التقية . كما رأى في ايراد (عرضاً وطولاً)
قافّة مبتدلة في قوله :

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي يَتَغَنَّى

تَهَتْ فِي الْكَائِنَاتِ عَرْضاً وَطَولاً (١٣)
مُخْتِماً مَقَالَتَهُ النَّدِيَّةَ بِالطَّلَبِ إِلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَتَدَبَّرَ
قَصِيدَةَ (مُلهَمِي) (١٤) لِأَنَّ الْمُطْلَعِ :

حبيبتي لانحجمي

عن اللقاء.. وأقدمي
لاينم على أية براعة... وإبراد (المعدم) في قوله:
فقبل لي: حورية

تأسرُ قلبَ المعدِمِ
قلعةً في البيت، أما (النيسم) في قوله:
وبسمة الأكرام في

روضي زكي
النيسم
فهى من مهجور اللغة (١٤)

وهي ملاحظ نقدية جوهرية في بناء القصيدة
معنى ومبنى.

إِنَّ نقد النص لم يكن ليخرج عما ذكرناه من ملاحظ، ولم يكن نقداً من غير تجلية فكر، أو وجهات نظر، وإن بدا فيه أحياناً ماينمى على ترم، وقسوة، لأنه نقد كان يتصف بالموضومية والامانة، ومحاولة خدمة الابداع وصولاً الى تحقيق صورة مثلى لما ينشده الشاعر الحديث من تجديد، وتجاوز، وعلى وفق هذا كانت دراسات «أكرم فاضل»^(٤٧) و«بشير حسن القطان»^(٤٨) «سامي أمين»^(٤٩)، وغيرهم.

(٣) التنظير النقدي :

وهو محاولة إيجاد مسوغ نظري للأفكار النقدية ،
وجعل تلك المسوغات أحكاماً منهجية يلتزم بها
صانعو الابداع من جانب ، ويتخذها النقد معياراً
له من جانب ثان .

ومثل هذه الأفكار لن يتأتى لها الذبوع والانتشار قبولاً أو رفضاً إن لم تكن وراءها خبرة انشائية في

مجال الابداع ، وممارسة ميدانية في حقول النقد
التطبيقي ، ودراسة واسعة بالمعايير ، والأحكام قديماً ،
وحدثاً .

وقد وجدنا دراستين فقط تتصفان بكونهما
تفسيريتين في نقد الشعر مما نشر في الصحف
والجلات في مرحلة البدايات ، وهما : دراسة شاذل
طاقة الموسومة بـ «في جنة عبقر»^(٩٩) ، ودراسة
محمود المحروق الموسومة بـ «في سماء الشعر»^(١٠٠) .

في أفكار شاذل طاقة منطلقات نقدية ترقى الى الأصالة في التنظير في بداية الخمسينات ، لكونه يطرح امام المتلقي مجموعة من الآراء التي تجذب صداها عند المتلقي يسر وهو يستقبل عرضها الجميل من لدن شاعر موهوب يحمل سمات الناقد العارف ، ومن هذه الآراء ، أن الشاعر عنده هو الرائد الذي يكشف للنفس الإنسانية آفاقاً روحية فسيحة تحوم فيها تلك النفس ، وتنسى واقعها وأشجانها .. لذلك لاينكر عليها حاجتها الى غذائها الروحي ، فيشير الى أن هذا الغذاء لن يكون بغير الفن أبداً ، ، مع أنه يؤكد ، أن الشعراء هم رواد هذا العالم الروحي ، وأن لكل واحد منهم عالماً خاصاً به تعارف النقاد أن يشبهوه بنم كبير هو نبع الحياة^(٥١) .

ويقف شاذل منها الى أهمية التجربة في حياة الشاعر، لأنها تنقله الى عالم روحي سام فسيح الجنات ، ومثل للتجربة الناجحة بقصيدة طاغور (في السوق) التي تسجل خواطر بستاني وهو يعود الى زوجته في المساء. ويرى ان سبب نجاح هذه القصيدة وغيرها، كونها تعبر عن تجربة شعورية موحدة، لأن العربي وغيره يشتركان مع الشاعر في هذه التجربة.

وعلى وفق هذه الأفكار يعلن أن الطبيعة والحياة شيء واحد. وإذا كان الفن تصويراً للطبيعة فهو تصوير للحياة بعبارة أعم.. لذلك يرفض الفكرة القائلة أن الفن إنما هو تقليد للطبيعة، لأن التقليد يرحى بالفناء أكثر مما يوحى بالحياة، ويرد على

القائلين إن الفن إنما هو تقليد للطبيعة قائلاً: «ولو قالوا إن الفن تصوير للطبيعة أو بالأحرى خلق للطبيعة في نفس مبدعة شاعرة، لكانوا قد أدركوا الحق، وبلغوا الصواب»^(٥٢).

ثم يعالج قضية الصراع بين القديم والجديد، فيرى أن الموسيقى في أي عصر من العصور تكون متسقة مع طبيعة الحياة في ذلك العصر، لذا فإن موسيقى الشعر العربي المعاصر يجب أن تكون متسقة مع الدوق العربي المعاصر، ومنبثقة من صميم حياتنا الزاهنة.. ويعلن أنه لا يدعو في هذا إلى هدم العروض العربي القديم، ولكنه يشير إلى إمكانية الاستفادة من هذه الأعراف القديمة وتحويرها إلى ما ينسجم مع هذه الحياة المعاصرة، ويذكر بما فعله الاندلسيون حين انسجموا مع الحياة الاندلسية الجديدة الجميلة، مذكراً في الوقت نفسه بأن المهجريين أفلحوا في هذا المضمار أيضاً حين ساروا على نهج الاندلسيين مسوغاً نجاح المهجريين بالقول: «لأن تجديد الاندلسيين كان منحصرًا في قوافي الشعر على الأكثر، وفي أوزانه على الأقل، ولكنهم لم يحاولوا التجديد في جوهر الشعر: في معانيه، وأخيلته وأساليبه، بينما فطن المهجريون إلى كل هذا، فهجروا المسالك العروضي القديمة، وحوَّروها، وبدلوا فيها، وجددوا في أساليب الشعر وأخيلته ومعانيه»^(٥٣).

ثم يدعو إلى التلاقح الثقافي، فيقرر وجوب اتصال الأديب العربي المعاصر بالآداب الأجنبية الأخرى، مدللًا على أنَّ العرب قديماً عرفوا ذلك، وافادوا منه، وفي شعر أبي العلاء والتبتي ما يفصح عن أثر تلك الثقافات قديماً «وتستطيع أن تجد الفروق واضحة بين كل من شوقي والرفاعي مثلاً من حيث تأثير الثقافة الأجنبية في كل منها».

على أنه يجد أن تجديد شعرنا الشباب كان من نتائج تأثرهم بآثار الغربيين من جهة، وآثار المهجريين من جهة ثانية.. وهو بهذا إنما يشير إلى

حركة الشعر الحر، لكن المصطلح آنذاك لم يكن قد استقر بعد. لذلك يسميه بـ «المنطلق» واصفاً إياه بأنه لم يكن ضرباً مبتكراً ولا مبتدعاً، ولكنه تجديد مبني على الأصول العربية القديمة في العروض، فيه يتحرر الشاعر من قيود القافية الموحدة، ولا يكتفي بذلك، بل يتحرر من قيود الوزن بعدد التفعيلات العروضية الموجودة في كل بيت.

إنَّ تلك الآراء في الشعر «المنطلق» هي عينها التي بشرت بها نازك الملائكة آنذاك، وهذا ما يؤكد زيادة شاذل إلى جانب الرواد الآخرين تنظيراً وتطبيقاً.

وشاذل لا يكتفي بالتنظير لمنطلقاته النقدية، إنما يشفعها بالتطبيق، فيقف محلاً قصيدة السياب «في السوق القديم» تحليلاً نقدياً رصيناً يصل فيه إلى أن هذا الضرب من الشعر يستطيع أن يخلق بالقارئ إلى عالم روحي سام، وبشرته في تجربته الشعورية الحاملة، ثم يذكر أن هذا الضرب من الشعر مزج بين الوعي واللاوعي في التعبير عن التجربة الشعورية، وهذه الإشارة «بين الوعي واللاوعي» لم ترد عند أي ناقد، أو دارس قبله، مما يؤكد على رصانة آرائه، وأصالتها.

وحين يدعو إلى الاهتمام بالصورة الشعرية فإنَّ دعوته تلك تعدُّ بكرةً أيضاً في المعيار النقدي، كما أنه حين يقرر أنَّ عهد القافية الواحدة قد مضى، أو أنه أوشك أن يمضي، وإنَّ هذا النسق المعبر ملائم لطبيعة الحياة المعاصرة، يشارك نازك الملائكة في منطلقها النقدي المتمثل في الخروج على وحدة القافية (الآلهة المغرورة) في شظايا ورماد، وهو منطلقها النقدي الذي تراجعت عنه بعد حين من الزمن..

إنَّ منطلقات شاذل النقدية ناقشت قضايا عديدة في عملية الخلق الشعري، والموقف من ذلك الخلق، لذلك عاجلت تلك المنطلقات: الشعر والنثر، والشعر والمجتمع، والشعر والسياسة، ثم موقف الفن من المجتمع، وقضية الخلاف بين من يقول بـ «الفن للفن» والذي يقول بـ «الفن

للحياة ، وتصوير للمشاعر والأحاسيس^(٥٥) ، وهو بهذا يكون قد سبق بعض نقادنا اليوم الذين بدأوا يروجون لقصيدة النثر التي بَسُرَتْ بها قلوبهم الناقدة (سوزان بيرنار)^(٥٦) ودرست تطوُّرها الفني.

أما دراسة محمود المحروق : « في سماء الشعر » فقد نظَّرت لثلاثة منطلقات في نقد الشعر : كان الأول خاصاً بالماهية ، في حين كان الثاني خاصاً بالاجتماعية ، كما كان الثالث لصيقاً بالفنية .

في المطلق الأول يقف على عنصرين أساسيين للشعر، هما : الموسيقى الشعرية أولاً ، والدقة النفسية ثانياً ، لأنه يرى أنَّ الموسيقى هي من أهم مقومات الشعر اطلاقاً ، لذلك لا يتردد حين يجعلها « هي الشعر نفسه »^(٥٧) .

أما (الدقة النفسية) فهي الطاقة المتغلغلة في أرجاء الألفاظ ، ولتوضيح مايعنيه بتلك الطاقة يقول : « في عملية الانفعال الشعري تنتقل الأفكار والأحاسيس الى الورق خاضعةً للألفاظ ، مشحونة بالخلجة النفسية المنبثقة من أعماق الشاعر .. وتبقى هذه الخلجة النفسية مخزونة في الألفاظ الشعرية حتى تجد لها محكاً من نفس أخرى .. وحينئذ فلا بد من انفعال .. ولابد من انجذاب .. ولابد من انتقال ، فتندفق الخلجة النفسية منتقلة من الألفاظ الى النفس المتفعلة منساقه بتيار الخطوط (المغناسموسيقية) المنبعثة من المجال الموسيقي اللفظي »^(٥٨) .

والمحروق في هذا المطلق يؤكد على ماذهب اليه محمد مندور في فكرته عن « الشعر المهموس » الذي يمسُّ أعماق النفوس بايقاعه ، وإيمانه ، .. فضلاً عن آراء (برجسون) التي ترى أن أساس الكون موسيقى خفية الهبة ، وما على الشاعر إلا أن يقيس من هذه الموسيقى فيعمر بها النفوس ، إلى جانب ماذهب إليه (كارليل) من أنَّ الشعر الحقيقي هو الموسيقى الازلية التي يسمعها الشاعر من وراء الوجود^(٥٩) !

أما منطلقه الثاني « اجتماعية الشعر » فيدعو الى رفض الفكرة القائلة بربط الشعر بالمجتمع ، لأنه

للمجتمع « منتهياً الى القول : « إنَّ الفن الرائع هو التصوير الصادق للحياة والتعبير عن آثار احداثها ومشاهدها في النفس الانسانية بطريقة فنية تضمن المشاركة الوجدانية بين الكاتب أو الشاعر ، وبين السامع أو القارئ .. وإذا كان الامر كذلك فإنَّ الفن الرائع هو الحياة ، ولا نستطيع أن نقول حينذاك إن هذا الفن لا يثير المتعة الفنية الخالصة ، ولا يعمل على ترقية الذوق وتقوم الطباع المعوجة .. وإنَّ صاحب هذا الفن نبي بين قومه ، وهو لا يؤدي لهم خدمة اجتماعية محسوسة مباشرة ، ولكنه يرني أدواقهم ، ويشير متعتهم الفنية الخالصة . ويصرهم بالحياة . ويكني الفنان هذا لأن يكون نبياً ذا رسالة روحية بين الناس » .

وهو بهذا يقف مع دعاة الفن للفن في تلك المرحلة ، معلناً صراحة أنَّ كثيراً من الشعر السياسي قد مات ، وأنَّ أصحابه الشعراء قد طمرهم النسيان « وإذا أردت الانصاح فاني اعتقد أن كثيراً من شعر الزهاوي والرصافي وشوقي وحافظ والجواهري سيدرجه التاريخ الأدبي في أطار النسيان ، وسوف لا يعرف الناس عن هؤلاء الشعراء إلا أنهم شعراء عاديون لم يكونوا امراء شعر ولا سلاطينه »^(٥٤) .

انه بهذا أجراً ناقد في بداية الخمسينيات يعلن مثل تلك المنطلقات ويبدو أنَّ معظم آرائه الخاصة جداً قد أخذت طريقها اليوم الى الشبوع ، حتى وجدنا من يقول : إنَّ حادثة الرِّوَاد أضحت قديمة . إن شاذلاً لم ينسَ شواعر العراق المجيدات وهو يقرر معيارية القصيدة الجديدة ، لذلك استشهد بقصيدة نازك الملائكة (ثورة على الشمس) وقصيدة لمبة عباس عمارة (شهرزاد) واجداً فيها نتاجاً رائعاً يستحق الذكر والاستشهاد .

على أن إيمان شاذل بالحدادة جعله يشيد بقصيدة نثر كتبها (سراب) وهو اسم رثا يكون غير صريح ، فاثبتها وأشار الى أنه يميل الى وصفها بالشعر على رأي الغربيين الذين يطلقون لفظ (القصيدة أو الشعر) على كل قطعة فنية فيها خلق

يرى في تلك الدعوة كذباً، ورياءً تحجب وراءها ليالي حمراء، واكسُماً دهاقاً، وغواني حسناً، ثم يشدد على الرفض قائلاً: «من منهم آوى شريداً في بيته، ليلة واحدة فقط؟ من منهم لا يهرب الى كل سرداب أو مغارة لو دعا الداعي الى سوح الوغى؟ ثم يختلف عنهم الشاعر ليحمل كل هذه الأعباء الثقالة؟ أي إنسانيته؟ أي تركيبة؟ كلا.. فليست هناك مثل هذه الفوارق».

وهو يرى أن نظم القصائد الاجتماعية يحيل الشاعر الى مصلح أجتاعي، أو واعظ ديني، وليس ذلك هدف الشعر، فيقول: «أماننا الرصافي، وغيره كثيرون من دعاة الشعر الاجتماعي، والسياسي. لقد نظم الرصافي وتلامذته عشرات القصائد في الارامل، واليتامى، والفقراء، والعميان والمقعدين والمساجين، وسوء الحالة الاجتماعية والوطنية، والاقتصادية، فكانوا بذلك وعاظاً وأخلاقين، ومشرعين، وساسة أكثر منهم شعراء؟ ثم ماذا كانت النتيجة؟»^(١٠). وهو في هذا المطلق يذهب الى ماذهب اليه قبله شاذل طاقة من أن غاية الشعر ليست اصلاحية، وبالتالي فإن الفكرة القائلة بأن الفن للمجتمع لا تحظى بتأييده مطلقاً.

أما منطلقه الثالث «فنية الشعر» فيؤكد فيه على أهمية الخيال في النص، واثراً التجربة الشعرية في الإبداع، وغاية الفن في محصلته النهائية. فيرى أن التجربة الشعرية «واحدة في كل الحالات، إلا أن كل فنان يفعل بها من زاوية معينة، فيعبر عنها بطريقته الخاصة شريطة أن يكون هذا التعبير موحياً مثيراً للانفعال في نفوس الآخرين، ليعيشوا تجربة الفنان فيتمثلوها... فقيمة الاثر الفني ليست بمدى تحقيقه للنظريات العلمية والفلسفية، أو القضايا الاجتماعية والاخلاقية، أو الاغراض الوطنية والسياسية.. كلا.. انما الغاية الاساسية الأولى والأخيرة من كل أثر فني، أن يصور لنا تجربة شعرية حية تصوراً موحياً مثيراً للانفعال، فيقلنا من عالم جامد ملؤه الجفاف والألم، الى عالم ندي

ريق ملؤه الإخيلة والمشاعر والاحلام». ثم ينتقل الى غاية الفن فيراها غاية خاصة ذاتية، لذلك يرفض ادخال المنطق في الفن، منتبهاً الى نتيجة موضوعية جريئة منطقياً، ومعياريّاً هي «أن الفن والمنطق على طرفي نقيض، فكثير من الآثار الفنية إذا ما حوكت محاكمة عقلية رياضية فقدت كل قيمة فنية، وسقطت من كل حساب، ثم أن رسالة الفن ليست وعظية، ولا أخلاقية، ولا يقف الفنان مع النبي على صعيد واحد في نظريتها الى الكون والحياة الانسانية والمسائل الكبرى.. ولكنها يفترقان في طريق أداء رسالتهما»^(١١) مختتماً مطلقاته بالكلام على الفن من أنه اعلاء للنفوس، وخلق للحياة، وتصوير للمثل العليا، وتحقيق للربغيات المكبوتة، وتلهف نحو الحقائق وارتواء من معين الجمال، ودفع للانسان نحو الخلود، (وتكامل) في نقص الحياة.

وهو بهذا يضع معياراً في نقد الشعر، وهذا المعيار هو فن الشاعر ليس غيراً. إن هذه المنطلقات التي وقفنا عندها في البدايات هي التي قادت الى تكوين الاحكام النقدية الرصينة في مرحلة نضج النقد، وكونت اتجاهاته، فبذبت منها نظرات فكرية، ونظرات نقدية، وتكاملت بها شخصيات ناقدة بعد ذلك.

الهوامش

- ١. يقدم الباحث شكره وتقديره للاستاذة الذين لم يخلوا عليه بما يملكونه من مصادر ومراجع، ويخص بالذكر الدكتور إبراهيم خليل احمد رئيس قسم التاريخ بكلية التربية - جامعة الموصل والاستاذ الشاعر الرائد محمود الحرق.
- (١) ينظر: في النقد الادبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، د. عبد الرضا علي ود. فائق مصطفي احمد (ص ٩٣) منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٩م.
- (٢) نشرت مناقشاته متسلسلة في مجلة «المجلة الموصلية»، تنظر الاعداد: (١-٥) المؤرخة في (١/١، ١٠/١٦، ١/١١، ١١/١٦، ١٢/١١٣٨م).
- (٣) مجلة الجلّة ع ١: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩.
- (٤) نفسه.
- (٥) نفسه.

- (٦) نفسه.
- (٧) نفسه.
- (٨) نفسه، ع ٢: ٨٠، ٨٢.
- (٩) نفسه.
- (١٠) نفسه، ع ٣: ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦.
- (١١) نفسه.
- (١٢) نفسه.
- (١٣) نفسه ع ٤: ١٧٦-١٧٩.
- (١٤) نفسه ع ٥، ٢٠٨، ٢١٢-٢١٤.
- (١٥) نفسه.
- (١٦) مجلة «المجلة» ع ١٣: ٥٩٣، ٥٩٨، ٥٩٩، في (٢١) نيسان، ١٩٣٩م.
- (١٧) نفسه.
- (١٨) نفسه.
- (١٩) مجلة «المجلة» ع ١٥ في ١٦ حزيران ١٩٤٠.
- (٢٠) مجلة «الجزيرة» ع ٢٦-٢٧، حزيران- تموز ١٩٤٨م، (٣٥-٣٨)، كذلك العدد ٢٨ في آب ١٩٤٨م.
- (٢١) مجلة «الجزيرة» الموصلة، ع ٢٦-٢٧، حزيران- تموز ١٩٤٨ (٤٥).
- (٢٢) المساء الأخير، جريدة الجداول، الأعداد: ٦٢، ٦٣، و ٦٤، ٦٥، ٦٦ الصادرة في ٧، ١٤، ٢١، ٢٨/١١/١٩٥٠)، والعدد الصادر في ٥ كانون الأول ١٩٥٠م.
- (٢٣) نفسه ع ٦٢: في ٧ تشرين الثاني ١٩٥٠م.
- (٢٤) نفسه.
- (٢٥) نفسه ع ٦٤: ٢.
- (٢٦) ع ٦٥: ١، ٤.
- (٢٧) نفسه.
- (٢٨) نفسه.
- (٢٩) نفسه ع ٦٦: ٣.
- (٣٠) بنظر للباحث: «ظلام القيثارة» نص لرائد منسي آخر، دراسة نقدية وقائع بحوث ندوة (نقد النص الأدبي) ٢٢-٢٥ كانون الأول ١٩٩١م التي أقيمتها قسم اللغة العربية في آداب المستنصرية، كذلك: شاذل طاقة الشاعر المنسي: جريدة الحداثة ٢٧ تشرين الأول ١٩٨٧م.
- (٣١) أغاني الربيع، للشاعر بشير حسن القطّان، جريدة «فتى العرب» الموصلة، في ١٦ حزيران ١٩٥٢م.
- (٣٢) أجنحة النور، شعرومسي القندي، نقد محمود الحرق، جريدة «الرائد» الموصلة، العدد الصادر في ١ تموز ١٩٥٢م.
- (٣٣) رياح وشعور للشاعر كمال شنت، نقد محمود الحرق، مجلة «الثقافة» القاهرة، ع ٧٠٦، في ١٧ تموز ١٩٥٢م.
- (٣٤) زامر الحفي... لايطرب، جريدة «الرائد» الموصلة، ع ٥٣، في ٣٠ نيسان ١٩٥٣م.
- (٣٥) لحظات قلقة، شعر هاشم الطعان، جريدة «الرائد» الموصلة، ع ١٥ في ٢١ أيار ١٩٥٧م.
- (٣٦) قيثارة الربيع، جريدة «فتى العرب» ع ١١٤، في ٣ آذار ١٩٥٤م.
- (٣٧) لمحات عابرة، قيثارة الربيع، ديوان الشاعر عمود فتحي
- الحرق، جريدة «أخبار المساء» بغداد، ع ١٩٧ في ٩ آذار/ ١٩٥٤م.
- (٣٨) قيثارة الربيع، ديوان شعر محمود الحرق، جريدة «البيان» الجديدة، بغداد، ع ٣ في ٢٠ آذار ١٩٥٤م.
- (٣٩) مع الحرق في قيثارته، جريدة «وحى القلم» ع ٣ في ٢٥ آذار ١٩٥٤م.
- (٤٠) قيثارة الربيع محمود الحرق، جريدة «الفنار» الموصلة ع ٧ في ٢٦ آذار/ ١٩٥٤م.
- (٤١) رد على نقد، التجني على قيثارة الحرق، جريدة «وحى القلم» ع ٤ في ١ نيسان/ ١٩٥٤م.
- (٤٢) قصيدة (أغلال) ديوان الحرق، قيثارة الربيع» ٩٤-٩٦، ط ١، مط الاتحاد الجديدة بالموصل، ١٩٥٤م، وإليه سنحيل بكلمة (الديوان).
- (٤٣) قصيدة (في لجة الصمت) الديوان، ٤٨.
- (٤٤) الديوان، ١١٨، ١١٩.
- (٤٥) قيثارة الربيع محمود الحرق، هاشم الطعان، جريدة «الفنار» ع ٧، في ٢٦ آذار ١٩٥٤م.
- (٤٦) الشاعر محمود فتحي الحرق، جريدة (صدى الروافد) الموصلة، ع ١٣٦، نيسان ١٩٥٤م.
- (٤٧) قيثارة الربيع، جريدة «المساء» ع ٨٦ في ١٥ نيسان ١٩٥٤م.
- (٤٨) قيثارة الربيع، ديوان للشاعر عمود فتحي الحرق، مجلة «الآداب» البيروتية ع ٨، آب ١٩٥٤م.
- (٤٩) نشرت في مجلة «الثقافة» المصرية، الأعداد: ١٦ يونيو (حزيران) و ٢٣ يونيو، و ٣٠ يونيو، سنة ١٩٥٢م. واليها سنشير في الهوامش التالية متخذين رقم العدد والصفحة في الإحالة.
- (٥٠) نشرت في جريدة «العاصفة» الموصلة في الأعداد: ٢، ٦، ١١، ٨ حزيران، و ١٣ تموز، و ٣١ آب ١٩٥٣م، في ثلاثة محاور هي: «ماهية الشعر» و«اجتماعية الشعر» و«فنية الشعر» واليها سنشير في الهوامش التالية متخذين رقم العدد تمبيراً عند الإحالة.
- (٥١) في جنة عبقر، ع ٧٣: ٩.
- (٥٢) نفسه ٧٣: ١٠.
- (٥٣) نفسه ٧٤: ١١.
- (٥٤) ينظر د. عبد الرضا علي، نازك الملائكة دراسة ومختارات، بحث القافية ٤٥، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م.
- (٥٥) في جنة عبقر ٧٤: ١٠-١١.
- (٥٦) نفسه: ١٢.
- (٥٧) قصيدة النثر من يودليلر إلى أيامنا، ترجمة: زهير مجيد مفاسس، مجلة (الأدب المعاصر) البغدادية، ع ٤١، كانون الثاني ١٩٩٠م.
- (٥٨) ماهية الشعر، ع ٢ في ٨ حزيران ١٩٥٣م.
- (٥٩) نفسه، ٤.
- (٦٠) ينظر: استنهادات الحرق، نفسه ٢: ٤.
- (٦١) نفسه ع ٢: ٢، ١٣ تموز ١٩٥٣م.
- (٦٢) نفسه ع ١١: ٤ في ٣١ آب ١٩٥٣م.

التَهْضَةُ الْفَنِيَّةُ الْمُعَاَصِرَةُ لِلخَطِّ الْعَرَبِيِّ فِي الْمَوْصَلِ

إدهام محمد حنشل

مقدمة :

هذا القرن. فقد برز مَنْ اهتم بالخط وعمل فيه جهده العلمي والفني من امثال عبدالله الصائغ (ت: ١٨٩١م / ١٣٠٩هـ) وابنه محمد طاهر (ت: ١٩١٨م / ١٣٣٧هـ) وحفيده أحمد، وحسن حسين الرضائي (ت: ١٩٠٧م / ١٣٢٥هـ) ومحمد علي الفخري (ت: ١٩١٣م / ١٣٣٢هـ) وصالح افندي (ت: ١٩١٣م / ١٣٣٢هـ) ومحمود حموشي (ت: ١٩١٦م / ١٣٣٥هـ) ومحمد الأسمر (ت: ١٩١٩م / ١٣٣٨هـ) وقد عاصرهم توما قدلا وبهام لويس^(١).

وفيا بعد عشرينات هذا القرن، إزداد الاهتمام بالخط في ظل الدولة العراقية الجديدة بسبب سياسة الملك فيصل العربية وانتشار المتديبات والجمعيات الثقافية العربية.

وصارت العناية بالخط واضحة في المدارس ومؤسسات التعليم الرسمية والشعبية. وامتد هذا الاهتمام بالخط فناً عربياً وأصيلاً يمثّل هوية الأمة وشخصيتها القومية الى الصحف والمجلات الصادرة في الموصل خلال تلك الحقبة التي نرى فيها الخطاط محيي الدين (ت ١٩٣٢م / ١٣٥١هـ) ومحمد حمدان السويدي (ت: ١٩٣٤م / ١٣٥٣هـ) ومحمد سعيد القاضي (ت: ١٩٣٩م / ١٣٥٨هـ) وسعيد امين ابراهيم آغا (ت: ١٩٥٣م / ١٣٧٣هـ) وفائق الدبسوني (ت: ١٩٦١م / ١٣٨١هـ)^(٢).

وظهر في هذه الحقبة ايضاً مهتمون آخرون بالخط، عرفوا به على المستوى الشعبي والتجاري، ومنهم: ملا محمد البيغمبرلي وخيرالدين بن امين

مثلاً أثرت الاحداث السياسية والعسكرية والطبيعية وتطوراتها المتلاحقة داخل الدولة العثمانية وخارجها (وبالذات انقلاب ١٩٠٨م وعزل السلطان عبدالحميد ١٩٠٩م وقيام الحرب العالمية الاولى ١٩١٤م وغيرها، فضلاً عن سنوات القحط التي مرت بالموصل بين عامي ١٩١٥ - ١٩١٨م) في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للموصل، أثرت هذه الأحداث كذلك في الحياة الثقافية والعلمية تأثيراً سلبياً بحيث أصابت الخط أيضاً بالتراجع والنكوص خصوصاً في بدايات القرن العشرين.

واللافت للنظر ان اخبار الخط في الموصل في بضعة العقود الأولى من هذا القرن كانت يئمة ومفردة ومتفرقة، وهي بذلك مجرد اخبار لاتعكس الاهتمام بهذا الفن إلا على النطاق الفردي والذاتي لبعض المعنيين الذين كان لهم اهتمام به على انحاء وغايات شتى منها الهواية والفن والثقافة والوسيلة التجارية للرزق. وبذلك فالأمر هنا لايرى الى ان يكون تيار اهتمام ثقافياً او علمياً واضحاً.

ويمكن القول ان جيل هذا القرن من الخطاطين المواصل كان وريثاً للجيل الذي سبقه في تقليد الصورة الواحدة المتشابهة للاداء والاسلوب الفقيرين في قواعد فن الخط وضبطها، إذ كان اغلب المشتغلين بالخط والكتابة من افراد هذا الجيل نساخين جيدين أكثر من كونهم خطاطين مجيدين ضالعين في فن الخط، ولكن لايمكن ان نعدم وجود خطاطين ذوي دراية ودربة وممارسة، في العقدين الاولين - في الأقل - من

اشتغل في الخط قرابة ثلث قرن ، واشتغل معه أولاده فبرز منهم الخطاطون عبدالمهدي وزهير وحليم وعبدالقُدوس. وكان قد اتخذ من الخط مهنة له منذ وقت مبكر من عمره في الموصل ، ولكن عندما بارت هذه المهنة في أواخر العشرينات انتقل بها الى بغداد سنة ١٩٣٠م / ١٣٤٩هـ ، وقد عدّه بعض الباحثين المطّور الاول لفن الاعلان والدعاية في العراق.

النهضة الفنية المعاصرة :

توجد الآن في الموصل نهضة فنية للخط العربي قلّ نظيرها في أية بقعة من الوطن العربي والعالم الاسلامي. وتمثل هذه النهضة في اكتظاظ المدينة بعدد كبير جداً من الخطاطين ، وفي الآثار الخطية الكثيرة العدد والمتنوعة المواد والاحجام التي تظالغ الناظر في كل مكان تقريباً من واجهات عمارتها المدنية والدينية والثقافية والعلمية والرحمية والتجارية وفي حركة التعليم المستمر للخط بالدورات الرسمية المتخصصة والجانية او التعلّم الطوعي في الجوامع والمساجد ، وفي المعارض المتوالية الشخصية والجماعية ، وفي مظاهر اخرى عديدة.. وباختصار: تتمثل هذه النهضة الفنية المعاصرة في هذا الانتشار الفني والجمالي ، الأفقي والعمودي ، الشعبي والرسمي ، لفن الخط في الموصل الحالية. حتى يمكن القول مع هذا الانتشار انه مثلاً يمتاز المجتمع الياباني بسمّة حب الزهور وتنسيقها ، يمتاز المجتمع الموصل بسمّة حب الخط وتجويده وتدقّه.

ويمكن العودة بجذور هذه النهضة الى بداية العقد السابع من القرن العشرين ، وبالتحديد الى عام ١٩٦٢م / ١٣٨٢هـ ، والى معهد المعلمين بالموصل ، حيث بدأت النواة الأولى لهذه النهضة على يد الباحث والخطاط الكبير يوسف ذنون الذي طُلِبَ اليه تدريس فن الخط لطلبة الصفوف الأولى بالمعهد^(٥).

واستطاع يوسف ذنون إنبات هذه النواة

افندي القاضي رئيس كُتّاب المحكمة الشرعية في الموصل قبل الحرب العالمية الاولى ، ومشتق قواعد هذا الفن وأصوله على لوحات الخطاطين صالح السعدي (ت: ١٨٢٩م / ١٢٤٥هـ) ومحمد درويش البروشكي (ت بعد ١٨٠٥م / ١٢٨٦هـ) ، وكذلك وضع نصب عينيه كراسة الخطاط التركي المعروف محمد عزت (ت: ١٩٠٢م / ١٣٢٠هـ) معلم الخط في المكتب



خط الثلث للخطاط محمد صالح

السلطاني باستانبول واخيه الخطاط الحافظ تحسين (ت: ١٩١٢م / ١٣٣٠هـ) ، حتى منحه فائق الديوبني (ت: ١٩٦١م / ١٣٨١هـ) اجازة في الخط.

كان على صلات شخصية عميقة ببعض الخطاطين الكبار المعاصرين له ، ومنهم : الخطاط محمد بدوي الديرياني (ت: ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ) اشهر خطاطي سوريا الذي التقى به في دمشق عام ١٩٣٤م / ١٣٥٣هـ ، والخطاط محمد طاهر الكردي المكي (ت: ١٩٨٠م / ١٤٠١هـ) خطاط بلاد الحجاز المشتهر بكتابه «تاريخ الخط العربي وآدابه» والذي التقاه في بغداد وأجازه. كما أجازه أيضاً الخطاط التركي الكبير حامد الأمدّي (ت: ١٩٨٢م / ١٤٠٣هـ). أما في بغداد فكانت له علاقات فنية مع الخطاطين ماجد الزهدي (ت: ١٩٦١م / ١٣٨٠هـ) ومحمد علي صابر (ت: ١٩٤١م / ١٣٦٠هـ) وصبري الملاي (ت: ١٩٥٣م / ١٣٧٢هـ) والخطاط الكبير هاشم محمد البغدادي (ت: ١٩٧٣ / ١٣٩٣هـ).



يوسف ذنون

وتخرج في دار المعلمين سنة ١٩٥١م / ١٣٧١هـ. حرص منذ وقت مبكر من حياته على بناء نفسه بناءً ثقافياً ومعرفياً شمولياً، ولكنه ركز في ذلك على الفنون عموماً والخط والزخرفة والآثار وما يتعلق بها خصوصاً، معتمداً على جهوده الشخصية في المتابعة والبحث والتحصيل. فنال معرفة عميقة وواسعة بالخط : ثقافة وفناً، أهّلته هذه المعرفة لأن يكون واحداً من أبرز الباحثين المتخصصين في شؤون الخط وقضاياها التاريخية والفنية.. وواحداً من ألمع الخطاطين المعاصرين في العراق والوطن العربي والعالم الاسلامي، فقد حصل على الاجازة من الخطاط المعروف حامد الأمدي سنة ١٩٦٦م / ١٣٨٦هـ، وحصل منه ايضاً على تقدير خاص بالتفوق في مختلف الخطوط سنة ١٩٦٩م / ١٣٨٩هـ.

مارس تدريس الخط : تاريخاً وفناً. على المستويين الرسمي الأكاديمي الجامعي في اقسام الدراسات العليا والاولية لكليات الآداب (الآثار والمخطوطات) والهندسة ومعاهد المعلمين والفنون الجميلة والمعاهد الفنية... والشعبي في دورات تعليمية مجانية خاصة ومفتوحة في المدارس والجماعات والمقاهي، لنشر الخط على نطاق عام في العراق.

وتطويرها التدريجي من خلال رعاية نخبة من طلبة المعهد وغيرهم من الذين كانت لديهم الرغبة والموهبة معاً في مجال هذا الفن، حتى صارت هذه النخبة فيما بعد النخبة البارزة من الخطاطين ليس في الموصل حسب، بل في العراق ايضاً. ومضى يوسف ذنون وتلامذته الخطاطون في نشر فن الخط بالموصل، رسمياً وشعبياً، حتى توجت جهودهم باقامة أول معرض ضخم وشامل ومعاصر للخط في المدينة عام ١٩٧١م / ١٣٩١هـ، ثم انتقل الى بغداد سنة ١٩٧٢م / ١٣٩٢هـ، فكان تجمعا لم يسبق ان عرف العراق ولاكثر من خمسين عاما تجمعا فنياً مثله في مجال الخط، ويمكن اعتبار هذا المعرض هو الأول من نوعه^(٦)، مما جعله يحظى باهتمام اعلامي وفني وشعبي كبير دفع الحكومة الى تكريم المشاركين في هذا المعرض، وادراك اهمية هذا الفن العربي الاصيل ووجوب رعايته في عموم القطر العراقي من خلال نقل تجربته الموصلية الى بقية المحافظات.

لقد دفع هذا المعرض ونتائجه الى توسيع قاعدة الخط وتعميق نهضة الفينة في الموصل، فنشطت الجهود التعليمية والفنية والثقافية المتعلقة به، كدورات تعليم الخطوط العربية والندوات العلمية والمحاضرات الثقافية والمعارض الفنية ونشر الكتب والمطبوعات والكراريس والكتابة في الصحف والمجلات وغير ذلك من الجهود التيسرة في المؤسسات الرسمية والشعبية في المدينة كمديرية النشاط المدرسي للتربية في محافظة نينوى^(٧)، وجمعية التراث العربي^(٨) الموصلية للغة، وجمعية الخطاطين العراقيين، والمساجد والجماعات والمقاهي الشعبية.

وهنا، لابد ان نؤكد: ان الفضل الكبير في إحداث هذه النهضة الفنية المعاصرة للخط في الموصل يعزى الى الباحث والخطاط يوسف ذنون.

يوسف ذنون: ولد في الموصل سنة ١٩٣٢م / ١٣٥١هـ. ودرس في مدارسها الابتدائية والثانوية

وفي هذا المضمار، صار له بعد ذلك تلامذة كثيرون يعدون بالعشرات داخل العراق وخارجه، أجاز خمسة منهم وكثير منهم في طريق الحصول على الاجازة في الخط منه، لكن مايزيد على خمسة عشر خطاطاً منهم قد حصل على الاجازة من الخطاط حامد الآمدي.

ويظهر ابداع يوسف ذنون التشكيلي واجادته الفنية في مجال الخط في آثاره الخطية الكثيرة جداً والمتشرة في مايقرب من مئة وخمسين مسجداً وجامعاً عدا العائز الاخرى في جميع انحاء العراق، فضلاً عن خطوطه على اغلفة ما لا يحصى من الكتب والمجلات، ولوحاته التي عرضت في معارض خاصة ومشاركة في العراق وبعض الدول العربية والاجنبية مثل تركيا واذكلترا واميركا واسبانيا وفرنسا. وقد شارك في اكبر التظاهرات الثقافية - الفنية الدولية الخاصة بفن الخط او المتعلقة به، إما عضواً فاعلاً في لجان الاعداد والتقديم كالمسابقة الدولية الاولى لفن الخط (حامد الآمدي - ١٩٨٥م) والمسابقة الدولية الثانية لفن الخط (ياقوت المستعصمي - ١٩٨٩م) اللتين اقامتهما اللجنة الدولية للحفاظ على التراث التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي، وكذلك مهرجان بغداد العالمي للخط العربي والزخرفة الاسلامية الذي اقامته وزارة الثقافة والاعلام العراقية في بغداد عام ١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ.. أو فناناً خطاطاً عارضاً لاعماله كما في المعرض الفرنسي العالمي المقام في باريس عام ١٩٨٩م/ ١٤١٠هـ تحت عنوان «سحرة الارض».. أو باحثاً محاضراً وخطاطاً عارضاً ومعداً كما في مهرجان المغرب الأول للخط والزخرفة المقام في المغرب عام ١٩٩٠م/ ١٤١١هـ.

كُتِبَ عن يوسف ذنون وخطّه وابداعه الكثير، سواء في المؤلفات الخطية العامة والمعاصرة التي لاتكاد تخلو من الإشارة اليه أو الحديث عنه، او في المؤلفات الخاصة، ماصدر منها مثل كتاب الباحث

عبدالعزيز عبدالله محمد الموسوم بـ «يوسف ذنون : مدرسة الابداع في الخط العربي»، وما لم يصدر بعد مثل مخطوطات كتب الباحثين فوزي سالم عفيفي (طنطا - مصر) وباسم ذنون وادهام محمد حنش (الموصل).

إسهاماته الفنية : تلخص اسهامات يوسف ذنون الهادفة الى تأسيس اتجاه فني متميز في الخط العربي بنقطتين اثنتين، هما :

أولاهما - معالجة اشكال الحروف، مفردة ومركبة، في عدد من انواع الخط، تشریحاً واختزالاً وتيسيراً، لاستنباط اشكال اساسية محددة وميسرة منها، يؤدي اتقانها الى إتقان الخطوط العربية بجميع اشكالها وتفصيل الاداء فيها، بما يحافظ على اصالة الحرف العربي اللغوية وهويته الفنية.

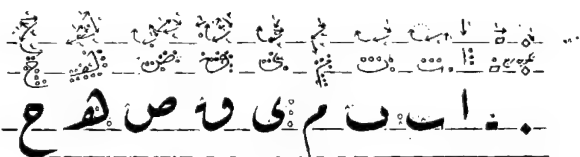
الثانية - الانطلاق من محدودية الاشكال الفنية الجديدة الى ايجاد طرق فنية وتربوية لتعليم انواع الخط العربي. تكون اكثر يسراً واجدى منفعة واسرع اداءً واقل جهداً ووقتاً، وتسهم في انتشار الخط على نطاق شعبي واسع.

وقد طبق^(٩) يوسف ذنون هاتين النقطتين على خطي الرقعة والدوياني من الخطوط المنسوبة، والخط الكوفي الموزون^(١٠)، لكونها يسر الخطوط التي تمهد امام الخطاط طريق الكشف عن اسرار هذا الفن :

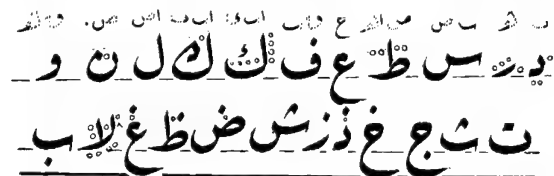
خط الرقعة^(١١) : انصبّت جهوده على معالجة اشكال حروفه وتحليلها بغية ردها الى اشكال اولية واساسية تكون الاساس في الانطلاق الى دراسة اشكاله الاخرى كافة، من الحروف والمقاطع، بما يسهل تحقيق المشق الفني السليم لحروفه. وقد اعتمد في عملية التحليل هذه على المسارات الهندسية الاساسية، العمودية والاقبية والدائرية، في توصيف هذه الاشكال بصفتها وحدات

الأخير^(١٣) الذي يتسم عموماً بانكاش اشكال حروفه على نفسها والشائع على نطاق محدود لدى خطاطي سورية ومصر^(١٤) والعراق^(١٥)، واسلوب

هندسية. وقد تمثلت هذه الوحدات عنده في اشكال الحروف الاساسية الآتية :
أ، ب، م، ي، ق، ص، ه، ح



حروف خط الرقعة الاساسية والمستخرجة من بقية الحروف.



مصطفى غزلان (ت : ١٩٣٨م / ١٣٥٧هـ) الذي يتسم بانفتاح اشكال حروفه وسعتها^(١٦)، ويبتهجه اغلب خطاطي مصر وبعض الأقطار العربية.

ومن معالجة هذين الاسلوبين، استخرج يوسف ذنون اسلوباً آخر يجمع محاسنها الفنية والادائية ويفيد منها، ولكنه يخضع اشكال حروف هذا الخط لعملية التحليل الى المكونات الاساسية والمباشرة. على وفق المسارات الهندسية المعروفة مع طغيان صفة اللبونة الفائقة عليها، وبخاصة في زيادة تقويس بعض اشكال الحروف ومتابعة المسار المنظم هندسياً سواء في الانبساط الأفقي على السطراو في ارسال اشكال الحروف الخاضعة للمسار الدائري الكامل المنطلق من مسارات قطرية مثل حروف الألف والألف الملقوفة والراء والواو والدادل واللام والكاف وسواها.

الخط الكوفي : حاول يوسف ذنون تيسير الاداء في هذا النوع الصعب والمتعدد الاشكال من انواع الخط العربي، من خلال اقتراح قواعد ابتدائية عامة فيه، تقوم على ضبط ثمانية اشكال رئيسة، ستة منها في الحروف المفردة، هي :
أ، ك، ق، ح، ع، ي

وجاء ترتيب هذه الاشكال على وفق تدرج محسوب من السهولة الى الصعوبة والتعقيد في الهيئة والتعلم والتففيذ. ومن اشكال هذه الحروف الثمانية تستخرج الاشكال الفنية الاخرى كافة لبقية الحروف في خط الرقعة، وذلك من خلال عمليات التجزئة والحذف والاقتباس والتركيب التي تُجرى على الاشكال الاساسية.

وتكشف لنا محاولة يوسف ذنون هذه عن طريقة ميسرة وذاتية لتعلم هذا الفن واتقانه، كما تكشف عن إمكان انتاج اسلوب فني آخر في خط الرقعة، متأثراً من وضوح مسارات رسم حروفه وتوحيد حركتها على اتجاهات معينة واجراء بعض اضافات تصويرية على حروفه للحصول على اشكال متميزة لهذا النوع من انواع الخط العربي.

الخط الديواني^(١٧) : اخضع يوسف ذنون الاساليب الفنية الشائعة في الخط الديواني لعمليات الاختبار والتحليل والتيسير والحذف والاضافة، للتوصل الى اسلوب آخر، يخرج من هذه الاساليب التي تكاد تكون شخصية بحسب الخطاطين، وينضاف اليها. ومن أبرز هذه الاساليب : اسلوب الخطاط محمد عزت

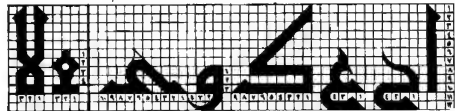


من اسلوب يوسف ذنون في الخط الديواني.

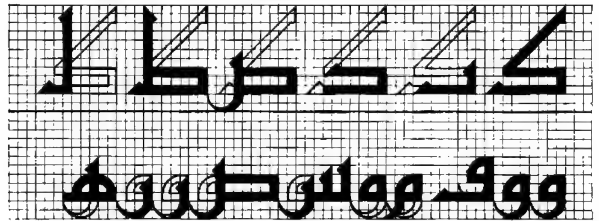


يوسف ذنون لها المربع المفتوح المسمى أحياناً «المربع السحري» أداة للضفر الزخرفي المتواصل بلا حدود، او بالوحدات الزخرفية الغصنية والتوريق العربي (الأرابيسك) التي يسر يوسف ذنون تنفيذها باعتماد طريقة جديدة في تحليل التوريق العربي وتحديد منطلقاته التي تعتمد على الاساس ثم التوريق بدءاً بالقوس وانتهاءً بالحلزون على خط الاساس ورسم الورقة النباتية ونحويراتها ثم

واثنان في الحروف المتصلة، هما العين الوسطية واللام ألف، كما يظهر في الشكل ادناه. مع الاستعانة بالادوات الهندسية المتيسرة واستعمال المربعات في تتبع الرسم الخطي على نظام العدّ الديواني على وفق النسبة العشرية في ضوء القياس الاساس لحرف الألف المفرد (١٠ : ١)، وفي ضوء فراغ النقطة الواحدة المتكرر لضمان صلة الحروف، بعضها مع بعضها، في النص الخطي.



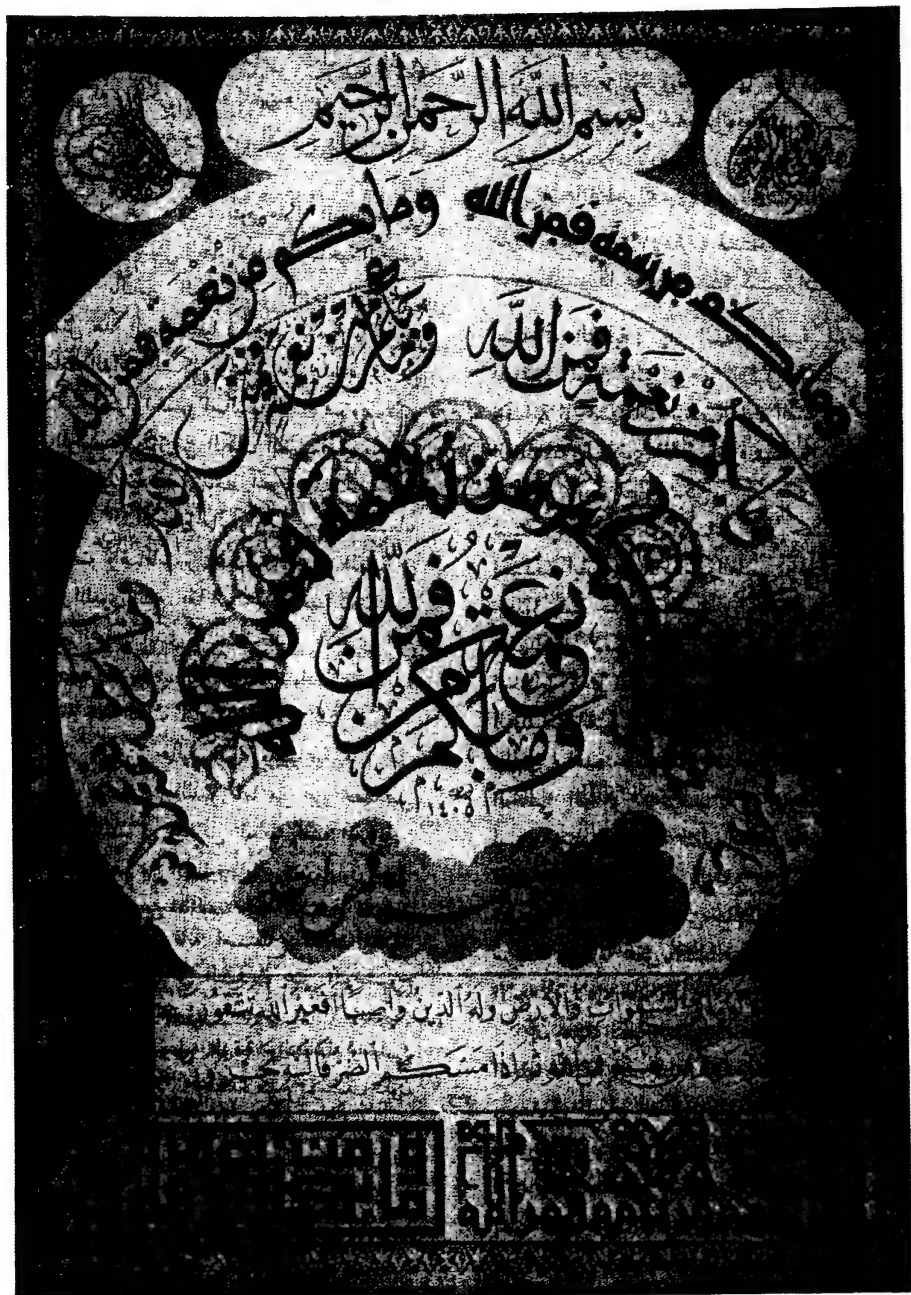
الحروف المفردة والمتصلة وما يشتق منها من بقية الحروف الكوفية.



توزيعها على الاساس وصولاً الى الوحدة الزخرفية التي تتكرر لانتاج الشكل النهائي للتوريق والتي يمكن استخدامها على نحو محدود في أرضية الشريط الكتابي الكوفي أو فراغاته.

الخطوط الاخرى: وعالج يوسف ذنون بقية الخطوط معالجة اخرى نابعة من رؤياه الفنية للخط

وبعد التمكن من الاداء على هذه الطريقة، بصار الى الانتقال الى طريقة نصف النقطة المعيارية في قياس الفراغ الواصل بين الحروف المرسومة على السطر وما فوقه، مع الأخذ بعين الاعتبار استئثار الفراغات المتاحة والمحتملة في الشريط الكتابي الكوفي بالوحدات الزخرفية الهندسية التي استخدم



لوحة جامعة لخمسة عشر خطاً من الخطوط العربية من تصميم وخط يوسف فتون

العربي التي يرى فيها ان الخط فن محكوم بضوابط وقواعد وأصول تمثل الاساس العلمي والمعرفي والحرفي له ، ولكن الاداء المتقن والمجود فيه يمتد في مساحة واسعة ومفتوحة من الابداع والتجديد في الاساليب والتكوينات .

وفضلاً عن ذلك ، يتوفر فضاء الخط العربي على بعدين : يتمثل البعد الأول في الناحية الوظيفية الخاصة بالتعبير البصري - اللغوي الواضح ، ويتمثل هذا البعد خطياً في خط النسخ لما له من صفات الثبات الشكلي والوظيفي التي استقرت على خلاصة اختيار احسن اساليب الاداء فيه وصولاً به الى الوضع الأمثل من الكمال الفني الذي بلغ فيه مستوى لا يذنيه فيه أي خط آخر ، سواء من حيث خصائصه الشكلية والجمالية أو من حيث استيعابه للحركات وازدادات التشكيل الاخرى المهمة في التعبير اللغوي التام . اما البعد الآخر فهو البعد الفني والجمالي المحض الذي تمثله الخطوط الاخرى التي تستجيب للابداع الفني شكلاً واداءً واسلوباً ، وبخاصة خط الثلث الذي هو النموذج الفني الأرقى ، لما يمتاز به من جمالية فائقة ومطواعية فذة على التركيب والتكوين اللذين هما من ابرز خصائص اساليب الثلث في مدارس الخط الفنية المعروفة .

وعلى الرغم من ان الخطاط يوسف دنون حاول الاستفادة كثيراً من اساليب خط الثلث في المدرسة الخطية العثمانية ، فانه استطاع كذلك تنميط اسلوبه الفني في الثلث على الوضوح والتسلسل (اللغوي والمعاري او الانشائي) في التركيب ، وعلى الدقة والنظافة والجمالي والعفوية في التكوين . وهكذا قدم يوسف دنون من خلاله لوحات خطية مذهشة في اداها اليدوي العفوي وفي مساحتها الكبيرة جداً ، سواء ما نفذه منها على الحجر في الاشرطة الكتابية (التذكارية والارشادية) للجامع كما في جامع العوجة (تكريت) الذي تبلغ بعض اشرطته الكتابية (١١٣) متراً طولاً و(١,٢٠) متراً عرضاً ، وجامع العدنانية وجامع فخري شنشل (بغداد) وجامع

صديق رشان (الموصل) وغيرها ، او ما نفذه منها على الورق والمواد الاخرى لعرضها في الصالات والمعارض ، كما في لوحته الرائعة التي عُرضت في معرض «سحرة الأرض» (باريس : ١٩٨٩) ، والتي نفذها بالحبر الصيني على الورق بطول (١٢) متراً وبعرض (١,٢٠) متراً ، مستخدماً قلماً خاصاً صنعه بنفسه ذا عرض خمسة سنتيمترات .

إسهاماته الثقافية : إن النهضة الفنية الموصلية المعاصرة للخط والتي يرجع الفضل الاساس في احداثها الى اسهامات يوسف دنون الفنية في مجال الخط ودوره التربوي الذي باشره في سبيل نشر هذا الفن على أوسع نطاق ممكن . إن هذه النهضة لم تستند في انطلاقتها الى الاساس الفني حسب ، بل استندت ايضاً الى الاساس العلمي والمعرفي الذي جعلها نهضة حقيقية ، اصيلة وراسخة ، من خلال ما مهد له يوسف دنون الباحث - قبل كونه الخطاط - من النظر العلمي المتعمق والفاحص في الخلفيات الفنية والتاريخية والآثارية للخط العربي ، والذي ساعده على تقديم صياغة مُهَرى للشكل الخطي الخاص بالحرف العربي ، وطريقة اداء ايسر ، ومبادئ مهمة لتعلم الخط ذاتياً بواسطة التعلم المنهجي المنظم بالتدرج في دراسته من الاسهل حتى الأصعب من سلسلة الخطوط بطرق سريعة وميسرة تحقق اكتساب المهارات المعرفية الاساسية لاداء هذا الفن .

إنّ هذا النظر العلمي المتعمق في خلفيات الخط المختلفة ولّد عنده آراءً واقتراحات جديدة ومهمة في الميدان الثقافي والعلمي للخط : نشأة وتطوراً ووجوداً فنياً وتاريخياً ، بل ان بعض هذه الآراء والاقتراحات من الخطورة في مجال الخط بحيث يستدعي التوقف واعادة النظر والتأمل في الكثير من الحقائق الفنية والتاريخية للكتابة العربية عموماً والخط العربي خصوصاً ، إذ يتصل بعض هذه الآراء بأصل الكتابة العربية ونشأتها الاولى كنظريته

في الأصل الحضري^(١٧) للكتابة العربية^(١٨) ، ويتصل بعضها الآخر^(١٩) بالتطور الفني - التاريخي للخط ، كآرائه في أصل الخط الكوفي ، وتطور خط الثلث وانتشاره الفني ، والواقع التاريخي لخط النسخ ، وحقيقة الدور الرائد لأبن مقلة الوزير (ت : ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) في مسيرة الخط ، وغير ذلك من المسائل الاصلية والفرعية التي تتعلق بالخط العربي تاريخاً وثقافة وفناً .

تلامذته : ومن ملامح هذه النهضة الفنية المعاصرة للخط كثرة المشتغلين بهذا الفن والمتعاملين معه ، حباً وتذوقاً وممارسة ثقافية وإداءً ، من خطاطين مجيدين وباحثين متخصصين ونقاد معينين في الموصل . وعلى الرغم من ان اغلب هؤلاء هم تلامذة ، على نحو ما ، للخطاط والباحث يوسف ذنون ، برزوا في رفقته ورعايته واشرافه ، فانهم يمثلون جزءاً مهماً من هذه النهضة الخطية لانهم يسهمون في حركتها الحالية بأدوار مختلفة ومتواصلة . ومن أبرز هؤلاء الخطاطين والباحثين والنقاد المعاصرين نذكر :

علي حامد الراوي ، عباس حسين الطائي ، وإياد حسين الحسيني ، وعمار احمد قاسم الفخري ، وياسم ذنون السباعوي ، وسالم عبدالمهدي ، والأختان فرح وجنة عدنان احمد عزت ، وطالب احمد بكر المزاري ، وعبدالقالي عبدالرزاق ، وعمار عبدالغني النعيمي ، ومروان الحرثي ، وحسن قاسم حبش ، ومؤيد محمود ، وقصي حسين ، وطارق طه الشبلي ، وعبدالله محمد داود ، ومظفر مجيد خطاب ، واحمد اسماعيل احمد ، وفريال فاضل العمري ، وعلي احمد حسن السباعوي ، وعبدالغني الجوالي ، وحيدر زكر المهدي ، وابراهيم فاضل المشداني ، وخزعل الراوي ، واكرم ذنون يونس ، ومحمود ذنون يونس والباحثان عبدالعزيز عبدالله محمد ، وإدهام محمد حنش . ومن تلامذته الآخرين في العراق والبلاد العربية عدد غير قليل من الخطاطين منهم :

عبدالحالق الربيعي (الثنى) ، ومحسن حسن بيروت (السلمانية) ، واحمد عبدالرضا الغرباوي (واسط) ، وفاضل شهاب داود (البصرة) ، وصفوت نديم (صلاح الدين) ، وعلي حسن محمود العلوان (الانبار) . ومنهم في الأقطار العربية : منتصر فتحسي سليم الحمداني (الأردن) ، واحمد عبدالرحمن (مصر) ، وعبدالله عبدالرزاق الصانع (السعودية) ، والسملالي حسن (المغرب) ، وعبدالله الوزاني (المغرب) ، وحميدي بلعيد (المغرب) ، واحمامة محمد (المغرب) ومصطفى الجيلاني الغربي (تونس) .

المواهب

- (١) يوسف ذنون : الموصل والخط العربي (عرض وتهيد) . مجلة الربيع : عدد خاص لمناسبة مهرجان الربيع القطري الثاني - الرابع عشر بالموصل (١٩٨٢) . ص ٦٦ .
- (٢) يوسف ذنون : المصغر نفسه .
- (٣) استعنا بولائق الاستاذ يوسف ذنون في الترجمة لهذا الخطاط .
- (٤) يوسف ذنون : محمد صالح الشيخ علي الخطاط الموصلية ، بين النهدين (مجلة فصلية حضارية تراثية . الموصل) السنة الثالثة ، العدد الثاني عشر (١٩٧٥) ، ص ٢٧٧ - ٢٨٣ . وينظر : وليد الاعظمي : جمهرة الخطاطين البغداديين (جزءان) . دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد : (١٩٨٩) الطبعة الأولى ، ٢ : ٥٧١ .
- (٥) لأول مرة في العراق يُصار إلى تدريس فن الخط في المؤسسات التعليمية درساً فنياً خاصاً ومستقلاً ، بعد ان كان شائعاً في المدارس تدريس (الخط والاملاء) جزءاً من مادة اللغة العربية ، وبهم فيه بكيفية الاملاء الصحيح وتحسين الكتابة العربية .
- (٦) باسم ذنون : من آفاق الخط العربي . دار الشؤون الثقافية العامة . الطبعة الأولى ، (بغداد : ١٩٩٠) . ص ٧٣ .
- (٧) زاد عدد دوراتنا في تعلم الخط على الثلاث مئة دورة ، درس الخط فيها عدد كبير جداً في الراغبين في دراسة هذا الفن .
- (٨) وهي جمعية ثقافية تسمى بتاريخ مدينة الموصل وآثارها وإحياء التراث العربي الاسلامي فيها ، وبخاصة المخطوطات والخط العربي . تأسست عام ١٩٧٣ م وأغلقت عام ١٩٨٦ م . نظمت هذه الجمعية الكثير من النشاطات الثقافية والعلمية . اما في مجال الخط فقد اقامت دورات كثيرة لتعلم الخط والزخرفة يزيد عددها على العشرين دورة في مختلف الخطوط ، وكذلك اقامت عدداً من المعارض في هذا الفن . وقد أصدرت لجنة الخط فيها نشرة داخلية خاصة ذات طابع ثقافي يُمنى بفن الخط العربي .
- (٩) اصدر يوسف ذنون عدداً من كراس الخط بعنوان « سلسلة

(١٤) وضع الخطاط المصري محمد إبراهيم (مؤسس مدرسة تحسين الخطوط) بالاسكندرية سنة ١٩٢١م / ١٣٤٠هـ كراسة على طريقة محمد عزت، لفرض استخدامها في تدريس الخط الديواني في هذه المدرسة.

(١٥) أشاعه في العراق، بعد تهذيبه، الخطاط صبري الهلالي (ت: ١٩٥٣م / ١٣٧٢هـ) والخطاط هاشم محمد البغدادي (ت: ١٩٧٣م / ١٣٩٣هـ).

(١٦) حاول الخطاط محمد عبدالقادر تخليصه من المبالغة في قياس سعة حروفه وافتتاحها، وسارت عليه مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة.

(١٧) الحضر: مدينة عربية تاريخية، كانت عاصمة لمملكة عربية انشئت في بادية الجزيرة بالقرب من وادي الثرثار، كانت تفصل بين الامبراطوريتين الرومانية والفارسية اشتهرت بكثرة معابدها وتماثيلها المرمرية للآلهة والملوك. سقطت على يد الملك الساساني سابور الأول (٢٤١م). وتقع اطالها الحالية على بعد (١١٠) كم الى الجنوب الغربي من مدينة الموصل.

(١٨) عرضت في ندوة «اللغة العربية والوعي القومي» التي اقامها مركز دراسات الوحدة العربية ومعهد البحوث والدراسات العربية والجمع العلمي العراقي، خلال الفترة ٢٨ - ٢٩ / ٩ / ١٩٨٣ في بغداد. ونشرت مع ابحاث الندوة في كتاب خاص بنفس العنوان في بيروت (١٩٨٤). ص ٣٠٧.

(١٩) نشير مثلاً الى بحثه الشامل الموسوم بـ «قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة» المنشور في مجلة المورد، مج: ١٥، ع: ٤ / ١٩٨٩ [عدد خاص بالخط العربي]. ص ٧ - ٢٦.

الخط الجديدة: تعلم بنفسك ١. كان منها: الخط الكوفي - قواعد عامة للبتدئين - (١٩٦٢)، وقواعد خط الرقعة (١٩٧٨) وقواعد الخط الديواني (١٩٧٨).

(١٠) تصنف الخطوط العربية استناداً الى خواص اشكال الحروف وصفاتها العامة بين التقوير والبسط (= البيسوة والليونة) الى خطوط موزونة تغطي عليها صفات التقوير والبيسوة كالكوفي بكل انواعه، والى خطوط منسوبة تغطي عليها صفات البسط والليونة كالثلث والنسخ والمحقق والريحان وغيرها.

(١١) عطف الرقعة من الخطوط الحديثة نسبياً، إذ بدأ الاهتمام به في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. يمتاز بالبساطة والسرعة في الانجاز وتؤديه حركة اليد الطبيعية. وهو خال من التشكيل والتزيين. يبرز نتيجة الحاجة الى خط سريع وعفوي الاداء. من ابرز الخطاطين فيه محمد عزت.

(١٢) الخط الديواني هو نوع من الخطوط العربية التي استخدمت في كتابة فرمانات والمنشورات والأوامر السلطانية في دواوين الدولة العثمانية. وقد كانت صورته معقدة تزدحم فيها الكلمات ازدحاماً مقصوداً لا يترك بينها فراغ بسبب طبيعة الأغراض التي يكتب لها. ينسب وضع القواعد الأولى فيه الى الخطاط التركي ابراهيم منيف بعد سنوات من فتح القسطنطينية واتخاذها عاصمة عثمانية سنة ١٤٥٤م / ٨٥٩هـ.

(١٣) أصدر محمد عزت كراستين فيها الخط الديواني، الأولى سنة ١٨٧٥م / ١٢٩٢هـ، والثانية سنة ١٨٨٨م / ١٣٠٦هـ. وبين الاثنين اختلافات واضحة في الشكل واسلوب الاداء، انتهت الى انضاج اسلوبه الشائع في كراسته الثانية.

الحركة التشكيلية

ستار الشيخ

الرسام. وكان للطبيعة تأثير كبير على جيل الرواد حيث أن طبيعة الموصل، وهي غنية جداً بموضوعاتها، تحضن قم تلوها الخضر تلك الكتل الصخرية من حجر الحلال تنوزع بعفوية بين تلك المساحات الملونة بأبقاعات متعددة تخلق تنغيماً للعين وتثير انطباعات عديدة، أغنت هذا التصور عند الفنانين وخلقت لهم أرضية لونية اعطت لاعمالهم الأثارة وكانت الاساس في شحن خيراتهم البصرية والوانهم المشرقة والتي لازمت الكثيرين الى الوقت الحاضر ومن ابرز هؤلاء الرواد التالية اسمائهم:

مقدمة:

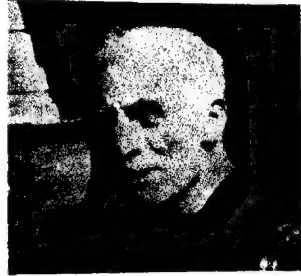
هناك شحة في المصادر المتعلقة بالمرحلة الاولى من تاريخ الفن العراقي عموماً، والفن التشكيلي في الموصل بوجه خاص، وعلى التحديد في تلك الفترة التي تمتد من اواخر القرن التاسع عشر الميلادي وحتى بدايات تأسيس الدولة العراقية الحديثة.

ومهما يكن من أمر، فإن البداية كانت مع المجموعة الاولى من الفنانين الذين كانوا، بالاصل، ضباطاً عراقيين في الجيش العثماني.. حتى أن بعضهم أسهم في عدد من المعارض التي أقيمت في استانبول وكان لبعضهم حضور متميز وفي مقدمتهم الفنانون سليم الموسلي وعاصم حافظ وعبد القادر

محمد سليم علي الموصل^(١) ١٨٨٣ - ١٩٤٢ م :
عميد أسرة سليم المعروف افرادها بالفن : سعاد
وجواد ونزار ونزهة . يعدر من أوائل الرسامين
العراقيين . أمتازت رسومه بالرقة والحساسية ، منها
صورته الشخصية ، وصورة السراي وبعض صور
المنابر الطبيعية . وعند عودته من تركيا عام ١٩٢٤
نُرس الرسم في بعض المدارس ومنها مدرسة التفيض
الاهلية . والده موصل ولزال الكثيرون من اقربائه
في الموصل وفي تواصل مستمر مع عائلته في بغداد في
أواخر خدمته في الجيش العثماني ألتي القبض عليه
بتهمة مشاركته بالحركة القومية العربية وحكم عليه
بالاعدام وكاد الحكم ان ينفذ به الا أنه أُستبدل
باللحظات الاخيرة بالنفي وعاد الى العراق لكي
يساهم في ارساء اسس الحركة التشكيلية .

عاصم حافظ^(٢) ١٨٨٦ - ١٩٧٨ م :

ولد في مدينة الموصل واثاء خدمته العسكرية
في تركيا ، درس الرسم على يد الفنان (عبدي بك) .
درسه بعد ذلك في باويس على يد استاذة (انطوان
رينول) وتخرج عام ١٩٣١ وعند عودته الى الموصل
عين مدرسا للرسم في المتوسطة الشرقية واول



عاصم حافظ

مشاركاته في المعارض كانت في الموصل عام ١٩٣٢
في المعرض الصناعي الزراعي الذي خصص فيه
جناح للرسم وقد حاز على المرتبة الاولى بين المحترفين .
وكثيرا ما كان يحث طلابه على النقل من الطبيعة .
كما كان يهتم كثيرا برسم الحياة الجامدة وقد نفذ اعماله
بأسلوب كلاسيكي رصين بني ملازماً له ، وهذا

الاهتمام يمثل نفسيته المشبعة بحب كل ماهو جميل .
والفاكهة كانت موضوعه المفضل والمفردات التي
دارت حولها اكثر اعماله لما فيها من تنوع بالاشكال
وثرأ لوني يشبع تطلعاته للجمال الخالص ، واعظم
فائدة قدمها لطلابه كانت تتمثل في تدريس مادة
الرسم على اساس الاهتمام بالمنظر وقد كان له
الفضل الكبير في سنة ١٩٣٥ باصدار أول مؤلف
نظري عن الرسم في القطر هو : «قواعد الرسم على
الطبيعة» .



فواكه : عاصم حافظ ، من مجموعة التحف الوطني للفن الحديث ببغداد

وكان عاصم حافظ مولعاً برسم الوجوه في بداية
اعماله الفنية ، لكنه اتجه بعد ذلك الى رسم الطبيعة .
وكان لاختياره هذا الاتجاه والابتعاد عن تصوير
الانسان سبب خاص يتعلق بموقفه في التركيز على
نماذج من الطبيعة البنائية والاشياء الاخرى من
اجل اكتشاف بعض عناصر التصوير فيها خلال
الظل والضياء والبناء مع دراسة امكاناته اللونية في
فهم حجمية الاشكال ومادتها وخصائصها ، ومن
الواضح ان عاصم حافظ كان يتجنب الاجسام
البشرية وفقاً لمبدأ اخلاقي كذلك . لهذا حاول
التأثير ، خلال النور والظل ، وعن طريق
استخدامات لوحية موحية للاشكال المرسومة^(٣) .
ومن تلاميذه : صبيح نعام ، وصديق احمد وفرج
عبو .

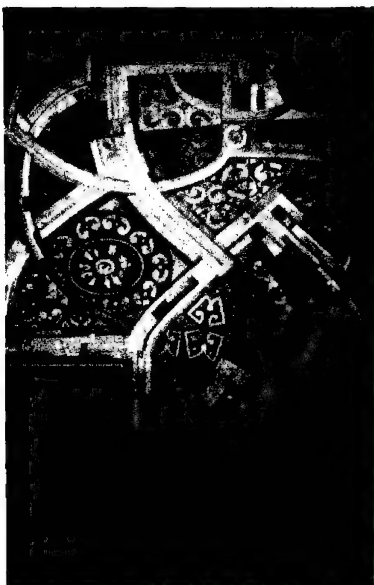
صديق احمد (١٩١٥ -) :

ولد في محلة رأس الكور في الموصل وتلمذ على
يد عاصم حافظ واكمل دراسته في دار المعلمين

حياته الفنية وان ادرس عن كتب (موضوعيته) في اختيار الموضوع الانطباعي بحصانة وشاعرية من تمرس في تأمل الطبيعة العراقية بعين ثاقبة وروح جذلي،^(٤).

فرج عبو النعمان^(٥) (١٩٢١ - ١٩٨٤):

ولد في الموصل وكان أبوه نجاراً وحينما كان يرسله الى السوق لشراء الاصباغ يأخذ قسماً منها ليرسم بها. تأثر كثيراً بأستاذه عاصم حافظ وكان يشجعه على رسم الآثار القديمة وقد انتبه منذ بداية حياته الى ما يجسده الفن وما فيه من قيم عليا.



تجريد اسلامي: فرج عبو

وعند أنشاء سينما الملك غازي عام ١٩٣٨ (الفردوس فيما بعد) قام برسم لوحات (فولكلورية) وتراثية لتزيين جدران السينما.. فرسم (٤) لوحات كبيرة، اثنتان قرب الشاشة وعلى الجانبين واثنان نهاية الصالة في الموقع الممتاز وقد رسمها بالزيت وعلى الحائط مباشرة ووضع لها اطارات من خشب الصاج. وللأسف لم تصور هذه اللوحات ولم توثق

الابتدائية عام ١٩٣٥، وبقي معلماً في المدارس الابتدائية لغاية ١٩٣٨ تقدم بعدها الى الكلية العسكرية وقبل فيها وتخرج ضابطاً في الجيش وخدم في القوات المسلحة حتى تقاعد عام ١٩٦٣ وبداية تأثره كان الجو العائلي فأخوه الكبير كان يحب الرسم وكان يملك آلة موسيقية وقد اكد في اعماله على الاتجاه الواقعي واهتم كثيراً بالطبيعة واستخدم الألوان المائية لتحقيق تلك اللحظات التي تفيض بعواطف جياشة تجاهها وكثيراً ما كان يستعمل في اعماله اللون (البوستر) لأنها سريعة الجفاف.



صديق أحمد: لوحة تمثل موضوع اشخاص ضمن منظر طبيعي عن: شاكرك حسن آل سعيد، فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق، ص ٩٢.

كذلك بحكم مهنته كمعسكري متنقل.. كان يستعمل الفرشاة بمساحات عريضة وواسعة لتخدم تلك الفضاضات المفتوحة للطبيعة لذلك يعد في اوائل الرسامين الانطباعيين في العراق أواخر الثلاثينات واهتم كثيراً بالمواضيع الشعبية ومشاهد الحياة اليومية والازقة والجوامع وكل ماله مساس بالعالم التراثية ومن ابرز اعماله عن الموصل لوحة جسر الموصل الحديدي التي نفذها عام ١٩٣٥ وقد حاول فيها ان يركز على الناحية التخطيطية بالدرجة الاولى واستخدم الالوان المائية لابراز الحسن الجمالي للبيئة. يقول الناقد شاكرك حسن آل سعيد عن صديق احمد «ان صديق أحمد كان يدرك بحاسسه الموهب جمال الربيع... فكان يميل معظم الاوقات في لوحاته الى ما يمثل فصل الربيع. وقد تسنى لي ان أطلع في داره على انتاجه الغزير لهذه الفترة من

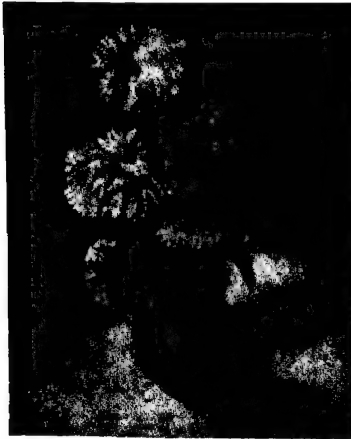


فرج عبو

تدخل ضمن بناءات هندسية معمارية احياناً
وزخارف إسلامية يعتمد على حركتها المرنّة والحادة
احياناً. ويضيف بان عبو تحول بعد ذلك الى
تجريدية اعتمدت الشكل من خلال اللون واثره في
الحركة العامة للبناء او التكوين العام، ويتكئ
مختلف وبمواد متنوعة. وهنا لابد من الاشارة الى
ان عبو، كان يمارس واقعته بروح اكثر حيوية
وبألوان اكثر رصانة وحرارة.. ولم يكن هذا الاتجاه
غريباً عن منطلقات زملائه من الرواد الاوائل
للحركة التشكيلية في العراق امثال فائق حسن
(١٩١٤ - ١٩٩٢).

صبح نعامه (١٩١٣ -) (١) :

ولد في الموصل حيث كان والده يعمل خياطاً
لللبسة المحلية المعروفة بـ (الدمير) والتي تتطلب
مهاره فنية واستخدام للزخرفة لتطريز حافاتنا بخيوط
لماعة وترك عمل والده تأثيراً كبيراً على بداياته الفنية
وفي المتوسطة الشرقية درس الرسم على يد الاستاذ



أزهار: صبح نعامه

عاصم حافظ. استفاد من بعض الفنانين امثال
فتحي صفوت وفائق حسن. عين مدرساً للرسم في
ثانوية الناصرية عام ١٩٣٩. وفي عام ١٩٤٦ نقل
٤٧٣

واندثرت مع هدم السينا في بداية الستينات.
اكمل دراسته الاعدادية في بغداد عام
١٩٣٩. وفي عام ١٩٤١ انضم الى جمعية
اصدقاء الفن ثم سافر الى القاهرة عام ١٩٤٥ وتخرج
من كلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٠ قسم التصوير
وبعد عودته عين مدرساً للرسم ثم اكمل دراسته
الفنية في روما وتخرج من اكاديمية الفنون هناك عام
١٩٥٤ وقد اهتم بالطبيعة ومعالها الجمالية، ففي
اعماله عن شمال العراق والتي تصور الغابات والجبال
والوديان ثمة شعور بالسعادة تمتع العمل الفني
موسيقاه وبحس انطباعي فيه للمسرة الفرشاة تأثير
مهم.

في الجانب الثاني اهتم بالاتجاه التجريدي
يستلهم فيه البعد الآخر للواقع بدلالته الرمزية. وقد
مهد لهذا الاتجاه بدراسته للمعمار العراقي بطابعه المميز
بالبساطة والزخرفة كذلك تراثيات البيئة الموصلية
بأفريزاتها المرمرية والجصية.. الزخرفة الجمالية
وعلاقتها بالمعمار كبناء هندسي يتجلى فيه التراث
العربي الاسلامي وهذا اعطى تبريراً مباشراً
للانتقال من الاساليب الواقعية الى التجريد
واجتهاده في البحث عن قيم الفن العربي
الاسلامي. يقول شوكت كرم في كتاب «لوحات
وافكاره» ان الفنان فرج عبو، يتحول، ضمن
المفهوم التجريبي، من الاتجاه الاكاديمي الى
الواقعية التسجيلية فالتحويرية المبسطة ثم
التجريدية الهندسية. وبعبارة أخرى، تلك التي

الى الموصل مدرساً للرسم في متوسطة الحدياء ، وأشرف على تنظيم اول معرض عام لمدارس اللواء . اهتم كثيراً بأعمال الديكور المسرحي حيث أنتج (ديكورات) لمسرحية (هوزاس) في مدرسة شمعون الصفا عام ١٩٣٩ بحدارية كبيرة حجم ٤ × ٥ م . كذلك رسم ديكورات مسرحية (بماعة نينوى) قاعة الثانوية الشرقية بحجم ٥ × ٦ م وكواليس جانبية عدد (٤) بحجم ١ × ٦ م عام ١٩٥١ .

اعماله تتميز بالألوان المائية ، وله مجموعة اعمال جيدة عن الطبيعة في شمال العراق يؤكد فيها مقدرته . اما اعماله بالزيت فكلها تقع ضمن اسلوب واقعي يلجأ فيه الى تفاصيل دقيقة بقيت تلازمه الى الوقت الحاضر واول اعماله هي صورة بالألوان الزيتية للقديس مار قرداغ حجم ١٠٠ × ٧٠ سم رسمها عام ١٩٣٧ وموجودة الآن في ألقوش . وثقافته الفنية كانت واسعة وقام بزيارات عديدة خارج القطر ولسنوات مختلفة وزار العديد من المتاحف مما اسهم في اغناء تجربته الفنية بشكل واسع . واستفاد من خبرته الكثير من فناني الموصل والذي كان له الفضل في تدريسهم ومن تلاميذه : ضرار القدو ، راكان دبدوب ، عبد الحميد الحياي ، ستار الشيخ ومخلد المختار .

تطور الحركة التشكيلية في الموصل :

تكاد تتفق اكثر الاراء على أن مرحلة الاربعينات كانت الاساس العريض للبناء الذي ترسخ في الخمسينات ، وأن قمة الهرم كانت قاعدته العريضة في المراسم المدرسية والمعارض السنوية التي تقيمها المدارس المتوسطة والثانوية في الموصل ، فصيح نغامة مدرس الرسم في متوسطة الحدياء ، مثلاً ، كان ملماً بشكل واسع وثقافته الفنية تكمل مستواه العملي المتقدم وكان يرسم امام طلابه ويعلمهم الرسم عن الطبيعة ، وكان يهتم كثيراً بالتخطيط بالقلم الرصاص واقلام الفحم . كذلك كان ليوسف بطرس دور رائد في اعطاء دروس متقدمة في التربية الفنية اثناء عمله في الاعدادية

الشرقية . ثم جاءت الخمسينات التي تعد البداية الأولى لازدهار حركة الفنون التشكيلية في المدينة فعلى أثر تصاعد الحركة الوطنية والنشاط المتميز للصحافة المحلية ظهرت الحاجة الى خلق اهتمامات فنية وثقافية تساهم في اغناء الوعي الوطني . وبالرغم من كون المدينة تعتبر من المدن المحافظة والاكثر تمسكاً بالتقاليد إلا ان غلبة الطابع الحضري كان واضحاً في الزي ونظافة المدينة وحركة الناس في الشوارع وخلال المناسبات الشعبية والدينية . كذلك ساهم انتشار المطبوعات في توسيع أفق الرؤية عند المتذوقين وشحنت في ذهنهم الرغبة في حب الأعمال الفنية والشعور بأهميتها كمتعة بصرية ، كذلك كانت أولى المطبوعات من الاعمال الفنية قد غزت جدران المقاهي الشعبية وخاصة نسخ مطبوعة بالألوان لبعض لوحات فنانيين عالميين تمثل الحياة الجامدة وخاصة الفاكهة والازهار وكل ماله مساس بالطبيعة .

ثم التحقت مجموعة من الطلبة الموصلين بمعهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٥٣ وتخرجت عام ١٩٥٦ . وجاءت الى المدينة مُحملة بثقافة العاصمة بغداد ونشاطها المتصاعد بقاعات العرض الداخلية واحتكاكهم المباشر مع اساتذة الرسم في العراق المحملين بخبرات غنية أثر دراستهم في اوربا امثال فائق حسن وجواد سليم واسماعيل الشبيخي وغيرهم وقد أسهم ذلك في تطوير قابلياتهم وأول عمل قرروا القيام بتنفيذه هو اقامة معرض للرسم اطلقوا عليه اسم معرض خريجي معهد الفنون الجميلة . وقد ساهم فيه (٨) فنانين وافتتح في ١٥ تموز ١٩٥٦ على قاعة مدرسة الارمن الابتدائية .

اما ابرز الذين شاركوا فيه فهم : لقمان محمد علي ، حازم محمد احمد ، خالد احمد حمدي ، ابراهيم الحفوطي ، حنا عبد الاحد ، ابراهيم حيدر ، اديب متي ، وقدري حيران . وبعد النجاح الذي تحقّق في هذا المعرض تضافرت الجهود لغرض تحقيق معرض شامل لفناني الموصل وفعلاً

افتتح معرض الرسم والنحت والفخار لفناني الموصل في بناية روضة الاطفال الرسمية يوم ٢٥ في آب ١٩٥٧ وكان عدد المشاركين (٢١) فناناً وعدد اللوحات (١٣١) لوحة وقد نسقت اللوحات على الجدران تنسيقاً يدل على الذوق السليم وقوة الفكرة.

لقد اشترك في المعرض عشرون فناناً هم : نجيب يونس ، خالد حمدي ، حازم محمد احمد ، لقمان محمد علي ، يوسف الصائغ ، ابراهيم حيدر ، راكان ديدوب ، شاكر محمود الياس ، جنان يوسف ، حنا عزيزة ، حسام يعقوب ، طارق الخيلاني ، ضرار محمود القدو ، قدرى حيران ، فوزي اسماعيل ، عزيز السناطي ، هشام سيدان ، هاشم سمريجي ، لطيف بطرس ، هاشم محمود الياس^(٧).

إن استمرار جهود فناني المدينة في العمل المتواصل والمشارك ، أدى الى تصاعد حركة الفنون التشكيلية في المدينة ، والى تحقيق مستوى من الأداء متقدم جداً من حيث الأسلوب والبدائية في خلق شخصية متميزة لكل فنان مما يعطي للحركة حضوراً. وما مساهمة فناني المدينة في المعارض الرئيسية في العاصمة الآ دليلاً على هذا المستوى المتقدم ، ففي معرض بغداد للرسم والنحت المقام في نادي المنصور عام ١٩٥٦ شارك من الموصل كل من الفنانين نجيب يونس ، ابراهيم عبوالنعمان ، لقمان محمد علي . وفي المعرض التالي المقام عام ١٩٥٧ شارك من الموصل كل من الفنانين : نجيب يونس ب (اربعة لوحات) وهو الحاد الاعلى للمشاركة . وهذه اللوحات هي : (دبكة اليزيدية ، مطعم في شقلاوة ، حرية وليل ، بائعة اللبن) ، وشارك لقمان محمد علي بلوحة واحدة (العودة من البستان) . وقد اختيرت لوحات الفنان نجيب يونس الاربع ضمن معرض الفن العراقي المعاصر في بيروت (قاعة اليونسكو) . وفي معرض بغداد للرسم والنحت المقام للفترة من ١٤ - ٢٨ شباط ١٩٥٨ شارك من الموصل كل من الفنانين : نجيب يونس ، ابراهيم عبوالنعمان ، لقمان محمد علي .

كذلك شاركت مجموعة كبيرة من فناني الموصل في أول معرض أقيم بعد ثورة ١٤ تموز (١٩٥٨) سمي بمعرض الثورة على قاعة النادي الاولمبي في بغداد والفترة من ١١ - ١٢ أيلول ١٩٥٨ والفنانون المشاركون هم :

حازم محمد احمد ، خالد حمدي العسكري ، طارق الخيلاني ، لقمان محمد علي ، هشام سيدان ، ضرار القدو .

واثر الاحداث السياسية الوطنية والقومية ، وخاصة احداث السويس عام ١٩٥٦ وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ شحنت طاقات الفنانين الموصليين ، مما اعطى زخماً لبلورة اعمالهم الفنية . وكان الفن التشكيلي احد هذه الوسائل المهمة والسريعة لايصال افكار الثورة الى الناس واهم النشاطات وأوسعها هي : الجداريات الأربع التي نفذها مجموعة من فناني المدينة البارزين انذاك وهم : نجيب يونس ، لقمان محمد علي ، خالد احمد العسكري ، حازم محمد احمد . ونفذت هذه الجداريات جميعها بالزيت وعرضت في الساحة المقابلة للمكتبة العامة سابقاً ، اي في الحديقة التي تتوسط واجهة المتحف الحضاري الآن .. وثبتت على شكل مكعب ذي أربعة وجوه كل وجه يحمل جدارية لأحد الفنانين .

أما ابرز فناني مرحلة الخمسينات فهم :

نجيب يونس (١٩٣٠ -)^(٨)

ولد الفنان نجيب يونس شريف عام ١٩٣٠ . وقد زاول الرسم وهو في التاسعة من عمره وكان متقدماً على أقرانه كثيراً ، وبالرغم من قلة الخبرات المعطاة للتلاميذ من قبل معلمي الرسم انذاك إلا أنه لاينسى ان يذكر بأعزاز جهود معلميه في المدرسة الابتدائية وخاصة الاستاذين (سعد الله جردق) ، و (علي رفعت الملا افندي) . كذلك يذكر جهود أساتذته يوسف بطرس وعبد الخالق الدباغ الذين قدموا له خبرات نظرية وعملية ساهمت في تطوير امكانياته . وكان الرسم المدرسي يشحن خيال



نجيب يونس

الابداع ويقدم الأغراءات لما يحتويه من امكانيات . كذلك منافسات الابداع المستمرة والطموح للحصول على الجوائز .

في نهاية عام ١٩٤٩ قُبل في كلية الفنون الجميلة العليا في القاهرة بعد ان قدم لهم نماذج من اعماله وقد أشرف على تدريسه هناك كبار الفنانين المصريين ممن كان لهم حضور واسع على الساحة العربية امثال : يوسف كامل ، واحمد صبري ، وحسين بيكار كذلك زامله في الاكاديمية الكثيرون من وجوه الحركة الفنية والثقافية في مصر منهم رسام الكاريكاتير والشاعر الشعبي (صلاح جاهين) ، (وجورج البهجوري) و (آدم حنين) .

أن هذه الفترة من الدراسة في مصر تركت تأثيراً كبيراً على أسلوبه والذي لازمه الى الوقت الحاضر . وكان تأثير الفنان (احمد صبري) مهماً جداً وخاصة في مجال معالجته للصور الشخصية (الپورتريت) والذي اشتهر به واصبح من أساتذته الكبار في العراق . إن اعماله تتميز ببراءة لوني مشبع بموسيقى ضوئية تثير الأنهار وباستعماله الفرشاة بتلك العفوية التي تختزن خبرة عميقة .

تخرج نجيب يونس عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ من الكلية المذكورة ورجع الى الموصل ليعمل مدرساً للتربية الفنية في العديد من المدارس المتوسطة في المدينة . ومن هنا بدأت مرحلة التأثير على العديد من طلبته واستطاع من خلال مقدراته الأكاديمية الجيدة أن يعطي خبرات متقدمة في أوليات

الرسم ، فأسلوبه المتضمن اهتماماً كبيراً بالموضوع ويتفاصيله الدقيقة وتأكيد المستمر على المنظور ونظافة اللمسة اللونية ، مكن تلاميذه من السيطرة على ادواتهم الفنية بشكل متفهم وبطريقة سليمة تزامنت مع فترة الازدهار الواقعية والانطباعية في الخمسينات والستينات ، رسختها تلك الامكانيات اللونية النابعة من اخلاص عميق للبيئة ولطبيعة المدينة التي أغنت عيون الفنان بتنوع المناخات بتلك الطراوة اللونية للأرض والاشجار ، والتي اصبحت سمة مميزة لفناني المدينة عموماً .

وفي عام ١٩٦٥ أسس الفنان نجيب يونس (بيت الفن) من خلال عمله في جامعة الموصل ليصبح اول مركز في تاريخ المدينة يستقطب الهواة من مختلف القطاعات . وكان لجهود رآكان دبلوب وزميله ضرار القدو أثر كبير وتمتيز في تطوير عمل (بيت الفن) والذي أثمر النواة الاولى لتأسيس (متحف جامعة الموصل) للفنون التشكيلية والذي يُعد من المعالم الفنية المهمة في المدينة .

لقد تنقل الفنان نجيب في اعماله بأساليب متنوعة ولم يستقر على اسلوب او مبدأ معين في الرسم وكان يمحى الاسلوبية وقد عزا ذلك الى ان «الفنان يجب أن يكون كالطائر الذي تكون ملكه كل الحدائق وكل الجنائن يحط حيثما يشاء ويفرغ كما



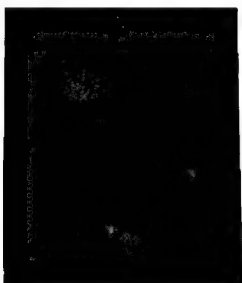
رقصة الزبديّة : نجيب يونس

يشاء لا أن يحصر نفسه في سجن لبينه لنفسه ومعتقل يخنجره لعقله . » وتعد لوحته (بناء سور

المآسي ، استطاع فنان واحد أن يصرّ على أن الحياة يوسعها أن تضج أيضاً بالفرح وروعة الوجود.. أننا نشعر أزاء ضوضاء جموعه القروية مرآى العلمات الكثيرة التي تنتثر على اللوحة تانثر الأزهار على مرج أخضر أن علينا أن نعيد تدريب العين على الرؤية ، علينا أن نتجه بالنظر نحو أفق كادت ثقافتنا الفنية أن تنساه لشدة ما أنتجت أعيننا الى دواخل النفس المضطرب». ثم يسترسل ويقول «لقد احكم سيطرته على رؤيته وجازف في الدخول بفنه في منطقة خطيرة ما أسهل لغير المتمرس أن ينزلق فيها نحو السطحي والمباشر، واستطاع نجيب يونس أن يدرك تلك الأنجزة الصعبة التي تؤكد أنه واحد من اعظم واكبر فاني العراق»^(٩).

يونس الحمطاني (١٩٣٢- ١٩٨٧) :

ولد الفنان يونس ذنون الحمطاني في الموصل. ظهرت موهبته منذ المرحلة المتوسطة ، وكان يرسم



يونس الحمطاني

الشخصيات التاريخية عن طريق النقل وقد تركت هذه المرحلة تأثيرها في أسلوبه وبقي ينفذ لوحاته بواقعية فوتغرافية أقرب الى الكلاسيكية في معالجته للسطح والأنارة كذلك الاهتمام الواضح بالتفاصيل الدقيقة. وفي المرحلة الاعدادية درس على يد الفنان عبد الخالق الدباغ ونفذ اعمالاً عديدة منها : البؤساء والاطفال السعداء .

وبعد تخرجه من الدورة التربوية عام ١٩٥٢ عين في الحلقة مدرساً للتربية الفنية في الاعدادية هناك وبقي سبع سنوات عاد بعدها الى الموصل ثم

ينبؤى) التي نفذها لحساب مرسوم جامعة الموصل عام ١٩٦٧ وحجم يفوق تقريباً ٣ × ٥ م من اهم اعماله المدرسية والتي قدم فيها تجارب بالمنظور المتحرك واستخدام عدة زوايا للرؤية وذلك لأعطائه المتفرج مدئاً واسعاً للرؤية. اذ لابد أن تكون هناك عين ترتفع فوق عين المتفرج وهو يقطع اللوحة من جهة الملك يساراً الى جهة الفنانين العاملين في تزيين السور ميمناً حيث تصعد الرؤية تدريجياً دون ان تشعر بالصعود. أي ا شبه «بحركة الكاميرا البطيئة بالمشهد السينمائي». وقد تمثل ذلك بأيجاد منظور آخر للمشاهد مرتفع اكثر من المنظور الأول. تطلب خطوطاً أخرى حاول مزجها بالخطوط الاولى مستغلاً طول اللوحة فتشابكت الرؤية وعندها أصبحت الاشكال تتسع للعين حينها وقفت امام اللوحة، وهكذا حقق أضافة جديدة للمنظور اسمها (الازدواجية المحورية).

كذلك استعمل في اعمال أخرى المساقط الرأسية مع متضاداتها لغرض الأثارة ولبخلق رؤية جديدة ضمن تكوين محكم وغريب يخضع الاشكال الى ابقاعات موسيقية متناوبة وغير مكررة ، يحذمه في هذا العمل براعته اللونية وهذا أضفى على واقعيته ضفافاً لاحدود لها مليئة بالدهشة والانبهار. والملاحظة التي تثير الانتباه هي أستفادته الكبيرة من الفوتغراف لكنه يوظف هذه الاستفادة من خلال خبرته الطويلة لأفكاره الخاصة فتتحول عنده عين الكاميرا الى عين الرسام. وفي عام ١٩٧٧ افتتح في الموصل (معهد الفنون الجميلة) واختير الفنان نجيب يونس رئيساً لقسمي (الرسم والخط والزخرفة) وبقي مدة خمس سنوات أجبل بعدها على التقاعد بناء على طلبه عام ١٩٨٣ وهو يعمل الآن ومجدية ومثابرة في مرسعه الخاص في بيته كفنان محترف كرمته الدولة بأقامة معرض شامل لأعماله على قاعة المتحف الوطني للفن الحديث عام ١٩٨٥ أثار أعجاب الكثيرين من نقاد ومشاهدين وأحدث صدى واسعاً في الاوساط الفنية. وقد كتب أحد النقاد عن لوحاته بانها تمثل «براءة عجيبة... في عصر تملؤه



ضرار القدو

جامعة الموصل. ثم عمل في متحف (جامعة الموصل) للأزياء وساهم في تصميم قاعاته وفي عام ١٩٧١ نقل الى مرسوم الجامعة ورسم عشرات اللوحات التي تمثل الحرف الشعبية الموصلية.

لقد قدم ضرار القدو عند عودته من إيطاليا أعمالاً تمتلك تقنية عالية بالتنفيذ واستعمال المادة جاءت من تأثيرات دراسته في قسم التصميم. وكانت اعماله تقترب من اسلوب الكرافيك او اللينوغراف.. ثم بدأ ينتج نحو اضاءة رموز محلية على أعماله فأتجه الى المدينة ببيوتاتها القديمة المتآكلة الجدران وذات النوافذ الصغيرة التي تفتقد الضوء وذلك لأضاءة صفة التناقض مع الواقع الحضاري وكانت اعماله هذه تؤكد انتهاء أكثر من كونها أحياء لواقع تراثي معين.

واهتم بالشكل واستطاع ان يطوره باستمرار. كما أبتعد عن الخط وأتجه الى التعبير بواسطة الكتلة والبقع اللونية. ثم استمر لتطوير هذا الاسلوب ضمن تجارب متعددة قادته الى تنفيذ اعماله بتقنية لونية تستند الى خبرة طويلة، وهذه التقائية تشعب أحياناً وتتداخل فيها الاساليب محاولة منه لخلق آثار متنوعة للعين والابتعاد عن التكرار في



لوحة زيتية قام برسمها يونس الحسپاني في ١٤ كانون الاول ١٩٥٠

عين في مدرسة الحكمة مدرساً للتربية الفنية واستمر محافظاً على اسلوبه القريب الى الكلاسيكية ومواضيعه نفسها. كما اهتم بالحياة الصامتة بشكل واضح ودقيق ويلدوان لجذوره العائلية أثراً بالغاً في محافظته على هذه الدقة في التفاصيل في مجمل لوحاته أذ كان والده مشهوراً بنقش باقة العباءات الرجالية بمادة الأبريسم (السرمه). ومن مساهماته اشتراكه في معرض نادي الفنون على قاعة المكتبة المركزية العامة في الموصل عام ١٩٦٢.

ضرار القدو (١٩٣٥ -) :

ولد الفنان ضرار محمود القدو في الموصل. وخلال الدراسة المتوسطة كان يخطط بالقلم مواضيع الحياة الجامدة ويدوم في مرسوم المدرسة باستمرار والذي كان يشرف عليه الفنان صبيح نعامه. وفي عام ١٩٥٤ دخل معهد الفنون الجميلة وتخرج منه عام ١٩٥٧. وخلال دراسته استفاد بشكل جيد من اساتذته في المعهد أمثال جواد سليم وفائق حسن، وكان يهتم كثيراً بالمواضيع الدراسية ورسم الموديلات. وبعد تخرجه نسب للعمل في دار المعلمين الابتدائية بمدينة الموصل واستمر بمزاولة العمل الفني وبشكل خاص دراسة الطبيعة في شمال العراق. وفي عام ١٩٦٣ رشح الى البعثة العلمية فالتحق باكاديمية روما لدراسة التصميم والزخرفة. وأهتم بمتابعة اتجاهات معارض الفن الحديث وتأثر بتعبيرية استاذة الايطالي (ماركو مكائي) وحصل على الدبلوم ١٩٦٥ - ١٩٦٦ وعند عودته من إيطاليا عين في مديرية النشاطات الطلابية في

الاسلوب لكن هذه التلقائية أوقعت أحيانا في ميكانيكية غير مستحبة. وقد حاول ضرار القدو تجاوز هذا التأثير بتنوع المفردات التي يستلهمها من البيئة لأغناء جو اللوحة، كذلك التنعيم المتنوع للجزئيات لشد المتفرج للبحث بين تلك الجزئيات اللونية عن متعة بصرية تدفعه أكثر للتوغل في أسرار العمل.

وكان للمرأة حضور واضح في اعماله فالمرأة عنده بهيئتها الانسانية مكلمة للجو العام واعتبرها عنصراً مهماً في لوحاته في الوقت الذي قلل من العناصر الأخرى. وهكذا فان ثقافته الفنية اكسبته فهماً متقدماً لطبيعة العمل.

فوزي اسماعيل (١٩٣٥ - ١٩٨٦) :

ولد في الموصل واكمل الدراسة المتوسطة والتحق بمعهد الفنون الجميلة في بغداد، وتخرج عام



فوزي اسماعيل أثناء تنفيذ نصب الحزب: حزب البعث العربي

الاشتراكي

١٩٦١. وفي عام ١٩٦٣ سافر في بعثة دراسية الى إيطاليا وتخرج من قسم النحت / اكاديمية الفنون الجميلة في روما عام ١٩٦٧، ودرس السيراميك كذلك في اكاديمية سان جاكومو وبعد عودته من إيطاليا عين مدرساً للرسم في جامعة الموصل وعمل في متحف التراث الشعبي فيها وكان من اول الاعمال التي كلف بتنفيذها في المدينة هو تمثال (الملا عثمان الموصل) الذي نفذه معتمداً على استشارات قدمت له من قبل الدكتور محمد صديق الجليلي والدكتور عادل البكري ويتنصب التمثال اليوم قرب محطة قطار الموصل.

اما العمل الثاني فهو تمثال (ام الربيعين). لقد خلد هذا العمل حضوره الدائم في هذه المدينة التي تغفو بظلال جدرانها الجصية البيضاء عصر كل يوم حينما تدب حركة الناس.. تتسلل روح فوزي اسماعيل من هذا الحشد المتراحم والذي يتدافع للخروج من زحمة شارع النجفي قلب الموصل الذي لا يعرف التوقف، يتداخل الرمز وتتوحد المدينة الموصل: ام الربيعين مع المرأة المعطاء، الحنونة العطوفة، والمتطلعة ابدا نحو المستقبل.. المتدفعه ضد الريح والمحترقة كل الحواجز للوصول الى سموها وألقها..

أنها أم الربيعين يشد عودها وقامتها الكبرياء، مليئة بالثقة تحمل ازهارها وطيبها وأريجها القدسي. ماضي هذه الامة وحاضرها تفيض بالخير.. بهذه الزهرات المقدسة التي تحملها (زهرة البيون).

وفي عام ١٩٧٤ باشر العمل لتنفيذ تمثال (حاملات الجرار) وهو عمل تزييني (فولكلوري) يبلغ طوله (٤) أمتار وقد أقيم فوق قاعدة على شكل هرم مقلوب. وضعت امرأتان وسط حوضين متصلين وتوجد في اطراف الحوض الاصغر فتحات جانبية ينسكب منها الماء على هيئة شلالات صغيرة ويبلغ قطره (٤) امتار. اما الحوض الكبير فيبلغ قطره (٨) أمتار يتجمع فيه الماء المنسكب من الجدار ليتقل الى الحوض الاصغر. كما ان في قعره اربع مضخات تدفع الماء الى ارتفاع مترين. ولقد نفذه وأنهى العمل فيه عام ١٩٧٤ وأزيح عنه الستار في احتفالات نيسان عام ١٩٧٧ ووضع في الساحة التي تلي جسر الخوصر، اي مدخل شارع النصر في الجانب الايسر، الا انه رفع عند تطوير الشارع.

اما عمله الآخر والذي كان يعتز به كثيراً فهو نصب الحزب: حزب البعث العربي الاشتراكي ويتكون النصب من قاعدة ضخمة بارتفاع ٧,٥م وطول ١٢م وقد تم الانتهاء من العمل ووضع أمام قيادة فرع نينوى في مدخل جسر الحرية من جهة الجانب الايسر للمدينة، والعمل يتكون من ثلاثة

أقواس منحنية الى الداخل ومتدرجة بالارتفاع ترتكز عليها ثلاثة أشكال .. اي كل قوس يستقر داخله شكل معين يمثل أحد أهداف الحزب الثلاثة : وهي الوحدة والحرية والاشتراكية وبأسلوب ايقاعي متناوب ومتصاعد نحو الاعلى ويبلغ طول كل نموذج (٣,٧٠) م ويعلو السطح النهائي قاعدة يرتكز عليها رمز السابع من نيسان المرقم (٧) يوم تأسيس الحزب .

لقد أختار فوزي نماذجه الواقعية بتلك الدلالات الرمزية البسيطة ليكون النصب سريع الايصال لقطاعات كبيرة من الناس كما اختار البساطة في الفكرة والتنفيذ .

فالوحدة رمز لها بفتاة ترفع يدها مؤشرة بسبابتها ، والحرية بفتاة تحمل المشعل كرمز تاريخي ، أما الاشتراكية فرمز لها بفتاة تحمل حزمة من السنابل ، والمضمون الداخلي لفكرة الحزب فسرّه بجدارتين على جانبي النصب طول كل منها (٦) م من النحت البارز تمثل الاولى نضال الحزب قبل ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨ والثانية تمثل منجزات الثورة . لقد جاء التكوين المعاري للنصب متكاملًا مع النماذج المحمّلة والمتضمنة له ، بسيطاً ومعبّراً وخالياً من التعقيد . وفي عام ١٩٨٤ نفذ تمثال المؤرخ ابن الاثير لحساب جامعة الموصل ، وقد أبتعد فيه عن كثير من الجزئيات وأتجه نحو البساطة لتحقيق الوحدة الموضوعية المتجانسة للتكوين الكلي وجاءت الألفاتة الجميلة مع حركة اليد المستقرة على الكتب كتفسير رائع لمضمون المعرفة والتواصل معها . ابن الاثير مفكراً متاملاً بهذه الجلسة المستقرة التي توحى بالانتباه ، انه تفسير دقيق لشخصية النموذج .. أبين الاثير هذه الروح المنطلقة دائماً نحو مصدر الالهام .

(١٠)

هشام سيدان (١٩٣٦ -) :

ولد الفنان هشام سيدان عام ١٩٣٦ واكمل الدراسة الاعدادية عام (١٩٥٤) وتركز الأجواء العائلية التي نشأ فيها تأثيراً كبيراً في ميوله التراثية

واهتماماته بالمفردات الشعبية واستخداماتها في اعماله حيث كان والده واخوه الكبير من أبرز قراء (المولد) والمقام في المناسبات الدينية . وكان عضواً في فرقة الملا عثمان الموصلية المعروفة ابداعاتها في اللحن ، كما كان والده يهوى الخط العربي ويمارسه .

بدأ نشاطه في الخمسينات وشارك في المعرض الاول لفناني الموصل عام ١٩٥٧ ب (٧) لوحات زيتية . بدأ رساماً لكن اهتماماته التراثية وتعامله مع رموزها البصرية المباشرة بمفرداتها التشكيلية كالأهلة والاقواس والافريزات الجصية البارزة لزنخارف الأبواب الموصلية والمساحات الهندسية لمفردات الزخرفة الاسلامية ضمن تجريد روحي يخدم جذور تفكيره الديني ، دفعه لدراسة النحت في معهد الفنون الجميلة (القسم المسائي) وتخرج منه عام ١٩٦٤ .

منذ البداية حاول هشام سيدان تحقيق خصوصيته في الاسلوب ضمن تعامله مع الرموز التراثية ضمن محاولة فردية جادة لتحقيق هذا التفرد ، وتواصلًا مع الجهود السابقة لفنانين آخرين وبتجربة مستمرة باعتماد التراث كمبدأ عام وكإداة قابلة للصياغة ، وهي عملية ليست سهلة . وقد استطاع ان يعطي لتجربته هذه تلك الخصوصية بالرغم من كون المفردات التراثية ملكاً للجميع ، واستعملها العديد من الرواد ضمن تجاربهم .

في معرضه الاول عام ١٩٧٢ في بغداد قدم لأعماله تنظيراً نقدياً لتوثيق نظرته الفنية وتوصلاته الأسلوبية في العمل ودخل مرحلة القلق الحاد لفهم اعماله بعمق ولشعوره بوجود شيء سحري وغامض فيها . وفي هذا الصدد يقول : « علماً بأن الفراغ من مميزات أعمالي ويغلب على الكتل كمّاً ومساحةً بأسلوب مخالف لأسلوب (هنري مور) وبمنظرة تبصيرية وعياً وحساً ، لمستُ عنصر الصدمة وقوة الرنين الذي تحسّه ولا نسمعه ، المنبثق من أعمالي المعدنية وقطع الخزف والبول المصقّق بتأثلي الفخارية » .

أن هشام سيدان قد استطاع تحقيق هذا

من هذا المنطلق تناول الفنان التراث من جانبه الزمني اضافة الى جانبه الشكلي والنفسي فحقق عن طريق استعارته للقطع المعدنية القديمة التي ازبحت من مجال التداول ، كذلك النقود القديمة التي تمتلك عامل الزمن مُحتطاً - انطباعات ومناخات قديمة اكسبتها بعداً جالياً معاصراً دون الوقوع بالتكرار الملل او الاشتقاق من الشكل القديم ليحصل على اشكال تجريدية معاصرة حافظت على جوها التراثي والشعبي المزدوج ، كل ذلك مساهمة حادة منه في انخراط التجربة التشكيلية الهادفة الى خلق صيغة شكلية شمولية مرتكزة على أرضية من الفكر والتكنيك لفن عربي أصيل .

بشير طه (١٩٣٦ -) :

ولد بشير طه علي في الموصل وتخرج من قسم الرسم بمعهد الفنون الجميلة عام ١٩٦٠ واشرف على تدريسه الاستاذان فائق حسن واسماعيل الشبيخي . تخرج من المعهد وتنقل في مدارس عديدة معلماً للتربية الفنية بعدها نسب للعمل في اعدادية المستقبل لتدريس التربية الفنية وفي عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ نسب مشرفاً للفنون التشكيلية في مديرية النشاط المدرسي التابع لمديرية تربية نينوى . وفي عام ١٩٧٣ أقام معرضاً شخصياً في الموصل (١١) .

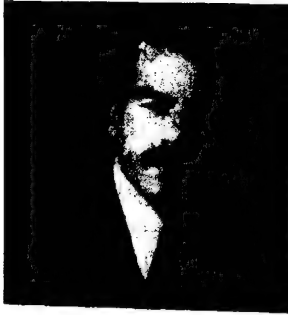
طيلة عمله في المدارس المتوسطة والاعدادية بقي أميناً على اسلوبه الانطباعي وتأكيد على لمسة الفرشة ، يحرك المساحة اللونية من خلال ضربات سريعة يكون من خلالها هذا الانسجام (الهارموني) اللوني المحبب الى العين وخاصة عند لجوئه الى الطبيعة عالمه المفضل وموضوعه المحبب للرسم والذي استطاع من خلال هذا الحب العميق لها ان يحقق تلك الرؤية المستقرة لمساحات واسعة من الخضرة ، يقطع جزءاً من الفضاء الواسع ويتعامل معه كوحدة مستقلة . ونلاحظ في اعماله الواقعية بساطة التكوين ، واختزال التفاصيل ، والتعامل مع الشخصيات القليلة بنفس اسلوب الجو العام للوحة . وهو يحاول احياناً الخروج من أسر الطبيعة

الأيقاع الموسيقي لمفرداته التراثية وبذلك الأقتراب من وعي المشاهد بشكل دقيق ومؤثر وبالرغم من الاختلاف بالمستوى الثقافي لقطاعات كبيرة من المشاهدين أي استطاع ان يمسك بمفاتيح اللغز ، لغز الدهشة الأولى أو الأثارة البصرية التي تثير الداخل وتجعله يتفاعل مع المراثيات بمختلف تناقضاتها وأن هذه الفوضى بأستعمال المواد المختلفة ومن فترات متباعدة وبهذا التوليف المتقن « الشيش ، الهليت ، البوري الخرم بالاكسجين مع رمانة المحجلات او كوالين الابواب الحديدية المتروكة » تخلق هذه المتعة البصرية المستقرة التي تعيد التوازن لتلك الفوضى الداخلية المحمل بها الإنسان ويخلق عنده هذا الفهم المجاد لحرية الداخل المليء بالفوارق مع هذا الاستقرار السلوكي الذي بالخارج ولكونها مسألة انسانية شديدة التعقيد بالتظير ، او التفسير لنظريات علم النفس . أن اعمال النحت الفخاري الذي أنجزه سيدان وبنادج متنوعة اكمل فيها هذا التواصل بين حلم الطفولة والدهشة المستمرة لأحلام القطة وبين



أهلة العيد : هشام سيدان

خيالات القصص الشعبية أو الحكايات الخرافية للتراث المليء بالحكم والامثال والتفسيرات الوراثة وهذا التنعيم المدهش للكتل والفراغات ، وضمن رؤية شرقية .



عبد الحميد الحياي

المتوسطة المركزية عام ١٩٦١ وكان اول مشاركاته هو معرض نادي الفنون عام ١٩٦٢. ثم لازم الفنان نجيب يونس واشتركا معاً في تهيئة قاعة عرض صغيرة في الدواصة بداية الستينات بأسم المرسوم الحر وكلنت تستقطب اعمال الفنانين لعرضها في واجهة القاعة وقد تركت ملازمته للفنان نجيب يونس تأثير على اسلوبه وخاصة في استعمال اللون.

اول مساهماته الواسعة في المحافظة هو الجدارية التي رسمها عن ثورة الموصل عام ١٩٥٩ بالألوان الزيتية وتضمنت اسلوباً تعبيرياً قاسياً وقد وضعت في حينه على واجهة محافظة نينوى.

لقد كان الفنان عبدالحميد الحياي يمتلك امكانية فنية جيدة رغم عدم تخرجه من معهد



غابات الموصل : بشير طه

بعض الاعمال القليلة التي تتضمن موضوعات من البيئة الشعبية الا ان اعماله تاتي بشكل لا يشبع رغبته ولا رغبات المتفرج فنراه يعود الى الطبيعة ميدانه المفضل مانحاً نفسه هذا الاطمئنان للمستوى الذي يقدمه.

له مساهمات كبيرة وجادة في اغناء دروس التربية الفنية في مدارس المحافظة. ونفذ العديد من (الديكورات) المسرحية للنشاط المدرسي وله اهتمامات متميزة في رسوم الاطفال.

عبدالحميد الحياي (١٩٣٩ - ١٩٧٩) :

ولد عبدالحميد خليل الحياي في الموصل ، وتخرج من الدورة التربوية عام ١٩٥٨. تعلم الرسم بالممارسة وأماكناته الذاتية بعد تخرجه عين معلماً على الملاك الابتدائي. ثم نسب مدرساً للرسم في



الموصل : عبد الحميد الحياي



راكان دبلوب

تشكيلاً فنياً يخدم تطلعاته.. أنه يشعر بأنه يمتلك ذلك العالم المرسوم بالذهن بخصوصية عذبة تتحقق عند المتفرج نتيجة تسرب الانفعال او التعاطف الوجداني مع تلك الاعمال بأثارة فكرية وبصرية لا يستطيع التخلص منها.

لقد بدأ تجريبياً وقدم أعماله في المعرض الاول على قاعة الواسطي في عام ١٩٦٦ بهذا الاتجاه وبقي اهتمامه بالشكلية يلزمه زمناً طويلاً حوله الى مزخرف واضعفت فيه تدريجياً ذلك الوعي المتدفق للتجربة الحياتية التي يحرص على اكتسابها باستمرار لعلاقته الحتمية مع مفرداتها الجمالية. بقت هذه التجريدات تلازمه امتداداً لفترة التعلق ضمن واقع لا تربطه معه علاقة جدلية او علاقة تفاعل يدخل في صلب كيانه الثقافي او الاجتماعي وضمن موروث حضاري. إلا أن تلك الفترة غدت خيالاته وتصوراته من ناحية ومنحته فرصة دراسة تكنيك الشكل واللون واكتشاف ثراء تنغياته الموسيقية، فتحول عنده من أداة لتفسير المضمون الى مضمون بحد ذاته.

وهنا اكتشف ان محاولاته تلك بتجريداته الشكلية ذات الأنتشاء الصوفي زادت من قيوده للتححر أكثر من عالم اللوحة ، وانه يمتلك الكثير من التركيبات الجديدة ذات الارتباط الموضوعي.. أنه

للرسم ، ألوانه تمتاز بجراتها ويلجأ لاستعمال الفرشاة بأسلوب يقرب الى التعبيرية.

عمل في قسم التصميم والمونتاج بمطبعة جامعة الموصل وخلال عمله اعطى مجلة «الجامعة» التي كانت تصدرها جامعة الموصل حضوراً متميزاً على مستوى التصميم، ومنح اغلفتها إثارة بصرية ممتازة نافست في ذلك حتى المجلات الفنية والادبية التي تصدر في بغداد. وكانت له اسهاماته في مجال تنفيذ العديد من الصور الشخصية لاعلام الفكر والثقافة العربية الاسلامية زينت بعض جدران معارض الكتب التي اقامتها مطبعة جامعة الموصل.

راكان دبلوب - (١٩٤٠ -) (١٢)

ولد الفنان رakan عبدالعزيز دبلوب في الموصل واكمل دراسته في معهد الفنون الجميلة عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ بتفوق وبدرجة الامتياز، بعدها أكمل دراسته العليا للفن في قسم النحت باكاديمية الفنون الجميلة في روما وتخرج منها عام ١٩٦٤ ، درس الرسم في الاكاديمية نفسها لمدة سنة واحدة حيث قبل في الصف الثاني بعد اجتيازه امتحان القبول وتخرج من اكاديمية الفنون في روما عام ١٩٦٥ وعاد الى الوطن في العام نفسه.

أثناء دراسته في ايطاليا كان كثير الاطلاع على تراث الفن العالمي وأعمال فثاني عصر النهضة ودرسها بشكل جيد مما ساعده على تقوية أسسه الاكاديمية. واثناء اقامته في روما شارك في العديد من المعارض السنوية عند عودته الى العراق عين نحاتاً في متحف الأزياء الشعبية ثم نقل مدرساً للرسم في قسم الهندسة المعمارية بجامعة الموصل.

يُعد رakan دبلوب أكثر رسامي العراق إثارة وأكثرهم استغزاً للجمهور والنقاد فهو دائم البحث ، يتجدد باستمرار بطاقة سحرية لاتعرف الحدود أنه لايعرف للزمن حدوداً.

يتعامل مع كل المواد التي يستطيع ان يخلق منها

لاكتشاف خفايا الموضوع ودلالاته. لقد أوقعه حب النحت وممارسته الطويلة له في الامتزاج بين الكتلة النحتية والسطح في بناء اللوحة وفي الآونة الأخيرة أخذ دبدوب يستمد افكاره، بشأن اللون والنسيج والشكل، حتى الجدران الرخامية القديمة، من بيوت مدينة الموصل وقلاعها المهمة. وقد أدخل راكان دبدوب الحرف العربي بدلالاته البصرية كمفردة تشكيلية وضمن غنائية لونية تعطي للوحة جمالية خالصة وهذه المفردات رسخته أكثر واعطت له هذه السيطرة ضمن جذور تاريخية تمتد وتتواصل مع الحاضر بصياغة متقنة وتنطلق تجربته نحو الوضوح والتعريف في البناء المعماري الذي أستعار من شيوخ المعمار العربي الاسلامي سموه وروحته فأمتاز بتجريد وحدات ومفردات الموضوع في اطار الشكل وبتناظر جميل بين الكتل والمساحات واجزاء البناء. وكما أخذ كذلك من ألوان بيته حرارتها وثرأ رموزها.. من درجات الاخضر والازرق الفيروزي والرمادي والأحمر والاصفر واستخدام مشتقاتها بشيء من الرصانة والصناعة الماهرة.. حقق ذلك في اغلب لوحاته المتأخرة عن مدينة الموصل وخاصة اشكال ابوابها ونوافذها واقواسها ومساجدها.. هذه هي وحدات وعناصر الموضوع لديه وهذا ماجعل لجهوده اثرًا كبيراً في اغناء مسيرة الفن التشكيلي في العراق (١٣).

الهوامش

- (١) انظر: وزارة الثقافة والاعلام، دائرة الفنون التشكيلية، مركز صدام للفنون، الارشيف التشكيلي، تزار سلم يتحدث عن والده. وسنشر اليه لاحقاً ب (الارشيف التشكيلي). كذلك انظر: شاكر حسن آل سعيد، فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق ج١، بغداد ١٩٨٣، ص ١٨.
- (٢) انظر: شاكر حسن آل سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٧٤، ٨٠ وكذلك الارشيف التشكيلي، صديق احمد يتحدث عن عاصم حافظ، شوكت كريم، لوحات وأفكار، بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٣ - ٢٤.
- (٣) انظر: كريم، المصدر السابق، ص ٢٣ - ٢٤.
- (٤) انظر: شاكر حسن آل سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ٩٢.
- (٥) الارشيف التشكيلي، من حديث مسجل للفنان فرج عبو. وكذلك انظر: عادل كامل، فنانون عراقيون، فرج عبو،

يستطيع اكتشاف معطيات هذا الواقع والوصول الى امتداداته الحلمية المشروعة والمستقبلية فأنجبه الى التشخيص، لكن هذا التشخيص لم يأت مباشرة ودفعة واحدة، لأنه لا ينظر الى الانسان كهيئة او كنموذج بل كشعور ودلالة وفعل.. كطاقة داخلية، لكن الانسان هنا ونتيجة اسلوب التقطيع بقي جزء من الشكل كباقى الأجزاء الأخرى دون تحقيق كيان خاص به فبقى ضائعاً مختفياً ضمن واقع مليء بالتناقضات يحاول جاهداً الخروج لتحقيق حضوره الانساني المسلوب.. التجأ راكان دبدوب الى هذا الاسلوب في محاولة واعية ليعكس واقع التوزيع الداخلي للانسان وتأكيدها على الدلالة الداخلية للاشياء كذلك جاءت نتيجة ممارسته الطويلة للوحة الشكل والذي يفذهها ضمن تصميم واع وبناء محكم يخضع لتوازن العلاقات خلاف الاعباطية التي تطبع اعمال الكثيرين.

وهنا بدأت محاولاته تتصاعد باستمرار للسيطرة على التداخل بين الشكل الخالص والمضمون الذي يحاول التنفس من خلال بناء الوحدات التشكيلية التي يستعملها كأضافات جمالية.. البلورات النحتية التي توحى بالكتلة والعمق، كذلك الثقوب المجسمة التي استطاع من خلالها أيضاً تحقيق ذلك



لوحة: راكان دبدوب

الشاهد او الزمن الداخلي للحدث.. لقد استطاع الوصول الى الخارج من خلال هذا الممر السري الذي يجذب المتفرج ويغريه بالتوغل عميقاً

- (١٠) انظر: التحف الوطني للفن الحديث ، دليل المعرض الشخصي ١٩٧٠.
- (١١) جمعية التشكيليين العراقيين ، معرض البوستر السياسي لجمعية التشكيليين فرع نينوى ، (كراس الملحق الفني مجلة الجامعة ١٩٧٧ ، ص ٩)
- (١٢) انظر: جبرا ابراهيم جبرا ، جنود الفن التشكيلي
- (١٣) انظر: شوكت الريمي ، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ، ص ٦٨.

- ١٩٨٢ ، كريم ، المصدر السابق ، ص ٩٧-٩٨
- (٦) جريدة فني العراق ، (صحيح نغامة) ، في آب ١٩٥٦ وكذلك ٢٦ آب ١٩٥٧.
- (٧) جريدة فني العراق ، ٥ أيلول ١٩٥٧
- (٨) انظر: مجلة الف باء ، العدد (٨٥٧) في ٢٧ شباط ١٩٨٥ ، جريدة الجمهورية ٤ شباط ١٩٨٥.
- (٩) جبرا ابراهيم جبرا ، في جريدة الجمهورية ٤ شباط ١٩٨٥

التربية والتعليم

د. جمال اسد مزعل

المقدمة :

التربية والتعليم بعد الاحتلال البريطاني ١٩١٨-١٩٢٠ :

لم تختلف حالة التعليم في الموصل عما كانت عليها مناطق العراق الأخرى في زمن الحكم العثماني ، حيث اهتم العثمانيون شؤون التعليم في جميع أرجاء امبراطوريتهم بما فيها العراق لثلاثة قرون ، ولم تظهر بوادر الاهتمام بالتعليم الا في النصف الاول من القرن التاسع عشر وبثأثير التيارات التجديدية في اوربا ، إذ أظهر السلطان عبد المجيد، بعد توليه شؤون الحكم بعد السلطان محمود الثاني، اهتماماً للتجديد والاقتباس من البلاد الغربية . ونتيجة لذلك أصدر (خط كلخانة) الذي تضمن اتجاهات خاصة للاصلاح في الامبراطورية العثمانية ، واستناداً اليه اجريت محاولات لاصلاح حالة التعليم في الولايات العثمانية ، وشكلت سنة ١٨٤٥م لجنة خاصة لهذا الغرض قررت الاقتباس من اجراءات الاصلاح التعليمي في البلاد الأوربية . وفي سنة ١٨٤٦ قدمت للجنة تقريراً تضمن مناهجاً مفصلاً يتناول اوضاع التعليم ^(١) وقد طبق هذا المنهاج ابتداءً من سنة ١٨٦٩ ، حيث أنشئ في السنة نفسها عدد من المكاتب الرشدية ، والمدارس الفنية لتخريج الموظفين المدنيين والعسكريين في مناطق مختلفة من الامبراطورية العثمانية .

وجه الباحثون في مختلف أقطار العالم قديماً وحديثاً اهتماماً ملحوظاً لتطور المدن ، وبيان أوجه تقدمها ؛ ومنهم الباحثون العرب بعد تأسيس الدولة العربية الاسلامية ، وقد تحملوا عناء الرحلات للحواضر العربية والاسلامية في سبيل الكتابة عنها ، غير ان هذا الاهتمام قد فتر الى درجة كبيرة في التاريخ الحديث ، وانقطع في ميادين عدة منها ، التربية والتعليم وخاصة في قطرنا فلا نجد بين الأدبيات والبحوث التربوية - عدا التقارير الوثائقية - دراسات تربوية متخصصة تتعرض لتاريخ التربية والتعليم في المدن العراقية بصورة شاملة ، ولما كانت لمدينة الموصل مكانة خاصة في تاريخ تطور التربية والتعليم في العراق أثرنا لذلك الكتابة في هذا الميدان ، أملاً منا في تقديم صورة عنه في تاريخ الموصل المعاصر .

اعتمد الباحث حينما كان ذلك ممكناً على المصادر والوثائق التاريخية والرسمية ، وعلى المراجع عندما لم يكن بالمستطاع الوصول الى المصادر لأي سبب ما ، ويتعرض الباحث الى التربية والتعليم في المدينة استناداً الى الحقب التي شهدتها التاريخ السياسي المعاصر للعراق . ويغطي البحث زمناً يمتد من الاحتلال البريطاني لمدينة الموصل مروراً بعهود الاحتلال والانتداب البريطاني ، ثم الاستقلال .

للبنات ، ومدرسة ثانوية واحدة بدرجة (اعدادي) ودار واحدة للمعلمين ، ومدرسة اهلية واحدة هي مدرسة الدومنيكان^(٥) .

دخلت القوات البريطانية مدينة الموصل واحتلتها في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وأصبح الكولونيل ليجمن G. E. Leachman حاكماً عسكرياً وسياسياً فيها . وبعد ان تولى الميجر همفري بومان H. E. Bowman نظارة المعارف العمومية في بغداد أناط مهمة تنظيم التعليم في الموصل الى الكابتن بيس E. H. Basc وعينه وكيلاً لناظر المعارف في الموصل في مطلع كانون الأول ١٩١٨ .

عندما تولى كابتن بيس إدارة التعليم في الموصل ، وكانت في الموصل (٦) مدارس ابتدائية للبنين ، وهي مدارس : الوطن ، ودار العرفان ، وجامع الخضر وشمس المعارف ، ودار الآداب ، ورهبر ترقي ، و(٣) مدارس للاناث خاصة بالبنات المسلمات وهي مكتب الاناث المركزي ، ومكتب تدريس نخوة ، ومكتب هداية العرفان . وكان لطائفة الكلدان (٣) مدارس للبنين ، وللدومنيكان مدرستان للبنات واربع مدارس في القرى المحيطة بالموصل خاصة بالبنين ، وكان لطائفة السريان الكاثوليك مدرستان واحدة منها للبنات بأسم المدرسة التوماوية والثانية للبنين بأسم مدرسة الطاهرة^(٦) .

وكان في الموصل ايضا في هذا الوقت دار للمعلمين اشغلتها القوات العثمانية في اثناء الحرب ثم اشغلتها القوات البريطانية بعد احتلال الموصل وكان فيها (٧) طلاب وعدد قليل من المعلمين كما كان هناك مكتب اعدادي ملكي واحد^(٧) .

لقد اغلق الكابتن بيس المدارس الموجودة في الموصل بحجة ان معظم معلميا من الاتراك او من ذوي الثقافة التركية عدا مدرسة واحدة هي مدرسة الوطن ، والغى (مكتب الاعدادي ملكي) ووزع طلابه بين مدرسة الوطن ومدرسة الخضرية التي حلت محله^(٨) واستغنى عن عدد كبير من المعلمين

أما في العراق فلم تشهد البلاد بولاياتها الثلاث بغداد والموصل والبصرة اصلاحات ذات أهمية الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكانت اولى محاولات الاصلاح في عهد مدحت باشا في سنوات ١٨٦٩ - ١٨٧٢ وشمل الاصلاح مجالات متعددة في الحياة العامة بما فيها التعليم ، وقد استند مدحت باشا الى قانون الولايات العثمانية الذي صدر سنة ١٨٦٤ لتنظيم إدارة البلاد . فعرف العراق في عهده لأول مرة تنظيمًا إداريًا محكمًا ارتبطت بوساطته انحاء العراق كافة بمراكز ادارية رئيسة ، فأرسي بذلك دعائم الادارة الحديثة في العراق متمثلة في إدارة مركزية مركزها بغداد تتولى شؤون البلاد كافة ، ونالت التربية والتعليم اهتماماً خاصاً عند مدحت باشا ، وكان اول وال عثماني يعمل على تحديث التعليم ضمن اهتمامه باصلاح الاوضاع العامة ، ولم يكن في العراق قبل ولاية مدحت باشا الا بضع مدارس ابتدائية تابعة للارساليات التبشيرية او تلك التي كانت عائدة للطوائف المسيحية في الموصل وبغداد^(٩) .

لم تكن هناك أية مدرسة ابتدائية رسمية في الموصل الى سنة ١٨٨٩* * غير انه كانت هناك ثلاث مدارس رشيديّة تحوي صفوفاً ابتدائية ، وبلغ عدد المدارس الابتدائية في ولاية الموصل سنة ١٩٠٥ (٣٠) مدرسة^(٣) كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية الموجودة في الموصل في نهاية الحكم العثماني اربع سنوات ، وكانت تقبل الاطفال الذين لا تقل اعمارهم عن ست سنوات ، اما المدارس الرشدية فقد بلغ عددها في سنة ١٩٠٥ (١٤) مدرسة^(٤) وكانت مدة الدراسة في المدارس الرشدية ثلاث سنوات بعد اتمام الدراسة الابتدائية ، وترى بعض المصادر ان عدد مختلف انواع المدارس التي كانت موجودة في الموصل في اثناء الاحتلال البريطاني للعراق اي في عام ١٩١٥ ، (٥١) مدرسة ابتدائية فيها ٤ مدارس



المدرسة الخضرية ١٩١٩

اتفقت نظارة المعارف في الموصل في نيسان عام ١٩١٩ مع رؤساء الطوائف المسيحية وعدت مدارسهم بموجب هذا الاتفاق مدارس شبه حكومية. تشرف عليها نظارة المعارف وتتولى صرف رواتب معلمها، واشترطت نظارة المعارف على تلك المدارس على ان لا تستخدم المدارس الا لأغراض تعليمية وان تحافظ على مستواها العلمي وان تدرس

غير المؤهلين او الذين لم يرغبوا في الاستمرار بمهنة التعليم.

واستمرت ثلاث مدارس ابتدائية خاصة بالطوائف المسيحية بتدريسها وهي مدرسة شمعون الصفا، وكانت مدرسة خاصة بالكلدان، ومدرسة الطاهرة وكانت خاصة بالسريان، ومدرسة مارتوما وكانت خاصة باليعاقبة. ووافق بيس على فتح



مدرسة الطاهرة في الثلاثينات
(مجموعة بهنام حبابه)

اللغتين العربية والانكليزية^(٩).

اتخذ الكابتن بيس اجراءات لاعادة فتح مدرسة البروستانت التابعة لبعثة الكنيسة الانكليزية، وقرر ايضا فتح مدرسة اولية في قرية سنجار لتعليم ابناء اليزيدية القراءة والكتابة، وقام

مدرسة لليهود، واستحدثت بيس مدرسة ابتدائية لاطناء المسلمين سميت بالمدرسة الخزرجية، وقام ايضا بفتح مدرستين ابتدائيتين للبنات المسلمات ابتداء من مطلع عام ١٩١٩ سميت الاولى بمدرسة حديقة المعرفة والثانية بالمدرسة الخزامية.

بفتح عدد من المدارس الاولى في بعض القرى المسيحية مثل تكليف، وقره قوش، وبخزاني، والقوش، وتلشقف، وكركليس^(١١) واقدمت السلطات البريطانية كذلك على فتح وإعادة فتح بعض المدارس الابتدائية في مناطق أخرى تابعة للموصل في كانون الثاني ١٩١٩ فتحت مدارس محلية في تلعفر ودهوك وعقرة^(١٢).

وضع بيس في تموز ١٩١٩ شروطا للقبول في المدارس الابتدائية وحدد سن القبول في هذه المدارس بأن لا يقل عن ست سنوات ولا يزيد على ثلاث عشرة سنة، وفرض اجراء امتحان للطلبة قبل قبولهم لتحديد الصفوف المناسبة لهم. كما قرر فرض اجرة شهرية على الطلبة باستثناء الذين لا تسمح ظروفهم المادية من دفع الاجرة، وبناء على ذلك استثنى طلاب المدرسة الخزرجية من الاجرة الشهرية والتي كان قدرها روية واحدة.

عندما تسلم الميجر همفري بومان ادارة المعارف في العراق بتاريخ ٢٢ آب ١٩١٨، وكان خبيراً تربوياً عمل في وزارة المعارف المصرية مدة طويلة مع المستشار دوكلاس دنلوب D.Dunlop عمل على احداث تغييرات في بنية النظام التعليمي في العراق مستفيداً من نظام التعليم العثماني ونظام التعليم في مصر ووضع خطوطاً عامة لسياسة تعليمية اثرت فيما بعد في طبيعة النظام التعليمي في العراق، وبعد احتلال الموصل والحاق الموصل بالادارة المدنية في بغداد طبقت عليها نفس المبادئ العامة للسياسة التربوية التي تبناها بومان، وعمل على تنفيذها واصبحت اساساً لسياسة التعليم في فترة الانتداب البريطاني، وقد عمل بومان على اعادة تنظيم مجلس المعارف وزاد عدد اعضائه وعمل على تنشيط دوره في مناقشة وتنفيذ مخططاته في مجال التعليم، وبعد احتلال الموصل نظم المعارف على اساس تقسيم العراق الى اربع وحدات ادارية، كانت الوحدة الاولى لمنطقة معارف بغداد

وشملت لواء الدليم، وسامراء، والكوت وديالى فضلاً عن بغداد، والوحدة الثانية كانت لمنطقة معارف الموصل وشملت هذه الوحدة ادارة المعارف في المنطقة الشالية، الموصل وضواحيها، ودهوك، وتلعفر، واريل والكوير، وعقرة وزاخو والسليمانية، وكركوك، وكانت الوحدة الادارية الثالثة لمنطقة معارف الحلة، أما الوحدة الادارية الرابعة فكانت لمنطقة معارف البصرة.

استهدفت السياسة التعليمية التي وضعها بومان كما جاء في المذكرة الخاصة التي رفعها في ١٢ آب ١٩١٩ الى الحاكم الملكي العام البدء بالعمل على تحسين وضع التعليم الابتدائي والمباشرة بفتح مدارس ابتدائية في الاماكن التي هي بحاجة ماسة اليها على الرغم من الصعوبات التي كانت تواجه السلطات التعليمية الناتجة عن النقص الكبير في عدد المديرين والمعلمين الكفاء، وقد انعكست هذه السياسة على حالة التعليم في الموصل، فقد وجه بومان الكابتن بيس بالمباشرة بأعادة وفتح مدارس في مناطق مختلفة من الموصل والمدن والقصبات والقرى التي تتبع ادارة المعارف في منطقة الموصل، وبدأ بيس فعلاً كما بينا سابقاً بفتح عدد من المدارس في الموصل واطرافها والمناطق التابعة لمعارف الموصل، اذ اعيد فتح المدارس الابتدائية في كل من اربيل، والكوير، وتلعفر ودهوك، وعقرة، وزاخو، واعيد فتح مدرسة السليمانية وقرر اعادة فتح المدرسة العلمية ومدرسة ابتدائية في مدينة كركوك^(١٣).

اصبح سلم التعليم في المدارس العاملة في الموصل - كما هو الحال آنذاك في مناطق المعارف الاخرى في العراق - في ضوء السياسة التي وضعها بومان يتكون من: المدرسة الاولى، والمدرسة الابتدائية، والمدرسة الاعدادية، حددت مدة الدراسة في المدرسة الاولى بأربع سنوات، وجعل في المدارس الابتدائية قسماً يعرف بالقسم الاول

يقضي فيه الاطفال مدة سنتين قبل انتقالهم الى القسم الابتدائي في المدرسة الابتدائية، ومدة الدراسة في القسم الابتدائي كانت اربع سنوات، واصبحت مدة الدراسة في المدرسة الابتدائية بقسميها ست سنوات، وقد استوحى بومان هذا النظام من نظام التعليم في مصر حيث كانت المدارس الاولى مدارس للقرى والمدن الصغيرة، وكان منهج الدراسة فيها بسيطاً قياساً على منهج المدرسة الابتدائية وساعات الدراسة فيها اقل ولا تعلم فيها اللغة الانكليزية. وكان من الممكن ان تتحول المدرسة الاولى في بعض الحالات وتصبح مدرسة ابتدائية ان كانت هناك ظروف ملائمة لذلك، أما المدرسة الابتدائية فكانت اقرب الى (المكتب الرشدي) الذي كان في العهد العثماني، وكانت ارقى من (المكتب الابتدائي) في العهد العثماني.

أقر بومان مدة الدراسة في المرحلة الثانوية اربع سنوات غير انه رفض البدء بأنشاء مدارس ثانوية مبرراً ذلك بعدم توافر المعلمين الكفاء، وأرجأ النظر في امر التعليم الثانوي ريثما يتوافر العدد الكافي من المعلمين واكتفى في الموصل بالصف الثانوي الذي فتح في بناية (مدرسة الوطن) الابتدائية وبوشري في ١٥ أيلول ١٩١٩ للتدريس في هذا الصف. وفي السنة اللاحقة استقدمت نظارة المعارف العمومية بعض المدرسين من لبنان ومصر وعينت بعضاً منهم للتدريس في ثانوية الموصل وقد بقيت هذه المدرسة في مكانها حتى سنة ١٩٢٢ حيث اصبحت تشغل الطابق الثاني من المدرسة الخضرية^(١٣). واكتفى ايضا بالصفوف الثانوية التي فتحت في مناطق اخرى من العراق في بغداد والبصرة كما واكتفى ايضا بالمدارس الاهلية والاجنبية التي كانت تقدم تعليمًا ثانويًا في مناطق مختلفة من العراق. غير ان بومان اوضح في مذكرته التي سبقت الإشارة إليها أنه يعمل على تطوير هذا النوع

من التعليم بفتح مدارس ثانوية بالتدريج في المدن الرئيسية في العراق لتصبح المدرسة الثانوية المخرج الرئيس للعاملين في خدمة الحكومة.

حاول بومان النهوض بالتعليم النسوي، ورأى من الضرورة استحداث مدارس لتعليم البنات الموصليات، وفعلاً تم افتتاح مدرستين رسميتين للبنات في الموصل عام ١٩١٩، وكانت هناك مدارس قائمة آنذاك في الموصل لتعليم بنات الطوائف الاخرى، وكانت تابعة لمؤسسات أهلية.

لم يفرض بومان دواما الزاميا على الطلاب بل جعله اختياريا كما كان سائدا في العهد العثماني، غير انه اقترح فرض اجور على التعليم والذي ظهر فعلاً في شروط القبول التي وضعها الكابتن بيس في مدارس الموصل عام ١٩١٩، واقترح بومان ايضا فرض غرامة على آباء الطلبة الذين ينقطعون عن الدوام اسلوبا لتنظيم الدوام والحفاظ على استمراره في المدارس الحكومية.

طبع بومان في وقته منهج للمدارس الاولى والابتدائية باللغتين العربية والانكليزية، وأناط بالحاكم السياسي في منطقة الموصل مهمة التأكد من تطبيق المنهج، وكان منهج الدراسة في المدارس الاولى الذي طبق في الموصل اعتبارا من السنة الدراسية ١٩٢٠ / ١٩١٩ يحتوي على المواد الدراسية الآتية خلال السنوات الاربع التي هي مدة الدراسة فيها وهي: القرآن الكريم والتعليم الديني، واللغة العربية، والخط العربي، والحساب والجغرافية، والتاريخ، والرسم، والاشغال اليدوية، والهندسة، والمساحة، ومبادئ الزراعة، والارشاد، والرياضة البدنية، وبمجموع (٣٤) ساعة اسبوعيا لكل صف من الصفوف الاربعة. اما المنهج الدراسي للمدرسة الابتدائية ذات السنوات الستة والتي اشتملت على سنتين للدراسة الاولى واربع سنوات للدراسة الابتدائية فكان يشتمل على المواد الدراسية الآتية: القرآن والتعليم الديني، واللغة العربية، والخط العربي،

العالية الاولى ، وقد وضع مدير هذه المدرسة السيد محمد رؤوف الغلامي « نظاماً اقتصادياً » لهذه الدار سماه (صندوق الاقتصاد) ثم فصله عن (دار الاداب مكتبي) وجعله مؤسسة مستقلة بذاتها سميت (دار الاداب) وفي سنة ١٩١٧ وضع لها مناهجاً خاصاً يشمل على شعبتين هما الشعبة العلمية والشعبة الاقتصادية ، وقد بدل السيد الغلامي اسم (دار الاداب) قبيل احتلال القوات البريطانية لمدينة الموصل الى (جامعة الاداب) كي تكون مؤسسة شبه علمية ووضع مع متسبي الدار نظاماً لجامعة الاداب .

وقد أخذ فيما بعد اعضاء الجامعة يعملون على تطوير الشعبة العلمية وتحويلها الى معهد علمي ووضعوا نواته على هيئة مدرسة ابتدائية سميت بدار النجاح ، وقد اصبحت مدرسة كاملة ذات ستة صفوف في سنة ١٩٢٢ . غير ان سلطات الاحتلال البريطاني احقت هذه المدرسة بمدارسها الرسمية .

وفي تشرين الاول من سنة ١٩١٩ تم فتح مدرسة اخرى سميت بالمدرسة الاسلامية وقد خطط لمنهجها ان تكون مدرسة متكاملة تشتمل على اربع مراحل (دورة) اولية ومتوسطة ، وثالية وعالية ، وتمتد الدراسة في كل مرحلة (دورة) لثلاث سنوات ، وقد اعتمدت هذه الدراسة في انشطتها على التبرعات الاهلية غير انها شملت بالمساعدة المالية التي اقترتها نظارة المعارف العمومية في الموصل وفق « القانون الخاص بالمساعدات المالية »^(١٥) .

عمل بومان على اصدار انظمة وتعليمات مدرسية طبقت في الموصل وفي المناطق الاخرى من العراق ، وتبنت هذه الانظمة والتعليمات اسساً مرنة واعطيت فيها الحرية لمدير المدرسة للعمل على ادارة مدرسته وفق كفاءته وابداعه الذاتي ، واعد بومان هذه الانظمة بمشابة (دليل حفظ النظام والانضباط) وليست انظمة صارمة في سبيل ان تكون مقبولة لدى المعنيين ، وقد وضع بومان ايضا حدوداً لصلاحيات الحاكم السياسي ونظم العلاقة بينه وبين ناظر المعارف ، واكد على ضرورة

والحساب ، والجغرافية ، والتاريخ ، والرسم ، والاشغال اليدوية ، والهندسة ، ودروس الاشياء ، والترجمة ، واللغة الانكليزية ، والخط الانكليزي ، والرياضة البدنية ، ومجموع (٣٤) ساعة اسبوعياً لكل صف من الصفوف الستة . وكان دوام المدارس يبدأ من الساعة الثامنة صباحاً وينتهي الساعة الرابعة عصراً تتخلله فترة استراحة في اثناء الظهر من الساعة الثانية عشر والنصف الى الساعة الواحدة والنصف ويتعطل الدوام مساء يوم الخميس ويوم الجمعة من كل اسبوع . واخضع جميع المدارس غير الحكومية في منطقة معارف الموصل لتفتيش نظارة المعارف وجعل هذه المدارس مشمولة بالمساعدات المالية ، وجعل مقدار المساعدة يختلف باختلاف اهلية كل مدرسة وأهليتها . اذ تم الاتفاق في شهر نيسان سنة ١٩١٩ بين نظارة المعارف في الموصل ورؤساء الطوائف الكاثوليكية في الموصل (الكلدان والسريان واللاتين) وتُسميت هذه الاتفاقية بأسم الكونكورساتو واستناداً الى هذه الاتفاقية عدت المدارس الخاصة بالطوائف الكاثوليكية مدارس شبه حكومية تتولى نظارة المعارف الاشراف عليها وصرف رواتب معلمها مع محافظة هذه المدارس على طابعها ، وعندما عين الكابتن جيروم فارل Farrell وكيلاً لناظر معارف الموصل خلفاً للكابتن بيس اراد ان يضني على هذا الامرصة الاستمرار ، اذ وضع مشروعاً وارسله الى بغداد لمصادقة الميجر بومان عليه وبعد اجراء تعديلات على المشروع وافق عليه بومان وقد تضمن المشروع تقديم مساعدات مالية الى مدارس الطوائف المسيحية ، ومن أبرز المدارس التي شملتها الاتفاقية مدرسة شمعون الصفا للكلدان ، ومدرسة مارتوما لليعاقبة ومدرسة الطاهرة للسريان^(١٦) .

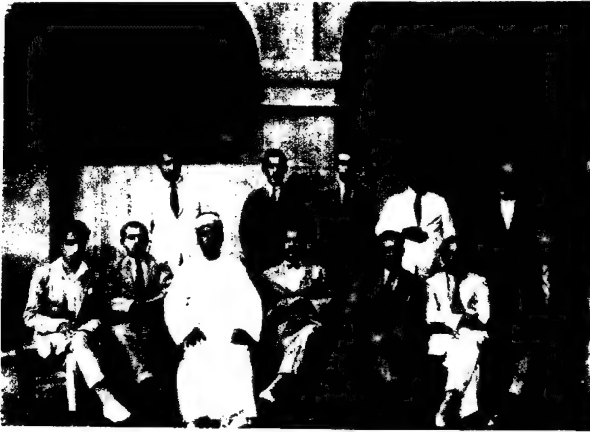
أما فيما يتعلق بالمدارس الاهلية في الموصل فيرجع ظهورها الى قيام دائرة المعارف التركية بإنشاء مدرسة ابتدائية في الموصل بأسم (دار الاداب مكتبي) واستمرت بعملها حتى أيام الحرب

العمري في مطلع سنة ١٩١٩ لفتح صف للهندسة الغرض منه تخريج مهندسين مساحين، غير ان عمل هذا الصف لم يستمر طويلاً^(١٧).

التربية والتعليم في فترتي الانتداب والاستقلال (١٩٢٠-١٩٥٨):

كان تطور التعليم في الموصل في فترة الانتداب من ٢٦ نيسان ١٩٢٠ ولغاية الثالث من تشرين الاول ١٩٣٢ جزءاً من حالة تطور التعليم في العراق، الذي كان متأثراً بالوضع العام الذي نشأ بسبب تغيير السياسة البريطانية في كيفية حكم العراق من حكم مباشر الى حكم غير مباشر وذلك بربطه بالاحلاف والمعاهدات التي تضمن استمرار النفوذ البريطاني، فقد شهدت فترة الانتداب كما

التعاون بين الحاكم السياسي وناظر المعارف^(١٦). وطبق بومان في الموصل وفي المناطق الاخرى من العراق قراراً حدد فيه اعمار الطلاب الذين يقبلون في الصفوف الاولى من المدارس الاولى، وحدد فيه ايضا ضوابط انتقال الطلاب من مدرسة الى اخرى، فقد حدد القرار بعدم قبول الاطفال الذين اعمارهم تقل عن ٦ سنوات او الذين تزيد اعمارهم عن ١٣ سنة في المدارس الاولى والابتدائية كما تضمن القرار عدم قبول الطالب بعد مضي شهرين على افتتاح المدارس الا اذا اقترن بتصديق من نظارة المعارف والذي يكون في احوال خاصة، واجاز القرار نقل الطلاب المقيدين في المدارس الى مدارس اخرى وكذلك قبولهم في اي وقت كان على ان يبرزوا شهادة نقل.



ملاك احاديدي الموصل ١٩٢٧-١٩٢٨ ويظهر فيها رشيد الخطيب وعبد الرحمن صالح ودرويش المقدادي وداؤد سليم (المدير) والمستر مارتن مدرس اللغة الانكليزية.

هو الحال في فترة الاحتلال تدخلا واضحا من المستشارين الانكليز في شؤون التربية والتعليم وتعدد معالم السياسة التعليمية وتوجيهها في الاتجاه الذي ينسجم مع سياسة سلطات الانتداب، وشهدت الفترة من جانب اخر اهتمام العراقيين بوضع الاسس العامة لنظام تعليمي وطني قومي يهتم بالتاريخ العربي واللغة العربية، وكان لسلطان الحصري (١٨٨٢-١٩٦٨)، المرئي

ومن المسائل التربوية المهمة التي قام بها بومان في مجال تنظيم التعليم والتي طبقت في الموصل هي اصدار تعليمات لتنظيم الامتحانات العامة الحكومية (البكالوريا) في سنة ١٩١٩، وقررت اجراء هذه الامتحانات في الموصل فضلا عن بغداد والبصرة. اما فيما يتعلق بالمدارس الصناعية فلم تؤسس في هذه الفترة اية مدرسة صناعية رسمية، غير انه كانت هناك محاولة قام بها في مدينة الموصل امين بك



سالم الحصري

كانت مدة الدراسة فيها سنتين والثانوية ومدة الدراسة فيها ايضا سنتان، وفي سنة ١٩٢٩ أصدرت وزارة المعارف منجهاً مؤقتاً للدراسة الثانوية زيدت بموجبه مدة الدراسة سنة واحدة واصبحت مدة الدراسة فيها خمس سنوات خصصت السنوات الثلاث الاولى للدراسة المتوسطة والسنتان الاخيرتان للدراسة الاعدادية، وبقي هذا الهيكل معمولاً به في المرحلة الثانوية لفترة طويلة بعد هذا التاريخ^(١٩).

وهكذا تم في فترة الانتداب استكمال الجزء الاعظم من الاسس العامة لنظام التربية والتعليم الحديث في جميع الوية العراق بما فيها لواء الموصل. ولم تشهد فترة الاستقلال، التي بدأت في الثالث من تشرين الاول سنة ١٩٣٢ وحتى اعلان الجمهورية سنة ١٩٥٨، الا تغييرات طفيفة في مجال البناء الهيكلي للنظام التعليمي وخاصة في مرحلة التعليم العام. فقد كان النظام التعليمي في الموصل، كما هو الحال في الوية العراق الاخرى عند اعلان استقلال العراق، يتكون من مرحلة ابتدائية فيها نوعان من التنظيم، الاول هو المدارس الاولى التي كانت مدة الدراسة فيها اربع سنوات، والمدارس الابتدائية التي كانت مدة الدراسة فيها ست سنوات، وتتكون من حلقتين الاولى اولية ومدتها سنتان والثانية مدتها اربع سنوات تشتمل على خصائص التعليم الاولي والتعليم المنظم، اما فيما يتعلق بالتعليم الثانوي فقد طبق في الموصل سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ المنهج الجديد حيث اصبحت مدة الدراسة في التعليم الثانوي خمس سنوات بعد ان كانت اربع سنوات، موزعة على مرحلتين تفصيليتين الاولى متوسطة ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، والثانية ثانوية ومدة الدراسة فيها سنتان تشتمل على فرعين ادبي وعلمي. أما فيما يتعلق بالمدارس المهنية فقد كانت هناك في عهد الاستقلال مدرسة صناعية واحدة في الموصل. احتوت على فروع قليلة وكان عدد طلابها سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ (٨٠) طالباً^(٢٠). ولم تكن في الموصل في هذه الفترة اية

والمفكر العربي القومي المعروف، والذي تولى ادارة التعليم بين ١٩٢١ - ١٩٢٧ ووضع أسسه الجديدة القائمة على النظريات التربوية الحديثة والاعتبارات القومية ومتطلبات المرحلة الجديدة، اثر كبير في تطور التعليم الوطني في العراق، فعلى المستوى الرسمي عبر مناج الوزارة القبيية الثانية في ١٢ ايلول ١٩٢١ (وزارة عبد الرحمن النقيب) عن هذا الاهتمام بتأكيده ان الوزارة الجديدة تسعى الى ترقية العلوم والمعارف في العراق واشراك الاهلين في الاسهام بهذا العمل، واخذت الحكومة تعمل على تهيئة مستلزمات اعداد العراقيين ليسلم مقابل الامور بعد انتهاء الانتداب، وتحملت وزارة المعارف مهمة هذا الاعداد لذلك نلاحظ محاولات كثيرة بذلتها السلطات التربوية العراقية في فترة الانتداب لتوسيع خدمات التعليم بجميع مراحلها في جميع الوية العراق بما فيها لواء الموصل.

شهد التعليم في الموصل بجميع مراحلها كما هو الحال في الوية العراق الاخرى نموا ملحوظا في فترة الانتداب، وقيل صدور قانون المعارف العامة رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٩ متمثلا بنمو نسبي في حجم الخدمات التعليمية في المرحلة الابتدائية والثانوية وتحسن نسبي في نوع التعليم، واتخذت السلطات التربوية في اللواء تدابير في توفير التعليم الثانوي للتلاميذ الذين يكملون الدراسة الابتدائية، واتخذت اجراءات استهدفت تنظيم التعليم بصورة افضل في هذه المرحلة اذ نظمت امتحانات عامة للدراسة الثانوية سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ وطبقت المنهج الجديد للدراسة الثانوية سنة ١٩٢٦ بقسميها المتوسطة التي



بنية الاعدادية الشرقية : تصوير حسين احمد عبيد

مؤسسة تعليمية عالية . واستمر التعليم ينمو بعد الاستقلال في الموصل تدريجياً وبصورة بطيئة نسبياً قياساً لحاجة البلاد الفعلية للخدمات التعليمية ولم تحصل تغييرات كبيرة في انساق النمو الا بعد ثورة ١٩٥٨ .

التربية والتعليم بعد ثورة ١٩٥٨ :

وجهت جهود كبيرة لاصلاح الواقع التربوي بعد ثورة ١٩٥٨ وصدرت على مستوى القطر تشريعات نظمت بموجبها شؤون التربية والتعليم^(٢١) . فقد صدر نظام وزارة التربية رقم ٥٧ لسنة ١٩٥٩ ، اذ حدد النظام هيكل وزارة التربية ومسؤولية الوزير والوزارة في مجال التعليم العام والمهني ، وتضمن مواد لتنظيم مراحل التعليم مستنداً الى الاسس السابقة لتنظيم التعليم في القطر^(٢٢) . وشهدت سنوات الستينات اهتماماً نحو تخطيط السياسة التربوية ، وانعكس هذا الاهتمام على نشاط اجهزة التربية والتعليم في الوجة العراق بما فيها الموصل ، وتعد سنة ١٩٦٣ بداية للنشاط التخطيطي للتربية على مستوى القطر ، فقد تم تشكيل اول مجلس اعلى للتخطيط التربوي وحددت وظائفه بوضع فلسفة تربوية للعراق ، ووضع الاهداف التربوية لكل مرحلة من مراحل التعليم ، ورسم الخطط ويجاد الاساليب المناسبة لتنفيذها .

التربية والتعليم بعد ثورة ١٩٦٨ :

صدر بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ عدد كبير

من القوانين والانظمة التي عاجلت مسائل ذات اهمية كبيرة في مجال تطوير النظام التعليمي في العراق ، ومعالجة معوقات اساسية كان يعاني منها النظام التربوي والتعليمي في الفترات التي سبقت ثورة تموز سنة ١٩٦٨ ، ومن بين هذه التشريعات التي صدرت بعد الثورة وتركزت آثارها على حالة التربية والتعليم : قانون وزارة التربية رقم ٢٤ لسنة ١٩٧١ ونظام وزارة التربية المعدل رقم ١٣ لسنة ١٩٧٢ ونظام الامتحانات العامة المعدل رقم (١٩) لسنة ١٩٧٢ ، ونظام محو الامية رقم ٣ لسنة ١٩٧٣ ، وقرار مجلس قيادة الثورة القاضي بمجانبة التعليم رقم ١٠٢ لسنة ١٩٧٤ ، وقانون التعليم الاكاديمي رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦ ، ونظام التعليم الثانوي رقم ٢ لسنة ١٩٧٧ ، ونظام اعداد المعلمين رقم ٣٧ لسنة ١٩٧٧ ، ونظام رقم ٣ لتعديل نظام وزارة التربية لسنة ١٩٧٨ ، ونظام رياض الاطفال رقم (١١) لسنة ١٩٧٨ ونظام الحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الاكاديمي (٢) لسنة ١٩٧٩ ، وقد جعلت التشريعات المذكورة التعليم متاحاً لجميع ابناء المجتمع في العراق بكافة محافظات ، وتبعاً لذلك تطور التعليم في محافظة نينوى تطوراً لم يشهده الفترات السابقة ، وبدأت في المحافظة منذ بداية ثورة ١٩٦٨ ، خاصة بعد ان وضعت وزارة التربية خططها بعد الحلقات الدراسية التي عقدت حول تطوير التربية والتعليم في العراق في عام ١٩٧٠ ، حركة نشطة في تطوير مؤسسات التربية والتعليم في المحافظة سواء في مجال توسيع خدماتها لتشمل فئات واسعة من المتعلمين أو من حيث تحسين نوعية الخدمات التعليمية والتربوية ، ومن بين اهم الاحداث التربوية التي شهدتها المحافظة محو الامية الاكاديمي والزامية التعليم الابتدائي والتوسع الكبير في التعليم الثانوي بمرحلتيه المتوسطة والاعدادية ، ونمو التعليم المهني واعداد المعلمين ، فضلاً عن التطور الكبير في مجال نمو رياض الاطفال وتطوير اساليب التربية فيها .

المواش

- (١١) احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ١٠٤.
 - (١٢) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٦.
 - (١٣) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٤.
 - (١٤) Diskin, John, J., The, "Genesis" of the Government Education System in Iraq, Pittsburgh University 1971, p. 332.
- وكذلك انظر: احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ١١٥.
- (١٥) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٩ - ١٢٤.
 - (١٦) ملكية مجر هفري يومان في ١٢ / آب / ١٩١٩، انظر: الهلالي، عبد الرزاق ص ١٥٤ - ١٥٧.
 - (١٧) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١٨٦.
 - (١٨) مزعل، جمال أسد، المرجع السابق، ص ٤٢ - ٢٣.
 - (١٩) رضا، محمد جواد، دراسات في التعليم الثانوي المقارن، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٢، ص ١١٤.
 - (٢٠) الحكومة العراقية. وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف للسنوات الثلاث ١٩٣٠ - ١٩٣١، ١٩٣١ - ١٩٣٢، ١٩٣٢ - ١٩٣٣، بغداد، ١٩٣٤.
 - (٢١) وزارة التربية، المديرية العامة للتخطيط التربوي، قسم التوثيق والدراسات تطور التربية والتعليم في العراق خلال السنين ٧٢ / ١٩٧٣ - ١٩٧٤ / ٧٣، تقرير مقدم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ٧٨. بغداد ١٩٧٤، ص ٣.
 - (٢٢) وزارة التربية، المديرية العامة للتخطيط التربوي - قسم المتابعة والتقدم، حولية الثقافة العربية، تطور التربية والتعليم وعصر الامة في العراق للفترة ١٩٦٣ - ١٩٧٠، تقرير مقدم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٧٠، ص ٨ - ٤ (طبع بالروني).
- (٥) يشكر الباحث السيد علي سليمان حسين المساعد الباحث في قسم العلوم النفسية والتربوية بكلية التربية جامعة الموصل لما قدمه من جهد في جمع بعض البيانات الاحصائية.
 - (١) مزعل، جمال أسد، نظام التعليم في العراق، مطبعة التعليم العالي الموصل ١٩٩٠، ص ٢١.
 - (٢) أحمد، ابراهيم خليل، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ - ١٩٣٢، الطبعة الاولى، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٤٩.
 - (٥٥) هناك اشارة واحدة الى وجود مدرسة ابتدائية واحدة اسست في الموصل سنة ١٨٦٩ انظر: احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ٤٩.
 - (٣) فيضي، سليمان، في غمرة النضال، بغداد ١٩٥٢، ص ٥٨ - ٥٩، انظر: احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ٤٣.
 - (٤) احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ٤٥ - ٤٦.
 - (٥) الحصري، ساطع، ملكراطي في العراق، ج ١، بيروت ١٩٦٧، ص ١١٥.
 - (٦) قاشا، سهيل، تاريخ ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك، بغداد ١٩٨٤، ص ٤٠٨.
 - (٧) الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩٢١، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٥، ص ١١٢.
 - (٨) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٣.
 - (٩) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٧.
 - (١٠) احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ١٠٤.

جامعة الموصل

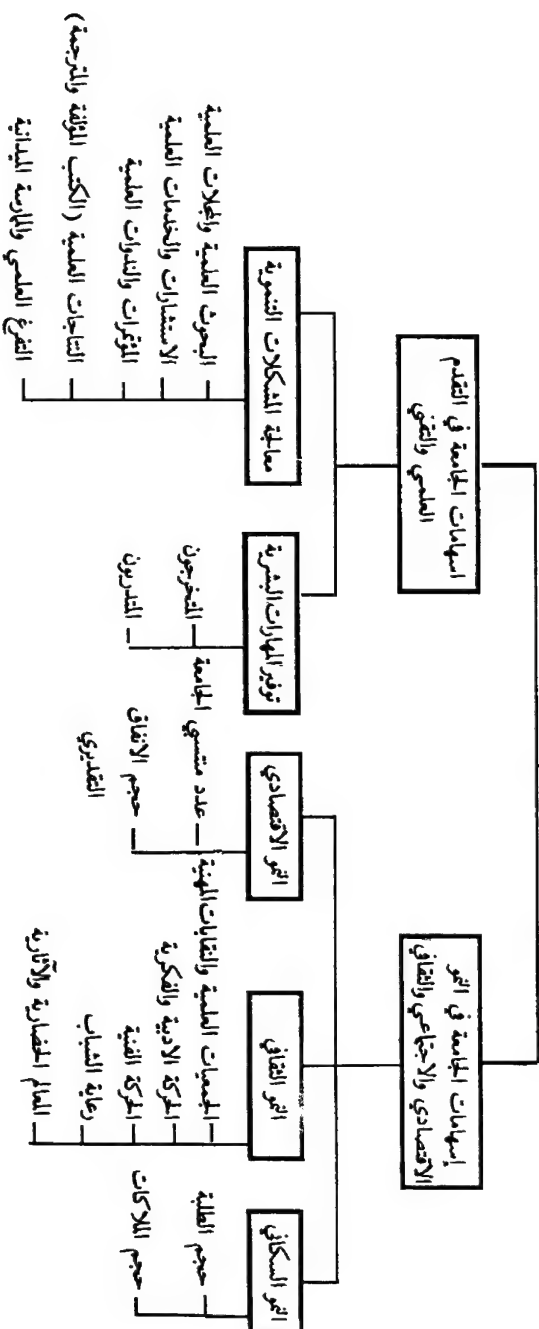
٥. محمد حربي حسن

في مسيرة النهوض الحضاري التي عاشها العراق في العقدين السابقين. ويعتمد البحث في ذلك على تقديم صورة عن الجامعة بوصفها مؤسسة ثقافية عريقة جزءاً من مدينة الموصل التي كانت ولا تزال تمثل جانباً جوهرياً لحضارة العراق وشاهداً من شواهد الحضارة العربية والاسلامية. هذه الصورة عن جامعة الموصل تتجه لتحديد اسهاماتها في الحفاظ على تلك الشواهد فضلاً عن ترصين الفعاليات التنموية في المدينة وتوفير عوامل نهوضها

تمهيد:

تعد جامعة الموصل واحدة من أهم المظاهر الحضارية للمجتمع ليس على صعيد اقليمها (مدينة الموصل) فحسب بل وعلى صعيد القطر العراقي ايضاً. فقد كانت هذه الجامعة منذ تأسيسها ولا تزال منارة علمياً يفتقد بعباءاته المعرفية والمهنية المتنامية التي اسهمت في النهوض الثقافي والحضاري للمجتمع ومن ثم تقدمه وتنميته. ويسمى البحث الى توثيق حالة التواصل بين الجامعة وبين يثبثها وذلك بهدف التعريف بدورها

مخطط اسهامات جامعة الموصل في النهوض الحضاري لمدينة الموصل



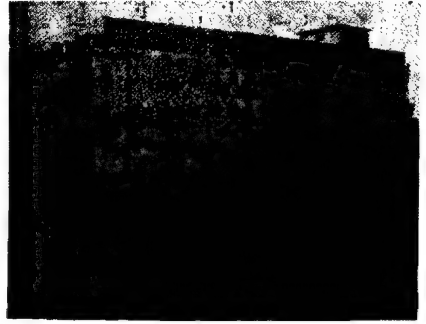
الحضاري والثقافي. وسيتناول البحث جامعة الموصل: النشأة والتطور وأسهمات الجامعة على صعيد التقدم العلمي والتقني وكذلك في جوانب النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمدينة.

جامعة الموصل، النشأة والتطور:

التعريف بجامعة الموصل مدخل ضروري لفهم علاقتها بالبيئة (مدينة الموصل) فضلاً عن الحديث عن اسهاماتها في النهوض الحضاري للمدينة.. فالجامعة جزء منها.. وجزء حيوي له مكانته وأهميته.

نواة الجامعة وتأسيسها:

بدأت الجامعة نواةً بكلية الطب عام ١٩٥٨ ضمن الهيكل التنظيمي لوزارة الصحة (مديرية



كلية الطب

صحة نينوى) وبدأت التدريسات فيها العام الدراسي ١٩٥٩/ ١٩٦٠. ثم ألحقت الكلية بجامعة بغداد عام ١٩٦٠ وكان نجاح كلية الطب محفزاً في استحداث كليات أخرى وهي كلية الهندسة وكلية العلوم في العام ١٩٦٣ ولذلك استحدثت دائرة لثائب رئيس جامعة بغداد في الموصل، ثم استحدثت كلية الصيدلة وكلية الزراعة والغابات في العام ١٩٦٤ وكلية الدراسات الانسانية في العام ١٩٦٦. كما أضيف إليها معهد المحاسبة العالي في

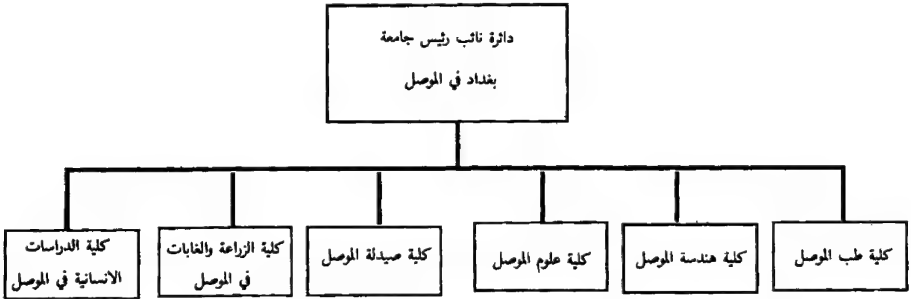
سنة ١٩٦٤. وكما موضح في المخطط التنظيمي للجامعة (الشكل / ١). فالنواة الاولى للجامعة تكاملت في أمد قصير يقارب ست سنوات. وهذا يعبر عن موقف حضاري رصين للبيئة (مدينة الموصل) فبدون امكانات أصيلة متاحة فيها وبدون وعي اجتماعي وثقافي مساعد واستعداد اقتصادي لدعم أنشطتها وتوفير مستلزماتها ماكان لهذه الجامعة ان تنمو وتستمر على النحو الذي نجدها فيه.

فبدايات جامعة الموصل عكست علاقات صميمية بينها وبين مدينة الموصل بما وفرت لها من مستلزمات متاحة اصلاً في بنائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فقيم التميز والاقدمية أساسية في المجتمع الموصل، وتراث ثقافي تلمسه المؤرخون ويتلمسه الباحثون والمتواصلون مع ابنائها. وقد كانت هذه السبات القاعدة الجوهرية لنشأة الجامعة ونموها والمحفز الداعم لديمويتها واستمرارها. وقد ساعد ذلك كله على استقلال الجامعة عن جامعة بغداد في الاول من نيسان عام ١٩٦٧ بصدر القانون ذي العدد (١٤) لسنة ١٩٦٧ الذي حدد الهيكل العلمي للجامعة بخمس هيئات علمية وكما هو موضح في المخطط التنظيمي (الشكل / ٢).

بعد مرور حوالي ثلاثة أعوام صدر قانون التعليم العالي والبحث العلمي ذو الرقم (١٣٢) لسنة ١٩٧٠ تم بموجبه إعادة هيكلة الجامعات العراقية بصيغة كليات. وأصبح بذلك الكيان العلمي لجامعة الموصل يتألف من خمس كليات وعمادة للدراسات العليا والبحث العلمي. أما الكيان الاداري لها فضم مجلس الجامعة ومجالس للكليات ومجالس للاقسام العلمية هيئات عليا لادارة الجامعة وكلياتها واقسامها العلمية، كما ضم الكيان الاداري، على مستوى الادارة المركزية للجامعة (ديوان رئاسة الجامعة)، تشكيلات متخصصة بادارة المهات

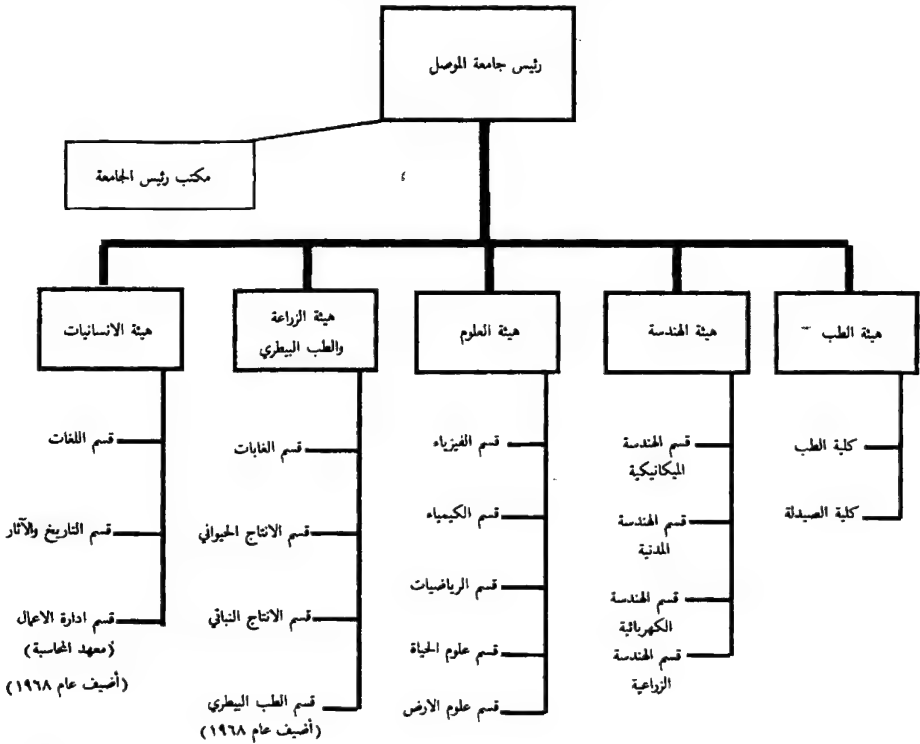
الشكل (١)

المخطط التنظيمي لثروة جامعة الموصل كما هو في العام ١٩٦٦



الشكل (٢)

المخطط التنظيمي لجامعة الموصل كما هو في العام ١٩٦٧ بموجب القانون (١٤) لسنة ١٩٦٧ .

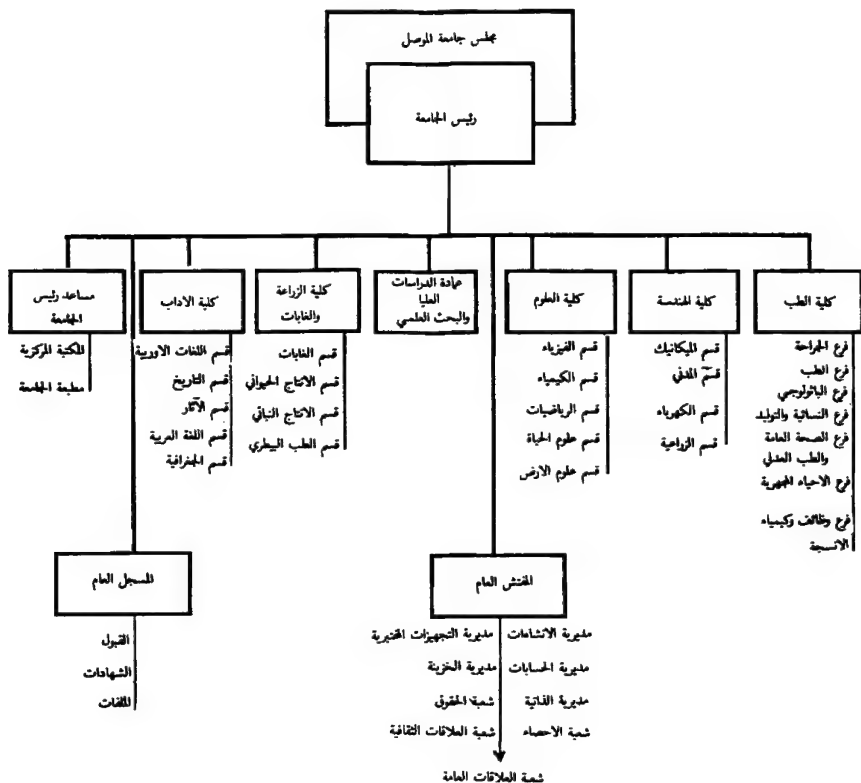


١٩٧١ - ١٩٨٥ / ١٩٨٦) استكمال كيانها العلمي والتربوي والاداري وعلى النحو المفصل في ملامح نمو هيكلها وكما يلي :

الخدمية والمساعدة وكذلك المهات المتصلة بشؤون الطلبة فضلاً عن دائرة لمساعد رئيس الجامعة . وكما هو موضح في المخطط التنظيمي (الشكل / ٣) .

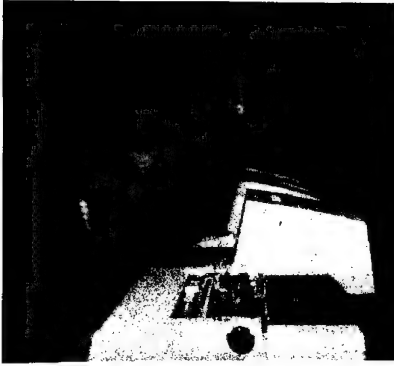
الشكل (٣)

المخطط التنظيمي لجامعة الموصل كما هو في العام ١٩٧٠



أ. نمو عدد الكليات من (٥) الى (١١) كلية بما حقق التكامل في كيانها العلمي من حيث تغطية معظم التخصصات المعرفية الرئيسة وقد اقترن النمو في التخصصات المعرفية الرئيسة بنمو مواز في التخصصات

وجاءت العناية بالجانب الاداري للجامعة ضرورة لازمة لتوفير مستلزمات النمو السريع في الكيان العلمي للجامعة على مدى السنوات الخمس عشرة اللاحقة .. حيث استطاعت الجامعة في السبعينات والى منتصف الثمانينات (١٩٧٠/



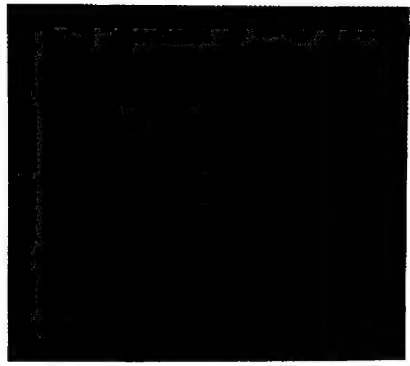
الحاسبة الالكترونية

وبذلك استطاعت الجامعة توفير الخدمات المطلوبة لدعم حركة البحث العلمي هدفاً رئيساً ثانياً للجامعة (دعم حركة البحث العلمي).

ج. تم استحداث المراكز البحثية المتخصصة في الكليات وعلى مستوى الجامعة بهدف توفير الفرص المناسبة للباحثين لانجاز بحوثهم ونحو خاص التطبيقية منها وتوظيف البحث العلمي لمعالجة المشكلات الميدانية التي تواجه مؤسسات المجتمع وافراده. وبذلك استطاعت الجامعة توفير الاطر العملية لتحقيق هدفها الرئيس الثالث (خدمة المجتمع) حيث بلغ عدد المراكز البحثية في الجامعة (٩) مراكز وكما موضح في المخطط التنظيمي (الشكل / ٤).

د. لم تقف الجامعة عند حدود اهدافها الرئيسة الثلاثة بل امتدت جهود ادارتها الى توفير البيئة الايجابية لعمل منتسبيها وذلك باستحداث ادارات متخصصة بتقديم الخدمات لمنتسبيها وعلى النحو الآتي :

١. عمادة شؤون الطلبة والشباب (الاقسام الداخلية/ صندوق تسليم الطلبة/



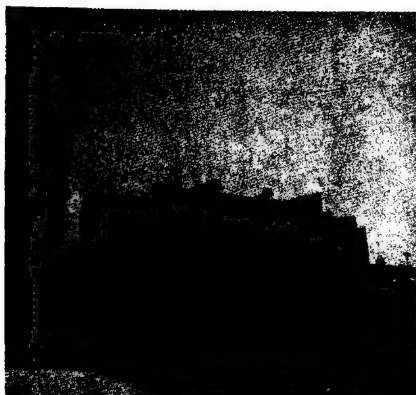
كلية التربية

العلمية العامة والدقيقة تمثل بارتفاع عدد الاقسام العلمية او الفروع العلمية من (١٩) قسم أو فرع أساسي الى (٦٥) قسم أو فرع أساسي وعلمي. وهذا يعكس قدرة الجامعة على تقديم ملاكات مهنية تقع في (٥٠) تخصص مهني او معرفي، وكما مفصل في المخطط التنظيمي (الشكل / ٤). وبذلك تكامل الهدف الرئيس الاول للجامعة (الهدف التعليمي).

ب. استحدثت الجامعة مراكز للخدمات العلمية المتخصصة بهدف توفير المستلزمات الاساسية لممارسة البحث العلمي والتواصل مع التقدم المعرفي ومن أهم هذه المراكز ما يأتي :

١. المكتبة المركزية ومكتبات الكليات.
٢. مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.
٣. مديرية مركز الحاسبة الالكترونية.
٤. مركز طرق التدريس والتدريب الجامعي.
٥. وحدة الخرائط.

٦. متحف الجامعة ومتاحف متخصصة (التشريح/ الطب العدلي/ التاريخ الطبيعي).



قاعة صدام الكبرى

٥. مديرية انشاءات الجامعة.

٦. مديرية المركز الجامعي.

وبذلك حققت الجامعة التكامل بين الاهداف وبين الهيكل التنظيمي سواء في مستوى بناء المهام (التشكيلات الادارية) وفي مستوى بناء العلاقات (توزيع الصلاحيات على مجالس الاقسام والكليات والجامعة) واتجهت ادارة الجامعة منذ عام ١٩٨٥ نحو إعادة ترتيب التصميم التنظيمي وصولاً الى الاستقرار النسبي بما أولت الانشطة التطويرية الهادفة من اهتمام لمعالجة المشكلات الميدانية القائمة والمتوقعة.. فتم هذا العام بدأت سياسات جديدة لبورة تقاليد مميزة لها تحقق النمو العمودي في إنشطتها وفي مهارات ملاكاتها (وبخاصة العلمية) حيث تمكنت الجامعة في السنوات الخمس الأخيرة تحقيق ما يأتي :

١. الوصول بالعبء التربوي (نسبة تدريسي/ طالب) الى أقرب نسبة للمعدلات المقررة من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
٢. رفع المستوى المهاري للملاكات العلمية بزيادة نسبة حملة الدكتوراه وكذلك نسبة حملة لقب الاستاذ والامتاذ المساعد.

- المركز الطلابي).
٢. المديرية العامة للتسجيل (قبول الطلبة/ التعليمات الوثائق).
٣. مديرية الاسكان (ادارة دور الجامعة).
٤. مدرسة ابناء الاجانب.
٥. حضانة الجامعة.



حضانة الجامعة

٦. قاعة صدام الكبرى.
٧. المركز الثقافي والاجتماعي.
- هـ. هذا التوسع في أنشطة الجامعة فرض توسعاً في ادارتها المركزية بما يضمن لها القدرة على توجيه هذه الأنشطة والإشراف عليها. ومن اهم هذه الادارات :
١. دائرة مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية.
٢. دائرة مساعد رئيس الجامعة للطلبة والشؤون الادارية.
٣. عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي والتي أصبحت فيما بعد دائرة مساعد رئيس الجامعة للدراسات العليا والتعليم المستمر. ثم دائرة المشرف العام للدراسات العليا.
٤. ادارة ديوان رئاسة الجامعة.

إختصاص التنقيضي جامعة الروصل كما هو في العام الدراسي

عقل جامعة الموصل
فكر الجامعة
أستاذة الفلسفة



٣. تحسين مستوى الأداء الجامعي في جوانبه التعليمية بتحسين نسب النجاح وفي جوانبه العلمية بتحسين نسب إنجاز البحث العلمي والتأليف والترجمة. وفي جوانبه الاستشارية بتحسين حجم الاستشارات والخدمات العلمية المقدمة الى مؤسسات المجتمع وافراده.

٤. تحسين الاداء الاداري في الجامعة بتقليص اجراءات العمل وترشيد استخدام القرطاسية ومكننة العمل الاداري وتطوير نظم المعلومات في الجامعة.

٥. تنمية الملاكات بالتوسع في البرامج التدريبية واعادة توزيع العاملين ووضع اسس للتخفيض وخلق الدوافع نحو الابداع والابتكار في العمل.

وبعد ماتحقق من اضافات في الهيكل التنظيمي بصيغة وحدات أو لجان متخصصة بالتطوير الاداري والترقيات العلمية واعداد الادلة والتقارير الخاصة بتقويم الاداء، كل ذلك يعد شواهد على عناية الادارة الجامعية برسم سياسات تطويرية هادفة.

نحو حجم الجامعة:

عكست شواهد النمو في الهيكل التنظيمي للجامعة إستجابة عالية لحاجة المجتمع. فها تم إستحداثه من كليات وأقسام علمية وفرصاً عالية للتعليم العالي وبما يتناسب وتزايد اعداد خريجي الثانويات واقبالهم على الدراسة الجامعية. كما كان استحداث المراكز البحثية والخدمات العلمية إستجابة لحاجة المجتمع في مؤسساته وأفراده، الى الاستشارات العلمية والفنية. فالتمو المتحقق في هيكل الجامعة كان إستجابة متميزة لحاجات البيئة.

نحو حجم الطلبة:

٥٠٢ إقترن نمو الهيكل التنظيمي بنمو مواز في حجم

الطلبة وكما يتضح من الجدول (١) حيث نلاحظ نمواً متصاعداً في اعداد الطلبة، فقد كان عدد الطلبة عام تأسيس الجامعة ١٩٦٧/١٩٦٨ حوالي (٣٣٦٣) طالباً موزعين على هيئاتها العلمية الخمس. في حين بلغ عدد الطلبة بعد خمسة أعوام (٤٩٨٧) طالباً. وبعد عشر سنوات من تأسيس الجامعة تضاعف عدد الطلبة فيها ليصل الى (١٠٥٨١) طالباً وبذلك يكون نمو حجم الطلبة بنسبة (٣١٥٪) من سنة التأسيس أي أكثر من ثلاثة أضعاف. ثم يتواصل نمو اعداد الطلبة في العقد الثاني من عمر الجامعة ليصل في منتصف العقد الى (١٥٨٣٦) طالباً ثم في نهاية العقد الى (١٩٧٨٥) طالباً. وهكذا استمر النمو متزايداً بنسبة (٤٧٠٪) في العام ١٩٨٢/١٩٨٣، ثم بنسبة (٥٨٨٪) في العام ١٩٨٧/١٩٨٨ ويتضح من الجدول بأن السنوات (١٩٧٢ - ١٩٧٨) تمثل أعلى نسب النمو في حجم الطلبة حيث كان النمو بمعدل (٢١٢٪) او بمتوسط نمو سنوي قدره (٤٢٪) فيها إنخفضت معدلات النمو السنوي في السنوات اللاحقة لتكون بمتوسط نمو سنوي (٣٠٪) في النصف الاول من العقد الثاني من عمر الجامعة، ثم انخفض متوسط النمو الى (٢٥٪) سنوياً في النصف الثاني من العقد؛ أما السنوات الخمس الاخيرة من عمر الجامعة (١٩٨٧/١٩٨٨ - ١٩٩١/١٩٩٢) فقد إتجهت الجامعة الى الاستقرار النسبي نتيجة تقليص حجم القبول فقد إنخفض عدد المقبولين من (٧٩٧١) طالباً في العام ١٩٨٥/١٩٨٦ الى (٤٨٩٥) طالباً في العام ١٩٨٦/١٩٨٧ ثم ارتفع الى (٥٢٩١) مقبولاً في العام ١٩٨٧/١٩٨٨ وانخفض الى (٣٩٠٥) مقبولاً في العام ١٩٨٨/١٩٨٩. وبذلك استقر حجم الطلبة في الجامعة بمحدود (١٩٠٠٠) طالب وهو الحجم الذي تسعى الجامعة الى الإبقاء عليه.

من الجانب الآخر يمكن ان نلاحظ من

المخطط التنظيمي لجامعة الوصل كما هو في ١٩٩٢



الجدول (١) نموّاً جيداً في عدد طلبة الدراسات العليا ورفع نسبتهم الى حجم الطلبة في الجامعة فقد ارتفع عددهم من (٢٠) طالباً عام التأسيس ليصل الى (٣٣٥) طالباً بعد عشرة أعوام ثم (٣٠٥) طالباً في العام ١٩٨٣/١٩٨٢ وينخفض العدد قليلاً في السنوات العشر الأخيرة بسبب سياسات القبول المشددة الهادفة الى رفع مستوى الدراسات العليا (المتثلة بشرطي القبول : امتحان الكفاءة في اللغة وتحديد المعدل الأدنى بتقدير جيد).

لقد تامت اعداد التدريسين لترتفع من (١٦٣) تدريسياً عام التأسيس الى (٢٨٧) تدريسياً في العام ١٩٧٣/١٩٧٢. في حين ازداد العدد في النصف الثاني من العقد الاول من عمر الجامعة ليصل الى (٦٦٠) تدريسياً في العام ١٩٧٧/١٩٧٨.

الجدول (١) نمو اعداد الطلبة في الجامعة للسنوات (١٩٦٧ - ١٩٩٢)

السنوات	اعداد الطلبة في الجامعة		المجموع	نسبة التمو	متوسط التمو السنوي
	الدراسات الاولى العدد %	الدراسات العليا العدد %			
١٩٦٨ / ١٩٦٧	٣٣٤٣ ٩٩,٤ %	٢٠ ٠,٦ %	٣٣٦٣	١٠٠	—
١٩٧٣ / ١٩٧٢	٤٩٣٧ ٩٩ %	٥٠ ١ %	٤٩٨٧	١٤٨	٩,٦ %
١٩٧٨ / ١٩٧٧	١٠٢٤٦ ٩٧ %	٣٣٥ ٣ %	١٠٥٨١	٣١٥	٤٢,٤ %
١٩٨٣ / ١٩٨٢	١٥٥٣١ ٩٨ %	٣٠٥ ٢ %	١٥٨٣٦	٤٧٠	٣٠ %
١٩٨٨ / ١٩٨٧	١٩٤٩٣ ٩٨,٥ %	٢٩٢ ١,٥ %	١٩٧٨٥	٥٨٨	٢٥ %
١٩٩٢ / ١٩٩١	١٨٩٨٠ ٩٨,٢ %	٣٤٥ ١,٨ %	١٩٣٢٥	٥٧٥	٢,٣- %

١٩٧٨ . وكان التوزيع أعلى في العقد الثاني من عمر الجامعة ليصل العدد الى (١٢٢٣) تدريسياً في العام ١٩٨٨/١٩٨٧. أما التمو في السنوات الخمس الأخيرة من عمر الجامعة فقد كان بمعدلات أقل نسبياً ليصل عدد الملاك العلمي الى (١٦٠١) تدريسي في العام ١٩٩٢/١٩٩١ والذي يمثل أكثر من تسعة اضعاف الملاك العلمي في عام التأسيس ١٩٦٨ / ٦٧ (انظر الجدول / ١).

من الجانب الاخر لابد من الاشارة الى ان الملاك العلمي للجامعة ضم نسبة كبيرة من

بعامه يمكن القول إن نمو حجم الطلبة كان متوافقاً في التوا الكبير الحاصل في هيكلها التنظيمي وعلى نحو خاص في العقد الثاني من عمرها الذي تميز باستحداث كليات جديدة فضلاً عن نمو عدد الاقسام العلمية والفروع العلمية كما تم تأشير.

نمو ملاكات الجامعة :

يعد الملاك العلمي للجامعة واحداً من المكونات الاساسية لحجمها وعاملاً جوهرياً في تحديد طاقتها الاستيعابية. والملاك العلمي يمثل عادة شريحة مميزة بين الملاكات الأخرى سواء في

إسهامات الجامعة في النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمدينة

تعد الجامعات عاملاً مهماً من عوامل نمو المدن وتوسعها بما تستقطب من أعداد كبيرة من الطلبة ومن الملاكات العلمية والإدارية. ومن الطبيعي ان يكون لهذا الاستقطاب تأثير فاعل في النمو السكاني للمدينة الجامعة ليس على المستوى الكمي فحسب بل وعلى المستوى النوعي ايضاً. فهناك تدفق مستمر ومتجدد لأفواج الطلبة المتخرجين والمقبولين سنوياً وهناك تدفق مستمر في الملاكات الجامعية. وبمحمل هذا التدفق السكاني سمات نوعية مميزة في الهرم السكاني تفتقر بتحسين بنائه العمري والتعليمي والثقافي والقيمي وما يعنيه ذلك من تحسن في السلوك الاستهلاكي والحضاري والاجتماعي. فالقادمون الى الجامعة هم من فئة الشباب المتوثب للحياة المليء بالطاقات والمتعطش للمعرفة كما يتسم هؤلاء بمستوى تعليمي وثقافي عالٍ ويمتيزون بأنماط

التدريسيين غير العراقيين في السنوات العشر الاولى من عمر الجامعة ، فقد كانت نسبتهم عند التأسيس (٥٤٪) من الملاك العلمي وانخفضت الى (٣٢٪) عام ١٩٧٢/١٩٧٣ ثم إنخفضت الى (٢٩٪) عام ١٩٧٧/١٩٧٨. واستمرت نسبتهم بالانخفاض لتصل الى دون (٢٪) في السنوات الأخيرة من عمر الجامعة. وكان معظم هؤلاء من المتخصصين في مجال اللغة الفرنسية وعلوم الحاسبات وطب الاسنان والهندسة وهكذا استطاعت الجامعة تعريق ملاكاتها أي تقليص نسبة غير العراقيين فيها.

أما الملاكات الادارية والفنية في الجامعة فقد مثلت نسباً عالية عند التأسيس في ملاك الجامعة ، وكما يوضح الجدول (٢) نجد ان هذه الملاكات نمت بمعدلات أقل من نمو الملاكات العلمية بما جعل نسبتها تنخفض من (٨٢٪) من اجمالي الملاك عام ١٩٦٧/١٩٦٨ الى (٦٥٪) في العام ١٩٩٢/١٩٩١.

الجدول (٢) نمو الملاكات في الجامعة للسنوات (١٩٦٧ - ١٩٩٢)

المجموع العدد	الملاكات				السنوات
	الاداريون والفنيون		التدريسيون		
	العدد	%	العدد	%	
٩٢٨	٧٦٥	%٨٢	١٦٣	%١٨	١٩٦٨ / ١٩٦٧
١٢٨١	٩٩٤	%٧٨	٢٨٧	%٢٢	١٩٧٣ / ١٩٧٢
٣٠٨١	٢٤٢١	%٧٩	٦٦٠	%٢١	١٩٧٨ / ١٩٧٧
٣٠٧١	٢١٦٩	%٧١	٩٠٢	%٢٩	١٩٨٣ / ١٩٨٢
٤٩٨٠	٣٦٥٧	%٧٣	١٣٢٣	%٢٧	١٩٨٨ / ١٩٨٧
٤٦٠٩	٣٠٠٨	%٦٥	١٦٠١	%٣٥	١٩٩٢ / ١٩٩١

إستهلاكية عالية ويعملون قيمياً وعادات إجتماعية متباينة.

كل ذلك يعني بالضرورة نمواً أكيداً في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمدن الجامعية يمكن توضيحها في ما يأتي :

أ- نمو سكاني اجتماعي ناجم عن الأضافة السكانية المتمثلة بالطلبة المنتهين بالدراسة الجامعية من خارج المدينة وكذلك الملاكات العاملة في الجامعة التي تكون نسبة منها من مناطق مختلفة بل ان نسبة منها من جنسيات مختلفة.

ب- نمو ثقافي ناجم عن وجود اعداد كبيرة من ذوي المؤهلات التعليمية والثقافية المميزة بخبراتها الثقافية (خاصة الملاكات العلمية) فضلاً عن الطاقات الشابة الراغبة بممارسة هواياتها وتنمية مواهبها في شتى فعاليات قضاء اوقات الفراغ وممارسة الهوايات.

ج- نمو اقتصادي ناجم عن ارتفاع حجم الطلب على السلع والخدمات وما يعنيه ذلك من ازدياد فرص العمل والاستخدام ثم نمو الناتج القومي وتحسن الدخل القومي.

د- نمو البناء المهاري والمهني الناجم عن اتساع الأنشطة الاقتصادية وكذلك التعليمية والخدمية الأخرى. وما يعنيه ذلك من تطور مهارات العاملين في هذه الأنشطة فضلاً عن التنوع المهني المطلوب لتغطية هذه الأنشطة المتنوعة.

ولتوضح الصورة عن إسهامات جامعة الموصل في النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمدينة الموصل يمكن اعتماد مؤشرات حجم متسبي الجامعة في احتساب حجم تلك الإسهامات وبشواهد كمية مفصلة كالآتي :

النمو السكاني :

أدى النمو السريع في حجم الجامعة الى نمو سكاني كمي ونوعي في مدينة الموصل يمكن أن نلمس أبعاده في الجدول (٣). فقد كان عدد متسبي الجامعة من الطلبة ومن الملاكات العلمية وافراد أسرهم حوالي (٧٠٧٥) فرداً في العام ١٩٦٧ وهم يمثلون حوالي (٢,٦٪) من سكان المدينة فيما ارتفعت النسبة الى (٥,٣٪) في العام ١٩٧٧ حيث أصبح عدد متسبي وأسرهم حوالي (٢٢٩٠٠) فرداً أما في العام ١٩٨٧ فقد ارتفع عدد متسبي الجامعة وأسرهم الى أكثر من (٣٩٧٠٠) فرداً ويمثلون أكثر من (٦,٥) من سكان المدينة.

الجدول (٣) نسبة متسبي الجامعة الى السكان^(١)

السنوات	حجم السكان	حجم متسبي الجامعة		النسبة الى السكان
		الطلبة	ملاكات وأسرهم	
١٩٦٧	٢٧٣٩١٤	٢٢٦٣	٣٧١٢	٢,٦
١٩٧٧	٤٢٩٨٨٣	١٠٥٨١	١٢٣٢٤	٥,٣
١٩٨٧	٦١١٦٧٨	١٩٧٨٥	١٩٩٢٠	٦,٥

• تم احتساب حجم الملاكات وأسرهم على أساس (٤) أشخاص معدلاً لحجم الأسرة مع ملاحظة ان الأرقام أخذت لاجمالي متسبي الجامعة سواء كانوا من اهل المدينة او من خارجها باعتبارانه في حالة عدم وجود الجامعة في المدينة فان هؤلاء يكونون خارج المدينة (في جامعة ما)

مما تقدم ندرك كيف أسهمت الجامعة في زيادة السكان زيادة كمية واضحة بلغت في نهاية العقد الثاني من عمرها (٦,٥٪). وبما لاشك فيه أن هذه الزيادة الكمية تفتقر بنمو نوعي في السكان حيث ان الغالبية العظمى من متسبي الجامعة يتمتعون بتأهيل علمي جامعي أو من الطلبة الجامعيين، فضلاً عن حملة الشهادات العليا من الملاكات العلمية.

الجدول (٤) نمو حجم الأنفاق الشهري على السلع والخدمات الأساسية لمتسبي الجامعة

السنوات	متوسط إنفاق الفرد الشهري (بالدينار)	عدد متسبي الجامعة وأفراد أسرهم	الحجم التقديري للأنفاق (بالدينار)
١٩٦٧	٢,٩٠٠	٧٠٧٥	٢٠٥١٧,٥٠٠
١٩٧٧	١٧,٥٦٦	٢٢٩٠٥	٤٠٢٣٤٩,٢٣٠
١٩٨٧	٥٩,٤٤٦	٣٩٧٠٥	٢٣٦٢٤٤٧,٥٠٠

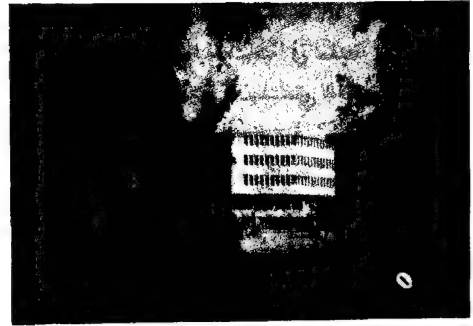
• أتمدت بحوث ميزانية الأسرة للاعوام (١٩٧٢-١٩٨٤) في تقدير متوسط الأنفاق الشهري للفرد علماً أن السلع والخدمات المحسوبة هي (المواد والاثاث والسكن والطاقة والتعليم والثقافة والسلع وخدمات متفرقة)

للنشاطات الاقتصادية والخدمية المختلفة المعنية بتوفير هذه السلع والخدمات، هذا فضلاً عما تتطلبه أنشطة الجامعة من خدمات وسلع لايمكن التغاضي عنها ومنها وعلى سبيل المثال لا الحصر، الأبنية وادامتها والطاقة والكب والمطبوعات المختلفة والقرطاسية والاثاث الدراسي والمختبرات ومستلزماتها وخدمات النقل والاتصالات... الخ.

ومن الملاحظ ان الجامعة تنفق مبالغ كبيرة جداً للحصول على هذه السلع والخدمات.

وكما هو واضح في موازنتها السنوية حيث بلغت تخصيصاتها باستثناء نفقات الأفراد العاملين (أجور ورواتب ومخصصات) حوالي (٧) ملايين ديناراً. وبعمامة ينعكس هذا الانفاق العالمي على الخدمات والسلع بصيغة فرص عمل إضافية في النشاط الاقتصادي فضلاً عن فرص العمل المتاحة في ملاك الجامعة والذي يقارب الخمسة آلاف وظيفة دائمة.

ومن المؤكد ان ازدياد او نمو فرص العمل وانتعاش الأنشطة الاقتصادية والخدمية في المدينة ينعكس إيجابياً على البناء المهاري والمهني لسكان



جانب من منشآت الجامعة

ومن المسلم به ان وجود هذه النسبة من الجامعيين في المدينة يعني نمواً نوعياً في الهرم السكاني لها فهذه النسبة الاضافية يقع اكثرها في الفئة الشابة من السكان (الفئة العمرية ١٨-٢٥). كما ان الغالبية من هذه النسبة الاضافية تحمل سمات إيجابية في الأنشطة الثقافية والفنية بما تضمه من مواهب فكرية وأدبية وفنية تساهم في إنضاج هذه الأنشطة وحفزها، وكذلك تنميتها ورعايتها بما يتوفر لها في الجامعة ومؤسساتها من مستلزمات. وهذا ما سنوضح شواهد الميدانية في فقرة قادمة.

النمو الاقتصادي:

خلقت الأعداد الكبيرة المضافة الى سكان المدينة (بسبب وجود الجامعة) نمواً واضحاً يمثل نسبتها الى السكان في حجم الطلب على السلع والخدمات. واذ ما تطلعنا الى أرقام الجدول (٤) نجد أن حجم الأنفاق الشهري التقديري لمتسبي الجامعة كان عند التأسيس عام ١٩٦٧ حوالي (٢٠٥١٧) ديناراً فيما أرتفع الأنفاق في العام ١٩٧٧ الى حوالي (٤٠٢٣٤٩) ديناراً ويقفز حجم الأنفاق في العام ١٩٨٧ الى (٢٣٦٢٤٤٧) ديناراً.

وهكذا يمكن ان نتصور حجم اسهامات الجامعة في زيادة الطلب على السلع والخدمات الأساسية في المدينة وما يعنيه ذلك من إنعاش

المدينة وما يعنيه ذلك من نمو في الناتج القومي وتحسن الدخل القومي من جهة وكذلك تحسن المستوى المعاشي لاهل المدينة من جهة أخرى .

فضلاً عن ذلك فان وجود اعداد كبيرة من ذوي المهارات العالية وحملة الشهادات العليا في مجالات علوم الطب والهندسة والزراعة والبيطرة والآداب والعلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية والاجتماعية ، يعني بالضرورة تميزاً للبناء المهني والمهاري للمدينة مقارنة بأية مدينة غير جامعية . مما يوفر فرصاً أفضل للنمو الاقتصادي حيث تكون فرص مواجهة مشكلات ومصاعب هذا النمو أوسع وأفضل وهذا ما سنعرض له في فقرة قادمة بشواهد كمية .

النمو الثقافي :

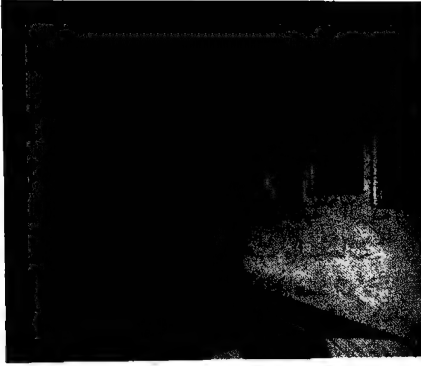
يقترن النمو السكاني والاقتصادي عادة بنمو ثقافي وعلى وجه الخصوص عندما يتميز هذا النمو بجوانب نوعية تؤدي الى تحسين البناء التعليمي والعلمي والمهني والمهاري في المجتمع . فالإضافات الكمية التي تحققها الجامعة هي اضافات نوعية عالية ومتميزة سواء على المستوى العمري والصحي او المستوى الاقتصادي والاستهلاكي او المستوى الثقافي والاجتماعي ، فالشباب هم اضافة الجامعة ثم أنهم شريحة عمرية مندفعه وناشطة في اسهاماتها اليومية كما انها فئة استهلاكية في السلع والخدمات و فئة سكانية مليئة بالافكار والطاقت التي تجدد في الجامعة بيئة مناسبة لتوظيفها في تنمية مواهب متنوعة تغني الجوانب الثقافية في المجتمع . من الجانب الآخر ينسجم الملاك العلمي بروح التنوع والتغيير وبالمهارات العالية والثقافة المميزة وكل ذلك يوفر فرصاً عالية لاسهامهم في الأنشطة الثقافية والاجتماعية ومنح مدينة الجامعة قيادات فاعلة وطاقات محفزة في اغناء الأنشطة الثقافية والفنية وكذلك في النهوض الحضاري لها .

وليس ادل على هذه الحقيقة مما نجده من أنشطة وفعاليات ثقافية متنامية في مدينة الموصل ومظاهر حضارية متميزة كان لمتسبي الجامعة الدور المبرز في تحقيقها ويمكن التعرض لهذا الدور ضمن الفقرات الآتية :

أ- الجمعيات العلمية والنقابات المهنية : لقد كان لوجود أعداد كبيرة من الملاكات العلمية في الجامعة اثر واضح في زيادة عدد اعضاء الجمعيات العلمية والنقابات المهنية في مدينة الموصل ويمكن القول بان الجامعة تمثل في نقابة المعلمين بأكثر من (١٥٠٠) تدريسي . كما تمثل في نقابة الاطباء ونقابة الحقوقيين والمحامين ونقابة المهندسين واتحاد الادباء والكتاب وجمعية المؤرخين والآثاريين وغيرها من النقابات والجمعيات بأعداد موازية لعدد المتخصصين العاملين في الجامعة . ويكون لانتساب هؤلاء الجامعيين تأثير ايجابي نوعي فضلاً عن التأثير الكمي والمالي في دعم أنشطة هذه الجمعيات والنقابات .

ومن الشواهد على التأثير النوعي لمتسبي الجامعة ما حققته هذه الجمعيات والنقابات والاتحادات من أنشطة ثقافية مثله بمواسمها ومحاضراتها العامة فضلاً عن عقدتها للندوات والمؤتمرات ومشاركتها الواسعة في المهرجانات .. هذه الاسهامات الثقافية لم تكن لتحقيق المستوى الكمي والنوعي الحاصل دون متسبيها من الملاكات الجامعية .

ب- الحركة الادبية والفكرية : تبنت الجامعة ومنذ تأسيسها الحركة الادبية والفكرية في المدينة بما وفرته من فرص الدعم المادي للنتاجات الادبية فضلاً عن توفير المناخ الايجابي للقاءات الادبية والفكرية . فقد كان المركز



متحف الفنون التشكيلية

توفير مستلزمات النجاح لها. وقد اعتمدت المناسبات الخاصة بتأسيس الجامعة (يوم الجامعة) واحتفالات التخرج وتوديع الخريجين واستقبال المقبولين والاحتفاء بهم فضلاً عن المناسبات الوطنية فرصاً لتوفير البيئة للانشطة الفنية تلك ودعم الفنانين.

د- رعاية الشباب: تفتخر جامعة الموصل بأنشطتها المتميزة في مجال الارشاد والتوجيه التربوي لطلبتها فضلاً عن الرعاية التي كانت تقدمها لهم في الاسكان والاطعام والاشراف الحريص على النوادي والاكشاك التابعة



المركز الطلابي

الثقافي والاجتماعي لجامعة الموصل مكاناً مميزاً في إحتضانة لكثير من هذه اللقاءات بل الدعوة لها وتنظيمها ، كما تولى نشر عدد وافر من الكتب والدواوين لمفكري المدينة وشعرائها. فضلاً عن التراجم التي تبناها والمخطوطات التي تم تحقيقها مثل عقود الجبان لابن الشعار (في عدة مجلدات)

كما تعد موسوعة الموصل الحضارية هذه واحدة من اسهامات الجامعة المتميزة التي أرخت الحركة الفكرية والادبية الى جانب تاريخ مدينة الموصل بأبعاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

من الجانب الأخر كان للمركز الثقافي دور مبرز في نشر الوعي الادبي بما وفره من فرص لتعلم اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية للراغبين من ابناء المدينة وذلك بما ينظمه من دورات تعليمية تعتمد التقنيات التعليمية المتقدمة وباستاداة متخصصين.

وقد كانت مطبعة الجامعة ودار النشر فيها الاداة الفاعلة في دعم الحركة الادبية والفكرية سواء بما وفرته من فرص متميزة لطبع النتاجات الفكرية والادبية أو فرص متميزة في توفير المطبوع الثقافي بما تنظمه من معارض دورية لبيع الكتب وباسعار مخفضة.

ج- الحركة الفنية: إحتضنت الجامعة الحركة الفنية في مدينة الموصل بما قدمته من دعم ناشط لفناني الجامعة والمدينة وماوفرته من فرص التعلم والتدريب ضمن البرامج التعليمية التي كانت تنفذها للهواة من الطلبة في ورشها الفنية ، وكذلك في مواسمها الثقافية واحتفالاتها السنوية. لقد تبنت الجامعة إقامة المعارض الفنية والعروض المسرحية على قاعاتها في المركز الطلابي وفي الكليات مع

مدينة الموصل وذلك بدعم التراث الموصلية ومحاولة الحفاظ عليه وتوثيقه وتجديده.. فقد كان للآثاريين في الجامعة إسهامات بارزة في التنقيبات الآثارية داخل مدينة الموصل وفي المناطق المحيطة بها، وكذلك في إعادة الترميم والتجديد للمعالم الحضارية والتراث الثقافي. فقد كان لمتحف الجامعة دور كبير في تجميع وإعادة الحياة لكثير من الجوانب الثقافية التي غابت عن مسرح الحياة كما تم توثيق اللهبجات والنوادر والقصائد والأشعار والمأثورات الشعبية المعبرة عن حياة أبناء المدينة عبر عصورها المختلفة، فضلاً عن الأزياء والطقوس والوقائع التاريخية التي يضمها متحف الصور الدائم في الجامعة.

وتعد المتاحف الأخرى للجامعة مثل متحف التاريخ الطبيعي ومتحف التشريح ومتحف الطب العلبي جهداً إضافياً للجامعة في توثيق الكثير من الأحداث والنماذج الخاصة بالمدينة، وتعريف مادي لجوانب من إرثها الثقافي والحضاري. ولابد من القول أخيراً بأن متحف الفنون التشكيلية في الجامعة يعد عملاً رائداً في الحفاظ على النتاجات النادرة لفناني المدينة.

إسهامات الجامعة في التقدم العلمي والتقني للمدينة :

تعد جامعات اليوم القاعدة الأساسية للتقدم العلمي والتقني في المجتمع فهي الميدان الخصب لأنشطة البحث العلمي ولها متاح أفضل فرص التواصل مع مصادر المعرفة المتقدمة والتقنية المتجددة، كما أن مختبراتها ومعاملها وحقولها وما يخصص لتغطية نفقات البحث العلمي، كل ذلك عوامل إيجابية دافعة في العمل الجامعي يزيد من قدرتها في تقديم الاستشارات العلمية والخدمات

للجامعة. ويعد المركز الطلابي واحداً من شواهد عناية الجامعة واهتمامها بتوفير الخدمات الأساسية والترويجية للطلبة. كما تفخر الجامعة بعنايتها الفائقة في توفير المستلزمات للأنشطة الرياضية وتبني الحركة الرياضية ومن شواهد ذلك ملعب الجامعة الرئيس والقاعات المعلقة لكلية التربية الرياضية وغيرها من الملاعب والساحات.

ومن المؤكد ان يكون توفير هذه الفرص لممارسة الأنشطة الرياضية مقترناً عادة باستقطاب اهتمام الشباب الرياضي في المدينة وبناء علاقات بين الفرق الرياضية للجامعة وفرق النوادي الرياضية في المدينة فضلاً عن الفرق الجامعية الأخرى. كما ان إهتمام الجامعة باستضافة المباريات المختلفة والفرق الرياضية العراقية والعربية أعطى

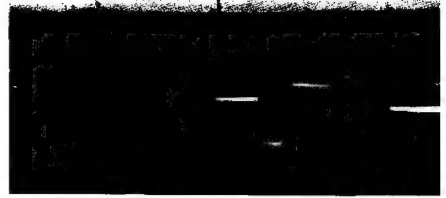


مسح الجامعة

فرصاً أفضل للحركة الرياضية في مدينة الموصل للتفاعل الإيجابي والنشيط مع الآخرين وتطوير المهارات الرياضية لأبطال المدينة. كما تنظم الجامعة اسبوعاً ثقافياً لدعم الحركة الإبداعية للطلبة في مجالات الشعر والقصة والخطابة والرسم والنحت والسيراميك والخط والزخرفة والتصوير الفوتوغرافي والمسرح والموسيقى.

هـ- المعالم الحضارية : أسهمت جامعة الموصل إسهاماً كبيراً في تنمية الوعي الثقافي لابناء

الفنية لأنشطة المجتمع ولأفراد، وعلى نحو خاص على مستوى المدينة الجامعية. وللتعرف على مدى أسهامات الجامعة في التقدم العلمي والتقني للمدينة لابد من وضع



جانب من منشآت الجامعة

معايير لقياس هذا التقدم. وأفضل المعايير تلك التي تؤثر النتائج الإيجابية المترتبة على التقدم والملموسة ميدانياً في واقع الأنشطة الاقتصادية والثقافية. وهكذا إنجذبت الجامعات نحو هدف مضاف جديد هو خدمة المجتمع وهي بذلك تضع جهدها العلمي وإمكاناتها الفنية في خدمة الأنشطة التنموية وتوظف مخرجاتها الأساسية لدعم فعاليات التنمية وإداراتها.

وضمن هذا التصور تكون شواهد اسهام الجامعة في تحقيق التقدم العلمي والتقني ضمن محورين رئيسين هما:

أ - توفير المهارات المتخصصة القادرة على ترجمة الأطر النظرية للمعرفة إلى فرص ومنافع تصل بتحسين واقع الإنسان والمجتمع.

ب - معالجة المشكلات والمصاعب التي تعهد الفعاليات التنموية وتوقها أو تحرفها عن المسار الصحيح وتجديد عناصر التنمية وإبتكار تقنيات أفضل لها.

توفير المهارات وتنميتها: تمد المهارات المتخصصة مهنيًا والمؤهلة علمياً أو معرفياً، العنصر المحرك

والفاعل في إدارة الأنشطة التنموية ونجاحها. وقد أسهمت جامعة الموصل في رعد المجتمع بدفعات متواصلة من المتخرجين المؤهلين في تخصصات معرفية ومهنية مختلفة، كما إسهمت بتواصل في تجديد المعلومات والمهارات للملاكات العاملة في مؤسسات المجتمع. وسيتم تأشير حجم هذين الأسهمين كالآتي:

المتخرجون: تميزت جامعة الموصل بتقديم مهارات مؤهلة حققت نمواً ملموساً في البناء المهني والمهاري لمدينة الموصل. وبذلك وفرت المورد البشري المتنامي القادر على قيادة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع، وهذا مانجده واضحاً في أرقام الجدول (٥) فقد أستطاعت الجامعة عبر ربع قرن تقديم (٥٥٨٠٣) متخرجاً

الجدول (٥) أعداد المتخرجين من جامعة الموصل للسنوات (١٩٦٧ - ١٩٩٨ - ١٩٩٩/١٩٩٢)

السنوات			أعداد المتخرجين من الدراسات الأولية العليا المجمع	
١٩٦٧/١٩٦٨-١٩٧٢/١٩٧١	٢٦٩٠	١٠	٢٧٠٠	
١٩٧٢/١٩٧٣-١٩٧٦/١٩٧٧	٦٠٣٧	١٢١	٦١٥٨	
١٩٧٧/١٩٧٨-١٩٨٢/١٩٨١	١٠٩٢٨	٦٤٢	١١٥٧٠	
١٩٨٢/١٩٨٣-١٩٨٧/١٩٨٦	١٣٦٠٧	٤٧٦	١٤٠٨٣	
١٩٨٧/١٩٨٨-١٩٩١/١٩٩٢	٢٠٤١٥	٨٧٧	٢١٢٩٢	
المجموع	٣٦٦٧٧	٢١٢٦	٥٥٨٠٣	

وبمعدلات سنوية متنامية كما ونوعاً. فقد كانت حصيلة السنوات الخمس الأولى حوالي (٢٧٠٠) متخرج في مجالات الطب والهندسة والعلوم والزراعة والغابات والأداب ويضمهم (١٠) من حملة الماجستير. في حين تضاعف هذا العدد في السنوات الخمس الثانية إلى (٦١٥٨) متخرجاً بينهم (١٢١) من حملة الماجستير والدبلوم العالي.

وذلك في اطار السعي المتواصل للكلية في تدعيم علاقاتها مع مؤسسات المجتمع وتقديم الخدمات العلمية له. وتمكس أرقام الجدول (٦) صورة واضحة عن حجم الدورات التدريبية المقامة في كليات الجامعة للسنوات ١٩٦٧-١٩٩١ وعدد المشاركين (المستفيدين) منها. حيث نجد من الجدول أن الجامعة وهي في مراحل النشأة والتأسيس أستطاعت تنظيم (١٢) دورة تدريبية كان عدد المشاركين فيها (٧٢) مشاركاً فيها تضاعف عدد الدورات في النصف الثاني من العقد

الجدول (٦) برامج التعلم المستمر للطلبة في الجامعة وعدد المستفيدين منها

السنوات	عدد الدورات	عدد المشاركين
١٩٦٧/١٩٦٨-١٩٧١/١٩٧٢	١٢	٧٢
١٩٧٢/١٩٧٣-١٩٧٦/١٩٧٧	٤٩	٢٩٤
١٩٧٧/١٩٧٨-١٩٨١/١٩٨٢	١٥٣	٩١٨
١٩٨٢/١٩٨٣-١٩٨٦/١٩٨٧	١٧٥	١٠٥٠
١٩٨٧/١٩٨٨-١٩٩٠/١٩٩١	٤٣٥	٢٦١٠
المجموع	٨٧٤	٤٩٤٤

الأول أربع مرات ليصل الى (٤٩) دورة تدريبية ويرتفع عدد المستفيدين منها الى (٢٩٤) مشاركاً. أما في العقد الثاني من عمر الجامعة وبعد تأسيس المراكز العلمية المتخصصة فقد ارتفع عدد الدورات التدريبية فيها الى (١٥٣) دورة ثم الى (١٧٥) دورة تدريبية وبلغ عدد المستفيدين من هذه الدورات ما يقارب الألفين (١٩٦٨) مشاركاً. أما في السنوات الخمس الأخيرة من عمر الجامعة وبعد أن أستقرت هيكلها العلمية، فقد حققت نمواً كبيراً في عدد الدورات التدريبية بلغ (٤٣٥) دورة وكان عدد المستفيدين حوالي (٢٦١٠)

أما في العقد الثاني من عمر الجامعة فكان حجم المتخرجين كبيراً وموازياً لتزايد عدد كليات الجامعة حيث بلغ عدد المتخرجين في النصف الأول من العقد (١١٥٧٠) متخرجاً بينهم (٦٤٢) من حملة الماجستير.

وقد زاد العدد في النصف الثاني من العقد إلى (١٤٠٨٣) متخرجاً بينهم (٤٧٦) من حملة الشهادات العليا.. وكانت حصيلة السنوات الخمس الأخيرة من عمر الجامعة (٢١٢٩٢) متخرجاً بينهم (٨٧٧) من حملة الشهادات العليا.

ولابد من التذكير هنا بأن حوالي نصف هذه الأعداد هم من أبناء مدينة الموصل ويعلون مورداً بشرياً متدفقاً من الجامعة ومتاحاً للاسهام في الأنشطة التنموية للمجتمع.

أما في الجانب النوعي لخرجات الجامعة هذه، فقد تميزت بتفوق ميداني ملحوظ على مخرجات الجامعات الأخرى، حيث يبرز متخرجو جامعة الموصل فرصاً تنافسية أفضل باستمرار في القبول بالدراسات العليا وفي التعيين أيضاً.

وعامة يمكن القول بأن جامعة الموصل رفدت المجتمع ونحور رئيسي مدينة الموصل بدفق متواصل من الملاكات المؤهلة علمياً ومهنياً تمثل في إجمالها نسبة من النمو في البناء التعليمي والثقافي لهذه المدينة، فضلاً عن كونها توفر فرصاً مشجعة للراغبين في رفع مؤهلاتهم التعليمية.

ب- المتطربون: بذلت جامعة الموصل جهوداً متميزة للتواصل مع الملاكات العاملة في الأنشطة التنموية المختلفة بما يضمن تجديد المعارف المهنية وتطوير المهارات التخصصية لهم ومواكبة للتقدم التقني والعلمي التحقق في مجالات العمل المختلفة. وقد كانت برامج التعلم المستمر في الجامعة المدخل العملي لتحقيق هذا التواصل. فقد بدأت الجامعة ومنذ تأسيسها تنظيم دورات تدريبية متخصصة

مشاركاً. وبذلك تكون الجامعة قد أسهمت اسهاماً مباشراً وفاعلاً في تأهيل وإعادة تأهيل الملاكات المهنية العاملة في مؤسسات المجتمع حيث بلغ أجمالي المشاركين في دوراتها التدريبية (٤٩٤٤) مشاركاً وقد تم تدريبهم في برامج متخصصة بلغ عددها (٨٢٤) دورة تدريبية شملت جميع التخصصات المهنية بدءاً بالمجالات الطبية ومروراً بالعلوم الصرفة والطبيعية وكذلك الزراعية والبيطرية وأنهاءً بالمجالات الإنسانية والأدبية والإدارية.

ومن الجدير بالأشارة هنا الى اسهامات اقسام اللغات في كليتي الاداب والتربية والتنسيق مع المركز الثقافي الاجتماعي لجامعة الموصل في تنظيم دورات تدريبية سنوية لتعليم اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية وكذلك اسهامات مركز الدراسات التركية في تنظيم دورات تعلم اللغة التركية.

من الجانب الآخر لم تكن الاستفادة من البرامج التدريبية للجامعة تلك محصورة بمدينة الموصل أو بمحافظة نينوى بل تجاوزت الفائدة الى المحافظات الاخرى ايضاً وبخاصة الشمالية منها.

كما تقدم يمكن القول بأن برامج التعليم المستمر في جامعة الموصل استطاعت تطوير مهارات الملاكات الوظيفية المتخصصة العاملة في ادامة المشاريع التنموية بالقدر الذي توفرها من امكانيات وبالقدر الذي تحقق من رغبة المشاركة في برامجها التدريبية.

معالجة المشكلات التنموية: لما كانت التنمية تغيراً متواصلاً في الواقع القائم نحو الأفضل والمرغوب، فإنها تعني بالضرورة معالجة حالات غير مرغوبة ومغادرتها للتخلص من اثارها السلبية. وهذا التوجه في النشاط التنموي يدعى عادة بالتنمية العلاجية. كما قد يتجه النشاط التنموي الى الاهتمام بالحالات غير المرغوبة مستقبلاً والسعي لتوقع مثل هذه الحالات وتحجيمها وتقليص اثارها المحتملة وهذا التوجه يدعى بالتنمية الوقائية أو

بالتطوير. وبعامه يبرز دور الجامعة في كلا التوجهين: العلاجي والوقائي، حيث تستطيع الجامعة بما هو متوفر لها من علماء وباحثين وكذلك من مختبرات وحقول ومراكز استشارية وعلمية، تقديم استشارات وخدماتها المساعدة الى مؤسسات المجتمع وأفرادها في مواجهة المصاعب والمحددات التي تعوق مسار التنمية آتياً أو مستقبلاً. ومن أهم الصيغ المعتمدة في تقديم الجامعات عوناً وأسناداً الى المجتمع وخططه التنموية الآتية:

أ. البحوث العلمية والمجالات العلمية.

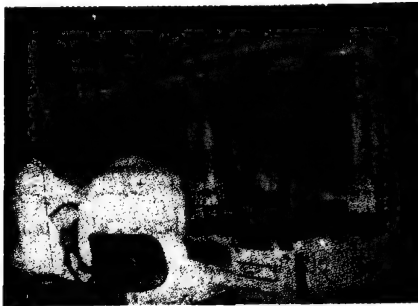
ب. الاستشارات والخدمات العلمية.

ج. المؤتمرات العلمية والندوات المتخصصة.

د. النتائج العلمية.

وقد اعتمدت الجامعة هذه الصيغ واستطاعت ان تدعم بها مسيرة التنمية ليس في المدينة فحسب بل وعلى صعيد القطر ايضاً ان لم نقل ان اسهاماتها امتدت الى الوطن العربي. وسنعرض شواهد كمية لهذه الاسهامات في الفقرات الآتية:

أ. **البحوث العلمية:** تعد البحوث العلمية ونشرها أداة فاعلة للتواصل العلمي بين الاكاديميين من جهة وكذلك بينهم وبين الواقع الميداني من جهة أخرى، حيث تسهم البحوث العلمية وبخاصة التطبيقية منها في توجه الباحثين الى الواقع العملي لكشف الأبعاد التطبيقية لافكارهم وطروحاتهم



النظرية، كما تسهم هذه البحوث في أثناء انجازها وبعد نشرها في تعريف المفكرين الميدانيين (التقنيين) بكل جديد يطرأ في مجال عملهم، لأن البحوث تقدم لهم خبرات الآخرين وتجاربهم وبصيص مكيفة للواقع الميداني الوطني.

وما لاشك فيه ان البحوث العلمية المنجزة في جامعة الموصل والمجلات العلمية الصادرة عنها تمثل فعلاً ميدانياً محركاً للتقنيين وإدارات الأنشطة التنموية، وعلى وجه الخصوص في مدينة الموصل. ويوضح الجدول (٧) الشواهد الكمية لهذا الفعل، حيث نلاحظ فيه ان حجم هذه البحوث بلغ (٦٤١٠) بحوث علمية بواقع (٤٢٨٤) بحثاً منشوراً لأساتذة الجامعة و (٢١٢٦) رسالة علمية أجزيت في الأقسام العلمية لكليات الجامعة ومنحت بموجبها شهادات الماجستير والدكتوراه.

الجدول (٧) البحوث العلمية والمجلات العلمية

السنوات	البحوث العلمية	الرسائل العلمية	مجموع البحوث العلمية	المجلات
١٩٦٧-١٩٧٦	٩١	١٣١	٢٢٢	١٢
١٩٧٧-١٩٨١	٨١٢	٦٤٢	١٤٥٤	٣٤
١٩٨٢-١٩٨٦	٨٨٦	٤٧٦	١٣٦٢	٣٨
١٩٨٧-١٩٩١	٢٤٩٥	٨٧٧	٣٣٧٢	٤٩
المجموع	٤٢٨٤	٢١٢٦	٦٤١٠	١٣٣

ولتتضح أهمية هذا العدد الكبير من البحوث والرسائل العلمية، لابد من التذكير بأنها موظفة في أغلب الأحيان لمعالجة مشكلات ميدانية في الواقع اليومي لمؤسسات المجتمع وأفراده، وتضمنت العديد من المقترحات والتوصيات المفيدة والنافعة، بل ان الكثير من هذه البحوث والرسائل العلمية أسهم في خلق توجهات متقدمة على مستوى المشاريع التنموية الاقليمية والقطرية على السواء،

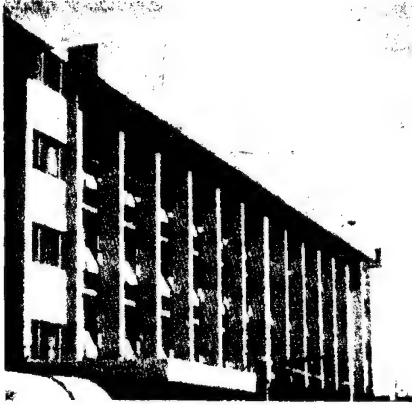
ومن الجدير بالذكر هنا ان معظم هذه البحوث إتخذت من المؤسسات العاملة في مدينة الموصل أو محافظة نينوى ميداناً تطبيقياً لها وبذلك كانت النتائج والمعالجات المطروحة فيها لخدمة هذه المدينة أولاً. وهذا واضح من عناوين تلك البحوث والرسائل العلمية الموثقة في جامعة الموصل.

ولابد من التأكيد هنا على ان معظم هذه البحوث والرسائل كانت متميزة، حيث تم تعضيدها بعد أن تم تقويمها من خبراء متخصصين، ناهيك عن العدد الكبير من البحوث التي حصلت على درجة الاصاله والابتكار في التقويم وتم تسجيل عدد منها ابتكارات ومخترعات علمية لعلماء الجامعة. فقد تم تسجيل (٣١) براءة إختراع بأسماء هؤلاء العلماء في مجالات العلوم الصرفة والطبيعية وكذلك في المجالات الهندسية والتطبيقية وكذلك الزراعية. بل يكفي الجامعة فخراً ان يحظى علمائها بالتكريم عامين متتاليين (١٩٩٠ / ١٩٩١ و ١٩٩١ / ١٩٩٢) وذلك بإنتخاب الاستاذ الأول في الجامعات العراقية منها.

من الجانب الآخر سعت الجامعة الى توفير أفضل الفرص لإيصال هذه البحوث ونتائجها الى أكبر عدد من المستفيدين وذلك بإصدار مجلات علمية متخصصة مثل طب الرافدين وزراعة الرافدين وعلوم الرافدين وهندسة الرافدين وآداب الرافدين وتنمية الرافدين والتربية والعلم. فضلاً عن مجلات ثقافية (مجلة الجامعة) ومطبوعات تعريفية أخرى. وقد بلغ عدد المجلات العلمية الصادرة عن الجامعة (١٣٣) عدداً ضمت ما لا يقل عن (١٧٠٠) بحث علمي.

ب. الاستشارات والخدمات العلمية: كانت جامعة الموصل ومنذ تأسيسها سباقة الى تحقيق مفهوم الجامعة في خدمة المجتمع وذلك باهتمامها الفائق بتقديم الاستشارات والخدمات العلمية لمؤسسات المجتمع وأفراده عن طريق مراكزها العلمية

وباحثيها وطلبتها وكذلك للباحثين من خارج الجامعة
وقد استحدثت الجامعة لهذا الغرض المراكز الآتية :
- مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.



دار الكتب للطباعة والنشر

- مركز الحاسبة الالكترونية .
- المكتبة المركزية .
- مركز طرق التدريس والتدريب الجامعي .
- وحدة الخرائط .



جناح في المكتبة المركزية

ونعكس لنا السجلات الرسمية والتقارير
الدورية للجامعة صورة تقريبية عن حجم

ولتحقيق ذلك اهتمت الجامعة بتنوع المراكز
العلمية والبحثية فيها ورعايتها ودعمها . حيث تمت
هيكلة أعمال هذه المراكز على النحو الآتي :

١ . مراكز متخصصة بالدراسات الاقليمية : حيث
تسعى الجامعة بحكم موقعها في المنطقة الى
التخصص بدراسات نوعية مميزة لها ومن هذه
المراكز :



بناية رئاسة جامعة الموصل

- مركز صدام لبحوث السدود والموارد المائية .
- مركز الدراسات التركية .

٢ . مراكز متخصصة بتقديم الاستشارات : حيث
تسعى الجامعة الى توظيف جهود علمائها لخدمة
مؤسسات المجتمع وأفراده وذلك عن طريق المراكز
والمكاتب الاستشارية المتخصصة وهي :

- المركز الطبي (العيادة الاستشارية لكلية الطب) .
- المكتب الاستشاري الهندسي .
- المكتب الاستشاري الزراعي .
- المكتب الاستشاري الصناعي والتجاري .
- العيادة البيطرية الاستشارية .
- العيادة الاستشارية لكلية طب الأسنان .

٣ . مراكز الخدمات العلمية : حيث حرصت
الجامعة على توفير الخدمات العلمية لأساتذتها

من خلالها معالجة الثروة الحيوانية في المدينة والمناطق المحيطة بها والاسهام في المحافظة عليها ووقايتها من الأمراض وبخاصة الدواجن والمواشي.

ج. المؤتمرات والندوات العلمية : تهدف المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة الى تحقيق التواصل بين المتخصصين وبين التقنيين (المنفذين الميدانيين) لتبادل الآراء حول سبل توظيف المعرفة العلمية لخدمة ميادينها التطبيقية ، وبما يسهم في معالجة المشكلات والمحددات المعوقة لمسيرة التنمية في المجتمع .

وقد كان لجامعة الموصل دور مبرز في هذا الجانب فقد حرصت منذ تأسيسها على تنظيم المؤتمرات العلمية المتخصصة أو إستضافتها في رحاب الجامعة، وتوفير الأجواء المناسبة لانعقادها



إحدى ندوات جامعة الموصل

والمشاركة الفاعلة في تغطية نفقاتها فضلاً عن ادارتها ، وذلك بالتعاون المستمر مع المؤسسات او الهيئات او الجمعيات ذات الصلة والرغبة بعقد هذه الندوات أو المؤتمرات .

لقد استطاعت كليات الجامعة منذ تأسيسها ولغاية عام ١٩٩١ تنظيم حوالي (٨٢) مؤتمراً وندوة علمية فضلاً عن الندوة العلمية التريبوية الدورية لجامعة الموصل .

وأسهمت هذه المؤتمرات والندوات العلمية في

الاستشارات والخدمات العلمية الموثقة في الجامعة ، حيث نجدها في السنوات الخمس الاولى من عمر الجامعة (٢٢) استشارة علمية فيما نمت هذه الاستشارات الى (٤٦١) استشارة في السنوات الخمس الأخيرة . وقد بلغ عدد الاستشارات الموثقة لغاية عام ١٩٩١ مايزيد عن (٩٠٠) استشارة علمية ، أسهمت بكل تأكيد في دعم التقدم العلمي والتقني لمدينة الموصل ومن أمثلة هذه الاسهامات : نظام المرور والاشارات الضوئية في المدينة ومعالجة مشكلات العمل الصناعي في عدد من المعامل والمصانع الانتاجية في المحافظة مثل صناعة الكبريت في المشرق ومعامل الاسمنت ومنشآت النفط والطاقة الكهربائية ، ومعامل النسيج والألبسة وغيرها من الصناعات في القطاع الحكومي .

اما على صعيد الاستشارات الفردية فقد تميزت جامعة الموصل بجهود استثنائية كبيرة في تقديم الخدمات الطبية سواء على مستوى عمل اساتذتها في المستشفى التعليمي وغيره من مستشفيات المدينة او على مستوى المركز الطبي والعيادات الاستشارية الطبية . حيث تستقبل هذه العيادات اعداداً كبيرة من المرضى لأغراض الفحص والتشخيص ومعدلات سنوية تتجاوز عشرين ألف مراجع . وبذلك تكون الجامعة قد أسهمت أسهاماً فاعلاً في توفير فرص الفحص والتشخيص لنسبة كبيرة من المرضى ليس على مستوى المدينة فحسب بل على مستوى المدن القريبة منها أيضاً ، هذا الى جانب اسهام الاساتذة المتخصصين في توفير فرص علاج أفضل للمرضى بما يقدمونه من خبرات ومهارات في اثناء عملهم أو اشرافهم على العمل في مستشفيات المدينة .

كذلك الحال بالنسبة للعيادة البيطرية الاستشارية ، حيث تقدم فرص الفحص والمعالجة بمعدلات لا تقل عن (١١) ألف حالة سنوياً يتم

معالجة عدة من المشكلات البيئية التنموية حيث تمت مناقشة عشرات البحوث المتخصصة في كل مؤتمر وتصاص التوصيات والمقترحات المناسبة للمشكلات او الظواهر التي يعنى بها المؤتمر.

من الجانب الآخر تعد المؤتمرات واحداً من ابواب التواصل والاعلام الثقافي بمدينة الموصل باستضافة علماء وباحثين للمشاركة من خارج العراق ومن الجامعات العراقية أيضاً. وتوفر هذه الاستضافات فرصاً لهؤلاء للتعرف على المدينة وتاريخها الثقافي والحضاري بما يعد اعلاماً متميزاً لهذه المدينة يتجاوز حدود الوطن الى الأجانب المشاركين، إذ يحمل هؤلاء معهم ذكريات مشاهداتهم الى اصداقائهم وذويهم ومعارفهم في بلدانهم فتتسع شهرة الموصل وينبؤ باستمرار.. وكل ذلك اسهام إضافي في التعريف بالمدينة حضارياً وثقافياً.

د. التناجات العلمية في التعريب : يعد التعريب (التأليف والترجمة) نشاطاً جوهرياً في عملية التنمية وتطوير المهارات في مواجهة مشكلاتها ومحدداتها.

وفي هذا المنحى حققت الجامعة رفداً مستمراً من الكتب المؤلفة والترجمة الى المكتبة العربية في الميادين المعرفية المختلفة وفي المجالات الثقافية وقد كان لمطبعة الجامعة ودار النشر فيها دور كبير في إسناد الجامعة وتوفير فرص النشر للتناجات العلمية لأسانذتها وباحثيها حيث بلغ عدد الكتب المطبوعة في المطبعة لصالح الجامعة (١٩٩) كتاباً لغاية عام ١٩٩٠. وبذلك يمكن القول بأن الجامعة وفرت عدداً كبيراً من فرص النشر العلمي لأسانذتها، هذا فضلاً عن توفير فرص النشر الثقافي لعدد كبير من المؤرخين والمؤلفين والأدباء في مدينة الموصل.

وبعامة نهضت الجامعة بدور واضح في نشر الثقافة والعلوم بتوفيرها عدداً كبيراً من المطبوعات العلمية والثقافية ليس لأبناء المدينة فحسب بل

للقرائي العراقي والعربي ايضاً حيث امتدت مطبوعات جامعة الموصل على مساحة الوطن العربي، فكثير من التناجات العلمية لاسانذة الجامعة اعتمدت كتباً منهجية في الجامعات العربية وبذلك إمتد اسم مدينة الموصل شهرة بين أوساط المثقفين والمتعلمين العرب وهذا الأمر يمثل جانباً مهماً في دور الجامعة الثقافي للتعريف بمكانة هذه المدينة الثقافية والحضارية.

من الجانب الآخر تعد هذه التناجات العلمية وفرص نشرها واحداً من العوامل الأساسية في نشر الوعي العلمي والثقافي ومن ثم اتاحة أفضل الفرص للتقنيين وكذلك للادارات التنموية للاطلاع على التقدم العلمي والتقني الحاصل في مجالات عملهم ومن ثم حفزهم على تطوير مؤسستهم التنموية في اهدافها وتقنياتها وكذلك في معالجة مشكلاتها. وبذلك كان اسهام الجامعة في التقدم التقني والعلمي للمدينة اسهاماً مركباً في فعله ونتائجه.

هـ- التفرغ العلمي والممارسة الميدانية : تعتمد الجامعة نظام التفرغ العلمي والممارسة الميدانية لأسانذتها بهدف تدعيم الجوانب المهنية والتطبيقية لهم. وذلك لضمان إغناء مهاراتهم المعرفية بمهارات تطبيقية مهنية تؤهلهم لتوظيف البناء النظري لصالح الإنسان والمجتمع وكذلك توظيف النتائج الميدانية والتطبيقية لبحوثهم لصالح تطوير المعرفة العلمية. ومن أبرز ممارسات الجامعة في هذا التوجه نظام التفرغ العلمي الذي يشجع التدريسيين على التفرغ في مؤسسات أخرى لمدة عام دراسي لأغراض البحث الميداني والتطبيقي وتوظيف مهاراته العلمية لخدمة المؤسسة التي يتفرغ فيها، وبذلك تضع الجامعة جزءاً من طاقاتها العلمية في خدمة مؤسسات المجتمع وتسهم في أسناد الأنشطة التنموية فيه. ومن الطبيعي أن تحظى مدينة الموصل بنصيب متميز في هذا الجانب.

يوفر هؤلاء الطلبة لتلك المؤسسات فرصة الأفادة من طاقاتهم لادامة العمل وتنفيذ عدد من المهام التمتية .

وأخيراً لا بد من الإشارة الى تجربة رائدة بدأتها الجامعة منذ أعوام قليلة في مجال الممارسة الميدانية تقوم على مفهوم العمل الاجتماعي التنموي . حيث بدأت الجامعة تنفيذ برامج عمل جماعي مشترك في العطل الصيفية تتولاها فرق عمل من التخصصين في مجالات الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من التخصصات بهدف إقامة مخيم عمل في منطقة ريفية مختارة لأغراض أجراء مسوحات تنموية تقدم صورة متكاملة عن المصاعب والمحددات التي تواجه تلك المنطقة وتعيق الفعاليات التنموية فيها وكذلك الأمكانات الميدانية المتاحة فيها ومن ثم تقديم الصيغ العلاجية الممكنة لمثل هذا الواقع . ويقترن عمل الفريق الميداني هذا عادة بتقديم الخدمات والاستشارات والمساعدات الميدانية المباشرة الى أبناء المنطقة والادارات المسؤولة فيها طوال فترة إقامة المخيم مع التأكيد على التوعية الصحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية اللازمة^(٢).

الهوامش

- (١) انظر: جمهورية العراق، الجهاز المركزي للإحصاء، التعداد العام للسكان.
- (٢) للتفصيل ينظر كتابا جامعة الموصل :
 - دكتور أحمد الحفاجي وآخرون . الممارسة الميدانية الثانية لجامعة الموصل ، (الموصل ، ١٩٨٩)
 - دكتور أحمد الحفاجي وآخرون . التجربة التعليمية الميدانية لجامعة الموصل ، (الموصل ، ١٩٨٨) .

من الجانب الآخر تلزم الجامعة التدريسيين المعنيين فيها بالعمل سنة واحدة على نحو متصل أو في أثناء العطل الصيفية - في وظائف مهنية مقاربة لتخصصهم العلمي لضمان الممارسة الميدانية وأثناء البعد التطبيقي لمهاراتهم المعرفية وبذلك تسهم الجامعة في مدى التفاعل بين مؤسسات المجتمع وبين ملاكاتها العلمية وتحفز عملية التواصل لضمان أعلى تحقق لفهم الجامعة في خدمة المجتمع . ولتعمق هذا المفهوم على نحو أفضل ولتضمن الجامعة تقديم متخرجين مؤهلين للأسهام في



مختبر علمي في كلية الهندسة

الأنشطة التنموية ، تم إعتاد نظام التدريب الصيفي والممارسة الأسبوعية الميدانية لطلبة الصفوف قبل المنتهية ، حيث يتم التنسيق مع مؤسسات المجتمع لتدريب الطلبة في مجالات عمل مناسبة لتخصصهم الدراسي وبإشراف علمي من التدريسيين وأشراف عملي من الموظفين . وبذلك تم تهيئة هؤلاء الطلبة قبل تخرجهم مهنيًا وبالمقابل

Page		Page	
	University of Mosul		ture
	Administrative And Economic Developments		Prof. Ahmed Qassim Ju'ma, University of Mosul
120	Administrative System		Cultural and Educational Development
	Dr. Sayyar Kawkab Ali Al-Jamil,	294	Modern Cultural Life in Mosul
136	Acquisition of Cultivable Land		Dr. Sayyar Kawkab Ali Al-Jamil ,
	Prof. Khalil Ali Murad, University of Mosul	314	Journalism in Mosul From British Occupation to 1958
161	Agriculture And Animal Husbandry		Dr. Ibrahim Khalil Ahmed, University of Mosul
	Dr. Khalil Ismail Mohammed, University of Salah Al - Din	333	Historiology and Mosul Historians
177	Industry		Dr. Ibrahim Khalil Ahmed,
	Prof. Mohammed Azhar Al-Sammak, University of Mosul	362	Poetry
189	The Framework of Private Industry		Dhu Al-Noon Al-Atraqchi , Teachers' Training Institute, Mosul
	Dr. Abbas Ali Al-Tamimi, University of Mosul	382	The Story
	Social Life and Public Services		Prof. Omar Mohammed Al-Talib University of Mosul
213	Social Life In Mosul	404	Drama
	Mowaffaq Waysi Mahmood, University of Mosul		Prof.Omar Mohammed Al-Talib University of Mosul
	Dr. Mohammed Harbi Hassan, University of Mosul	421	Proverbs
226	Public Services		Sa'ad Ali Al-Jamil ,
	Dr. Sa'di Ali Ghalib, University of Mosul	431	Folklore Poetry
	Mosul Urban planning		Abdul Halim Abdul Majeed Al-Lawand
243	The City of Mosul- Urban Planning and City Plans since the Beginning of the Twentieth Century	447	Literary Criticism: Its Origins and Tendencies in Poetry
	Dawd Salim Ajaj, University of Mosul		Dr. Abdul Ridha Ali, University of Mosul
267	The Structure of the City and Its Present - Day Shape	460	Modern Progress of Arabic Calligraphy In Mosul
	Dr. Salah Hamid Al-Janabi, University of Mosul		Idham Mohammed Hanash,
277	Mosul and Its Modern Architecture	470	Graphic Arts Movement
			Satar Al- Shaykh
		485	Education and Learning
			Dr. Jamal Asad Muz'il, University of Mosul
		494	The University
			Dr. Mohammed Harbi Hassan, University of Mosul

Page		Page	
174	Ali Shakir Ali, Mosul Ottoman Organizational Movements	294	Prof. Imad Abdul Salam Ra'uf, Intellectual Life in Mosul during the Ottoman Rule
180	Ali Shakir Ali, The Beginning of Modernization		Dr. Ibrahim Khalil Ahmad,
203	Namir Taha Yasin, University of Mosul Courts of Justice and Legal System		Cultural Life
222	Jassim Muhammed Hassan, University of Mosul Military Organizations in Mosul	311	The Nature of Cultural and Scientific Life in Mosul
	Dr. Shukri Mahmud Nadim	333	Dr. Sayyar Kawkab Ali Al-Jamil, Education
	Economic Life	344	Dr. Ibrahim Khalil Ahmed, Bookbinding
233	Feudal System in Mosul		Prof. Adil Najim Abbo, University of Mosul
247	Prof. Imad Ahmed Al-Jawadi, University of Qadisyya	353	Arabic Calligraphy in Mosul
268	Finance		Idham Muhammed Hanash, Mosul
	Prof. Khalil Ali Murad,	362	Publishing Houses and Journal- ism in Mosul
	Trade & Commerce in Mosul		Dr. Ibrahim Khalil Ahmed,
	Prof. Khalil Ali Murad,	377	Medicine
	Social Life		Dr. Mahmud Al-Haj Qassim Muhammed
281	Social Institutions	389	Music
287	Prof. Imad Abdul Salam Ra'uf, University of Baghdad		Dr. Adil Al-Bakri
	Aspects of Social Life		

VOLUME 5 CONTENTS



Mosul In Modern History

Mosul From British Occupation To 1958

Political Development

Page		Page	
13	Mosul Resists British Occupa- tion	63	Mosul and National Movement from 1921 to World War II
36	Dr. Ibrahim Khalil Ahmed, University of Mosul National Rule and The Role of Mosul In the Modern State of Iraq		Dr. Ghanim Mohammed Al-Haffo, University of Mosul
50	Dr. Sayyar Kawkab Ali Al-Jamil, University of Mosul Mosul 'Wilaya' and International Arbitration	89	Development of the National Movement in Mosul from 1941 to 1958
	Prof. Fadhil Hussain, University of Baghdad		Dr. Ghanim Mohammed Al-Hoffo,
		105	Mosul Uprising in 1959
			Dr. Awni Abdul Rahman Al-Sab'awi,

Page		Page	
296	University of Mosul Minarets Prof. Ahmed Qassim Al-Jum'a,	382	University of Mosul Stucco Decoration Prof. Abdul Aziz Hamid Salih, University of Baghdad
306	Ribbed Domes Prof. Adil Najim Abbo,		
319	The Significance of Architecture and its Cultural Roots Prof. Ahmed Qassim Al-Jum'a,		Applied Arts
	The Art Of Decoration	393	Textile and Clothes Prof. Ahmad Qassim Al-Jum'a,
338	Marble Decoration Prof. Ahmed Qassim Al-Jum'a,	410	Metalwork Ornament Prof. Salah Hussein Al-Ubaidi, University of Anbar
362	Brickwork Decoration Prof. Ahmed Qassim Al-Jum'a,	428	Unglazed Pottery Prof. Abdul Aziz Hamid Salih,

VOLUME 4

CONTENTS



Mosul in Modern History

History of Mosul between Ottoman Occupation and British Occupation 922 – 1336 A. H. A. D. 1516 – 1918

Political Developments

Page		Page	
13	Mosul From Ottoman Occupation to the Rule of Jalili Family Prof. Khalil Ali Murad, University of Mosul	99	Dr. Sayyar Kawkab Ali Al-Jamil, Mosul under Sultan Hamid Jassim Muhammed Hassan Al-'Addol. University of Mosul
22	The Relations between Mosul and the Other Provinces of Iraq Ali Shakir Ali, University of Mosul	113	Mosul under the Rule of Union and Progress (Itihat ve Tirakki) Jassim Muhammed Hassan, Mosul and Arab Nationalism in the Beginning of the Twentieth Century
31	Mosul under the Rule of Jalili Family Dr. Sayyar Kawkab Ali Al-Jamil, University of Mosul	129	Mosul and Arab Nationalism in the Beginning of the Twentieth Century Dr. Ibrahim Khalil Ahmed, University of Mosul
54	Mosul and the Persian Invasion Prof. Tariq Nafi' Al-Hamdani, University of Baghdad	144	Pioneers of Arab Nationalism in Mosul Dr. Sayyar Kawkab Ali Al-Jamil,
72	Mosul and the Mamluk Walis of Baghdad Prof. Ala'Mosa Kazim Nawras, University of Baghdad		Government Systems, Administration and Army
76	The End of Jalili Rule in Mosul	162	Ottoman Administrative Organ- izations
10			

Page

Dr. Najman Yasin,
University of Mosul.

Cultural Life

- 339 Aspects of Arabic Islamic Culture
Prof. Hashim Yahya Al-

Page

- 351 Mallah,
Mosul and Travels in Quest of
Knowledge
Dr. Natiq Matlub,
University of Mosul

VOLUME 3

CONTENTS

Mosul in Arab Islamic History

(2)

Sciences, Literature and Fine Arts in Mosul from Its Liberation by the Arabs to
the Ottomann Occupation

Arabic Islamic Sciences

Page

- 13 Qur'anic Science
Prof. Gassid Yasir Al-Zaydi,
University of Mosul
37 "Al-Hadith", The Tradition
Prof. Gassid Yasir Al-Zaydi,
58 "Fiqh", Jurisprudence
Prof. Gassid Yasir Al-Zaydi,
83 History and Geography
Prof. Abdul Wahid Dhanoon
Taha, University of Mosul
99 Arabic Grammar and Philology
Dr. Tariq Abed'Un Al-Janabi,
University of Mosul

Literary Life

- 114 Literary Life in Mosul to the End
of Third Century A. H.
Dr. Ghanim Sa'id Hassan,
University of Mosul
122 Literary Life in Mosul in the
Fourth Century A. H.
Dr. Ghanim Sa'id Hassan,
136 Literary Life in Mosul in the Fifth
Century A. H.
Dr. Muhammed Qassim Mus-
tafa, University of Mosul
150 Literary Life in Mosul in the Sixth
Century and Seventh Centuries
A. H.

Page

- Prof. Nadhim Rashid ,
University of Mosul
182 Literary Life in Mosul in the
Eighth and Ninth Centuries A. H.
Dr. Ahmed Abdullah Al-
Hasso, University of Mosul

Sciences

- 199 Pure Sciences
Dr. Durayd Abdul Qadir Nuri,
University of Mosul
206 Medicine
Dr. Mahmud Al-Haj Qassim
Muhammed,

Arts

- 221 Arabic Calligraphy
Yousif Dhanoon,
236 Mosul School of Painting
Prof. Adil Najim Abbo,
University of Mosul
252 Music and Songs
Dr. Adil Al-Bakri, University of
Mustansiriyah

Architecture

- 261 City Planning
Sa'id Al-Diwachi, Mosul
273 Architectural Buildings
Prof. Ahmed Qassim Al-Jum'a,

Page	Prof. Walid Al-Jadir,	Page	Dr. Subhi Anwar Rashid, Dept of
453	Sculpture		Archeaology & Heritage, Baghdad •
	Dr. Tariq Abdul Wahab Mazlum	489	Archeaological Activities.
	Regional Centre for Preserving		Dr. Jabir Khalil Ibrahim,
	Cultural Heritage in the Arab	513	The Extant Ruins
	States- Baghdad		Prof. Amir Sulayman,
468	Music In Assyria		

VOLUME 2

CONTENTS

Mosul in Arab Islamic History

(1)

Political and Cultural Developments in Mosul from its Liberation by the Arabs to the Ottoman Occupation

Page		Page	
13	Mosul and the Islamic Mission Prof. Hashim Yahya Al-Mallah, University of Mosul	154	Mosul under the Atabeks Dr. Abdul Mun'im Rashad,
20	Liberation of Mosul During the Orthodox Caliphate Dr. Hashim Yahya Al-Mallah,	193	Some Cultural Aspects of Mosul under the Atabeks Dr. Abdul Mun'im Rashad,
32	Mosul under the Umayyad Reign Prof. Abdul Wahid Dhanoon Taha, University of Mosul	214	Mosul under the Ilkans Dr. Abdul Mun'im Rashad,
44	Cultural Aspects of Mosul under the Umayyad Reign Prof. Abdul Wahid Dhanoon Taha,	234	Cultural Aspects of Mosul under the Ilkans Dr. Ahmed Abdullah Al-Hasso, University of Mosul
66	Mosul under the Abbasid Reign Prof. Farooq Omar Fawzi, University of Baghdad	251	Mosul under Jala'ir Occupation Dr. Ahmed Abdullah Al-Hasso.
84	The Arab Islamic State and the Rise of Petty Dynasties Dr. Abdul Mun'im Rashad, University of Mosul	263	Mosul under the Reign of The Black and the White Sheep Ali Shakir Ali, University of of Mosul
92	Mosul under Hamdani State Prof. Rashid Abdulah Al-Jumaili, University of Baghdad	272	Cultural life in Mosul during the Black and the White Sheep States Dr. Ahmed Abdullah Al-Hasso,
102	Mosul under the Reign of Oqaili State Dr. Khashi' Al-Ma'adhidi, University of Baghdad		The Cultural life of Mosul from its Liberation by the Arabs to the Ottoman Occupation
122	Mosul under the Saljuks Prof. Rashid - Abdulah Al-Jumaili,	278	Government Systems and Administration Prof. Tawfiq Al-Yuzbaki, University of Mosul
		305	The Economic Life Prof. Tawfiq Al-Yuzbaki,
		331	The Social Life

VOLUME 1

CONTENTS

Geography of Mosul Region

Page		Page	
3	Mosul Geography: A Study in Regional Relations Dr. Salah Majeed Al-Janabi , University of Mosul	170	Agriculture in Historic Times Prof. Sami Sa'id Al-Ahmed , University of Baghdad
20	The Site of the city of Mosul Dr. Salah Majeed Al-Janabi ,	185	Commerce Prof. Sami Sa'id Al-Ahmed ,
	The Ancient History of Mosul Region	202	Industry Prof. Walid Al-Jadir , University of Baghdad
27	From the Cave to the Village Dr. Behnam Abu Al-Suf , Dept of Archeology & Heritage, Baghdad	229	System of Government Dr. Ali Yasin Al-Juburi , Mosul University of Mosul
32	From the Village to the Town Prof. Taqi Al-Dabbagh , University of Baghdad	243	Administration Dr. Ali Yasin Al-Juburi ,
56	Mosul Region in the Third Millennium B.C Prof. Amer Sulayman, University of Mosul	263	Social Conditions Prof. Faruq Al-Rawi , University of Baghdad
67	Mosul Region in the Second Millennium B.C Prof. Amer Sulayman,	281	The Army in the Assvrian Era Dr. Bahija Khalil Ismail, Dept of Archeology & heritage, Baghdad
82	Mosul Region in the first Millennium B.C Prof. Amer Sulayman,	304	Religious Beliefs Prof. Fadhil Abdul Wahid Ali, University of Baghdad
109	Assyrians' Relations With Their Neighbours Dr. Munir Yousif Taha, University of Baghdad	318	Religious Beliefs in the Periods of Achaemnian, Seleucid and Parthian Occupation Prof. Wathiq Ismail Al-Salihi, University of Baghdad
121	Assyrian Activities in the Arabian Gulf Dr. Munir Yousif Taha,	329	Religious Beliefs Under the Sassanid Occupation Dr. Abdul Mu'in Rashad, University of Mosul
128	Mosul Region Under Foreign Occupation Dr. Jabir Khalil Ibrahim, University of Mosul	337	Language and Writing Prof. Amer Sulayman,
144	Mosul Region Under the Sassanid Occupation Salim Ahmad Mahal, University of Mosul	373	Liberal Arts and Physical Science Dr. Fawzi Rashid, University of Baghdad
	The culture of Mosul in the Ancient history	393	Architecture Prof. Adil Najim, University of Mosul
159	Agriculture in Prehistoric Times Prof. Taqi Al-Dabbagh ,	419	City Planning Dr. Jabir Khalil Ibrahim,
		442	Graphic Arts

East, from Egypt in the West to Ilam in the East, and from the Mediterranean in the north to the Arabian Gulf in the South.

In the periods of decline and political deterioration, the borders of the region shrank very much and included only the city and its surrounding villages. Such was the case during the periods of foreign rule from the fall of Babylon to the rise of the Arab Islamic state.

This observation is not only true of Mosul borders during the Islamic and modern eras. These borders have expanded and now include northern Iraq and Al-Jazira region. The cultural influence of the area extends farther and has now become an integral part of Arabic Islamic culture, as it was in the old days part of the ancient culture of Iraq. Thus Mosul culture is an important tributary of the main stream of Arab Islamic culture.

The studies included in this Encyclopedia aim at bringing out the main characteristics of the culture of Mosul area within the larger framework stated above. They state the main contributions of the scholars and eminent thinkers in the cultures which flourished within Arabic Islamic culture and discuss the arts and architecture in the area and analyse its main properties which distinguish this culture from the cultures in this part of the world.

The Encyclopedia comprises three parts: part one is devoted to the cultural history of Mosul in the ancient times, starting from the old to middle and modern stone ages when man lived in caves. These studies also discuss the administration, political, economic and cultural organizations. This part also traces the political development which the area witnessed under the Assyrian Empire, the Chaldean rule and the foreign occupation.

Part two studies the political and cultural developments witnessed by Mosul

region from the rise of the Arab Islamic rule and the liberation of the city from Byzantine occupation during the Caliphate of Omar ibn Al-Khattab, in the Umayyad and Abbasid rules, then the occupation of the city by the Mongols, their rule and other foreign rulers to the rise of the Ottoman state. Special attention is given to the city's achievements in economy, social and cultural life, architecture, arts within the frame of Arabic Islamic Culture of the period.

Part three deals with the political and cultural conditions of the city under the Ottoman rule. Special attention is given to efforts of the citizens to assert their own identity and defy all the attempts which aimed at effacing their cultural personality. This part concludes by studying the political and cultural conditions of Mosul under the national rule to the present day.

In conclusion, the chairman and the members of the Committee would like to thank the President of Mosul University, Professor Abdul Ilah Al-Khaahab for his enthusiasm in promoting the project and seeing it through to a successful end.

The chairman would like to thank the members of the Committee, Professor Amer Sulayman, Dr. Ibrahim Khalil, Dr. Ahmed Abdullah Al-Hassu, and Professor Ahmed Qassim Juma'a for their timeless efforts and fruitful cooperation during work in the project. Without their efforts the present work would not have been possible.

My thanks are also due to all those who contributed to the material included in the Encyclopedia, to the members of the sub-committees, above all Dr. Tawfiq Al-Yozbaki and Dr. Jabir Khalil, to Mr Ahmed Najim Al-Sabha, Director of Dar Al-Kuttub, Mosul University Printing and Publishing House and all those who contributed in one way or another to the project of the Encyclopedia. I am grateful to Mr. Yousif Dhanoon, for designing the cover.

University representing various fields of interest. A committee was formed comprising three sub-committee, each specialized in one field of history. The task of the first sub-committee was to supervise the part of the Encyclopedia of Mosul covering the ancient and the pre-Islamic period, chaired by Professor Amer Sulayman. The second sub-committee, chaired by Hashim Al-Mallah, supervised the work covering the Islamic period. The third sub-committee, chaired by Dr. Ibrahim Khalil Ahmed, had the task of supervising the remaining part of the Encyclopedia which dealt with modern cultural history of Mosul. Dr. Ahmed Al-Hassu was chosen as secretary of the project.

The Committee prepared an outline of the Encyclopedia, including details of the chapters, the sections and subsection and laid down the procedure and the guidelines which should be followed by the contributors.

In arranging the material of the Encyclopedia, the Committee did not follow the usual procedure followed by encyclopedias, which arrange their material alphabetically. Such a procedure would have sacrificed the thematic unity of the work and made it difficult for the reader to trace the chronological development of cultural phenomena. Instead, it adopted the historical procedure which studies a cultural phenomenon and its development across various successive periods of history. It also studies its relations to other phenomena.

Following this procedure is not without difficulties and drawbacks, especially if the number of the contributors exceeds one hundred and they belong to different universities in Iraq.

These writers have different styles and approaches, which may be overlooked in the interest of the efforts to overcome the stumbling blocks in the way of coherence and thematic unity to which the Committee aspires.

The Committee worked hard to overcome these difficulties and have had con-

siderable success in this respect. The Encyclopedia is a team work which comprises various fields of interest written by scholars from the University of Mosul and the other universities of Iraq. It is characterized by a considerable degree of homogeneity in style and approach.

However, the Encyclopedia is not without its drawbacks. A work of this type is never perfect; nevertheless, the present work, it is hoped, represents a step in the right direction.

A procedural point is worth mentioning here, the Committee has found it necessary that the cultural phenomena in Mosul region should be studied in the context of the political development of the area throughout various periods. This method would bring out the role each of these areas played in the service of civilization and humanity in general. This is followed by a detailed study of various aspects of the cultural phenomena concerned. Such an approach may result in some repetition; but it is a repetition which helps to bring out the important points of the work and provide the project with a certain degree of cohesion.

Perhaps, it is also necessary to mention here that cultural phenomena cannot be studied in a narrow geographical frame—work isolated from surroundings. Thus studying the cultural aspects of Mosul area does not mean isolating this region from the rest of the country; the study often extends to other parts of Iraq and beyond, to discuss cultural interactions between this region and the outside world.

Moreover, the borders of Mosul region have not been always the same. Historical and archeological evidence indicate that the region expanded or shrank in accordance with the prevailing political conditions. Thus the political and cultural borders of Mosul expanded considerably after Nineveh became the capital of the Assyrian Empire. The borders encompassed the whole of Iraq, "Babylon and Assyria", but the influence of the region went beyond that to include the ancient

Preface

Civilization as a composite of economic, social, political, cultural and artistic achievements by a society over a period of time, is closely linked with a long settlement at a certain location for considerable time enabling the members of that society to interact with their natural environment and meet its challenges in various creative ways.

The Arab scholars recognized this link between civilization and settlement a long time ago. They said: 'Civilization is contrary to nomadic life: it is city-dwelling. Therefore, they named the person who lived in a city *al-hadari* (city dweller) from which the Arabic '*al-hadaratu*' (civilization) is derived. On the other hand, they named a person who lived a nomadic life '*al-badawi*' (nomad).'

Thus, the Arabs viewed cities as centres of creativity and cultural heritage, where every generation inherits what his predecessors have achieved and adds its own achievements to it. Great cities grow, where learning, arts and architecture flourish, if these cities are not plagued with catastrophic events which would ruin them and scatter their inhabitants. This phenomenon is discussed and its causes analysed by Ibn Khaldun in his *Muqaddima* (Prolegomena). (2)

'To establish settlements and build cities', says Ibn Khaldun, 'it is necessary to have a state and a king. After the city has been built and its buildings completed in accordance with the plans designed by its founder and with atmospheric and geographic conditions of the location. The age of the city is the same as that of the state. If the state had a short life, the conditions in the city would come to a

standstill as soon as the state ceased to exist. The city would deteriorate and fall into ruins. If the state had a long period of life its workshops and big houses would continue to increase and its market would grow bigger until its area would become larger and distances between its various parts longer, as in the case of Baghdad and similar cities.' (3)

Many cities, which were built a long time ago, have been part of several states and civilizations, and have witnessed ups and downs but they have survived and are evidence of civilizational changes through which humanity has passed. Among these cities is the city of Mosul, which came into existence in the Assyrian era and has survived to the present day.

This fact led some of the historians, including the committee of the present encyclopedia, to think that the story of the civilizational history of a state starts with the history of the cities which participated in formulation of that civilization, since these cities were the centres in which the seeds of the civilization grew. The city of Mosul is one of the most ancient cities of Iraq, and has carried the torch of civilization since the first millennium B.C.

The best qualified establishment to study the history of this city is the University of Mosul. Such an idea occurred to the writer of this preface some time ago; he discussed it with the President of the University, who supported the idea unreservedly and did his best to see the project through to a successful end. The plans of the project were discussed thoroughly in a meeting attended by eminent scholars of history at the

Foreword

Since it was founded a quarter of a century ago, The University of Mosul has worked tirelessly to open up new academic paths and build for itself well defined traditions. In this the University has achieved considerable success both horizontally and vertically.

Among its well-established traditions is the practice of setting up educational and scientific plans covering fairly long periods, and preparing the required facilities which will guarantee carrying them out in the best way possible, and then enabling the various University Establishments to fulfil these ambitious aims.

Within this framework, a five year plan was envisaged ending in 1990, which covered various research fields: pure science, the humanities, cultural heritage, modern studies, the civilization of Iraq and the Arab Homeland, and other fields which may strengthen these links between the University and the Society. In all these efforts, special attention was given to the deep rooted culture of the University location and surroundings.

Thus the idea of an encyclopedia of the city of Mosul was conceived five years ago, which would uncover to the reader some of the glorious aspects of the history of this ancient city: For Mosul is a legitimate heir to a number of great

civilizations some of which have deep roots which can be traced to the earliest stages of history. The city has produced some of the most eminent thinkers, who have enriched the cultural heritage of humanity. However, the city has had its ebbs and tides as well. On several occasions it had to face fierce invaders, but was always able to survive. The project of an encyclopedia aims at revealing these facts.

A committee was set up to see the work through: appropriate funds were allocated and a number of eminent scholars from various universities in the country were recruited. The five years have now passed and the first volume of the Encyclopedia has just been completed. This year the University will celebrate the twenty-fifth anniversary of its foundation. On this happy occasion, it gives me pleasure to announce the success of the project represented by publishing the five volumes. The Encyclopedia is a modest intellectual achievement presented to the community of readers, scholars, and Students by the University which has received generous support from his excellency our leader President Saddam Hussein.

Finally, I would like to thank the Committee, the contributors and all those who participated in one way or another to bring this work to a fruitful end.

Prof. Abdul -illah Al-Khashab, Ph.D.
President of the University

EDITORIAL BOARD

Dr. Hashim Yahya AL - Mallah
Dr. Amer Sulayman
Dr. Ahmed Kasim AL-Jum ah
Dr. Ibrahim Khalil Ahmed
Dr. Ahmed Abdullah AL - Hassu

Editor-in-chief
Member
Member
Member
Secretary

Artificial supervisor : Mr. Yousuf Dhannoon

All Rights are reserved for Dar Al-Kuttub Organisation for Printing and Publishing University of Mosul.

First Published 1992



Printed and Published By

Dar AL-Kuttub Organisation for Printing and
Publishing. University of Mosul.

IBN AL- ATHEER STREET - MOSUL - IRAQ
Tel. 763231

Telex. 8092



University of Mosul
Ministry of Higher Education
and Scientific Research

Cultural Encyclopedia of Mosul

Dar Al-Kuttub Organisation for Printing and Publishing
Mosul 1992

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١١٦ لسنة ١٩٩٢



دار الكتب للطباعة والنشر
جامعة الموصل

مَوْسُوعَةٌ
المَوْصِلُ الحِصَارِيَّة

صدرت

بمناسبة اليوبيل الفضيّ

لجامعة الموصل

١٩٦٧-١٩٩٢

